



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



عليه
صلى الله عليه وسلم

WWW. **Ghaemiyeh** .com
WWW. **Ghaemiyeh** .org
WWW. **Ghaemiyeh** .net
WWW. **Ghaemiyeh** .ir

بَيْتُ الْعُقُولِ السَّنِيَّةِ

بَيْتُ الْعُقُولِ السَّنِيَّةِ

لِلْعَلَّامَةِ الْمَوْجِزِ

السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ حَمْدَانَ

الْمَوْجِزِ الْعَامِلِ الْمَكِّيِّ

١١٠٣-١١٦٣ هـ ق

مُخَفَّفٌ

السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ حَمْدَانَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تنضيد العقود السنیه بتمهيد الدوله الحسنيه

کاتب:

سیدمهدی رجایی

نشرت فی الطباعة:

الانساب

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحريات الكمبيوتریة

الفهرس

٥	الفهرس
٣٠	تنضيد العقود السنيه بتمهيد الدوله الحسنيه
٣٠	اشاره
٣٠	المجلد ١
٣٠	اشاره
٣٢	ترجمه المؤلف
٣٢	اسمه و نسبه:
٣٣	الإطراء عليه:
٣٥	مشايخه و من روى عنهم:
٣٥	تلامذته و من روى عنه:
٣٨	تصانيفه الرائعه:
٣٨	أدبه و شعره:
٥٢	ولادته و وفاته:
٥٤	حول الكتاب:
٦٣	في طريق التحقيق:
٦٨	متن تنضيد العقود السنيه
٦٨	اشاره
٧٠	مقدمه المؤلف
٧٧	أصل مؤصل و عقد مفضل
٨٥	فصل: وجيز و عقد عزيز
٨٧	فصل: متين و عقد ثمين
٩١	فصل: عالي و عقد غالي
٩٦	فصل: لطيف و عقد ظريف
٩٨	فصل: نامي و عقد سامي

- ١٠١ فصل: أنيس و عقد نفيس
- ١٠٢ فصل: موصوف و عقد موصوف
- ١٠٥ فصل: بديع
- ١١٠ فصل: جلى و عقد مقداره على
- ١١٠ اشاره
- ١١٤ فصل
- ١١٤ اشاره
- ١١٥ وفاه ابن حجر العسقلانى:
- ١١٥ وفاه السلطان مراد خان العثمانى:
- ١١٥ وفاه السلطان جقمق:
- ١١٦ وفاه الشريف بركات بن حسن:
- ١١٦ ترجمه السيد الشريف محمّد بن بركات بن حسن
- ١١٦ اشاره
- ١١٨ فصل
- ١١٨ اشاره
- ١١٩ فتح القسطنطينيه على يد محمّد بن مراد خان:
- ١٢٠ وفاه سعد الدين الكاشغرى:
- ١٢١ تعمير مسجد ميمونه:
- ١٢١ وفاه العلامه ابن همّام:
- ١٢١ وفاه السلطان اينال:
- ١٢١ وفاه الشيخ عبد الكبير المتوكّل:
- ١٢٢ وفاه السلطان خوش قدم:
- ١٢٢ إرسال السلطان قايتباى بخلع لشريف مكّه:
- ١٢٣ وقعه زبيد:
- ١٢٣ بناء مسجد الخيف:
- ١٢٣ بناء مسجد النمره:

- ١٢٣ منع الحاج العراقي:
- ١٢٤ بناء سقف الكعبه:
- ١٢٤ ورود محمل العراقي:
- ١٢٤ بناء مدارس بمكّه:
- ١٢٥ غزوه جازان:
- ١٢٥ تغسيل داخل البيت:
- ١٢٦ حج السلطان قايتباي:
- ١٢٦ وصول المرسوم من السلطان قايتباي:
- ١٢٧ وقوع الحريق بالمسجد النبوي:
- ١٢٧ وفاه السلطان محمّد فاتح القسطنطينيه:
- ١٢٧ ظهور السلطان الشاه إسماعيل الصفوي:
- ١٢٨ وفاه السلطان قايتباي:
- ١٢٨ وفاه الشريف محمّد بن بركات:
- ١٢٩ ترجمه السيد الشريف بركات بن محمّد بن بركات بن:
- ١٢٩ اشاره:
- ١٣٩ فصل:
- ١٣٩ اشاره:
- ١٣٩ قتل السلطان ناصر:
- ١٤٠ خلع السلطان قانصوه:
- ١٤٠ خلع السلطان جان بلاط:
- ١٤٠ القبض على القاضي ابن ظهيره:
- ١٤٠ ظهور دعوه إمام اليمن يحيى الحسيني:
- ١٤١ قتل مالك شيخ قبيله زبيد:
- ١٤١ تعمير عين حنين و سور جدّه:
- ١٤٢ وفاه السلطان بايزيد:
- ١٤٢ خروج السلطان سليم إلى قتال أخيه:

- ١٤٢ حج بعض نساء الغورى:
- ١٤٣ توجه السلطان سليم لقتال الشاه إسماعيل الصفوى:
- ١٤٤ وقائع السلطان سليم:
- ١٤٥ وفاه الشريف بركات بن محمّد الحسنى:
- ١٤٥ فصل: نذكر فيه
- ١٤٥ اشاره
- ١٥٠ خطبه القاضى عبد اللطيف باكثير:
- ١٥٥ إهتمام الشريف أبى نمى بأهل الشرف:
- ١٥٧ وفاه الشريف أبى نمى:
- ١٥٨ أدب الشريف أبى نمى:
- ١٥٩ تجديد سقف البيت و الميزاب:
- ١٥٩ تشريك الشريف أبى نمى مع ولده الحسن:
- ١٥٩ ورود محمل من طريق اليمن:
- ١٦٠ ورود ميزاب من ذهب للبيت:
- ١٦٠ إجراء عين عرفات إلى مكّه:
- ١٦٣ عماره المسجد الحرام:
- ١٦٣ وفاه السلطان سليم خان:
- ١٦٤ وفاه الشريف بركات بن أبى نمى:
- ١٦٤ ورود مرسوم بالكتابه:
- ١٦٥ وفاه القاضى حسين المالكى:
- ١٦٥ وفاه قطب الدين النهروانى:
- ١٦٦ وفاه الشريف أبى نمى:
- ١٦٦ فصل: نذكر فيه
- ١٦٦ اشاره
- ١٨١ فصل فى الحوادث
- ١٨١ اشاره

- ١٨٢ بنايات و عمارات بمكّه:
- ١٨٢ وصول خيرات من السلطان مراد لأهالي مكّه:
- ١٨٣ وصول الشريف مسعود إلى مكّه:
- ١٨٣ وفاه السلطان مراد خان:
- ١٨٣ لبس الشريف ثقبه الخلعه:
- ١٨٤ وفاه الحكيم داود الأنطاكي:
- ١٨٤ وفاه الشريف ثقبه:
- ١٨٤ ولايه عهد الشريف أبي طالب:
- ١٨٥ وفاه الشريف حسن:
- ١٨٥ فصل: فريد و عقد نضيد:
- ١٨٧ فصل: غريب و أصل عجيب:
- ١٩٢ فصل: مسدّد و عقد منضّد:
- ١٩٩ فصل: عظيم و عقد نظيم:
- ٢٠٣ ترجمه الشيخ عبد الرحمن المرشدي و سبب قتله:
- ٢٠٥ وجوب محبته ذريه رسول الله صلى الله عليه و آله:
- ٢١٢ ترجمه الشريف أحمد بن مسعود الحسنى:
- ٢٣٨ ترجمه السيد الشريف مسعود بن إدريس بن حسن بن أبي نمي:
- ٢٣٨ اشاره:
- ٢٤٨ فصل:
- ٢٤٨ اشاره:
- ٢٤٨ وصول قانصوه باشا إلى اليمن:
- ٢٤٨ نزول مطر شديد و تخريب البيت الشريف:
- ٢٤٩ عمارة البيت الشريف:
- ٢٤٩ وفاه الشريف مسعود:
- ٢٥٠ ترجمه الشريف عبد الله بن حسن بن أبي نمي:
- ٢٥١ ترجمه مولانا الشريف محمّد بن عبد الله بن حسن بن أبي نمي:

٢٥٥	ترجمه السيد الشريف نامى بن عبد المطلب
٢٦١	ترجمه الشريف زيد بن محسن بن حسين بن حسن
٢٦١	اشاره
٢٧٤	فصل
٢٧٤	اشاره
٢٧٥	وفاه الشريف أحمد بن مسعود:
٢٧٦	وفاه الشيخ إبراهيم بن الشيخ حسن اللقانى:
٢٧٦	وفاه السيد هاشم الحبشى:
٢٧٦	وفاه السيد أحمد شيخان باعتماد العلوى:
٢٧٧	وفاه الشيخ أحمد بن أبى الفتح الحكمى:
٢٧٧	وفاه السيد أحمد بن محمد الهادى:
٢٧٨	وفاه الشيخ يوسف بن محمد البلقينى:
٢٧٨	وفاه السيد سالم بن أحمد شيخان:
٢٧٨	وفاه السيد نعمه الله الجيلانى:
٢٧٨	تحقيق حول النسب الكيلانيه:
٢٨٤	تجديد بناء الكعبه:
٢٨٥	الفتنه العظيمه بمكّه المكرمه:
٢٨٥	قدوم شعبان أفندى إلى المدينه:
٢٨٦	وفاه القاضى أحمد بن عيسى المرشدى:
٢٨٩	وفاه السيد علوى السقاف:
٢٨٩	وفاه السيد محمد السقافى العلوى:
٢٩٠	وصول بشير آغا الحبشى الطواشى:
٢٩٧	وفاه الشيخ تاج الدين زكريا النقشبندى:
٢٩٨	وفاه الشيخ محمد بن أحمد حكيم الملك:
٣١١	وفاه الشيخ فتح الله النحاس:
٣١٦	إنشاء السبيل و الحنفيه بمكّه:

- ٣١٧ قتل مصطفى بيك والى جدّه:
- ٣١٨ زياره الشريف زيد للمدينه:
- ٣٢٠ تعمير قبه الفراشين بالمسجد الحرام:
- ٣٢١ إصابه الشاه جهان فلج:
- ٣٢١ وفاه السيّد عمار بن بركات الحسنى:
- ٣٢٣ وفاه القاضى عصام الدين العصامى:
- ٣٢٤ الغلاء و القحط الشديد بمكّه:
- ٣٢٤ تعمير زمزم:
- ٣٢٤ المطر و السيل العظيم بمكّه:
- ٣٢٥ تعمير المقامات الأربعة:
- ٣٢٥ خروج الشريف زيد لقتال قبيله جهينه:
- ٣٢٦ كثرة الأمطار و رخصه الأسعار:
- ٣٢٦ وفاه الشريف زيد صاحب الترجمة:
- ٣٢٧ شرافه الشريف سعد بن زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن اشاره
- ٣٢٧ واقعه السيّد حمود و العساكر المصريّه:
- ٣٤٢ كيفيّة الصلح بين سعد و حمود:
- ٣٤٣ فصل منيف
- ٣٤٣ اشاره
- ٣٤٣ الغلاء العظيم و القحط الشديد بمكّه:
- ٣٤٤ إغاره قبيله عتيبه على القوافل:
- ٣٤٥ ظهور عمود من نور فى المغرب:
- ٣٤٥ وصول عساكر المصريين إلى بندر جدّه:
- ٣٤٥ قصد السيّد حمود نهب ينبع:
- ٣٤٦ حمل الأرزاق إلى مكّه:
- ٣٤٦ وصول الحجّاج المصريين:

- ٣٤٧ ظهور ضوء هائل بالقرب من عين الشمس:
- ٣٤٨ بناء الشاخص فى المسجد الحرام:
- ٣٤٨ وصول حسن باشا إلى مكّه و نبذه من أخباره:
- ٣٥٠ توجه الشريف محمّد يحيى إلى قبيله بنى سعد:
- ٣٥١ وصول سلطان من سلاطين العجم إلى مكّه:
- ٣٥١ وفاه الشيخ عيسى الثعالبي:
- ٣٥١ وقوع صاعه مهيله بمكّه:
- ٣٥٢ وفاه الشيخ عبد الكبير بن محمّد المتوكّل:
- ٣٥٢ تشريك السيّد أحمد مع الشريف سعد:
- ٣٥٢ فصل: فى حال حسن باشا و ما وقع عليه و ما صدر منه ملخصاً
- ٣٥٢ اشاره
- ٣٥٥ وصول حسين باشا السلحدار إلى مكّه:
- ٣٥٦ فالدوله الاولى
- ٣٥٦ الدوله الثانيه
- ٣٥٧ فصل
- ٣٥٧ اشاره
- ٣٥٧ توجه الشريف سعد لمحاربه قبيله حرب:
- ٣٥٨ عزل الشريف سعد عن شرافه مكّه:
- ٣٥٩ القبض على الوزير عثمان حميدان:
- ٣٦١ الدوله الثالثه
- ٣٦١ فصل
- ٣٦١ اشاره
- ٣٦١ تغلب الأعراب على البصره:
- ٣٦٣ وفاه عبد الله أفندى عتاقى زاده:
- ٣٦٣ المطر و السيل العظيم بمكّه:
- ٣٦٤ وفاه الشيخ أحمد القطن:

- ٣٦٤ ----- توجّه العساكر العثمانية إلى البصرة: -----
- ٣٦٤ ----- وفاه الشيخ عبد اللطيف الشيبى: -----
- ٣٦٥ ----- وفاه الشيخ عبد الملك العصامى: -----
- ٣٦٦ ----- حصول و باء عظيم بمكّه: -----
- ٣٦٦ ----- غزوه عنزه: -----
- ٣٦٦ ----- وفاه العلامه أحمد أفندى منجم باشى: -----
- ٣٧٠ ----- وصول الأمر السلطانى بقراءه حديث بدء الوحي: -----
- ٣٧١ ----- وفاه الشيخ حسن العجيمى المكيّ: -----
- ٣٧٢ ----- نزول الشريف سعد عن الشرافه لولده سعيد: -----
- ٣٧٢ ----- الولايه الرابعه -----
- ٣٧٣ ----- ترجمه الشريف بركات بن محمّد بن إبراهيم بن بركات -----
- ٣٧٣ ----- اشاره -----
- ٣٧٧ ----- فصل -----
- ٣٧٧ ----- اشاره -----
- ٣٧٧ ----- خروج الشريف بركات لإبعاد الشريف سعد: -----
- ٣٧٨ ----- وفاه الشيخ إبراهيم الخيارى المدنى: -----
- ٣٧٨ ----- خروج الشريف بركات إلى قتال قبيله حرب: -----
- ٣٨٠ ----- وفاه القاضى عبد المحسن القلمى: -----
- ٣٨٠ ----- وفاه السيّد حمّود بن عبد الله: -----
- ٣٨١ ----- وفاه السيّد أحمد بن محمّد الحارث: -----
- ٣٨١ ----- وفاه السيّد عبد الرحمن المحجوب: -----
- ٣٨٢ ----- وفاه السيّد محمّد الحسينى الشامى نقيب الأشراف: -----
- ٣٨٣ ----- وفاه يحيى أفندى المنقارى: -----
- ٣٨٣ ----- وفاه الشيخ على الأيزى المكيّ: -----
- ٣٨٤ ----- وفاه السيّد أبو بكر بن سالم شيخان: -----
- ٣٨٤ ----- وفاه القاضى أحمد بن عيسى المرشدى: -----

- ٣٨٤ خروج الشريف بركات إلى الفرع:
- ٣٨٥ خروج السيد سعيد بن بركات إلى الروم:
- ٣٨٥ وفاه الشيخ محمّد البكرى الصديقي:
- ٣٨٥ وفاه الشيخ حسين بافضل:
- ٣٨٥ وفاه الشيخ نور الدين الشبراملسى:
- ٣٨٦ تهمة تلوّث أستار الكعبة و الحجر و الباب:
- ٣٨٩ وفاه السيد إبراهيم بن محمّد الحسنى:
- ٣٨٩ نزول مطر عظيم:
- ٣٩٠ السيل العظيم بالمدينه:
- ٣٩٠ الفتنة العظيمه بالمدينه:
- ٣٩١ ظهور نجم له ذنب طويل:
- ٣٩١ المطر و السيل العظيم بمكّه:
- ٣٩٢ وفاه السيد أحمد شيخان العلوى:
- ٣٩٢ وفاه الشيخ محمّد المنوفى:
- ٣٩٢ وفاه الشيخ أحمد باعنتر الطائفى:
- ٣٩٣ وفاه الخطيب أحمد البرى المدنى:
- ٣٩٥ وفاه إمام اليمن أحمد المؤتيد:
- ٣٩٥ وفاه الشيخ حسن بن على الدهان:
- ٣٩٥ خروج الشريف أحمد بن غالب من مكّه:
- ٣٩٦ وفاه الشريف بركات صاحب الترجمه:
- ٣٩٦ ترجمه السيد الشريف سعيد بن بركات بن محمّد بن إبراهيم بن
اشاره
- ٣٩٧ وصول الخلعه السلطانيه:
- ٣٩٨ إخراج الشيخ محمّد بن سليمان:
- ٣٩٨ وصول الأمر السلطانى بتقسيم البلاد:
- ٤٠٠ حوادث سنه أربع و تسعين و ألف:

- ٤٠٠ وصول هديه جليله من الهند:
- ٤٠٠ وفاه الشيخ محمّد المالكي السوسي:
- ٤٠٢ إدخال القناديل إلى داخل الكعبه:
- ٤٠٢ وفاه السيد محمّد بن أحمد:
- ٤٠٢ توقّف الساده الأشراف من العرضه:
- ٤٠٤ حوادث سنه خمس و تسعين و ألف:
- ٤٠٥ وقوع أمر عجيب بمكّه:
- ٤٠٥ وفاه الأمير يحيى بيك الحسائي:
- ٤٠٦ وصول خلعه للشريف سعيد:
- ٤٠٦ كثره البلاء و المحن بمكّه:
- ٤٠٨ ترجمه السيد الشريف أحمد بن زيد بن محسن بن حسين
- ٤٠٨ اشاره
- ٤١٥ فصل
- ٤١٥ اشاره
- ٤١٥ قدوم الوزير محمّد على بن سليم:
- ٤١٥ وفاه الشيخ يحيى بن محمّد النابلي:
- ٤١٦ وفاه الشيخ أحمد البشبيشي:
- ٤١٦ دخول شيخ آل ضفير إلى مكّه:
- ٤١٦ خروج الشريف أحمد إلى عنزه:
- ٤١٧ وزاره سليمان باشا مير يا خور:
- ٤١٧ وفاه السيد محمّد بن يعلى الحسنى:
- ٤١٧ وفاه إمام اليمن محمّد المؤيد:
- ٤١٨ فصل
- ٤٢٢ وصول الشريف أحمد إلى جدّه:
- ٤٢٢ وصول خلعه سنه للشريف أحمد:
- ٤٢٢ هدم البيوت الملاصقه بالمسجد:

- ٤٢٣ حوادث سنة ثمان و تسعين و ألف:
- ٤٢٣ اشاره
- ٤٢٣ بناء الحائط على مقابر مكّه:
- ٤٢٤ وفاه الشيخ محمّد البخشى الدمشقى:
- ٤٢٤ إخراج التكرود من مكّه:
- ٤٢٤ عزل أحمد باشا والى جدّه:
- ٤٢٥ الوباء العامّ بالطائف:
- ٤٢٥ نصره المسلمين على الكفّار:
- ٤٢٦ حوادث سنة تسع و تسعين و ألف:
- ٤٢٦ اشاره
- ٤٢٦ انزعاج الشريف أحمد بن غالب:
- ٤٢٦ وفاه الشريف أحمد بن زيد:
- ٤٣١ ترجمه السيد الشريف أحمد بن غالب بن محمّد بن مساعد
- ٤٣١ اشاره
- ٤٣٨ فصل
- ٤٣٨ اشاره
- ٤٣٨ وصول الأمر السلطاني و الخلعه للشريف أحمد:
- ٤٤٢ خلع السلطان محمّد:
- ٤٤٥ وفاه القاضي على المكّي:
- ٤٤٦ قتل محمّد عمّار:
- ٤٤٦ عزل الشريف أحمد بن غالب عن شرافه مكّه:
- ٤٤٧ فصل
- ٤٤٧ نقل من كتاب تاريخ الأديب الفاضل نور الدين على
- ٤٤٢ استقرار الوزير سنبل بمدينه صيبا:
- ٤٤٥ خروج الشريف أحمد إلى وادى خلب:
- ٤٤٦ وفاه الشريف أبى طالب بن محمّد العواجى:

٤٦٩	حوادث سنه أربع و مائه و ألف:
٤٦٩	اشاره
٤٧٨	ما قاله الادباء فى المصلوب:
٤٧٩	ترجمه عمارة بن على بن زيدان المخلافى:
٤٨٣	فائده
٤٨٣	اشاره
٤٨٤	تتمه الحوادث:
٤٨٤	اشاره
٤٩٩	عماره قلعه جازان:
٥٠٢	غزوه قبيله النحوس:
٥٠٦	حكم معاقبه الإمام لرعيته:
٥١٠	تنبيه
٥١١	فائده اخرى
٥١٦	فائده
٥١٦	اشاره
٥١٧	بقيه الحوادث:
٥٢٠	فصل
٥٢٢	غزوه المخيزه:
٥٢٤	حوادث سنه خمس و مائه و ألف:
٥٥٠	فصل
٥٥٠	اشاره
٥٥٤	قصيده والد المؤلف فى الشريف أحمد:
٥٦١	عود الشريف أحمد بن غالب إلى مَّكَّة:
٥٦٢	أعقاب الشريف أحمد بن غالب:
٥٦٥	فهرس مواضع الجزء الأول
٥٩٢	المجلد ٢

- ٥٩٢ اشارة
- ٥٩٢ اشارة
- ٥٩٤ ترجمه السيد الشريف محسن بن حسين بن زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبي نمى صاحب مَكَّة المشرفه
- ٥٩٤ اشارة
- ٥٩٥ فصل: فى الحوادث الواقعة فى دوله هذا الشريف
- ٥٩٥ اشارة
- ٥٩٦ وفاه الشيخ محمّد الشرنبلالى:
- ٥٩٦ توليه السلطان مصطفى خان:
- ٥٩٦ حصول طاعون عظيم ببغداد:
- ٥٩٧ وصول الشريف يحيى بن بركات إلى مَكَّة:
- ٥٩٧ وفاه السلطان سليمان خان:
- ٥٩٧ تغلب الشريف سعيد على الشريف محسن:
- ٥٩٨ ترجمه السيد الشريف عبد الله بن هاشم بن عبد المطلب
- ٦٠١ ترجمه السيد الشريف سعيد بن سعد بن زيد بن محسن بن
- ٦٠١ اشارة
- ٦٠٤ ذكر ولاياته الخمسه
- ٦٠٤ الولاية الأولى
- ٦٠٤ الولاية الثانية
- ٦٠٤ الولاية الثالثة
- ٦٠٨ الولاية الرابعة
- ٦٠٩ الولاية الخامسة
- ٦١٤ فصل: فى وفيات بعض الأعيان الدارجين فى مَدّه دولته
- ٦١٤ اشارة
- ٦١٤ وفاه الشريف أحمد بن حازم الحسنى:
- ٦١٥ وفاه الشيخ محمّد الشيببى:
- ٦١٥ ترجمه السيد الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد

- ٦٢٠ ترجمه السيد الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى بن
- ٦٢٠ اشاره
- ٦٢١ ذكر ولاياته الثلاثه
- ٦٢١ الولاية الأولى
- ٦٢٢ الولاية الثانية
- ٦٢٤ الولاية الثالثة
- ٦٢٥ فصل: فى الحوادث الواقعة فى أيام إمره هذا الملك المعظم
- ٦٢٥ اشاره
- ٦٢٥ وفاه الشيخ عبد الله القرشى الشيبى:
- ٦٢٥ قتل الشيخ فيض الله الأندى:
- ٦٢٧ وفاه الشيخ عبد الوهاب الهندى:
- ٦٢٧ قتل السيد على ميرماه:
- ٦٢٨ إرسال الشاه حسين الصفوى هديه إلى المدينه:
- ٦٢٨ وفاه السلطان أورنگ زيب ملك الهند:
- ٦٢٩ وفاه السيد على العاملى المكى:
- ٦٣٩ وفاه الشيخ عبد الله طرفه المكى:
- ٦٣٩ وفاه الشيخ حسين الخطيب:
- ٦٤٠ وفاه السيد على بن أحمد المدنى:
- ٦٥١ وفاه الشيخ عبد الرحمن مفتى الهند:
- ٦٥٢ وفاه الوزير عثمان حميدان:
- ٦٥٢ وفاه السيد سالم السقاف:
- ٦٥٢ عزل الشريف عبد الكريم بن محمد:
- ٦٥٣ ترجمه السيد الشريف عبد الله بن الشريف سعيد بن سعد
- ٦٥٣ اشاره
- ٦٦١ فصل: فى الحوادث الواقعة بعد رجوع الشريف من الحجاز
- ٦٦٤ فصل: فى الحوادث الواقعة فى سنتى شرافته

- ٦٦٤ اشاره
- ٦٦٤ وفاه محمّد المهدي بن أحمد إمام اليمن:
- ٦٧٣ ترجمه السيد الشريف علي بن سعيد بن سعد بن زيد
- ٦٧٣ اشاره
- ٦٧٦ فصل: الشطر الأخير و هو التأريخ للبهاء زهير رحمه الله تعالى
- ٦٨٠ ترجمه السيد الشريف يحيى بن بركات بن محمّد بن إبراهيم
- ٦٨٠ اشاره
- ٦٨٢ فصل: كيفيه شرافه الشريف يحيى بن بركات على مكّه
- ٦٨٥ فصل: فى مناقب الشريف يحيى بن بركات
- ٦٨٧ فصل: فى الحوادث الواقعة فى شهور دولته الزاهره و إمارته الباهره
- ٦٨٧ اشاره
- ٦٨٧ وفاه السيد زين العابدين الصحرا:
- ٦٨٧ وفاه الرئيس عبد اللطيف الموقت:
- ٦٨٧ ترجمه الشريف مبارك بن أحمد بن زيد بن محسن
- ٦٨٧ اشاره
- ٦٩٩ فصل: مفيد و أصل سديد
- ٦٩٩ اشاره
- ٦٩٩ الاشتعال الهائل فى جدّه:
- ٧٠٠ الحروب العظيمه بنواحي ينبع:
- ٧٠٦ إثاره الفتنه بين شريف مكّه و الساده الأشراف:
- ٧٠٨ إثاره فتنه عظيمه بالمدينه:
- ٧١٢ قصيده السيد جعفر بن محمّد البيتى:
- ٧٢٢ قصيده الشيخ تاج الدين بن عارف المنونى:
- ٧٢٦ قصيده الشاعر صفى الدين الحلى:
- ٧٣١ حول قصيده الشيخ تاج الدين المنوفى:
- ٧٣٢ تتمه ترجمه صاحب الترجمه:

- ٧٣٣ فصل: فى الحوادث الواقعة فى أيام شرافه هذا الملك المعظم
- ٧٣٣ اشاره
- ٧٣٣ وفاه الشيخ عبد الله بن سالم البصرى:
- ٧٣٨ رثاء والد المؤلف للشيخ عبد الله البصرى:
- ٧٤٠ ترجمه الشيخ سالم بن عبد الله البصرى:
- ٧٤٠ اشاره
- ٧٤٥ توليه الشريف يحيى بن بركات الثانيه
- ٧٤٧ فصل: فى الحوادث الواقعة فى هذه السنه
- ٧٤٧ اشاره
- ٧٥٢ فتنه عبید الساده و عساكر على باشا:
- ٧٥٢ الحوادث الجفمه بين الشريف و عساكر الوزير:
- ٧٥٨ ترجمه الشريف بركات بن الشريف يحيى بن بركات بن محمّد
- ٧٥٨ اشاره
- ٧٦٢ وفاه الشريف حسن بن غالب الحسنى:
- ٧٦٢ اشاره
- ٧٦٣ شرافه الشريف مبارك بن الشريف أحمد بن زيد توليته الأخيره
- ٧٧١ توليه الشريف عبد الله بن الشريف سعيد بن سعد بن زيد الأخيره
- ٧٧٧ خروج الشريف محسن بن عبد الله إلى جهه الشرق:
- ٧٩٥ فصل: فى الحوادث الواقعة فى دولته
- ٧٩٥ اشاره
- ٧٩٥ وفاه السيد حسن الغرب:
- ٧٩٦ وفاه الشيخ عباس القطبى:
- ٧٩٦ وفاه الشريف حامد بن محمّد الحسنى:
- ٧٩٦ وفاه السيد حسن بن زين العابدين الصحرا:
- ٧٩٧ وفاه الشيخ محمّد بن أبى بكر العرابى:
- ٧٩٧ وفاه قاضى مكّه المشرفه:

- ٧٩٧ تفويض قضاء مكّه للمفتى عبد القادر:
- ٧٩٩ وفاه السيّد ظافر بن محمّد بن خيرات:
- ٨٠٠ فصل: تحقيق لطيف حول شعر الحرايبي
- ٨٠٠ اشاره
- ٨٠٥ تذييل و تكميل
- ٨٠٧ وفاه السيّد محمّد بن أحمد الحسنى النوى:
- ٨٠٧ وفاه الشيخ محمّد شمس الرومى:
- ٨٠٨ وفاه الشيخ محمّد بن تاج الدين المالكلى:
- ٨٠٨ وفاه الشيخ محمّد الأسدى المدرّس:
- ٨٠٩ وفاه الشيخ يحيى بن عوض باقشير:
- ٨١٠ وفاه القاضى إسماعيل بن عيسى المرشدى:
- ٨١٠ وفاه الشيخ عبد القادر الصديقى:
- ٨١٠ اشاره
- ٨١١ تنبيه:
- ٨١٧ وفاه السيّد عنان بن جازان الحسنى النوى:
- ٨١٧ وفاه الشيخ عبد الله باشيخ الحضرمى:
- ٨١٨ قتل السيّد عبد الكريم البرزنجى:
- ٨١٩ وفاه الشيخ أحمد بن عمر بن عبد الكريم:
- ٨١٩ وفاه السيّد شبير بن مبارك الحسنى:
- ٨٣٦ وفاه الشيخ سعيد بن محمّد القطبى:
- ٨٣٦ وفاه الشيخ حسين بن محمّد العصامى:
- ٨٣٦ وفاه السيّد إبراهيم بن نعمه الله القادري:
- ٨٣٧ وفاه العلامه يحيى بن محمّد الطبرى:
- ٨٣٨ وفاه الشيخ عبد الهادى المؤرّخ:
- ٨٣٨ وفاه الشيخ محمّد العتباسى:
- ٨٣٨ وفاه السيّد عامر بن يحيى المساوى:

- ٨٣٨ وفاه الشيخ عبد الله بن أحمد المكي:
- ٨٣٩ وفاه السيد أبي بكر بن محمد بن سيف:
- ٨٣٩ وفاه السيد محمد البخاري:
- ٨٤٠ التوسعه في بناء مسجد الحرام:
- ٨٤٠ هجوم العساكر في بندر جدّه على الأفرنج:
- ٨٤١ وفاه السيد شتر بن حسن الحسنى النموى:
- ٨٤٢ وفاه السيد محمد العاملى الموسوى والد المؤلف:
- ٨٥٣ وفاه السلطان إسماعيل ملك الغرب:
- ٨٥٤ فصل: حوادث سنه أربعين و مائه و ألف
- ٨٥٤ اشاره
- ٨٥٤ خروج شريف مكّه إلى نواحى الشرق:
- ٨٥٤ رخاء الأسعار فى هذه السنه:
- ٨٥٥ ظفر الشريف محسن بن عبد الله على قبيله ظفير:
- ٨٥٦ وفاه السيد بشير بن مبارك الحسنى:
- ٨٥٨ وفاه السيد أحمد بن أبى بكر بن عقيل المكي:
- ٨٥٩ وفاه الشريف عبید الله بن حسن بن جود الله الحسنى:
- ٨٥٩ وفاه الواعظ يحيى أفندى:
- ٨٥٩ وفاه السيد جعفر بن السيد أحمد ميرك:
- ٨٦١ وفاه الشيخ عثمان بن الشيخ أحمد شمس:
- ٨٦١ وفاه الشيخ محمد العناتى المغربى:
- ٨٦٢ وفاه الشيخ شرف الدين المصرى الشافعى:
- ٨٦٢ وفاه القاسم المتوكل إمام اليمن:
- ٨٦٢ فصل: حوادث سنه ألف و مائه و إحدى و أربعين
- ٨٦٢ اشاره
- ٨٦٣ وفاه الشيخ يحيى بن عبد القادر المكي:
- ٨٦٣ وفاه الشيخ محمد صالح بن عبد الهادى الطاهر:

- ٨٦٣ ----- وفاه الشيخ محمّد بن عبد الله المغربي المحدث: -----
- ٨٦٤ ----- فصل: حوادث سنة ألف و مائه و ثنتين و أربعين -----
- ٨٦٤ ----- اشاره -----
- ٨٦٤ ----- وفاه القاضي حسن الفصيحى المنجم: -----
- ٨٦٥ ----- وفاه الشريف على بن الشريف سعيد الحسنى: -----
- ٨٦٥ ----- وفاه الشيخ عيد المدرّس المصرى: -----
- ٨٦٥ ----- فصل: حوادث سنة ثلاث و أربعين و مائه و ألف -----
- ٨٦٥ ----- اشاره -----
- ٨٦٥ ----- وفاه القاضي عيد بن محمّد الأنصارى: -----
- ٨٦٦ ----- وفاه الشيخ عبد الكريم المدرّس الهندى: -----
- ٨٦٦ ----- وفاه الشريف عبد الله بن بركات الحسنى: -----
- ٨٦٧ ----- جلوس السلطان محمود بن السلطان مصطفى: -----
- ٨٦٩ ----- وفاه الشيخ يونس المصرى المدرّس: -----
- ٨٧٠ ----- وفاه السيّد محمّد بن أسعد مفتى المدينة: -----
- ٨٧٢ ----- وفاه الشريف عبد الله بن الشريف سعيد صاحب الترجمة: -----
- ٨٧٢ ----- الشريف محمّد بن المرحوم الشريف عبد الله بن سعيد بن -----
- ٨٧٩ ----- قتل السيّد سليم بن عبد الله بن حسين الحسنى: -----
- ٨٨٤ ----- قتل السيّد سعيد بن سليمان بن أحمد الحسنى: -----
- ٨٨٥ ----- قتل السيّد سليم بن مبارك بن شبر الحسنى: -----
- ٨٨٦ ----- خروج الشريف محمّد من مكّه المكرّمه: -----
- ٨٨٨ ----- فصل: فى الامور المذكوره و الحوادث المشهوره -----
- ٨٨٨ ----- اشاره -----
- ٨٨٨ ----- وفاه السيّد عبد المعين بن محمّد الحسنى: -----
- ٨٨٨ ----- ثوران العوام على العجم بمكّه: -----
- ٨٩١ ----- فصل: فى حوادث سنة ألف و مائه و خمس و أربعين -----
- ٨٩١ ----- ابتداء خروج السلطان نادر شاه فى ايران: -----

٨٩٧	فصل: فى حوادث سنه ستّ و أربعين و مائه و ألف
٨٩٧	فتنه سردار حسين أفندى:
٩٠٦	مقدمه مؤلف
٩٠٧	ترجمه مولانا السيد الشريف مسعود بن سعيد
٩٠٧	اشاره
٩١٣	الوفائع الواقعه فى ايام شرافته
٩١٣	الواقعه الاولى
٩١٣	الواقعه الثانيه
٩١٤	الواقعه الثالثه
٩١٤	الواقعه الرابعه
٩١٤	الواقعه الخامسه
٩١٤	الواقعه السادسه
٩١٥	فصل: فى حوادث أواخر سنه ستّ و أربعين و مائه و ألف
٩١٥	اشاره
٩١٥	قتل رجل مغربى عالم بالعلوم الغربيه:
٩١٦	وفاه السيد زيد بن أحمد بن سعيد الحسنى:
٩١٧	حصول كسوف كلى هائل بمكّه:
٩١٨	فصل: فى حوادث سنه سبع و أربعين و مائه و ألف
٩١٨	وفاه الشريف محسن بن عبد الله الحسنى:
٩٢١	فصل: فى حوادث سنه ثمان و أربعين و مائه و ألف
٩٢١	وفاه الجمال محمّد بن الحسن المدعون:
٩٢١	سانحه
٩٢٣	إخراج الأجانب من مكّه المكرمه:
٩٢٤	منع شرب التنباك فى مكّه:
٩٢٥	وفاه السيد مسعود بن أحمد الحسنى:
٩٢٦	انتصار الدوله العثمانيه على الكفار:

- ٩٢٦ ----- صوله الشريف محمّد على عمّه الشريف مسعود:
- ٩٢٨ ----- قتل ابن السلطان نادر شاه و بعض أخباره:
- ٩٢٩ ----- فصل: فى حوادث سنه تسع و أربعين و مائه و ألف
- ٩٢٩ ----- كيفيّة جلوس نادر شاه فى السلطنه:
- ٩٢٩ ----- اشاره
- ٩٣٦ ----- وفاه الشيخ محمّد بن أحمد عقيله المغربى:
- ٩٣٩ ----- فصل: فى حوادث سنه خمسين و مائه و ألف
- ٩٣٩ ----- وفاه الشيخ زين العابدين بن الشيخ سعيد المنوفى:
- ٩٤١ ----- فصل: فى حوادث سنه إحدى و خمسين و مائه و ألف
- ٩٤١ ----- فتح السلطان نادر شاه بلاد الهند:
- ٩٥٠ ----- فصل: فى حوادث سنه ثنتين و خمسين و مائه و ألف
- ٩٥٠ ----- وفاه السيّد حسن بن الشريف سعيد الحسنى:
- ٩٥٠ ----- وفاه السيّد عبد الله بن أحمد بن أبى القاسم:
- ٩٥١ ----- وفاه الشيخ على بن عبد السلام الرئيس،
- ٩٥١ ----- رجوع السلطان نادر شاه من الهند و القتل العام:
- ٩٥٢ ----- صلح الشريف محمّد مع عمّه الشريف مسعود:
- ٩٥٣ ----- فصل: فى حوادث سنه ثلاث و خمسين و مائه و ألف
- ٩٥٣ ----- وفاه السيّد سرور بن يعلى الحسنى:
- ٩٥٣ ----- اشاره
- ٩٥٤ ----- وفاه السيّد محمّد بن عمرو الحسنى:
- ٩٥٤ ----- وفاه الوزير إبراهيم بن عبد الرحيم الشامى
- ٩٥٥ ----- حصول السيل العظيم بمكّه:
- ٩٥٥ ----- فصل: فى حوادث سنه خمس و خمسين و مائه و ألف
- ٩٥٥ ----- اشاره
- ٩٥٩ ----- وفاه الشيخ محمّد جواد بن عبد الرزاق البغدادى:
- ٩٧١ ----- فصل: فى حوادث سنه ستّ و خمسين و مائه و ألف

- ٩٧١ وفاه الشيخ عثمان بن عبد السلام الرئيس: -
- ٩٧١ إصدار إلى أهل المذاهب تولى كل ذى وظيفه وظيفته بنفسه: -
- ٩٧٢ ترجمه السيد محمّد بن السيد أحمد الخطيب: -
- ٩٧٢ اشاره
- ٩٧٥ وفاه السيد حسن بن أحمد بن سالم شيخان: -
- ٩٧٥ غزوه بنى مغلد: -
- ٩٧٧ وفاه السيد حسن بن غالب بن زامل الحسنى: -
- ٩٧٧ وفاه الشيخ محمّد بن حسن العجيمى: -
- ٩٧٨ وفاه السيد عبد العزيز بن زين العابدين الحسنى: -
- ٩٧٨ بناء برجين عظيمين لصاحب الترجمة: -
- ٩٧٩ الفتنه العظيمة بالمدينه: -
- ٩٨٧ وفاه الشيخ عبد الوهاب بن أحمد الطنطاوى: -
- ٩٨٨ تصدى الشيخ عمر الأندى لخطابه عيد الفطر: -
- ٩٩٣ فصل: فى حوادث سنه سبع و خمسين و مائه و ألف
- ٩٩٣ وصول رسول من طرف نادر شاه إلى شريف مكّه: -
- ٩٩٤ ترجمه السيد نصر الله الحائرى و ما جرى عليه: -
- ١٠١٠ فصل: فى حوادث سنه ثمان و خمسين و مائه و ألف
- ١٠١٠ وفاه السيد على المهدي: -
- ١٠١٠ اشاره
- ١٠١٠ خروج الوزير أبى بكر باشا إلى المدينه: -
- ١٠١١ غزوه قبيله عضل: -
- ١٠١٢ وفاه السيد محمّد بن يحيى بن هاشم الحطّاب: -
- ١٠١٣ وفاه السيد سند بن أحمد بن زين العابدين الحسنى: -
- ١٠١٣ غزوه قبيله البقوم: -
- ١٠١٤ ظفر الدوله العثمانيّه على نادر شاه: -
- ١٠١٤ شهاده العلامه السيد نصر الله الحائرى: -

- ١٠١٤ ----- ظفر السلطان نادر شاه على العساكر العثمانية: -----
- ١٠١٥ ----- فصل: في حوادث سنة تسع و خمسين و مائه و ألف -----
- ١٠١٥ ----- المصالحة بين السلطان نادر شاه و العثمانية: -----
- ١٠١٦ ----- فتنه الأفرنج في أطراف بنقاله و بنادرها: -----
- ١٠١٧ ----- وفاه السيّد عبد الله بن جعفر بامدهر: -----
- ١٠١٨ ----- السيل و الريح العاصف بمكّه: -----
- ١٠١٩ ----- فصل: في حوادث سنة ألف و مائه و ستين -----
- ١٠١٩ ----- وفاه الشيخ سالم بن عبد الله البصرى المكي: -----
- ١٠٢١ ----- الاختلاف في رؤيه هلال شهر رمضان: -----
- ١٠٢٢ ----- الفتنه العظيمه بمصر: -----
- ١٠٢٣ ----- قتل السلطان نادر شاه و كيفيته و الحوادث بعد ذلك: -----
- ١٠٢٢ ----- وفاه الوزير أحمد باشا بن حسن باشا: -----
- ١٠٢٣ ----- فائده عجيبيه -----
- ١٠٢٤ ----- فصل: في حوادث سنة ألف و مائه و إحدى و ستين -----
- ١٠٢٤ ----- وفاه السيّد راجح بن الشريف سعيد الحسنى: -----
- ١٠٢٤ ----- وفاه الشيخ إبراهيم بن الشيخ محمّد شمس: -----
- ١٠٢٥ ----- عزل الخواجه مصطفى بن زياده: -----
- ١٠٢٧ ----- وفاه إمام اليمن الحسين المنصور بن القاسم المتوكّل: -----
- ١٠٢٨ ----- وفاه منصور بن بدوى شيخ بنى حرب: -----
- ١٠٢٩ ----- وصول ثلاثه من سناجق مصر إلى مكّه المشرفه: -----
- ١٠٤٠ ----- وفاه محمّد شاه سلطان الهند: -----
- ١٠٤٠ ----- وصول الفرمان بقراءه حديث المعراج: -----
- ١٠٤١ ----- وفاه السيّد أمين بن الحسن مير غنى: -----
- ١٠٤٢ ----- بعض أخبار ايران بعد وفاه نادر شاه: -----
- ١٠٤٣ ----- جلوس الشاه رخ حفيد نادر شاه في السلطنه: -----
- ١٠٤٣ ----- وفاه السيّد أحمد بن السيّد مساعد الحسنى: -----

- ١٠٤٤ وصول أميرى الحاج الشامى و المصرى:
- ١٠٤٤ فصل: فى حوادث سنه ألف و مائه و ثنتين و ستين هجرىه
- ١٠٤٤ وفاه الشيخ عمر بن المفتى عبد القادر:
- ١٠٤٧ وفاه السيد يحيى بن الحسن بن غالب الحسنى:
- ١٠٤٨ وفاه السيد أحمد بن يحيى الأزهرى:
- ١٠٤٨ إثاره العساكر اليمنيه على وزير شريف مكّه بالقنفذه:
- ١٠٥٠ عزل السيد مبارك بن عبد المعين الهجرى أمير ينبع:
- ١٠٥٠ إرسال هديه جميله من شريف مكّه إلى إمام اليمن:
- ١٠٥١ ضيافه الشيخ على بن عبد القادر لشريف مكّه:
- ١٠٥٤ استقلال شاه رخ فى سلطنه ايران:
- ١٠٥٦ وفاه الشيخ عبد الكريم الأنصارى المدنى:
- ١٠٥٦ وفاه السيد أحمد بن يحيى الأزهرى المدنى:
- ١٠٥٨ الشهب المكّيه على من تعرّض للساده الحسينيه
- ١٠٥٨ اشاره
- ١٠٦٠ ترجمه المؤلف
- ١٠٧٣ الآيات الوارده فى فضل أهل البيت عليهم السلام
- ١٠٧٥ الأحاديث الوارده فى فضل أهل البيت عليهم السلام
- ١٠٧٩ فائده
- ١٠٨١ فهرس مواضيع الجزء الثانى
- ١١٠٤ فهرس الأعلام المترجمه
- ١١٢٨ تعريف مركز

اشاره

سرشناسه: للعلامه المؤرخ السيد رضی الدين بن محمد بن علی بن حيدر الموسوی العاملي المکی ۱۱۰۳-۱۱۶۳ ه ق

عنوان و نام پديد آور: تنضيد العقود السنيه بتمهيد الدوله الحسينيه / موسوی عاملي، رضی الدين بن محمد؛ تحقيق السيد مهدي الرجائي

مشخصات نشر: معهد الدراسات لتحقیق أنساب الأشراف، نشر الأنساب / ایران - قم

مشخصات ظاهري: ۲ ج.

وضيعة فهرست نویسی: برونسپاری

یادداشت: عربي.

موضوع: تاريخ شهر مکه از اواخر قرن ششم تا روزگار مؤلف

موضوع: ۱. مکه - تاريخ. ۲. مکه - سرگذشتنامه. ۳. سادات - مکه - سرگذشتنامه

شابک: ۹۷۸-۶۰۰-۹۰۱۴۰-۸-۸

ص: ۱

المجلد ۱

اشاره

موسوی عاملی، رضی الدین بن محمد (نویسنده)

رجایی، مهدی (محقق)

ص: ۲

ترجمه المؤلف

اسمه و نسبه:

هو العلامة المؤرخ الأديب السيد رضى الدين بن محمّد بن على بن حيدر بن محمّد بن نجم الدين بن محمّد بن محمّد بن محمد بن الحسن بن نجم الدين بن الحسين بن محمّد بن موسى بن يوسف الأمير بن محمّد بن معالى بن على الحائرى ابن عبد الله بن محمّد بن على الديلمى بن أبى طاهر عبد الله بن أبى الحسن محمّد المحدث بن أبى الطيّب طاهر بن الحسين القطعى بن موسى الثانى أبى سبحة بن إبراهيم المرتضى بن موسى الكاظم العاملى السكيكى المكى.

أقول: و بيته بيت علم و ثقافه و أدب، يقال لهم: بيت آل نجم الدين، نسبه إلى جدّهم الأعلى السيد نجم الدين، المجاز من صاحب المعالم المحقق العلامة الشيخ حسن ابن الشهيد الثانى بالإجازة الكبيره، و أوردها العلامة المجلسى قدّس سرّه بتمامها فى إجازات البحار، فراجع (1).

نبح فى هذا البيت جمع غفير، ذكرهم أرباب التراجم و المعاجم.

ص: ٣

١- ١) و طبعت الإجازة مستقلاً فى كتاب الإجازات لجمع من الأعلام و الفقهاء و المحدثين، المطبوع بتحقيقى، نشر مكتبه العلامة الفقيه السيد المرعشى رحمه الله.

و جدّه السيّد حسن أوّل من سكن قريه سكيك، قريه من قري الشام.

و والده السيّد محمّد كان فاضلا عالما أديبا شاعرا، و له كتاب تنبيه و سنى العين، طبع هذا الكتاب بتحقيقى، و كتبت ترجمه مفضله عن حياته العلميه و الاجتماعيه و الأديبيه، فراجع.

الإطراء عليه:

قال السيّد عبد الله الجزائرى فى إجازته، عند ذكر مشايخه: و منهم السيّد الجليل الفقيه، السيّد رضى الدين بن محمّد بن على بن حيدر العاملى المكيّ، أجازنى بالمشافهه فى مكّه شرفها الله، لّمّا استجزته بمحضر من مولانا الشيخ إبراهيم المجاز، ثمّ كتب لى إجازه مبسوطه مشتمله على جميع طرقة و طرق أبيه و أسانيدهما، و قد ذهبت فى أثناء الطريق، و لم أحفظ منها إلاّ روايته عن والده المذكور، عن العلّامه المحقّق محمّد شفيع بن محمّد على الأسترابادى، عن والده، عن المولى محمّد تقى المجلسى.

و كان السيّد رضى الدين رحمه الله مهذباً، أديباً، شاعراً، فصيحاً، حسن السيره، مرجوعاً إليه فى أحكام الحجّ و غيره.

و سمعت والدى طاب ثراه يصف أباه السيّد محمّد بغايه الفضل و التحقيق، و جوده الذهن، و استقامه السليقه، و كثره التبع لكتب الخاصّه و العامّه، و التبخر فى أحاديث الفريقين، و يطرى فى الثناء عليه لّمّا اجتمع معه فى مكّه، و الذى وقفت عليه من مصنفاته فى الكلام و الفقه يدلّ على فضل غزير، و علم كثير، رحمه الله عليه (1).

ص: ٤

و قال ابن عمّه السيّد عبّاس المكيّ: السيّد النسيب، الشريف الحسيب، الأديب الأريب، المصقع المنير الخطيب، الذي بذكره ينشرح القلب و يطيب، العلم السامي الأكبر، الرئيس الكريم البرّ، السيّد رضى الدين ابن العلامة الفهّامه الحبر البحر السيّد محمّد حيدر، هو مقدم البلاء المترجمين فى هذه الرحله، عالم عامل رحله، تشدّ إلى جنابه الرحال، و تزدحم على بابه الرجال، لتحصيل الفوائد، و تنويل الصلوات و العوائد، يسعى إليه كلّ ذى أمل، إذا نادى مناديه بحىّ على خير العمل.

كيف لا؟ و هو فاضل أقرت له الفضائل بالوحده، و ذلك فضل الله يؤتية عبده، و أديب تربى فى حجر الآداب، و رضع لبان العقل و الصواب، و نام فى مهد البلاغه فأيقظ بفصاحه تحريره و تقريره قلوب الطلاب.

و على كلّ حال، فإليه فى البلاغه المرجع و المآب، و تحرير ما سمعنا بمثله و لا رأينا، و رئيس كريم ينشد لسان حاله، إن آثارنا تدلّ علينا، تفرّد بالأريحيه و الفضل، فما جعفر لدى جوده و ما الفضل، كان والده معدنا لكلّ فضل و إفاده، و تاج الأماجد الساده، و هو من بعده أخلفه و زياده، على رغم كلّ حلاف حنّاء مشاء بنميم نفاث، له التصانيف الحاليه، الفريده المفيده الغاليه (١).

و قال السيّد الصدر فى تكمله أمل الأمل: ترجمه ابن عمّه السيّد عبّاس بن على ابن حيدر بن محمّد فى نزّهه الجليس، و قال: السيّد النسيب، الشريف الحسيب، الأديب الأريب، المصقع المبين الخطيب، الذي بذكره ينشرح القلب و يطيب، العلم السامي الأكبر، الرئيس الكريم البرّ، إلى آخر ما تقدّم.

ص: ٥

و قال عمر رضا كحّاله: هو عالم أديب (١).

مشايخه و من روى عنهم:

١- الشيخ عيد المدرّس المصرى بالمدينه الشريفه المنوره، قال فى كتابه هذا فى حوادث سنه (١١٤٢) و هى سنه وفاه استاذة: قرأنا عليه أليفه الإمام ابن مالك، و جانباً من جمع الجوامع، و استفدنا منه فوائد كثيره.

٢- والده العلامة السيد محمّد العاملى المكي، يروى عن شيخه العلامة أبى الحسن الشريف الاصفهانى، و العلامة محمّد شفيح بن محمّد على الأستراবাদى بإسنادهما.

٣- الشيخ محمّد العناتى المغربى المالكي، قال فى كتابه هذا فى حوادث سنه (١١٤٠) و هى سنه وفاه استاذة: قرأت عليه شرح مختصر التلخيص، و بعض رسائل الاستعارات، و سمعت منه جانباً من صحيح البخارى يمليه من محفوظه.

٤- الشيخ محمّد باقر بن المولى حسين النيشابورى المكي. و هو جدّه الرضاعى، صرح بكونه من مشايخه فى إجازته العامه التى كتبها فى سنه (١١٥٤) للمولى أحمد الشريف الخاتون آبادى الآتى، و شيخه هذا يروى عن العلامة محمّد باقر المجلسى صاحب بحار الأنوار، و العلامة محمّد بن عبد الفتّاح التنكابنى السراب المتوفى سنه (١١٢٤).

تلامذته و من روى عنه:

١- المولى أحمد بن محمّد مهدي الشريف الخاتون آبادى.

أجازه فى سنه (١١٥٤)ه، و كان سافر فى هذا التاريخ إلى مكّه المشرفه،

ص: ٦

فالتقى بالسيد الشريف صاحب الترجمة، واستجازه فأجازه، وتوفى في الطريق راجعا من مكة المكرمة إلى وطنه الشريف.

قال السيد عبد الله الجزائري: المولى أحمد بن محمد مهدي الشريف الخاتون آبادي، كان فاضلا محققا، عابدا ورعا، متعففا مهذبا، محمود الأخلاق، من شركاء والدي في الدرس باصبهان، ثم خرج بعياله إلى مشهد أمير المؤمنين عليه السلام و سكن به سنين، و قدم علينا سنة سبع و ثلاثين بعد المائة و الألف، و أقام عندنا سنتين. و كان متقنا للرياضيات سيما الهيئه، و اشتغلت عليه من الزيغ بالقدر المتعلق باستخراج التقويم، و صار ذلك سببا لانتشار هذا الفن في هذه البلاد. ثم سافر إلى اصبهان، و حج منه مرارا، و توفى أخيرا في الطريق رحمه الله عليه (١).

و قال في الذريعة: إجازة السيد رضى الدين ابن العلامة السيد محمد بن علي ابن حيدر بن محمد بن نجم الدين الموسوى العاملى المكي المولود بها سنة (١١٠٣) لميرزا أحمد بن محمد مهدي الشريف الخواتون آبادي، تاريخها سنة (١١٥٤) و هي كبيره، أولها: حمدا لمن تنزهه بجلاله عن مشابهه الأنام (٢).

أقول: و لم أعثر على هذه الإجازة.

٢- السيد شير بن محمد بن ثوان المشعشعي الحويزي، صاحب كتاب الذخير في العقبي في موده ذوى القربى، المطبوع هذا الكتاب بتحقيقى، و يروى عنه إجازة بتاريخ سنة (١١٥٥) ه. ق.

قال في الذريعة: إجازة السيد رضى الدين للسيد شير بن محمد بن ثوان...

ص: ٧

١- ١) الإجازة الكبيره ص ١٢٦.

٢- ٢) الذريعة ١٩٢: ١.

و للسيد نصر الله بن الحسين المدرّس الحائري الشهيد، تاريخها سنة (١١٥٥) متوسّطه، أوّلها: الحمد لله مستحقّه. كتبها لهما، و أحال التفصيل إلى ما كتبه في السنه الماضيه لميرزا أحمد الشريف، و زاد هنا فهرس تصانيف والده (١).

٣- السيد عبد الله بن نور الدين بن السيد نعمه الله الجزائري.

قال في إجازته الكبيره: أجازني بالمشافهه في مكّه شرفها الله لما استجزته بمحضر من مولانا الشيخ إبراهيم المجاز، ثم كتب لي إجازة مبسوطه مشتمله على جميع طرقه و طرق أبيه و أسانيدهما، و قد ذهبت منّي و لم أحفظ منها إلاّ- روايته عن والده، عن العلامه محمّد شفيع بن محمّد على الأسترابادي، عن والده، عن المولى محمّد تقى المجلسي (٢).

٤- الشهيد السيد نصر الله المدرّس الحائري.

قال السيد الصدر: وقفت له على إجازة كتبها للسيد نصر الله المدرّس الحائري، و ذكر في آخرها مصنّفات والده و مصنّفات نفسه الخ (٣).

و قال المحقّق الطهراني في كتابه الكواكب المنتشرة: أجازة له مع السيد شبر في تاريخ سنة (١١٥٥) هـ (٤).

أقول: الظاهر أن تكون الإجازة في سنة (١١٥٨) و ذلك أنه صرّح في هذا الكتاب- كما سيأتي- أنّ الشهيد السيد نصر الله الحائري سافر في هذا التاريخ إلى

ص: ٨

١- ١) الذريعة ١٩٢: ١.

٢- ٢) الإجازة الكبيره ص ٩٦-٩٧.

٣- ٣) تكمله أمل الآمل ص ٢٠٩-٢١٠.

٤- ٤) الكواكب المنتشرة ص ٢٧٦.

مكّه المكرّمه، و لعلّه التقى فى هذه السنه بالسيد الشريف صاحب الترجمه، و ذكر فى حوادث سنه (١١٥٨) إرساله رسولا من طرف السلطان نادر شاه إلى شريف مكّه، و القبض عليه فى مكّه و إرساله مقيداً إلى استانبول، و بها استشهد رحمه الله تعالى، إلا أن يقال: إنّه سافر أيضا فى سنه (١١٥٥) و الله العالم.

تصنيفه الرائع:

- ١- إتحاف ذوى الألباب.
- ٢- تنضيد العقود السنيه بتمهيد الدوله الحسنيه، تاريخ جليل القدر جمّ الفوائد، و هو هذا الكتاب الذى بين يديك، سيأتى الكلام حوله.
- ٣- جاف ذوى الأشراف.
- ٤- الحاشيه على مفاتيح الشرائع للفيض الكاشانى.
- ٥- الحاشيه على المدارك للسيد محمّد العاملى.
- ٦- الحاشيه على المسالك للشهيد الثانى.
- ٧- الدلائل النهاريّه على المسائل الصحاريّه.
- ٨- منسك صغير كافل لجميع الاحتياطات.
- ٩- نهج السداد فى أحكام الحجّ الإفراد.
- ١٠- نوادر لبّ اللباب.
- ١١- الوسيط بين الموجز و البسيط، مقصور على الحجّ و ما يتعلّق به، و هو يقارب نصف كتاب الحجّ من المدارك مع فوائد زائده عليه.

و غيرها من الكتب و الرسائل و القصائد.

أدبه و شعره:

قال السيد عباس المكي: له شعر يزرى بعقود الجواهر فى أجياد الأبيكار

الخرائد، بليغ الألفاظ، لطيف المعاني، يطرب لسماعه الحسن بن هانى، فمنه قوله مادحا شريف مكه المشرفه السيد الأنجد الشهم
الأمجد الشريف مبارك بن أحمد:

لعلوى ربوع باللوى و خدور فهل لك يا حادى الظعون تزور (١)

و سيأتى تمام شعره نقلا عن كتابه هذا.

و من قصيدته فى ولايه على بن سعيد الحسنى على مكه المكرمه فى سنه (١١٣٠) قال: و ممن أرخ له هذه الولايه، و نشر عليه من
الثناء أفخر رايه، مؤلف هذه الكلمات و منشيها، و حائك بردها و موشيهها، تقريبا إلى ذاته، و متعرضا لجزيل برّه و صلاته، و هو:

يا سيّدا قد حاز فخر الاولى سبحان من بالملك قد كملك

و يا فريد العقد مجدا و ما درّه تاج الملك ما عدلك

بسطة عدلا شايعا فى الورى بمنهج يحمده من سلك

لذا أتى تاريخ عام الهنا بملكك الصاعد أوج الفلك

من بعد إظهار لجن علوا و أسعد الرحمن مستقبلك

فهاك تاريخا غدا مفردا ما تمّ للعالم ما تمّ لك

ثمّ قال: الشطر الأخير و هو التاريخ للبهاء زهير، و إنّما ضمّنته لمطابقته مقتضى الحال، مع كونه صالحا لأن يكون تاريخا، و إنّما زاد
ثلاثه و ثمانين، فاستثنيتها بقولى «من بعد إظهار لجن علوا» و هو لفظ «لجن» بمفرده، و هو ثلاثه و ثمانون، و لا يخفى ما فى ذلك
من التوريه اللطيفه، و هذا النوع من التاريخ كثير جدّا لطيف، و يسمّى التاريخ المستثنى.

ص: ١٠

و من قصائده الطَّنانه ما مدح به الشريف مبارك بن أحمد بن زيد بن محسن بن حسين بن الحسن بن أبي نمي، قال: فمن جمله من مدحه، وأفعم من بَرّه قدحه، جامع هذا التأليف و منشيّه، و حائك بروده و موشيه، بقصيده رائيه، سمت بمدحه على القصائد الطائيه، و هي:

لعلوى ربوع باللوى و خدور فهل لك يا حادى الضعون تزور
تجدد عهدا باللوى جاده الحيا فلى فى رباه روضه و غدير
و نذكر أيا ما تقصّت بسفحه و عصرا به غصن الشباب نضير
سقى مربعا للعامريّه باللوى ملثّ يعمّ الأرض منه بحور
فلم أنس سرّا قد أذاعته عند ما تدانى فراق بيننا و مسير
عشيه قالت بالحمى سوف نلتقى و قال لها الواشى أبوك غيور
فدتها الغوانى كيف تفشى حديثها أما علمت أنّ الوشاه حضور
أطعت الهوى فى حبّها و لو أنّه يؤجج نارا فى الحشا و يثير
طرقت حماها حين طال بى النوى و فى كبدى منه لظى و سعير
و قلن محبّ قد أتى يطلب الثوى فقالت يقيم اليوم ثمّ يسير
فقلت لها يا علو فى غير أرضكم أسير و أمّا عندكم فأسير
أما ملكتى (١) لا فرق الله بيننا إلى كم صدود فى الهوى و نفور
أفى كلّ يوم لى إليكم وسيله أقدمها إنى إذا لصبور
على أنّى لم أفش سرّا و لم أحن عهدا و لم تسند إلى امور
فقلت حماك الله من كلّ شيمه تشين و لكنّ الوشاه كثير

ص: ١١

إذا ظفروا يوما بحرّ تبادروا إلى ذمّه إنّ اللسان عثور

فقلت دعيهم لا أبا لأبيهم فأنى مليك في الهوى و أمير

فقلت نعم قد أئدتك شواهد لدينا و أخبار بذاك تسير

و لكن إذا فاض الحديث بمحفل و أرجنا منه شذا و عبير

رأيتك للآداب تصغى و للعلا تميل و ذا ودّ لديك تميز

و تنظم من حرّ الكلام قلاندا تحلّى بها للغانيات نحور

أ لست الذي تطوى القفار لماجد له بين سادات الأنام ظهور

فقلت بلى لله درّك هذه مطامح مثلى لا طلا و بخور

فقلت إذن فاقصد أبا المجد و العلى و من بالخصال الصالحات شهير

مبارك نجل الشهم أحمد من له بغاه المعالى بالأكفّ تشير

فقلت هو المولى الذي قطّ ما له كما صحّ بين الخافقين نظير

مليك عظيم ماجد متواضع عليم بأعقاب بالامور خبير

مليك رقى هام السماكين و اغتدى لبان العلا و المجد و هو صغير

و ساد بنى السبط الذين هم هم ملوك الورى بالسيف و هو كبير

مليك له يومان يوم لبؤسه فكلّ الفيافى للعصاه قبور

و يوم ندى عمّ الخلائق برّه فلم يلف بين العالمين فقير

مليك عريق فاطمى مهذب علا أورثاه شبر و شبير

مليك خطيب مصقع ذو بلاغه يقصّر عنها دعبل و جرير

مليك زهت امّ القرى بقدمه و حفّ جميع الخلق منه سرور

فيا ملكا تروى أحاديث فخره ثقاه عدول فى الورى و صدور

عن السبط عن مولى الأنام بأسرهم على كما قد أوضحتة سطور

ص: ١٢

و يا ماجدا حاز القلوب بلطفه و كلّ و داد قد حواه ضمير

ألم تدر أنّي لم أزل منذ أشرقت علىّ شمس من علاك تنير

و أصفيتني محض الوداد تفضّلا و ظنّا بأنّي عالم و بصير

رجوت بأنّي أرتقى كلّ رتبه ذراها يرّد الطرف و هو حسير

فكان جزائي ضدّ ما قد رجوته على أنّي بالفضل منك جدير

على حظّي المنحوس عتبي لأنّني أرى أنّ حظّي قد عراه قصور

فإن تولني منك الجميل فأهله و إلّا فإني عاذر و شكور

و هاك لآل في سموط نضمتها عقودا و في أثناء تلك شذور

هديه رقّ مخلص قد طغى به زمان لأرباب الكمال كفور

فجد بقبول لا برحت معظّما مهابا عزيزا و العدو حقير

و دم مالكا للمجد ثمّ متمّما له بفخار لم يصبه دثور

و من قصيدته ما أرسله إلى السيّد عبد المعين الهجاري حين غلب على قبيله آل حرب، و هي هذه:

تبسم ثغر النصر بالبيض و السمر و أورك غصن الفخر بالساده القرّ

هم فتيه من آل طه تملّكوا حصون العلا بالزاعبيّه و البتر

و شادوا مباني العزّ بالطعن في العدا و سادوا البرايا بالصلاه و بالبرّ

مطاعير في الهيحاء حجاجيح في الوغا مكاشيف للغمّاء في ملتقى الكرّ

فأحيوا رسوم المجد بعد اندراسها و أعلوا لواء الفاطميين بالنصر

فهم ساده فاقوا هجارا أباهم و فاقوا جدودا من كنانه و النصر

بحزم و إقدام و رأى و همّه و جزل هبات لا تنهه بالزجر

و فيهم فتى يدعى لكلّ ملّمه و خطب إذا ضاقت به سبل البرّ

قريع المعالى الشم بيت قصيدهم و واسطه العقد المنضد بالدر
مجيب الندى عبد المعين أخو الندى و مردى العدا جون المهامه و القفر
أخو كرم قد ساد كل قبيله عطاء و طعنا بالرديته السمر
فأضحى أمير الشام مع أرض ينبع و مقصد من يأتى من البر و البحر
لقد شن فى حرب و صبح غواترا يقصر عنها حرب تغلب أو بكر
أتاه شويخ الشام أعنى مباركا بسبعه آلاف من البدو و الحضر
و خان بعهد قد تقادم ربطه فأضحى إماما للخيانه و الغدر
و سار لحرب الهاشميين دافقا دماء بنى الزهراء و الأنجم الزهر
على أنهم فى العدّ عشرون فارسا و لكنهم فى الحرب أشجع من عمرو
فوافتهم الأقوام من كل جانب و دبوا ديب النمل فى السهل و الوعر
فثارت لهم أبناء موسى و مالك ثيار محب مخلص صادق بر
و ضمّ إليهم قوفه جياذ قوفه ملث يروى القاع من وابل القطر
كذا عروه لا شتت الله شملها و لا حلّ فى ساحاتها كلكل الدهر
و أزرق قد وافوا بأبيض باتر و أسمر خطى على الإبل الحمر
فجالت بمضمار الوغى خيل معشر نشاوى قراع لا نشاوى من الخمر
لهم فتكه البراض فى كل مأزق و عزم على يوم خير أو بدر
فخرت لهم أبطال حرب و أحجمت و قالت دهانا الخطب من حيث لا ندر
فولوا سراعا قائلين لشيخهم لك الويل دع هذا و هيتا بنا نسرى
فساروا و هم ما بين سلم و هارب و آخر ملقى للغراب و للنسر
فيا لك حربا لم يصر قط مثلها تريك نجوم الليل تسطع فى الظهر

فيا ابن مضيان علتك سحابه لابن هجار برقهها في الدجا يسرى

ص: ١٤

غدوت بها قنًا و عبدا مملكا و ذى يا أخوا العصماء عاقبه المكر
حربت و لم تظفر و قد عدت هاربا و أذهبت عزًا ثم صرت أخوا دعر
فهلّا اتّقيت الله فى آل أحمد بنى الهدى غوث الورى من لظى الحشر
بغيت و لم تعلم بأنّ أباهم عليا سيعليهم عليك مدى العمر
فقد قيل قدما للبغاه مصارع و أنّ مشير الشرّ يوقع فى الشرّ
فتبا لكم يا حرب إنّ شيوخكم زعانف من نسل ابن ملجم و الشمر
يجزون جيشا للسراه ذوى العلا بنى السبط بغيا مز معين على الكفر
لعمرى لم تسر الركاب بمثلها و لا نظمت أنظارها قطّ فى شعر
فعودوا بنى حرب إلى نخالاتكم و خلّوا طعان الخيل للساده الغرّ
و دونك يا عبد المعين خريده أتتك تجرّ الذيل كالغاده البكر
تبثّ إليك الشوق و المدح من فتى رآك لها أهلا و تنطق بالشكر
هديه خدن فاطمى مهذب تذللّ له الألفاظ فى النظم و النثر
ينضد من درّ الكلام قلائدا تناط بأعناق الكعاب و بالنحر
يدير على الألباب من سحر نطقه كؤوس سلاف تستميل ذوى السكر
فها هى قد وافتك يبسم ثغرها سرورا و تأييدا و تعلن بالنصر
فخذها عروسا قد تكامل حسنها و منّ عليها بالقبول و بالبشر
و دم صاعدا فى أوج عزّ مؤطد عظيما مهابا رافعا علم الفخر

و من شعره فى تاريخ وفاه الشيخ عبد الوهاب بن أحمد بن بركات الأحمدي الطنطاوى المكي، قال:

أقفر المنزل و ازداد ظلّاما و عفت آثار من فيه أقاما

و خلت دار التقى من عالم كان بالأمس بها صلّى و صاما

و دروس عطّلت من بعد ما كان يملئها جلوسا و قياما

فعدى الدهر عليه حاسدا لبنيه إذ رقوا فيها مقاما

بإمام عالم قد زانه منطق عذب و فضل لن يراما

فدنت منه المنايا شرّعا و قضت منه مرادا و مراما

لا سقى الله زمانا بعده عارض الرحمه تحدوه النعاما

بل و لا عيشا زهت نضرته لفتى من بعده يرجو مقاما

بل و لا كتب لعلم صنّفت فهى اليوم حيارى تتراما

بل و لا حلقة درس نضدت قد خلت من عالم يبرى السقاما

كان فى الدنيا إماما واحدا ثم فى الاخرى تسرّ و تساما

و بدا أخبرنا تاريخه فى جنان الخلد قد سمى إماما (١)

و من قصيدته فى الشيخ عمر بن عبد القادر المكى، قال: و كان قد صنع فى عمارته بمكّه أيوانا عظيما، حوى من اللطافه و حسن
الوضع منزلا- جسيما، قد حفّته الأشجار، و أحدقت به أنواع الأزهار، فالتمس من مخلصه تاريخا لعام عمارته، مع ذكر أوصافه و
نزهته، فقابلت أمره العالى بالطاعه، و جلبت إلى سوق بلاغته هذه البضاعه، و هى:

غنى على فنن الغصون هزار فتمايلت طرباله الأشجار

و النور يضحك و الغمام كعاشق يبيكى فيسكب دمعته المدرار

و الورد يحكى حدّ شاد شادن خجل تمشت فى مطاه عقار

و الروض يشكر للغرام صنايعا شكرا به تترنم الأطيّار

ص: ١٦

و الماء كالمرآه يزهو منظرا فى بركه قدرانها الفؤار

فاغنم زمانك حيث دهرك باسم عن نعمه ما شابها أكدار

فى مجلس ضحك السرور لصحبه عن ناجذيه و أشرفت أنوار

قد شاده عين الوجود أخو العلا عمر بن عبد القادر المعمار

فخر الأنام سراج كل ملّمه دهما فهو لها ذكا و نهار

ذو الهّمه العليا بل ذو الفط -نه الغزاء بل هو صارم تبار

إن قال فهو أبو المحاسن كلّها أو طال فهو أبو النداء المغمار

مفتى الأنام أبوه من قد زانه علم و فخر ناله و وقار

محيى العلوم إمامها علامها مصباحها و شجاعها الكرار

ولّى و خلف للمكارم فتيه يتناسقون كأنهم أقمار

فاهناً أبا حفص بما شيدته أثرا يدوم و نزهه تختار

لا زلت تجمع فيه كل مهذب ذى همّه عليا إليه يشار

فلقد تجمّعت المحاسن كلّها فيه و حفّت حوله الأزهار

فيغايه اليمن المخلد أرخوا هو نزهه حفّت به الأشجار

و له أيضا فى الشيخ على بن عبد القادر بن أبى بكر الأندى فى ضيافته لشريف مكّه الأمير مسعود:

لك السعاده يا ذا الفخر و النسب و الجود و المجد و الافضال و الحسب

زفت رئاسه هذا الوقت خاضعه إليك فى العلم فاصعد أشرف الرتب

فأنت مأوى الورى فى كل معضله وهما تحطّ فى أثوابها القشب

و أنت مغنى الملا فى كل حادثه عنها و فى فكر ذى كدّ و ذى طلب

خدن العلوم و محيبيها و فارسها و قطبها حيثما دارت رحى الكتب

تجمعت فيك أوصاف عرفت بها ورثتها عن أب للفخر منتدب
مفتى مكّه قاضيها محدّثها إمامها المرتضى في الشرع و الأدب
ربّ الفضائل عبد القادر بن أبي بكر أخى الجود و الاحسان و القرب
فطل و قل فيه و انشد قول مفتخر بمجد والده في سالف الحقب
هذا أبى حين يدعى سيّد لأب هيهات ما للورى يا دهر مثل أب
فاشكر أباً حسن مولاك ملتصبا منه دوام الذى أولاك من نجب
فاغنم زمان العلا و العزّ مقتطفا زهر الهنا من رياض الانس و اقتضب
و اهناً بدار سرور أنت واضعها قد زخرفتها يد الأقدار بالذهب
حوت من الطرف أيوانا علا شرفا بالعلم و الفضل و التفريح للكرب
و زاد فخرا بسلطان سمي نبأ إذا زار صاحبه فى موكب نجب
شريف مكّه مسعود الذى نطقت بمدحه ألسن الأقلام و الخطب
و ساد كلّ ملوك الأرض قاطبه بخدمه الحرم السامى ذرى الركب
ففاق أيواننا العالى بشائده على مباني الورى طرّا بلا تعب
لذا غدا طائر الإقبال ينشدنا تاريخه ضمن بيت محكم الحسب
أيوان عزّزها حسنا مصاحبه عين الوجود على القدر و النسب

ولادته و وفاته:

قال السيّد عيّاس المكي: كانت ولادته عام ألف و مائه و ثلاث، و اسمه تاريخه، كما لا يخفى لذي عينين، لكنّه زاد فى العدد اثنين، فاستثناها ولده؛ بقوله:

رضى الدين تاريخ لعام فظامه الشرعى

و قال السيّد الصدر: كانت ولادته عام ألف و مائه و ثلاث، و اسمه تاريخه كما لا يخفى على ذى عينين، و لكنّه زاد فى العدد اثنين فاستثاهما ولده رحمه الله بقوله:

رضى الدين تاريخ لعام فطامه الشرعى

و أنّه منطبق على سنه (١١٠٥) وقال أيضا:

رضى الدين تاريخ بحذف اثنين من عدده

و توفى على الأظهر الأصح عندى فى سنه (١١٦٣) كما صرح الكاتب لنسخه «د» و ذلك حيث تم تحرير تاريخ مكّه إلى نهايه سنه (١١٦٢) قال: إلى هنا انتهى ما وجد من التاريخ المذكور، فإنّ صاحبه رحمه الله فى أوائل سنه (١١٦٣) صار من أصحاب القبور.

و قال فى الأعيان: توفى قبل سنه (١١٦٨) و لا ينافى أن يكون فى التاريخ المزبور، حيث يطلق عليه القبليه.

حول الكتاب:

قال المحقق الطهرانى فى الذريعه: تنضيد العقود السنيه بتمهيد الدوله الحسيه، تاريخ جليل القدر، جمّ الفوائد، للسيد رضى الدين بن محمّد بن على بن حيدر آل نجم الدين الموسوى العاملى المكي، ولد سنه (١١٠٣) و فطم فى سنه (١١٠٥) المطابق لجمل اسمه «رضى الدين» كما فصل ترجمته السيد عباس بن على بن حيدر آل نور الدين فى نزّهه الجليس، و توفى قبل سنه (١١٦٨) لأنّه دعا له السيد عبد الله التستري فى إجازته الكبيره الصادره فى هذا التاريخ ب«رضى الله عنه».

و ذكر هو نفسه فهرس تصانيفه و تصانيف والده المشهور بالسيد محمّد حيدر المكي فى إجازته للسيد نصر الله المدرّس الشهيد الحائري، و السيد شبر بن محمّد المشعشى الحويزى فى سنه (١١٥٥) و عدّ فى الإجازه من تصانيفه «تنضيد العقود» هذا الذى رأيت منه نسخه فى مكتبه السيد أحمد العطار البغدادى التى وقفها حفيده السيد عيسى.

و مما استطرفت منه قوله: توفى في سنة (١١١٣) رئيس المحققين، و سلطان المدققين، العالم العلامة، و الفاضل الفهامة أحمد أفندي الشهير بالمنجم باشى، ثم ذكر ترجمته عن كتاب لسان الزمان، ثم قال: و رأيت له تعليقه على الحديث الشريف «إني تارك فيكم خليفتين» و قد أورد على العائمه من هذا الحديث اثني عشر إشكالا و بحثا، ثم قال بعد تمام الأبحاث: رحم الله من يكشف القناع و يرفع الحجاب عن وجوه هذه النكات الجليله، و يزيل كلمه الشبهه بالتنوير و التوضيح.

و ينقل عن التنضيد هذا في العقبات كثيرا، منها: ترجمه الشيخ أحمد بن الفضل ابن محمّد باكثر المكي المتوفى سنة (١٠٤٧) مؤلف و سيله المآل في عدّ مناقب الآل (١).

و قد ذكر هذا الكتاب النفيس في عدّه من المعاجم و التراجم:

منهم: عمر رضا كحّاله في كتابه معجم المؤلفين (١٦٧:٤).

و إسماعيل باشا في إيضاح المكنون (١:٢٦٠) و لكن اشتبّه عليه عنوان الكتاب حيث حرّف الضاد بالفاء، فقرأ «تنفيد العقود» و هو تحريف واضح.

و السيّد حامد حسين في كتابه العقبات (١:٢٨٤ و ٢٩٢ و ٢٩٥).

و المحقّق الطهراني أيضا في كتابه الكواكب المنتشرة (ص ٢٧٦).

أقول: ألّف كتابه هذا لشريف مكّه المكرّمه، السيّد محسن بن السيّد حسين بن عبد الله بن الحسن بن أبي نمي الحسنى.

أقول: قول صاحب الذريعه «و مما استطرفت منه» الخ، إشاره إلى ما ذكره في

ص: ٢٠

هذا الكتاب بعد ما أورد ترجمه العلامة أحمد أفندي المعروف بمنجم باشى، قال بعد ذكر ترجمته:

قلت: وقد رأيت له تعليقه على الحديث الشريف، وهو قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ خَلِيفَتَيْنِ: كِتَابَ اللهِ تَعَالَى، حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَعَتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضَلُّوا، وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرْدَا عَلَيَّ الحَوْضَ» الحديث. و في بعض الروايات زياده: فاعرفوا كيف تخلفوني فيهما (١).

قال رحمه الله: وقد نقلها سيدي الوالد دام فضله من خطه رحمه الله، و من خطه نقلت: لا يخفى أن في هذا الحديث الشريف مواضع ينبغي للناظر المتبصر أن يقف فيها حتى يقف على ما فيها من النكات و المزايا:

أولها: تصدير الكلام بالجملة الإسمية المؤكده بكلمه «إن».

ثانيها: وجه نصب الخليفتين، و عدم الاكتفاء بواحد منهما.

ثالثها: أن الظاهر من خلافه الكتاب أن تكون في إفاده الأحكام الشرعية الاعتقاديّه و العمليّه، و سائر ضروريات الدين.

و أمّا خلافه العتره، ففيها احتمال إلى امور:

منها: كونها في بيان ما خفى من أحكام الكتاب، و توضيح مشكلاته.

و منها: أن يكون في إجراء الأحكام بين الامه.

و منها: تعليم الأخلاق المحمديّه، و الصفات الأحمديّه، بطريق الحال لا المقال، و على سبيل الإراده دون الروايه.

و منها: الوقوف على أسرار النبوه و باطن الشريعه.

ص: ٢١

(١ - ١) و قد ذكرنا مصادر الحديث في محله من هذا الكتاب، فراجع.

و منها: المحبّه الخالصة التي تجب على كلّ مؤمن؛ لأنّ أصل الإيمان إنّما يحصل بتصديق النبي صلّى الله عليه و آله في جميع ما جاء به، و كمال الإيمان إنّما يحصل بالمحبّه الخالصة في حقّه، كما نطق به بعض الأحاديث الشريفه، فتكون المحبّه لتلك الخليفه عين المحبّه في حقّه عليه الصلاه و السّلام.

رابعها: تشبيه كتاب الله تعالى بالحبل، ثم وصفه بكونه ممدودا بين السماء و الأرض.

خامسها: تأكيد العتره بأهل البيت.

سادسها: تعليق النجاه عن الضلال بالتمسك بهما جميعا، و هذا يشعر بأنّ كلّ واحد من الخيفتين في أمر غير ما استخلف فيه الاخرى، و الإقيل: بأيّهما أو بأحدهما.

سابعها: تعقيب هذا الكلام بعد تمامه بقوله «و إنّهما لن يفترقا» الخ، و وجه ارتباطه بما سبق.

ثامنها: إثباته بجمله إسميه مؤكّده، بأنّ خبرها جملة فعليّه منفيّه بأداه دالّه على تأكيد النفي.

تاسعها: تخصيص الحوض بالذكر من بين سائر المواضع.

عاشرها: ما وقع في الزيادة المرويّه من قوله «فاعرفوا» الظاهر منه أن يكون للتنبيه، فعلى أيّ شيء تبه و ما قصد بقوله «كيف تخلفوني فيهما».

و الحادي عشر: أنّ العتره إن اريد بها معناها الحقيقي على ما يقتضيه التأكيد بأهل بيتي، كان الحديث نصّا في خلافه أهل البيت عليهم السّلام، و هذا خلاف ما عليه أهل السنّه. و إن اريد بها المعنى المجازي، كان التأكيد لغوا، بالنظر إلى ما هو الأغلب في التأكيد؛ إذ الغالب فيه دفع توهم المجاز، و كلامه عليه الصلاه و السّلام مبرىء عن

و الثاني عشر: أنّ هذا الحديث الشريف يدلّ بطريق المفهوم على وعيد عظيم، و هو أنّ من لم يتمسك بشيء من الخلفتين، أو تمسك بأحدهما و لم يتمسك بالآخرى يقع فى الضلال و لا ينجو منه، مع خفاء ما هو المراد من الخليفة الثانى؛ إذ لو لم يكن فيه خفاء لم يقع الخلاف بأنّ المراد من العتره هل هو المعنى الحقيقى كما يقتضيه التأكيد، أو المعنى المجازى كما يقتضيه ما اتفق عليه أهل السنّه، و الله تعالى أعلم.

رحم الله تعالى من يكشف القناع، و يرفع الحجاب عن وجوه هذه النكات الجليله، و يزيل ظلمه الشبهه بالتنوير و التوضيح، و من الله التوفيق للتحقيق. إنتهت الرساله المشار إليها، و هى تدلّ على تمكّن عظيم فى علم العربيّه و غيره رحمه الله تعالى.

و أورد فى هذا الكتاب للشيخ الجليل الصالح الورع النبيل الشيخ محمّد جواد ابن الشيخ عبد الرزاق البغدادى من لطيف شعره الدالّ على علوّ قدره، و نقلها من ديوانه، يمدح بها أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّلام، و هى:

أما و ليال قد شجاني انصرامها لقد سخّ من عيني عليها سجامها

تولّت فما حالفت فى الدهر بعدها سوى لوعه أبدى بقلبي كلامها

و صرت امّنى النفس و القلب عالم بأنّ المنايا مخطئات سهامها

فلا حالفت قدرى المعالى و لا رعت ذمامى إن لم يرع عندى ذمامها

بها بلغت نفسى إلى جلّ قصدها على أنّها فى القصد صعب مرامها

و ما كلّ من رام انقياد العلى له بملقى إليه حيث شاء زمامها

ليال بأكناف الغررى تصرّمت فيا ليتها بالروح يشرى دوامها

سقى الله أكناف الغرى عهاده و حياه من عز الغواذى ركامها
ربوع إذا ما الأرض أضحت ركوبه فما هي إلا أنفها و سنامها
تباهى درارى الشهب حصباء درّها و يزرى بنشر المسك طيبا رغامها
بها جيره قد أرضعوا النفس وصلهم فأودى بها بعد الرضاع فظامها
سأرعى لهم ما عشت محكم صحبه مدى العمر لا ينفص عنها ختامها
إذا شاق صبّا ذكر سلع و حاجر فنفسى إليهم شوقها و هيامها
فكم عاذلتنى فى حماهم غزاله يليق عقودا للنحور كلامها
أقول و قد أرخت لثاما بوجهها هل البدر إلا ما حواه لثامها
أو الليل إلا من عذائر فرعها أو الصبح إلا ما جلاه ابتسامها
و ما المشرفى العضب إلا لحاظها و لا السمهرى اللدن إلا قوامها
فيا ليتها لمتا ألمت تيقنت بأنّ سويدا الفؤاد مقامها
فو الله مالى عن هوى الغيد سلوه و إن جار فى قلبى الشجى احتكامها
فلله نفسى كيف تبقى و فى الحشا تباريح وجد لا يطاق اكتنامها
و أنى لها تسلو الهوى و غريمها إذا أزمعت نحو السلو غرامها
ألا ليس منجى النفس من غمره الهوى و لا ركن يرجى فى ذراه اعتصامها
سوى حبها مولى البريه مدعنا بحق هو الهادى لها و إمامها
على أمير المؤمنين و من به تقوّض من أهل الضلال خيامها
مقام الندى ركن الهدى كعبه غدا على الناس فرض حجّها و استلامها
هو العروه الوثقى فمستمسك بها لعمري لا يخشى لديه انفصامها
وصى الرسول المصطفى و نصيره إذا اشتدّ من نار الهياج احتدامها

له الهمم القعسا و الرتب التي تجاوز ما فوق السماكين هامها

ص: ٢٤

ينير به المحراب إذ بات قائما بجنح ليال جفنه لا ينامها
و إن نار حرب يوم روع تسعرت و شقّ على قلب الجبان اقتحامها
سطى قاطعا هام الكماه بصارم غدا فيه يغتال النفوس حمامها
فكم فلّ جيشا للطغاه بعزمه يهدّ الجبال الشامخات اصطدامها
و أفناهم غزوا بكلّ كتيبه على منهل الأقدام يبدو زحامها
تثير رياح الخيل فيها سحاييا من النقع يهمل بالنجيع ركامها
بكلّ فتى ماضى العزيمه قد غدت له السابغات الفهد و هو حسامها
ألا إنّما أحكام دين محمّد بحيدر أضحى مستقيما قوامها
له معجزات يقحم الخصم ذكرها و يسجع بالحقّ المبين حمامها
فمنها رجوع الشمس فى أرض طيبه و فى بابل إذ كاد يغشى ظلامها
فيا نبأ الله العظيم الذى به قد اشتدّ ما بين البرايا خصامها
فمن فرقه بالخلد فازت بحبّه و اخرى رماها فى الجحيم أاثامها
فأنت لعمري فللك نوح و جذوه لموسى بدا من طور سينا ضرامها
لقد فزت من عهد النبى برتبه كهارون من موسى اتيح اغتنامها
و أعظم من ذا أن رقيت مناكبا له قد تناهى مجدها و احترامها
فكسرت أصناما خفضت دعائها برفعك حتى ليس يرجى التأمها
و كنت له فى ليله الغار واقيا بنفس لنصر الحقّ طال اهتمامها
عشيه إذ رام العداه اغتياله فخابت و لم تدرك مراما لثامها
وجود الفتى بالنفس أنفس جوده و أفضل من ساد الرجال كرامها
أبا حسن يا ملجأ الخاطيء الذى خطاياهم قد أعيأ الأساه سقامها

أغث موثقاً في قيد نفس شقيته تعاضم منها أصرها و اجترامها

ص: ٢٥

فليس لها حسنى سوى حبها لكم سيغدوا عليها بعثها وقيامها
و كن مسعفا فى الحشر منك بشره يبل بها إذ يجتبيها أوامها
فأنت قسيم النار و الخلد فى غد إذا آن ما بين العباد اقتسامها
إليك أبا السبطين منى مدحه يفوق على سمط اللاكى نظامها
هى الروضه الغناء باكرها الحيا و ذكرك أزهار مديحى كماها
غدت دون مدح الله فيك و إنما بذكرك ييهى بدؤها و ختامها
عليك سلام الله ما انهل بارق و ما ناح فى أعلى الغصون حمامها

فى طريق التحقيق:

قوبل هذا الكتاب الشريف على نسختين نفيستين كاملتين، وهما:

١-نسخه كامله مصوره من مكتبه جامع الحكمة ببغداد، تاريخ نسخها يوم الخميس المبارك سابع عشرين ذى القعدة الحرام سنه (١٢٠٠) كاتبها مسعود بن عبد المحسن بن على ما خريب (كذا)، و جعلت رمز النسخه «د».

٢-نسخه كامله مصوره من إحدى مكاتب الهند، بخط جيد، تاريخ نسخها (٢٥) رمضان المبارك سنه (١٢٦٤) استنسخها كاتبها للشريف عبد الله باشا بن الشريف محمد بن عبد المعين بن عون الحسنى، و جعلت رمز النسخه «ن».

و لم آل جهدى فى تحقيق الكتاب و تصحيحه، و عرضه على الاصول المعتمره النسبىه و التاريخيه، و استخراج مصادرها، فخرج بحمد الله حسب و سعى خاليا من الغلط، إلا ما شدّ و ندر، فإنّ الإنسان محلّ السهو و الخطأ، و المرجو من الإخوان الأعزاء أن يتفصّلوا بما لديهم من الالتفات بما وقعنا فيه من السهو و الخطأ.

و الحمد لله ربّ العالمين، و صلى الله على سيّدنا محمد و آله الطيبين الطاهرين.

قم المشرفه-٥-محرم الحرام-١٤٣١ هـ السيّد مهدي الرجائي

الصفحة الاولى من نسخه «د»

ص: ٢٧

الصفحة الأخيره من نسخه «د»

ص: ٢٨

الصفحة الاولى من نسخه «ن»

ص: ٢٩

الصفحة الأخيره من نسخه «ن»

ص: ٣٠

اشاره

بتمهيد الدوله الحسنيه

للعلامه المؤرخ السيد رضى الدين بن محمد بن على بن حيدر الموسوى العاملى المكي ١١٠٣-١١٦٣ هـ ق تحقيق السيد مهدي
الزجائي الجزء الأول

ص: ٣١

بسم الله الرحمن الرحيم و به الأمان من زوال الإيمان (١).

نحمدك اللهم يا من أظهد قواعد الإسلام بالرضا من عباده، و نصّده به عقود مبانيه على أكمل نظام، فكان أحمد عباده، و شيّد (٢) قبه الشريعة الغزّاء على أركان العتره الطاهره، و نصبهم للهدايه (٣) فأوضحوا موارد الدين مصادره، و جعل أهل البيت النبوى الكريم سفينه النجاه (٤)، و وسيله إلى نيل الفوز و علوّ الدرجات، و أنبت روض النسب الهاشمى نباتا حسنا، فكانوا أزاهر ذلك الروض، و صيّرهم قرناء الكتاب الذين لا يفارقونه إلى أن يردوا الحوض.

و نصّ على فضلهم الجلى (٥)، و قدرهم العلى، و عمّم برحمته الواسعه، و شملهم بأنوار بركته الساطعه، فقال و هو العزيز الحميد:
رَحِمْتُ اللَّهَ وَ بَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ

ص: ٣٣

١- ١) في «ن» بعد البسملة: و به نستعين.

٢- ٢) في «ن»: و رفع.

٣- ٣) في «ن»: للهدى.

٤- ٤) روى الحافظ الطبرانى فى معجمه، بإسناده عن سعيد بن المسيّب، عن أبى ذرّ الغفارى، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: مثل أهل بيتى مثل سفينه نوح، من ركب فيها نجا، و من تخلف عنها غرق. فهو حديث صحيح متواتر مستفيض عن الفريقين. راجع حول مصادر الحديث: كتاب إحقاق الحقّ ٢٧٠: ٩-٢٩٣.

٥- ٥) في «ن»: و أظهر فضلهم الجلى.

أَلْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (١).

و حثّ على محبتهم المسعده فى العقبى، بمضمون قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى (٢).

و نشكر ك بعد على ما تفضّلت به من سوابغ النعم، شكر الرياض صنائع الدير (٣).

و نصلى على رسولك الذى خفضت له أجنحه الأملاك (٤)، و خاطبته ب «لولاك» لولاك لما خلقت الأفلاك. و على آله ثمره فؤاد الزهراء، و نجوم سماء الشريعة الغراء، و أصحابه الباذلين بين يديه نفائس الأرواح و الأموال، و الخاذلين أعداءه لديه بإعمال القاضب (٥) و العسال (٦).

و بعد: فيقول اللانذ بأصحاب الصراط السوى رضى الدين بن محمّد بن حيدر (٧) الموسوى: إنى لّمّا رأيت علم التأريخ من أجلّ العلوم مقداراً، و أرفعها

ص: ٣٤

١-١ (١) سورة هود: ٧٣.

٢-٢ (٢) سورة الشورى: ٢٣. روى الثعلبى فى تفسيره، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس، قال: لّمّا نزلت قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى قالوا: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: على و فاطمه و أبناؤهما. الكشف و البيان ٣٨٨:٥. و راجع: إحقاق الحقّ ٢:٣-٢٢ و ٩٢:٩-١٠١.

٣-٣ (٣) فى «ن»: شكر الرياض إذا الغيث انسجم.

٤-٤ (٤) فى «ن»: خفضت لهيبته أجنحه الملائكة الأملاك.

٥-٥ (٥) سيف قاضب و قضيب: أى: قطع.

٦-٦ (٦) العسل: الشديد الضرب، السريع رفع اليد.

٧-٧ (٧) نسبه إلى الجدّ الأعلى، فهو السيّد رضى الدين بن محمّد بن على بن حيدر الخ.

مناراً، وأعذبها مذكراً، وأقربها للمحاضر، وألطفها معنى، وأشرفها معنى، خصوصاً ما كان متعلقاً منه بذوى الشرف و
السيادة، فإنه أجلّ قربه، وأعظم سعادته؛ لكونه منظوياً على نشر جميل صفاتهم، وتقييد مواليدهم ووفاتهم، ولا ريب أن صرف
الوقت فى هذا الأمر سعادته فاخرة، كافله بنيل الحسنى فى دار الدنيا والآخرة.

فحيثما سؤلت لى نفسى بأن (١) أفرغ فى بياض الطروس نفسى (٢)، فشحذت من طبعى مرهفاً (٣)، و بریت (٤) من نبعى مثقفاً، و
شرعت أجمع و أوّلف، و اخلّف، و انتخبّت من النقول ما رقّ وراق، و أودعته بطون هذه الأوراق.

و قصّرت هذا المجموع، حال الاهتمام بالشروع، على ذكر تراجم من استقام بولايه مكّه المعظمه، و تحلّى جیده بعقود الشرافه
المنظمه، من دوله ذوى الشرف و السیاده، الشریف قتاده، إلى هذا العصر، و هو أوائل القرن الثانى عشر (٥).

و إن كان إلى أواخر المائه الحادیه عشر، قد اعتنى به بعض العلماء الأعلام (٦).

ص: ٣٥

١- ١) فى «ن»: أن.

٢- ٢) النقس بالكسر: الذى يكتب به، و يجمع على أنقس و أنقاس، أى: فى القرطاس تقول منه: نقس دواته تنقيساً.

٣- ٣) أرهفت سيفى، أى: رققته، فهو مرهف.

٤- ٤) فى «ن»: و انتضيت.

٥- ٥) ذكر تواريخ الامراء الشرفاء من آل قتاده فى كتابه هذا إلى نهايه سنه (١١٦٢).

٦- ٦) كالعلاّمه باكثر الحضرى فى كتابه وسيله المآل، و العلاّمه الشيخ محمّد بن أحمد عقيله فى كتابه لسان الزمان، و الطبرى
فى كتابه إتحاف فضلاء الزمن، و العلاّمه عبد الملك بن حسين العصامى، و غيرهم.

فأُضح و ظهر، لكن ما صار بعد ذلك، من الحوادث و الحروب الواقعه بين ملوك هذه الأقطار و الممالك، و تتويج مفارق الطروس بأسمائهم الشريفه، و مكارمهم الوريفه.

و ترجمت كلّ منهم مع ذكر مولده و وفاته، و مدّه دولته، و عدله المقرون بجميل صفاته، فهو أمر لم يدوّنه أحد من ذوى العلم و الأدب، مع أنّ ذلك من أجلّ العلوم و أفضل القرب.

فاستطردت تراجم الملوك الأعظم، و الاسود الضراغم، من دوله جدّهم ذى خدين الإقبال و السعاده (١)، إلى عصرنا المؤلّف هذا التاريخ بقصده، و نظم درر ملوكه فى سموط عقده، لحيث المناسبه و طلب الكمال، و البعد عن أن يقال فيه إهمال، بأن يكون تأريخا جامعاً من دوله ذلك الأصل العظيم إلى هذا الزمن، و محتويًا على العجائب من الحروب و الفتن.

كلّ ذلك على طريق الاقتصار، طلباً للاختصار، حتّى نصل إلى ما نحن بصددّه، و ضبط مدده، فنعدل من ذلك إلى التطويل و الاطناب؛ لأنّه فى هذا الفنّ من أجلّ مطالب بنى الآداب.

هذا، و قد وضعت على ما جمعت إسما أحرز من حلبه القريض (٢) خصله، إذ قد طابق (٣) معناه أصله، و هو تنزيذ العقود السّيته بتمهيد الدوله الحسّيه.

ص: ٣٦

١- ١) فى «ن»: ذى الإقبال و السعاده.

٢- ٢) فى «ن»: الفريض. لا معنى له. و القرض: قول الشاعر خاصّه، و يقال: قرضت الشعر أقرضه إذا قلته، و الشعر قريض.

٣- ٣) فى «ن»: رجاء أن يطابق.

فإذا أزهر روضه الممطور، و تنضد دزه المنثور، و جرت مياه البراعه فى جداول صفحاته، و تلت ألسن البراعه ببينات آياته، و أشرق بدره المنير من افق تمامه، و أورد غصنه (١)النضير و تبسّمت أفواه كمامه، و ترنّم شحرور (٢)بستانه، على عذبات أفانه (٣).

و برزت غادته المحجّبه من خلل ستورها، و رفلت فى حلل محاسنها (٤)، متزيّنه بقلائد نحورها، و تمتعت الأسماع و الأبصار بما حواه من ملح (٥)الأخبار، و رقيق الأشعار، جلوته على منصات الأرائك السّيته، و قدّمته على سبيل الهدية، رجاء أن يتشرف مؤلفه و منشيه، و حايك بروده و موشيه، فينال بذلك محلّه و مكانه، يشيد بها من مجده أركانها.

و ذلك لدى حضره السيّد الشريف، و الهمام الغطريف، مالِك أزمّه المجد، و الراقى من المعالى كلّ ربي و نجد، أحد الساده الذين تسّموا ذروه غارب السعاده، و خلاصه الساسه، الذين رووا أحاديث الرئاسه.

قوم تخال وجوههم إن أسفرت يوم الفخار أهله الأعياد

رضعوا لبان المجد فى حجر العلا فصلوا على الأكفاء و الأنداد

ص: ٣٧

١- ١) فى «ن»: روضه.

٢- ٢) الشحير: ضرب من الشجر، و الشحرور: طائر أسود فويق العصفور يصوت أصواتا.

٣- ٣) فى «د»: بانها.

٤- ٤) فى «ن»: حبورها.

٥- ٥) فى «ن»: دقائق.

معهد الكمالات الجليليه، و معقد خناصر ذوى الهمم العليه، الملك العظيم جلاله و مهابه، و الملك الكريم تقدّسا و إنابه.

ملك إذا ضاق الزمان بأهله بخلا توسّع فى المكارم و انفسح

خددين الصلات العميمه، و الهبات الجسيمه، و المراحم الكامله، و المكارم الشامله، المنشد فيه قاصده و آمله، حين تجفّ عليه مناهله.

هو البحر من أىّ النواحي أتيته فلجّته المعروف و البرّ ساحله

و لو لم يكن فى نفسه غير كّفه (١) لجاد بها فليتنق الله سائله

الفاضل الأديب، و الفائز من العلوم بأوفر نصيب، و الحائز من الأدب ما لم يحوه البحترى و ابن قريب، فهو الذى قيل فيه:

إن هزّ أقلامه يوما ليعملها أنساك كلّ كميّ هزّ عامله

و إن أقرّ على رقّ أنامله أقرّ بالرقّ كتاب الأنام له

حضره مولانا و سيّدنا، و ملتجانا و سندننا، و مرتجاها و مقصدنا، السيّد الشريف، ذى الحسب الباذخ المنيف، السيّد محسن (٢) بن السيّد حسين بن عبد الله بن الحسن بن أبى نمى، أدام الله شريف وجوده، و منيف آبائه و جدوده، و وريف إفضاله وجوده.

و لا زال قمر (٣) سعاده متضاعف الإشراق، و عزّ سيادته ممدود الرواق، و لا

ص: ٣٨

١- (١) فى «ن»: و لو لم يكن فى كّفه غير روحه.

٢- (٢) سيأتى تفصيل ترجمته، و ذكرنا تفصيل ترجمته فى كتابنا الامراء و الحكّام من آل أبى طالب، فراجع.

٣- (٣) فى «ن»: بدر.

برح جنابه الأجل (١) الأسمى الأسنى، مقرّ الرئاسه العظمى، و الأياله الحسنى (٢)، و لا- انفكت الأقدار مطابقه لنواهيه و أوامره، و الأيام خادمه (٣) له فى مواردّه و مصادره.

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله و هذا دعاء للبريه شامل

فالمأمول من حضرته العليّه و المسؤول، أن ينظر إلى هذا التأليف بعين القبول، جبرا لخاطر خادم جنابه، و رفقّ و داده، و عبد أعتابه (٤)، و إلاّ إذا نظرت إلى ما حواه هذا الكتاب، المتشرف بالمثول لدى ذلك الجناب، و أمعنت نظرك فى أوّله و منتهاه، قلت: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه؛ إذ هو فى الخبر و الخبر، برق و لا مطر، و شجر و لا ثمر.

و إن أحاط فيه فكرك (٥) لما فيه من المسائل، قلت طول بلا- طول و لا- طائل، و إنّما شملته (٦) عين العنايه من ذلك المقام العالى، حلّ عند ذوى التوفيق و الهدايه محلّ النجوم العوالى؛ لأنّه حوى من الأخبار و الأشعار ما لم يحوه الذهبى و لا بشار، و من علم المحاضره الحلو المجانى، ما لم يطلع عليه أبو الفرج الأصفهانى.

ص: ٣٩

١- ١) فى «ن»: و لا برح رفيع مكانه الأجلّ.

٢- ٢) فى «ن»: و الأياله إليه أبدا تنمى.

٣- ٣) فى «ن»: مطاوعه.

٤- ٤) فى «ن»: و رفقّ و داد رحابه.

٥- ٥) فى «ن»: و إذا ألقيت فكرك.

٦- ٦) فى «ن»: و لكن إذا شملته.

و إنّما سلوكك الأدب اقتضى أن أقول في هذا المقام، سيف كهام (١)، و غمام جهام (٢)، تنزّلا عن رتب ذوى التأليف، تواضعا لدى ذلك الجنب الشريف.

ثمّ الملتمس من أرباب الفضائل الزكيّه، و الأفهام الذكيّه، إسبال الستر و الإغضاء من الانتقاد، و إصلاح ما عثروا عليه من الفساد، فقد قيل: إختيار الكلام أصعب من تأليفه، حال جمعه و تأليفه، فالجواد قد يكبو، و الحسام قد ينبو.

و من ذا على ترضى سجايه كلّها كفى المرء نبلا أن تعدّ معايبه

أصل مؤصل و عقد مفصل

ترجمه الشريف قتاده

السيد الشريف، و الهمام الغطريف، خدين الإقبال و السعادة، و درّه تاج ذوى الشرف و السياده، الشريف قتاده، أناله الله تعالى من دار الآخره الحسنى و زياده.

قال الفاضل العلامه الشيخ أحمد (٣) بن الفضل باكثر في تأليفه وسيله المآل في

ص: ٤٠

١-١) سيف كهام أى: كليل.

٢-٢) الجهام بالفتح: السحاب الذى لا ماء فيه.

٣-٣) ذكره العلامه السيد على خان فى كتابه سلافه العصر ص ٢٠٤، و قال: شهاب الدين أحمد بن الفضل بن محمّد باكثر المكى، ابن الفضل و أبوه، و المذ عن لفضله أعداؤه و محبّوه، مقداره فى الأدب جليل، و مثل باكثر فى الأنام قليل، إن عدت فرسان اليراعه، فهو ملاعب أسنّه الأقالام، أو ذكرت فرسان البراعه فهو ثانى أعنّه الكلام، ملك زمام القريض فاقتاده حيث شاء، و تلا لسان قلمه إنّ الفضل بيد الله يؤتية من يشاء، و كان له فى التصدير و التعجيز، إعجازا أفحم مصاقع البلغاء بالتعجيز، إلى آخر ما قال، و قد طوّل فى ترجمته فى عدّه صفحات، فراجع. أقول: توفّى سنة (١٠٤٧) سبع و أربعين و ألف.

عدّ مناقب الآل (١): هو الأمير الجليل قتاده بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم ابن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمّد الثائر بن موسى بن عبد الله بن موسى بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب عليهما السلام (٢).

قال سيّدنا الوالد (٣)- دام فضله- في تعليقاته على الكتاب المذكور، عند ذكر هذا النسب الشريف: الصواب سليمان بن علي بن محمّد، وهو أبو جعفر ثعلب بن عبد الله الأكبر بن محمّد الثائر بن موسى الثاني بن عبد الله الثاني بن موسى الجون

ص: ٤١

١ - ١) قال المحقّق الطهراني في الذريعة (٢٥: ٨٣): وسيله المآل في عدّ مناقب الآل، لشهاب الدين أحمد بن الفضل بن محمّد باكثير المكي المترجم في سلافه العصر، أورد فيه فضائل أمير المؤمنين عليه السّلام ما لا يعتقده إلاّ الشيعة، واسمه تاريخه، وهو سنه (١٠٢٧) نسخته منه من موقوفات السيّد علي الايرواني المتوفّى سنه (١٣٢٤) بتبريز، و نسخته اخرى في موقوفه السيّد البروجردى بالنجف. أقول: هو كتاب قيم في ذكر تاريخ شرفاء مكّه، و ذكر فضائل أهل البيت عليهم السّلام، و قد أورد المرحوم العلامة السيّد المرعشى النجفي رحمه الله في ملحقات كتابه إحقاق الحق، من هذا الكتاب ما يرتبط بفضائل أهل البيت عليهم السّلام، و هناك نسخته مصوّره من الكتاب في مكتبته العامّة، و هي موجوده عندي، و الكتاب مع نفاسته غير مطبوع إلى هذا التاريخ، و أسأل الله تبارك و تعالی أن يوفّقني لتحقيقه و نشره.

٢ - ٢) وسيله المآل في عدّ مناقب الآل ص ٣٥ مخطوط.

٣ - ٣) هو العلامة الأديب الفاضل السيّد محمّد بن علي بن حيدر الموسوى العاملي المكي، ذكرت تفصيل ترجمته في مقدّمه كتابه تنبيه و سنى العين، فراجع.

ابن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط، كما في عمده الطالب (١) وغيرها، فقد أسقط في هذا المكان، وأسقط في تشجير الخطبه عبد الله الأكبر و محمد الثائر (٢). إنتهى.

قلت: و هو تنبيه حسن، و تمهيد مثل (٣) هذا النسب يفرض إذ تمهيد غيره يسنّ.

و ما أحسن قصيده للشيخ أحمد باكثر المذکور، نظم في سلكها هذا النسب السامى، و كتبت في محلّ يمناه (٤)، السيد على (٥) بن بركات بن أبى نمى، و هو مخدومه الذى أتخفه بتأليفه وسيله المآل (٦)، و الغرض من نقلها ما نحن بصدده من ضبط نسب الشريف قتاده، و ما زاد على ذلك يكون من باب الاستفاده، و هى:

سيدنا ذو الفخر و التطول جامع أنواع الكمالات على

ابن المليك ذى العلا بركات ابن أبى نمى ذى الهبات

و هو ابن بركات الأجلّ الأكمل ابن محمد بن بركات العلى

ابن الهمام المرتجى البدر حسن و هو ابن عجلان الشريف ذى المنن

ابن رميثة بن أبى نمى ابن أبى سعيد الوفى الصفى

ص: ٤٢

١-١) عمده الطالب ص ١٧٣ المطبوع بتحقيقى.

٢-٢) التعليقه على كتاب وسيله المآل للسيد محمد العاملى ص ٢٤ بخطه الشريف.

٣-٣) فى «ن»: أصل.

٤-٤) أى: فى يمين هامش الصفحه حين يسرد نظمه، كما هو المترآى من النسخه المصوّره.

٥-٥) فى «ن»: و كتبت باسم السيد على.

٦-٦) فى «ن»: بتأليف نظمها فيه.

ابن علي جامع السيادة ابن المليك المرتضى قتاده

و هو ابن إدريس الذي أبوه مطاعن لا برّ من يجفوه

ابن الزكي عبد الكريم الأكرم و هو ابن عيسى بن الحسين الأفخم

ابن سليمان المنيف بن علي و هو ابن عبد الله ذي القدر العلي

ابن محمّد بن موسى الأجد و هو ابن عبد الله زاكي المحتد

و هو ابن موسى بن عبد الله ابن الولي الحسن الأوّاه

و هو ابن سبط المصطفى المولى حسن ريحانه النبي ذي الخلق الحسن

ابن الإمام المرتضى علي ابن أبي طالب الزكي

أكرم بها سلسله شريفه في نسبه باذخه منيفه

قد فخرت بسيد علي في مبدء و منتهى بهي (1)

قلت: و في هذه القصيده لم يذكر محمّدا، الذي هو أبو جعفر ثعلب بن عبد الله الأكبر، فتتبه.

و نسب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى آدم، فسيأتي ذكره، إذا ضوّع هذا التأليف عرفه و نشره.

عودا إلى ذكر صاحب الترجمة رحمه الله:

قال الشيخ أحمد باكثير: و كان يكنى أبا عزيز، صاحب مكّه و ينبع، و غير ذلك من بلاد الحجاز، و هو أوّل من ملك مكّه المشرفه

من هذا الفخذ الشريف، فإنّه كان ذا بأس و نجده و شوكة، فجمع قومه (2) و أركبهم الخيل قبل أن يملك مكّه، و حارب

ص: ٤٣

١- ١) و سيله المآل ص ٢٥-٢٦ مخطوط.

٢- ٢) في «ن»: فجمع بني عمّه.

الأشراف بنى حراب من ولد (١) عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط، و بنى علي، و بنى أحمد، و بنى إبراهيم، ثم إنه استألف (٢) بنى أحمد و بنى إبراهيم، و ذلك بعد أن ملك ينبع و الصفراء (٣).

و سبب طمعه فى ملك مکه: ما بلغه من انهماك ولاتها الهواشم (٤) بنى فليته على اللهو، و تبسّطهم فى الظلم، و إعراضهم عن صونها ممن يريد بها بسوء، اغترارا منهم بما هم فيه من العزّ و العنف لرعاياهم (٥) فى مرادهم (و إن كان ظلما أو غيره) (٦) فتوحش عليهم لذلك خواطر جماعه من قوادهم.

و لما عرف قتاده ذلك منهم استمالهم إليه، و سألهم المساعدة على ما يرومه من الاستيلاء على مکه، و بعثه على المسير إليها أن بعض الناس فزع إليه مستغيثا به فى ظلامه ظلمها بمکه، فوعده بالنصر، و تجهز إلى مکه فى جماعه من قومه، فما شعر أهل مکه إلا و هو معهم بها، و ولاتهم (٧) على ما هم عليه (٨) من اللهو و الانهماك، فلم تكن لهم بمقاومته طاقة، فملكها دونهم سنة (٥٩٧) سبع و تسعين و خمسمائه.

ص: ٤٤

-
- ١- ١) فى «ن»: أولاد.
 - ٢- ٢) فى الوسيله: استأنف.
 - ٣- ٣) ما ذكره العلامة باكثر الحضرى هنا، فهو مأخوذ من كتاب العقد الثمين للفاسى ٤٦٣: ٥-٤٧٥ برقم: ٢٣٣٧، فراجع.
 - ٤- ٤) فى «ن»: ما بلغه من عكوف امرائها الهواشم.
 - ٥- ٥) فى الوسيله: و الهسف لمن عارضهم.
 - ٦- ٦) الزيادة من الوسيله.
 - ٧- ٧) فى «د»: ولاتها.
 - ٨- ٨) فى الوسيله: فيه.

وقيل: إنه لم يأت إليها بنفسه في ابتداء ملكه لها، وإنما أرسل إليها ابنه حنظله، فملكها و أخرج منها مكث بن عيسى بن فليته إلى وادي نخله.

ثم في سنة ستمائه: مات مكث بن نخله، وجاء ولده محمّد بن مكث و قاتل حنظله ابن قتاده عند المتكا، و لم يحصل لمحمّد ظفر، و تمّت البلاد لقتاده، و جاء إليها قتاده بنفسه بعد ولده حنظله، ذكر ذلك ابن محفوظ (١)، و ابن فهد في إتحاف الوري بأخبار أم القرى.

ثم في سنة إحدى و ستمائه: وقع الحرب بين الشريف قتاده الحسنى سلطان مكّه و بين الأمير سالم الحسينى والى المدينة، و فى ذلك يقول الشريف قتاده:

مصارع آل المصطفى عدن مثل ما بدت (٢) و لكن صرن بين الأقارب (٣)

ثم حارب أهل الطائف و تملك البلاد منهم، و اتسع ملكه، و أحسن السيره، و اتسعت ولايته من بلاد اليمن إلى مدينة النبى صلّى الله عليه و آله، و كانت له قلعه بالينبع، و عظم شأنه جدًا، و صار له صيت فى العرب لم يكن لغيره، و كان أديبا، و له الشعر البليغ.

و ولد الشريف قتاده بالينبع فى حدود سنة سبع و عشرين و خمسمائه، و توفّى بمكّه المشرفه فى جمادى الاولى سنة سبع عشره و ستمائه فى سنّ التسعين، مات شهيدا بيد ولده الحسن، قيل: خنقا، و قيل: سَمَا. و كان مدّه ولايته على مكّه عشرين سنة، و له من الأولاد: الحسن، و راجح، و إدريس، و على، و غيرهم. انتهى النقل من

ص: ٤٥

١-١) عنه العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين ٤٦٤: ٥.

٢-٢) فى «د»: بدأن.

٣-٣) إتحاف فضلاء الزمن للطبرى ١١٠: ١.

قال صاحب النفحة العنبرية: أولاد قتاده ثمانية: الحسن، و راجح، و محمّد، و إدريس، و على الأكبر، و على الأصغر، و القاسم، و جسار. و المعقبون من ولده ستة: الحسن، و راجح، و إدريس، و على الأكبر، و على الأصغر، و جسار.

أمّا الحسن بن قتاده، فهو صاحب ينبع، و هو إسم لبندر المدينة الشريفة، و له من الأولاد أربعة: أحمد، و محمّد، و إدريس، و جمّاز. أمّا أحمد بن الحسن (فله من الولد ستّة: مسعود، و سعد، و حمزه، و إدريس، و شبل، و عراذه. و أمّا محمّد بن الحسن) (٢)، فله من الولد ثلاثة: فاضل، و جمّاز، و أبو عالي (٣).

و أمّا إدريس بن الحسن، فأولاده خمسة: راجح، و قتاده، و جسار، و سالم، و منيف.

و أمّا جمّاز بن الحسن، فأولد القاسم، و الحسين.

المعقب الثاني من ولد قتاده: السيّد راجح، و أولاده سبعة: غانم، و مطاعن، و قتاده، و الهادي، و محمّد، و عبد الكريم، و قاسم. أعقب منهم الهادي بن راجح، و له ثمانية (٤)، و هم: المهدي، و محمّد، و على، و الحسن، و أحمد، و الهادي، و قاسم،

ص: ٤٦

١- ١) وسيله المآل ص ٣٥-٣٧ مخطوط. و راجع: العقد الثمين ٤٦٣-٥: ٤٧٥.

٢- ٢) ما بين الهاليتين ساقطه من النسختين، و أظفناها من المصدر.

٣- ٣) في النفحة: أبو عال.

٤- ٤) في النفحة: أعقب منهم الهادي، و راجح له ولد يسمّى إدريس. و الشريف قتاده

و أحمد الأصغر. و مطاعن بن راجح أعقب ولدين: القاسم، و محمد الحلبي بفتح الحاء و كسر اللام. و عبد الكريم بن راجح أعقب ولدا اسمه راجح.

و المعقب الثالث من ولد قتاده: علي الأكبر، أولد ولدا، و هو أبو سعد الحسن بن علي، و أولد من الذكور السيد أبو نمي، و عبد الكريم (١). إنتهى.

قلت: قد نقص صاحب النفحة ولدا عمّا ذكره صاحب العمده؛ لأنه قال: و أعقب تسعة رجال، و يقال لعقبه: القتادات (٢). إلى آخر ما ذكره.

و أيضا يرد عليه في قوله عند ذكر الحسن بن قتاده، و هو صاحب ينبع، و هو خلاف ما ذكره صاحب العمده، و غيره من أهل التواريخ، من أنه ولي مكّة المشرفة مدّة من الزمان (٣)، كما ستقف عليه في كتابنا هذا.

و لقتاده شعر يشهد بنبله، و تسمو الهمم العلية إلى مثله، منه ما كتب به إلى الخليفة الناصر لدين الله، لَمّا أرسل إليه يستدعيه إلى العراق بعد مسيره إليه، و قد تلقاه أهل الكوفة و معهم أسد مربوط في سلسله، فرجع من فورهِ، و قال: لا أدخل بلدا تدلّ فيه الاسود (٤)، ثمّ لَمّا وصل أرض الحجاز كتب بهذه الأبيات للخليفة الناصر، و هي:

ص: ٤٧

١-١) النفحة العنبرية في أنساب خير البرية ص ١٢٤-١٢٦ المطبوع بتحقيقى.

٢-٢) عمده الطالب ص ١٧٤.

٣-٣) عمده الطالب ص ١٧٤.

٤-٤) في «ن» و العمده: الأسد.

بلادى و إن جارت (١) على عزيزه و لو أننى أعرى بها و أجوع

ولى كفّ ضرغام إذا ما بسطتها بها أشتري يوم الوغا و أبيع

معوّده لثم الملوک لظهرها و فى بطنها للمجدبين ربيع

أتركها تحت الرهان و أبتغى بها عوضا إنى إذا لرقيع

و ما أنا إلا المسك فى غير أرضكم أضوع و أما عندكم فأضيع

إلى آخر ما ذكره صاحب العمده (٢)، و لخصت ذلك منها، و فيما أوردناه كفايه و نهايه بعد تصحيح سنده بالروايه، و الله أعلم.

فصل: وجيز و عقد عزيز

خلافه السيّد الشريف حسن بن قتاده

قال الفاضل المؤرخ السيّد السمرقندى فى تاريخه المسمّى تاريخ خلفاء الزمن و ولاته و ملوكه السالكين أحسن سنن، و هو تاريخ جيّد لا بأس به، قال فيه:

قال فى عمده الطالب: كان الحسن بن قتاده شجاعا شديد الأيد، فاتكا، ملك مکه المشرفه، و قبض فى بعض السنين على أمير قافله العراق، فقتله و علّق رأسه فى ميزاب الكعبه، و دامت ولايته إلى عشرين و ستمائه (٣). إنتهى النقل من تاريخ السيّد السمرقندى (٤).

ص: ٤٨

١- ١) فى «د»: و لو أسنت.

٢- ٢) عمده الطالب ص ١٧٤، و راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١: ١١٥.

٣- ٣) عمده الطالب ص ١٧٤، تحفه الطالب للسمرقندى ص ١١٥.

٤- ٤) تاريخ خلفاء الزمن للسيّد السمرقندى-مخطوط. و لعله هو صاحب كتاب تحفه الطالب المطبوع، أو ابنه، أو غيرهما.

و ذكر غيره من أهل التواريخ أنّ الذي أخرج السيد حسن بن قتاده من مكّه هو الملك المسعود الأيوبي، و ذلك أنّه سار إلى مكّه المشرفه و السيد حسن بن قتاده بها في سنه عشرين و ستمائه، فاقتتلا في بطن مكّه المشرفه، فهرب الشريف حسن، و نهب عسكر الملك المسعود مكّه، إلى أن مات سنه ستّ و عشرين و ستمائه.

ثمّ من بعد هذه السنه و ليها ملوك اليمن و عساكرها أصلا و نيابه، و جرت بينهم و بين آل قتاده حروب فاحشه لم تصف لهم، بل كان آل قتاده معهم: إمّا اصولا، و إمّا نوابا، هكذا ذكر السمرقندي و غيره (١).

قلت: و من العجب أنّ الفاضل العلامه الشيخ أحمد با كثير لم يجعل لهذا السيد حسن بن قتاده ترجمه برأسه، كما هو دأبه مع غيره من ملوك مكّه المشرفه في كتابه و سيله المأل، بل أهمله و أهمل غيره ممّا سيأتى ذكره، كخلافه السيد راجح ابن قتاده، ثمّ بعده ولده السيد غانم، و السيد جمّاز بن السيد حسن بن قتاده، و لم يذكر شيئا من وقائعهم و لا أحوالهم و لا أفعالهم، بل أضرب عن جميع ذلك، و لم يذكر بعد الشريف قتاده إلاّ أبا سعد الحسن بن علي بن قتاده، و هو شيء غريب، فنتبه، و الله أعلم بولادته (٢).

ص: ٤٩

١-١) راجع: تفصيل ترجمته إلى كتاب العقد الثمين ٤٠٢:٣-٤٠٦ برقم: ١٠٠٨، و كتاب إتحاف فضلاء الزمن ١:١١٩.

٢-٢) أي: بولاده الشريف الحسن بن قتاده، حيث لم يذكر أرباب التراجم تاريخ ولادته.

خلافه السيد الشريف راجح بن قتاده

قال في عمده الطالب: ولى مکه المشرفه فى شهر رمضان، و دامت ولايته إلى آخر ذى الحجة الحرام عام إحدى و خمسين و ستمائه (١). إنتهى.

قلت: قول صاحب العمده «و دامت ولايته إلى عام إحدى و خمسين و ستمائه» هذا إجمال تحته تفصيل، ينطوى على العجائب من همّه هذا السيد الجليل، و إن كان فيها تطويل، فها أنا أذكر لك وقائع هذا السيد الشريف على طريق الاختصار من عام وفاه الملك المسعود الأيوبي إلى آخر سنه إحدى و خمسين و ستمائه التى أشار إليها صاحب العمده، و ارتبه لك على السنين إلى سنه اثنين و خمسين، فيندرج تحت ذلك خلافاً أشخاص إلى أبى نعى محمد بن أبى سعد الحسن بن على بن قتاده.

فإذا وصلنا إليه عدلنا عن هذا الترتيب إلى الترتيب الأول الذى بدأنا هذا الكتاب به، و الذى أركبنا ذلك هو الاختباط الواقع فى هذه المدّه بين آل قتاده و بين ملوك اليمن و عساكرهم و عمّالهم و بين امراء مصر، فهذا اختباط كبير لا يمكن معه ترتيب إلاّ على السنين، و إن طال الكلام، فما يخلو من فوائد و عبر.

فنقول: ذكر أهل التواريخ المعتمده (٢): إن فى سنه (٦٢٦) ستّ و عشرين

ص: ٥٠

١- ١) عمده الطالب ص ١٧٤، و ليس فيه ما نقل عنه، بل قال: و منهم: الأمير راجح بن قتاده أمير مکه بعد أخيه الحسن.

٢- ٢) لعلّه ناظر إلى كتاب العقد الثمين فى أخبار البلد الأمين، للتعقّ الدين الفاسى المكيّ ٧٨: ٤-٨٢ برقم: ١١٧٢.

و ستمائه،التي توفى بها الملك المسعود،و نائبه على مَّكَّة المشرفه نور الدين، وصل جيش من ناحيه مصر،و معه أمير عظيم من امراء مصر يسمّى طويكين (1)و دخل مَّكَّة،ففرّ نور الدين نائب صاحب اليمن،و استمرّ بها جيش مصر إلى سنه (٦٢٧)سبع و عشرين و ستمائه،فوصل جيش صاحب اليمن على بن رسول و صحبته الشريف راجح بن قتاده،فاستولوا على مَّكَّة المشرفه.

فجهّز صاحب مصر الملك الكامل جيشا كبيرا و قاتل (٢)الشريف راجح، فانكسر،و استولوا على مَّكَّة بأمرهم الأوّل طويكين،فأسرف في القتل،و نهب البلاد،و أخاف مَّكَّة خوفا شديدا.

ثمّ عاد الشريف راجح بجمع عظيم،و أمده صاحب اليمن بعسكر،فقدم مَّكَّة و طرد أمير صاحب مصر،فلمّا بلغ الكامل صاحب مصر ذلك جهّز عسكرا مع الحاجّ،فلمّا بلغ ذلك الشريف راجح خرج من مَّكَّة و دخل أهل مصر من غير محاربه،و ذلك في سنه (٦٣٠)ستمائيه و ثلاثين،و أراحوا البلاد،و ذهب عن أهلها الخوف و الرعب،و عدلوا فيهم،و أحسنوا إليهم.

و في سنه (٦٣١)إحدى و ثلاثين و ستمائه:جهّز الملك المنصور صاحب اليمن عسكرا جرّارا،و خزانه عظيمه،و معهم الشريف راجح بن قتاده،فدخلوا مَّكَّة و أخرجوا أمير صاحب مصر،فلمّا أن وصل الحاجّ بلغ الشريف راجح أنّ السلطان الكامل صاحب مصر واصل إلى مَّكَّة بنفسه على نجائب،فخرج منها،فلمّا رجع الملك الكامل عاد إلى مَّكَّة.

ص:٥١

١- ١) كذا في النسختين،و لعلّ الصحيح:«طغتكين» كما في العقد الثمين.

٢- ٢) في «ن»:فقاتلوا.

و فى سنه (٦٣٢) اثنين و ثلاثين و ستمائه: وصل عسكر من مصر، و أخرجوا الشريف راجح، فتوجه إلى اليمن، فبعث معه المنصور بخزانه و عسكر، فخرج إليه عسكر مصر، و وقع بينهما قتال كبير، إنكسر فيه عسكر السيد راجح، هذا كله إلى عام أربعة و ثلاثين و ستمائه.

و فى سنه (٦٣٥) خمس و ثلاثين و ستمائه: قدم السلطان نور الدين على بن رسول فى ألف فارس، فتلقاه الشريف راجح فى ثلاثمائة فارس، و دخلوا مكة و خرج عسكر مصر، فتصدق نور الدين على أهل مكة بأموال كثيرة.

و فى هذه السنه: مات السلطان الكامل صاحب مصر، و خطب بمكة لصاحب اليمن المنصور، و أقام راجح فى ولايه مكة إلى سنه سبع و ثلاثين و ستمائه.

و فى هذه السنه: أرسل صاحب مصر الصالح الأيوبى ألف فارس، و معهم شيحه ابن قاسم أمير المدينه الحسينى، فلما سمع بهم راجح خرج من مكة و دخلها شيحه، فلما بلغ صاحب اليمن جهز عسكرا إلى مكة مع راجح، فلما أحس بهم الحسينى فرّ هاربا من مكة و أخلاها.

و فى سنه (٦٣٩) تسع و ثلاثين و ستمائه: أرسل صاحب مصر عسكرا إلى مكة، فلما بلغ صاحب اليمن تجهز و خرج إلى مكة بجيش كبير، فهرب المصريون و أحرقوا دار السلطنه بمكة، فدخل السلطان نور الدين على بن رسول، و صام رمضان بها، و أبطل المكوس و الجبايات و المظالم، و أرسل يطلب الشريف أبا سعد الحسن بن على بن قتاده، و ولّاه مكة، و أقام بها نحو أربع سنين، كل ذلك إلى سنه خمسين و ستمائه.

و فى سنه (٦٥١): قدم الشريف جمّاز بن حسن بن قتاده بعسكر من الشام، و كان قد وعد صاحب الشام الناصر ابن العزيز أن يخطب له بمكة، فدخل مكة

و قتل الحسن بن علي بن قتاده، واستولى على مكّه، وذلك في شهر رمضان (١).

و في شهر ذي الحِجّه: قدم عمّه راجح إلى مكّه، و فرّ جَمّاز بلا قتال، و كانت هذه السنه آخر ولايته على مكّه المشرفه، و إن وقع منه بعد هذه السنه امور و أحوال، فإنّما هي خاليه من الاستيلاء على مكّه، إلى أن انتقل إلى رحمه الله تعالى.

و قضيه استنجاهه بأخواله بني حسين و ما وقع لشيخهم الحرون (٢)، فستأتي في ذكر خلافه أبي نمى إن شاء الله تعالى.

ثمّ و في سنه (٦٥٢): هجم مكّه المشرفه السيد الشريف غانم بن راجح المذكور، و أخرج أباه منها، و استمرّ بها إلى شؤال من السنه المذكوره، فأخذها منه أبو نمى و إدريس بن قتاده بالقتال، إلى آخر ما أردنا نقله، و تلخيصه و ذلك إلى آخر سنه ثنتين و خمسين و ستمائه (٣).

لخصت ذلك من كتب معتبره في فنّ التاريخ و السير، كتاريخ خلفاء الزمن للفاضل السمرقندی (٤)، و كتاب لسان الزمان (٥) لأفضل المتأخرين ببلد الله الحرام، و شيخ مشايخ الإسلام العالم العلامة و الفاضل الفهامة سلطان العارفين،

ص: ٥٣

-
- ١-١) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١:١٢٤.
 - ٢-٢) ذكرها النسابة ابن عنبه في كتابه عمد الطالب ص ١٧٥، فراجع.
 - ٣-٣) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١:١٢٩.
 - ٤-٤) تاريخ خلفاء الزمن للفاضل السمرقندی-مخطوط.
 - ٥-٥) كتاب لسان الزمان للشيخ محمّد بن أحمد عقيله-مخطوط. و قد نقل المؤلف من هذا الكتاب كثيرا، و سيأتي من المؤلف ذكر هذا الكتاب في سرد ترجمه مؤلفه.

شيخنا و مقتدانا، الشيخ محمد بن أحمد عقيله (١)، حرسه الله تعالى و أولانا ببركته فما توالى، و كتاب عمده الطالب فى أنساب آل أبى طالب (٢)، و غير ذلك من الكتب المشهوره المعتمده فى جميع الأقطار المعموره (٣)، و نسأله التوفيق للتحقيق و الاستقامه على أوضح طريق، إنه كريم و هاب.

فصل: على و عقد غالى

ترجمه السيد الشريف محمد أبى نمى بن أبى سعد الحسن

ابن على بن قتاده رحمه الله تعالى و رحم أباه و أجداده

(٤)

قال صاحب وسيله المآل: و كان يقال له: أبو مهدى، و يلقب ب«نجم الدين» و لى مكه المشرفه نحو خمسين سنه، إلا أوقات يسيره زالت ولايته عنها، و كانت ولايته مع أبيه و بعده (٥). إنتهى.

و قال العلامة الشيخ عبد القادر الطبرى فى نشأت السلافه بمنشآت الخلافه (٦)،

ص: ٥٤

١-١) سيأتى ترجمته مفصلاً من المؤلف فى هذا الكتاب.

٢-٢) عمده الطالب ص ١٧٤-١٧٥.

٣-٣) راجع: كتاب العقد الثمين ٧٨:٤-٨٢ برقم: ١١٧٢، و كتاب إتحاف فضلاء الزمن ١:١٢١.

٤-٤) فى «ن»: خلافه.

٥-٥) وسيله المآل ص ٣٩-٤٠ مخطوط.

٦-٦) ذكره فى كتاب إيضاح المكنون فى الذيل على كتاب كشف الظنون ٥:٥٣٨، و فيه: نشأه السلافه بمنشأ الخلافه. و ذكره

أيضا إسماعيل باشا فى هديه العارفين المطبوع ذيل كشف الظنون (٦):

نقلا عن بهجه الزمان (١): إن ولايته تنوق على خمسين سنة، مشاركا لأبيه وعمه إدريس و منفردا، و أما مشاركته لأبيه، فكانت أيام صباه و صغر سنّه نحو سبع عشرة سنة.

و سبب ذلك: أنّ راجحا عمّ والده أبي سعد الحسن استنجد أخواله بنى حسين سگان المدينة، و طلب منهم الإعانه على إخراج ابن أخيه أبي سعد من مكّه المشرفه و أخذها منه، فسار معه من المدينة سبعمائه فارس من بنى حسين و جماعتهم، و عليهم الأمير عيسى الملقّب ب«الحرون» فارس بنى حسين فى زمانه، و كان أبو نمى حينئذ بالينبع.

فلما بلغه خروج راجح مع بنى حسين (٢) من المدينة إلى أبيه، قصد مكّه لنصره أبيه فى أربعين فارسا، فصادف راجحا و عيسى و جماعتهم سائرين إلى مكّه المشرفه، و ليس لهم به خبر، فلما ترآى الجمعان حمل أبو نمى عليهم، فما حملوه لحظه و ولّوا هارين إلى المدينة.

و لما هرب عيسى الحرون انتشرت عمامته، و ذهب يجرّها على خلفه.

ص: ٥٥

١- ١) هو كتاب بهجه الزمان بعمارته الحرمين لمملوك آل عثمان، لجار الله محبّ الدين محمّد بن عبد العزيز بن محمّد القرشى الشافعى المعروف بابن فهد المكى، المتوفى سنة (٩٥٤) أربع و خمسين و تسعمائه.

٢- ٢) فى الوسيله: فلما بلغه خبر راجح و خروج بنى حسين.

فقال السيّد جعفر الحسنى النّسابة رحمه الله (١)، و هو لسان بنى حسن بالعراق، قصيده يذكر فيها الواقعة، منها:

ألم يبلغك شأن بنى حسين وفرّهم و ما فعل الحرون

فيا لله فعل أبى نمى و بعض الناس تشبهه الجنون (٢)

يصول بأربعين على مئات و كم من كثره طلبت تهون (٣)

ثم دخل مكّه مسرورا منصورا، فقابله أبوه بالإعزاز و الإكرام، و شاركه فى الملك، و لم يزل مشاركا لأبيه حتى مات أبوه، ثم شاركه عمّه إدريس بن حسن بن قتاده، ثم استقلّ بالولاية بعد قتله لعمّه إدريس، فإنّه جرى بينه و بين عمّه بسبب ولايه مكثرا امور و منازعات:

منها: أنّ فى سنه تسع و ستين و ستمائه وقع بينهما خلف، فاستظهر إدريس على أبى نمى، فخرج أبو نمى هاربا من بين يدي عمّه إدريس، و وصل إلى الينبع، فاستنجد بصاحبها، و حشد العساكر و قصد مكّه، فالتقى هو و عمّه فى خليص (٤)، و تحاربا بها، و طعن أبو نمى عمّه إدريس، و ألقاه من جواده، فنزل و حزّ رأسه

ص: ٥٦

١- ١) هو النقيب تاج الدين أبو عبد الله جعفر بن محمّد ابن معيّه الحسنى النّسابة، و هو استاذ العلامة النّسابة ابن عنبه الداودى صاحب عمده الطالب.

٢- ٢) فى الوسيله: الجفون.

٣- ٣) راجع: عمده الطالب ص ١٧٦.

٤- ٤) خليص: حصن بين مكّه و المدينه، و خلص: موضع بآره بين مكّه و المدينه واد فيه قرى و نخل. معجم البلدان.

و استقلّ بالولايه. إنتهى النقل من وسيله المآل (١).

قال السمرقندى: و أخذ أبو نمى و عمّه إدريس الولايه من السيّد غانم بن راجح بالقتال فى شهر شوال سنه ثنتين و خمسين و ستمائه، و دامت لهما إلى خامس عشرين ذى القعدة من العام المذكور.

ثمّ وليها ابن برطاس نيا به من الملك المظفرّ صاحب اليمن، و قاتله أبو نمى و إدريس المذكوران، و أسرا ابن برطاس، ثمّ فدى نفسه و خرج من مكّه مع عسكره منهزما، و ذلك عام ثلاث و خمسين.

ثمّ وليها أبو نمى بمفرده عام أربعين و خمسين، ثمّ شاركه إدريس المذكور، ثمّ انفرد إدريس أربعين يوما، ثمّ قتل إدريس المذكور فى عام تسع و ستين و ستمائه، ثمّ تفرّد بها أبو نمى، و هو أبو نمى محمّد بن أبى سعد الحسن بن على بن قتاده (٢).
إنتهى.

ثمّ ذكر أنّه لمّا تفرّد بها أبوه الحسن بن على بن قتاده عن عمّه راجح استنجد راجحا بأخواله بنى الحسين، و ذكر قصّه الحرون التى تقدّمت (٣).

قلت: كان هذا السيّد الشريف، و الغضنفر الغطريف، مشهورا بالشجاعه و الإقدام، و الكرم الشامل للخاصّ و العامّ، و الحلم و الرصانه (٤)، اللذين لا توازنهما الأطواد رزانه، و الشعر الفائق، و النثر الرائق.

ص: ٥٧

١- ١) وسيله المآل ص ٤٠-٤٢ مخطوط.

٢- ٢) تاريخ خلفاء الزمن و ولاته و ملوكه، للسمرقندى-مخطوط.

٣- ٣) تقدّم نقلها عن العمده، فراجع.

٤- ٤) الرصين: المحكم الثابت، و قد رصن بالضمّ رصانه.

و كان يقول ولده السيد حميضة: كان لأبي خمس خصال: العزّه، و الكرم، و الحلم، و الشجاعه، و الشعر.

توفى رحمه الله فى رابع صفر سنه إحدى و سبعمائه، و دفن بالمعلاه، و ظهرت له كرامات عجيبه لَمّا مات، سننقل منها شيئاً فى ترجمه السيد أحمد بن عبد المطلب لأمر اقتضى ذلك طلباً للمناسبه (١).

و ولد لأبى نمى هذا ثلاثون ذكراً و اثنتا عشر انثى، فمنهم: زيد الأكبر، و زيد الأصغر، و أبو الغيث، و شميله، و عطيفه، و سيف، و ليبد، و مقبل، و حميضة، و عبد الله، و رميئه، و غير هؤلاء.

قال صاحب النفحة العنبريه: أولاد أبى نمى أربعة عشر ذكراً، و ذكر منهم: سميكه بضم السين و فتح الميم، و عبيّه بضم العين و فتح الباء الموحده، و عبد الله، و طاهرا، و حميضة، و رميئه، و أبى لغيث، و حمزه، و عطيفه، و عطافا، و عاطفا، و نبينه (٢) بضم النون، و جسارا (٣).

و العمده على ما ذكرناه هو الموافق لما فى عمده الطالب (٤)، و وسيله المآل (٥)، و غيرهما، لكن يستفاد من عباره النفحة من لم نذكره من أولاد أبى نمى المذكور،

ص: ٥٨

-
- ١-١) راجع تفصيل ترجمته: إلى كتاب العقد الثمين ١٤٨: ٢-١٦١ برقم: ١٤٤، و كتابنا الامراء و الحكّام من آل أبى طالب.
 - ٢-٢) فى النفحة: نكيته.
 - ٣-٣) النفحة العنبريه ص ١٢٦.
 - ٤-٤) عمده الطالب ص ١٧٦.
 - ٥-٥) تقدّم نصّ ترجمه الشريف محمّد أبى نمى من وسيله المآل للحضرمى.

فصل: لطيف و عقد ظريف

ترجمه السيد الشريف رميته بن أبي نمى بن

أبى سعد الحسن بن على بن قتاده

قال صاحب الوسيله: يكنى ب«أسد الدين» و يلقب ب«أبى عراده» و كان سيّدا جليلا شجاعا كريما شاعرا، و لما تغلب ابنه على الحلبه و أعمالها من العراق، كتب إليه قصيده يذكر فيها شرف مكّه و فضلها (١)، و يذمّ العراق و أهلها، و يحذّره من سطوه (٢) المغول (٣)، فأجاب ابنه بقصيده على وزنها و رويها.

و لما قتل ابنه أحمد، و وصل إليه الخبر، قال: قد علمت منذ (٤) تعرّض لبلاد المغول أنّه مقتول، و لم تسر من العراق إلى مكّه قافله من بعد قتل أحمد خوفا من أبيه رميته (٥).

و لكيفيته قتله نقل طويل ينطوى على القتل، و على كيفيته الصلح بعد مدّه مع الشريف عجلان، ذكر ذلك مفصّلا صاحب عمده الطالب، فراجع هناك (٦).

و لرميته الوقائع المشهوره، و الشجاعه المذكوره، قصد من أطراف البلاد،

ص: ٥٩

١- ١) فى الوسيله: و فضائلها.

٢- ٢) فى «ن»: سطوته.

٣- ٣) هم المغول أتباع الملك الجائر جنكيز خان المغولى.

٤- ٤) فى «ن»: منه.

٥- ٥) وسيله المآل ص ٤٢-٤٣ مخطوط.

٦- ٦) عمده الطالب ص ١٧٩-١٨٢.

و مدحه الأمجاد من الشعراء، كموفق الدين الحديدي (١)، وغيره.

و ولي مكه المشرفه سبع مّرات متفرّقات، شريكا لأخيه حميضة نحو عشر سنين، و شريكا لأخيه عطيفه نحو خمس سنين، و منفردا نحو خمس عشر سنه، إلى أن مات، فكانت مدّه ولايته نحو ثلاثين سنه.

توفّي يوم الجمعة السادس من ذى القعدة الحرام سنه ستّ و أربعين و سبعمائه، و طيف به اسبوعا حول الكعبه كما كانت عادتهم، و ذلك وقت صلاه الجمعة و الخطيب على المنبر، فسكت الخطيب حتّى فرغوا من الطواف به، و كان ابنه عجلان يطوف مع الجنازه، ثمّ جعله فى مقام إبراهيم، و تقدّم القاضى شهاب الدين الطبرى و صلّى عليه، و دفن بالمعلاه عند القبر الذى يقال له: قبر خديجه بنت خويلد رضى الله عنها (٢). إنتهى النقل من الوسيله.

قلت: عباره أحمد فى الوسيله لا تخلو من اختصار، و المقام لا يقتضى الاقتصار، إذ علم التأريخ من شأنه التطويل؛ لأنّ الكثير منه و إن تعدّى الحدّ خير من القليل، فالأليق به التفصيل.

قال صاحب لسان الزمان ملخصا من أماكن عديده منه: فوليها إبنها أبى نمنى حميضة و رميته بعد وفاه أبيهما أبى نمنى مدّه، ثمّ وليها أبو الغيث و عطيفه إبنها أبى نمنى، ثمّ أعيد بعد مدّه حميضة و رميته إلى إماره مكّه، ثمّ وليها أبو الغيث مفردا، و جرى بينه و بين أخيه حميضة قتال، فأسر أبا الغيث، ثمّ قتله و وليها حميضة مدّه، ثمّ أقبل رميته فى عسكر عظيم من مصر، ففرّ حميضة.

ص: ٦٠

١-١) فى العقد الثمين: الحنديدي.

٢-٢) وسيله المآل ص ٤٣-٤٤ مخطوط.

ثم لم يزل صاحب مصر يحتال به حتى حبسه بمصر مدّه، ثم فرّ من مصر و اتّصل بالعراق، ثم اتّصل بالحجاز، ثم لم يزل حتى و
ثب على أخيه رميثة، فأخرجه من مكّه و وليها، ثم لم يزل حتى وليها عطيفه بتوليه ملكك مصر الناصر قلوون فأمده، ثم لم يزل
حميضة واليا إلى أن قتل بوادي نخله، قتله مملوك له تركي غيله، و أقام عطيفه والي مكّه إلى سنه ثلاثين و سبعمائه، فووقت فتنه
عظيمه، فعزله ملك مصر و ولي أخاه الشريف رميثة، و لم يزل رميثة واليا حتى كبر، فعزل بابنه عجلان.

و توفي كما ذكره صاحب الوسيله و له من الأولاد عدد كثير، منهم: أحمد، و سند، و ثقبه، و مغامس، و مبارك، و عجلان، و
غيرهم، و الله تعالى أعلم (١).

فصل: نامی و عقد سامی

ترجمه السيد الشريف عجلان بن رميثة بن أبي نمي رحمه الله تعالى

قال أحمد صاحب الوسيله: و يكتني أبا سريع، و يلقب ب«عزّ الدين» و لي مكّه غير مرّه نحو ثلاثين سنه مستقلاً و شريكا لأخيه ثقبه
و لولده أحمد، و وقعت بينه و بين أبيه و إخوته منازعات اقتضت عزمه إلى مصر مرارا، و تولّى منها مستقلاً

ص: ٦١

١- ١) ذكره أبو الفداء في المختصر في تاريخ البشر ٧٧-٤:٧٦ و ٨٤ و ٨٥ و ١٠٣، و تقى الدين الفاسي في العقد الثمين ١٠٠:٤-
١١٢ برقم: ١١٩٦، و ابن حجر في الدرر الكامنه ١١١:٢-١١٢ برقم: ١٧٢٨، و المقرئ في السلوك إلى معرفه دول الملوک ٥٢٦:٢
و ٣:١٦ و ١٣٩-١٤٠ و ١٤١-١٤٢ و ٤:٢٢، و ابن عماد في شذرات الذهب ١٤٩:٦-١٥٠، و كتابنا الامراء و الحكّام من آل أبي
طالب.

و شريكاً، و جميع ذلك مذكور في تاريخ الفاسي (١)، و غيره (٢).

و لم يزل كذلك إلى أن مات بالجديد في وادي مرّ من أعمال مكّه المشرفه، و حمل إلى مكّه و دفن بالمعلاه، و بنى عليه قبه، و كانت وفاته سنه سبع و سبعين (٣) و سبعمائه، و قد بلغ من العمر نحو سبعين سنه.

و كان رحمه الله شيخاً صالحاً سعيداً، فاتفق له ما لم يتفق لأسلافه من السعودات العظيمه، فإنه أول من ملك بلاد حلي (٤) من أهله السابقين، و بنى الحصون بأجياد و أرض حسان، و المدارس بمكّه، و ملك الخيول و العبيد و الدرود الكثيره، و أنشأ بمكّه سيلاً للماء بالمروه، و استمرت خيراته، و كثرت حسناته، و مدحه جماعه من الشعراء، و كان لعجلان جملته من الأولاد، منهم: أحمد، و محمد، و علي، و حسن (٥). إنتهى النقل من الوسيله.

قال صاحب العمده عند ذكر الشريف حسن ابن صاحب الترجمة: و انتسب إليه رجل اسمه كيش، و قبله عجلان، و أبوه رميته أيضاً، و أمه إمراه من عامه أهل مكّه شرفها الله، فيها ما فيها، و أهل مكّه متفقون على حكاية يحكونها لا يصح معها نسب كيش، و لا يتصل بعجلان، و إن كان قد قبله، و الله بها أعلم، و قد رأيت كيشاً

ص: ٦٢

١- (١) العقد الثمين ١٨٩-٥:١٩٨ برقم: ١٩٨١.

٢- (٢) راجع: المقریزی في كتابه السلوك لمعرفة دول الملوك ١٢١:٤.

٣- (٣) في الوسيله: و تسعين.

٤- (٤) حلي: بالفتح ثم السكون بوزن ظبي، مدينه باليمن على ساحل البحر، بينها و بين مكّه ثمانيه أيام.

٥- (٥) وسيله المآل ص ٤٤-٤٥ مخطوط.

هذا بمكّه جليل المقدار (١)، كان إليه أمر جدّه (٢)، و كان أبوه يوصى به، و أخوه الشريف يجلّه، و الناس يخاطبونه بالشريف، و لكبيش هذا عقب، و كان في غايه النجده و الشجاعه (٣).

قلت: و على الفرض بأنّها كانت فاسقه و فيها ما فيها، إلا أنّ عجلان المذكور حجرها، و عقد بها، و أتى منها بكبيش و أقرّ به، فما وجه هذا الطعن من صاحب العمده و التجزّي؟!.

عودا إلى ذكر صاحب الترجمة:

قلت: تقدّم النقل من لسان الزمان بأنّ الشريف رميته عزل يابنه عجلان، ثمّ قال بعد: و لم يزل عجلان واليا بمكّه و يشاركه أخوه ثقبه، و تاره يتغلّب، و غالبا يستقلّ عجلان بولايه مكّه.

ثمّ في سنه ستّين ولى مكّه سعد بن رميته، و محمّد بن عطيفه، ثمّ اعيد عجلان، ثمّ ترك الإمارة لابنه أحمد على أن يبقى الخطبه له، إلى أن توفّي سنه سبع و سبعين و سبعمائه، و هو أوّل من أخذ حليا من أرض اليمن من ولاة مكّه المشرفه (٤).

إنتهى النقل من لسان الزمان ملخصا.

إنتهت ترجمه السيّد عجلان، فرحمه الله رحمة الأبرار، و حشره مع أجداده

ص: ٦٣

١-١) في العمده: القدر.

٢-٢) في العمده: أمر ساحل جدّه.

٣-٣) عمده الطالب ص ١٨٤-١٨٥.

٤-٤) لسان الزمان لمحمّد بن أحمد عقيله-مخطوط، راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١:١٦١.

الأئمة الأطهار، إنه على ما يشاء قد ير.

فصل: أنيس و عقد نفيس

ترجمه السيد الشريف أحمد بن عجلان

عليه الرحمه و الغفران، و أسكنه فسيح الجنان

قلت: قد أهمل الشيخ أحمد ترجمه هذا الشريف في كتابه وسيله المآل، و لم يذكر بعد عجلان إلا إبنه الحسن بن عجلان، مع أن الحسن المذكور إنما ولى شرافه مکه المعظمه بعد أخيه على بن عجلان، و هو أيضا بعد ابن أخيه عنان بن مغامس ابن عجلان، و هو بعد ابن عمه محمد بن أحمد بن عجلان، و هو بعد أبيه الشريف أحمد بن عجلان صاحب الترجمه، فتكرر بين الشريف حسن بن عجلان و بين أبيه الشريف عجلان في ولايه مکه المشرفه أربعة أشخاص، أحدهم الشريف المذكور، هكذا ذكر أهل التواريخ (١).

قال صاحب العمده: و كان الشريف شهاب الدين أحمد سائسا عادلا، شديد الحكومه، تهابه الأشراف و القواد و من دونهم، و كانت القوافل في زمانه آمنه من السراق و القطاع.

إلى أن قال: و طال حكمه، و عظم أمره، و استشعر سلطان مصر منه الاستبداد، فغلبه مرارا، فاعتذر إليه، و كان قبل وفاته عدّه سنوات يلبس الدرع أيام الموسم تحت ثيابه و لا يحجّ؛ لعدم تمكنه من لبس ثياب الإحرام، فاحتالوا عليه بكتاب

ص: ٦٤

١-١) راجع: العقد الثمين للفاسي ٥٥:٣-٦٢ برقم: ٥٩١، و درر العقود السنيه للمقريزي ٣١٩:١-٣٢٥ برقم: ٢٣٠، و انباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر العسقلاني ٢٢٧:٢-٢٢٨.

سَمِّوهُ، و أرسَلوه إليه، فلم يستتمَّ قراءه ذلك الكتاب حتَّى انتفخت أوداجه و دماغه، و ظهرت البثور بوجهه، و مات رحمه الله تعالى، و فتكوا من بعده بابنه الذي قام بعده، نهض عليه رجل في سوق منى، فضربه بسكين مسمومه، و غاب بين الناس فلم يعرف (١). إنتهى.

و قال صاحب لسان الزمان بعد قوله السابق في ترجمه عجلان: ثم ترك الإمارة لابنه أحمد، و استمرَّ أحمد بن عجلان، إلى أن مات سنة ثمان و ثمانين و سبعمائة، ثم وليها ابن محمّد بن أحمد المذكور مائة يوم مستقلاً إلى أن قتل، فوليها عنان بن مغامس، ثم عزل عنها بعلي بن عجلان، و أقام على منفردا بالولاية.

ثم شاركه عنان أيضاً، ثم خرج عنان إلى مصر، و استقلَّ على بن عجلان إلى أن قتل سنة سبع و تسعين و سبعمائة، و مات مغامس بمصر، فجعلت إماره مكّه لحسن ابن عجلان (٢). إنتهى كلام صاحب لسان الزمان، فانظر بعين الفضيله إلى ما أهمله صاحب الوسيله، مع سعه اطلاعه، و تتبعه للنقول بطول باعه، و الله أعلم.

فصل: موصوف و عقد موصوف

ترجمه السيّد الشريف حسن بن عجلان بن رميته بن أبي نمي

رحمه الله تعالى

قال صاحب الوسيله: كانت ولادته في سنة خمس و سبعين و سبعمائة، و نشأ في كفاله أخيه أحمد بن عجلان، و ولي مكّه من غير شريك إحدى عشر سنة و تسعه

ص: ٦٥

١-١) عمده الطالب ص ١٨٤، و راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١:١٦٢.

٢-٢) لسان الزمان-مخطوط.

أشهر و ستّه أيتام، و ليها شريكا لابنه بركات بسعى منه سنه و أربعه (١) أشهر، و ولي نيابه السلطنه ستّ سنين إلا أشهر، و وقع له من المنازعات فى الأمر ما اقتضى أنه سافر إلى مصر مرارا، و قبض عليه بها فى بعض المرات، و له وقائع مشهوره فى التواريخ (٢) مذكوره مسطوره مع بنى عمّه و إخوته و ملوك مصر و مع القواد و غيرهم.

و كان ذا ثروه عظيمه، و حشمه وافره جسيمه، و خيرات كثيره عميمه، بنى بمكّه رباطا للرجال، و رباطا للنساء، لم يل مكّه قبله من يدانيه فى شىء من ذلك.

و قد مدحه كثير من الشعراء المعترين، منهم: الشيخ شهاب الدين أحمد الفاسى والد التقى الفاسى مؤرخ مكّه (٣). و منهم: شيخ الإسلام عالم الأئمه الأعلام، قاضى القضاء، شرف الدين إسماعيل ابن المقرئ.

و كان الملك الناصر صاحب اليمن تشفع إلى الشريف حسن بن عجلان فى ترك التشويش على موسى صاحب حلّى، و حتّه على الموافقه على ذلك القاضى شرف الدين ابن المقرئ بقصيدته النويته التى مطلعها:

أحسنت فى تدبير ملكك يا حسن و أجدت فى تحليل أخلاط الفتن

ص: ٦٦

١- ١) فى الوسيله: و سبعة.

٢- ٢) راجع: العقد الثمين ٣: ٣٤٧-٣٩٤ برقم: ٩٩٥، ذكر تفصيل ترجمته، و ابن حجر فى إنباء الغمر بأبناء العمر ١٠٣: ٦-١٠٥.

٣- ٣) و له عدّه كتب فى تاريخ مكّه المكرّمه، منها: كتابه القيم العقد الثمين فى أخبار البلد الأمين، و كتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، و غيرهما.

ما كنت بالترق (١) العجول إلى الأذى عند النزاع و لا الضعيف أخوا الوهن

تمسى (٢) و رأيك عن هواك معوّق و العزّ ملقى فى يد الأهوى الرسن

داء الرئاسه فى متابعه الهوى و دواؤها بالدفع (٣) بالوجه الحسن

و إذا الفتى استقصى لنصره نفسه قلب الصديق لحربه ظهر المجن

و منها:

بالسيف و الإحسان تقتنص العلا و حصولها (٤) بهما جميعا مرتهن

لا خير فى منن و لا سيف بها ماض و لا فى السيف (٥) ليس له منن

و منها:

أما حلى (٦) فإنّ خوفك لم يدع أهلا بها للزائرين و لا وطن

أجلبتهم (٧) منها و جسمك وادع فى مكّه لم يخرجوك إلى ظعن

و منها:

أغمد سيوفك رغبه لا رهبه ما فى قتيل فرّ مرعوبا سمن

و اكرم سيوفك من دما طردا بها و الحرّ يكرم سيفه أن يمتهن

ص: ٦٧

١- ١) فى «د»: بالنزق، و فى «ن» و الاتحاف: بالترف.

٢- ٢) فى الوسيله: تمشى.

٣- ٣) فى الوسيله: فى الدفع.

٤- ٤) فى «د» و الاتحاف: و حصوله.

٥- ٥) فى «ن»: السبق.

٦- ٦) فى «ن»: حلى.

٧- ٧) فى الاتحاف: جلبتهم.

قد كان لا يرضى يخطط سيفه في ظهر من ولى أبوك أبو الحسن
و منها:

موسى هزبر لا يطاق نزاله في الحرب (١) لكن أين موسى من حسن
هذاك في يمن و ما سلمت له يمن و ذا بالشام لم يدع اليمن
فانظر إلى موسى و قد لعبت به لَمَا سخطت عليه أحداث الزمن (٢)
و امنن بمهجته و خذ ما عنده عوضا يكن منك المثلن و الثمن
لا زلت بالشرف المخلد بانبا شرفا و مجدا ثابتا لبني حسن
جننا بحسن الظن نسألک الرضا و العفو عنه فلا تخيب فيك ظن (٣)

فصل: بديع

ينطوى على فرائد من علم البديع حسن الابتداء

قال أديب العصر صاحب سلافه العصر في كتابه أنوار الربيع في أنواع البديع (٤)،

ص: ٦٨

١-١) في «ن»: بالسيف.

٢-٢) في «ن»: الفتن.

٣-٣) وسيله المآل ص ٤٥-٤٧ مخطوط، و راجع: العقد الثمين ٣:٣٥٩، و إتحاف فضلاء الزمن ١:١٧٣-١٧٤.

٤-٤) قال في الذريعة (١:٤٢٦): أنوار الربيع في أنواع البديع، للسيد صدر الدين علي ابن نظام الدين أحمد الحسيني الدشتكي الشيرازي المعروف بالسيد علي خان المدني، المتوفى سنة (١١١٨) و كانت ولادته في المدينة المشرفة سنة (١٠٥٢) شرح لبديعيته التي نظمها في اثنتي عشره ليله في مائه و سبعة و أربعين بيتا بزياده بيتين لنوعين من البديع على بديعيه صفي الدين الحلّي المولود سنة (٦٧٧) و المتوفى سنة (٧٥٠) التي سماها بالكافية البديعيه في مدح خير البرية.

و هو كتاب جليل عدّه في الأدب، لم يؤلّف في هذا العلم أحسن منه: قال أهل البيان: من البلاغه حسن الابتداء، و يسمّى براعه المطلع، و هو عبارته عن أن يتأتق المتكلم في ابتداء (١) كلامه، و يأتي بأعذب الألفاظ، و أجزلها و أرقها و أسلسها، و أحسنها نظما، و ألطفها سبكا، و أصحها مبنى، و أوضحها معنى، و أخلاها من الحشو و الرّكّه و التعقيد، و التقديم و التأخير الملبّس، و الذى لا يناسب.

إلى أن قال: و يعتبر في مطلع القصيده زياده على ذلك أن لا يكون متعلّقا بما بعده من الأبيات، و أن يناسب بين قسميه أتمّ المناسبه، بحيث لا يكون أحد الشطرين أجنيا عن الآخر لفظا و معنى، فإذا اجتمعت هذه الشروط في مطلع القصيده كان غايه في بابه.

إلى أن قال: و كثيرا ما يستشهد أرباب هذا الفنّ في هذا الباب بقول امرىء القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب و منزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل (٢)

قالوا: وقف و استوقف، و بكى و استبكى، و ذكر الحبيب و المنزل في مصراع واحد، و مع ذلك فقد انتقده بعض الحدّاق بعدم المناسبه بين شطريه؛ لأنّ صدر البيت جمع بين عذوبه اللفظ و سهوله السبك، و كثره المعاني، و ليس في الشرط الثانى شيء من ذلك، قال ابن المعتزّ: قول النابغه:

كلينى لهمّ يا اميمه ناصب و ليل اقاسيه بطىء الكواكب

مقدّم عليه؛ لأنّ امرىء القيس و إن بالغ في الشرط الأوّل، لكن قصر في الثانى،

ص: ٦٩

١- ١) فى المصدر: أوّل.

٢- ٢) غير موجود فى ديوان امرىء القيس المطبوع.

حيث أتى بمعانى قليلة فى ألفاظ كثيره غريبه، و النابغه راعى التناسب (١). إنتهى النقل من أنوار الربيع رحم الله مؤلفه.

فأقول: قد ينتقد مطلع قصيده ابن المقرئ المتقدمه، و هو:

أحسنت فى تدبير ملكك يا حسن و أجدت فى تحليل أخلاط الفتن

بمثل ما انتقد به مطلع قصيده امرئ القيس المتقدم ذكره، و هو «قفا نبك» البيت، و ذلك من وجوه:

الأول: عدم التناسب بين الشطرين فى عدوبه الألفاظ، و قوه السبك، ألا ترى عدوبه ألفاظ الشطر الأول، و عدم عدوبه ألفاظ الشطر الثانى.

و الثانى: أنك إذا قرئ عليك الشطر الأول، قلت: هذا عربى، لم تخالطه حضاره، قد تمكّن من قوه السبك و جزاله الألفاظ. و إذا قرئ عليك الشطر الثانى، قلت: هذا حكيم قد صرف نفيس عمره فى تحقيق معرفه الأخلاط، و التفريق بين أنواعها و طبائعها، ثم صرف مدّه فى بيان الأدويه و العقاقير المحلله للأخلاط، فكأنه أفلاطون زمانه، فأى (٢) مناسبه بين عربى لم تخالطه حضاره و بين حكيم تلك صفاته؟ و جميع ذلك محمول على الذوق الصحيح، فكل ذلك عند صاحب تلك السليقه فى غايه التوضيح.

و الثالث: أن هذا المطلع لم تكن فيه براعه استهلال، و هى كما ذكره أهل هذا الفنّ عبارته عن أن يكون أول الكلام دالاً على ما يناسب ذلك حال المتكلم متضمناً لما سيق له الكلام من غير تصريح، بل باللفظ إشارة يدرکها الذوق

ص: ٧٠

١- ١) أنوار الربيع فى أنواع البديع ٣٤: ١-٣٦ طبع النجف الأشرف.

٢- ٢) فى «ن»: فأين.

الصحيح، و في بيت ابن المقرئ تصريح، و أى تصريح، مع ذكر الممدوح صريحا في الشطر الأول، فأى براعه استهلال تلائم هذا التصريح الظاهر؟

فأين براعه استهلال هذا المطلع من براعه استهلال مطلع قصيده أبى تمام يهتئى المعتصم بالله بفتح عموريه (١):

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجدّ و اللعب (٢)

و مطلع قصيده أبى عبد الله محمّد الخازن يهتئى الصاحب ابن عباد (٣) بسبطه

ص: ٧١

١- ١) عموريه: بفتح أوله و تشديد ثانيه، بلد في بلاد الروم، غزاه المعتصم حين سمع شراه العلويّه، و فتحها سنه (٢٢٣) و كانت من أعظم فتوح الإسلام، قيل: سميت بعموريّه بنت الروم بن اليفز بن سام بن نوح. معجم البلدان.

٢- ٢) ديوان أبى تمام ١: ٩٦ طبع دار صادر بيروت.

٣- ٣) هو كافي الكفاه أبو القاسم إسماعيل بن أبى الحسن عباد بن عباس الطالقاني، أحد من يشدّ إليه الرحال لأخذ الأدب، و نال من الدنيا و الآخرة مرتجاء، ولد سنه (٣٢٦) و سمع العلم و الحديث عن أبيه، و قيل: إنّما سمى الصاحب؛ لأنّ أول من استوزره هو مؤيد الدوله أبو منصور بن ركن الدوله ابن بويه الديلمي، فصحبه كثيرا من زمن صباه، و هو سمّاه الصاحب فغلب عليه. و كان اعجوه عصره، و وحيد دهره، و نسيج وحده في العربيّه، له كتب و إنشآت كثيره، و أشعار وافرّه في مناقب الأئمه الطاهره عليهم السلام، فمن شعره: لو شقّ عن قلبى يرى وسطه سطران قد خطّا بلا كاتب العدل و التوحيد فى جانب و حبّ أهل البيت فى جانب و قبره باصفهان مزار معروف، و قد زرته مرارا، رحمه الله عليه.

الشريف أبي الحسن عباد (١) بن علي الحسنى، وهو ممّا يشعر بقرينه الذوق أنّه يريد التهنئه بمولود:

بشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا و كوكب المجد فى افق العلا صعدا

و كادت الغاده الهيفاء من طرب تعطى مبشّرها الأوصاف و الغيدا

لم يتّخذ ولدا إلاّ مبالغه فى صدق توحيد من لم يتّخذ ولدا (٢)

فانظر إلى حسن هذا المطلع و براعه استهلاله،الذى يعدّ مطلع ابن المقرئ من جمله خدامه و عياله،و ما أحسن معنى البيت الثالث،فهو من غريب المعانى التى لم يسبق إليه،و كذلك البيت الثانى.

و من البراعات التى تشعر بالتهنئه بالقدوم،قول والد صاحب السلافه السيّد أحمد (٣) بن معصوم،يهنئ ملك مكّه المشرفه الشريف زيد بن محسن بن الحسين ابن الحسن الآتى ذكر ترجمته،و قد قدم إلى الطائف:

قد أقبل السعد بالأفراح يتندر و الدهر يرتاح مختالا و يفتخر

ثمّ و على الفرض بانتقاد مطلع قصيده ابن المقرئ المذكور،و تسليم هذا الانتقاء المسطور،فلا يسقط باقى القصيده،فكلّها غرر و درر،و أمثال و حكم،

ص: ٧٢

١- ١) هو السيّد الشريف أبو الحسن عباد بن أبي الحسين علي بن أبي عبد الله الحسين الاطروش بن أبي الحسن علي بن الحسين بن الحسن البصرى بن القاسم بن محمّد البطحاني بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

٢- ٢) راجع:عمده الطالب ص ٩١.

٣- ٣) قد ذكر تفصيل ترجمته ولده العلامة السيّد علي خان المدنى فى كتابه سلافه العصر فى محاسن الشعراء بكلّ مصر ص ١٠-٢٢.

و هي من القصائد الطنّانه، التي شيّد بها من المجد مكانه، و أظّد قواعده و أركانها.

و لنشئ عنان القلم إلى صاحب الترجمة، و تنضيد عقود أخباره المنظّمه بما وقفنا عليه، و ساقنا الاطلاع إليه، فالحديث شجون، و العلم مذاهب و فنون، و الجمع يتبع أدنى مناسبة، و به تقع المؤلفه بين النقول و المجاذبه.

إن لم أقل هذا و هذا و ذا بأى شيء كنت أملاً الكتاب

توفى الشريف حسن بن عجلان المذكور فى سادس جمادى الآخره سنه تسع و عشرين و ثمانمائه بالقاهره، و دفن بها، و قبره فيها مشهور، و ذلك بعد أن تجهّز للسفر إلى مكّه متولياً لها، و كان له جملته من الأولاد، منهم: أبو القاسم، و على، و إبراهيم، و بركات، رحمهم الله تعالى جميعاً، إنّه كريم و هّاب (1).

فصل: جلى و عقد مقداره على

إشاره

ترجمه السيّد الشريف بركات بن حسن بن عجلان بن رميته

رحمه الله تعالى

قال أحمد صاحب الوسيله: أمّا بركات بن حسن بن عجلان بن رميته، فإنّه كان شريكاً لأبيه فى ولايه مكّه، ثمّ استقلّ (2) بها بعد وفاه أبيه، فإنّ سلطان مصر

ص: ٧٣

١- ١) وسيله المآل ص ٤٧ مخطوط، و راجع تفصيل ترجمته إلى كتاب العقد الثمين ٣: ٣٤٧-٣٩٤ برقم: ٩٩٥، و كتاب إنباء الغمر بأبناء العمر ٣: ٢٨٦-٢٨٧ و ١٠٣: ٦-١٠٥ و كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ٥: ٣٧٥-٣٧٦ و كتاب سمط النجوم العوالى ٤: ٢٦٧-٢٧٩ و كتابنا الامراء و الحكّام من آل أبى طالب.

٢- ٢) فى الوسيله: اشتغل.

برسيای استدعاه إليه (١) بعد موت أبيه، فقدمها في ثالث عشرين من رمضان سنة تسع و عشرين و ثمانمائة، و فوّض إليه ولايه مكّه في سادس عشرين من رمضان المذكور، و استقرّ أخوه إبراهيم نائبا عنه، و خلع عليهما، و توجّها إلى مكّه في عاشر شّوال، فوصلها في أواسط ذى القعدة من السنه المذكوره، و قرىء عهد الشريف بركات، و لبس الخلعه بالمطاف، و استمرّت ولايته إلى جمادى الاولى سنة خمس و أربعين.

ثمّ جاء عزله بأخيه على و هو بوادى الآبار، و ذلك في شهر رجب، فتوجّه إلى اليمن، و أخلى مكّه من نوابه، فوصل على في مستهلّ شعبان سنة خمس و أربعين متوليا لها، و استمرّ على واليا على مكّه المشرفه، إلى أن قبض عليه مع أخيه إبراهيم في يوم الثلاثاء رابع شّوال سنة ستّ و أربعين و كبلا (٢) بالحديد، و ظهر عزله بأخيه أبى القاسم، و كان أبو القاسم بالقاهره، و قام بحفظ مكّه ولده زاهر، و توجّه بالأخوين على و إبراهيم إلى جدّه، و اركبا في جلبه (٣) إلى القاهره.

ثمّ وصل أبو القاسم بن حسن إلى مكّه يوم السبت سابع عشرين من ذى القعدة من السنه المذكوره، لا بسا خلعه الولايه، و قرىء توقيعه بالحطيم، و استمرّ واليا على مكّه إلى ربيع الأوّل سنة خمسین، فعزل بأخيه بركات بن حسن، فأمر أبو القاسم أتباعه أن يخرجوا منها إلى وادى الآبار، فخرجوا في سلخ ربيع الأوّل (٤).

ص: ٧٤

١-١) في الوسيله: إلى مصر.

٢-٢) أى: قيّدا.

٣-٣) الجلبه: ما يحمل عليه لجلب المتاع من بلد إلى بلد، و المراد منها هنا السفينه.

٤-٤) وسيله المآل ص ٤٧-٤٨ مخطوط.

إنتهى.

قال صاحب لسان الزمان ملخصاً: ثم ولي مكّه المشرفه بركات بن حسن بن عجلان بعد أبيه، واستمر إلى أن عزل بأخيه على بن حسن، ثم عزل بأخيه أبي القاسم بن حسن، ثم عزل أبو القاسم بالشريف بركات بن حسن يعنى صاحب الترجمة، وطلبه سلطان مصر، فرحل إليه، فبالغ في إكرامه، حتى أنّ السلطان نزل للقائه إلى الرميّه (١) بنفسه، وأقام بمصر، فأخذ العلماء عنه، وازدحموا عليه، لعلمهم بصحّه سنده، وأخذ عن المشايخ الأجلاء، وعاد إلى مكّه شرفها الله، وكان يوم مدخله يوماً مشهوداً، وذلك في سنه إحدى وخمسين وثمانمائة (٢). إنتهى.

و هو مطابق لما ذكره صاحب الوسيله، إلا في قوله «و طلبه سلطان مصر فرحل إليه» فهي فائده زائده لم تكن في الوسيله.

و كذلك ذكر في الوسيله فيما سيأتى أنّ عود بركات إلى مكّه كان في أثناء سنه خمسين بعد الثمانمائة، كما ستقف عليه، و هو مخالف لما ذكره صاحب لسان الزمان من أنّ عوده كان في سنه إحدى وخمسين كما مرّ، والعمده على ما ذكره صاحب لسان الزمان، و عليه التواريخ.

عاد النقل من الوسيله، قال: ولما كان ليلة السبت خامس جمادى الاولى من السنه المذكوره، دخل السيد بركات بن حسن إلى مكّه محرماً بالعمره، فطاف و سعى، و خرج إلى الزاهر، و بات به، و دخل مكّه في صبح يوم السبت لابسا الشريف، و قرىء توقيعه بالحطيم، و طاف و نودى له بالدعاء على زمزم، كأسلافه

ص: ٧٥

١-١) الرميّه: قريه من قرى بيت المقدس.

٢-٢) لسان الزمان - مخطوط.

و استمرّ على ذلك إلى أن توهّن (1) بالمرض في عام تسع و خمسين و ثمانمائه، فسأل مشدّد جدّه جاني بيك الظاهري، بأن يرسل إلى السلطان الظاهر جقمق يسأله ولاية مكّه لولده السيّد محمّد بن بركات؛ لأنّه ضعيف قليل الحركة بموجب المرض، فأرسل جاني بيك يسأل في ذلك، فقدّرت وفاه السيّد بركات قبل ورود الخبر، و جاء الجواب بعد موته بيوم بولايه ولده السيّد محمّد.

و كانت وفاه بركات بن حسن في عصر يوم الاثنين تاسع عشر شعبان سنه تسع و خمسين و ثمانمائه بأرض خالد من وادي مرّ، و حمل على أعناق الرجال، و دخل به مكّه في أثناء ليله الثلاثاء، و غسّل و كفنّ و صلّى عليه بالمسجد الحرام بعد صلاه الصبح، و دفن بالمعلّاه، و بنى عليه قبّه، و هي موجوده إلى الآن، و رثاه الشهاب المنصوري بقوله:

قالوا قضى بركات قلت يحقّ لي أن أتبع العبرات بالزفرات

يا نزحه (2) الأحباب عند فراقه و بقربه يا فرحه الأموات

و الكعبه الغراء قالت قد غدا لبس السواد عليه من عادات

فانظر إلى آثاره في مكّه فرحا بها لم تخل من بركات

و كان الشريف بركات بن حسن مهيبا موقرا شجاعا مقداما غضنفرًا، كثير الحروب، كثير الخيرات، جزيل المبرّات، ميمون الحركات، بنى بمكّه رباطا للفقراء و المساكين، و هو موجود إلى الآن و هم به قاطنون، و له النثر الفائق، و الشعر

١- ١) أي: ضعف و استكان.

٢- ٢) في «د»: ترحه.

الرائق، فمن شعره قوله:

يا من بذكراهم قد زاد وسواسى وقد شغلت بهم عن سائر الناس

و من تقرّر فى قلبى محبّتهم و جئتهم طائعا أسعى على الرأس

سألتكم شربه من ماء مشاربكم تغنى عن الراح إذا ما لاح فى الكأس

و كان له جملة من الأولاد، منهم: محمّد، وغيره (١). إنتهى النقل من الوسيله.

فصل

إشارة

فى الحوادث الواقعة فى دولته

نذكر فيه لمعه من الحوادث الواقعة فى دولته و أيامه بمكّه المشرفه و غيرها، من سنة إحدى و خمسين و ثمانمائه إلى سنة وفاته، و هى سنة تسع و خمسين و ثمانمائه.

ففى سنة إحدى و خمسين: كان عود الشريف بركات إلى مكّه المشرفه، و خروج السيد أبى القاسم (٢).

و فى سنة ثنتين و خمسين: عمرت عين حنين و مسجد الخيف، عمّرها بيزم

ص: ٧٧

١ - ١) وسيله المآل ص ٤٨-٥٠ مخطوط. و راجع: إنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر ٧: ٢٢١، و السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزى ٦: ٤٢١ و ٧: ١٨-١٤٠ و ٤٦٤، و الضوء اللامع للسخاوى ٣: ١٢-١٣ برقم: ٥٠، و شذرات الذهب لابن العماد ٧: ٢٩٤، و سمط النجوم العوالى للعصامى ٤: ٢٧٩-٢٨٩، و إتحاف فضلاء الزمن ١: ١٨٦-١٨٩، و غيرها.

٢ - ٢) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١: ٢٣٩.

ناظر الحرمين (١).

و فيها: وصلت كسوه لمقام إبراهيم الخليل عليه السّلام، فلم يكس بها (٢).

وفاه ابن حجر العسقلاني:

و فيها: توفّي العالم العلّامه، و الفاضل الفهّامه، الحجّجّه البالغه، أبو الفضائل أحمد ابن علي بن محمّد بن علي بن أحمد الكنانى العسقلانى المصرى، المعروف بابن حجر.

و فى سنه ثلاث و خمسين: وضعت الكسوه على مقام الخليل عليه السّلام.

و فيها: عزل بيرم ناظر الحرمين.

و فى سنه أربع و خمسين: عمّرت بعض سقوف المسجد الحرام.

و فيها: استبدل بردق بيك رباط رامشت، و عمّره لنفسه، و جعل له شبايك على المسجد الحرام، و هو المسمّى الآن بالنخليه، و هى مدرسه عظيمه.

وفاه السلطان مراد خان العثمانى:

و فى سنه ستّ و خمسين: توفّي السلطان مراد خان العثمانى، و اقيم على السلطنه ابنه محمّد خان فاتح القسطنطينيه.

وفاه السلطان جقمق:

و فى سنه سبع و خمسين: توفّي السلطان جقمق، و ولى بعده ابنه عثمان، ثمّ خلع بعد مدّه و تولّى الملك الأشرف أبو نصر دانيال (٣).

ص: ٧٨

١- ١) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١: ٢٣٩-٢٤٠.

٢- ٢) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١: ٢٤١.

٣- ٣) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١: ٢٤٣.

و في سنه تسع و خمسين و ثمانمائه: توفي السيد الشريف بركات بن حسن شريف مكّه، و هو صاحب الترجمة، كما في وسيله المآل (١).

و ذكرت ذلك كلّ بطريق التلخيص و الاختصار من كتاب لسان الزمان، فإنّ فيه بعض فائده زائده عن الغرض المؤلّف هذا الكتاب بصدده، و الله أعلم.

ترجمه السيد الشريف محمّد بن بركات بن حسن

اشاره

ابن عجلان بن رميته صاحب مكّه

قال أحمد في الوسيله: فأما محمّد بن بركات بن حسن بن عجلان، فولى مكّه بعد وفاه أبيه، و قد تقدّم ذكر التماس أبيه له الولاية في مرض موته.

و في عصر يوم الثلاثاء ثانی يوم موت والده وصل المرسوم بالإجابہ إلى ما سأل فيه والده، و صحبه المرسوم خلعه الولاية عوضاً عن أبيه.

فلما ورد المرسوم بذلك، كان محمّد غائبا ببلاد اليمن لحفظ بعض أموال والده، فدعى له على زمزم بعد صلاة المغرب من ليله الأربعاء.

فلما كان يوم الجمعة قرىء المرسوم مخاطبا فيه السيد بركات، و مضمونه: إنّه ورد إلينا مكتوب (٢) الأمير جاني بيك مشدّد جدّه بالثناء على المخدوم، و قد بلغنا ضعفه، و توّعك جسمه (٣)، و قلّمه حركته، فأقمنا مقامه في إمره مكّه ولده السيد محمّد ابن بركات، و المرسوم مؤرّخ سادس عشرى رجب سنه تسع و خمسين و ثمانمائه.

ص: ٧٩

١-١) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ٢٤٤: ١.

٢-٢) في الوسيله: كتاب.

٣-٣) في «د»: جسمك، و في الوسيله: جسده.

فلما كان رابع شوال من السنه المذكوره:وصل كتاب من السلطان جقمق إلى السيد الشريف محمد بن بركات بالعزاء في والده،و توقيع يتضمّن استقراره و استمراره عوضا عن والده،مؤرخ بأوائل شهر رمضان (١).إنتهى كلامه.

قلت:قد تقدّم في حوادث سنه سبع و خمسين و ثمانمائه المنقوله من لسان الزمان،انتقال السلطان الظاهر جقمق،و تقدّم أيضا في حوادث سنه تسع و خمسين،كما هو في لسان الزمان و وسيله المآل،أنّ انتقال الشريف بركات كان في تلك السنه،فكيف يجتمع هذا و ما ذكره صاحب الوسيله من ورود المرسوم بالإجاباه إلى ما سأل فيه السيد (٢)بركات من طلب الولاية لولده محمد المذكور؟

و كان وصول ذلك المرسوم و الخلعه يوم الثلاثاء لعشر بقين من شعبان سنه تسع و خمسين و ثمانمائه،ثمّ ورود (٣)كتاب العزاء من السلطان جقمق إلى الشريف محمد بن بركات،و الاستمرار له على الولاية،و كان الكتاب مؤرخا بأوائل شهر رمضان من السنه المذكوره،و هذا تناقض ظاهر لا يمكن الجمع بينهما،إلا بأن يقال:لعلّ المرسل بمرسوم الإجاباه و كتاب العزاء(من)السلطان أبو نصر دانيال، المتولّي للسلطنه بعد خلع ولد السلطان جقمق.

رجع النقل من الوسيله،قال:و استمرّ إلى سنه ثلاث و تسعمائه متوليا على مكّه، مظهرا للعدل في الرعيه،و دانت له العباد،و اتسع ملكه و تصرّفه في البلاد،و كانت مدّه ولايته ثلاثا و أربعين سنه،إلى أن توفّي في حادي عشرين المحرّم سنه ثلاث

ص: ٨٠

١- ١) وسيله المآل ص ٥٠-٥١ مخطوط.

٢- ٢) في «ن»:الشريف.

٣- ٣) في «ن»:ورد.

و تسعمائه بوادی الآبار من جهة اليمن، و حمل إلى مكه على أعناق الرجال، و دفن بالمعلاّه، و بنى عليه قبّه موجوده إلى الآن.

و كان-رحمه الله تعالى-جَمّ الفضائل، شريف الشّماثل، ظاهر الكرم، طاهر الشّيم، شجاعا مقداما، بطلا ضرغاما، مسعودا في سائر أحواله (١)، مشكورا في جميع أفعاله، له الخيرات المستمرّه، و الصدقات المستقرّه، بنى بمكّه رباطا، و بالنواريه سبيلا في طريق وادي مرّه، و بنى سبيلا- بطريق جدّه، و أوقف على ذلك أوقافا كثيره، و هي بوادي مرّ شهيره، ضاعف الله له الثواب، و قابله على ذلك يوم المآب، و تغمّده برحمته، و أسكنه فسيح جنّته.

و خلّف من الأولاد ستّه عشر ذكرا غير الإناث، منهم: حميضة، و رميثة، و جازان، و هزاع، و قايتباي، و على، و راجح، و بركات (٢). إنتهى كلام صاحب الوسيله.

فصل

إشاره

في الحوادث الواقعه في دولته

نذكر فيه من الحوادث الواقعه في مدّه ولايته بمكّه و غيرها من فتوح البلدان، و وفيات الملوك و أعيان العلماء، و لطيفه حسنه، و أشياء تتعلّق به رحمه الله تعالى، و ابتداء ذلك من ابتداء دولته، فأولها سنه تسع و خمسين و ثمانمائه.

ص: ٨١

١-١) في «ن»: أقواله.

٢-٢) وسيله المآل ص ٥١-٥٢ مخطوط، و راجع: التحفه اللطيفه في أخبار المدينه للسخاوي ٢:٤٥٢-٤٥٣ برقم: ٣٦٧٩، و الضوء اللامع ١٣٢:٧-١٣٥ برقم: ٦٤٧، و إتحاف فضلاء الزمن ١:٢٤٩.

و في هذه السنه: وقع فتح القسطنطينيه (١)، و مبدؤه أنّ السلطان محمد بن مراد خان المتقدم ذكره لما أراد فتحها، و كان مستعظما لذلك، لما بلغه من أنّ المسلمين من عهد الصحابه لم يزالوا يغزون و يقصدون هذه المدينه، و لم يتيسر لهم ذلك، و اجتهدت بنو اميه في ذلك، و كذلك بنو العباس، فلم يتيسر لهم ذلك، و أكرم الله هذا الملك بفتحها، و هي من أعظم المناقب له، و قد جرى في فتح هذه المدينه امور عجيبيه.

و كان المشير عليهم بالتوجه في فتحها الشيخ العارف الكبير الولي الشهير الشيخ آق شمس الدين، و كان وزير السلطان محمد يعتقد الشيخ كثيرا، فأشار عليهم بالتوجه، و أنها تفتح عن قريب.

فتوجه السلطان محمد و صحبته الشيخ المذكور، و جماعه من أكابر العلماء و الأولياء، فأقاموا على حصار المدينه مدّه، فطال عليهم الحصار، فتعب السلطان محمد من ذلك، و ساء ظنه بالشيخ آق شمس الدين، و قال لوزيره: شيخك يزعم أننا نفتح هذه المدينه سريعا، و قد مضت مدّه و لم تفتح، و أخشى أن لا يتيسر لنا ذلك، فأخبر الوزير الشيخ بذلك.

فقال الشيخ: ليس تعويق الفتح بسبب تحصن الكفار و قوتهم، و إنما سبب ذلك

ص: ٨٢

١-١) قسطنطينيه: كانت روميّه دار ملك الروم، و كان بها منهم تسعه عشر ملكا، و ملك بها قسطنطين الأكبر، ثم انتقل إلى بزنيه و بنى عليها سورا، و سماها قسطنطينيه و هي دار ملكهم، و اسمها اصطنبول، عمّرها ملك من ملوك الروم يقال له: قسطنطين، فسُميت باسمه. معجم البلدان.

ولى من أولياء الله تعالى مقيم عند الكفار، وقد أسند ظهره إلى باب المدينة، وقال:

و عزّتك لا- تفتح و لا- أدعها يدخلها هؤلاء، فامتنع الفتح بسبب ذلك، وقد أرسلنا إليه من يخاطبه بأن هؤلاء على غير مله الإسلام، وقصدنا أن تكون معموره بالدين و الإيمان، فأجابنا بأن هؤلاء قوم أكرموني و أحسنوا إليّ، و أنا أنوب عن المسلمين (١) في إقامه الدين بهذه البلاد، و قد أرسلنا إليه فلم يفد معه الكلام، و الآن لا يمكن إلا أن نتوجه إلى الله تعالى أن يتولاه، فإذا أجاب الله ذلك بانتقاله لا يتعسر الفتح لهذه المدينة.

ثم توجه الشيخ المذكور و من معه من الفقراء كثيرا، ثم قالوا: قد توجه إلى جنان ربّه، فتوجهوا أنتم، ففعلوا ذلك، فلم يكن لهم معوق و لا مانع من الفتح، و فتحت المدينة، و دخل السلطان محمّد و من معه إلى المدينة، و صلّوا بأعظم كنائسها، و هى الكنسيه التى يقال لها: آيه صوفيه، و هى من عجائب الدنيا، و هى قبه واحده تشتمل على مواضع صفه الروايات، و هى قبه لم يوجد فى سائر المعمور مثلها، فجعل السلطان محمّد هذه الكنسيه مسجدا، و هذا المسجد الآن أشهر و أعظم مساجدها، و هذه المدينة هى التى تسمى الآن باسطنبول (٢)، و هى أعظم بلدان الدنيا فى سعتها و كثرة عمرانها (٣).

وفاه سعد الدين الكاشغرى:

و فى سنه ستين و ثمانمائه: توفى الشيخ الكبير المولى سعد الدين الكاشغرى

ص: ٨٣

١- ١) فى «ن»: المؤمنين.

٢- ٢) و كان اسمها قديما قسطنطينيه، كما تقدّم.

٣- ٣) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١: ٢٥٠.

تعمير مسجد ميمونه:

و في إحدى و ستين و ثمانمائه: عمّر مسجد ميمونه-رضى الله عنها- بسرف، و جعل على قبرها سقيفه بأربعة أعمده، و بين سرف و مكّه تسعه أميال (١).

وفاه العلامة ابن همام:

و في هذه السنه: توفى العلامة محمد بن همام الدين عبد الواحد المعروف بابن الهمام.

وفاه السلطان اينال:

و في سنه خمس و ستين و ثمانمائه: توفى السلطان اينال، و استقرّ في السلطنه ولده أحمد بن دانيال، و لقب ب«المؤيد» و خلعتة الطوائف في سنته، و وضعوا في محلّه خوش قدم، و هو من عبيد الملك المؤيد، و لقب بالناصر (٢).

و في هذه السنه: كان بمكّه الأمير جانيك مشدًا على جدّه، و هو الباني للبستان الموجود بأعالي مكّه، المسمّى جاني بيك، و جعل فيه مدرسه عظيمه، و أوقف عليها بيوتا بمكّه.

و في سنه ستّ و ستين و ثمانمائه: أرسل السلطان خوش قدم منبرا إلى مكّه خطب عليه.

وفاه الشيخ عبد الكبير المتوكل:

و في سنه تسع و ستين و ثمانمائه: توفى الشيخ العارف الشيخ عبد الكبير

١-١) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١: ٢٥٦.

١-٢) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١: ٢٥٧.

المعروف المتوكل بمكّه المشرفه، و له عقب موجود إلى الآن بمكّه المشرفه (١).

وفاه السلطان خوش قدم:

و فى سنه ثنتين و سبعين و ثمانمائه: توفى السلطان خوش قدم، و استقرّ فى السلطنه بعده بلباتى، ثم خلع فى سنته، و وليها بعده أبو سعيد تمرباغا، و هو من عبيد السلطان جقمق (٢).

و فى هذه السنه: خلع الأمير التمرباغا (٣)، و كان أمير الامراء و المعظم فيهم (٤) السلطان قايتباى، فتولّى السلطنه بعد خلعه، فبعد تسلطن أكرم تمرباغا، و اعتذر إليه، و أرسله إلى دمياط، و ولى السلطنه السلطان الأشرف قايتباى فى سنه اثنتين و سبعين و ثمانمائه (٥).

إرسال السلطان قايتباى بخلع لشريف مكّه:

و فى هذه السنه: أرسل السلطان قايتباى إلى الشريف محمّد بن بركات صاحب الترجمة بخلع التأييد، و كذلك أرسل بخلعه إلى القاضى بمكّه المشرفه برهان الدين إبراهيم بن على بن ظهيره، و أرسل يأمر برفع المكوس بمكّه و إبطالها، و أمر أن ينقر ذلك باسطوانه من أساطين الحرم الشريف (٦).

ص: ٨٥

١- (١) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١: ٢٥٨.

٢- (٢) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١: ٢٦٩.

٣- (٣) فى الاتحاف: تمريغا.

٤- (٤) فى «ن»: منهم.

٥- (٥) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١: ٢٣٩.

٦- (٦) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١: ٢٧٠.

وقعه زبيد:

و فى سنه ثلاث و سبعين و ثمانمائه: صار حرب بين الشريف محمّد بن بركات و بين زبيد، و هم قبيله من عرب الشام منازلهم بين خليص و رابغ، فقتل شيخهم ابن رومى و أخاه و نحو سبعين رجلا منهم، و غنم منهم مغنما جزيلا (١).

بناء مسجد الخيف:

و فى سنه أربع و سبعين و ثمانمائه: أمر السلطان قايتباى ببناء مسجد الخيف، فبنى بناء محكما، و جعل فى وسط المسجد قبه عظيمه واسع، و بنى إلى جانب القبه مأذنه، و عند باب المسجد اخرى، و بنى دارا إلى جانب المسجد يسكنه أمير الحاج، و جعل للمسجد ثلاثه أبواب موجوده إلى الآن (٢).

بناء مسجد النمره:

و فى هذه السنه: عمّر مسجد نمره، و جدّد أعلام الحلّ من جهه عرفه، و بيّض مسجد مزدلفه، و نظّف عين عرفه، و عمّرها من جبل الرحمه إلى وادى نعمان، فجرى الماء، و كانت قد انقطعت هذه العين منذ مائه و خمسين سنه.

منع الحاج العراقى:

و فى سنه سبع و سبعين و ثمانمائه: منع أمير الحاج المصرى حاج العراق، و خرج هو و الشريف محمّد بن بركات و أحاطوا بالحاج العراقى، و أخذوا أميره، و أخذوا المحمل، و لم يدخل مكّه محمل من العراق بعد ذلك (٣).

ص: ٨٤

١-١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٢٩٠، و اتحاف فضلاء الزمن ١:٢٧٢.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٤.

٣-٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٢٩٠، و إتحاف فضلاء الزمن ١:٢٧٤.

و فى هذه السنه: وصل أمر من السلطان قايتباى بطلب صاحب الترجمة الشريف محمّد بن بركات، والقاضى إبراهيم بن ظهيره، فتوجه القاضى إبراهيم و أرسل الشريف محمّد ولده الشريف بركات.

بناء سقف الكعبه:

و فى سنه إحدى و ثمانين و ثمانمائه: عمّر السلطان قايتباى سقف الكعبه و رخمه (١).

ورود محمل العراقى:

و فى هذه السنه: ورد محمل العراق، و بذل لصاحب مكّه أموالا و لم يدخل (٢).

بناء مدارس بمكّه:

و فى سنه ثنتين و ثمانين و ثمانمائه: أرسل السلطان قايتباى و كيله شمس الدين محمّد بن عمر ليحصل له موضعا مشرفا على الحرم، يبنى فيه مدرسه يدرّس فيها أئمّه المذاهب الأربعة، و رباطا يسكنه الفقراء، و يعمر لهم ربوعا و مسقّفات و بيوتا يحصل منها ريع (٣) يصرف على المدرّسين، و على ربهه تقرأ كلّ يوم يحضرها العلماء و الفقراء، و مكتبا للأيتام، فاستبدل له بعض رباطات.

و اشترى له دار الشريفه شمسيه، و جعل الجميع مدرسه و رباطا كبيرا مشتملا على خلاوى كثيره، و مكتبا للأيتام، و مجمعا لوضع الكتب، و أرسل خزانه كتب إليه و وضعت فى ذلك المجمع.

ص: ٨٧

١-١) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ٢٧٤:١.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٢٩٠:٤.

٣-٣) الريع: النماء و الزياده، و أرض مريعه، أى: مخصبه.

وقد ذهب الآن غالب تلك الكتب لسوء سيره النظّار فيها، و منعهم إياها مدّه، و الآن قد انتقل النظر فيها إلى الشيخ الأجلّ المعتمد المؤتمن شيخنا الشيخ تاج الدين الدهان، فسببه حصل الانتفاع بها للطلبه.

و رتب السلطان قايتباي لسكان الرباط من القمح ما يكفيهم في كلّ سنه، و جعل للمدرّسين مبلغا كبيرا، و أوقف لتحصيل ذلك المبلغ أوقافا كثيره بمصر، و هذا الرباط باق بمكّه إلى الآن، و هو من أعمار الربط و أشرحها، لكن تلك المقرّرات قد ذهبت و لم يبق منها غير نزر قليل. و أما المدرسه، فصارت في هذا الزمن مسكنا لأمير الحاجّ المصري في الموسم (١).

غزوه جازان:

و في هذه السنه: غزى الشريف محمّد بن بركات جازان، و هي بلده من بلد اليمن، و نهبها و أحرق حصنها، و قتل عدّه من رجالها، و غنم مغنما جزيلا (٢).

تغسيل داخل البيت:

و في سنه أربع و ثمانين و ثمانمائه: وصل مرسوم من السلطان قايتباي يتضمّن أنّه رأى رؤيا، فعبرها له بعض العلماء بأن يغسل البيت الشريف من داخله و يطيبه، ففعل الشريف ذلك هو و أكابر العلماء، و فاتح البيت الشريف الشيخ عمر بن راجح الشيبى، و طيبت ظاهرا و باطنا (٣).

ص: ٨٨

١-١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٥، و إتحاف فضلاء الزمن ١:٢٧٥-٢٧٧.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٢٩١.

٣-٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٦.

حجّ السلطان قايتباي:

و في هذه السنه: حجّ السلطان قايتباي، فخرج شريف مكّه و القضاء إلى ملاقاته إلى بدر، فتوجّه إلى المدينة و زار قبر النبي صلّى الله عليه و آله، ثمّ توجه منها إلى مكّه المشرفه و معه شيخ الإسلام إبراهيم بن ظهيره، و هو المعلّم له الأدعيه في المآثر.

و لما وصل إلى باب السّلام الأقصى طلع بفرسه (1) منه، فحفل به الفرس، فسقطت عمامته، و بقي مكشوف الرأس ساعه، و كان ذلك تأديبا له حيث لم ينزل قبل ذلك و يدخل محرما متواضعا.

و طاف بالبيت الشريف و الرئيس يدعو له على زمزم، و الناس محيطون بالمطاف يشاهدونه و يدعون له، إلى أن أتمّ طوافه و سعيه (2) و حجّ، و عاد إلى ملكه في أسرّ حال، و لم يتغيّر شيء من أحوال الدوله، قاله صاحب لسان الزمان (3).

و قد أطل أهل التواريخ كيفيه حجّ السلطان قايتباي، فراجع ذلك في تواريخ مكّه تجده مفصّلا (4).

وصول المرسوم من السلطان قايتباي:

و في سنه خمس و ثمانين و ثمانمائه: وصل مرسوم من السلطان قايتباي إلى الشريف محمّد بن بركات بالإنعام عليه بجميع العشر اليماني، و كان السلطان

ص: ٨٩

١- ١) في «ن»: بقرب.

٢- ٢) في «ن»: و سعى.

٣- ٣) لسان الزمان لابن عقيله-مخطوط.

٤- ٤) راجع: سمط النجوم العوالي ٥٦: ٤-٥٨ و ص ٢٩١.

قايتباى قد أخذ نصف العشر منه مدّه ثمّ أعاده إليه (١).

وقوع الحريق بالمسجد النبوي:

و فى سنه ستّ و ثمانين و ثمانمائه: كان الحريق الكبير المهيل بالمسجد النبوي، و ذلك فى ثلث الليل الأخير من ليله الاثنين ثالث عشر رمضان، فعرض ذلك إلى السلطان قايتباى، فندب لعمارتة و هيّا المؤونه العظيمه، و عمّره أحسن عماره، و تمّ ذلك فى عام ثمان و ثمانين و ثمانمائه.

و عمّر أيضا بالمدينه المنوره مثل ما عمّر بمكّه من مدرسه و رباط، و أوقف عليهما أوقافا كثيره، و جعل كتبا عظيمه و مصاحف (٢).

وفاه السلطان محمّد فاتح القسطنطينيه

و فى هذه السنه: توفى السلطان محمّد بن مراد خان فاتح القسطنطينيه العظمى، و استقرّ عوضه ابنه السلطان بايزيد.

ظهور السلطان الشاه إسماعيل الصفوى:

و فى سنه ثمان و ثمانين و ثمانمائه: كان ظهور الشاه إسماعيل (٣) بن حيدر الصفوى بأرض العجم، و دعى إلى التشيع، و حكى عنه حكايه لطيفه، و هو أنّه كان فى ابتداء ظهوره يكسر فى الحروب كثيرا.

ص: ٩٠

١- (١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٢٩٠.

٢- (٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٢٩٠.

٣- (٣) له ترجمه مبسوطه فى المعاجم الرجاليه الفارسيه، و ذكر تفصيل ظهوره و استقلاله بالملك و السلطنه، العلامه السيّد أحمد كياء الكيلانى فى أوّل كتابه سراج الأنساب، المطبوع بتحقيقى.

فاتفق أن مرّ في حال انكساره بإمرأه و هو متنكر، فأضافته هو و من معه، و قدّمت لهم طعاما حارّا في صحفه، فشرع الشاه إسماعيل من وسط القصعه و هي حارّه و المرأه تنظر إليه، فقالت: ما أشبهتك يا هذا الرجل (١) إلا بشاه إسماعيل الذي ظهر الآن، فإنّه يريد أن يقصد محلّ الشوكه و وسط الدوله و القوّه فيأخذه و ذلك خطأ، فينبغي له أن يأخذ أطراف البلاد ليبرد الوسط ثمّ يهجم، فأنت كل من الأطراف حتّى يبرد الوسط ثمّ كل منه.

فتبته من قولها و عمل بإشارتها، فصار له ما صار، و قد ملك هذا الشاه إسماعيل جميع إقليم العجم، و بواسطته انتشر التشيع و ظهر إلى الآن، و ملوك العجم من ذريته إلى وقتنا هذا.

وفاه السلطان قايتباي:

و في سنه إحدى و تسعمائه: توفّي السلطان قايتباي الجركسي، و كان ملكا جليلا عظيما، و أيامه حسنه من حسنات الزمان، و كانت مدّه ملكه ثلاثين سنه إلا ثلاثه أشهر، و ولي السلطنه بعده ابن الناصر و اسمه محمّد بن قايتباي (٢).

وفاه الشريف محمّد بن بركات:

و في سنه ثلاث و تسعمائه: توفّي الشريف محمّد بن بركات صاحب الترجمه، رحمه الله تعالى، و ولي شرافه مكّه المعظمه بعده ابنه الأعظم الشريف بركات بن محمّد بن بركات (٣)، و ستأتي ترجمته بعد هذه الترجمه بلا فصل.

ص: ٩١

١- ١) في «ن»: أيها الرجل.

٢- ٢) راجع: سمط النجوم العوالي ٤: ٥٩، و إتحاف فضلاء الزمن ١: ٢٨٨.

٣- ٣) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١: ٢٨٩.

و أقول: هذا ما تهيأ لي جمعه من حوادث الزمان، و ذكر أخبار ملوك مصر و بعض الأعيان، و نقل ما عثرت عليه من آثارهم و فياتهم، مع مزيد الاعتناء في جمع جميل صفاتهم، و ما ذاك إلا لارتباطهم بأحوال مكة المعظمه، و جريان أحكامهم على من تحلى بعقود شرافتها المنظمه، و لا يخفى ما في أثناء ذلك من فوائد ستيه المقدار، كانت متفرقه في كتب التواريخ و الأخبار، لا يمكن جمعها إلا بعد الجهد الجهد، و النظر السديد.

و مزجت تلك الحوادث المصريه، بما هو مستحسن عند ذوى الأنظار العليه، من ظهور ملك، أو فتح مملكه، أو وفاه عالم، أو حكاية لطيفه، أو غير ذلك مما يقاربه أو يدانيه، فكن بجميع ذلك ظنين، و وضعه من زوايا فكرك بحصن حصين، و ما توفيقى إلا بالله، إنه نعم المعين.

ترجمه السيد الشريف بركات بن محمد بن بركات بن

اشاره

حسن بن عجلان بن رميئه

قال أحمد في الوسيه: كانت ولاده الشريف بركات في سنه إحدى و ستين (١) و ثمانمائه في ربيع الأول بمكة المشرفه، و امه عمره بنت محمد بن على بن أحمد ابن ثقبه بن رميئه بن أبى ندى بن أبى سعد. دخل القاهره في سنه ثمان و سبعين و معه قاضى القضاء إبراهيم بن ظهيره، فأكرم السلطان و من دونه موردهما، و أشركه مع أبيه، و رجع متزايد العز، و استمر بتزائد في الترقى، حتى صار مرجعا في حل الامور و حل المشكلات و دفع العدو (٢).

ص: ٩٢

١- ١) في «ن»: و تسعين، و هو غلط.

٢- ٢) و سيه المال لأحمد بن باكثير الحضرمى ص ٥٢ مخطوط. و راجع: سمط

و قال العلامه عبد القادر الطبرى فى نشآت السلافه بمنشآت الخلافه: و قد ترجم الشريف بركات حافظ عصره الشيخ عبد العزيز بن فهد الهاشمى فى مؤلف عمله له سمّاه غايه المرام بأخبار سلطنه البلد الحرام (١)، و ساق نسبه فى ديباجته، و ختمه باستيفاء أخباره و ما مدح به.

و ملخصه: أنّه سمع الحديث الشريف بالقاهره فى رحلته الاولى عام ثمان و ثمانين (٢) و ثمانمائه على المسند شهاب الدين أحمد الشاوى ثلاثيات صحيح البخارى، و حضر مجلس ختمه و بدئه.

و أجاز له من عدّه من البلدان جمله من المشايخ، منهم: عبد الرحمن بن خليل القابوتى، و أسماء بنت المهرانى، و أم هانىء بنت الهورى، و نشوان الحنبلية، و هاجر المقدسيه، و العلم صالح البلقينى، و السعد ابن الديرى (٣)، و الشهاب الحجازى، و البرهان البقاعى، و قاسم بن الكويك، و الأمين (٤) الأقسرائى، و أبو بكر بن صدقه المناوى، و العزّ الكنانى، و التقى الشمينى، و الجلال ابن الملتن، و اخته صالحه، و البهاء المصرى، و الجلال القمصى، و التقى ابن فهد، و ولداه أبو بكر و عمر، و أخوه عطيه، و عبد الرحيم الأسيوطى، و إبراهيم الزمزمى، و القاضى

ص: ٩٣

١- (١) طبعته جامعه ام القرى معهد البحوث العلميه و إحياء التراث الإسلامى فى ثلاث أجزاء.

٢- (٢) فى الوسيله و السمط: و سبعين.

٣- (٣) فى السمط: الرزى.

٤- (٤) فى السمط: الأمير.

عبد القادر المالكي، و أبو الفضل المرجاني، و أبو الفرج المراغي، و زينب بنت الشويكي، و آسيه بنت جار الله الشيباني، و إبراهيم ابن القاضي عجلون، و أبو ذرّ الحلبي، و أحمد بن الصلف، و أبو السعود العراقي، و أبو نافع الأزهرى، و الخضر ابن المصرى، و التقى القلقشندى، و الشموس الخمسه المشهورون (1)، و الشيخ الفخر السيوطى، و الجمال إمام الكاملية، و المحبّ ابن الشحنة، و يحيى المناوى، و خلق كثيرون.

و خرّج له الشيخ الرحله جار اللّٰه بن عبد العزيز بن فهد عن أربعين شيخا من مشايخه أربعين حديثا فى فضل أهل البيت النبوى، سمّاها غايه الأمانى و المسرّات بعلوّ سند سلطان الحجاز أبى زهير بركات، و ذلك فى سنه ستّ عشره و تسعمائه، و قرأ على الشريف بركات بعضها بمنزله دار السعاده من أول الأربعين التى خرّجها له إلى آخر الحديث الثالث، مع الكلام على الحديث، خلا شرح الحديث الثالث، و أجاز له روايتها عنه، و كتب له بخطّه تحت طبقه قراءتها و سماعها ما صورته:

الحمد لله ما ذكر من القراءه و السماع و الإجازة صحيح فى تاريخه، و كتبه الفقير إلى اللّٰه تعالى بركات بن محمّد بن بركات، عفى الله عنه و عن والديه و عن المسلمين أجمعين.

و كانت القراءه المذكوره فى يوم الأربعاء رابع عشر ذى الحجّه الحرام عام سبع عشره و تسعمائه، و حصل للشريف بركات غبطه عظيمه بتخرّج تلك الأحاديث،

ص: ٩٤

١ - ١) و هم: الأفهسى، و القلوانى، و الزفتاوى، و السخاوى، و السيوطى.

و أكرم بسبب ذلك الشيخ جار الله إكراما عظيما، كما هو شأنه من إكرام العلماء (١).

إنتهى.

أقول: كان هذا السيد من أعظم العلماء الأعلام، الذين أظهدوا قواعد الإسلام، فلقد أحرز من العلوم ما حلّى به معانيه، و شيد مبانيه، خالط العلماء و استفاد منهم، و سمع الحديث و رواه عنهم، هذا مع كونه ملك مكيّ المشرفه، و الرافل في حللها المفوفه، و الناشر من العدل و الأمان ما لم يؤلف من قديم الزمان.

ولى الشرافه بعد وفاه أبيه، و ذلك في يوم الأربعاء لأربع خلون من ربيع الثاني سنه ثلاث و تسعمائه، و استمرّ على الولاية، إلى أن حصلت المنابذه بينه و بين أخويه هزاع و أحمد، و هو المدعوّ بجازان، و كان ذلك في سنه أربع و تسعمائه، ثم وقع الصلح بينهم، و انتفض بحروب جمّه في سنتهم، حتّى عزل الشريف بركات بأخيه هزاع، لمباطنه الأمير قانصوه و أمير المحمل لهزاع المذكور، فهزموا عسكر الشريف بركات، و نهبت خيله، و قاسا من ذلك شدّه عظيمه.

و توجه الشريف بركات إلى جدّه، و أقام بها إلى بعد الحجّ، فعاد لملكه، و فرّ منها هزاع إلى نواحي ينبع، و جمع منها جموعا و عاد لحره من ثانيه في العشر الأوّل من جمادى الثاني عام سبع و تسعمائه، فالتقيا و كسر عسكر الشريف بركات، و توجه إلى نواحي اليمن، و أقام بالليث حتّى مات هزاع في خامس شهر رجب من السنه المذكوره.

ص: ٩٥

١ - ١) و سيله المآل ص ٥٢-٥٥ مخطوط عن نشآت السلافه بمنشآت الخلافه للطبري. راجع: سمط النجوم العوالي ٢٩٤: ٤-٢٩٥ عن غايه المرام لابن فهد ملخصا، كأنه أخذ ما تقدّم نقله من هذا الكتاب، كما لا يخفى على المراجع.

فخلف هزاعا جازان، فقصده الشريف بركات فى شهر شعبان، فخرج جازان إلى جهه الينبع حين سمع بوصول أخيه الشريف بركات، فقدم الشريف بركات إلى مكّه، فجاءت إليه المراسيم و الخلع بالاعتذار إليه فيما صار سابقا من المباطنه لأخويه.

ثم إنّ الشريف بركات توجه مع الحاجّ إلى ينبع؛ لأنّ أخاه جازان نهب الحاجّ الشامى عند خليص، فقاتله مع أهلها لأربع بقين من ذى الحجه الحرام، و كسر بركات مع أمير الحاجّ كسره ثالثه، و نهبوا نهبا شنيعا، و مسك ولده إبراهيم، و قتل مع جماعه من عسكره، ثمّ بها ولده السيد عجلان.

ثمّ لمّا كان أول صفر تجهّز عليه أخوه جازان بعسكر عظيم، و بركات مريض لا يمكنه المحاربه، فتوجّه إلى اليمن، فأقام بها إلى شهر رجب حتّى شفى، فتجهّز على مكّه و التقى بأخيه جازان بأعلى مكّه و تقاتلا، فانكسر بركات رابعه، فتوجّه إلى اليمن، فسبقه جازان بعسكره، فخلفه الشريف بركات فى جملة من خيله و دخل مكّه من طريق اخرى فى غيبه جازان، و ذلك يوم الجمعة حادى عشر رمضان، ففرح به أهلها لظلم أخيه، و بذلوا الهّمه فى مساعدته، و اجتهدوا فى نصرته.

و رجع إليه جازان فى يوم الأربعاء ثالث عشرين رمضان من أسفل مكّه، و حاربه مع أهلها و أتراكها، فهزم جازان و لم يتبعه أحد منهم، و توجه جازان إلى جهه حدّاء (1)، و أقام هو و جماعته فى بئر شميس و هم خائفون، و أرسلوا يطلبون

ص: ٩٤

١- ١) حدّاء: بالفتح ثمّ التشديد و ألف ممدوده، واد فيه حصن و نخل بين مكّه و جدّه و يسمّونه أيضا حدّه.

النجده من أهل ينبع، فجاءهم عسكر كبير (١)، ورحلوا معه (٢) لحرب مكّه مرّه سادسه فى يوم السبت لستّ بقين من شؤال من السنه المذكوره، وجاهها من أعلاها من شعب ذاخر (٣)، و كان الشريف بركات واقفا مع خواصّه خلف خندق عند باب المعلاّه، فانهزم عسكره من غير قتال، و لم يثبت إلّا هو و الأتراك، فنقل عنه فى ذلك اليوم نقول غريبه ممّا تدلّ على شجاعته، و قوّه صولته و عزمه.

فممّا نقل عنه أنّه كان على فرس، يقال لها: الجراده، و هو بيت معروف فى الخيل، و أنّه أقحمها الخندق بمفرده، ففرّ منه الجيش بأجمعه، و هو يضرب بالسيف فيهم حتّى ابعدوا عنه، فذرع بعد ذلك عرض الخندق فكان سبعة أذرع.

ثمّ إنّّه توجه إلى جهه اليمن، و دخل جازان و أصحابه مكّه، و أهانوا أهلها لمساعدتهم الشريف بركات، فلم يستمرّوا قليلا إلّا و قد وصلت تجريده من مصر، فخرج جازان هاربا، و عاد الشريف بركات إلى مكّه لسبع بقين من ذى القعدة، و توجه لملاقاه مقدّم التجريده المقرّ الأشرف قيت الرحبى، فواجهه بالإكرام و الطاعه، و خلع عليه، و دخل معه بإخوانه و عسكره، حتّى وصلوا مدرسه الأشرف قايتباى، فقبض على الشريف بركات، و وضعه فى الحديد مع بعض إخوانه و جماعته، و انهزم الباقون، و حجّ بهم الأمير، ثمّ بعد ذلك سار بهم إلى مصر، و مرّ بهم على (٤) ينبع، و اتّفق مع أهلها على توليه جازان بمال سلّم له.

ص: ٩٧

١-١ فى «ن»: عظيم.

٢-٢ فى «د»: معهم.

٣-٣ فى السمط: أذاخر.

٤-٤ فى «ن»: إلى.

فلما دخل بهم إلى مصر على هذه الصفه أنكر عليه الناس، و ما هان ذلك على الغورى و تعب من ترك مكّه فى أيدى العصاه، و فى ذلك يقول أبو الطيّب أحمد بن حسين العليف المكى قصيدته الكافيه يسلى بها الشريف بركات، و يحثه على الصبر، و مطلع القصيده:

عزيز على بيت النبوه و الملك مقام على ذلّ المهانه و الفتك

و أعظم ما يلقى الكريم من الأسى (١) على النفس ما يلقى من الضيم و الضنك

برغم العلا و السيف و المجد و الندى حصلت أبا عجلان فى قبضه الترك

و هى من غرر القصائد، و درر القلائد، و لو ظفرت بها حال الكتابه لأثبتها (٢)، لا كما قال صاحب الوسيله: فلا نحتاج نطيل الكلام بذكرها. و هو يطيل الكلام فى بعض الأحيان بما لا فائده فيه، فكيف بهذه القصيده الغراء.

ثم إن الغورى أطلق الشريف بركات من الأغلال التى كان بها، و أكرم نزله هو و جماعته، و رتب لهم الكفايه، و صار يتردد الشريف بركات على الغورى و أعيان مملكته، ثم فرّ بعد ذلك إلى مكّه المشرفه، و ذلك فى أواخر سنه تسع و تسعمائه، فظفر فى طريقه بقاصد أعدائه (٣) متوجّها إلى السلطان، و هو السيد بطاح الحسنى، فقتله، و حاز ما معه من الأموال و الهدايا.

و فى غيبته فتك الأتراك المقيمون بمكّه بأخيه الشريف جازان، و قتلوه فى المطاف ضحى يوم الجمعة عاشر رجب من السنه المذكوره، و ولّوا أخاه السيد

ص: ٩٨

١-١) فى السمط: الأذى.

٢-٢) و هى بكاملها موجوده فى السمط النجوم العوالى ٣٠٠:٢-٣٠١، فراجع.

٣-٣) فى «ن»: فظفر بأعدائه.

حميضة، فحج بالناس في ذلك العام.

و في رجوعه هذا قصد زياره جدّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَتَوَجَّهَ إِلَى جِهَةِ الشَّرْقِ، وَتَزَوَّجَ عَلَى الشَّرِيفَةِ غَبِيَّةَ (١) بِنْتِ حَمِيدَانَ بْنِ شَامَانَ الْحُسَيْنِيِّ، فَحَمَلَتْ مِنْهُ بِالسَّيِّدِ الشَّرِيفِ أَبِي نَمِي الْآتِي ذَكَرَهُ.

ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَيْهِ السُّلْطَانُ تَوَجُّهًا تَامًّا، وَارْسَلَ إِلَيْهِ بِتَفْوِيضِ الْحِجَازِ، فَقَدَّمَ أَخَاهُ السَّيِّدَ قَايْتَبَايَ فِي وِلَايَةِ مَكَّةَ الْمَشْرِفَةِ، وَاشْرَكَ مَعَهُ وَلَدَهُ الشَّرِيفَ عَلِيَّ بْنَ بَرَكَاتٍ، وَكَانَ كُلُّ مِنْهُمَا يَخْتَلِعُ، وَيُنْفِرُ عَنْهُمَا الشَّرِيفُ بِبَرَكَاتٍ بِالِدَعَاءِ فِي الْخُطْبَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ قَايْتَبَايَ مَوَدَّةٌ وَصِدَاقَةٌ، وَدَامَتْ إِلَى أَنْ مَاتَ السَّيِّدُ قَايْتَبَايَ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ لَتَسْعَ بَقِيْنَ مِنْ صَفَرِ عَامِ ثَمَانِيَةِ عَشْرٍ وَتِسْعِمَائِهِ، وَدُفِنَ بِالْمَعْلَاهِ.

و بَعْدَ وَفَاةِ الشَّرِيفِ قَايْتَبَايَ ارْسَلَ الشَّرِيفُ بَرَكَاتٍ وَلَدَهُ أَبَا نَمِيٍّ إِلَى مِصْرَ، وَصَحْبَتَهُ السَّيِّدَةَ عَرَارَ بْنَ عَجَلٍ، وَفِي خِدْمَتِهِ الْقَاضِيَّ صِلَاحَ الدِّينِ بْنِ ظَهِيرِ الشَّافِعِيِّ، وَالْقَاضِيَّ نَجْمَ الدِّينِ بْنِ يَعْقُوبَ الْمَالِكِيِّ، وَعَمَرَ السَّيِّدَ أَبِي نَمِيٍّ إِذْ ذَاكَ ثَمَانِ سِنَوَاتٍ.

و حَكَى عَنْهُ أَنَّ السُّلْطَانَ وَضَعَهُ فِي حَجْرِهِ، وَ قَالَ لَهُ: مَا سَوْرَتُكَ؟ فَأَجَابَهُ وَ قَالَ:

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مَبِينًا، فَأَعْجَبَ الْغُورَى ذَلِكَ وَ تَفَاءَلَ بِهِ، وَ اشْرَكَهُ مَعَ وَالِدِهِ فِي نِصْفِ وِلَايَةِ مَكَّةَ، فَصَارَ يَخْطُبُ لَهُ مَعَ أَبِيهِ عَلِيَّ الْمَنَابِرَ فِي الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، لَخَّصَتْ ذَلِكَ بِأَجْمَعِهِ مِنْ وَسِيلَةِ الْمَالِ، وَ غَيْرِهَا مِنْ كُتُبِ التَّأْرِيخِ (٢).

ص: ٩٩

١- ١) في «ن»: عيشته، و هو غلط.

٢- ٢) راجع: وسيله المال ص ٥٥-٦٣ و السمط النجوم العوالي ٢٩٥: ٤-٣٠٢.

قال صاحب الوسيه: و كان الشريف بركات بليغا مصقعا، له النظم الرائق، و النثر الفائق، فمن نظمه قوله فى الغورى فى سفرته الثانىه إلى مصر عام تسع و تسعمائه، و هو:

هلمّوا معى نحو الفلاح (١) و سارعوا إلى جامع للذكر و الحسن جامع

تأسس مبناه (٢) على الخير و التقى أ لست تراه بالمحاسن ساطع

أيا قانصوه اسمع بحقك قصّتى فإنى لشرح الحال نحوك رافع

بليت بجور من زمان أمّضىنى و مالى و لا فى الناس غيرك نافع

و حقك ما أفنيت مالى و مهجتى سوى فى رضا (٣) السلطان و الله سامع

فإن يك قد أرضاك ما قد لقيته فإنى به راض بلى ثم قانع

ولى اسوه فى الناس بالساده الالى لكم بذلوا ارواحهم ثم بايعوا

و أرسل الغورى موشحا، و سأل من الشريف بركات أن يعارضه بهذا، و مطلعته:

يا غزالا بلحظه (٤) ينشى نشأه الأكواس

فقال الشريف بركات على وزنه و رويّه، و هو هذا:

أكتم السرّ فيك (٥) لا تفشى بالرشا الألعس

فهو يزرى بالغصون إذ يمشى فى الرداء السندس

ص: ١٠٠

١-١ فى السمط: الصلاح.

٢-٢ فى الوسيه و السمط: بنياه.

٣-٣ فى السمط: سوى لرضا.

٤-٤ فى الوسيه: لحاظه.

٥-٥ فى السمط: ويك.

ما على العتب (١) في الهوى عار إن تمادى الكمد

إن لي في الغرام أوطار و اصطبارى نغد

و اللواحي في لومهم جاروا و أنا ابدى الجلد

ربّ يا ذا الجلال و العرش كن به مؤنسى

و بوصل (٢) الحبيب فى الفراش جد و لا تحبسى

يا غزالا بوصله ندرك (٣) كلّ ما يستطاب

غائتى فى الغرام (٤) من أمرك أئننى مستراب

جد لمن فى هواك لا يشرك زينا و الرباب

لم أزل فى وصاله أرشى كى يجىء مجلسى

هل لهذا القتل من أرش يا منى الأنفس (٥)

و توفى الشريف بركات بن محمّد صاحب الترجمة ليله الأربعاء، كما ذكره صاحب الوسيله و غيره (٦)، لستّ بقين من ذى القعدة الحرام سنه إحدى و ثلاثين و تسعمائه بمكّه المشرفه على فراشه، ثمّ صلّى عليه ضحى يوم الأربعاء بالمسجد

ص: ١٠١

١-١) فى السمط: الصبّ.

٢-٢) فى «د»: و بوصول.

٣-٣) فى السمط: تدرك.

٤-٤) فى الوسيله: المرام.

٥-٥) وسيله المآل ص ٦٣-٦٤، و راجع: السمط النجوم العوالى ٣٠٤-٤:٣٠٥.

٦-٦) السمط النجوم العوالى ٣٠٥:٤.

الحرام، و طيف به حول الكعبه اسبوعا كعاده أسلافه (١) ولاسه مكّه، و دفن بالمعلاّ، و بنى عليه بها قبه عظيمه، و هي موجوده إلى الآن.

و كانت مدّه ولايته مشاركا لأبيه و ولده و إخوته نحو ثلاث و خمسين سنه، و مات و عمره أحد و سبعون سنه.

و كان له من الأولاد: ثقبه، و أبو القاسم، و حازم، و واصل، و سند، و على، و أبو نمى، رحمه الله تعالى (٢).

فصل

إشاره

فى الحوادث الواقعه فى دولته

نذكر فيه جانبا من الحوادث من أول دولته إلى حين وفاته على المنسق المتقدم، و فى ذلك فوائد جمّه، و امور مهمّه، فأول ولايته كانت سنه ثلاث و تسعمائه.

قتل السلطان ناصر:

ففى أربع و تسعمائه: قتل سلطان مصر الناصر بن قايتباى، و ولى السلطنه بعده خاله الملك الظاهر قانصوه (٣).

ص: ١٠٢

(١ - ١) فى «ن»: سلفه.

(٢ - ٢) ذكره السخاوى فى كتابه الضوء اللامع ٣: ١٤ برقم: ٥٥، و ابن شدقم فى تحفه الأزهار ١: ٥٠٢ - ٥٠٧، و العصامى فى سمط النجوم العوالى ٤: ٢٩٣ - ٣٠٥، و إتحاف فضلاء الزمن ١: ٢٩٠، و زينى دحلان فى تاريخ الدول الإسلاميه بالجداول المرضيه ص ١٤٩، و غيرهم.

(٣ - ٣) راجع: السمط النجوم العوالى ٤: ٦٠، و إتحاف فضلاء الزمن ١: ٢٩٠.

خلع السلطان قانصوه:

و فى سنة خمس و تسعمائه:خلع السلطان قانصوه،و كانت مدّته سنه و سبعة أشهر،و ولى السلطنه جان بلاط،و لقب بالملك الأشرف (١).

خلع السلطان جان بلاط:

و فى سنة ستّ و تسعمائه:خلع السلطان جان بلاط،و ولى مكانه طومان بيك، و فى يوم ولايته خلع و قتل،فما أقدم أحد على السلطنه،و صار الأمر يشير بعضهم على بعض،ثمّ أجمعوا على توليه السلطان قانصوه الغورى،و ذلك لظنّهم أنّه سهل المآخذ،قريب التناول،أى وقت أرادوا إزالته أزالوه،ثمّ ظهر منه خلاف ذلك من الحزم و العزم و الفتك بهم (٢).

القبض على القاضى ابن ظهيره:

و فى سنة سبع و تسعمائه:قبض الشريف بركات على القاضى أبى السعود بن ظهيره قاضى مكّه المشرفه.

و سببه:أنّه كان مباطنا لجازان فى ولايته مكّه المشرفه،و كتب أبو السعود إلى جازان يستحثّه و يعده بالإعانه على بركات،فظفر الشريف بركات بكتابه،و قبض عليه فى سابع رمضان،و أرسله إلى جزيره القنفذه و أمر بتفريقه.

ظهور دعوه إمام اليمن يحيى الحسينى:

و فى سنة اثنى عشر و تسعمائه:كان ابتداء ظهور دعوه الإمام الورع شرف الدين يحيى بن شمس الدين ابن الإمام المهدي أحمد بن يحيى الحسينى.

ص:١٠٣

١-١) راجع:السمط النجوم العوالى ٤:٦٠،و إتحاف فضلاء الزمن ١:٢٩١.

٢-٢) راجع:السمط النجوم العوالى ٤:٦٠-٤١.

قال صاحب لسان الزمان: وكان ظهوره بوجهه صنعاء، ولم تساعد في ذلك الوقت لقوة الشوكه في اليمن، إلى أن قوى شأنه، واشتدّت شوكته فأخذ صنعاء.

قتل مالك شيخ قبيله زييد:

و في سنة ثلاث عشره و تسعمائه: وقع حرب بين الشريف بركات و مالك بن رومي الزبيدي شيخ قبيله زييد من حرب، فقتل مالك و أخوه و طائفه كبيره منهم (١).

تعمير عين حنين و سور جدّه:

و في سنة ستّ عشره و تسعمائه: عمّر السلطان الغوري عين حنين، و أمر بترخيم المطاف.

و في سنة سبع عشره و تسعمائه: أرسل الغوري أحد امرائه لعمار سور بجده، و كانت العرب أيام الفتن تهجم على جدّه فتنهبها، و كان هذا الأمير ظلوما غشوما فتأكا، و اسمه حسين الكردي، بنى هذا السور بالعنف و الشدّه (٢)، و استخدم فيه عامّه أهل جدّه و خاصّتهم، و هدم كثيرا من بيوت الناس، و بنى بها السور بأقلّ من عام (٣)، هكذا ذكر صاحب لسان الزمان.

و ذكر أيضا أنّ الغوري أمر هذا الأمير حسين أن يتوجه إلى بحر الهند لدفع الأفرنج، فإنهم أضروا ببندر الهند، و استطرقوا إلى جزيره العرب و بنادر اليمن، فتجهّز إليهم حسين هذا في خمسين غرابا مشحونه بالمغاربه و اللوند، فقطع بحر

ص: ١٠٤

١-١) راجع: السمط النجوم العوالي ٤:٣١٧.

٢-٢) في «ن»: و الشرّ.

٣-٣) راجع: السمط النجوم العوالي ٤:٦٤-٦٥.

الهند و ارتفع الأفرنج، فدخل الأمير حسين إلى أرض الهند، فاجتمع بسطانها السلطان خليل شاه فأكرمه، و دخل في طريقه اليمن، فأخذها من أيدي ملوكه بنى ظاهر.

وفاه السلطان بايزيد:

و في سنة ثمانية عشر و تسعمائه: توفي السلطان بايزيد بن السلطان محمد خان العثماني، و استقر في السلطنة بعده ابنه السلطان سليم خان (١).

خروج السلطان سليم إلى قتال أخيه:

و في سنة تسعة عشر و تسعمائه: خرج السلطان سليم إلى قتال أخيه أحمد، فكسره و أخذه أسيراً، فأتى به و أمر بخنقه، و تطلبه أخوه السلطان فرقد، فجىء به فأمر بقتله و قتل جماعه من أقاربه و أبناء عمه (٢).

حج بعض نساء الغوري:

و في سنة عشرين و تسعمائه: حج بعض نساء الغوري و ولده الناصر محمد، و صحبتهم كاتم السر محمود، فأكرمهم الشريف بركات، و قام بهم أحسن قيام، و طلبوا منه السفر معهم إلى القاهرة، و دخلها مره ثالثة، فأنعم عليه الغوري بخلعه ستيه، و إكرامات مرضيه، لم يسبق إلى مثلها، و لم يشاركه أحد في فضلها، و هنأ الشعراء بذلك، منهم العليف المشهور بقصيدته القافية (٣)، و الفاضله الأديبه سقيفه (٤).

ص: ١٠٥

١-١) راجع: السمط النجوم العوالي ٤:٣٢١، و إتحاف فضلاء الزمن ١:٣٣٨.

١-٢) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١:٣٣٨.

١-٣) ذكرها بتمامها الطبري في إتحاف فضلاء الزمن ١:٣٤٠-٣٤٤.

١-٤) في «ن»: سبيته.

بنت القاضي جمال الدين محمد بن سيرين القاهريه، و ذكرت الإنعامات التي تفرّد بها الشريف بركات في قصيده داليه (١) [مطلعها:](#)

قفوا و اسمعوا قولاً صحيحاً له سند عن الأشرف الغوري ما عنه يعتمد

و ما نال مولانا الشريف من العطا ثمانيه ما نالها قبله أحد

ثم عدّدت الثمانيه في القصيده، و هي طويله مشهوره، فلا نطوّل بذكرها الكتاب، قاله صاحب الوسيله (٢).

توجه السلطان سليم لقتال الشاه إسماعيل الصفوي:

و في سنه إحدى و عشرين و تسعمائه: توجه السلطان سليم لقتال (٣) الشاه إسماعيل الصفوي، و كان الشاه إسماعيل قد اتّسع ملكه، و قوى أمره، و أظهر مذهب التشيع في أرض العجم، و كانت لعاقته فيه اعتقاد كبير و غلوّ (٤)، و قتل امما كثيره ممّن عانده.

فتوجه السلطان سليم إلى قتاله، فالتقيا بمحلّ قريب من تبريز، فانكسر الشاه إسماعيل، فرجع و تحصّن بالجبال، و أمر بحرق الأتوات، فاشتدّ الغلاء بالسلطان سليم و من معه من العساكر.

و كان السلطان سليم قد طلب قوافل من الأتوات أن تلحقه من جهه مصر، فلم

ص: ١٠٦

١- ١) ذكرها بتمامها الطبري في إتحاف فضلاء الزمن ٣٤٤-١: ٣٤٦.

٢- ٢) وسيله المال ص ٦٢-٦٣، و راجع: السمط النجوم العوالي ٣٢٨-٤: ٣٢٩، و إتحاف فضلاء الزمن ٣٣٩: ١-٣٤٠.

٣- ٣) في «ن»: لقتل.

٤- ٤) في «ن»: و علوّ.

تأتيه، فاشتد الغلاء بهم، فرجع إلى بلاده، و كان قصده الاستيلاء على ملك العجم، فلم يمكنه لشده الغلاء، و سأل عن سبب تخلف القوافل، فآخبر أن الغوري بينه و بين الشاه إسماعيل مؤده و مواصله، فحقد على الغوري، و عزم على أخذ مصر منه، و إزاله دوله الشراكسه، قاله صاحب لسان الزمان دام بقاءه.

وقائع السلطان سليم:

ثم قال: و في سنه ثنتين و عشرين و تسعمائه: توجه السلطان سليم إلى قتال الغوري سلطان مصر، فالتقوا ببير دابق (١)، فجرى القتال بينهم، فكسرت عساكر الغوري، و فقد الغوري تحت المعركه (٢)، إنتهى كلامه.

و في سنه ثلاث و عشرين و تسعمائه: أمر السلطان سليم بالدعاء له في الخطبه، و ضرب السكّه باسمه بمصر.

و في هذه السنه: أرسل السلطان سليم مرسوما بولايه مكّه المشرفه للشريف بركات و ابنه أبي نمى، فأطاعاه (٣).

و في هذه السنه: توجه الشريف أبو نمى بن الشريف بركات إلى السلطان سليم بمصر، فاجتمع به و قرره هو و والده في شرافه مكّه.

و في هذه السنه: أرسل السلطان سليم محملا و كسوه للكعبه و صرّا لأهل مكّه (٤).

ص: ١٠٧

١-١) في السمط: بمرج دابق.

٢-٢) راجع: السمط النجوم العوالي ٤:٣٢٩.

٣-٣) راجع: السمط النجوم العوالي ٤:٣٢٩-٤:٣٣٠.

٤-٤) راجع: السمط النجوم العوالي ٤:٣٣٠.

و فى هذه السنه:ورد أمر من السلطان سليم بقتل الأمير حسين الكردي أمير جدّه،و كان قد عاد من اليمن إلى مكّه،و قد انقرضت دوله الشركسه،فقتيد و جعل فى رجله حجر كبير،و اغرق فى بحر جدّه.

و فى سنه ستّ و عشرين و تسعمائه:توفى السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان،و استقرّ بعده فى السلطنه ولده السلطان سليمان بن السلطان سليم خان.

وفاه الشريف بركات بن محمّد الحسنى:

و فى سنه إحدى و ثلاثين و تسعمائه:توفى صاحب الترجمه الشريف بركات ابن محمّد صاحب مكّه المشرفه (1)،كما تقدّم. و هذا آخر ترجمته و الكلام فيها،فرحمه الله تعالى،و رحم آباءه الكرام،و الله أعلم.

فصل: نذكر فيه

اشاره

ترجمه السيد الشريف أبى ندى بن بركات بن محمّد بن بركات بن حسن بن عجلان بن رميئه صاحب مكّه المشرفه قد تقدّم لهذا السيد الشريف ذكر فى ترجمه والده رحمه الله تعالى. و كانت ولادته الميمونه ليله تاسع ذى الحجه الحرام سنه إحدى عشره و تسعمائه،و أمه الشريفه الطاهره،و الدرّه الفاخره،الشريفه غيبه (2) بنت السيد حميدان بن شامان الحسينى.

ص: ١٠٨

١-١) راجع:إتحاف فضلاء الزمن ١:٤٠٥.

٢-٢) فى «ن»:عيشه،و هو غلط.

و كان -رحمه الله تعالى، و أفاض عليه شآبيب غفران توالى- من حال من مفيض الكرم و الجود، بإبرازه إلى (١) عالم الوجود، ذا جدّ و إقبال، و سعد يستخدم به في جميع الأحوال. و كان والده رحمه الله تعالى يضع يده الشريفه على ناصيته، و يقول: لم تنزل الأكرار عليّ متواليه، حتّى ظهرت هذه الناصيه.

قال صاحب لسان الزمان دام وجوده: و في سنه إحدى عشره و تسعمائه ولد للشريف بركات بن محمّد ابنه السيّد الجليل رئيس الساده الحسينين و زعيمهم و مقدّمهم، الشريف أبو نمى بن بركات صاحب السعود و الشهره التامه.

إلى أن قال: و قد أعزّ الله هذا الشريف و أعلاه و رفع شأنه، و جعل له من الذكر و الصيت ما لم يكن لأحد من أسلافه و آباءه (٢). إنتهى.

قال أحمد صاحب الوسيله، و هو الثقة الأمين في كلّ فضيله: و كان يكتنى نجم الدين، شارك أباه في ولايه مكّه المشرفه، و عمره ثمان سنين، بولايه الغورى، و هى آخر ولايه صدرت من الجراكسه سنه ثمان عشره و تسعمائه.

ثمّ أبقاه السلطان سليم خان على مشاركه أبيه سنه ثلاث و عشرين و تسعمائه، و هى أوّل ولايه صدرت من العثمانيه.

ثمّ استقلّ بأعباء السلطنه بعد موت أبيه، و كان استقلاله بها في سنّ عشرين سنه، فوصلت إليه المراسيم السلطانيه السليمانيه الخاقانيه، فخدمت نار الفتن، و ابتهج بمكّه وجه الزمن، و لم يزل متمّعا بمكارم الشيم، متقلّبا في النعم، و قد رزقه الله تعالى الذريه الصالحه، و دانت له رقاب الامم.

ص: ١٠٩

١-١) في «ن»: بإبراز والى.

٢-٢) لسان الزمان لابن عقيله-مخطوط.

ثمّ لَمَّا كان موسم سنه خمس و أربعين و تسعمائه وصل إلى مكّه الباشا سليمان من جهاد الفرنج بالديار الهندية، و عزم إلى الديار الروميه، فأرسل الشريف أبو نمى ولده السيد أحمد صحبه الباشا المذكور لمواجهه السلطان الأعظم سليمان خان بن سليم خان، و فى خدمته السيد عرار بن عجل، و القاضى إبراهيم بن ظهيره، و القاضى تاج الدين المالكى، فدخلوا إلى القاهره.

ثمّ توجهوا منها إلى الديار الروميه فى البر، فوصلوا بالسلامه (١) إلى السلطان المذكور، و اجتمع السيد أحمد بالسلطان سليمان، و جلس على يساره، و قابله بالإكرام، و عامله بالاحترام، و أشركه مع والده فى ولايه مكّه المشرفه، كما هو عاده سلفه، و ذلك فى سنه ستّ و أربعين، و أقام مدّه فى الروم متوعّكا حتّى فاته الحجّ فى ذلك العام، و مات السيد عرار ثمّه بالطاعون.

ثمّ عاد القاهره عام سبع و أربعين، و توجه قاصدا مكّه المشرفه، فلاقاه والده أبو نمى بوادى مرّ، و جعل له سماطا عظيما حضره الأعيان، ثمّ قرأت مراسيمه بمكّه بالعاشر الأوّل من ربيع الأوّل، و لبس الخلعه السلطانيه و طاف بها، و صار يدعى لهما فى المنابر، إلى آخر ما ذكره صاحب الوسيله (٢).

و قال صاحب لسان الزمان: و فى سنه سبع و أربعين و تسعمائه عاد الشريف أحمد بن أبى نمى إلى مكّه المشرفه، و كان يوما مشهودا، و مدحه الشعراء، منهم القاضى الفاضل الشيخ عبد الرحمن باكثر (٣) بقصيده عظيمه، و مطلعها:

ص: ١١٠

١- ١) فى الوسيله بالسلامه و العزّه و الكرامه.

٢- ٢) وسيله المآل للحضرمى ص ٦٦-٦٧ مخطوط.

٣- ٣) فى السمط: الكثيرى.

وفت صبّها بعد الجفا غاده عذرى و مذ لامها قالت لعلّ لنا عذرا

و زارته لكن بعد طول تشوّق إليها و لا لؤم عليها و لا وزرا

و منها:

مهاه فلاه غاده عربيه عقيله حى كالضراغم بل أضرى

و منها:

فيا أبا نمى الملك و الملك الذى يجلّ عن الألقاب و المدح و الأطرا

لقد صدقت فى الكون هاتفه الهنا (١) تفرد فيه بالمسرّه و السرا

بمقدم من انتجته و ادخرته وليا لعهد الملك أعظم به ذخرا

بمقدمه ورق البشائر قد شدت و كلّ فؤاد من بشائره سرا

و قد عمّ أقطار الحجاز قدومه سرورا كما عمّ العراقين مع بصرا

إنتهى صاحب لسان الزمان.

قلت: و الشيخ عبد الرحمن هذا هو الفاضل العلامة الفهامة، وجيه الدين القاضى عبد الرحمن بن عبد الله باكثير والد الشيخ أحمد صاحب الوسيله رحمه الله.

و لقد أطنب ولده فى الوسيله عند ذكر هذه القصيده، فقال: و هى من غرر القصائد التى انتظمت فى سلكها درر المدائح فرائد، اشتملت على الغزل المصنع، الذى بمثله لم يسمع، و على المخالص العجيبه التى لم يسبق إلى مثلها، و كلّ من وقف عليها يشهد بفضلها، إلى آخر كلامه (٢).

و الذى يجب أن يحمل إطنابه هذا على المثل المشهور «كلّ فتاه بأبيها معجبه»

ص: ١١١

١- ١) فى «ن»: الهوى.

٢- ٢) وسيله المآل ص ٦٧ مخطوط.

دفعاً عن أن يعترض عليه فيما سطره و كتبه، من وضع الندا موضع السيف، إذ حكمه المتقدم لا يخلو من حيف، والله أعلم.

ثم قال في الوسيله: واستمر السيد أحمد شريكا لأبيه أبي نمي، إلى أن انتقل إلى رحمه الله تعالى في أثناء شهر رمضان سنة إحدى و ستين و تسعمائه بأرض الشرق، و حمل إلى مكه، و صلى عليه بالمسجد الحرام، و دفن بالمعلاه، و بنى عليه قبه، و هي موجوده إلى الآن (١). إنتهى كلام صاحب الوسيله.

قلت: و أعقب الشريف أحمد هذا رحمه الله تعالى عقبا، و هو جدّ الساده ذوى حراز و ذوى منديل الموجودين الآن.

رجع النقل من الوسيله، قال: ثم إن الشريف أبا نمي عرض (٢) إلى السلطنه العثمانيه، و التمس أن يكون ولده الشريف حسن عوض الشريف أحمد، فاجيب إلى ذلك، فشارك الشريف حسن والده في الأوامر، و الدعاء على رؤوس المنابر، حتى تخلى الشريف أبو نمي عن الأمر و فوضه إليه، و عول في جميع مهمّات الملك (٣) عليه، و اختار الشريف أبو نمي الانقطاع في العباده، و الانهماك في مطالعه العلوم و الإفاده.

و ما زال حريصا على اقتطاف ثمره الفضائل، و مجالسه العلماء الأفاضل، ممتحنا بذكائه قرائنهم المجيده، مستخرجا بفهمه كنوز ملائحتهم الحميده، حتى أنهم خدموا جنباه العالی بكلّ تصنيف بديع، و رتعا في رحابه ذات المعالی، و نالوا

ص: ١١٢

١- ١) وسيله المآل ص ٦٧-٦٨ مخطوط.

٢- ٢) في «د»: أعرض.

٣- ٣) في «ن»: المهالك.

ذلك المربع الربيع (١).

و كان من جملة خدامه بذلك،الكاشفين له وجوه عرائس العلوم على تلك الأرائك،عمّ والدى،قاضي القضاة،و شيخ الحرم المكي المنيف،القاضي عبد اللطيف بن عبد الله باكثر صاحب الفضل الشهير،فإنه خدم جنابه،و أمّ رحابه بشرح القصيده الهمزيه المسماه أمّ القرى،و جعل ذلك مقدّمه لاستعطافه،و سببا لإسعاده (٢)و إسعافه.

فإنّ القاضي المذكور لمّا سافر إلى الديار الروميّه،وقد منّصّب القضاء بمكّه البهيّه،و حصل (٣)له من العنايةات (٤)السلطانيّه،ما اشتهر بين البريّه،و شى به بعض الحساد،الساعين في الأرض بالفساد،و نقلوا إلى السيّد الشريف من أباطيل القول ما لم يقع،و ظنّوا أنّ ذلك يجديهم فيما هم بصدده من الطمع،حيث جاء القاضي بعزلهم من مناصبهم،و الحطّ عمّا كانوا عليه من مراتبهم،فاستعطف بهذا التّأليف، خاطره الشريف (٥).

خطبه القاضي عبد اللطيف باكثر:

قلت:لهذا التّأليف خطبه هي في غايه البلاغه،و حسن الصياغه،تشير أكفّ البلغاء بالتعظيم إليها،و يعتمد في تعلّم الأدب عليها،و لا بأس بأن نذكر قطعاً منها،

ص: ١١٣

١- ١) في الوسيله:و نالوا ذلك الخصب المريع.

٢- ٢) في الوسيله:لاشغافه.

٣- ٣) في «ن»:و جعل.

٤- ٤) في «ن»:العنايه.

٥- ٥) وسيله المآل ص ٦٨-٦٩ مخطوط.

و قد أوردھا برمتھا صاحب الوسيله، فأول الخطبه هو هذا:

سلام على آل يس ثمره فؤاد الرسول، المنتخبين من أكرم سلاله، و أفلاذ أكباد البتول، المغتذين بلبان (١) الرساله، و أهله سماء الكمال، المحيط بهم من نور النبوه هاله، و غره محيا الجمال، و طراز حله الجلال.

مغارس طابت في ذرى (٢) المجد فالتقت

على أنبياء الله و الخلفاء

معدن السؤدد و كيما السعاده، و عنصر المجد و تاج مفرق السياده، تتاج فاطمه الزهراء، و عماد الحنيفيه الغراء.

فخار لو أن النجم أعطى مثله ترفع أن ياوى أديم سماء

نور كمام الهدايه اليانع، و نور افق الشريعه الساطع، طره جبهه الدهر، و شامه و جنه الفخر.

بيض الوجوه كريمه أحسابهم شمّ الانوف من الطراز الأول

سلا- ما نصب لهم في أرجاء الخافقين علم المدح، فما برح على ذؤابتهم خافقا، و سمك (٣) لهم على هام السماكين أرفع صرح، فما زال على وفود الجوزاء شاهقا، و صير لهم هاتف السعادتين دائم الصدح، فما فتى بيديع شمائلهم ناطقا، و طيبهم من شد الرياحنتين أعطر نفع، فما دام الوجود إلا من عبيره عابقا.

ص: ١١٤

١-١) في الوسيله: بلسان.

٢-٢) في الوسيله: زبا.

٣-٣) في الوسيله: و أسمك.

هذا هو الفخر المؤيد قد (١) غدا عقدا لجيد مفاخر الأمجاد

فخر سرادق أهله أمسى على هام السماك مطّب الأوتاد

قوم تخال وجوههم إن أسفروا يوم الفخار أهله الأعياد

رضعوا لبان المجد في حجر العلا فعلوا على الأكفاء و الأنداد

لا جرم فقطب فخارهم الراسخ، و محتد شرفهم الشامخ، و ارومه مجدهم الباذخ، و جر ثومه سؤددهم الماذخ.

هو معصم الفخر الذي حاطت به أحساب أهل الفخر (٢) مثل سوار

زاكى الفخار أبو نمى نفحه الر يحانتين و نخبه الأخبار

إنسان عين المجد و القمر الذى حفّته أنجم هاشم و نزار

و غدت (٣) له مثل الأكام و قد بدا من بينها يفتّر كالنّوار

حامى حمى البيت الشريف و طيبه الغراء بالخطى و البّار

أعظم مليك خفقت عليه البنود، و تشرّفت بمدحته رؤوس المنابر، و أجل سلطان جنّد الجنود، و كتب الكتائب، و حشد العساكر. إلى أن قال:

ملك إذا ضاق الزمان بأهله بخلا توسّع فى المكارم و انفسح

تكبوا السحائب إذ تجارى كفه فالغيث فى جبهاتها عرق رشح

تستحقر الأسياف عاتق غيره و تقول دونك و القلائد و السبح

و يكلف الأسد الهصور بعذله فى القفر أن يرعى الغزال إذا سنح

ص: ١١٥

١-١ فى الوسيله: من.

٢-٢ فى الوسيله: أهل البيت.

٣-٣ فى «ن»: وفدت.

كم من خطيب ذاكر غير اسمه لَمَا تنحنح قال منبره تنح

صفوه الله التي أفرغ عليها في مواكب العظمة حلّه الشريف، ونخبته التي ملكها زمام المكارم فحازت تالدها و الطريف. إلى أن قال:

ما ضرّ من ضربت به أحسابه حتّى بلغن إلى النبي محمّد

أن لا يمدّ إلى المكارم باعه و يحوز (1) منقطع العلا و السؤدد

الذابّ عن مهبط وحى الله و مهاجر رسوله، و من فى بلد بيته، و معاهد تنزيله.

إلى أن قال: الحائز من أشرف الشيم، ما لا يحصره عدّ و لا حدّ، المتشرفّ أباً و امّاً و جدّاً.

أبو نمى من قد حوى شرفاً ما حازه قبل عبد مطّلبه

ذاك إلى هاشم نمى فسمما و ذا قسيم النبي فى نسبه

شّان ما بين فخر ذاك و ذا فذا فخار قد صيغ منه و به (2)

كيف لا؟ و أنت الملك الذى هزّ الملك به عطفه، و أبدى به ثغره و ابتسامه، و المطاع الذى ألقى إليه الأيّام أزمّتها و ملكه (3) الدهر زمامه، و الإمام الذى وافق المقدّر (4) يراعه، و قارن القضا حسامه.

له يراع و غضب ما جرى و برى إلّا قضى و مضى بالرزق و الأجل

فلله درّك من مهاب قد غشى بصر العين مهابه، و ملأ الفم فخامه، و من أغرّ

ص: ١١٦

١- ١) فى «ن»: نو يجوز.

٢- ٢) فى «ن»: منه به.

٣- ٣) فى «ن»: نو ملكها.

٤- ٤) فى «د»: المقدور، و فى «ن»: المقدار.

أضحت أيام دولته في جبهه الدهر غزه، و في وجنه الزمان شاهده (١)، و من حلیم غلب صفحه غضبه، و سبق عفوه انتقامه.

و إذا الأبا المر قال لك انتقم قالت خلائتك الكرام لك أحلم

شرع نراك قد انفردت بدينه و فضيله لسواك لم تتقدم

حتى لقد ودّ البرى بأنه يدلى إليك بفضل جاه الحرم

فلا بدع أن ساقنى كريم حلمك إليك، و دلنى عظيم صفحك عليك، فاستغنت بلسان تضرعى و فقري، و استملت عطفك
بجزيل مدحى و شكرى، و استعطفت جيد صفحك ببديع نثرى، و بليغ شعرى.

ذو الصفح أنت و مثلى من جنى وهفا و رام عفوك عما منه قد سلفا

و إن يكن بالقضا زلت له قدم فإنّ مثلك عند الاقتدار عفا

فلمست أول ذى حلم قسى فبدا منه الصدود و لكن بعد ذا عطفنا

و لست أول جان ظلّ يعطف من كمام حلمك نورا ظلّ مقتطفنا

و إن أكن بذنوبى أستحقّ جفا فحسبك الله من هذا الجفا و كفى

حاشا ذوى مجدك السامى و عنصر ك الزاهى و حلمك أن يرضوا لك الجنفا

فلا تخيب رجاء من جاء مبتهلا بحار عفوك محتاجا و مغترفا

هبنى أسأت أ ليس العفو منك غدا طبعاً و حسن التفاضى منك قد ألفا

سجيه فيك ما كلفتها و لكم تكلف الخلق خلقاً يوجب الشرفا

و طالما طبت يا ذا العفو نرشف من سلاف عفوك كأسا طاب مرتشفا

حتى لقد كاد يدلى بالذنوب إلى عليك من لم يكن للذنب مقترفا

ص: ١١٧

إلى آخر الخطبه (١)، و ما أوردته هو المقدار المتضمن لما أردت.

إهتمام الشريف أبي نمي بأهل الشرف:

ثم قال (٢) بعد إيراد الخطبه ما ملخصه: إن السيد أبا نمي صاحب الترجمة كان كثير الاهتمام بأحوال ذوى البيوت القديمه، المشهوره بالعلم و الفضل بمكّه المشرفه، بل و كان -رحمه الله- لا يقوم فى محافله السنيه إلا لحضراتهم العليه، و إن لم يكونوا أهلا لذلك فى ذواتهم، و إنما رعايه لكونهم من ذوى البيوتات، اعتمادا على محبتهم و مودتهم الراسخه له و لأبائه الكرام.

و ربما سأله بعض خواصه القيام لبعض أشخاص قد وردوا إلى مكّه المشرفه، و ربتهم فى العلم قد انتهت إلى حدّ الافتاء، فلم يجب سؤالهم، إلى آخر ما ذكره نقلا بالمعنى (٣).

قلت: ما ذكره أحمد فى الوسيله من توصيف هذا السيد الشريف بعدم القيام لمن وصل حدّ الافتاء من الآفايين، و القيام لذوى البيوت القديمه المشهوره بالفضل، و هم دون رتبه الكمال، بل لم تشم له رائحه فيهم، فهو وصف له بضدّ الكمال، و الجهل بمعرفه الأقدار، حماه الله عن ذلك، و هو من أجلّ من يعرف ذلك.

بل المنقول عنه و عن آبائه الكرام و من خلف من نسله الشريف إلى زماننا هذا، أنّ من تهتأ بغير هيئه أبيه من ذوى القومات، يعنى ترك العلم و طلبه و مال إلى ما لم يسلكه أبوه من بيع و شراء، كتعاطى المتاجر و غيرها، و إهمال العلوم و طلبها، ربما

ص: ١١٨

١- (١) وسيله المآل ص ٦٩-٧٤ مخطوط.

٢- (٢) أى: العلّامه السيد أحمد باكثر الحضر مى.

٣- (٣) وسيله المآل ص ٧٥-٧٦ مخطوط. و راجع: سمط النجوم العوالى ٣٤٤:٤.

تسقط قومته، و يهبط مقامه، و قد شاهدنا هذا غير مرّه.

فظهر من ذلك أنّ قيامهم إنّما هو لأجل العلم و الكمال، فإذا كان كذلك فلائى شىء لم يقم لمن أحرز هذه الرتبه السّتيه، و هى رتبه الافتاء.

و أغرب من ذلك أنّه أورد بعد سرده لهذا الكلام أحاديث يستدلّ بها على زعمه، منها: قوله صلّى الله عليه و آله «أنزلوا الناس منازلهم» (١) و ما فى هذا المعنى، و هو يدلّ على خلاف ما ذكره، و هو القيام لمن ليس أهلاّ له، و عدم القيام لمن يستحقّه استحقاقا واجبيا، و حمى الله الملوّك عن مثل هذا السلوك.

و ربما يؤول ممّا ذكره لو كان واقعا ضرر عظيم، و هو عدم الاهتمام بالكّد و الاجتهاد فى تحصيل الكمالات، اعتمادا على أنّه ابن فلان، و أنّه من ذوى البيوتات، و أنّه إذا كان كذلك، فهو يكفى فى حفظ المقام عند الملك، فيذهب صارفا لنفيس عمره فيما لا يكسبه كمالا و فضلا.

و الذى بلغنى أنّ ذلك المذكور فى الوسيله إنّما كان منشأه و صدوره عن هوى و غرض واقع بين المؤلّف و بين بعض معاصريه من ذوى الفضيله و الافتاء، غير أنّهم لم يكونوا من ذوى البيوتات، و ربما ذكر ذلك بعض العلماء.

و تبّه على مثل ما تبّهت عليه العصامى (٢) فى تاريخه ٣، و غيره فى غيره، فلا

ص: ١١٩

١-١) كتر العمّال للمتقى الهندى ٣:١٠٩ برقم: ٥٧١٧ و ٦:٦٣١.

٢-٢) هو العلامه المؤرّخ عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعى المكى الشهير بالعصامى، ولد بمكّه سنه (١٠٤٩) و توفى بمكّه أيضا سنه (١١١١)هـ، و له مؤلّفات، منها كتابه التاريخ المسمّى سمط النجوم العوالى فى أبناء الأوائل و التوالى، مطبوع فى سنه (١٤١٩)هـ فى أربع مجلّدات.

يتوهم أنّ ذلك كان واقعا من صاحب الترجمة.

وفاه الشريف أبي نَمِي:

عودا إلى ذكر صاحب الترجمة:

قال صاحب (١)النور السافر في أخبار أهل القرن العاشر: وفي يوم عاشوراء من سنة ثنتين و تسعين و تسعمائه (٢)توفى الشريف أبو نَمِي بن بركات صاحب مَكَّة المشرفه. و لبعض الفضلاء من أهل مَكَّة في تأريخ وفاته:

يا من به طبنا و طاب الوجود قد كنت بدرا في سماء السعود

ما صرت في التراب و لكنّما أسكنك الله جنّات الخلود (٣)

قلت: التأريخ هو الشطر الأخير، و هو مطابق لعام الوفاة، إلاّ أنّه لم يتبه بلفظ التأريخ. و ما ذكره صاحب النور السافر هو طبق ما ذكره صاحب لسان الزمان، و قال (٤)بعد ذلك: و كانت ولايته مستقرا و مشاركا لوالده و أولاده نحو ثلاث و سبعين سنة، و كان رحمه الله فيه نفعا محضا، و خيرا تاما.

ص: ١٢٠

-
- ١-١) هو العلامه عبد القادر بن شيخ بن عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس الحسيني الحضرمي اليمني الهندي، ولد بمدينه أحمد آباد من الهند سنه (٩٧٨) و توفى بمدينه أحمد آباد الهنديه سنه (١٠٣٨) و دفن فيها، له كتب و مصنّفات، منها كتابه النور السافر عن أخبار القرن العاشر، طبع في سنه (٢٠٠١)م في مجلد واحد
 - ٢-٢) ذكره في سنه تسعين بعد التسعمائه.
 - ٣-٣) النور السافر عن أخبار القرن العاشر ص ٤٩٦.
 - ٤-٤) أي: قال صاحب لسان الزمان.

إلى أن قال: وهو الذى نسج لأهل بيته القواعد، والإقعاس (١) المستحسنه بينهم حفظا للمودّه و الحرمة، فانتظم بذلك شملهم، و حسن حالهم. و كان رحمه الله من أكابر العلماء، و أجله الأولياء، و قد أخذ عن (٢) كثير من العلماء، و أخذ عنه كثيرا أيضا من العلماء الأفاضل الأجله. إنتهى كلامه.

و أقول: كان هذا السيد قد تخلّى فى آخر عمره عن الملك لولده الحسن الآتى ذكره، و أقبل على العباده، و معاشره العلماء الأعلام، فصنّفوا المصنّفات الحسنه برسمه، و توجّوا رؤوسها باسمه.

أدب الشريف أبى ندى:

و أمّا شعره، فرياض نضره، و أراض قد نثر عليها درره، فمن شعره الرائق، و نظمه الفائق، قصيدته التى عارض بها قصيده التلعفرى التى مطلعها:

سمحت بإرسال الدموع محاجرى لَمَا تزايد فى التجنّى هاجرى

فقال رحمه الله تعالى:

نام الخلى فمن (٣) لجفنى الساهر إذ بات سلطان الغرام مسامرى

جفت المضاجع جانبى كأنما شوك القتاد على الفراش مباشرى

و تأججت نار الغرام و أضرمت بين الجوانح فى مكنّ سرائرى

و شجيت من ألم الفراق و خاننى صبرى الوفى على الخطوب و ناصرى

أفّ على الدنيا فما من معشر إلا و أودتهم بخطب قاهر

ص: ١٢١

١- ١) فى «ن»: الأقداس. و الإقعاس: الغنى و الاكثار، و رجل أقعس: أى منيع.

٢- ٢) فى «ن»: عنه.

٣- ٣) فى «د»: فما.

فى كلّ يوم للنوائب غاره أيدى النوائب هنّ أغدر غادر
خلت المنازل من اهيل مودّتى و هم هم فى الحىّ قرّه ناظرى
إلى آخر القصيده (١).

تجديد سقف البيت و الميزاب:

و فى سنه تسع و خمسين و تسعمائه:جدّد سقف البيت الشريف بأمر سلطانى و فتوى،لاختلال بعض الأخشاب عن محالّها (٢).
و فى سنه ستين و تسعمائه:جدّد ميزاب الرحمه (٣).

تشريك الشريف أبى نمى مع ولده الحسن:

و فى سنه إحدى و ستين و تسعمائه:عرض الشريف أبو نمى إلى السلطان سليمان يلتمس منه أن يكون ولده الشريف حسن الآتية
ترجمته عوضا عن ولده الشريف أحمد المتقدم ذكره فى الولاية؛لانتقاله فى هذه السنه إلى رحمه الله تعالى،فوصل إليه الأمر
بذلك،و دعى للشريف حسن على المنابر مع أبيه رحمه الله.

ورود محمل من طريق اليمن:

و فى سنه ثلاث و ستين و تسعمائه:ورد محمل على طريق اليمن من مصطفى باشا عامل السلطان سليمان على القطر
اليمانى،فخرج له الشريف أبو نمى،و لبس خلعتة،و لم يزل كذلك إلى سنه ألف و تسع و أربعين (٤).

ص: ١٢٢

-
- ١-١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٣٥٥.
 - ٢-٢) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١:٤٨٢.
 - ٣-٣) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١:٤٩٢.
 - ٤-٤) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٣٤٦، و إتحاف فضلاء الزمن ١:٤٩٥.

ورود ميزاب من ذهب للبيت:

و في هذه السنه:ورد ميزاب من ذهب للبيت الشريف،و رفع الميزاب الفضة للتبرك.

إجراء عين عرفات إلى مكّه:

و في سنه خمس و ستين و تسعمائه:قلّ الماء بمكّه،و انقطعت عين عرفه لقله الأمطار،فرفع ذلك إلى السلطان سليمان،فأمر بالفحص عن أحوال العيون،و كيف يمكن إجراؤها إلى مكّه المشرفه،فاجتمع الناس و رؤساء مكّه و أهل الرأى و تشاوروا فيما بينهم،و رأوا أنّ أقوى العيون و أحسنها عين عرفه،و أنّها أقرب إلى العماره،و أنّ طرقها و دبولها متّصله إلى بئر زييده فى أعلى منى،و قدّروا أنّ مصرفها خمس و ثلاثون ألف دينار،فعرض بذلك إلى السلطان سليمان.

فلَمّا وصل إليه الخبر بذلك،التمست كريمه السلطان سليمان جانم من أخيها أن يكون هذا الخير لها،حيث كانت زييده هى المبتدأه بفعل هذا الخير العظيم بمكّه شرفها الله،فَعِينُوا لذلك دفتر دار مصر الأمير الكبير إبراهيم بيك،و كان قد عزل عن دفتر داريه مصر،فارسل إلى عماره العين،و أعطته جانم اخت السلطان سليمان خمسين ألف دينار ليصرفها على العين،و كان إبراهيم هذا صاحب همّه عاليه، و مروءه و كرم،فتوجّه إلى مكّه شرفها الله تعالى.

و فى ذى القعدة من سنه تسع و ستين و تسعمائه:وصل الأمير إبراهيم إلى مكّه المشرفه،و أنزله الشريف أبو نمى بمدرسه قايتباى،و أكرمه إكراما عظيما،و وصل إليه أعيان البلاد،و منهم رئيس رؤساء زمانه،و درّه تاج أقرانه،القاضى حسين المالكى،ثمّ توجّه الأمير إبراهيم بصدد ما هو قاصده،فابتدأ بتنظيف الآبار التى بمكّه،فانتفع الناس بذلك،ثمّ شرع فى تنظيف الدبول و المسالك و حفرها،و كان

يقوم على ذلك بنفسه و أولاده و خدامه، و كان معه أربعمائه مملوك.

فاشتغل بهّمه عاليه، و جلب المهندسين و العمّال و الحفّارين من مصر و بلاد الصعيد و الشام و حلب، طوائف بعد طوائف، و لم يزل إلى أن وصل بئر زبيده، ثم سار بعد ذلك، فرأى الخطب جسيما، و الحال شديدا، و كان تلك المجارى غالبها فى الحجر الصوّان (١).

فخشى أن لا يتمّ ما أراد، فجمع الخطب الجزل، و صار يوقده، فلا يحصل منه إلاّ نتيجة ضعيفه، و أقبل يشتري الخطب من أطراف مكّه المشرفه حتّى قلّ، فضجر الناس من ذلك، و تعب الأمير، و أنفق مالا عظيما، و مات كثير من خدامه و مماليكه.

و فى رجب من سنه أربع و سبعين و تسعمائه: توفّى الأمير إبراهيم معمار العين، و دفن بالمعلاه فى موضع عمّره بنفسه، و هو الذى يقال له: الدفتر دار، و قبره فيه (٢) ظاهر، و ذلك بعد أن اجتهد بنفسه و أولاده و خدامه فى حفر العين حين أنفق ماله و خزائنه، و اشتدّ به الحال، و كثرت عليه المصائب، و مات أكثر مماليكه، و مات له ولدان مراهقان، و اشتدّ عليه القهر (٣).

ثمّ بعد انتقاله اقيم فى خدمه العين سنجق جدّه الأمير قاسم بيك، أقامه فى ذلك الشريف أبو نمى صاحب الترجمه، و القاضى حسين المالكى، و عرض إلى السلطان سليم، و ذلك بعد وفاه السلطان سليمان بن سليم بن بايزيد، فى هذه السنه

ص: ١٢٤

١-١) الصوّان: بالتشديد، ضرب من الحجاره، الواحده صوّانه.

٢-٢) فى «ن»: فيها.

٣-٣) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ٥٢٣-١: ٥٢٤.

المذكوره، فعين دفتر دار مصر محمد بيك أكمل زاده (١)، فوصل إلى مكه المشرفه و باشر عماره العين.

و فى سنه خمس و سبعين و تسعمائه: اجتهد فى عماره العين، و بذل فى عمارته (٢) نفسه و ماله، و قطع فيها مسافه عظيمه و ما بلغ التمام.

و فى سنه ستّ و سبعين و تسعمائه: توفى إلى رحمه الله تعالى، و دفن بمحلّ مقابل للدفتردار، و هو موضع معمور تحته سبيل قد خرب فى زماننا، و لم يبق منه إلا رسوم، ثم اعيد قاسم بيك أمير جدّه فى خدمه العين مرّه ثانيه، و اقيم القاضى حسين المالكى كالناظر عليه و المعين، و عرض بذلك إلى الأبواب، فبرز الأمر باستقراره فى الخدمه، و أن يكون القاضى حسين ناظرا عليه.

و فى سنه تسع و سبعين و تسعمائه: توفى الأمير قاسم بيك أمير جدّه، و لم تتمّ عماره العين، و لا أدخلها إلى مكه المشرفه، و دفن بالمعلاه (٣).

ثم توجه القاضى حسين المالكى المتقدم ذكره لعماره العين بهمه عليه، و ساعفته الأقدار على ذلك، فأدخلها فى أقلّ من خمسّه أشهر إلى مكه، بعد أن تعب فيها غيره عشره أعوام.

و كان يوم دخولها إلى مكه المشرفه يوم عيد عظيم، و عمل القاضى حسين ذلك اليوم فى بستانه بالأبطح ضيافه عظيمه جمع فيها أعيان مكه و أكابرها، و عمّ السرور سكان مكه شرفها الله، و مدحه الشعراء، و أخلع على المعلمين

ص: ١٢٥

١-١) فى السمط: يكمكى زاده.

٢-٢) فى «ن»: عمارتها.

٣-٣) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١: ٥٢٥.

و المهندسين، و تصدق بمال عظيم على الفقراء.

و جهّز البشائر إلى السلطان سليم، و إلى حضره الملكه جانم سلطانة، فأنعمت عليه بإنعامات جزيله، و ضبط جميع ما صرف على العين، فكان خمسة لكوك و سبعة آلاف دينار، و ذلك غير ما صرف على أرباب الصناعات من البلدان البعيده، فرحمهم الله جميعا و جزاهم خيرا (١).

عمارته المسجد الحرام:

و فى هذه السنه: عرض للسلطان سليم خان فى عماره المسجد الحرام، و كان قد اختلّ فيه بعض المواضع و خرب، فأمر ببنائه على غاية الإتقان و الإحكام، و أن يجعل عوض السقف قبابا دائره بأروقه، و قد كان السقف قبل ذلك بأخشاب، فورد الأمر إلى سنان باشا صاحب مصر، فعين أحمد بيك، و كان رجلا ذا همّه عليّه و صلاح، مستحقّا لهذه الخدمه، و أنعم على أحمد بيك بإماره جدّه، فورد إلى مكّه المشرفه فى هذا العام، و معه الأوامر السلطانيه بأن يباشر ذلك، و أن يكون بنظر مدبّر الدوله الحسنيه القاضى حسين المالكي.

و فى سنه ثمانين و تسعمائه: وضع أساس المسجد الحرام، و بدأ بالهدم من باب السلام (٢).

وفاه السلطان سليم خان:

و فى سنه ثنتين و ثمانين و تسعمائه: توفى السلطان سليم خان، و كانت مدّه

ص: ١٢٤

١-١) راجع تفصيل ذلك: سمط النجوم العوالى ٤:٩٦-١٠٢، و إتحاف فضلاء الزمن ١:٤٩٧-٤٩٩.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:١١٠-١١١، و إتحاف فضلاء الزمن ١:٥٢٦.

سلطنته ثمان سنوات، و تولّى بعده السلطنه ولده السلطان مراد، و لمّا جلس على تخت سلطنته أرسل إلى ولاه الأقطار حتّى إلى شريف مكّه المشرفه بالتأييد، و أمر بالاهتمام فى تعمير المسجد الحرام (١).

و فى سنه أربع و ثمانين و تسعمائه: تمّت عماره المسجد الحرام، و هو إلى الآن على تلك العماره (٢).

وفاه الشريف بركات بن أبى نمى:

و فى سنه خمس و ثمانين و تسعمائه: توفّى السيد الشريف بركات بن أبى نمى صاحب الترجمه (٣).

قلت: و هذه بركات-رحمه الله تعالى- لم يكن ولى مكّه المشرفه، و إنّما أعقب كثيرا، و عقبه موجودون كثيرون، أكثر من مائتى نفر صغارا و كبارا، يقال لهم:

البركاتيون و آل بركات، و هم فخذ و بطون، و أكثر منازلهم فى وادى مرّ، ملك مكّه المشرفه منهم جماعه، لكن ليس على طريق الاسترسال، و إنّما بين كلّ واحد و الآخر فتره، يليها فيها جماعه من أبناء عمّهم الشريف حسن بن أبى نمى الآتى ذكره، و سيأتى ذكر الملوك منهم على سبيل التفصيل إن شاء الله تعالى.

ورود مرسوم بالكتابه:

و فى سنه ثمان و ثمانين و تسعمائه: ورد مرسوم أن يكتب ما بين باب على عليه السلام و العباس رضى الله عنه، بخطّ جلى بالذهب، ما هذا صورته: الله، محمّد، أبو بكر،

ص: ١٢٧

١-١) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١:٥٣٠.

١-٢) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١:٥٣٢.

١-٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٣٤٦، و إتحاف فضلاء الزمن ١:٥٥١.

و عمر، و عثمان، و علي. و اتى بورقه مكتوب فيها ذلك بخط نفيص، قاله صاحب لسان الزمان (١).

وفاه القاضى حسين المالكى:

و فى سنه تسعين و تسعمائه: توفى رئيس العلماء الأعلام، و قاضى قضاء الإسلام، بلد الله الحرام، القاضى حسين المالكى (٢).
قلت: كان هذا السيد غزه دهره، و شامه وجه عصره، رئيس رؤساء الدوله الحسنيه، و مدبر أوامرها و أحكامها السنيه، برأى ثاقب، و همّه تراحم الكواكب، و نسب شريف، و حسب منيف، مع كرم عامّ، شمل به الخاصّ و العامّ.
و كان أيضا فى ذلك الزمان، ناظر النظّار من قبل سلاطين آل عثمان، و أمّا مناقبه و أخباره، فكثيره لا تحصى، و لو بلغت النهايه فى الاستقصاء.

وفاه قطب الدين النهروانى:

و فى هذه السنه: توفى الشيخ العلامه، مفتى مكّه المشرفه و مؤرخها قطب الدين النهروانى (٣).

ص: ١٢٨

-
- ١-١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:١١٣، و إتحاف فضلاء الزمن ١:٥٥١.
٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٣٤٧، و إتحاف فضلاء الزمن ١:٥٥٢.
٣-٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٣٤٧، و إتحاف فضلاء الزمن ١:٥٥٣. أقول: و هو العلامه قطب الدين محمّد بن علاء الدين أحمد بن محمّد بن قاضى خان محمود بن بهاء الدين بن يعقوب القادري الخرقانى النهروانى المكى الحنفى المشهور بقطب الدين النهروانى، المولود سنه (٩١٧) و المتوفى سنه (٩٨٨) و له كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، رتبه على مقدّمه و عشره أبواب و خاتمه،

وفاه الشريف أبي ندى:

و فى سنه ثنتين و تسعين و تسعمائه: توفى السيد الشريف أبو ندى صاحب الترجمة، كما تقدم ذلك (١).

و لنقتصر فى ترجمه الشريف أبى ندى -رحمه الله تعالى- على ذلك، و نسأله التوفيق و السداد فى جميع المسالك، و حسبنا الله و نعم الوكيل.

فصل: نذكر فيه

إشاره

ترجمه السيد الشريف و الهمام الغطريف

الشريف حسن بن أبى ندى بن بركات

أقول: قد تقدم لهذا السيد الشريف ذكر فى ترجمه والده الشريف أبى ندى، و هنا نذكر ترجمه مطوله؛ لأنها تشتمل على محاسن قد أعجز شرحها ذوى البيان و اللسن، و ما محاسن شىء كله حسن، قد تضمنت التواريخ ذكرها، و أدى لسان الدهر شكرها، و صرفت الادباء إلى مدحها أفكارهم، و جلوا فى ذلك عونهم و أبكارهم.

و كانت ولادته الميمونه فى شهر ربيع من عام اثنين و ثلاثين و تسعمائه.

قال الفاضل العصامى فى تاريخه: تولى شرافه مکه المشرفه بعد انتقال والده

ص: ١٢٩

الشريف أبي نمى، أول عام اثنين و تسعين و تسعمائه، و ذلك بعد وفاه أخيه الشريف أحمد بن الشريف أبي نمى، و كان فى زمنه يلبس الخلع الثانى دلاله على أنه ولى العهد من بعده (١). إنتهى.

قلت: قول العصامى هذا يدلّ- و الله أعلم- على أنّ الشريف حسن كان شريكاً لأخيه الشريف أحمد، و لأبيه الشريف أبي نمى، و أنّه كان يلبس الخلع الثانى دلاله على أنه ولى العهد بعد أخيه الشريف أحمد لأبيه الشريف أبي نمى.

و هو خلاف ما تقدّم نقله من التواريخ المعتبره، من أنّ الشريف أبا نمى لم يكن عرض لولده الشريف حسن فى أن يكون شريكه فى ولايته مكه المشرفه إلاّ- بعد انتقال الشريف أحمد، و ذلك سنه إحدى و ستين و تسعمائه، و فيها عرض للشريف حسن، فوصلت الأوامر السلطانيه بإقامته شريكاً لأبيه، فدعى له على المنابر، و قد ذكرت ذلك فيما سبق فى حوادث ترجمه الشريف أبي نمى فى سنه إحدى و ستين و تسعمائه، فتنبّه لذلك، فقد و هم العصامى.

رجع النقل من التاريخ المذكور، قال: و لم يزل مشاركاً لأبيه أبي نمى فى الإمرة، مطيعاً له فى كلّ نهى و أمر، يدعى له معه على رؤوس المنابر، كما هو عادته أشرف مكه المشرفه كابرا عن كابر، و التوقيعات العثمانيه إنّما ترد باسمه، و التشرىفات الخنكاريه (٢) إنّما تصل برسمه، ثمّ استقلّ بعد وفاه أبيه بالشرافه، و رفل فى حلل الخلافه.

فلم يزل قائماً بأمرها، شاداً لأزرها، حامياً حقائقها، ناهجاً طرائقها، فاتحا

ص: ١٣٠

١- ١) سمط النجوم العوالى ٣٦١: ٤.

٢- ٢) كذا فى «د» و السمط، و فى «ن»: الخاقانيه.

بجدّه السعيد أخلاقها، مهذباً بسعيه الحميد أخلاقها، بالغا غاياتها، ناشراً راياتها، تاليا معجزات آياتها، إلى أن لبس ولده الشريف أبا طالب خلعه ولايه عهد، وقلمده الأمر من بعده، وألقى إليه مقاليد حياته، فقام بالأمر متهيئاً إلى أحكامه وإشاراته، سالكا نهج سدا، واقفا عند مراده، إلى أن توجه الشريف حسن إلى نجد، وقد اكتفى بولده في تشييد معالم المجد.

فلم يزل ذاهبا إلى أن بلغ محلاّ- يسمّى الفاعية، وهناك دعاه الله إلى لقائه، فأجاب داعيه بعد أن أقام بذلك المكان مدّه من الزمان، توعّك يوم الثلاثاء غرّه جمادى الآخرة، وانتقل ليله ثالث الشهر إلى نعيم دار الآخرة، وذلك في سنه عشر بعد الألف.

فحمل إلى مكّه المشرفه صبيحه تلك الليله، وأجهد السير به بغاله وخيله، وكانت قد أعدت قبل ذلك في المنازل، لما علموا أنّ قضاء الله به نازل، فساروا به يوم الخميس والجمعه، ودخلوا به منتصف ليله السبت، وذلك من غايات السرعة، ويقال: لو لا مفارقتهم الطريق، وقد حصل لهم من الظلام وتراكم الغمام تعويق، لدخلوا به يوم الجمعة، مع أنّ المسافه تزيد على عشره أيام، وذلك معدود من كرامات هذا القطب الهمام.

وذهب الخبر من حينه المبعوث إلى الشريف أبي طالب، وكان في جهه المبعوث، فبادر بالوصول إلى مكّه المعظمه، ودخلها ليله السبت قبل وصول جنازته المكرّمه، وبمجرد وصولها بادر إلى تجهيزه بالاهتمام، وصلى عليه قبل الفجر بالمسجد الحرام، ودفن بالمعلاه الشريفه الشأن، وبنى عليه قبه عظيمه، وهى باقيه إلى الآن، مات وله من العمر تسع و سبعون سنه، ومدّه ولايته مشاركا

و مستقلاً نحو خمسين سنة (١). إنتهى بنهايه التلخيص.

و أقول: كان هذا السيد الشريف الطاهر، و الأيد في اقتناء المحامد و المآثر، الجامع بين الفتوّه و البساله، كما جمع جدّه صلى الله عليه و آله بين النبوه و الرساله، معهداً للكمالات الجليه، و معقد خناصر أرباب الهمم العليه، و قرّه عين الزمان، و غرّه جباه الملوك في ذلك الأوان.

كيف لا؟ و هو درّه تاج الملوك الحسنيه، و واسطه عقد فرائدهم السنيه، و من نبعته الشريفه تفرّعوا، و من صوب محامدهم الحميده ملأوا حياضهم و اترعوا، و في حجر مساعيه المنيفه شَبّوا و ترعرعوا، و إلى غايته (٢) البعيده سابقوا و اسرعوا.

و كان للعلماء الأعلام، القاطنين ببلد الله الحرام، و الوافدين من جميع الأقطار، لقصد الإقامه و الاستقرار، عند هذا السيد الشريف محلّه و مكانه، شيد كلّ منهم بها من مجده أركانه، أنتج كلّ منهم مصنّفاته برسمه، و توجّح مفارق رؤوسها باسمه، مع تقرب لديه، و تدرب لاستنزال غيث فضله من سحائب يديه.

منهم: الفاضل العلامه، و القدوه الفهّامه، الإمام عبد القادر محيي الدين ابن الإمام محمّد بن الإمام يحيى الطبرى الحسينى (٣) المترجم في السلافه (٤)، رحمه الله تعالى و رحم أسلافه.

ص: ١٣٢

١- ١) سمط النجوم العوالى ٣٦١: ٤- ٣٧١.

٢- ٢) في «ن»: غاياته.

٣- ٣) في السلافه: الحسنى.

٤- ٤) سلافه العصر ص ٤٢ طبع مصر.

فإنه كان له عنده المقام الأسمى، والمحله العظمى، وأغلب مؤلفاته ومصنفاته أبرزها إلى الوجود جزيل فضله و هباته (١)، منها: حسن السريره في حسن السيره، ومنها: الآيات المقصوره على آيات المقصوره، شرح الدردييه. و له معه وقائع لطيفه، يقصد بها تعظيمه و تشريفه.

منها: أنه لما حضر بشرح الدردييه لديه، و قدّمها بين يديه، ذكر له أنه نظم بيتين على لسان الكتاب هما تأريخ تأليفه بالحساب، و أراه إياهما، لينشق عرف رياهما، فقرأهما مولانا الشريف، بعد أن تناول الكتاب بكفّه الشريف، و هما:

أرّخنى مؤلّفى بيت شعر ما ذهب

أحمد جود ماجد أجازنى ألف ذهب

فتلطف حين قرأهما و تبسّم، و هبّ روح إفضاله و تنسّم، و وضع يده الشريفه على رأسه كالممثل لأمره، بعد أن وضع الكتاب فى حجره، و قال: على الرأس و العين. و الله إنّ ذلك نزر يسير فى مقابلته، و إنى أحمد الله تعالى حيث أوجد مثلك فى زمنى، ثم أنعم بذلك و وهب، و أمر له بألف ذهب (٢).

و منها: ما وقت عليه فى أثناء شرحه لديوان المتنبى الذى سمّاه الكلم الطيب على كلام أبى الطيب (٣)، و هو أيضا ممّا ألفه باسمه الشريف، عند قول أبى الطيب:

و أنا منك لا يهنىء عضو بالمسرات سائر الأعضاء (٤)

ص: ١٣٣

١- ١) و من تأليفاته: نشأت السلافه بمنشآت الخلافه، و قد تقدّم النقل عنه.

٢- ٢) سلافه العصر ص ٥٠.

٣- ٣) راجع: ايضاح المكنون ٣١١: ٢.

٤- ٤) ديوان أبى الطيب المتنبى ص ٢٨٧ طبع دار صادر بيروت.

قال: وقد نظمت هذا المعنى فى موشحه بعثت بها إلى حضره من ألف هذا الكتاب لخزائنه العالیه، و هو حسن بن أبى نمى، و شرحت فيه قصه اتفقت بی سنه بعد الألف، و هى أنه كان لی عبد كبير مسنّ، و له أصحاب من جنسه، فأفسدوه و هربوا به من مكّه، و أدخلوه حمى نجل سیدنا الشریف المذكور.

إلى أن قال: و كنت عوّلت فى استخلاصه على كاتب حضرته العلیه، الصاحب المجید فخر الدین الخاتونى، و توقّف الأمر على عشره أشرفیه للخادم الذى حفظه حسبما یشرح فیها، و القصیده هى هذه:

هیجت یالامعه البروق

ما اکتنّ فى جوانح المشوق

بالله إن عاودت بالبریق

حیّ له معاهد الغریق و حیّه أنهم أشرف حی

واسق برى ربّ هاتیک الربا

و امدد على الفرقد تلك الطنبا

و اذکر بخیر من بها قد طنبا

لا سیما من بعلاه أطنبا تفاخرا فھر و کعب بن لؤى

سیدنا المتحف بالخلافه

بسعیها إذ جاوزت خلافه

مذ رضع المجد لها أخلافه

الحسن الشریف ذو العفافه مفخر آل المرتضى أبى نمى

الملك الشهم سلیل المصطفى

فخر السلاطین و تاج الخلفا

إمام هذا الدهر من غير خفا

ربّ الجميل فى الورى أهل الؤفا فهو الجواد الحقّ لا حاتم طى

دع ابن سعدى عنك و ابن أمامه

و خلّ يا ذا من مضى أمامه

فمن يعادل بالسوى إمامه

لا سيما العادل فى الإمامه فواجب الخفض بنصب بعد كى

من ذا يساوى آل طه و على

أو ينتهى لذلك القدر العلى

من ملك أو ملك أو مرسل

إنّ صحيح ذا الحديث المرسل يؤخذ منى فارو عنى اسندا لى

فمدحهم دينى العظيم الشيم

تقفينه (١) كلّ ندب شهم

و الطبرى حجّتى فى القدم

ششنه أعرها من أخزم فنحن أهل البيت لم نعدل بشى

يا فاتح الإسلام بالنبى

و مثبت الؤلاء للولى

أدم معالى الشهم الأبى (٢)

للحسن الخليفه المرضى خير الأنام كلهم بيتا و حى

ص: ١٣٥

و ابق لنا طلعتة السّتيه

و ذاته المحروسه البهيه

و اهد لنا هباته الرضيّه

في صحّه الإجابّه المرضيه فأنّي اتّفقت في ذاك هوى

و من عداى هام في التشيب

في زمن الصبوه و المشيب

و لم أهم بما سوى النسيب

في مدح هذا السيد النسيب مذ كنت طفلا في مرضى أبوى

و لم أزل أهدى له من الثنا

أبيات مجد معربات في البنا

تشهد بالفضل لمن لها بنا

ما طرقت عند التباهى اذنا إلا و قال سامعى زد يا أخى

و كم و كم أتحنفه تصنيفا

وصفته (1) من مدحه ترصيفا

لا أرتضى الغير له و صيفا

يا عاذلى شتيا و صيفا في مربع أغنت ظباه عن ظبى

فالفخر كلّ الفخر ما قد ذكرا

من غير شكّ يعتريه و مرا

و لتنهيا إن شتّما أو تأمرا

فعدل سلطان الملوک الامرا یفرق ما بین هدی حقّ و غی

أین من الابریز شبه البهرج

أین من الصحیح مشی الأعرج

فالفرق کالصبح الأغز الأبلج

إنّ دلیل المسک عرف الأرج کم دلّ سار یا غوی بکلّ لی

یا سیّد السادات بأفخر الامم

یا صاحب المعروف من أهل الکرم

یا شاهرا للعلم أعلاما علم

میّز بحقّ بین أصحاب الهمم واصغ لنشر مشکى من بعد طی

فإنّی شاک إلى العدل الأغر

أمرا عظیم الشأن عندی و الخطر

ذکرنی ما کان فی شأن نثر

فإنّ لی عبدا شویخا ذا کبر إذا دعا مولاه قال یا ملی

مبارک الاسم أغر اللقب

لما انتمی لعبدک المنتسب

و تلک یا مولای إحدى النسب

فعمّنی و کان لی مثل أبی فی سنّ سبعین سنینا و شوی

لما استحیل من جنوس بازه

یأتونه لفاقه و عازه

یرکز کلّ منهم عکازه

و يطلب الضيفه و الإجازة أكثرها خبزا و سمنا و لحي

ص: ١٣٧

حتى انتهوا به إلى المكرم

سيدنا السيد عبد المنعم

و أمنوه بحلول الحرم

و ما رعوا ما قد أتى من حرمى مما به استوجب قلبا بعد شى

فأرسل العبد إلى الخاتونى

كاتيك المعتمد الأمين

فشفع الدعاء بالتأمين

و واجه السيد كالمعين و لا معين فى الورى غير الذهبى

و انحط أمر العبد بعد القلقله

و تعب الرسول مع من أرسله

و أنها لسيره مطوله

قد شرحت فى رسله مفضله للفخر و الإيجاز أولى بالعبي

على عطاء عشره أشارفه

من فضّه خالصه مصارفه

و عاد مندوبى برجوى كاسفه

ليس لها من دون هذا كاشفه إلا الشريف دام بين الحى حى

و حق فضل السيد الشريف

و الأدب المرقص للشنوف

ما كان ظنى الردّ بالتسويق

فإنّ قطع الوصل بالسيوف أهون من رائج مندوب و حى

مع أنّ مولانا يقينا يعلم

ص: ١٣٨

بأنّ مولى القوم قطعاً منهم

هلاً رعى ما قد رآه منكم

فيا مليكاً كلّ خير يختم به اعف و اصفح واردد العبد على

و عنوان الكتاب:

إلى حمى معاهد الخلافه

و الحرم الآمن من مخافه

بملك مدرّب أعرافه

الحسن الشريف ذى العفاهه من أكسب الفخر كفهر و قصى

قال: فردّه أحسن ردّ، سالما ممّا رسم من ذلك الحدّ، أدام الله دولته العادله، و متّع بشيمه الشريفه الفاضله (1). إنتهى كلامه.

قلت: و قد اتّصل بهذا الملك غير الشيخ عبد القادر من العلماء الأكابر، و لهم معه جمله من النوادر، غير أنّنا سلكنا سبيل الاختصار، لعلنا بأنّها مدوّنه فى كتب التواريخ و الأخبار.

إذ قد أخدم هذا السيّد الشريف، الذى لم يزل طود مكارمه العميمه منيف، و ظلّ سعاده و مجده و ريف، خلق كثير من بنى الأدب، فتراهم ينسلون إلى جنبه العالى من كلّ حدب، فأنشأوا الخطب و وشوا القصائد، و نظموا فيه من جواهر القريض قلائد، و أورى كلّ منهم زناد مدحه، فما و فى هذا الممدوح العظيم حقّ حمده، و أجاد فى قدحه، و فاز بذلك أمن صيب فضله الهامى بمعلّى قدحه، و هذا شأن الملوك، العارفين بحقائق السلوك.

ص: ١٣٩

(١-١) الكلم الطيب على كلام أبى الطيب للطبرى-مخطوط.

و لو أطلقت عنان القلم فى مضممار بدائعه و صنائعه، و سيره و وقائعه، و أفعاله و أقواله، و عجائب أحواله، لمألت صفحات هذا الكتاب، ممّا تهنىء (١) له القلوب، و تأنس به اولوا الألباب، ففى هذا القدر بلاغ كافى، و بيان وافى.

و أمّا عقبه الشريف، فنحو سته و عشرين ذكرا، و هم: سالم، و على، و أبو القاسم، و حسين، و مسعود، و باز، و أبو طالب، و عقيل، و عبد المطلب، و عبد الله، و عبد الكريم، و عبد المحسن، و عدنان، و إدريس، و فهيد (٢)، و شبر (٣)، و عبد المنعم، و المرتضى، و هزاع، و عبد العزيز، و عبيد الله، و جود الله، و بركات، و قايتباى، و محمّد الحارث، و آدم.

و من الإناث نحو خمس و عشرين بنتا لم نذكر هنّ؛ إذ ليس عليهنّ فى إيصال النسب عمدته، فإن أردت الإلمام بأسمائهنّ الشريفه، فعليك بوسيله المآل تجدهنّ مفصّلات فيه (٤).

و لنشرع الآن فى الحوادث بعد الفراغ من ترجمته العليّه، ففى ذلك فوائد سيّئه، يعرف مقدارها ذووا الأنظار الجليّه.

فصل فى الحوادث

إشاره

و قد وقفنا فى ترجمه الشريف أبى نمى على سنه تنتين و تسعين و تسعمائه، و هى سنه وفاته، و استقلال الشريف حسن صاحب الترجمه، ثمّ استمرّ إلى سنه

ص: ١٤٠

١-١ فى «ن»: تهشّ.

٢-٢ فى السمط: و فهد.

٣-٣ فى السمط: و شبر.

٤-٤ و سيله المآل ص ٩٢ مخطوط، و راجع: سمط النجوم العوالى ٣٧٢:٤.

عشر بعد الألف، و عندها نقف إن شاء الله تعالى، و هي ابتداء دوله الشريف أبي طالب الآتي ذكره الشريف.

بنايات و عمارات بمكّه:

ففي سنه أربع و تسعين و تسعمائه: أرسل السلطان مراد مصطفى شاوش لهدم بيوت في مكّه، و مدارس كانت في طريق السيل من جهه اليمن، و هي المقابله الآن للصفاء، ممتدّه إلى جهه السوق الصغير، فهدمت و بنيت أروقه بطواجن، يأوى إليها الفقراء و الغرباء، كيلا يباتوا في المسجد، و بنى أيضا سيلا يشرب منه خارج باب الصفاء، و تحته حنفيه (١) للوضوء، و بنى أيضا حنفيه اخرى في جدار مدرسه قايتباي في المسعى (٢).

و في سنه خمس و تسعين و تسعمائه: تمّت عماره هذه الأشياء (٣).

وصول خيرات من السلطان مراد لأهالي مكّه:

و في سنه ثمان و تسعين و تسعمائه: وصلت خيرات من السلطان مراد لأهل (٤) مكّه المشرفه، و الحقت بدفتر الجديده المعروف، و لم تزل تتزايد إلى أن بلغت عشره آلاف دينار.

ص: ١٤١

-
- ١-١ الحنفيه: انبويه ذات لولب تزجّ في ثقب من الحوض لاستفراغ الماء منه عند الحاجه، و هو ما يسمّى الآن بالبالوعه.
 - ٢-٢ راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١: ٥٦٥-٥٦٦.
 - ٣-٣ راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١: ٥٦٧.
 - ٤-٤ في «ن»: لأهالي.

وصول الشريف مسعود إلى مكة:

و في سنة إحدى و ألف: حضر بمكة المشرفه الشريف مسعود بن الشريف حسن أمير مكة الآتي ذكره، و كان نائبا عن أبيه الشريف حسن و هو غائب، و حضر لمحضره أكابر العلماء و الأعيان، و قيس طول الكعبه من داخلها ليصنع لها ثوب، فصنع و ارسل إلى مكة المشرفه، و وضع لها من داخل، و كان سبب ذلك ورود أمر سلطاني بذلك (١).

و في سنة ثنتين و ألف: جدد ترخيم المطاف الشريف (٢).

وفاه السلطان مراد خان:

و في سنة ثلاث بعد الألف: توفي السلطان مراد خان بن سليم خان، و ولي السلطنة بعده ابنه السلطان محمد خان (٣).

لبس الشريف ثقبه الخلعه:

و في سنة ست و ألف: أرسل الشريف حسن صاحب الترجمة إلى أخيه السيد ثقبه يلتمس منه أن يلبس خلعتة من امراء الحج أكبر أولاده مسعود بن حسن، و أقام هو بركبه في جهة الشرق، فلما كان يوم المختلع لبس الشريف ثقبه الخلعه و لم يشر إلى مسعود، فاغتاط مسعود لذلك و رجع مقهورا، و مات بعد ذلك بمده يسيره، و ستأتى ترجمته إن شاء الله تعالى (٤).

ص: ١٤٢

١-١) راجع: سمط النجوم العوالي ٤:٣٦٥.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالي ٤:٣٦٥-٤:٣٦٦.

٣-٣) راجع: سمط النجوم العوالي ٤:١١٤-٤:١١٥ و ٣٦٦.

٤-٤) راجع: سمط النجوم العوالي ٤:٣٦٧-٤:٣٦٨.

وفاه الحكيم داود الأنطاكي:

و في سنه ثمان بعد الألف: توفى العالم العلامه الفاضل الحكيم داود بن عمر الأنطاكي صاحب التذكرة، اجتمع بالشريف حسن صاحب الترجمة بمكة المشرفه، و له معه محاورات و لطائف، و كان آيه في الحدق و النباهه.

من جمله ذلك: أنه حضر بمجلس الشريف المذكور، فأمر الشريف أحد إخوانه يمدّ يده ليجسّها على أنّها يد الملك، فلما جسّها قال: ليست هذه يد الملك، فأعطاه الاخرى، فقال له: و هذه أيضا ليست يد الملك، فأعطاه الشريف حسن يده، فقبّلها و قال: هذه و الله يد الملك، فانظر إلى فطنته و ذكائه مع كفاف نظره، فرحمه الله تعالى (١).

وفاه الشريف ثقبه:

و في هذه السنه: توفى السيد الشريف ثقبه بن أبي نعي أخى الشريف حسن (٢).

قلت: و هذا ثقبه هو جدّ الساده الموجودين فى زماننا هذا، و يقال لهم: آل ثقبه، و ذووا ثقبه، بعضهم بمكة المشرفه، و بعضهم فى البرّ، كثر الله منهم و أيدهم.

ولايه عهد الشريف أبى طالب:

و فى هذه السنه: التمس الشريف حسن صاحب الترجمة من السلطان محمّد بن مراد خان أن تكون إماره مكه المشرفه فى أكبر أولاده و أرشدهم، و هو السيد الشريف أبو طالب بن السيد حسن الآتى ذكره العالى.

و فى سنه تسع بعد الألف: وصل الأمر العالى من السلطان محمّد بولايه الشريف

ص: ١٤٣

١- ١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤: ٣٦٨-٣٦٩.

٢- ٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤: ٣٦٨.

أبي طالب المذكور شريكاً لأبيه الشريف حسن بن أبي نمي صاحب الترجمة.

وفاه الشريف حسن:

و في سنة عشر بعد الألف: توفى الشريف الحسن صاحب الترجمة، كما تقدّم ذلك في أثناء الترجمة، والله تعالى أعلم (١).

فصل: فريد و عقد نضيد

ترجمه السيد الشريف أبي طالب بن الشريف حسن

ابن الشريف أبي نمي

أقول: هذا سيد تولى شرافه مکه المعظمه، و تحلى بعقود الرئاسه المنظمه، و ملك أعنه المجد و زمامه، حتى صار إمامه، مع صيت ملاء الأقطار، و بلغ الغايه القصوى من الاشتهار، و سار مسير الشمس في كلّ بلده، و هبّ هبوب الريح في البرّ و البحر، و أخلاق حميده، و آراء سديده، و أفكار رشيده، و عزمات إسكندريه، و سطوات حيدرّيه، و كرم يهزأ بالغيث الهاطل، و عماره لربوع العدل و الأمان بعد أن كانت عواطل، و همّه تراحم النجوم الثواقب، و فطنه أحرز بها غرر المناقب، فرحمه الله تعالى، و أفاض عليه شآبيب غفران توالى.

قال الشيخ عبد الملك العصامي في تأريخه، إلا أنّي نقلت ذلك بالمعاني، و طرحته جوف هذه المباني: تولى مولانا الشريف أبو طالب، و جدّه السعيد و أمره الغالب، و ذلك بعد وفاه والده، فهو بولايه عهده، و قيامه بالأمر من بعده، قد استولى على طريف المجد و تالده، و أحواله العجيبه، و أوضاعه الغريبه، و وصولته القاهره، و ولايته الباطنه و الظاهره، و صواق كراماته الخارقه، و صواق عزماته البارقه،

ص: ١٤٤

(١-١) راجع: سمط النجوم العوالى ٣٧٠:٤.

أشهر من أن تذكر، وأغرق من أن تنكر.

دوَّخ البلاد في الأفاصي والأداني، وملك الرقاب والنواصي، واستولى على الحصون والصياصي، وأذلَّ بقهر سطاها المناصي، وجعل أرض خطاه حدَّ المعاصي، وله في الكرم أخبار وآثار، ضارعت شهره شجاعته في النقع المثار.

مولده في جمادى الأولى سنة ستِّ وستين وتسعمائه، ولبس خلعه ولايه العهد سنة ثمان بعد الألف، واستقلَّ بالأمر عام عشر بعد الألف، كما تقدّم.

واستمرَّ في الملك إلى أن كان يوم الثلاثاء حادى عشرى جمادى الآخرة سنة اثنتى عشره وألف. وصل إلى مكّه خبر وفاته، فدهى شمل المجد بشتاته، وبنى جبل السعد ببتاته، وكان بمحلّ قرب بيشه (١)، ووصلوا به ضحوة يوم الأربعاء ثانى عشرى الشهر المذكور، وقد حثوا السير فى الإدلاج والبكور، ودفن بالمعلاّه، وبنى على ضريحه قبة (٢). إنتهى ملخصاً.

أقول: ومن عجيب أمر هذا السيّد الجليل، أنّ أكثر هذا العالم إلا القليل يعتقدونه بنيه خالصه من قلبه، ويتخذونه حجّه ووسيله بينه وبين ربّه، وما ذاك عن ضعف عقل ودين، لهؤلاء المعتقدين، بل إنّما نشأ ذلك الاعتقاد بعد ظهور الأسرار الخارقة لبصائر العباد، مع أنّه كان ملكاً ظلوماً، وجباراً غشوماً، طالما قتل و سلب (٣)، من غير ذنب ولا سبب (٤)، فما أدري هل هذه ولايه؟ أم لعقول هذا الخلق غوايه،

ص: ١٤٥

١-١) بيشه: قريه من بلاد اليمن.

٢-٢) سمط النجوم العوالى ٣٩٣:٤-٣٩٤.

٣-٣) فى «ن»: و سلب.

٤-٤) لم يذكر أرباب التواريخ أنّه كان جباراً غشوماً، بل صرّحوا بشفقته على الرعيه،

و لأبصارهم عمايه، فلله عزّ و جلّ في ذلك إرادته، يستدرج بها عباده.

و من العجب العجائب: أنّ جميع البادية و الأعراب، يقسم برّبّه كاذبا، و إذا امر بأن يقسم به ولى هاربا، و أمّا قِبته الشريفه، المحتويه على الأسرار المنيفه، فحمى كليب بن وائل، يستجير بها السارق و القاتل، و المطرود لجميع القبائل، و لا يسمع فى اللانذ بها قول قائل، حتّى يخرج منها و يبعد عنها، فسبحان الكريم الوهّاب، المعطى من غير حساب، فليعتبر اولوا الألباب، و الله سبحانه أعلم بالحقائق، فى العظام و الدقائق.

فصل: غريب و أصل عجيب

ترجمه السيد الجليل و السند الأصيل، المستنىء من كهف الشرف

الأثيل ظلّه الضليل الشريف إدريس بن الشريف حسن

قدّس الله سرّه و أعظم صلته من رحمه و برّه

تولّى الشريف إدريس مكّه المشرفه بعد وفاه أخيه الشريف أبى طالب فى سنه اثنتى عشره و ألف، و استمرّ بها مشاركا لابن أخيه الشريف محسن بن الشريف حسين بن الشريف حسن، و لأخيه فى محاصيل ربع البلاد الشريف فهيد بن الشريف حسن اثنين و عشرين سنه، و كانت وفاته رابع عشر جمادى الاولى من سنه أربع و ثلاثين و ألف.

و كان مولده الشريف فى ذى القعدة سنه أربع و سبعين و تسعمائه، و كان يكتنى

و أما شرح مبدأ حاله و كيفيه استقامه أحواله مع هذين الشريكين، و الشريفين المليكين، و ما وقع بينهم من العناد الباعث لجلب الفساد، في تلك البلاد، ثم ما استقرّ عليه الحال، و زوال تلك الفتن و الأهوال، فلذلك نقل طويل ينطوي على عدّه أقاويل، لم أوردّه خوف الإطالة، الجالبه للملاله، و الشرط أملكك عليك أم لك، فإنّ هذا شيء قد هدّبه إمام الأدب و ربّه، و هو الشيخ عبد الملك في تأليفه، بعد أن أتعب نفسه في توليته، فعليك به تجد ذلك مفصّلا و أصلا مؤصّلا (١).

ثم أقول: إنّ هذا السيّد الشريف الماجد، صفوه الملوّك الأماجد، كان منتجج الرحال، و مصطنع الرجال، ولى مكّه المشرفه فاقتادها، و أحلّته الشرافه فؤادها، مع صوله قاهره، و عزمه باهره، غدت غرته بها سافره، و كرتّه ظافره، خدمه جماعه من الادياء فشغف ببضاعتهم و صبا، و هبت به ريحهم شمالا و صبا، قامت به سوق أهل العلم، فاستقوا في حلبه الفكر حتّى أحرزوا القصبا.

مدحه فاضل زمانه، و مفرد عصره و أوانه، الأديب الأريب، المحيي آثار ابن عبّاد و ابن قريب، القاضي تاج الدين المالكي، لما عرض له في وظيفه الخطابه بالمسجد الحرام، و ألبسه القفطان يوم مباشرته لها، و ذلك لتسع عشره ليله خلون من شهر رمضان عام ثمان و عشرين و ألف، بقصيده لو رآها أبو العلاء لوقف دونها متأملا، أو رام شرحها ابن الأثير لأحجم، و هو كالحائر الأسير، و سأبثها لك بتمامها، لتجتني من حدائقها مفتحات كامها، و هي هذه:

زها بك دست الملك و التاج و العقد غداه إليك الحلّ أصبح و العقد

مطاعا يعطف الله بعد رسوله اولى الامر فالعاصى لأمر ك مرتد
أبا شرف إدريس منتخب العلا أبا الشرف الوضاح غير ك والمجد
لقد خطبت (١)شمس الخلفه بدرها فقارنها فى الأوج و الطالع السعد
قنصت العلا بالزاعبيه و اللهى (٢) هما شر كاها لا الأمانى و الوعد
و قمت بعبء آد غير ك حملة منال المهارى ليس تدركه الربد
و شرفت دست الملك حين حلته و مرقاتك المرقال و الفرس النهد
فكنت به إدريس إدريس إذ رقى مكانا عليا خصه الصمد الفرد
و كنت و لم تفتن سليمان إذ دعا فاوتيت ما لا ينبغى لفتى بعد
و ما لم ينله غير آبائك الالى ربوع النداء شادوا و أزر (٣)العلا شدوا
ملوك هم الأناب للملك و السوى إذا نسبوا كانوا الزوائد أو عدوا
تولوا و أفضى ملكهم لمحجّب تصادم تيجان الملوك إذا يبدو
تأخر عصرا فاستزاد من (٤)العلا كما زاد (٥)بالتأخير ما ترقم الهند
و أصبح عطلا جيد من رام عقدها سواه و أضحى يستضىء به العقد
تفرّد طود الملك بالمجد جامعا مزايه فهو الجامع العلم الفرد
رأى أن عدته خلّه منه خلّه فصيره قصرا عليه فلا يعدو

ص: ١٤٨

١-١ فى السمط: طلبت.

٢-٢ فى السمط: و النهى.

٣-٣ فى السمط: و زند.

٤-٤ فى السمط: فاستزاد ك فى.

٥-٥ فى السمط: از داد.

فيا ملكا بالفضل أذعن ضده و ما الفضل إلا ما أقرّ به الضدّ

بك الدست يزهو يوم سلمك و البرد (١) و يوم الوغى يزهو بك السرج و السرد

و ما زلت فى حالىك سلم و ضده عليك رواق الملك (٢) يرفع و البند

فيشقى بك الجانى و يسعد مخفق و يأمن مطرود و ترهبك الاسد

إذا بيّت الأعداء أمرا تضاءلت لدى خطبه الآراء و استتر الرشد

و ترت قويم الفكر قوسا لو ترهم و أنفذت سهم الرأى ليس له ردّ

و حكمت فيهم قاضيا غير مغمد من (٣) العزم لم يكهم له أبدا حدّ

و قدت من القود الجياد مقانبا إذا طلبت يدنو بتقريبها البعد

و غلّ إلى الأعناق أيدى بطشهم من الرعب جيش لا تشام له جند (٤)

فأحياهم فى الأرض موتى كأنهم عليهم و قد ضاقت بما رحبت لحد

سجايأ أبى لا يجار طريده و لا راع يوما جار غفوته طرد

ملكك هو الطود الأشمّ للاند هو البطل الطعان (٥) و الأسد الورد

جواد له فى المال صوله ثائر تحكّم فى الجانى و أحفظه الحقد

طوت نحوه بالوفد كلّ تنوقه نجاه نجد (٦) الأرض من و خدها حدّ

ص: ١٤٩

١-١ فى السمط: و الندى.

٢-٢ فى السمط: المجد.

٣-٣ فى السمط: هو.

٤-٤ فى السمط: جيش ليس تكبو له جرد.

٥-٥ فى السمط: المطعان.

٦-٦ فى السمط: بخات بخدّ.

و جاد فلم يفقد مراما بجموده فقل عوضا عن جاد قد فقد العقد
هو البحر عذب للموالى و للعدى عذاب لهم من لجه الجزر و المدّ
هو الغيث يهيمى للولى وليه فينبت إلا أنّ منبته الحمد
و يعدو العدى و سمي هامى ربابه و تبلغها منها الصواعق و الرعد
أخا الجود قد قلّدت جيدي و دون ما تقلّدت أعناق المطامع تنقد
و أمطيتنى من كاهل العزّ مركبا ترينى ذكا كالغور صهوته النجد
فقمتم خطيبا فى المحامل (١) بالثنا و بالشكر أتلو ذا و ذاك به أشدو
ينافسنى قوم شأوت و قَصروا و ما كظليع ظالع (٢) خلفه يعدو
و يبخس منهم درّ نظمى زعانف فوا عجبا من أين للنقد النقد
سما سماء الفضل لفظى نجمها و لم يخفه ألا ترى ضوءه الرمذ
و إئى لما خوّلت أهل و لم أكن كقول حسود إنّما أسعف (٣) الجدّ
و لست به لا غير أسمو (٤) و إن يكن هو الفخر يوم الفخر و الشرف العدّ
و لكن بنفسى و العبوديّة التى بها شرف الآباء من قبل و الجدّ
و إئى لأرجو منك ما نال من مضى و لا عجب إن عزّ بالسيد العبد
بقيت بقاء الدهر فينا مملكا (٥) بك التاج يزهو و الغلائل و البرد ٦

ص: ١٥٠

١-١) فى السمط: بالمحافل.

٢-٢) فى السمط: كضليع ضالع.

٣-٣) فى السمط: أسعد.

٤-٤) فى السمط: و لست مدلاً حين أسمو.

٥-٥) فى السمط: مؤملا.

أقول: وعارض هذه القصيده سيّدنا الوالد دام بقاه، بقصيده داليه على هذا الوزن و الروى، و ضمّنها بعض أشطار من هذه القصيده، مدح بها السيّد الشريف أحمد بن غالب، أحد ملوك مكّه المشرفه الآتى ذكره المعالى، و سآثبت لك هذه القصيده فى ترجمته الشريفه إن شاء الله تعالى إذا وصلت إليها.

فصل: مسدّد و عقد منضد

ترجمه السيّد الشريف السامى، و الأيد فى اكتساب الحمد النامى،

بصيب كرمه الهامى، الشريف محسن بن الشريف حسين بن

الشريف حسن

أقول: كان بين هذا السيّد الشريف و بين عمّه الشريف إدريس بن حسن رحمهما الله تعالى رحمت توالى، فى آخر أمرهما بعد أن كانا كشخص واحد فى الاتّفاق، و عدم النفاق، و المصافاه و الصداقه، و سعى كلّ منهما فى مرضى صاحبه بقدر الطاقه، و لم يزالا كذلك فى جميع الأحوال، متشاركين فى الشرافه و ما تدخله مكّه من الأموال، ثمّ الدعاء لهما على المنابر، و اقتران اسميهما فى جميع الموارد و المصادر.

إلاّ أنّه كان لهما شريك ثالث فى محاصيل ربع البلاد فقط غير مشارك لهما فيما عدا ذلك من الدعاء على المنابر، و حمايه الأقطار و المسالك، و هو السيّد الجليل فهيد ابن الشريف حسن، فلم يزل معهما على ذلك حتّى خلع من ربه، و قنع بأن يسكن بمكّه المشرفه فى ظلال ربه، فممنع من ذلك الأمر، فأخذ مهله شهر، ثمّ فارق مفارقه الدهر، و خرج من مكّه سنه تسع عشره و ألف، فتوجه إلى

ص: ١٥١

بلاد الروم، رجاء أن ينال ما يروم.

فقيل: إنّه انيل الملك لو لا أن بادرت باختطافه يد الهلك، فتوفى سنة إحدى و عشرين و ألف في تلك الأقطار، و أرخ انتقاله بشر من جمله الأشطار، و هو «مات بالروم فهيد بن الحسن».

عودا إلى ذكر صاحب الترجمة، أفاض الله عليه شآبيب غفرانه المنسجمه:

قال العلامة الشيخ عبد الملك العصامي في تأريخه: ثم استمرّ الشريف محسن مشاركا في الأمر لعمّه، صارفا إلى طاعته، و ضمّ جماعته كلّ همّه، و هما كالتيّرين المشرقين، و الفرقدين المتّقين، يتعاضان في المهمّات و يتناصران، و يصطحبان في الغزوات و يتباصران، تهبّ بينهما نسائم المصافات قبولا و شمالا، و كلّ منهما لصاحبه يمين و شمال، و البلاد بهما آمنه مطمئنّه، و النفوس راضيه مرضيه مستكنّه.

إلى أن قال: حتّى أذنت بالتغير و الاستحاله، و مراد الله واقع لا محاله، فشرعت آثار انقلاب النصل إلى الصيف بعد الربيع، و ظهرت أمارات انتقالات التيرين بعد التثليث و التسديس بالمقابله و التربيع.

و هو أن اتفق أهل الحلّ و العقد، و كلّ من ينتظم في هذا العقد، من الساده الأشراف، و العلماء الأعيان، الذين لهم النظر و الإشراف، فجزموا برفع إدريس عن ولايه الحجاز، و نصبوا بينه و بين تصرّف عوامله المؤثّره في ذلك أمنع حجاز، و فوضوا الأمر إلى الشريف محسن بالحثم و الانجاز، و وجهوا (1) بالعزم تلك الحقيقه حين سلكوا ذلك المجاز.

و أوّل ما ظهر من هذا الأمر، و اشتهر بين زيد و عمرو، يوم الأربعاء ثالث شهر

ص: ١٥٢

(١ - ١) في «ن»: و حموا.

محرم الحرام سنه أربع و ثلاثين و ألف، فوَقعت بينهما المنافره، و امتلأت البلاد بالأراجيف المتظافره، و حاولوا ثانى ذلك النهار، بالمنادات للشريف محسن و الإشهار، فصَدَّ المنادى و حماته الأنجاد، و ردَّهم بالبنادق بعض الأجناد، الموزعين من جانب الشريف إدريس فى الأرصاء، فرجعوا ذلك اليوم و لم ينفذوا القضاء، بعد أن اصيب بعضهم من رمى البنادق فقضى.

ثمَّ لَمَّا كان الضحى تبادروا إلى ذلك بالوحاء، فركب الشريف أحمد بن عبد المطلب و المنادى معه، تحفَّ به خيل و رجال متجمعه، فأشهبوا النداء للشريف محسن بين كلِّ أحد، و الشريف محسن حلَّ بالبلد، و الناس من خوف الفتنة فى أشدَّ محنه و كبدا.

إلى أن قال بعد كلام طويل ما على نقله تعويل: ثمَّ قام بالأمر الشريف محسن، فأحسن كما أحسن الله إليه، و نهض من إحكام الأحكام بما وجب عليه، فصفت من الأمن مناهله، و وضحت من طريق الجهل مجاهله، و نشر لواء العزِّ، فوطأت أكباد العصاه جنوده و صواهله، و كان على كافه الأحوال شديدا بأعباء الخلافه كاهله (١)، إلى آخر ما ذكره العصامى فى تأريخه ملخصا.

أقول: كان هذا السيد الشريف الماجد، قبله لكلِّ قاصد و وافد، و سم فى سباب (٢) كرمه لأهل العلم مشاعر، فحجَّ إليها كلُّ أديب شاعر، و وسم قلوب الملوك الأعاضم، بميسم الرهبه، فغدا كلُّ منهم ناشرا لمدحه و ناظم، و بسم له الدهر عن ثغر الإقبال و السعاده، فمنح من شاء برّه و إسعاده، نحت نحوه العلماء فأقبل

ص: ١٥٣

١- ١) سمط النجوم العوالى ٤: ٤١٣-٤١٨.

٢- ٢) السبب: المفازة، يقال بلد سبب و بلد سباب.

عليهم، ووجه همته العلية إليهم، فواصل صلاتهم، وقاموا بخدمته قيامهم بصلاتهم، وهم علماء أماجد، وفضلاء لهم في بقاع العلم مساجد.

منهم: العالم الشهير، والمسائل (١) بالفضل الأثير، الشيخ أحمد بن الفضل باكثر، فقد خدمه هذا الفاضل العلامة بتأريخه الذي طلع في الدهر غزوه، ووجه العلوم علامه (٢)، وهو وسيله المآل في عد مناقب الآل، فلقد صدق العصامي، حيث قال: أبدع فيه و أغرب، وسلط عوامل فكره على معمولات الأدب فأعرب. إنتهى.

و مدحه بقصائد طنانه، أناف بها ذكره، وشيد أركانه، فإن أردتها فحث ركائب همتك إليها، تجد الوسيله قد انطوت عليها، ولو لا خوف التطويل لأوردتها لك بالتفصيل.

و منهم: وجيه الدين و صدر الإسلام، و شيخ مشايخ بلد الله الحرام، الشيخ عبد الرحمن المرشدي، فإنه حل عند الشريف محسن بن حسن المحلل الذي يحله من الجفن الوسن، فاغتنى من لبان إقباله، في مهاد رأفته و تحت ظلاله، و له فيه المدائح الحسان، التي لم يحم حول بلاغتها زهير و لا حسان.

و بالجمله فقد خدم هذا السيد الشريف خلق كثير من العلماء و غيرهم، فأحرزوا به نهايه التشريف، فرحمه الله تعالى و رحم أجداده، و سقاه من صوب غفرانه صيب السعاده.

ثم إنه ليملكنى الإعجاب، من كتاب صعد جو البلاغه فغاب، كتبه الشيخ

ص: ١٥٤

١-١) في «ن»: و المسائر.

٢-٢) في «ن»: غلابه.

عبد الرحمن المذكور إلى الشريف محسن بن حسن، حين صالح عمه الشريف إدريس، فأزال ما كان بينهما من الفتن، و ذلك في سنة ألف و مائه و خمس عشر، هكذا وجدت في سلافه العصر (١)، و الظاهر أنّ هذا الصلح و هما بالبلاد، إلا أنه وقع بينهما شيء من التضاد، و هذه صورته ما كتبه إليه، و عرضه عليه:

يقبل الأرض مهتئا بما عمّ بشره كآفه البشر، و رفعت له في قلوب الرعايا رايات الفرح و الظفر، و دقت له نوبات التهاني، و بلغت به نفوس (٢) الأوداء غايه الأمل و الأمانى، و أنشد لسان الحال في (٣) الارتجال:

حسم الصلح ما اشتتهه الأعداى و أذاعته ألسن الحساد

و أرادته أنفس حال تدبيرك ما بينها و بين المراد

فلعمرى لقد كانت الداهيه الدهيا، و الصاخة العميا.

فكيف يتم بأسك في اناس تصيبهم فيؤلمك المصاب

هل أنتم إلا نفس تفرقت في أجسام، و نفس تصاعد من أخشام.

لأعدا الشر من بغى لكما الشرّ و خصّ الفساد أهل الفساد

أنتما ما أتفقتما الجسم و الروح فلا احتجتما إلى العواد

فو الله لقد ناجتني بذلك نفسى، و قرطس في غرض الإصابه سهم حدسى،

ص: ١٥٥

١- ١) سلافه العصر ص ٧٠، و فيه: عام خمس عشره بعد الألف، فلا يرد عليه ما أورده، و لعلّ نسخه المؤلف من السلافه كانت فيها زياده «و مائه» سهوا من النسخ، و العجب أنّ في نسخه «ن» ليست فيها كلمه «و مائه».

٢- ٢) في السلافه: أنفس.

٣- ٣) في السلافه: على.

و كنت جازما بأن هذه الحالة لا تستقرّ، وأن نار الحرب بينكما لا تستقرّ، أنى يتم ذلك و أنتم السنم رصانه، التي لا توازيها الاطراد ثباتا و رزانه، لستم ممن يستخفه الطيش و يستشير، و لا- ممن لا- ينظر فيما يقتضيه قبيال الأمر و لا دبيره، بل أنتم ممن جبل على الرحمه و الرأفه، و استحكمت بينكما اللحمه و الالفه، و تواصلت بينكم الأرحام، و حفظ فيكم الدمام.

منع الودّ و الرعايه و السؤدد أن تبلغا إلى الأحقاد

و حقوق ترفق القلب للقلب و لو ضمّنت قلوب الجماد

حتى أنى كنت ممن يشاهد هذا الأمر من كتب، و يحقّقه تحقّق من سطر و ثائقه و كتب، فأرخت ذلك بقولى «عاقبه الأمر هو الصلح» فكان فالأجاء كفلق الصبح، فالحمد لله الذى أبدل الضراء بالسراء، و أزال عن المسلمين البأس و البأساء، و جمع بكم شمل السيادة، و حرس بكم بلاده.

فغدا الدهر (1) باهرا من رآه شاكرا ما أتيتما من سداد

فيه أيديكما على الظفر الحلو و أيدي قوم على الأكباد

هذه دوله المكارم و الرأفه و المجد و الندى و الأيادى

كسفت ساعه كما تكسف الش-مس و عادت فنورها فى ازدياد

فله درّ أبى الطيب كأنما شاهد هذه الواقعه، فوضع هذا الدرّ مواضعه، فلا بدع للمتتبي أن يخبر بالمغيبات، و حدّث عمّا هو آت، و كان ذلك ممّا له من المعجزات، و الآيات البيّنات، فالله تعالى يصون شملكم عن التفريق، و يوشى شملكم بطراز

ص: ١٥٦

١-١) فى السلافه: الملك.

الوفاق و التوفيق، و يمتع بكم الرعايا، من كافه البرايا، و السلام على الدوام (١).

و ممن مدحه بالنظم الفائق، و النثر الرائق، الفاضل العلامه، الشيخ عبد القادر الطبرى، المتقدّم ذكره، فمن جمله مدائحه التى هى ببركات تفضلاته و منائحه، قصيده النوئيه النائل بها أشرف الرتب السئيه، و هى التى مطلعها:

لا و النواعم فى حدود العين ما احتجت فى حمل الهوى لمعين

و لو لا- طلب الاختصار و خوف الإطناب، لأوردتها لك برمتها فى هذا الكتاب؛ لأنها كلّها غرر و درر، و آيات فى البلاغه و سور، و إن أردت الإشراف عليها و الإطلال، فهى مسطرّه فى وسيله المآل (٢).

قال فيها عند ترجمه هذا السيد الشريف: فممن خدم خزانته العاليه، و قصد سدّته الساميه، بالتصنيف الفائق، و الشعر الرائق، عند بابه، و خادم جنابه، المتشرّف بالنسبه إليه عند الانتساب، العبد الفقير مؤلّف هذا الكتاب، فإننى خدمته بهذا الكتاب الذى لم يسمح بمثله الزمان، و يأمن مؤلّفه أن يعزّز لعلو محلّه شأن، و مدحته بجمله من القصائد، و هى فى جيد الزمان قلاند (٣). إنتهى.

و ممّا أورد لنفسه من المدائح السئيه، قصيده يعجز أن يأتى بمثلا ابن القرئيه (٤)، لأنها حوت من البلاغه، و إتقان الصناعه، ما يشهد له بالقوه فى النظم

ص: ١٥٧

١-١) سلافه العصر ص ٧٠-٧٢.

٢-٢) وسيله المآل ص ١٠٢-١٠٤ مخطوط، و أورد القصيده أيضا بتمامها العصامى فى كتابه سمط النجوم العوالى ٤:٤٢٤-٤٢٦.

٣-٣) وسيله المآل فى عدّ مناقب الآل للحضرمى ص ٩٨ مخطوط.

٤-٤) فى «ن»: ابن القرئيه.

و البراعه؛ لأنها احتوت على نمط التشجير، لأنه ضمّنها ثلاث آيات و تاريخا، و لو لا خوف الإطاله المورث للملاله لأوردتها لك.

و ولد هذا السيد الماجد فى جمادى الاولى سنه أربع و ثمانين و تسعمائه، و توفى سنه... (١) و الله أعلم.

فصل: عظيم و عقد تنظيم

ترجمه السيد الشريف أحمد بن الشريف عبد المطلب

ابن الشريف حسن رحمه الله تعالى

استولى على شرافه مكه المعظمه سنه سبع و ثلاثين و ألف، و دخلها متوجّها إليها من جدّه، ضحى اليوم السابع عشر (٢) من شهر رمضان من السنه المذكوره.

و قصّه مبدأ حاله، و اخضلال روضه بعد إمحاله، هو أنّ للدهر عبر، فى كلّ مبتدء و خبر، و هو فى ذاته أهل لما نال، إلا أنّ العجب من مقتضيات الأحوال.

و ذلك أنّه ورد فى آخر شهر صفر من السنه المذكوره إلى جدّه الوزير أحمد باشا متولياً الجهات اليمّنيه، و كان قد انكسر مركبه قرب جدّه، و غرقت جميع أمواله، فأرسل إلى الشريف محسن بهديّه، ثمّ نزل إليه الشيخ عبد الرحمن المرشدى بمكاتيب من الشريف محسن، فأقام عنده أياماً.

ص: ١٥٨

١ - ١) بياض فى النسختين، و توفى الشريف محسن فى شهر رمضان سنه (١٠٣٨) كما ذكره العصامى فى السمط النجوم العوالى ٤:٢٢٩، و زينى دحلان فى كتابه تاريخ الدول الإسلاميه بالجداول المرضيه ص ١٥٢، قال: و توجه محسن إلى اليمن و توفى هناك سنه (١٠٣٨).

٢ - ٢) فى «د»: السابع من شهر رمضان.

ثم إنَّ الباشا طلب من حضره الشريف محسن الإعانة، فشرعوا في تدبير ما يرسل إليه، و طلب غواصين لإخراج ماله، فغاصوا فلم يخرجوا شيئاً، فتخيّل الباشا أنّهم مأمورون بذلك، فتغيّر و تنكّر و ترائد (١) الحال، إلى أن حبس حاكم مولانا الشريف بجده، و رجلاً آخر كان قد أرسله الشريف إليه بمكاتيب.

فأرسل الشريف من حضرته من ينظر في هذا الحال، رجاء في تدارك الاختلال، فلم يجد شيئاً، ثمَّ إنّه ورد الخبر بأنَّ الباشا صلب الحاكم الذي قد كان حبسه، فأتسع الخرق، و ظهرت أماره الفتنة، و كثرت الوسوسة.

و كان الشريف أحمد المشار إليه قد نزل إلى جدّه حين سمع به، فكان يتردّد عليه مدّه متعلّقاً بسببه، و أحواله رثه مختلّه، و ذات يده بدءاً الاملاق معتلّه، و عرى آماله عن التعلّق بالملك بحسب العقل منحلّه، حتّى أنّه لم ينزل جدّه إلاّ على حمار، و له في ذلك بين الناس نقول و أخبار، و هي دالّة على علوّ همّته، و وفاء ذمّته.

و كان متمسّكاً في رجاء الملك بعروه و ثقى، و وعد ممّن لا يقول إلاّ صدقا و حقّاً، تمسّك بأذيال أهل الحقائق، فأخذ العهود و الطرق (٢) على عدّه من مشايخ الطرائق (٣)، من أجلهم الشيخ أحمد الشناوى، و هو الذى بشّره بما بلغه من السعادة، لكنّه قال له: على الشهاده يا أحمد، فقال: على الشهاده.

و كان حين قصد قصده، و وجّه عزمه إلى بندر جدّه، قد ربّ مع الشريف

ص: ١٥٩

١-١) في «د»: و زاد.

٢-٢) في «ن»: الطريق.

٣-٣) في «ن»: المشايخ للطرائق.

مسعود بن الشريف إدريس، ترتيباً رجوع بعد تمكنه من الملك كريع دريس، فقرّر معه أنى أسعى فى الأمر و يكون إليك، و أجلو بدره إذا تمّ عليك، فاستملّ الأشراف عن الشريف محسن، و أتقن استجلايهم بالباطنه و أحسن، فاتّفقا على ذلك، حتّى ظهر ما هنالك.

فلما وقع من الباشا ما وقع، اضطربت مكّه حين وصل الخبر بما صنع، و ماج الناس، و هاج الوسواس، ثمّ بعد مدّه تزايدت الشدّه، و وصل الخبر بأنّ أحمد باشا قد هلك، و أنّ الشريف أحمد استمال عساكره إليه، و سلك ما سلك، و استولى على أموال جدّه و ملك.

ثمّ فى أواخر شعبان ورد الخبر بأنّ الشريف أحمد سار من جدّه بعساكره المنظّمه، قاصدا مكّه المعظّمه، و سار أيّاما عديده على جهه وادى مرّ، تالياً و السّاعه أذهى و أمرٌ (١) حتّى وصل الخبر سادس عشر رمضان بأنّه قارب مكّه أو كاد، فبرز الشريف بما لا يحصيه إلاّ الله من الأشراف و الأجناد، فوقعت بالقرب من التنعيم، معرکه خطبها عظيم، توقّف فيها الأشراف عن الفتك بالشريف أحمد، و ودّوا أنّ نار الفتنة تخمد.

فأسفر الحال بعد مثار القتال عن توجه الشريف محسن مع بعض الساده الحسيّيه، إلى جهه الحسيّيه، و دخل الشريف أحمد إلى مكّه المشرفه، و جرت بها أحكامه المتصرّفه، و ذلك ضحى يوم الأحد السابع عشر من رمضان سنه سبع و ثلاثين و ألف، فصار ما صار، و اتّفق ما اتّفق، و قام سوق الفتك، فراج فيه متاع الأرواح و نفق، و وقعت امور و أحوال، تتناقلها الناس إلى الآن بالأقوال، و عاقب

ص: ١٦٠

كثيرا ممن كان يظهر استبعاد ولايته، و يطلق لسانه بغوايته في ميدان غايته، و يقيس نهايته على بدايته، فكانت أيامه أيام فتن و محن، و حقوق و إحن.

و استمر في الولاية إلى أن حج بالناس حجّه ثمان و ثلاثين و ألف، و مات شهيدا ليله الأحد خامس شهر صفر من سنة تسع و ثلاثين و ألف. و سبب قتله و القاتل له يأتي في ترجمه السيد مسعود بن الشريف إدريس إن شاء الله تعالى، و دفن بالمعلاة، و لاقى ربّه و مولاه.

نقلت ذلك من خط سيدنا الوالد، مع اختصار صدر منّي، و قال هو دام ظلّه: هذا ما لخصته بالمعنى اختصارا من تأريخ الشيخ عبد الملك العصامي، و قد قال -يعني العصامي- في آخر ما أورده: كذا في عقود (١) الجواهر و الدرر في أهل القرن الحادي عشر (٢). إنتهى.

أقول: و هذا التاريخ الذي ذكره العصامي و غالب نقوله منه، هو من مؤلفات السيد العلامة العارف بالله السيد محمد بن السيد أبي بكر الشلي، و اسمه عقد (٣) الجواهر و الدرر في أخبار أهل القرن الحادي عشر، كذا رأيت في لسان الزمان، للعالم العامل الفاضل الكامل، واسطه عقد ذوى المعارف الإلهية، و درّه تاج أهل التاله و البحوث العلميّه، العالم العلامة، القدوه الفهامة، مولانا و شيخنا و مقتدانا (٤)، الشيخ محمد بن الشيخ أحمد المعروف ب«عقيله» حرسه الله تعالى، و أولاه أطفافا

ص: ١٦١

١- ١) كلمه عقود غير موجوده في النسختين.

٢- ٢) سمط النجوم العوالى ٤:٤١٤.

٣- ٣) فى السمط: عقود.

٤- ٤) فى «د»: و معتقدنا.

توالى، و له مؤلفات عديدة، و مصنفات مفيدة، نفعنا الله بها، و أذاقنا حلاوه طعم العلم بسببها.

عودا إلى ذكر صاحب الترجمة:

كان هذا السيد من ذوى الهمم العلية، التى تراحم الأفلاك و تقصر عن مداها ملوك الساده الحسنيّه، المنتمين إلى المخاطب ب«الولاك» صلى الله عليه و على آله و سلم، و هداانا لنهجه القويم و علم، إلا أنه كان له فى الظلم قصور مشيده، و إقدامات فيه غير مقيدة، قتل فى دولته خلقا كثيرا، و أوردهم حياض المنيه من غير نظر فى العواقب و لا تدبير.

ترجمه الشيخ عبد الرحمن المرشدى و سبب قتله:

فمن جملة من كسف قمره، و أخفى أثره، الفاضل الأديب، الشيخ عبد الرحمن المرشدى.

قال السيد على فى سلافه العصر: و لم يزل ممتطيا صهوة العزّ المكين (1)، راقيا ذروه طود الجاه الركين، لا يقاس به قرين، و لا تطأ آساد الثرى له عرين، إلى أن تولى الشريف أحمد بن عبد المطلب مكّه المشرفه، و رفل فى حلال ولايتها المفوفه، و كان فى نفسه من الشيخ المشار إليه ضغن، حلّ بصميم مهجته و ما ظعن، فأمر أولا بنهب داره، و خفض محلّه و مقداره.

ثم قبض عليه قبض المعتمد على ابن عمّار، و جزاه الدهر على يديه جزاء سنّمار، إلا أنّ المعتمد أغمض ابن عمّار بالحسام الأبيض، و هذا طوقه هلال فتر من أنامل عبد أسود، فجرعه طعم الموت الأحمر، و كان قد أبقاه فى محبسه إلى ليله

ص: ١٦٢

(١-١) فى السلافه: المتين.

ثمّ خشى أن يسعى في خلاصه من أكابر الروم من عرفه، فوجه إليه بزنجى أشوه خلق الله خلقا، وتقدّم إليه لقتله في تلك الليلة خنقا، فامتثل أمره فيه، وجلّله من برد الهلاك بضافيه، فأفقرت بموته المدارس، وأصبحت ربوع الفضل و هي دوارس، و ذلك في عام سبع و ثلاثين و ألف.

و من الاتفاق أنّ الشريف المذكور قتل هذه الليلة بعينها، حين (١) تقاضت منه الليالي ما أسلفته من دينها، و في الأثر «كما تدين تدان» و هذا حال الدهر مع كلّ قاص و دان (٢). إنتهى.

و في تاريخ العصامي ما هذا صورته: و اختلفت الأقوال في سبب قتل الشيخ عبد الرحمن بن عيسى المرشدى، فقيل: تعريضه بالشريف أحمد بن عبد المطلب في خطبه عقده التي خطب بها في زواج سلطانه بنت على شهاب، و كان الشريف أحمد طلب التزوج بها فلم يزوجه، فعرض الشيخ بذلك، حيث قال في مبتداء الخطبه: الحمد لله الذى أعزّ سلطانه، و دحض شيطانه.

و قيل: إنّه جاء إلى الشريف المذكور عند موت أخيه محمّد بن عبد المطلب معزيا لابسا صوفا أبيض.

و قيل: إنّ الشريف أحمد حين استولى على مكّه، و طلع إلى دار السعاده على فرش الشريف محسن، و جد تحت طرف المرتبه فتيا من الشيخ المذكور بتسميتهم بغاه جائرين ظالمين، و بوجوب قتالهم، بخطّه المعروف، و اسمه الموصوف، و الله

ص: ١٤٣

١- ١) فى السلافه: حتى.

٢- ٢) سلافه العصر ص ٦٨-٦٩.

أعلم أيّا كان سبب ذلك (١). إنتهى.

وجوب محبته ذريته رسول الله صلى الله عليه وآله:

و على الجملة، فقد كان هذا السيد ظالما (٢) فتأكا للدماء، ذا جرأه على حرّات الله تعالى، هكذا ذكر أهل التواريخ و السير، غير أنّ اتّصال نسبه الشريف برسول الله صلى الله عليه وآله لا ريب فيه، و لا تشكيك ينافيه، فلعلّ الرحمة الإلهية تداركه ببركه ذلك و توافيه، فمن كان فرعا لهذه الجرثومه الشريفه، و النسبه المنيفه، فقد أوجب الله علينا تعظيمه و تشريفه، من غير تعرّض لما يصدر منه و ينقل عنه من الامور القبيحه، و الحركات المستهجنه، و الإغضاء و عدم الانتقاد، لما يصدر من ذريته صلى الله عليه وآله و سلم من أجلّ القربات، و أعظم المثوبات.

ففى توثيق عرى الإيمان للبارزى (٣): إنّ من علامات محبته صلى الله عليه وآله محبته ذريته، و إكرامهم، و الإغضاء عن انتقادهم، فما انتقد ذريته محمّد صلى الله عليه وآله محبّ لمحمّد صلى الله عليه وآله قطّ، و أن يغضى المؤمن عن انتقاد أولاد الصحابه أيضا، كما أغضى عن انتقاد ذريته رسول الله صلى الله عليه وآله، و أهل البيت؛ لأنّهم قوم شرفهم الله تعالى، و أخلاقهم فلا تغلب

ص: ١٦٤

١- (١) سمط النجوم العوالى ٤:٢٢٧-٤٢٨.

٢- (٢) فى «ن»: ظلوما.

٣- (٣) توثيق عرى الإيمان فى تفضيل حبيب الرحمن، لشرف الدين أبى القاسم هبه الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم المعروف بابن البارزى الحموى الشافعى، المتوفى سنه (٧٣٨) و هو مجلّد واحد، رتبه على أربعة أركان: الأوّل فضائله عليه الصلاه و السلام، الثانى: فى أوصافه، الثالث: فى إغائه من استغاث به، الرابع: فى كراماته.

عليها أفعالهم، كما تغلب الأفعال في من أقدارهم بحسب أفعالهم (١). إنتهى.

نقل ذلك السيّد العلامة السيّد عبد الرحيم السمهودى فى تأليفه الإشراف فى فضل الأشراف (٢)، و كأنه مختصر جواهر العقدين لعمّه العلامة السيّد على السمهودى (٣).

ثمّ قال: قلت: و الإغضاء هو غُضُّ البصر، و الانتقاد هو التطلّع إلى الشىء ليعرف حقيقه ذلك الشىء، فلا ينبغى التطلّع إلى أحد من ذريه محمّد صلّى الله عليه و آله و أهل البيت، يعنى: إذا كانوا على شىء من القبائح، بل يغضّ طرفه و يتشاغل (٤) عنهم. هذا ما ظهر لى فى معنى ذلك (٥). إنتهى كلامه رفع بيركتهم مقامه.

أقول: هذا كلّه نظرا إلى أن فاطمه عليها السّلام بضعه من رسول الله صلّى الله عليه و آله، فإنّ أولادها بضعه منها، فلا شكّ أنّهم بضعه من رسول الله صلّى الله عليه و آله بواسطتها.

و إلى هذا الأصل الأصيل طمّح نظر عمر بن الخطّاب حين خطب امّ كلثوم ابنه فاطمه عليها السّلام، بل قال: إنى أحبّ أن يكون عندى عضو من أعضاء رسول

ص: ١٦٥

-
- ١- ١) توثيق عرى الإيمان للبارزى، لم أظفر عليه.
 - ٢- ٢) الإشراف على فضل الأشراف ص ٢٢٦ طبع قم.
 - ٣- ٣) قال فى مقدّمه كتابه الإشراف ص ٢٦: و قد جمعت ذلك من كتاب العمّ السيّد الشريف الإمام العلامة القدوه المحقّق، فريد عصره، نور الدين على الحسنى الشافعى السمهودى نزيل طيبه المشرفه، و عالم الحجاز، المسمّى بجواهر العقدين فى فضل الشرفين، شرف العلم الجلى و النسب العلى.
 - ٤- ٤) فى الإشراف: و يتغافل.
 - ٥- ٥) الإشراف على فضل الأشراف ص ٢٢٦-٢٢٧.

اللّٰهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (١).

قال السيّد على السمهودي: فكلّ من يشاهد اليوم من ولدها، فهو بضعه من تلك البضعة، وإن تعدّدت الوسائط، كما سبقت الإشارة إليه، فمن تأمّل في ذلك كيف لا- ينبعث عن قلبه داعي الإجلال و التعظيم لهم، و يجتنب بغضهم على أيّ حاله كانوا عليها (٢). إنتهى.

و قال في موضع آخر: و احذر أن تمنى النفس في بغضهم بما يرمى به بعضهم من الابتداء، و مجانبه الأتباع، فهذا لا يخرجهم من دائره الذريه، و لا النسبه النبويه، و قل كلّ يعمل على شاكلته (٣). إنتهى.

قلت: هذا إذا كان في الأديان التي عليها المشاخره العظيمه، و إراقه الدماء في بعض المخالفات، كارتكاب ما لا يليق من سبّ و نحوه، فما بالك بمن كان على سنن مستقيم، إلاّ أنّه صدر منه بعض امور، قحمه على ارتكابها ما يحتاج الملك إليه من السياسات (٤). و على كلّ حال فلهم رحم و قرابه، يستوجبون بها غفرانه تعالى و ثوابه، و كيف لا نسلم هذه المقدمه المهمه، و جدّهم شفيع هذه الامه.

فقد روى عبد الرحمن بن أبي رافع، عن امّ هانئ ؓ ابنه أبي طالب رضى اللّٰهُ عنها، أنّها خرجت متبرّجه قد بدت أقدامها، فقال لها عمر بن الخطّاب: إعلمي أنّ محمّدا لا يغني عنك شيئا، فجاءت إلى النبي صلّى اللّٰهُ عليه و آله فأخبرته، فقال رسول اللّٰهُ صلّى اللّٰهُ عليه و آله: ما بال

ص: ١٦٦

١-١) ذخائر العقبى للطبري ص ٢٢٧.

٢-٢) الإشراف على فضل الأشراف ص ٢٢٧.

٣-٣) الإشراف على فضل الأشراف ص ٢٢٩.

٤-٤) في «ن»: السياسه.

أقوام يزعمون أنّ شفاعتي لا تنال أهل بيتي، وأنّ شفاعتي تنال حا و حكم.

روى هذا الحديث السيّد السمهودي في الإشراف، قال: وأخرجه الطبراني في الكبير (١)، و«حا و حكم» قبيلتان من اليمن (٢).

و روى أبو سعيد الخدري، قال: سمعت رسول الله صَلَّى الله عليه و آله يقول على المنبر: ما بال رجال يقولون إنّ رحم رسول الله صَلَّى الله عليه و آله لا ينفع قومه يوم القيامة؟ بلى و الله إنّ رحمى موصوله في الدنيا و الآخرة، و إنّى أئبها الناس على فرط لكن على الحوض.

قال السيّد السمهودي: رواه أحمد (٣)، و الحاكم في صحيحه (٤)، و البيهقي من طريق عبد الله بن محمّد، هو ابن عقيل، عن حمزه بن سعيد، عن أبيه به (٥).

و روى ابن عباس رضي الله عنه، أنّه صَلَّى الله عليه و آله قال: ما بال أقوام يزعمون أنّ قرابتي لا تنفع، إنّ كلّ سبب و نسب منقطع يوم القيامة إلا سببي و نسبي، و إنّ رحمى موصوله في الدنيا و الآخرة (٦).

قال عمر بن الخطّاب: فتزوّجت امّ كلثوم بنت علي عليه السّلام من فاطمه عليها السّلام، لما سمعت من رسول الله صَلَّى الله عليه و آله يومئذ، و أحببت أن يكون بيني و بينه نسب و سبب (٧).

ص: ١٦٧

١-١) المعجم الكبير للطبراني ١٠: ٣٨٥ برقم: ٢٠٤٩٥ طبع دار الكتب العلميّه بيروت.

٢-٢) الإشراف على فضل الأشراف ص ١٤٢.

٣-٣) مسند أحمد بن حنبل ٣: ١٨.

٤-٤) المستدرک على الصحيحين للحاكم ٤: ٧٤.

٥-٥) الإشراف على فضل الأشراف ص ١٤٢.

٦-٦) الإشراف على فضل الأشراف ص ١٤٢، و ذخائر العقبى ص ٦.

٧-٧) الإشراف على فضل الأشراف ص ١٤٢-١٤٣.

رواه المحبّ الطبري (١) بغير إسناد، ولا غرو.

و الأحاديث متوفّره بهذه المعاني، عامره لأغاني هذه المغاني، و ما أوردناه لمعه من رياض، و جرحه من بحر فياض، و إلاّ فما ورد في أهل البيت عليهم السّلام و ذريّتهم من بعدهم، من الحثّ على إكرامهم و تعظيمهم، و الإغضاء عنهم فيما يصدر عنهم من المخالفات، فهو شيء قد طفحت به كتب الحديث و التواريخ و السير، و شاع بين أهل الملل الإسلاميّه، و استمرّ و ظهر.

و ها نحن نغضّ البصر عن انتقادهم، و التعرّض لهم، كما حكم به و أمر، فصلّى الله عليه و على آله، و رزقنا السعاده بالمودّه لقربه، فهي سعاده فاخره، كافله بنيل الحسنى فى الدنيا و الآخره.

ثمّ نقول: إنّ هاهنا نقول: لا بأس بإيرادها فى هذا المقام، إلحاقا بما تقدّم من الكلام، فهي بالمقصود وافية، و لتعرّض الجهّال ناهيه.

روى العلامة السيّد عبد الرحيم السمهودى فى كتابه الإشراف، عن عمّيه السيّد الجليل السيّد على السمهودى فى جواهر العقدين، قال رحمه الله تعالى: أخبرنى الإمام الشيخ العلامة المحقّق شيخ المالكيه فى زمنه شهاب الدين أحمد بن يونس القسطنطينى (٢) المغربى نزىل الحرمين الشريفين فى مجاورته بالمدينه النبويه سنه خمس و سبعين و ثمانمائه: إنّ بعض مشايخه ممّن يثق به أخبره أنّ شخصا من أعيان المغاربه عزم على التوجّه من بلاده للحجّ.

قال: فأحضر إليه شخص من أصحاب الثروه مبلغا أظنّه مائه دينار، و قال له: إذا

ص: ١٤٨

١-١) ذخائر العقبي للمحبّ الطبري ص ٦.

٢-٢) فى الاشراف: القسطنينى.

وصلت إلى المدينة النبويّة، فسل عن شخص من الأشراف بها يكون صحيح النسب، فتدفع ذلك إليه، عسى أن يكون لي بذلك وصله بجده صلوات الله و سلامه عليه.

قال: فلما رجع إليهم ذلك المغربي، أخبر أنه قدم المدينة و سأل عن أشرافها، ف قيل له: إن نسبهم صحيح، غير أنهم من الشيعة الذين يسبون، قال: فكرهت دفع ذلك لأحد منهم.

قال: ثم جلس إلى واحد منهم، أو قال: جلست إليه، فسألته عن مذهبه، فقال:

شيعي، فقلت له: لو كنت من أهل السنّة لدفعت إليك مبلغا عندي، قال: فشكى فاقته و شدّه احتياجه، و سألتني شيئا منه، فقلت له: لا سبيل إلى أن أعطيك شيئا، فذهب عني.

قال: نمت تلك الليلة، رأيت أنّ القيامة قامت، و الناس يجوزون على الصراط، فأردت أن أجوز، فأمرت فاطمه عليها السّلام بمنعني، فمنعت، فصررت أستغيث و لا أجد مغيثا، حتّى أقبل رسول الله صلّى الله عليه و آله فاستغثت به، و قلت: يا رسول الله منعني فاطمه عن الجواز على الصراط، فالتفت إليها رسول الله صلّى الله عليه و آله، و قال: لم منعني هذا؟ فقالت: لأنّه منع ولدي رزقه.

قال: فالتفت و قال: قد قالت إنك منعت ولدها رزقه، فقلت: و الله يا رسول الله ما منعه إلاّ لأنّه يسبّ الشيخين، قال: فالتفت إليها، و قال: قد قال إنّه ما منعه إلاّ لأنّه يسبّ الشيخين، قال: فالتفت فاطمه عليها السّلام إلى الشيخين، و قالت لهما: أتواخذاني ولدي بذلك؟ فقالا: لا، بل سامحناه بذلك، قال: فالتفت إليّ و قالت: ما الذي أدخلك بين ولدي و بين الشيخين؟ فانتبهت فزعا، و أخذت المبلغ، و جئت به إلى ذلك الشريف، فدفعته له، فتعجّب من ذلك، و قال: بالأمس أسألك في يسير منه

فامتنعت و الآن كيف جئنى به؟! قال: فقصت عليه القصة (١)، فبكى و قال:

أشهدك على و أشهد الله و رسوله أنى لا اسبهما أبدا ما حيت (٢). إنتهى.

و روى السيد المذكور، قال: روى التقى المقريزى عن يعقوب بن يوسف بن على بن محمد المغربى، أنه كان بالمدينه الشريفه فى رجب سنه تسع عشره و ثمانمائه، فقال له الشيخ العابد أبو عبد الله محمد الفارسى و هما بالروضه النبويه:

إنى كنت أبغض أشراف المدينه النبويه بنى حسين، لما يظهرون من التعصب على أهل السنه، و يتظاهرون به من البدع.

فرايت و أنا نائم بالمسجد النبوى تجاه القبر الشريف رسول الله صلى الله عليه و آله، و هو يقول: يا فلان-باسمى-مالى أراك تبغض أولادى؟ فقلت: يا رسول الله ما أكرههم (٣)، و إنما كرهت منهم ما رأيت من تعصبهم على أهل السنه، فقال لى:

مسأله فقيهيه، أليس الولد العاق يلحق بالنسب؟ فقلت: بلى يا رسول الله، فقال: هذا ولد عاق، قال: فانتبهت صرت لا ألقى أحدا من بنى حسين أشراف المدينه إلا بالغت فى إكرامه (٤). إنتهى.

و ذكر صاحب وسيله المال فى ترجمه الشريف أبى بن نمى بن أبى سعد المتقدم ذكره، أنه لما توفى و قدّم للصلاه عليه، امتنع الشيخ عفيف الدين الدلاصى من الصلاه عليه، فرأى فى المنام السيده فاطمه بنت النبى صلى الله عليه و آله و هى فى المسجد

ص: ١٧٠

١-١ فى الإشراف: الرؤيا.

٢-٢ الإشراف على فضل الأشراف ص ٢٣٠-٢٣١.

٣-٣ فى الإشراف: يا رسول الله حاش لله أن أكرههم.

٤-٤ الإشراف على فضل الأشراف ص ٢٣٣.

الحرام و الناس يسلمون عليها، فجاء الشيخ عفيف الدين ليسلم عليها، فأعرضت عنه، و منعتة ثلاث مرّات، ثمّ تحامل (١) عليها و سألتها عن سبب إعراضها عنه، فقالت له: يموت ولدى و لا تصلى عليه، فاعتذر منها و تاب، و اعترف بالظلم.

قلت: الظاهر أنّ الشيخ عفيف الدين لم يصلّ عليه من حيث إنّه كان ظالماً، أو منتهكاً لحرّمات الله، و ما أشبه ذلك من الامور التى ثبت عنده ما ينافى الصلاة عليه بسببها، فلا حول و لا قوّه إلاّ بالله العلى العظيم، و حسبنا الله و نعم الوكيل.

و فيما أوردناه كفايه لمن ألهمه الله التوفيق، و رزقه الهداية، و إن أردت زياده على ذلك، فعليك بخاتمه و سيله المآل، و بجواهر العقدين، و غيرهما من كتب التواريخ تجد بحرا زاخرا.

ترجمه الشريف أحمد بن مسعود الحسنى:

عودا إلى صاحب الترجمة رحمه الله تعالى:

قال بعض أهل التواريخ: و ممّن نابذ هذا السيّد، و رماه بالقذف و الطعن، فى قصيده يمتدح بها إمام اليمن محمّد بن القاسم ابن عمّه السيّد أحمد بن مسعود بن الشريف حسن (٢). إنتهى.

قلت: هذا تذييب لطيف، و تذييب لترجمه هذا السيّد الشريف، و هو أن أذكر هنا ترجمه السيّد أحمد المذكور، و ما وقفت عليه من أخباره، و رقيق أشعاره، و هممه العليّه، و مكارمه السّيّه.

و ما أدرجت ترجمه هذا السيّد الأجد، فى ضمن ترجمه الشريف أحمد، إلاّ

ص: ١٧١

١ - ١) فى «ن»: تحايل.

٢ - ٢) سمط النجوم العوالى ٤: ٤٤٩.

لأنه قد منح بشرافه مَّكَّه من ممدوحه السلطان مراد، وإنَّما حال بينه وبين ذلك حكم القضاء النافذ على العباد، بأن دعاه الحقَّ إلى لقائه، وصرَّم مَدَّه بقاءه، كما ستقف عليه إذا وصلت إليه، وحين منحه السلطان مراد بذلك، كان الشريف أحمد ملك الأقطار الحجازيه و تلك المسالك.

قال السيد على معصوم، وهو أديب العصر، في مؤلَّفه سلافه العصر، عند ذكر السيد أحمد بن مسعود رحمه الله، ما هذا لفظه: نابغه بنى حسن، و باقعه الفصاحه و اللسن، الساحب ذيل البلاغه على سحبان، و السائر بأفعاله و أقواله الركبان، أحد الساده الذين رووا أحاديث (1) السياه بَرَّا عن بَرِّ، و الساسه الذين فتقت لهم ريح الجلاذ بعنبر، فاقتطفوا نور الشرف من روض الحسب الأنضر، و جنوا ثمر الوقائع يانعا بالنصر من ورق الحديد الأخضر.

كانت له همَّه تراحم الأفلاك، و تراغم بعلو قدرها الأملاك، لم يزل يقدر من نيل الملك ما لم يف به عدده و عدده، و لم يمدَّه عليه من القضاء و الزمان مدده و مدده، فاقتحم لطلبه بحرا و بَرَّا، و قلَّد للملوک بمدحه جيدا و نحرا، فلم يسعفه أحد و لم يساعده، إذا عظم المطلوب قلَّ المساعد.

و كان قد دخل شهراره من بلاد اليمن في إحدى الجمادين من سنه ثمان و ثلاثين و ألف، و امتدح بها إمامها محمَّد بن القاسم، بقصيده راح بها ثغر مديحه ضاحكا باسم، و طلب منه مساعدته على تخلص مَّكَّه المشرفه له، و إبلاغه من تحليته بولايتها أمله، و كان ملكها إذ ذاك الشريف أحمد بن عبد المطلب، فأشار في بعض أبياتها إليه، و طعن فيها بسنان بيانه عليه، و مطلع القصيده:

ص: ١٧٢

سلا عن دمی ذات الخلاخل و العقد بماذا استحلّت أخذ رومی علی عمد

فإن أمنت أن لا تقاد بما جنت فقد قيل أن لا یقتل الحرّ بالعبد

و منها: یخاطب الإمام المذكور، و طاعنا علی سلطان مکّه المشرفه:

أغث مکّه و انهض فأنت مؤید

من الله بالفتح المفوض و الجدّ

و قدّم أخوا ودّ و آخر مبغضا

یساور طعنا فی المؤید و المهدي

و یطعن فی کلّ الأئمّه معلنا

و یرضی عن ابن العاص و النجل من هند

فلم یحصل منه علی طائل، إلا ما أجاز به من فضل و نائل، فعاد إلى مکّه المشرفه سنه تسع و ثلاثین و أقام بها سنتین، ثمّ توجه إلى الدير الرومیه فی أواسط شهر ربیع الثانی فی سنه احدى و أربعین قاصدا ملكها السلطان مراد خان، فورد علیه فی القسطنطينیه العظمی مقرّ ملكه، و اجتمع به و مدحه بقصيده فريده سأله فيها توليته مكّه المشرفه، و أنشده إياها فی أواخر شوال سنه احدى و أربعین و ألف، و مطلع القصيده قوله:

ألا هبّی فقد بكر الندامی و میج المرج من ظلم الندامی (١)

إلى أن قال: فيقال: إنه أجابه إلى ملتسمه و مراده، و أراه من مقصده أخصب مراده، و لكن مدّت إليه يد الهلك، قبل نيل الملك، و قيل: بل أجزل صلته فقط، فقد طمّعه على ما يتمناه و قط، و لم يعد إلى مكّه شرفها الله تعالى، و توفّي في تلك السنه

ص: ١٧٣

١- ١) ذكر تمام القصيده في السلافه، فراجع.

أو التي تليها، والله أعلم (١). إنتهى النقل من السلافه، رحم الله مؤلفها و رحم أسلافه.

أقول: كان هذا السيد من ذوى الهمم العليه، و النفوس الأبيّه، و الشهامات القرشيّه، لم ترض نفسه الشريفه إلا بتسنّم ذروه الرتب المنيفه، مع فضل زاحم به العلماء الأعلام، و أدب يقف دون معرفه نهايته أبو تمام، و له ديوان شعر أرقّ من النسيم، و أذكى من الشميم، و سننقل ملحا من أخباره، و تحفا من نبات أفكاره.

فمن ذلك قصيدته الداليه التى تقدّم ذكر مطلعها فى أثناء ترجمته المنقوله من السلافه، و هى هذه:

سلا (٢) عن دمي ذات الخلاخل و العقد بماذا استحلّت أخذ روعي على عمد

فإن أمنت أن لا تقاد بما جنت فقد قيل أن لا يقتل الحرّ بالعبد

و إن أخذتها دون كلّى فإننى جليد و موهى (٣) العزائم بالصدّ

خذنا قبله منها تديه فإنّه قتيل و لكن ليس يلحد فى لحد

صريع بسهم اللحظ و البين لم تزل مقسّمه أجزاءه فى القرب و البعد

أخو لوعه لو أنّ أيسر بعضها بصلد لكان العهن أقوى من الصلد

و مرّا على الوادى الذى قد تفاوحت جوانبه عرفا بما ضاع من هند

و عوجا رقاب العيس فيها عشيه لنبكي بها عصرا تولّى على نجد

و نقضى لبانات الصبا بمحلّه بوجنه وجه الدهر كالخال فى الخدّ

ص: ١٧٤

١ - ١) سلافه العصر ص ٢٢-٢٥.

٢ - ٢) فى السمط: سلوا.

٣ - ٣) فى السمط: و مضعوف.

زمان و وجه الدهر طلق و قدّه نضير و ثغر الوصل يفتّر عن عقد
أجرّ به ذيل الخلاعه رافلا و أركض خيل الغيّ في حلبه الرشد
و أمرح في خيل (١) الشباب و حاسدى يدعدع لى أن أكبّ يوما على وعد
فله أيام و ربع تصرّمت لياليها عنى و عوّضنى وجدى (٢)
فأصبحت فى جيش من الحبّ أرعن على أننى فى مهجه (٣) مفرد وحدى
أعض به كفى و أقرع بالحيا بنانى (٤) و لا يغنى فتبلا و لا يجدى
و أندب أياما على غيضة الفضا و غيضى بها غيضى الأسير على القدّ
فحيا الحيا دارا بنجد و اختها معطّله بالغور و العلم الفرد
و منعرج بالجزع هل مات رسمه فأحبيه بالتأبين أم هو على عهدى
فثمّ به قلب فقيد حبسنه عيون المها بين الأجارع و الرند
و لكنّها لم تدر أنّ محمّدا طلب لنا لو كان فى مريض الأسد
إمام شأى فى الفخر أهل زمانه فأنسى و أعيأ فيه للقبل و البعد
ينادى أمير المؤمنين لأنّه تقمّمها إرثا عن الأب و الجدّ
و غيث إذا ما النوء خوّت رعوده فراحاته فى المحل تغنى عن الرعد
و ضرغام حرب حين تنصلت الظبا و ينقصم المران فى السرد و السرد
إذا انكسر الهندى فى رأس قرنه فمن عرضه غضب أحدّ من الهندى

ص: ١٧٥

١-١) فى السمط: شرح.

٢-٢) فى السمط: وحدى.

٣-٣) فى السمط: نهجه.

٤-٤) فى السمط: لسانى.

أخو صبوه فى المكرمات فلم تزل بمنظره فى أشرف الزمن الرغد

فبدر لمستجل و ورد لمجتن و غيث لمستجد و ليث لمستعدى

و أيامه بيض و خضر بجوده ألا إنَّها من عدله زمن الورد

(فإن يك بالإفضال و البأس و التقى و ربّ الثنا و الحلم و العلم و الزهد) (١)

دعى بأمر المؤمنين محمّد خليفتنا المهدي هذا هو المهدي

محكم سيف الحقّ فى كلّ ملحد و مرجع أهل العقل فى الحلّ و العقد

و طلاب و تر الدين فى كلّ مأزق و لم ينتصف فى المال و النفس و الولد) (٢)

شكته المطايا و الفيافى لفرط (٣) ما يطأها و يمطيها إليه من الوفد

و لو أنّه خلّى شهره سائرا لسار إليه القاصدون إلى السدّ

و لولاه لم يشهر حسام و لم يثر قتام و لم يسفر ظلام لمستهدى

ففى الذهن و الآراء قيس و عتبه و فى الجود و الهيجاء جود و ذو لبد

فلو لامست يوم الرغائب كفه يدا مادر كانت لها بالندى تعدى

أيا بن رسول الله جتتك شاكيا لأعداء دين الله فى الهزل و الجدّ

و منها:

خطيب إذا ما قام فى رأس منبر و خطب على ظهر المطهّمه الجرد

فيالك من حبر ليوم مجادل و ذمر يسمّى فى المجالد بالجلد

فليث و غيث فى قراع و فى ندى و سعد و نحس للولى و للضدّ

ص: ١٧٦

١- ١) ما بين الهاليتين ساقطه من النسختين.

٢- ٢) ما بين الهاليتين ساقطه من النسختين.

و خذها عروسا ذات دلّ تزفّها من الشكر أجناد فيالك (١) من جند

مفوّفه دبجتها بمديح مستن (٢) تزوع بذكراه على المسك و الندّ

لدين و جاه ذا ارتفاع و نجده أعيش بها لا للمعائش و النقد

و إئى من القوم الذين وليدهم ترجيه أرباب المطامع (٣) فى المهد

أعزّ ملوك الأرض فرعا و محتدا و أوفى الكرام الغرّ فى العقد و الوعد

إذا عدّدت للعبد (٤) بعض محاسن فأحسابهم فى المجد تربو على العدّ

بأفنيه خضر و سود مراجل و ألويه حمر و أسنه لدّ

و لم يخلقوا إلّا لكشف ملّمه غشى خطبها أهل البسيطة بالربد (٥)

أقول: هذا ما رأيت إيراده من القصيده اختصارا، و هى اخت قفانيك اشتهارا.

قال سيّدنا الوالد فى بعض مجاميعه، بعد نقله لهذه القصيده من ديوان شعره:

أقول لمثل هذا المادح: يقال إعظاما و إجلالا، و خير الشعر أكرمه رجالا، و يتبين فى مثل هذا المقام، إنّ كلام الملوكة ملوك الكلام، ألا- تراه مع كونه فى مقام المادح الراجى، و اللائذ اللاجى، كيف أناف بمدح قومه على كلّ مادح، و أورى بذلك زناد مجده القادح، و ليس فى القصيده مثل قوله «و إئى من القوم الذين وليدهم» و أردفه بأفعل التفضيل و قصده توحيدهم.

ص: ١٧٧

١-١) فى السمط: قلّله.

٢-٢) فى السمط: من.

٣-٣) فى السمط: ترجيه إنهاء المطالب.

٤-٤) فى السمط: للصيد.

٥-٥) سمط النجوم العوالى ٤٤٩-٤٥١.

و يحكى أن ممدوحه جهّز إليه صله جليله، تسمو إلى مثلها الهمم النبيله، و كان مشتغلا بسبت (١) رأسه عند وصولها، فأمر في الحال مباشر ذلك منه بقبض محصولها، ثمّ تمثّل بيته السابق، فكبت دون مداد السوابق، و هكذا فعل في قصيدته الميميه، من مظاهر العزّه و الحميه.

هذا، و ممدوحه الملك الذى تعنو له جابره الأكاسره، و تذهل بحضرتة الاسود الكواسره، و حسبك بيت فيها، و أبلغ قوافيها، و هو:

برانا الله للدينيا سناء و للاخرى إذا قامت سناما

هكذا تقوم الملوك، بحقوق الهمم العليه فى السلوك. إنتهى كلامه رفع على هام السماك مقامه.

و أما قصيدته الميميه، التى غيرت فى وجوه القصائد البحرية، فسندكر منها ما رقّ معناه، و أغدق مرعاه.

ألا هبى فقد بكر النداما و مَجّ المزج من ظلم النداما

و هينمت القبول فضاع نشر روى عن شيخ نجد و الخزاما

و قد وضعت (٢) عذارى المزن طفلا بمهد الروض تغذوه النعاما

فهبى و امزجى خمرا بظلم لتحيى ما أمّتى يا اماما

فكم خفر الفوارس فى وطيس فتى منّا و ما خفر الذماما

و كم جدنا على قلّ بوفر و اعطينا على جذب هجاما

و كم يوم ضربنا الخيل فيه على أعقابها خلفا أماما

ص: ١٧٨

١- ١) فى «ن»: بسبب.

٢- ٢) فى «ن»: رضعت.

فنحن بنو الفواطم من قريش و قادات الهواشم لا هشاما

برانا الله فى الدنيا سناء و للاخرى إذا قامت سناما

و خصّ بفضله من أمّ منّا مليكا كان سابورا هماما

فتى الهيجا مراد الحقّ من لم يخف فيه للائمه ملاما (١)

محشّ (٢) الحرب إن طارت شعاعا نفوس عندها قلّ المحاماما

و غيث قطره ورق و تبر وجود اذا شكى المحل (٣) الركاما

فيثنى سبيه حربا (٤) و شيكا و يثنى سيفه (٥) موتا زؤاما

و فى شفتيه آجال و رزق بها أمن الصواعق و الرجاما (٦)

يقود له الملوكة الصيد مجرا (٧) فيمنحه الخوامع و الرجاما

و إن وفدوه أغناهم و أقنى و أجلسهم على العليا مقاما

مليك الأرض و الأملاك طرّا و حاوى ملكها يمنا و شاما

و يجرى (٨) من دم الأعداء بحرا و لا قودا يخاف و لا أثاما

بييت مراعيّا أمر الرعايا إذا باتت ملوكهم مناما

ص: ١٧٩

١-١) فى السلافه: يخف من فضل خالقه ملاما.

٢-٢) فى السلافه: محشّ.

٣-٣) فى السمط: إذا طارت به المحل.

٤-٤) فى السلافه: جدبا، و فى السمط: فيثنى سيفه حرب.

٥-٥) فى السمط: سبيه.

٦-٦) فى السمط: و السماما.

٧-٧) فى السلافه: جيشا.

٨-٨) فى السلافه: و مجر.

تسنّم غارب الدنيا فألقى إليه جموحها طوعا لزاما

و منها:

فيا ملك الملوک و لا ابالی و لا عذرا أسوق و لا احتشاما

إذا قویت لم أنزلک فیهم (١) بمنزله الرجال من الأيامی

إلى جدواک کلّفنا المطایا دواما لا نفارقها دواما

و جبنا یابن عثمان الموامی إلى أن صرن من هزل هیاما

و ذقنا الشهد فی طعم (٢) الترجی و نلنا (٣) الصبر من جوع طعاما

و منها:

نؤمّ رحابک الفیح اشتیاقا و نأمل منک آمالا جساما

و من قصد الکریم (٤) غدا أمیرا علی ما فی یدیه و لن یضاما

و حاشا بحرک الفیاض أنا نردّ بغلّه عنه حیاما

فقد و افاک عبد مستمیح ندا کفیک و الشیم الکراما

و قد نزل ابن ذی یزن طریدا علی کسری فأنزله شماما

أتی فردا فعاد یجزّ جیشا کسى الآکام خیلا و الرغاما

به استبقی جمیل الذکر دهرًا و أنت أجلّ من کسری مقاما

و سیف فی العلا دونی فإنی عصامی و أسموه عصاما

ص: ١٨٠

١-١) فی السلافه: إذا ما قست لم أنزلک فیهم. و فی السمط: أنفت بأننی انزلک فیهم.

٢-٢) فی السمط: مغنی، و فی السلافه: معنی.

٣-٣) فی السمط: و ذقنا، و فی السلافه: و قلنا.

٤-٤) فی السلافه: الأمير.

بفاطمه و نجليها (١) و طه و حيدرہ الذي فاق الأناما

عليهم رحمہ تہدی سلاما يكون لشرها مسكا ختماما

و لا بدع (٢) إذا ما جاك (٣) عاف و عاد يجزّ ذو الجب لهما

فخذ بيدي و سئمني محلاً بقربي منك فيه لا اساما

و هب لي منصبى لتنال أجرى و شكرى ما بقيت (٤) له دواما

فقد لعبت بيت الله حقاً زعانف يستحلون الحراما (٥)

قلت: هذا ما استحسنته من القصيده فأوردته، و هو المقدار المتضمن لما أردته، و له قصائد آخر، فقد انطوى عليها ديوانه، و مدائح
غرر افتخر بها دهره و زمانه.

فمن مدائحه السئيه، قصيدته السئيه، فلله درّه فيها، حيث صاغ ألفاظها و أحكم قوافيها، و مطلعها:

حثّ قبل الصباح نجب كؤوسى فهى تجرى مجرى الغذاء فى النفوس

و تخلّص فيها بمدح جدّه صلى الله عليه و آله و سلّم، و هداانا إلى طرق سننه و علم، فقال فى أثنائها بعد نشر عبير ثنائها:

فرعى الله فى الأجارع عصرا و بدورا غصونها فى طموس

حيث جوّ الشباب سحو و بحر الل - هو رهو لم ألق فيه بروسى

ص: ١٨١

١-١) فى السمط: و ابنيها.

٢-٢) فى السمط: و لا عجب.

٣-٣) فى السلافه: إذا و افاك.

٤-٤) فى السمط: حيت.

٥-٥) سمط النجوم العوالى ٤:٤٥٢-٤٥٤، سلافه العصر ص ٢٣-٢٤.

و محلّى (١) بين الأباطح و القبّ ه من طيه بسوح الرئيس

أحمد الإسم (٢) أحمد الخلق فى اللّ ه غياث المنجود و المبلوس

شافع الامّه التى جاء فيها كنتم من مهين قدّوس

و ما أحسن قوله منها:

إنّما أنت آصف و نجاتى منك أدنى إليك من بلقيس

لو تشفّعت فى سبا لعلمنا أنّهم فائزون بالمحوس (٣)

و لو لا خوف الإطاله لأوردتها؛ لأنّها كلّها درر و غرر، و عقود لم تحم حولها من النقائص عرر.

و من مدائحه النبويّه، قصيدته البائيه، و مطلعها:

كيف العزا و الفؤاد ملتهب و الحىّ زمت لبينه النجب

و العين عبرى و الجسم منقطع و النفس حرّى و العقل مضطرب

و هذه أربع بكائمه عقت قديما غيد بها نجب (٤)

و منها:

و بالنقا غاده إذا خطرت تغار منها العصون و الكتب

كأنّها فى الأثيث إن سفرت بدر بسجف (٥) الظلام محتجب

ص: ١٨٢

١-١) فى السمط: و محلاً.

٢-٢) فى السمط: الخلق.

٣-٣) سمط النجوم العوالى ٤:٤٥٦-٤٥٩.

٤-٤) سلافه العصر ص ٣١.

٥-٥) فى «ن»: بسحب.

غازلتها و الرقيب فى شغل يقرع سنا طوراً و ينتحب

و الدهر سلم و الحى فى دعه و البين حرب يحفه الحرب

و الوصل صاف يروق مورده و العيش ضاف و الشعب منشعب

و الوصل يحلى بذكر ذى هيف يسجد شوقاً لها و يقترب

و الروض مطلوله غلالته و الورق تشدد و ترقص القضب

كأنها ناقتى و قد سطعت أنوار طه و لاحت القتب

محمد خير من له وفدت قلائص قد أمضها القتب (١)

و هى طويله جداً أوردت منها هذا المقدار طلباً للاختصار.

و من مديحه الحسن قصيدته التى امتدح بها ابن عمه الشريف محسن بن حسين بن حسن، الذى مر ذكره قبل ولايته إماره مكه المعظمه، و تحليه بعقود الشرافه المنظمه، و يشكو تقصيرا حصل منه فى حقه، و يصف أيامه، و قالها تأدبا لا تسببا، هكذا وجدته فى ديوانه، أفاض الله عليه شآبيب غفرانه، و مطلعها:

أشجاك رسم برامه حرب أم صادح بان الفه طرب

أم ناسم عنهم روى خبراً أم بارق بالعذيب ملتهب

لا بل تذكرت أعصرا سلفت به و أثواب صبوتى قشب

و غصن لهوى غص و مورده عذب و بأناته لها عذب

و منها:

أما تراعى جبلاً و ثققت به بمنع من قد أضله السحب

ص: ١٨٣

فعلّمه أننى صريع هوى ... (١)

يوجب أن ثار فى الأوان و إن يفعل فى البين فوق ما يجب
و هو الفتى المحسن الذى حسنت به المزايا و الشعر و الخطب
ملك إذ همت الملوكة بأن تعصيه فى ساعه جرى العطب
يأخذ أرواحهم و يسلبهم لوفاديه و ما له سلب
فللموالى أهلا به ولهى و للمعادى الحروب و الحرب
يا سيّدا طال عصره شرفا به و عزّت بذاته الرتب
ما بال حظّى أراه فى صيب و تسعد العجم معك و العرب
و أنت لو شئت سبق صافيه بالسقب حاز المعالى السقب
أو لو تشا أمس أن يعود غدا لم تثنه عن مرادك النوب
و منها:

و إننى من عرفت حين بدت مطامع الأقربين و الريب
أمنحك الودّ ثم أتبعه بالحمد فالصدق بان و الكذب
و لست عيرا للدار أو و تدا أو ثقه بعد شجّه الطنب
و فيك لو لا الرجاء أو ثقنى لكان لى فى البلاد مضطرب
فاحفظ أخا خله و كارهه ليس له نحو غيركم إرب
يحفظ ما ضاع من و داد أخ أفرغ فيه الوفا و الأدب
من نبعه كلّها غطارفه غلب بها ليل شانها الغلب
إن أجذب الوقت أخصبوه و إن دارت رحى الحرب لها قطب

فأدر كههم فالزمان عاث بهم و لمّ شعبا قد كاد ينشعب

و اسلم و دم ما شدت مطوّقه و ما تولّت بذكر كرك الكرب

و من غزلياته الشعريّه، و نفثاته السحريّه، قصيدهه تأخذ بمجامع القلوب و الألباب، و تصبو إليها أسمع ذوى الآداب؛ لأنّها من الرّقّه و السهوله بمكان رفيع، و عن الرّكّه و غيرها بحصن منيع، و مطلعها:

حَتّ فأبكت ذات ثكل (١) حنون و غنّت الورقا بأعلى الغصون

و هيئمت مسكيه ذيلها أرّجها (٢) نشر طوى و الحجون

و شقّ برد الليل برق فما ظننته إلاّ حسام الجفون

كأنّه مذ شقّ قلب الدجى جبين ليلي فى دياجى القرون

فقمتم كالهادر (٣) فى شجوه لم أدر ما بي فرح أم جنون

و أرسل الدمع نجيعا على خدى فيجرى أعينا من عيون

فلم أخل نوما و لا مجثما (٤) و موقدا أو علما فى دمون

إلاّ و بات الناعم الفرش لى شوكا و ميعاس (٥) الروابى حزون

فالبرق نوحى فى الربى (٦) رعدده و الورق من شعرى تجيد اللحون

ص: ١٨٥

١-١) فى السمط: شجون، و فى السلافه: شكل.

٢-٢) فى السلافه: غطره.

٣-٣) فى السمط: كالهادل.

٤-٤) فى السمط: لم أر نؤيا و لا مجثما.

٥-٥) فى السلافه: و مبسوط.

٦-٦) فى السمط: الدجى.

عهدي بها كانت كناس الظبا و غابه (١)الاسد حماه الظعون
حتّى غدا من بعدهم ربعها مستقفرا (٢)جارت عليه السنون
كأنّه جسمى و إن لم يكن جسمى فوهما أو خيالاً يكون
الله لى من مهجه مزّقت و مقله عبرى و نفس رنون (٣)
تحنّ للشعب و أوطانه مهما سرى برق بليل دجون
و فتيه من آل طه لهم فى الحرب أبكار مزايا و عون
من كلّ طلق لا يرى كالسها لضيفه ثلّه ذات القرون
مبتذل الساحات فى قطرهم للخائف الجانى أعزّ الحصون
كلّ طويل الباع رحب الفنا تصدق للوفاد فيه الظنون
يحمده السارون إن أدلجوا و يعمر (٤)النادى به السامرون
لا ينتهى الجارون منه إلى شأو و لا يعسفه الجائرون
فيا نسيما الصبا عزّجى بهم و بثى غامضات الشجون
و حاذرى أن تصحبي لوعتى و استصحبي بثى عسى يفهمون
و بلّغهم حال من لم يزل حليف أشجان كثير الشؤون
ناء عن الأهلين صعب الأسى من بعد ما فارق قلبا شطون
يحفظ للرملة عهود الوفا و إن طلبت القرب منه يخون

ص: ١٨٤

١-١) فى السمط: و مرتع.

٢-٢) فى السمط: مفتادا.

٣-٣) فى السمط: و نون.

٤-٤) فى السمط: و يقتضى.

قولى لهم يا عرب وادى النقا و جيره الجرعا و ذات الحزون

نسيتم صببا غدا دمعه من بعدكم صببا قريح الشؤون (١)

و هو و ماضى العيش ما ساعه فيها تناسى جدكم و المجون

فشأنه يخبر عن شأنه و حاله إن يسأل السائلون

و أنت يا شادى (٢) بشأم اللوى و يا حويدى الطعن بين الرعون

عزض بذكرى لا شجاك (٣) النوى لعلهم لى بعد ذا يذكرون

و هات لى عن رامه و النقا هل طاب للساكن فيها السكون

و هل أثيلات النقا فرعها بهصره من لينه الهاصرون

و صادح تلحينه صادع على فنون باعثات الفنون

منازل كنا عهدنا بها ثقال أرداف خماص البطون (٤)

أقول:إنتهى ما أردت نقله من هذه القصيده،و هى فى عقود شعره واسطه و فريده،و الشىء بالشىء يذكر،و الجمع إذا تبع المناسبه،كان ممّا يحمد عند ذوى الأدب و يشكر.

فمّمّا ذكرته فى هذا الموضع قصيده على هذا الوزن و الروى،لسيّدى الوالد أدام الله بقاه،و أيدّ سعده و ارتقاه،و هى مقصوره على الغزل الصريح،لم يتشبّث فيها بأهداب المديح،عارض بها قصيده السيّد أحمد المذكور،فغدت فى بابها

ص: ١٨٧

١-١ فى السمط:قريح الجفون.

٢-٢ فى السمط:يا سارى.

٣-٣ فى السلافه:شجتك.

٤-٤ سمط النجوم العوالى ٤:٤٥٥-٤:٤٥٦،سلافه العصر ص ٢٨-٣٠.

مشهوره، و فى فنّها مشكوره، و هى من غرر غزلياته الرقيقه، التى ملكت من سوق البلاغه حرّه و رقيقه، و هى هذه:

لو لا محيّاك الجميل المصون ما بتّ تجرى من عيونى عيون
و لا عرفت السقم لو لا الهوى و لا تباريح الأسى و الشجون
كم وقفه لى فى طول الحما روى تراها صوب دمعى الهتون
يا ربع خبّر لا جفاك الحيا و لهان لا يعرف غمض الجفون
هل أنت مغنى للغزال الذى إليه أصبوا و التصابى فنون
و أشرقت فيك بدور الدجا و رنّحت فيك الروابى غصون
من كلّ غيداء إذا أسفرت جلا محيّاها ظلام الدجون
سيوف لحظيها إذا جرّدت أثارت الحرب بكسر الجفون
و عامل القامه كم أعربت أفعاله عن صرف ريب المنون
و الشامه السوداء فى خدّها تعلّم الصبّ فنون الجنون
منيعه الحجب فنيل اللقا منها بعيد عن مرادى الظنون
مصونه تحمى حمى حيّها أسد الثرى من فوق قبّ البطون
حسبك لؤما يا عدولى اتّئد إنّى لعهدى فى الهوى لا أخون
لا تطلب السلوان من وامق فذاك شىء أبدا لا يكون
فدع سكارى كأس خمر الهوى يا صاح فى سكرتهم يعمهون
يا ويح عدالى أما شاهدوا طلعه من أهواه بل هم عمون
ظنّوا اتّباعى فى الهوى ظلّه و هم برشدى فيه لا يعلمون
أما و وجدى بأهيل الحما و عهدى الوافى و سرّى المصون
و ما لهم من منزل عامر بسفح قلبى هم به نازلون

لقد أطعت الحبّ في حكمه جوراً و عدلاً في جميع الشؤون

بذلت فيه الروح بذل امرئ لديه صعب الحتف فيهم يهون

و قد عارض هذه القصيده غير واحد من الادباء المشاهير، فأحرزوا قصب السبق من الأدب في مضممار روضه النضير، كأديب العصر صاحب سلافه العصر، و مطلع قصيدته:

و ما أحسن قوله في المديح:

مديحك السامى كبحر طمى لذا أتت قافيتى فيه نون

و ممّن عارضها بشعره، و سحر الألباب بمخدّرات فكره، الفاضل الأديب شهاب الدين الشيخ أحمد الخلى (١)، و مطلعها:

جرت دموعى من عيونى عيون حين استقلت عينهم بالضعون

ودّعتهم و القلب أودعتهم رفقا بقلبي أيها الظاعنون

فى ذمّه الله و فى حفظه تلك المراسيل و ما يحملون

و هى قصيده أطف من نسيم الصبا، و أرقّ من أحاديث الصبا، لم تزل تتناقلها أبناء الزمان، و تسير بها الركبان، يحدو بها الحادى، و يترنّم بها الشادى، قد انطوى عليها ديوانه البديع، الحالّ من قصور البلاغه بمكان رفيع.

و قد عارض قصيده الشيخ أحمد السابقه خلق كثير، إلا أنّ رتب معارضاتهم غير متناسقه، بل درّه مع آجره، و قحبه جاورت حرّه، و لولا خوف التطويل لأوردتها لك بالتفصيل.

ص: ١٨٩

(١-١) هو الفاضل الأديب العلامة الشيخ أحمد بن قاسم الخلى له ديوان شعر، ينقل عنه المؤلّف فى كتابه هذا عنه.

و إن أردت الاطلاع عليها، فوجه نجائب هممتك إليها، تجد منها عدّه قصائد، تنتظم في بحور الخرائد، مقاصر و قلائد، و إنّما إذا أقيمت ميزان المعرفه، و فوّقت سهام الإنكار المتصرّفه، و قست تلك الفروع عن الأصل، بعد القطع و الفصل، قلت في ذلك الأوان ماء و لا- كالصدا، و مرعى و لا- كالسعدا، و إن نظرت بعين كمالك قلت فتى و لا- كمالك، و إن حققت الأمر قلت فارس و لا كعمرو.

و أمّا ما سطرته من المعارضات في هذا التأليف، فهو من البلاغه و حسن الصياغه بمكان منيف، و ما تقدّم من الكلام، فهو منصب إلى ما عدا المثبت من ذلك النظام؛ إذ هو فرع فاق أصله، و سابق حاز من صلبه البلاغه خصله.

لا يستوى البدران بدر غدا ملقى على الأرض و بدر مصون

و للسيد أحمد صاحب الترجمة في هيكل التعاويد و الحروز، المنوطه بهيكل الغيد و قايه من سحر لحظها المرموز، قوله:

لله ظبي سربه يزهبه في المحفل

قنص الاسود بقالب قيد الأوابد هيكل

و له الجوار المنشآت حوى الحشاشه للخلي

من كلّ خود (١) لحظها يسطو بحدّ المنصل (٢)

مشتاقها من ثغرها و أثبثها في مشكل

ما قال في ظلمائه يا أيها الليل انجلي

فاق الغواني خاليات عاطلا في هيكل

ص: ١٩٠

١- ١) في «ن»: زود، و في السلافه: بكر.

٢- ٢) في السلافه: الفصيل.

و بدا (١) ينصّ به فأزرىء الحلّى بالنصّ الجلى (٢)

و قد حذى حذو هذه الأبيات، جماعه من أرباب هذه الصناعه؛ لأنها انطوت على معنى غريب، و اسلوب عجيب، فقد نفث به ساحر أقلامه، و قذف بحر فكره جواهر نظامه، فافتقوا فى معارضه أثره، و اقتطفوا من روض مخترعاته ثمره، و كلهم من عين فضله مقترف، و ليس فيهم إلا من هو مقرّ بذلك و معترف، و قد أورد جانباً من المعارضه فى الديوان، مع نثر تحلى بعقائده العقيان.

و ممّا رأيتّه فى ديوانه، من صنيع بنانه، و بديع بيانه، ما كتبه إلى الجمال محمّد بن أحمد الشاهد المكي، و كان بينهما محبّه شديده، و موّدّه أكيدّه، و هو:

و شاذن وفا و كانت خلسه من بعد أودت مهجتي عطّله

لما بدا محتجبا بمرطه كى لا يتمّ ضوءه لأهله

قلت له البدر إذا الغيم غشى أنواره ترجو الورى لوبله

فقال لى مستهزء بمطلبى ما أحسن الشاهد فى محلّه

و كتب إليه مع هذه الأبيات نثراً، فقال: يا جمال أشرف على هذه الأبيات، و حلّ عاطل ذاتها منك بفرائد الصفات، فإن استدعيتنا إلى محلّك و لا زال أهل، و كواكب افقه بوجودك زاهره و نجم أعدائك آفل، قلنا ما أحسن الشاهد فى محلّه، و لا بدع أن يرجع الشاهد فى محلّه، و لا يدع أن يرجع الفرع إلى أصله، و تبقى و تدوم، فى حفظ الحى القيوم، و السّلام على المظلل بالغمام، و إله الكرام.

كتب إليه الشاهد المذكور:

ص: ١٩١

١- ١) فى السلافه: و غدا.

٢- ٢) سلافه العصر ص ٢٥-٢٦.

لله ما أبدت و ماذا أبدعت من عقد درّ قد زهى من أهله

بديهه لواحد العصر و من حاز المعالى ناشئا كأصله

مشرفى بقطعه من نظمه أحلى من الحبّ وفا بوصله

نظم لآل من مليك ماجد فاق الاولى هيهات درّك مثله

أشار فيها أن يزور منزلا ما فيه إلا ما نمى من فضله

ما هو إلا روضه غراسها ما سخّ من هامى قطار وبله

فإن يزور شاهد نعماء يقل ما أحسن الشاهد فى محلّه

و كتب إليه نثرا هذا صورته: ناظم دررها، و ناسج حبرها، و وصلته الأبيات الشريفه، من الحضرة العالیه المنيفه، فحير عقله ما حير منشيها، و أبرد كلّ قريحه وقّاده، و قاد قريحه موشيهها، فو الله لو لا أن يقال علّ و ليت، لكتبت تحت كلّ بيت «فليعبدوا ربّ هذا البيت» كيف لا و مفترع بكرها، مخترع الأبقار البديعه النظام، البديعه المرام، المتقدّمه على من تقدّمها من الجاهليّه و غيرهم من شعراء الإسلام، ليث بنى هاشم الضراغم، حماه الحرمين الشريفين، و واسطه عقد الأكارم، بحيث إنّى لّمّا سرحت علوف الظرف فى ميدان رياضها، و نشقت عبير عنبر ذلك العرف من أريح الظرف من غياضها، و اكتحل ناظرى بنثر مدادها المرقوم، و رشف سمعى من رحيق معناها المسك المختوم.

فو الله ما أدرى أزهر خميله بطرسك أم درّ يلوح على نحر

فإن كان زهرا فهو صنع سحابه و إن كان درّا فهو من لّجه البحر

فأمّا ما لّوح به سيّدنا و مولانا، و سندننا و أولانا، بزياره العبد فى الدار، التى هى و ما فيها و ما بها من بعض فضلكم المدرار، فلسان الحال ينشد هذا المقال:

قالوا يزور كأحمد و تزوره قلت الفضائل لا تفارق منزله

إن زارنى فبفضله أو زرتة فلفضله و الفضل فى الحالين له

فتشريفى الحظّ الأوفى الأوفر،و المنال الأزهى الأزهر،عطر الله به مراتب الخلافه القعساء،و طرز بفضائل ذكره الشريف صحف الأدب مدحا و ثناء،و أركى منه أخلاقا و نفسا،و ذلك بعد تقبيل الأقدام الكرام،و السلام.

و من بليغ شعره،الدالّ على شرف نفسه،و علوّ قدره،و هو ما كتب به إلى عمّه الشريف إدريس بن حسن،و الذى مرّت ترجمته،و قد أنكر منه بعض تقصيره:

رأيتك لا توفى الرجال حقوقهم توهم كبر ساء ما يتوهم

و تزعم أنّى بالمطامع أرتضى هوانا و نفسى فوق ما أنت تزعم

و ما مغنم يدنى لذلّ رأيتة فيقبل إلّا و هو عندى مغرم

و أختار بالإعراض عنه منيه لأنى من القوم الذين هم هم

و لهذه الأبيات نقل غريب،لا يصدر إلّا عن مثل ذاك السيّد النسيب،و هو أنّه ربما عرض لجنابه،توعّك لازم داره بأسبابه،فاخبر الشريف إدريس بعد أيام قلائل،بأنّ السيّد أحمد له علّه لم يبرز من داره،و لم يقف أحد على أخباره،فاختبط الشريف إدريس بذلك،حتّى سدّت عليه المسالك،فأراد زيارته و عيادته فى الحال،فلم يتمكّن له ذلك بسبب ما عرض من الأحوال،فطلب من الدراهم مقدارا جزيلا،و أرسله إليه إرسالا جميلا،و شرح له عذره عن الوصول إليه حال الارسال،و أنّه لا بدّ أن يصل إليه فى الاستقبال.

فحين ورد الخادم إليه بالصله الجزيله،التي لمثلها تسمو ذووا الأقدار النبيله،لم ينظر إليها،و وضع هذه الأبيات عليها،و قال للخادم:ردّها لا صحبتك السلامه،و لا تجلّيت بجلباب الكرامه.

فلما وصل بها الخادم إلى الشريف إدريس،و أشرف على الأبيات،قال:هكذا

تكون النفوس الأبيات، فركب في الحال إلى داره العليّ، واعتذر إليه بما هو أهله عن التأخير، فرحمهما الله تعالى، وأفاض عليهما شأيب غفران متوالى.

و هذا أوان أن نشئ عنان القلم، و نقتصر على ما أوردناه مخافه حدوث السأم، و نرجع إلى تتميم ترجمه السيّد أحمد بن عبد المطلب.

فقول: قد تقدّم ذكر وفاته رحمه الله تعالى. و أمّا عقبه الشريف، فهم الشريف مسعود.

ترجمه السيّد الشريف مسعود بن إدريس بن حسن بن أبي نمي

إشاره

نقول: الأصل في ولايه الشريف مسعود - رحمه الله تعالى - ما نقله المؤرّخون (1) من غير اختلاف، و هو أنّ في سنه ثمان و ثلاثين و ألف وصل من جهه السلطنه الروميّه بالمسير إلى قطر اليمن لإزاحه من فيه من الأئمّه، و الاستيلاء عليه، و تمهيد أطرافه، و معه من العساكر نحو ثلاثين ألفاً.

فاتفق أن كان بين الشريف مسعود المذكور و بين الشريف أحمد بن عبد المطلب المتقدم ذكره، محبّه و مودّه قبل ولايته لشرافه مكّه المشرفه، فبعد تولّى الشرافه استبدل ذلك بالعداوه و البغضاء للشريف مسعود، حتّى فرّ من البلاد خوفاً منه، و هذا مصداق قول الشاعر العارف:

إذا رأيت امرئ في حال عسرتة مصافيا لك ما في ودّه خلل

فلا تمنّ له أن يستفيد غنيّ فإنّه بانتقال الحال ينتقل

فلما سمع الشريف مسعود بقصّه قانصوه باشا و تغلّبه، لاقاه قبل وصوله إلى مكّه

ص: ١٩٤

(١ - ١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤٢٩:٤ - ٤٣٠.

المشرفه،و التمس منه أن يولّيه شرافه مكّه المعظمه،بعد أن شحّن صدره عن الشريف أحمد بن عبد المطلب،مع كونه قد سمع بمظالم الشريف أحمد المذكور، فوعده (١)بذلك،و لم يزل صحبته.

فلما قرب إلى مكّه المشرفه أخفاه،ثم جاء إلى مكّه و نزل بالزاهر،فركب إليه الشريف أحمد بن عبد المطلب زائراً،فقبض عليه،و قتله ليله الأحد لخمس خلون من شهر صفر سنه تسع و ثلاثين و ألف،و ولى الشريف مسعودا المذكور.هذا ما رأيته فى بعض التواريخ (٢)و نقلته بالمعنى.

ثم طالعت ترجمته فى تاريخ العصامى،فرأيتة لا يخلو من فائده زائده، فأحببت نقل عبارته من موضعين:

الأول:ما ذكره فى آخر ترجمه السيد أحمد بن عبد المطلب،و كيفيه قتله من ذلك الشقى قانصوه باشا،و ولايه السيد مسعود؛لأننا قد وعدنا سابقا بذلك.

و الموضع الثانى:ترجمته برمتها الموضوعه باسمه الشريف فى التأريخ المذكور.

فالأول منها،قال:و جاء قانصوه باشا متوجّها لفتح اليمن،و صحبته من العساكر ثلاثون ألفاً،فنزل بأسفل مكّه،و قد تقدّم أنّ الشريف مسعود كان بينه و بين الشريف أحمد شروط و وعود،و قد فعل له ما أشار إليه،فلما تقمّصها لم يف له بما اتّفقا عليه،بل اتّبع ختله (٣)،بأن قصد قتله.

ص: ١٩٥

١- ١) فى «ن»:فأوعده.

٢- ٢) راجع:إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولايه بنى الحسن ٢:٤٤-٤٥.

٣- ٣) فى «ن»:خيله.

فالتجأ الشريف مسعود إلى قانصوه، و روج إليه (١) أمره، و أوغل على الشريف أحمد صدره، و كان لاقاه من الينبع و جاء معه مختفياً، و لم يزل به مختفياً، و أتجه به الشريف أحمد مسلماً عليه عند القدوم، ثم عزم على حربه لعلمه بما يروم، فعلم بذلك قانصوه، فازداد عليه حنقا، و لم يزل كذلك حتى أوردته من حياض المنيه و ردا رنقا.

فشرع أولا- في استماله عساكره فأطاعوه، و خرجوا من مكه و باعوه، ثم خيم قانصوه بالزاهر، لتنفيذ أمر الله القاهر، فما قضت الحجاج مناسكهم، و سلخوا إلى أوطانهم مسالكهم، و تحرك قانصوه للرحيل، و جبل غدره غير سحيل، قدّم ثقله أمامه، و لم يبق إلا و طاف عسكره و خيامه.

ثم احتال بأن أرسل إليه من نَمَق له الخداع، و حسن له إلى أن يأتي قانصوه بقصد الوداع، فجاء إليه و حصل لديه، و تم لمراد الله عليه ذلك، و ألقى بيده إلى المهالك، فجاء معه ثلاثه من الساده الأشراف و وزيره و صاحب بيت ماله، و رجل آخر يسمي فليقلا من رجاله، و لم يزالوا يدخلون في سرادق قانصوه باشا بأتباعه، و يمنع عند كل باب جماعه من أتباعه، فلما وصل إليه حادثه مليا بالمجالسه، و لعب معه الشطرنج للمجالسه، و كان ذلك ليله الأحد خامس شهر صفر من سنه تسع و ثلاثين.

فلما كانت الساعه الخامسه من تلك الليله قبض عليهم أجمعين، و أوردهم حوض الحتف المعين، إلا- من كان أطاعه من الأشراف، فإنه أذن لهم بالانصراف.

إلى أن قال: ثم خلع على الشريف مسعود، فأشرق بمكّه الطالع المسعود،

ص: ١٩٦

(١ - ١) في «ن»: لديه.

و جرى الماء في العود، و وفي الدهر بوعيد و وعود (١). إلى آخر ما ذكره ملخصاً بالمعنى.

ثم قال في الموضع الثاني، و هي ترجمته الموضوعه باسمه الشريف، بعد أن ذكر اسمه، و أغلب الألفاظ و السجعات فيها تغيير و تبديل، كما هو دأبي فيما أنقله من عبائر العصامي، و قد مرّ بك كثير من ذلك فاستقره تجده.

قال: نشأ في كفاله والده الشريف إدريس، و انتشأ من كؤوس العزّ بسلاف الخندريس، فنامى نموّ أشكاله، و سمي فوق سموّ أمثاله، و نهض بأعباء الكرم نهوض كافل كافي، و طار في جوّ الهمم موفور القوادم و الخوافي.

و جرت بينه و بين الشريف محسن، و علمك محيط بما سلّكه في والده، حروب ما وريت عند اقتداح زندها بصالده، و أظهر فيها بساله يحتم لها الاسود في الآجام، و ضرامه تسمّ مضاء الصوارم بالأحجام.

أولها سنه سبع و ثلاثين و ألف، و كان للشريف محسن فيها الظفر، حتّى كان انتهاء المكر و الفرّ، استيلاء محمّد بن الشريف محسن بالغلبه عليه، و قد ندبه والده إليه، في معركة اشتدّ خطبها، و ثبت في دور رحاها قطبها، و أنفقت نقود الأرواح بالإسراف، و قتل فيها عظيمان من الأشراف، فنجى الشريف مسعود، و كفّ عن الحرب متوقّعا لها الطالع المسعود.

ثم دخل مكّه برضا من الشريف محسن على شرط المسالمه، و اندمال قروح المكالمه، و كفّله جماعه من الأشراف، بأن لا يكون له على الخلف تشوّق و إشراف.

ص: ١٩٧

فلم يزل مستمراً على ذلك، حتى اتفق في مجال الشريف أحمد بن عبد المطلب ما تقدم شرحه من المسالك، فوفى الدهر بالوعود للشريف مسعود، و انجابت (١) عن عيون الأماني تلك الصواعق و الرعود، و حلّ كوكب الطالع في شرف الأوج بالصعود، فتولّى شرافه مكّه المعظمه، و تقلّد عقودها المنظمه، و حمد صباح السرى، و استقرّ في خيسه ليث الشرى، و أغمد البواتر الماضيه الفرار في الأجفان، و أغمضت على لذيذ القرار سواهر الأجفان، و كفت الصوله، و صفت الدوله، و حمى الفحل شوله، و ساس الشريف مسعود الامور فأحسن فعله و قوله.

و كانت مكّه في زمانه، ممتّعه بسلم الدهر و أمانه، شملها رخاء الأسعار، و رخاء البال، و أنبت بقلها ربيع العدل بصوب الإقبال، صفت الموارد من الأكدار، و بسطت بساط الراحه أيدي الأقدار، و أهمل الدهر عجم الشرور، و قيل أوابد السرور، إلا أنّ عصر ملكه السعيد، كفّ الدهر المقتضب بالجزر المديد، فأوجز في مدّته بالاختصار، و قصرها على الاختصار، و كذاك أيام السرور قصار، فكانت مدّه ملكه إلى حين هلكه سنه و ثلاثه أشهر؛ لأنّه انتقل في سنه أربعين بعد الألف، فرحمه الله رحمه الأبرار، و حشره مع أجداده الأطهار (٢).

قال صاحب لسان الزمان: و كان أديبا لطيفا، مجالسا للعلماء و الصالحين، و امتدحه الادباء بقصائد عظيمه، منهم: الشيخ أحمد بن عيسى المرشدي، فإنّه مدحه بقصيده داليه، و هي في غايه الجوده، و هي هذه:

ص: ١٩٨

١-١) في «ن»: و انجلت.

٢-٢) سمط النجوم العوالي ٤:٤٣٢-٤٣٣.

عوجا قليلا كذا عن أيمن الوادى و استوقفا الركب (١) لا يحدو بها الحادى

و عزجا بى على ربع صحبت به شرح الشبيهه فى أكناف أجياد

و استعطفا جيره بالشعب قد نزلوا على (٢) الكتيب فهم غيبى و إرشادى

و سائلا عن فؤادى تبلىغا أملى إن التعلل يشفى غله الصادى

و استشفعا تشفعا نسألکم فعسى يقدر الله إسعافى و إسعادى

و أجملا بى و حطا عن قلوبكما فى سوح مردى الأعداى الضيغم العادى

مسعود عين العلا المسعود طالعه قلب الكتيبه صدر الحجفل البادى (٣)

شهم السراه الالى سارت عوارفهم شرقا و غربا بأغوار و أنجاد

نرد غمار العلى فى سوحه و نرح أيدى الركائب من و خد و إسآد

فلا مناخ لا فى غير ساحته وجود كفيه فيها رابع (٤) غادى

يعشوشب العز (٥) فى أكناف عقوته يا حبذا العشب فى الدنيا لمرتاد

و نجتنى ثمر الآمال يانعه من روض معروفه من غير (٦) ميعاد

فأى سوح يرجى بعد ساحته و أى قصد لمقصود و قصاد

ليهن ذا الملك إن ألبست حلته تحيى مآثر آباء و أجداد

ص: ١٩٩

١- ١) فى السمط: و استوقفا العيس.

٢- ٢) فى السمط: أعلى.

٣- ٣) فى السمط: الحفل و النادى.

٤- ٤) فى السمط: رائح.

٥- ٥) فى السمط: العشب.

٦- ٦) فى السمط: من قبل.

لبستها فكسوت الفخر مرسلها (١) مشهرا يبهر المصبوغ بالجاد
علوت بيتا ففاخرت النجوم علا و الشهب فخرأ بأسباب و أوتاد
و لحت بدرا بافق الملك تحسده شمس النهار و هذا حرّها بادي
و صنت مكّه إذ طهّرت حوزتها من ثلّة أهل تثليث و إلحاد
قد غرّ بعضهم الإمهال يحسبه عفوا فعادوا لإتلاف و إفساد
فذدتهم عن حمى البيت الحرام و هم من السلاسل فى أطواق أجياد
كأنّهم عند رفع الزند أيديهم يدعون حبّا لمولانا بإمداد
و ما أروعوا فشهرت السيف محتسبا يا برد حرّهم فى حرّ أكباد
غادرتهم جزرا فى كلّ منجدل كأنّ أثوابهم مجّت بفرصاد
و أثمر السدر فى (٢) أجسامهم ثمرا حلوا بأفواه أجداث و أنجاد
سعيت سعيا جتيا من خمائله نور الأمان لأرواح بأجساد
فكم بمكّه من داع و مبتهل و من محبّ و من مثن و من فادى
و عاد كلّ قصيّ مصلحا و غدت أيماننا بالهنا أيام أعياد
و قاد كلّ قصيّ ذلّه مهلا و كان من قبل صعبا غير منقاد
نفى لذيد الكرى عنهم تذكّروهم و قانعا لك بين الخرج و الوادى
أباح سرحك أن يرعى منازلهم مهلا كلّ معوج و مناد
من كلّ أبيض قد صلّت مضاربه لئما ترقيّ خطيبا منبر الهادى (٣)

ص: ٢٠٠

١- ١) فى السمط: ملبسها.

٢- ٢) فى السمط: من.

٣-٣) وقع تقديم و تأخير فى بعض الآيات فى السمط.

و كلّ أسمر نظام الكلى و له إلى العدى طرفه النظام مباد
و صان و سمك في جاش يخالطه عن ربّ عزّ تنصاه بأجشاد
أسكنت قلبهم رعبا تذكره ينسى الشفوق الموالي ذكر أولاد
أقبلتهم كلّ مرقال و سابعه يسر عن عدوا إلى الأعدا بأطواد
من كلّ شهيم إلى العلياء منتسب بساده قاده للخيل أجواد
فهاك يابن رسول الله مدحه من أورت قريحته من بعد إخماد
فأحكمت فيك نظما كلّه غرر ما أحرزت مثله إقبال (١) بغداد
أضحت قوافيه و الآمال (٢) يشرحها روض البديع بإرصاد بمرصاد
ترويه عنى الثريا و هى هازئه بالأصمعى و ما يروى و حماد
و تستحث مطايا الزهر إن ركدت كأنها إبل يحدو بها الحادى
و توقظ الركب ميلا من خمار كرى و الليل من طول تدآب السرى هادى
أتتك تشفع إذلالا لمنشئها فاقبل تذللها يا نسل أمجاد
و أسبل الستر صفحا (٣) إن بدا خلل تهتك به ستر أعدائى و حسادى
و قل تقرب إلينا تستعز بنا ما حقّ مثلك أن يقصى بإبعاد
لا زلت يا عزّ أهل البيت فى دعه تحفّ منهم بأنصار و أنجاد
مسعود جدّ سعيد الفأل طالعه سعد السعود و ملقى كلّ إسعاد
بحقّ طه و سبطيه و أمهما و المرتضى و المثنى الطهر و الهادى

ص: ٢٠١

١- ١) فى السمط: أقيال.

٢- ٢) فى السمط: و الإحسان.

٣-٣) فى السمط: و أسبل الصفح سترا.

صَلَّى عَلَيْهِمْ إِلَهَ الْعَرْشِ مَا سَجَعَتْ قَمْرِيهِ أَوْ شَدَا فِي مَكَّةَ شَادَى (١)

و عارضه القاضي تاج الدين المالكي ممتدحا صاحب الترجمة، وقد زفت القصيدتان إليه في يوم واحد، وذلك يوم الجمعة الثاني من شهر رجب الفرد سنة ألف و تسع و ثلاثين، و مطلعها:

غذيت درّ التصابي قبل ميلادى فلا ترم يا عدولى فيه إرشادى

و هى مشهوره موجوده فى كلّ كتاب و مجموع (٢)، فلا يحتاج الى التطويل بنقلها.

فصل

إشارة

فى الحوادث المتعلّقه بدوله صاحب الترجمة

قد تقدّم بأنّ ولايته كانت فى شهر صفر من سنة تسع و ثلاثين.

وصول قانصوه باشا إلى اليمن:

ففى هذه السنه: وصل قانصوه باشا إلى اليمن، و كان كلّما دخل قريه نهب أهلها و ظلمهم، فعاد عليه شوم فعله، و لم يفلح فى سعيه، بل اهين و اردل، و شتت الله شمله (٣).

نزول مطر شديد و تخريب البيت الشريف:

و فى هذه السنه: نقل المؤرّخون أنّه نزل ليله الأربعاء لأحد عشر ليله بقين من شعبان مطر شديد، و نزل فى خلاله برد مالح شديد الملوحة، و سالت الأودية،

ص: ٢٠٢

١- (١) سمط النجوم العوالى ٤:٤٣٧-٤:٤٣٩.

٢- (٢) راجع تمام القصيده: سمط النجوم العوالى ٤:٤٣٩-٤:٤٤١.

٣- (٣) سمط النجوم العوالى للعصامى ٤:٤٣٠، إتحاف فضلاء الزمن للطبرى ٢:٤٤.

و خربت دور كثيره، و دخل المسجد الحرام، و علا الماء إلى أن وصل إلى طراز البيت الشريف، و امتلأ المسجد من التراب، و مات من الخلق نحو خمسمائه شخص، و تغير ماء زمزم بملوحه شديده حتى صار لا يساغ.

و فى ثانى يوم سقط البيت العتيق من جهه الحجر جميعا، و من جهه الشرق إلى الباب، و ثلاثه أرباع الجهه الغربيه، و لم يبق غير جهه اليمن، فانزعج الناس لذلك أشدّ انزعاج، و لم يقع البيت الشريف من عهد النبي صلى الله عليه و آله إلى عهدنا مثل هذا الانهدام، فجمع شريف مكّه العلماء، و سألهم عن حكم عماره البيت، فأجابوه بأنّه فرض كفايه على سائر المسلمين، ثمّ اجتمعوا الناس فبرحوا المسجد الحرام، و جعل أخشاب على دائر البيت الشريف، و وضع من فوقها ثوب أخضر، و رفع الأمر إلى السلطان مراد بما صار (١).

عماره البيت الشريف:

و فى سنه أربعين و ألف: وصل رضوان آغا المعمار من طرف السلطان مراد، و ابتداء بالعماره فى البيت الشريف، و أتمّ عمارته له فى السنه المذكوره على أحسن منوال (٢).

وفاه الشريف مسعود:

و فى هذه السنه: توفى الشريف مسعود صاحب الترجمة، فكانت مدّه ولايته سنه و ثلاثه أشهر، رحمه الله تعالى (٣).

ص: ٢٠٣

١-١) سمط النجوم العوالى للعصامى ٤:٤٣٤، إتحاف فضلاء الزمن للطبرى ٢:٤٦.

٢-٢) سمط النجوم العوالى للعصامى ٤:٤٣٦، إتحاف فضلاء الزمن للطبرى ٢:٥٠.

٣-٣) سمط النجوم العوالى للعصامى ٤:٤٣٧، إتحاف فضلاء الزمن للطبرى ٢:٥٠.

صاحب مكة المشرفة رحمه الله

قد تقدم أنّ في سنة أربعين بعد الألف: توفّي الشريف مسعود المذكور سابقا، فضبط البلاد بعد وفاته الأمير رضوان المعمار المتقدّم ذكره، و نادى في البلاد باسم السلطان فقط مطلقا.

ثمّ جمع الساده الأشراف، و طلب منهم الاتفاق على شخص معين منهم، فأجمعوا على السيد الشريف عبد الله بن حسن بن أبي نمي المذكور أعلاه، فألبسه الأمير رضوان خلعه الولاية، إذ كان من أكابرهم و أجلائهم.

و استمرّ في الولاية إلى أواخر شهر محرّم الحرام سنة إحدى و أربعين و ألف، ثمّ خلع نفسه منها تعفّفا و ديانته، و أفرغ بها لابنه محمّد بن عبد الله، و أشرك معه زيد بن محسن بن حسين بن حسن و تركها، فكانت مدّة ولايته تسعة أشهر و ثلاثة أيام.

ثمّ توفّي في ليلة الجمعة عاشر جمادى الاخرى من هذه السنة المذكورة بعد خلعه للشرافه، و دفن في قبه والده الشريف حسن بن أبي نمي.

هذا زبده ما ذكره الثقات من المؤرّخين في ترجمه هذا السيد الشريف (١).

و أعقب الشريف عبد الله المذكور جمله من الذكور، و هم: محمّد، و أحمد، و حمّود، و حسين، و هاشم، و ثقبه، و زامل، و مبارك، و زين العابدين، و حامد، و والدته الشريفه شمسيه بنت... (٢).

ص: ٢٠٤

١- ١) راجع: سمط النجوم العوالي ٤:٤٤١-٤٤٣، و إتحاف فضلاء الزمن ٢:٥١.

٢- ٢) بياض في النسختين.

صاحب مکه المشرفه قدس سره

قال العصامي في تأريخه: لما كان يوم الجمعة غرّه شهر صفر من سنة إحدى و أربعين و ألف، قلّد الشريف عبد الله بن حسن رحمه الله ولده السيد الشريف محمد بن الشريف عبد الله إمره مکه المشرفه، و أشرك معه الشريف زيد بن محسن بن حسين ابن حسن بن أبي نمي.

و كان قد استدعاه قبل ذلك من نواحي اليمن؛ لأنه فرّ إلى تلك الجهة في زمن ولايه الشريف مسعود مکه المشرفه، لما صدر من الشريف محسن إلى أبيه الشريف إدريس أولاً، ثمّ إليه نفسه ثانياً، فنودي بالبلاد لهما، و تخلّى الشريف عبد الله بن حسن للتوجه للعباده، إلى أن أتاه الأمر المحتوم بأمر الحى القيوم، في التأريخ المذكور في ترجمته الشريفة، و البلاد بهما قاره، و الأحوال طيبه ساؤه.

إلى أن كان العشر الأوّل من شعبان المعظم من السنه المذكوره، فوصلت أخبار من جهه اليمن بأنّ عسكريا خرجوا على قانصوه، و أنّ يتّهم الوصول إلى مکه المشرفه، و كان ذلك شايعا على الألسنه، ثمّ ورد مورق من القنفذه يخبر وصولهم إليها، و معه مكاتيب إلى مولانا الشريف محمّد و مولانا الشريف زيد، و مصطفى بيك السنجق المقيم بمکه إطراقاً من آغاتى العسكري المذكور محمود و على بيك.

و مضمون مكاتيبهم: إنّنا نريد مصر، و نريد الإقامه بمکه أيّاماً لنتهيّاً للسفر. فأبى صاحب مکه خوفاً من الفتنة و الفساد، و دفن بعض آبار كانت في طريقهم.

فلما وصل الخبر إليهم أجمع رأيهم على دخول مکه قهراً، و استعدادوا لذلك، بعد أن كتبت الأجوبه بالمنع، فحصل في البلد قيل و قال، و اضطراب شديد.

فلما أن كان يوم الجمعة عشرى شعبان من السنه المذكوره بعد العصر، توجه

مولانا الشريف محمّد، و مولانا الشريف زيد، و الساده الأشراف و الأعراب إلى جهة برکه ماجن وقوس (١) المكاسه؛ لأنه بلغهم أنّ الأتراک قاربوا السعديه، و برز معهم السنجق مصطفى بيک، بعد أن طلب من الشريف محمّد خيلاً لمن معه، فتوّهم من ذلك و منعه من الخيل، فبرز معه بعسكره و جنوده.

فلَمّا كان ضحى يوم الأربعاء خامس عشرى شعبان المذكور وقع اللقاء بالقرب من وادى الآبار بين الساده الأشراف و بين الأتراک، فحصلت ملحمة عظيمه، و قتال شديد، قتل فيه الشريف محمّد بن الشريف عبد الله بن حسن صاحب مکه، و قتل معه من الساده الأشراف جماعه، منهم: مولانا السيّد أحمد بن حراز، و مولانا السيّد حسين بن مغامس، و مولاه السيّد سعيد بن راشد، و خلق آخرون.

و اصيبت يد مولانا السيّد هزاع بن محمّد الحارث، فقطعت و لم تنفصل، فدخل بها كذلك إلى مکه، و مرّ على جهة سوق الليل قائلاً: عذرى إليکم يا أهل مکه ما ترونه، و توجه بقيه الأشراف إلى وادى مرّ.

فبعد تمام الوقعه دخل الأتراک، و نودى بالبلاد للشريف نامى بن عبد المطلب ابن حسن.

و كان دخولهم من جهة برکه ماجن، فتعب الناس أشدّ التعب، و حصل الخوف الشديد، و تسلّطت هذه العساكر على الناس، و أتعبوهم و أهلکوهم فسقا و نهباً، و ظلما و شرباً للخمور، و تقطّعت الطرق، و عصت العربان، و حمل الشريف محمّد بن عبد الله فى عصر ذلك اليوم، و دفن بالمعلّاه فى مقابر آباءه و أجداده، بعد أن قاتل

ص: ٢٠٦

قتال من لا يخاف الموت، وكانت مدّه ولايتهما سبعة أشهر إلا ستّة أيّام (١). إنتهى.

قال صاحب لسان الزمان: وفي سنه إحدى وأربعين و ألف: خلع الشريف عبد الله بن حسن نفسه من إماره مكّه، وجعلها لابنه الشريف محمّد، وأشرك معه الشريف زيد بن محسن، ونودي في البلاد لهما، وفي هذه السنه انتقل الشريف عبد الله بن حسن، ودفن بقبّه والده الشريف حسن رحمهما الله تعالى، وكانت مدّه ولايته تسعه أشهر و ثلاثة أيّام.

قال: وفي هذه السنه: وصل عسكر من اليمن قد خرجوا على قانصوه باشا، فأرسلوا من القنفذه إلى الشريف محمّد و الشريف زيد أنّا نريد الدخول إلى مكّه، و نتهيتاً منها إلى مصر، فأبيا من ذلك خوف الفساد، و وقوع الفتنة، و أمرا بدفن الآبار التي في طريقهم.

فلما بلغهم ذلك عزموا على ذلك قهرا و قسرا، و استعدّوا للحرب، فخرج إليهم شريف مكّه و الشريف زيد، و معهم مصطفى بيك سنجق جدّه بالعساكر، فالتقوا في جهه برکه ماجن، فجرى القتال بينهم، و كان حربا شديدا، قتل فيه الشريف محمد ابن عبد الله، و ثمانية من الساده الأشراف، و جرح كثيرون، و كان المقتول من عسكر الشريف و السنجق و المتفرّجين نحوا من خمسمائه شخص، و انكسر الشريف زيد و رجع مكّه، ثمّ توجّه إلى المدينه، و مات مصطفى بيك بعد رجوعه من المعركة (٢). إلى آخر كلامه دام فضله.

و هذه زبده ما وجدناه من النقول التاريخيه في كيفيّة شرافه صاحب الترجمة

ص: ٢٠٧

١- ١) سمط النجوم العوالي ٤٤٣-٤٤٥.

٢- ٢) لسان الزمان-مخطوط. راجع: إتحاف فضلاء الزمان ٦١:٢-٦٢.

الشريف محمّد بن الشريف عبد الله رحمهما الله تعالى، و سبب وفاته، و مدّه دولته، و هى سبعة أشهر إلاّ ستّه أيام، كما مرّ.

و هؤلاء العساكر المذكورون الواصلون من جهة اليمن شرذمه من الثلاثين الألف الذين دخل بهم قانصوه باشا إلى مكّه المشرفه عام وصوله و مسيره إلى جهة اليمن، و هى سنة تسع و ثلاثين و ألف، التى قتل فيها الشريف أحمد بن عبد المطلب، و ولى الشريف مسعود بن إدريس، ثمّ توجه إلى اليمن، و لقد صار منهم الفساد العظيم، و الشنّاعة فى أهالى مكّه المشرفه، كما سيأتى فى ترجمه الشريف نامى بن عبد المطلب، لكن حصل منهم القضاء التام، لسكّان بلد الله الحرام، و هذا من أقلّ ما يحلّ بالمعترضين لهم لأنّهم عيال الله، كما ورد فى الحديث الشريف، و جيران بيته السامى المنيف.

فالويل لمن اعترضهم بسوء، أو آذاهم، أو أراد فساد بلدهم و مأواهم، و سيأتى مثل ذلك ممّا رأيناه و شاهدناه فى بعض تراجم ملوك مكّه المشرفه من مثل هذا النوع، و حسبنا الله و نعم الوكيل.

اتّفاقيه

قال العصامى: و كان خروج الشريف محمّد بن الشريف عبد الله إلى لقاء هؤلاء الأتراك فى مثل سقوط البيت الشريف فى اليوم و الساعه، فإنّه كان يوم عشرين من شعبان بعد العصر من سنة تسع و ثلاثين بعد الألف، و خروج الشريف المذكور كذلك فى يوم عشرين من شعبان بعد العصر سنة إحدى و أربعين بعد الألف، فبين سقوط البيت الشريف و خروج مولانا الشريف سنتان بغير زياده، فلله هذا

ص: ٢٠٨

الاتفاق (١). إنتهى.

قلت: إتفاق حسن، يدلّ (٢) على صحّ ما ادّعاه من أنه كان سقوط البيت الشريف فى يوم عشرين من شعبان من السنه المذكوره، ما تقدّم فى هذا التأريخ فى حوادث سنه تسع و ثلاثين بعد الألف، أنه نزل ليله الأربعاء لإحدى عشر بقين من شهر شعبان مطر شديد، و سقط البيت الشريف ثانى يوم لعشر بقين، فرحمه الله تعالى رحمه الأبرار، و حشره مع أجداده الأطهار، آمين.

ترجمه السيّد الشريف نامى بن عبد المطلب

ابن حسن بن أبى نمى صاحب مكّه

لما دخلت العساكر الجلاليه إلى بلد الله الحرام، و قتل الشريف محمّد، و توجه الشريف زيد إلى مدينه جدّه عليه السلام، علموا أنّ مكّه المشرفه و أقطارها لا بدّ لها من ضابط سنى، من هذا الفخذ الشريف الحسنى، و إلاّ تقطّعت عليهم السبل و المسالك، و وردوا حياض المهالك.

فطلبوا صاحب الترجمه، و ولّوه إماره مكّه المعظمه، و أشركوا معه الشريف عبد العزيز بن إدريس فى الربع بالإشعار، و خطب لهما على المنابر، و شاع ذكرهما فى جميع الأقطار، فاطمأنت البلاد بعض الاطمئنان، و سكن قليلا ما حلّ بقلوب أهاليها من الروع و الخفقان.

إلاّ أنه صدر بعد ذلك من هؤلاء العساكر أحوال، هى فى الحقيقه مصائب

ص: ٢٠٩

١-١) سمط النجوم العوالى ٤:٤٤٥.

٢-٢) فى «ن»: دالّ.

و أهوال، و فسقوا بكلّ صبيّ و حرّه، فسق جيوش مسلم عقيب يوم الحرّه (١)، فلم يلبثوا عدّه من الشهور، إلا قد حلّ بهم البلاء المشهور، المثبت في كلّ كتاب مسطور.

قال بعض المؤرّخين: لما دخل عسكر قاصوه إلى مكّه بعد القتال، طلبوا الشريف نامى بن عبد المطلب، فولّوه إماره مكّه، و أشركوا معه في الأمر الشريف عبد العزيز بن إدريس في الربع، و نادوا في البلاد لنامى، و أرسلوا إلى نائب سنجق جدّه ليسلمهما إليهما، فأبى، فتوجّهوا إليه و حاصروا جدّه، ثم دخلوها و نهبوا، و صار الشريف نامى يصادر الناس، و العساكر تفسد و تؤذى.

فلما وصل الشريف زيد إلى المدينه المنوره، بعث إلى باشه مصر بعروض و أرقام، مضمونها ما صار، فأرسل على الفور سبعة سناجق و معهم العساكر، و أرسل بالخلع السلطانيه للشريف زيد، فتوجّهت العساكر و قصدوه إلى المدينه المنوره، و أخلعوا عليه ثمّه، و توجّهوا جميعا إلى مكّه المشرفه.

و لما بلغ أهل مكّه إقبال العساكر اختلفت آراؤهم، ثم خرجوا من مكّه إلى جهه الشرق لمحلّ يقال له: ترابه.

ص: ٢١٠

١ - ١) حادثه يوم الحرّه، هي حادثه عظيمه مؤلمه جدّا، حدثت في زمن خلافة يزيد ابن معاويه، حيث أباح لجيوشه أهالي المدينه المنوره، و ذلك بعد اعتراضهم الشديد لقتله الإمام السبط الشهيد حسين بن على عليهما السلام، فدخلوا المدينه، فنهبوا البيوت و قتلوا كلّ ذى روح من صغير و كبير، و فسقوا بالحرائر، و جنوا ما استطاعوا من أنواع الجنائيات، و تحمّل الناس من المصائب و الشدائد ما لا يمكن عدّه، و كان قائد الجيش هو مسلم بن عقبه الخارجي الكافر.

و فى سنه ثنتين و أربعين و ألف: بعد مضى الحجّ، توجّه الشريف زيد مع العساكر، فأدرّكوهم بموضع يقال له: تربه، و جرى بينهم حرب عظيم، ثمّ التجأوا إلى حصن كائن فى تربه، فحاصرهم العساكر، فطلبوا الأمان، فأتمنّوهم، بشرط أن يأتوهم بالشريف نامى و أخيه السيّد و محمود رئيس الجلاليه، فأتوا بهم إلى مكّه المشرفّه، فقتلوا جميعا، و كانت مدّه و لايه الشريف نامى مائه يوم و يوم عدد حروف اسمه (١). إنتهى.

و أوضح منه بيانا العصامى فى تأريخه، حيث قال: ثمّ توجّه الشريف زيد إلى وادى مرّ، بعد أن دخل مكّه المشرفّه، و معه السيّد أحمد بن محمّد الحارث، و مرّا على بيت الشريف نامى بن عبد المطلب، فدعاه مولانا الشريف زيد، فخرج إليه، فناوشه بعض كلام، فقال السيّد أحمد: ليس الوقت وقت كلام، و كان من جمله ما قاله الشريف زيد:

تجازى الرجال بأفعالها خيرا بخير و شرّا بشرّ

فاللّه بالحرّيم. أو ما يقرب من هذا الكلام. ثمّ سار إلى المدينه الشريفه، و كتب عروضاً بالتعريف بالواقع، و أرسلها إلى باشا مصر صحبه السيّد على بن هيزع حواله مكّه بمصر.

و لما وصل الخبر إلى صاحب مصر، أرسل إليهم سبعة سناجق، و أرسل بخلعه سلطانيّه لمولانا المرحوم الشريف زيد بالمدينه المنوره، فدخلوا إليها، و خلعوا عليه بملك الحجاز فى الحجره النبويه، و توجّه إلى العسكر، و أتوا جميعا إلى مكّه.

فلما وصل خبر ذلك إلى مكّه، اضطربت آراء العساكر الجلاليه اليمنيه، فمن

ص: ٢١١

(١-١) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ٦٣:٢-٦٤.

قائل: نخرج، و من قائل: نقاتل. ثم وصل الخبر بأن العساكر المصريه وصلت عسفان، فاقضى رأى عسكر اليمن أن يرسلوا من يكشف لهم الخبر، فأرسلوا جماعه، فوصلوا إلى وادى مّر، و العساكر المصريه قد أقبلت، فرجعوا إلى مكّه، و أخبروا من بها بذلك، فأظهروا حركه الرحيل عنها.

فلما كان يوم الأربعاء خامس ذى الحجه خرجوا كلهم و معهم الشريف نامى و أخوه السيد السيد، و السيد عبد العزيز بن إدريس، و لم يبق منهم أحد، و كان بروزهم وقت أذان العصر.

فلما أن حاذوا باب النبى صلى الله عليه و آله، و هو المسمى الآن بباب الحريريين، قال المؤذن: «الله أكبر» فسقط بيرق محمود منهم، فكان سقوطه فألا عليهم، ثم ساروا فنزلوا عند جبل حرّاء و باتوا.

فلما كان أثناء الليل سرى السيد عبد العزيز بن إدريس على نجبيه له أعدت له خلف الجبل، فقعد عليها و سرى، و توجه إلى ناحيه ينبع فنجا، فلما أسفر الصبح لم يجدوه، فعلموا أنه اختلس نفسه، فزاد احتفاظهم على الشريف نامى و أخيه السيد، و أمست مكّه بعد خروجهم خاليه، و كان بها مولانا السيد أحمد بن قتاده بن ثقبه، فنادى فى البلد: إن البلاد بلاد الله و بلاد السلطان مراد، و عسّ البلد تلك الليله.

ثم لَمّا كان شروق يوم الخميس خامس (1) ذى الحجه الحرام، ختام سنه إحدى و أربعين و ألف، دخل مولانا الشريف زيد بن محسن بمن معه من السناجق، و كان نزوله بدار السعاده، ثم نزل وقت الضحى من ذلك اليوم إلى المسجد الحرام، فجلس فى السبيل الذى بجانب زمزم، و معه الأمير على الفقارى أحد السناجق

ص: ٢١٢

الواصلين، ثم خرج مولانا الشريف زيد من السبيل المذكور، وطاف بالبيت اسبوعاً، والرئيس يدعو له على قبه زمزم، ثم خرج المنادى ينادى باسمه الشريف.

ثم طلب بعض السناجق الخروج إلى الجلائيه لقرب إدراكهم، فقال له مولانا الشريف زيد: الرأي أن نحجّ، و تحجّ الامة، و تفلح ثم نلحقهم، فيقرب الله بعيدهم و لا يفوتون، فحجّ الشريف زيد بالامة تلك السنه، و أزال الله به عن أهل مكّه و أقطار الحجاز كلّ بأس.

و بعد أن أتمّ الشريف المناسك، و وصل إلى مكّه بعض العساكر اليمتية بشفاعه إبراهيم باشا أمير الحاجّ الشامي في تلك السنه.

و لما كان يوم الثلاثاء ثانى محرّم الحرام افتتح سنه ثنتين و أربعين و ألف، عقد مجلس بالمسجد الحرام عند مقام المالكي، حضر فيه الشريف زيد و غالب السناجق، و غالب الساه الأشراف، و الساده الفقهاء، و تفاوضوا في أمر العسكر اليماني.

فاتفق الحال على أنّهم يعزمون إليهم، فبرزوا ذلك اليوم و معهم مولانا الشريف زيد و جماعته، فأدركوهم في محلّ يقال له: ترّبه، فحاصروهم.

ثم وقع القتال بينهم بالبندق، فاستمسك على بيك لنفسه من السناجق على أن يسلم من القتل، و التزم لهم بمحمود بيك، فقبلوا ذلك، و مسكوا محمود بحيله دبروها.

ثم رجعوا فدخلوا مكّه المشرفه في أول يوم الخميس ثامن عشر محرّم الحرام من السنه المذكوره، و معهم محمود بيك أحد آغاتي العسكر اليمني، فعذب بأنواع العذاب، و طيف به على جمل في شوارع مكّه عارى الجسد لا ساتر لعورته، و مدّ

باعه بعصى، و ربطت يدها عليها عورضت من خلفه، و شقت يدها و عضداه و ذراعاه، و غرز فيها خرق (١) الزيت موقده، (و وكل بتلك العصا من يضربها من خلف حيناً بعد حين) (٢) فيتناثر سقطها على يده (٣)، و العياذ بالله.

ثم علق بكلاب ادخل في رأس ذراع يده اليمنى، ثم ادخل تحت عصب عقب رجله اليسرى، و دفع إلى شجره جميز عند باب المعلاه، فمكث كذلك نحو ثلاثه أيام حياً يسب و يفحش و يفجر إلى أن مات، فانزل و اخذ إلى شعبه العفاريت فاحرق ثم.

و أمياً الآغا الآخر على بيك، فلم يحصل عليه سوء أصلاً، و ذلك لتدبيره تلك الحيله على محمود، و لحسن سلوكه حال دخوله مكه مع بعض حريم للشريف زيد، فإنه آمنهم، و أوصلهم (٤)، و كان يتردد عليهن و يتفقد أحوالهن و يبشرن، فكان ذلك سبباً لسلامته، و خلوصه مما وقع لرفيقه.

ثم لمّا كان أواخر شهر محرم الحرام إفتتاح السنه المذكوره، صار مجمع كبير أمام باب مدرسه السلطان قايتباى، و حضر فيه السناجق و الامراء و القضاة، ثم جىء بالمرحوم الشريف نامى بن عبد المطلب، و أخيه السيد بن عبد المطلب، فاستفتيت العلماء فيهما، فأجابوا بحكم الله تعالى، فذهب بهما في شردمه من العسكر إلى أعلى الردم، فتوفيا شهيدين، رحمهما الله تعالى رحمه واسع، و غفر

ص: ٢١٤

١- ١) فى السمط: فيها مصطفه خرق.

٢- ٢) ما بين الهاليتين ساقطه من النسختين، و أضفناها من المصدر.

٣- ٣) فى السمط: جسده.

٤- ٤) فى السمط: و وصلهم بخير.

لهما مغفره جامعه.

و كانت مدّه ولايته على مكّه مائه يوم و يوم واحد، و هي حروف اسمه «نامى» لأنّه دخلها يوم خمس و عشرين من شعبان من سنه إحدى و أربعين بعد الألف، و خرج منها عصر اليوم الخامس من ذى الحجّه من السنه المذكوره كما تقدّم، و تلك المدّه مائه يوم و يوم واحد، و فى ذلك يقول المهتار:

تأمل لدنياك التى بصروفها أبادت علا ملك تأطد سامى

بدا فأضا ثمّ اعتدى الحقّ فانقضى فمدّه نامى عدّه أحرف نامى

كذا ذكره الطبرى (١) فى تاريخه المسمّى بالأرج المسكى فى التاريخ الملكى، فليراجع (٢).

ترجمه الشريف زيد بن محسن بن حسين بن حسن

إشاره

ابن أبى ندى صاحب مكّه المشرفه

قد تقدّم فيما أملينا، و اندرج فى ضمن ما أسلفناه، من النقول الصحيحه، و العبائر الصريحه، كيفيه شرافه هذا الملك المسدّد، ذى الملك المؤطّد، و البيت السامى المشيد، جزم الساده الأشراف، و القاده من آل عبد مناف، فإنّه (٣) انتشر من عقبه الشريف أمجاد كرام، و أنجاد لم يلف فيهم إلا ذابل أو حسام، إن غرب من سمائهم كلّ نجم متقد، طلع كلّ ذى فهم منتقد.

نجوم سماء كلّما انقضّ كوكب بدا كوكب تأوى إليه كواكبه

ص: ٢١٥

١-١) هو العلامه على بن عبد القادر الطبرى.

٢-٢) سمط النجوم العوالى ٤٤٥-٤٤٨.

٣-٣) فى «ن»: لأنّه.

فهم-أيدهم الله تعالى-إلى عصرنا ملاك ملاك مملكة الحجاز، و سّواس شرافتها على الحقيقه لا المجاز، يورثها الأكبر منهم الأصاغر، و يكسب فخرا منهم الأوّل للآخر، بحيث لم يكن معهم لأحد فيها ناقة و لا جمل، و إن زوحم أحدهم فى منصبه كان قيس الهباءه و مناويه حذيفه و حمل، ما عدا ما حصل فى خلال دولهم، و أثناء منتزحاتهم و نقلهم، من ولايه لبعض أشخاص من الساده الأكارم، كما ستقف عليه فيما سيأتى من التراجم.

فبعضهم آلت إليه منهم، و روى أحاديثها الملكيه عنهم، و بعضهم بعنايه سلطانيه، و توفيقات ربّانيه، و بعضهم بنزول من أبيه، و معاونه من فصيلته التى تؤويه، ثمّ تنتقل قسرا و تعود، إلى هؤلاء الاسود.

و سبب ذلك: مكث جدّهم صاحب الترجمه فى ولايه الأقطار الحجازيه و تلك الممالك، حتّى شاع ذكره الشريف و شاع (١)، و ملأ البقاع، و رسخت هيبتة فى قلوب حاضره بلده و بواديه، رسوخ المجد المؤثّل بناديه، ففى أثناء دولته مات خلق كثير، و نشأ جمّ غفير، و كلاهما لا يعرفان من الملوك إلاّ حضرته، و لا وعيا (٢) إلاّ بهجه ملكه و نصرته.

لأنّه تولّى شرافه مكّه المعظمه، و تحلّى منكبّه بخلعه الخلافه المنظّمه، استقلالا فى شهر ذى القعده سنه إحدى و أربعين و ألف بالمدينه المنوره، و كان دخوله إلى مكّه لخمس خلون من ذى الحجّه الحرام من السنه المذكوره، كما تقدّم ذلك.

و توفى فى منصبه يوم الثلاثاء ثالث شهر محرّم الحرام إفتتاح سنه سبع و سبعين

ص: ٢١٤

١-١) فى «ن»: و ذاع.

٢-٢) فى «ن»: دعيا.

و ألف، و كانت مدّه ولايته خمسا و ثلاثين سنه و شهرا و أياما، رحمه الله رحمه الأبرار، و حشره مع أجداده الأظهار.

و كانت ولادته-رحمه الله تعالى و أفاض عليه شآبيب غفران توالى-بعد مضى درجتين من شروق يوم الاثنين السابع و العشرين من شهر شعبان سنه ستّ عشره بعد الألف ببلده بيشه من أعمال الشرق، هكذا نقل المؤرّخون (١).

و ذكر العصامي قال: أخبرني مولانا الخطيب العلّامه، نتيجه الفضلاء، و عين الأعيان النبلاء، برهان الدين الخطيب، إبراهيم ابن العلّامه الفهّامه واحد عصره بلا خلاف، مولانا المرحوم الخطيب أحمد بن عبد الله الشهير بالبزّي، نقلا عن والده المذكور، أنّه حضر في مجلس مولانا المرحوم الشريف زيد بعض متعاطى علم الرمل، فضرب تخته، ثمّ قال لمولانا الشريف زيد: فقد دلّ الرمل الصحيح على أنّه كان وقت علوق والدتك بنظفتك عند الزوال في شهر رمضان في عام خمسه عشر بعد الألف.

فاستغرب الشريف ذلك لمكان شهر الصوم، ثمّ إنّه سأل والدته عن هذا المعنى، فأجابت نعم، كان سيّدي أبوك غازيا في شهر رمضان لبعض العرب، فجاء بعد أن أدرك من النصر و النجح الأرب، و كان وصوله في هذا الوقت الذي ذكره هذا الرجل، فوقع عليّ، فأدركت الحمل بك من حينى. هكذا أخبرني حفظه الله تعالى نقلا عن والده الخطيب أحمد البزّي (٢). انتهى.

فهذا من جملة النقول الدالّة على صحّه هذا العلم، و قد شاهدنا كثيرا مثل ذلك،

ص: ٢١٧

١- ١) لعلّه نقله من كتاب لسان الزمان للفاضل ابن عقيله و هو مخطوط لم نظفر عليه.

٢- ٢) سمط النجوم العوالى ٤: ٤٧٨.

وإنما أين الرجال العارفون به، المحاسبون لاصوله و مذهببه، وإلا فهو علم لا شكّ فيه، ولا ريب ينافيه.

عودا إلى صاحب الترجمة، و ذكر ملح من أخباره، و لمع من محاسنه و آثاره:

فلقد كان كما قال بديع الزمان (١): كعبه المحتاج، لا كعبه الحاج، و مشعر الكرم، لا مشعر الحرم، و منى الضيف، لا منى الخيف، و قبله الصلاة، لا قبله الصلاة، خدمه أرباب الأدب، و تناسل إليه الشعراء من كلّ حدب.

فمن جملة من نضد فيه عقود شعره، و استنشق من رياض نعمه روائح زهره، القاضي عبد الجواد المنوفى (٢)، فقال مادحا له، و مهنتا بالظفر بأهل غمد، و هى من غرر القصائد الطنانه:

العزّ تحت ظلال السمر و القضب يوم الوغى و مساعى البيض لم تخب

و العزم ما خضعت غلب (٣) الرقاب له صغرا و صارت به الأفكار فى تعب

و الحزم ما دان صعبا عزّ مدركه و ما بنى شرفا يبقى مدى الحقب

ما عزّ غير فتى غضب يقوم إذا نام العدى و يقدّ العصب أن يشب

و لا اجتنى العزّ من أفنان مثمره بالهام فى ماقط من جحفل لجب

إلا امرىء همّه كسب العلا و له سعى يقصّر عنه كلّ ذى حسب

قد طلقت للوغى أجفانه و سنا و سن حدا و جاز الحدّ فى الطلب

ص: ٢١٨

١- ١) لعلّ مراده به هو العلامه محمّد بن أحمد عقيله صاحب كتاب لسان الزمان، كما عبّر عنه بهذا اللقب فى موضع آخر، و الله العالم.

٢- ٢) له ترجمه مبسوطه فى كتاب سلافه العصر ص ١٢٥-١٣٣ فراجع.

٣- ٣) فى السلافه: صعب.

ذو غرّه كغرار السيف ماضيه و همّه فى العلا تسمو على الشهب
مثل الشريف أبى عجلان من شرفت به المعالى و نالت منتهى الأرب
أبى الحسين يمين الملك ساعده شريف مكّه على الجدّ (١) و الحسب
حامى حمى الحرم الأعلى و طبيته زيد بن محسن رجوى كلّ ذى طلب
خير الملوك و خير الناس قاطبه روح الزمان و روح الواهن الوصب
الأشرف النسب ابن الأشرف النسب ابن الأشرف النسب ابن الأشرف النسب
الهاشمى الذى سارت مكارمه سير الكواكب فى عجم و فى عرب
ملك إذا ثوب الداعى و قد لقت حرب أجاب و نار الحرب فى لهب
ملك إذا ما بدا فى الناس بارقه أربى نداه على الهطّاله السحب
ملك إذا رايه يوم الفخار سمت سما لها و عليها غير محتجب
ذو المجد كالجدّ ما زالت قواضيه أرضا و أبتت عليها غير منتجب
ينال بالسعد إن عدت مفاخر من بالسعى نال مرامات و لم يخب
يرى العواقب فى مرآه فكرته عينا فيدرك مرمى كلّ مطلب
تقضى على مهج الأعداء رؤيته بصارم من نجيع القوم مختضب
و يمتطى كاهل العليا على مهل إذا سعى غيره أو جدّ فى الخبب
عزّت مساعيه عن إدراك طالبها إنّ السعاده شىء غير مكتسب
رقى إلى غايه فى المجد ساميه و رتبه فدّه نافت على الرتب
ما زال يسمو لها و الله يسعفه بما أراد على أمن بلا رهب
حتّى أتت نحوه تسعى مطالبه فنالها لا على خيل و لا نجب

فقام بالأمر شهما دارعا بطلا ممنعا برقاق البيض و اليب
بنى ربوع المعالى بعد ما انهدمت و شادها بكمال الفضل و الأدب
و نال باللين ما أعيأ تطلبه الم لو ك دهرا و ما نالوا سوى التعب
يلقى العدو بوجه مسفر طلق فيستحيل و لا يلجيه للغضب
إذا أتاه عثور كفّ (١) عن كرم عنه إذا تاب تحقيقا و لم يؤب
أكرم به من مليك سيّد سند (٢) بالحكم مشتمل باللطف منتقب
عليه من شيم المختار عارفه تغنى علاه عن الأمداح و الخطب
فخرا و عزّا بنى الزهراء إنّ لكم بفضله نسبه من أفضل النسب
يابن الملوك الاولى أرسوا ممالكهم على قواعد أعيت كلّ منتدب
لما حموها بأطراف الأسنه عن من ليس كفؤا من الأطراف و الوشب
و أصدروا البيض حمرا بعد ما وردت من العدى كلّ شيخ أسود و صبي
حتّى غدت مله الإسلام و هى بهم مكفوله أبدا منهم بخير أب
أوصافك الغرّ فى بأس و فى كرم تنوّعت بين طعم المرّ و الضرب
لله درّك من حام و من بطل و خير نجل لخير العجم و العرب
عقل و حلم و إقدام و هزّ قنا فى مجمع حفل (٣) أو محفل لجب
الضيف و السيف فى سلم و يوم و غى ترجى و تخشى لبذل أو لذى غضب (٤)

ص: ٢٢٠

١- ١) فى السلافه: عفّ.

٢- ٢) فى «ن»: شغف.

٣- ٣) فى «ن»: جفل.

٤- ٤) فى السلافه: أو لذى غضب.

غضنفر حيدر (١) في مازق حرج و في السماحة غيث سح بالذهب

لو شئت قلت و خير القول أصدقه البئر بثرى و إن الماء ماء أبي

فدم وجد و اسم و اسلم و استقم و على كيد العدو أقم و احكم و ظل و طب

و ليهنك الفتح و النصر المبين على أعدائك أهل الشرّ و الشغب

لما عصوك و عقبى الصبر كافله نيل النجاح و نيل السؤل و الإرب

صبرت صبر كريم قادر يقظ مدبر أمره بالحزم محترّب

و جئتهم بخميس لو أتيت به جنود عاد لعادوا منه في تعب

في مقنب من عتاق الخيل ذى رهج مدرع بدورع الروع و الرعب

و فنيه ألقوا حرّ المصاع به كأنهم تحت ظلّ السمرة في قبب

من سادة قاده شمّ غطارفه من آلك الغرّ أهل المجد و الحسب

بيض الوجوه حجاجيح لهم أنف عن أن يقيموا على ضيم و لا نصب

شمّ الانوف من القوم الذين هم و ما لهم في سوى العليا من إرب

تفرّعت عن صميم المجد دوحتهم من معدن الوحي مثنوى خير كلّ نبي

مغنى (٢) الرسالة مغناهم و معهدهم أعظم بذلك من بيت و من سبب

فحين شافوا (٣) جيوش النصر مقبله شافوا ديارهم بالحتف و الخرب

وفوضوا خيم التسليم و انتجعوا غمدا و ما استعصم (٤) المسلوب بالسلب

ص: ٢٢١

١-١) في السلافه: جسد.

٢-٢) في السلافه: معنى.

٣-٣) في السلافه: شاموا.

٤-٤) في «ن»: استسلم.

و شَجَّعُوا أَنْفُسًا مِنْهُمْ قَدْ اِمْتَلَأَتْ جَبِينًا وَ ظَنُّوا بِأَنَّ الظَّنَّ لَمْ يَخْبِ
ظَنُّوا بِأَنَّ الْجِبَالَ الشَّمَّ نَافِعَهُ وَ أَنَّهُمْ فَتَهُ غَلْبَ ذُووِ غَلْبِ
فَخَيْبَ اللَّهِ مَا ظَنُّوا وَ قَدْ خَذَلُوا حَقًّا وَ لَمْ يَجِدُوا مَنجَا سِوَى الْهَرَبِ
قُلُوبُهُمْ خَشِيَتْ أَبْصَارَهُمْ عَمِيَتْ شَاهَتِ وَجُوهُهُمْ خَوْفًا مِنَ الْعَطْبِ
سَطَا بِهِمْ فَتْرَاهُمْ ذَا يَفْرَ وَ ذَا غَدَا يَقْرَ بِمَا لَا قُوَّةَ مِنْ شَجْبِ
أَيْنَ الْمَفْرَ وَ خَيْلَ اللَّهِ طَالِبَهُ وَ السَّعْدَ يَغْتَالَهُمْ كَالصَّيْدِ مِنْ كَثْبِ
فَمَنْ يَبْلُغُ عَنِّي غَيْرَ مُعْتَذِرٍ سَكَانَ غَمْدًا مَقَالًا لَيْسَ بِالْكَذْبِ
بَنِي عَفِيفٍ وَ عَبَسَ ثُمَّ خَلْفَهُمْ ثَقِيفٌ تَرَعَهُ مِنْ نَأَى وَ مَقْتَرِبِ
مَا أَنْتُمْ وَ الْمَعَالَى يَا بَنِي لَكْعِ وَ نَسْلَ حَجَّاجِ شَرَّ ابْنِ وَ شَرَّابِ
مَا أَنْتُمْ وَ قِرَاعِ الْبَيْضِ يَوْمَ وَغَى فِي مَقْنَبِ حَفَلٍ أَوْ مَحْفَلِ لَجْبِ
أَتَحْسَبُونَ الْوَعَى حَرثًا بِمَزْرَعِهِ أَوْ سَقَى أَرْضَ بِهَا شَيْءٌ مِنَ الْعَنْبِ
حَتَّى وَطِئْتُمْ عَلَى ذَلٍّ وَ مَنْقَصَهُ مَوَاطِنًا (١) مَا لَكُمْ فِيهِنَّ مِنْ ذَرْبِ
وَ قَمْتُمْ قَوْمَهُ الشَّيْطَانِ فِي مَنْعٍ مِنْ قَنَّةٍ لَا عَلَى أَمْنٍ وَ فِي رَعْبِ
إِنْ تَنْكُرُوا لِأَبِي عَجْلَانَ فَرَسْتَهُ فِيكُمْ وَ فِيمَنْ مَضَى مِنْكُمْ مَدَى الْحَقْبِ
سَلُوا مَوَاضِيَهُ عَنْ أَبْنَاءِ عَمِّكُمْ ثَقِيفِ يَوْمَ لَقِيتُمْ مَعْشَرَ الْوَشْبِ
تَنْبِيَكُمْ كَيْفَ نَاشْتَهُمْ بَوَاتِرَهُ عَنْ دَارِهِمْ نَوْشَ قَرْمِ دَارِعِ ذَرْبِ
مَا زَالَ يَرُكُضُ مَعَ أَبْنَاءِ أَبِيهِ بِهَا وَ النَّصْرُ يَقْدَمُ مَعُونَا عَلَى النَّوْبِ
حَتَّى إِذَا أَيْنَعْتَ لِلْقَطْفِ أَرْوُسَهُمْ وَ حَانَ بِالسَّيْفِ مِنْهُمْ مَنْتَهَى النَّجْبِ
أَمْسَتْ دِيَارَهُمْ لِلْوَحْشِ مَعْتَرِكَا وَ أَصْبَحَ الرَّأْسُ مِنْهُمْ مَوْضِعَ الذَّنْبِ

سلوا الحريه عن صبح و وقعته وقت الضحى و مثار النقع فى الكشب
لما تعدوا على شاووش خلعتة و نابذوه و لم يخشوه فى العقب
فدكهم بخميس لو تدكك به هضاب رضوى لعادت منه فى خرب
حتى استقامت له فيهم أوامره بالسيف و استنقذوا الأرواح بالنشب
سلوا بجيله عما كان فى نضد فوقه الرجل ترميكم على الركب
نسيتم أو تناسيتم وقائعه و قرعه البيض بالخطيه السلب
هلا رجعتم و تبتم قبل سطوته فيكم و سرتم إلى عليها فى رعب (1)
و سقتم المال فى مرضاته فعسى يفضى قليلا و من للقرع بالزغب
فللحروب رجال يعرفون بها و للدواوين حساب و ذو كتب
لكنكم حين أيقنتم بفرسته حقيقه و استلاب الروح و العقب
و شتمم الذبح فى أخلافكم و غدت ديارهم مأتما للويل و الحرب
فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم و كل منجدل منهم و منتخب
لتم إليه و جئتم باذلين له طوعا على رهب من أخذه الريب
فجاد بالعفو إحسانا و مكرمه عن اقتدار و ما هذا من العجب
فما القضاء بكم يشفى ضمائره إن القضاء من الأكفاء فى الطلب
و العفو عن مجرم من بعد مقدره و الصفح عن ذنبه نوع من القرب
فدتك نفسى أبا عجلا من ملك ترى المكارم فيه عله السبب
منتت بالعفو مذ دانوا إليك و لو دانوا سواك إليه الدهر لم يجب
فحزت فيهم ثواب العفو عن كرم و فزت بالنصر و الآمال و الإرب

فلا برحت قرير العين في دعه مبلّغا ظافرا بالسعد كلّ أبي

و أنت ملكك بفعل الخير تأمر من بغى و تنهاه عن شرّ و عن شغب

مؤيدا برسول الله جدّك و الولي و ابنيه و الزهراء و كلّ نبي

ما فاز بالنصر من ربّ السما ملكك و حاز بفتيه (١) عفوا بلا تعب

و أصبحت ألسن الأفراح منشده العزّ تحت ظلال السمر و القضب (٢)

و من شعر الفاضل الأديب الشيخ أحمد بن قاسم الخليّ مورّخا لوفاته رحمه الله تعالى:

مات كهف الوري مليك الأرض من لم يزل مدى الدهر محسن

فالمعالي قالت لنا أرخوا قد ثوى في الجنان زيد بن محسن

و من شعر الفاضل العلّامة القاضي عبد المحسن القلعي قاضي مكّه المشرفه مورّخا لوفاته أيضا:

يا أهل مكّه إنّ سيّدنا الذي ملك الحجاز و كان فيه الأرشد

ربّ السماحه و الشجاعه و الحياء و الحلم صفّاه السقى و السؤدد

نقى الآله فكان تأريخي له زيد بن محسن في الجنان مخلّد

و أمّا مدائحه فكثيره، و منائحه فشامله شهيره، قد نقل المؤرّخون منها جانبا عظيم، و ما أوردها فهو كافي الدلالة على مقامه العالى
الكريم، قدّس الله أسراراه و أسس.

ص: ٢٢٤

١-١) في السلافه: بغيته.

٢-٢) سلافه العصر ص ١٢٩-١٣٢.

فى الحوادث المتعلقة بدوله صاحب الترجمة إلى عام وفاته

وفاه الشيخ أحمد المقرئ التلمسانى:

ففى سنة ثنتين و أربعين بعد الألف: توفى العالم العلامة، الشيخ أحمد المقرئ المالكى (١) صاحب التصانيف الجمه، و العلوم الكثيره، ولد بتلمسان، و سكن فاس من أرض المغرب، و أخذ العلم بها، و اتسعت معرفته، و كملت فضيلته، و رحل إلى الحرمين و مصر و الشام، و أقام بها مده، و بها ألف كتابه الكبير المعروف ب«نفع الطيب فى أخبار ابن الخطيب» (٢) و هو كتاب حافل، قصد فيه إيراد جملة صالحه من أخبار لسان الدين ابن الخطيب، من شعره، و مكاتباته، و مشايخه، و من أخذ عنه.

ثم اتسع به الحال إلى أن خرج عن هذه الحلبه، فأتى بتأريخ الأندلس بالمناسبه، و من وليها من الملوك من حين افتتاحها المؤمنون، و تنقل الدول فيها، و ما جرى فى ضمن ذلك من الوقائع و الحوادث، و كيفيه أخذ الكفار لها، و خروجها من أيدي المسلمين، و أطال فى ذلك بذكر مدائن الأندلس و أنهارها و بساينها، و ما قيل فى ذلك من الشعر، و ما يناسب ذلك من الأدبيات و اللطائف.

ثم استطرد إلى ذكر من دخل الأندلس من علماء المشرق، و من خرج من الأندلس إلى المشرق، و ذكر جانباً من إنشاء ابن الخطيب و شعره، و استشهاده،

ص: ٢٢٥

١ - ١) ولد سنة (٩٨٦هـ) بمدينة تلمسان، و توفى كما فى مقدمه كتاب نفع الطيب سنة (١٠٤١) و له مؤلفات كثيره، راجع حول ترجمته إلى مقدمه كتابه نفع الطيب.

٢ - ٢) طبع سنة (٢٠٠٤م) فى ثمان مجلدات، منشورات دار صادر بيروت.

و كيفيه قتله، فصار ذكر ابن الخطيب في هذا الكتاب نزر قليل، بالنسبه إلى ما اشتمل عليه من الوقائع و الحوادث، و الحاصل أنه كتاب ممتع في الأدب و الشعر و الأخبار، و هو في نحو أربعة أسفار.

ثم أقام الشيخ المذكور في آخر أيامه بمصر، و توفي بها في السنه المذكوره.

و كان واسع الفضل، له مشاركه تامه في سائر العلوم، و من تأليفه أزهار الرياض في أخبار عياض، و روضه الآس العاطره الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام مراکش و فاس (١)، و الجنابذ في من لقيت من الجهابذ، و هو أعم من الذي قبله، و الدرّ الثمين في أسماء الهادي الأمين، و رسالتان في صفه النعال النبوي (٢) و قد اشتهرتا، و ارجوزه في العقائد (٣)، و ارجوزه في الوفق المحتمس، و له شعر رائع مذكور في نفح الطيب و غيره (٤).

وفاه الشريف أحمد بن مسعود:

و في هذه السنه: توفي السيد الشريف الأديب الأريب السيد أحمد بن مسعود ابن حسن بن أبي نمى، و قد تقدّم ذكره الشريف في أثناء ترجمه الشريف أحمد بن

ص: ٢٢٤

-
- ١- ١) ألفه حوالي سنه (١٠١١-١٠١٢) و طبع بالمطبعه الملكيه بالرباط سنه (١٩٦٤) م.
 - ٢- ٢) سمّاهما الاولى: فتح المتعال في مدح النعال، طبع بالهند. و الثانيه: النفحات العنبريه في نعل خير البريه.
 - ٣- ٣) و سمّاهما إضاءه الدجنه بعقائد أهل السنّه، منظومه بدأ بتأليفها أثناء زيارته للحجاز سنه (١٠٢٩) و درسها في الحرمين الشريفين، و أتمّها في القاهره سنه (١٠٣٦) هـ.
 - ٤- ٤) راجع: سمط النجوم العوالي ٤: ٤٤٨.

عبد المطلب بمناسبه اقتضت ذلك، و ذكرنا جانباً من شعره، فراجعه ثمّه (١).

وفاه الشيخ إبراهيم بن الشيخ حسن اللقاني:

و في هذه السنه: توفى شيخ الإسلام، و إمام العلماء الأعلام، الشيخ إبراهيم بن الشيخ حسن اللقاني، صاحب العلوم الجمه، و الفضائل النافعه، أخذ عن جمع من أكابر العلماء، و أخذ عنه أجله الفضلاء، و كان قد انتهت إليه رئاسه فقه المالكيه بمصر، و له القصيده (٢) الشهيره المسماه ب«الجوهرة» و نظمها في ليله، و شرحها شروحا ثلاثه، و له حاشيه على مختصر خليل، و حاشيه على شرح عقائد النسفي للسعد، و رساله في تحريم التباك، و كان ينكره، إلى آخر ما ذكره المؤرخون في شأنه، فراجعه في التواريخ المطوله (٣).

وفاه السيد هاشم الحبشي:

و في سنه ثلاث و أربعين: توفى السيد الجليل السيد هاشم بن أحمد الحبشي، و كان جليل المقدار.

وفاه السيد أحمد شيخان باعبود العلوي:

و في سنه أربع و أربعين: توفى السيد الجليل، ذو النسب الباذخ، و الشرف الشامخ، السيد أحمد شيخان باعبود العلوي. و كان حاتم زمانه كرما و جودا، و كان متوسّعا في أحوال الدنيا، استوطن مكّه، و اتّسعت أملاكه بها، و ولد له بها السيد الجليل السيد سالم شيخان، و هو أول من

ص: ٢٢٧

١- ١) راجع: سمط النجوم العوالي ٤: ٤٤٨-٤٥٩، إتحاف فضلاء الزمن ٢: ٦٦.

٢- ٢) في «ن»: العقيد.

٣- ٣) راجع: سمط النجوم العوالي ٤: ٤٥٩.

استوطن مَكَّة من الساده آل شيخان الموجودين الآن بمَكَّة المشرفه، و توفى السيد أحمد بيندر جدّه، و نقله ابنه السيد سالم إلى مَكَّة المشرفه، و دفن بالمعلاه فى حوطه آل باعلوى.

و من شعر ولده السيد سالم شيخان، مؤرّخا وفاه أبيه المذكور بعد أن رآه فى منامه:

شاهدت فى عام الوفاه بليله غزاه أحمد قائلا نفسى احمدى

اسكنت جنات النعيم و نعم هى نزلا فتأريخ الوفاه تخلدى (١)

وفاه الشيخ أحمد بن أبى الفتح الحكمى:

و فى هذه السنه فى سابع عشر رجب منها: توفى الشيخ الأجلّ الأوحّد شهاب الدين أحمد بن أبى الفتح الحكمى. أخذ عنه العلامه الشيخ على بن الجمال الأنصارى المكى، و الشيخ عبد الله بن الشيخ سعيد باقشير، و غيرهما، و له ترجمه طويله (٢).

وفاه السيد أحمد بن محمّد الهادى:

و فى سنه خمس و أربعين: توفى السيد أحمد بن محمّد الهادى بن عبد الرحمن ابن شهاب الدين، العالم العامل الفاضل الكامل، لازم السيد عمر بن عبد الرحيم، و الشيخ أحمد بن علان، و غيرهما، و استمرّ بمكّه إلى أن انتقل بها، و دفن بحوطه الساده بنى علوى (٣).

ص: ٢٢٨

١-١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٤٥٩-٤:٤٦٠.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٤٦٠.

٣-٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٤٦٠.

وفاه الشيخ يوسف بن محمد البلقيني:

و فيها: توفى الشيخ يوسف بن محمد البلقيني، بقيه السلف، و رئيس القراء، و جليس الضعفاء و الفقراء (١).

وفاه السيد سالم بن أحمد شيخان:

و فى سنه ستّ و أربعين ضحوه يوم الأحد تاسع ذى القعدة الحرام: توفى السيد الجليل، إمام أهل العرفان، ذى السرّ و البرهان، أحد الأئمة الأعلام، و قدوه الساده الكرام، السيد سالم بن أحمد شيخان، و دفن عصر ذلك اليوم على والده و جدّه، و تأريخ وفاته «صار إلى رحمه الله» (٢).

وفاه السيد نعمه الله الجيلاني:

و فى ثالث عشر ذى القعدة الحرام منها: توفى السيد نعمه الله بن عبد الله بن محيي الدين بن عبد الرحمن بن عبد الله بن على بن أحمد بن محمد بن زكريا بن يحيى بن محمد بن عبد الله بن عبد القادر الجيلاني، قاله العصامي (٣)، و لا أدري عن مستنده فى النقل لنسب هذا السيد الجليل، و لم أجده فى غيره، فالعهده عليه فى تصحيح هذا النسب المعظم.

تحقيق حول النسب الكيلانيه:

و حيث أوصل نسبه إلى عين أعيان الأقطاب، و المكمل بأنواع الكرامات فى جميع الأبواب، شيخ مشايخ الإسلام، و قدوه أهل الطرائق العظام، مولانا و مقتدانا

ص: ٢٢٩

١-١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٤٦٠.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٤٦٠-٤:٤٦١، إتحاف فضلاء الزمن ٢:٦٩.

٣-٣) فى كتابه سمط النجوم العوالى ٤:٤٦١ و الطبرى فى إتحاف فضلاء الزمن ٢:٦٩.

الشيخ عبد القادر، فلا بأس بنقل نسبه العالى، و بيان حقيقته.

قال صاحب عمده الطالب فى نسب آل أبى طالب: وقد نسبوا إلى عبد الله بن محمّد بن يحيى (بن محمّد) (١) ابن الروميه المذكور: الشيخ الجليل، الباز الأشهب، صاحب الخطوات، محبى الدين عبد القادر الكيلانى، فقالوا: عبد القادر بن محمّد ابن جنكى دوست بن عبد الله المذكور.

و لم يدع الشيخ عبد القادر هذا النسب، و لا أحد من أولاده، و إنّما ابتدأ بها ولد ولده القاضى أبو صالح نصر بن أبى بكر بن عبد القادر، و لم يقم عليها بينه، و لا عرفها له أحد. على أنّ عبد الله بن محمّد بن يحيى ابن الروميه رجل حجازى (و لم يخرج عن الحجاز) (٢) و هذا الإسم - أعنى: جنكى دوست - أعجمى صريح كما تراه.

و مع ذلك كلّه، فلا طريق إلى إثبات هذا النسب بالبينه الصريحه العادله، و قد أعجزت القاضى أبا صالح، و اقترن بها عدم موافقه جدّه الشيخ عبد القادر (و أولاده له) (٣) و الله سبحانه أعلم (٤). إنتهى كلام صاحب العمده.

و ناهيك بهذا الكتاب، و شهرته فى التحقيق و التدقيق، و لا عمدته على غيره فى هذا العلم، ثمّ و لا يقدر ذلك فى اعتبار شيخنا المذكور؛ إذ لم يذكر صاحب العمده أنّه هو ادّعا و لم يثبت، بل صرّح بأنّه لم يدع النسب المذكور الشيخ، و إنّما الذى

ص: ٢٣٠

١-١) الزيادة من العمده.

٢-٢) الزيادة من العمده.

٣-٣) الزيادة من العمده.

٤-٤) عمده الطالب ص ١٥٩.

ابتدأ بها ابن ابنه، فهذا من أعظم الأدله على علو شأنه، و متانه اعتباره، و ديانتته.

و أما القطبيّه الثابته، فلا ينافيها عدم اتّصاله بالحضره الشريفه نسبا، بل قد يكون أقرب إليه صلى الله عليه و آله من ثابت النسب؛ إذ نسبه به معنويّه لا ريب فيها، مع ذلك أنّه قال غير واحد من أئمّه العلماء بصحّه نسبه.

منهم: السيّد الجليل عبد الوهاب الشعراني في لواقح الأنوار في طبقات الساده الأخيار (١)، قال: أبو صالح عبد القادر الكيلاني، و هو ابن موسى بن عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمّد بن داود بن موسى بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السّلام (٢).

و قال العلّامه الملاء على القارىء في رسالته المسّماه نزّهه الخاطر في ترجمه سيّد عبد القادر، ما نصّه: قال الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي اليمنى الشافعي في تتمّه روض الرياحين لحكايات الصالحين: الشيخ محيي الدين أبا محمّد عبد القادر بن أبي صالح موسى جنكي دوست بن عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمّد ابن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون-بضمّ الجيم يعني الأبيض لقب موسى- بن عبد الله المحض، و هو لقب و معناه الخالص بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السّلام (٣). إنتهى كلامه.

و وجد بخطّ مولانا العلّامه السيّد محمّد بن أبي بكر الشّلي باعلوى في شجره

ص: ٢٣١

١- ١) ذكره في كتاب كشف الظنون ١٦٣: ٣، قال: فرغ من تأليفه سنه (٩٦١) و توفّي مؤلّفه سنه (٩٧٣) و هو خلاصه طبقات جماعه من الأولياء.

٢- ٢) لواقح الأنوار في طبقات الساده الأخيار، لم أظفر عليه.

٣- ٣) نزّهه الخاطر في ترجمه سيّد عبد القادر، لم أظفر عليه.

الساده آل باعلوى، ما صورته: و من ذريه موسى الجون بن عبد الله المحض:

الشيخ عبد القادر الكيلاني، فإنه ابن موسى بن يحيى بن محمد بن داود بن موسى ابن عبد الله بن موسى الجون (١). إنتهى.

و قال العلامة الشناوى فى طبقاته: محيى الدين أبو محمد عبد القادر بن أبى صالح موسى بن عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن على ابن أبى طالب عليه السلام الجيلى البغدادي، و أمه فاطمه بنت الشيخ أبى عبد الله الصومعى، و ولد سنة سبعين أو إحدى و سبعين و أربعمائه بجيلان.

و الجيل بكسر الجيم و سكون الياء بلاد متفرقه وراء طبرستان، و يقال فيها أيضا: جيلان و كيلان، و جيل و كيل أيضا قريه على شاطئ دجله على مسير يوم من بغداد ممّا يلى طريق واسط (٢). إنتهى.

و رأيت فى مناقب القطب المذكور، لشيخ الطريقه، و إمام الحقيقه، شيخنا الشيخ محمد بن أحمد عقيله، طبق ما ذكره الشناوى، و مثل هذه النقول شهيره، و تواترها يشهد بصحة نسبه، و الله أعلم بالحقائق، غير أنّ لنقل العمده مكان، و لمعرفه صاحبها بتصحيح الأنساب و تنقيحها أعظم شأن.

و على كلّ حال فالشيخ جليل، و قدره نبيل، و ولايته ظاهره، و كراماته باهره، توفى فى سنة إحدى و ستين و خمسمائه من الهجره النبويه على صاحبها أفضل الصلاه و السلام.

ص: ٢٣٢

١- ١) شجره الساده آل باعلوى، لم أظفر عليه.

٢- ٢) طبقات الشناوى، لم أظفر عليه.

و رأيت في عمده الطالب حكاية نقلها لبنى داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون، أحد أجداد الشيخ المذكور، نقلتها بطريق المناسبه لذكر داود، وفيها ما يدل على جلاله شأنهم، و عظم مقدارهم عند جدّتهم فاطمه عليها السلام.

قال صاحب العمده: و هي حكاية جليله، مشهوره بين النساءين و غيرهم مسنده، و هي مذكوره في ديوان ابن عنين، و هي أنّ أبا المحاسن نصر الله بن عنين الدمشقي الشاعر توجه إلى مكّه شرفها الله تعالى، و معه مال و أقمشه، فخرج عليه بعض بنى داود، فأخذوا ما كان معه و سلبوه و جرحوه.

فكتب إلى الملك العزيز ابن أيوب قصيده صاحب اليمن، و قد كان أخوه الملك الناصر أرسل إليه يطلبه ليقيم بالساحل المفتوح من أيدي الأفرنج، فزهده ابن عنين في الساحل، و رغبه في اليمن، و حرّضه على الأشراف الذين فعلوا به ما فعلوا، و أوّل القصيده:

أعيت صفات نداك المصقع اللسنا

و حزت (1) في الجود حدّ الحسن و الحسن

و منها:

و لا تقل ساحل الأفرنج أفتحه فما يساوى إذا قايسه عدنا

و إن أردت جهادا فارو سيفك من قوم أضعوا فروض الله و السننا

طهر بسيفك بيت الله من دنس و من خساسة أقوام به و خنا

و لا تقل إنهم أولاد فاطمه لو أدركوا آل حرب حاربوا الحسننا

قال: فلما قال هذه القصيده، رأى في النوم فاطمه الزهراء البتول عليها السلام و هي

ص: ٢٣٣

(١ - ١) في العمده: جزت.

تطوف بالبيت، فسلم عليها، فلم تجبه، فتصرّع و تذلّل و سأل عن ذنبه الذي أوجب عدم جواب سلامه، فأنشدته الزهراء عليها السلام:

حاشا بني فاطمه كلهم من حسه تعرض أو من خنا

و إنما الأيام في غدرها و فعلها السوء أساءت بنا

أإن أسا من ولدى واحد جعلت كلّ السبّ عمدا لنا

فتب إلى الله فمن يقترف ذنبا بنا يغفر له ما جنى

و أكرم بعين المصطفى جدّهم و لا تهن من آله أعينا

فكلّ ما نالك منهم عنا تلقى به في الحشر ممّا هنا

قال أبو المحاسن نصر الله ابن عنين: فانتبهت من منامى فزعا مرعوبا، و قد أكمل الله عافيتى من الجراح و المرض، فكتبت هذه الأبيات و حفظتها، و تبت إلى الله تعالى ممّا قلت، و قطعت تلك القصيده، و قلت:

عذرا إلى بنت نبي الهدى تصفح عن ذنب مسيء جنى

و توبه تقبلها من أخى مقاله توقعه في العنا

و الله لو قطعنى واحد منهم بسيف البغى أو بالقنا

لم أر ما يفعله سيئا بل أراه في الفعل قد أحسنا

و قد اختصرت ألفاظ هذه القصيده، و هى مشهوره رواها لى الشيخ تاج الدين أبو عبد الله محمد ابن المعين الحسنى، و جدّى لأمى الشيخ فرج الدين (١) أبو جعفر محمد ابن الشيخ الفاضل السعيد زين الدين حسين بن حديد الأسدى، كلاهما عن السيد السعيد بهاء الدين داود بن أبى الفتوح، عن أبى المحاسن نصر الله بن عنين

ص: ٢٣٤

(١-١) فى العمده: فخر الدين.

صاحب الواقعة (١). إنتهى النقل من العمده.

قلت: وقد مرّ مثل ذلك فى ترجمه السيّد الشريف أحمد بن عبد المطلب، و سردنا فصلا يتضمّن عدم انتقاد كلّ منسوب إلى تلك البضعه الشريفه، و النهى عن اعتراضهم مطلقا، و لعمري أنّهم الحقيقون بذلك، و فقههم الله تعالى لأقوم المسالك.

عودا إلى ما نحن بصددّه، و ضبط أوقاته و مدده، فقد انتقلنا إلى هذا الفصل الذى سردناه، و العقد الذى قد نضدناه، فى نسب الشيخ الأجلّ الطاهر، مولانا الشيخ عبد القادر، ثمّ الانتقال منه بطريق المناسبه التاريخيه إلى تلك الحكايه الساميه السنيه.

و كان ذلك الانتقال من ترجمه السيّد الجليل صاحب الأحوال السيّد نعمه الله، فلقد كان من أكابر الأولياء و الصالحين، و صاحب الخوارق المنقوله على الألسنه إلى بعد حين، و ولد بالهند، و وصل إلى مكّه المشرفه سنه أربع عشره و ألف، و جاور بها، و لازم الصمت و المسجد سنين، ثمّ سكن شعب عامر، و تزوّج و أولد. ثمّ مرض و أوصى أن يدفن فى محلّه.

و توفّى فى السنه المذكوره ليله الثالث عشر من ذى قعدتها، و قبره معلوم يزار، و عليه بناء معروف، و محيا كبير فى الليله المذكوره (٢).

تجديد بناء الكعبه:

و فى هذه السنه: جدّد بناب الكعبه الشريفه، و ازيل الأوّل.

ص: ٢٣٥

١-١) عمده الطالب ص ١٥٩-١٦١.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٤٦١، و إتحاف فضلاء الزمن ٢:٦٨-٦٩.

الفتنه العظيمة بمكّه المكرّمه:

و فى موسم هذه السنه فى يوم الجمعة عشر ذى الحجه الحرام: وقعت فتنه عظيمه، و مصيبه جسيمه، بين عبيد الساده الأشراف و العساكر المصريّه، و انضمّ عسكر مولانا الشريف إلى العبيد، و عظم الأمر، و أقبل كلّ من الفريقين على الآخر، فأرسل مولانا الشريف جماعته لردّ عساكره و العبيد، و أمير الحاجّ المصرى كذلك، إلى أن وقع رمى البندق، فرجع الأمير إلى داره، فبلغ بقيه عساكر مصر الذين فى المعلاه و أطرافها، فنزلوا بالمدافع، و وضعوها فى باطن المسعى، فاشتدّ الكرب، و لم يزل الأمر كذلك إلى أن أرخى الليل رواقه، فانكفّ الفريقان.

و فى يوم السبت: توسّط الأمير أمير الحاجّ الشامى فتعافيا، و صرّخ منادى مولانا الشريف بالأمان، و آخر من أمير الشامى، و ثالث من أمير المصرى، بعد قتل عظيم فى الفريقين، و قدّم فى تلك السنه أمير الحاجّ المصرى خروجه من مكّه المشرفه قبل عادته؛ لأنّه خرج ثالث عشرى ذى الحجه الحرام (١).

قدوم شعبان أفندى إلى المدينه:

و فى سنه سبع و أربعين و ألف: قدم شعبان أفندى إلى المدينه المنورّه، و معه حجر من ألماس محفوف بأحجار مختلفه (٢)، مكفوف بصفائح الذهب و الفضة، و هذا الحجر من آثار صدر الدوله العثمانيه مصطفى باشا سلحدار، فوضع ذلك الحجر تحت الحجرين اللذين وضعهما السلطان أحمد خان، و أنعم على أهل

ص: ٢٣٦

١- ١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٤٦١-٤:٤٦٢.

٢- ٢) فى السمط: مختلعه.

المدينه بالصدقه الجليله، و فى ذلك يقول السيد محمد كبريت (١) هذه الأبيات:

زار خير الأنام خير همام قد تسمى شعبان و هو ربيع

عمّ جيران أحمد بنوال دون ذاك النوال خصب مريع

جاء بالجواهر الثمين لطفه من وزير هو الجناب المنيع

مصطفى المجد و الندى و الأيادى (٢) و سلحدار نعمه لا تضيع

يا له جوهرا تسامى و سامى بمقام فيه الثناء يوضع

عند وجه النبى قد وضعوه فغدا و هو مشرق و لموع

كان هذا فى عام سبع و ألف و تمام النظام فيه بديع (٣)

وفاه القاضى أحمد بن عيسى المرشدى:

و فى هذه السنه: توفى الفاضل العلامه القاضى أحمد بن عيسى المرشدى العمري الحنفى.

و لقد أجاد السيد على بن أحمد نظام الدين، حيث ترجمه فأنافه فى كتابه المسمى بالسلافه، فقال: شهاب الفضل الثاقب، الشهير المآثر و المناقب، سطع فى سماء الأدب نوره، و تفتق فى رياضه زهره و نوره، و امتد فى البلاغه باعه، فشق على من رام أن يشق غباره اتباعه، لا تلين قناه فضله لغامز، و لا يلزم أدبه المبرأ من العيب لامز، كان قد ولى القضاء بمكّه المشرفه، فنال به من أمله ما طمح بصره إليه و استشفه.

ص: ٢٣٧

١- ١) ذكر ترجمته السيد على خان فى كتابه سلافه العصر ص ٢٥٦، فراجع.

٢- ٢) فى السمط: و المعالى.

٣- ٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٤٦٢-٤-٢٦٣.

ولمّا حصل أخوه في قبضه الشريف أحمد بن عبد المطلب، و منى منه بذلك الفادح الذي قهر به و غلب، حصل هو أيضا في القبض و الأسر، و أردف معه على ذلك الأدهم بالقسر، حتّى جرع أخوه تلك الكأس، فأنعم عليه بالخلاص بعد اليأس، فراش الدهر حاله، و أعاد منها ما غيره و أحاله، و لم يزل فارغ البال، من شواغل النكد و البلبال، إلى أن انقضت أيامه، و تتبّه له من داعى المنون نيامه، فتوفّى لخمس خلون من ذى الحجّه الحرام سنه سبع و أربعين و ألف، و اتفق تأريخ وفاته صدر هذا البيت:

من شاء بعدك فليمت فعليك كنت احاذر

و له نظم بديع الاسلوب، يملك برقته المسامح و القلوب (١). إنتهى ما ترجمه به صاحب السلافه رحمه الله تعالى و رحم أسلافه. ثم أورد له قصيدته الدالیه المتقدّمه فى ترجمه الشريف مسعود بن إدريس.

و أورد له فى السلافه قوله معلّلا تسميه القدح قدحا:

مذ صبّ ساقينا الطلا حتّى تناثر و أتضح

خالوا شرارا ما رأوا فلأجل ذا قالوا قدح (٢)

قال سيّدنا الوالد-دام إفادته- عند ذكر هذين البيتين: قال الشهاب الخفاجى فى كتاب طراز المجالس (٣)، من جمله فرائد فوائده، و درر قلائده: الإيداع، و هو أمر غريب، و سرّ عجيب، و هو أن يودع فى الكلمه ما يدلّ على المعنى أو صفته، أو

ص: ٢٣٨

١- ١) سلافه العصر ص ٩٢-٩٣.

٢- ٢) سلافه العصر ص ٩٨.

٣- ٣) ذكره إسماعيل باشا فى كتابه إيضاح المكنون ٢:٦٩ برقم: ٧٨٥٢.

معنى وضعه أو لفظه، أو شيء من لفظه، كحركات و نحوها.

إلى أن قال: و من الإشارة إلى حال اللفظ أو جهه وضعه، كقول ابن الرومى:

غارت عليهنّ الندى هناك من لمس الغلائل

و إذا لبسنا خلاخلا كذبنا أسماء الخلاخل

إنتهى.

أقول: إذا عرفت هذا ظهر لك و اتضح، معنى بيتي القدح، فإنه من قبيل الإشارة إلى جهه وضع اللفظ بالطيف الإماره. إنتهى كلامه رفع مقامه، و هى فائده شريفه، و تحفه لطيفه.

عودا إلى ذكر صاحب الترجمة، لا زالت غيوث الرحمه عليه منسجمه:

قلت: راجعت تاريخ العصامى (1)، فوجدته قد ترجم القاضى المذكور بفقرات هى أبهى من الدرّ المنشور، فلمّا أرسلت نظر النقد و الاختبار إليها، ألفت الشيخ قد أغار عليها، و أدرجها فى ضمن كلامه، و أوهم أنّها من نبات فكره، و لآلى نظامه، و لا أوضح لى بيان ذلك و انكشافه، إلاّ مراجعتى لترجمه القاضى المشار إليه فى السلافه، فإذا هى بعينها.

فليت شعرى متى يقوم شيخنا بأداء قرض السلافه و دينها، و قد فعل مثل ذلك فى تأريخه عند ذكر السيّد أحمد بن مسعود بن الحسن، و عند ذكر غيره أيضا، مشى على هذا المنوال و السنن، فلو علم ابن معصوم ما أصابه، لجرعه علقم العتب و صابه.

و من شعر القاضى المذكور قصيده امتدح بها السيّد شهوان بن مسعود، و مطلعها:

ص: ٢٣٩

فيروزج أم و شام (١) الغاده الرود يبدو على سمط درّ منه منضود

و منها: قوله في المخلص:

صهبا تفعل في الأبواب سورتها فعل السخاء بشهوان بن مسعود (٢)

و له و كتب على شداد مطيه الشريف زيد بن محسن صاحب الترجمة:

افق الشداد بدت به شمس الخلافه و الهلال

و من العجائب جمعه ليث الشرافه و الغزال

و له غير ذلك من المحاسن (٣).

وفاه السيد علوى السقاف:

و في سنه ثمان و أربعين: توفى السيد الجليل الأوحّد الأّمجد الأصيل، السيد علوى بن على بن عقيل السقاف، نزيل مكّه المشرفه، أقام بها و تزوّج و أولد و اشتهر، و أقبل عليه الناس، و كان له عند ملوك مكّه الساده الأشراف مكانه، أطد بها من مجده أركانها، و له كرامات تروى، و حضر جنازته الشريف زيد بن محسن المشار إليه، و دفن بحوطه ابنا عمّه بالمعلاّه.

وفاه السيد محمّد السقافى العلوى:

و فيها: توفى السيد الجليل محمّد بن بركات السقافى العلوى، المعروف جدّه ب«كريشه» هكذا نقل المؤرّخون، و توفى ببندر المخا، و دفن بها، و قبره بها ظاهر معلوم يزار.

ص: ٢٤٠

١-١) كذا في السلافه و النسختين، و في السمط: و سام.

٢-٢) سلافه العصر ص ٩٩.

٣-٣) سمط النجوم العوالى ٤:٤٦٤.

و فى سنه تسع و أربعين: أقبل من الديار الروميه بشير آغا الحبشى الطواشى، و معه أوامر بمطلق التصرف، و حين وروده إلى بندر ينبع لحقه الخبر بوفاه السلطان مراد ابن أحمد خان، فكتبه ليتم له ما يريد.

و أمّا مولانا الشريف زيد، فحين بلغه وصول بشير آغا، اضطرب و شرع يهتئ له الأماكن اللائقه به، و الفرش اللائق به، و أخذ جميع المدارس الحرميه و البيوت، و أمر بفرشها، و عزم على تلقيه من وادى مرّ، و أرسل من يعتمد عليه لملاقاته إلى ينبع، و ليعرفه أيضا بما معه من الخيل و الرجال.

فلما وصل إليها بلغه هذا الخبر، فرجع مسرعا إلى استاده و أخبره بذلك، فلما تحقق ذلك عند مولانا الشريف أمر بتحويل الفرش، و غلق تلك الأماكن إلا بعضها، فأقبل بشير و عنده أنّ الخبر مكتوم لم يسمع به أحد، فحين لاقاه الشريف زيد بقرب مكه، فلما تقاربا و تصافحا، همز مولانا الشريف رحمه الله فرسه متقدما على بشير آغا و ناكبه، و قال: «اللّٰه رحمت أيله سلطان مراد» فحين سمعه بشير آغا تداخل فى جسمه و مشى كالأسير، و هذا من جمله سعودات حضره مولانا الشريف ذى القدر العالى المنيف.

و من جمله ما اتفق أنّ الشريف-رحمه الله تعالى- رأى ليله فى منامه أنّ شخصا ينشده هذا البيت:

كأن لم يكن أمر و إن كان كائن (١) لكان به أمر نفى ذلك الأمر

فانتبه رحمه الله و كتبه بالسواك على رمل فى صحن نحاس خشيه النسيان، و كانت

ص: ٢٤١

هذه الرؤيا فى الليله التى أسفر صباحها من ورود هذا الخبر، فاستمرّ بشير إلى آخر السنه، و حجّ و توجّه صحبه الحاجّ.

و قد نظم السيد محمّد الأنسى المغربى قصيده يمدح بها مولانا الشريف زيد، و ضمّنها البيت المذكور، و هى هذه:

سلوا آل نعم بعدنا أيها السفر أعندهم علم بما صنع الدهر

تصدى لشتّ الشمل بينى و بينها فمتزلى البطحا و منزلها القصر

رأنى و نعمى لاهيين فغالنا فشلت يد الدهر الخؤون و لا عذر

فو الله ما مكر العدوّ كمكره و لكنّ مكر صاعه فهو المكر

فقولا لأحداث الليالى تمهلى و يا أيها ذا الدهر موعداك الحشر

سلام على ذاك الزمان و طيبه و عيش مضى فيه و ما نبت الشعر

و تلك الرياض الباسمات كأنّ فى عواتقها من سندس حلل خضر

تنصد فيها الأفحوان و نرجس كأعين نعم إذ يقابلها الثغر

كأنّ غصون الورد قضب زبرجد تخال من الياقوت أعلامه الحمر

إذا خطرت فى الروض نعم عشيه تفاوح من فضلات أردانها العطر

و إن سحبت أذيالها خلت حيه إلى الماء تسعى ما لأحمصها إثر

(كساها الجمال اليوسفى ملابسا فأهون ملبوس لها التيه و الكبير) (١)

فكم تخجل الأغصان منها إذا انتت و تغضى حياء من لواظها البتر

لها طره تكسى الظلام دياجيا على غره إن أسفرت طلع الفجر

و صحنان خدّ أشرقا فكأنّها مصاييح رهبان أضاء بها الدير

ص: ٢٤٢

و جيد من البلور أبيض ناعم كعنق غزال قد تكنفها الذعر
و نحر يقول الدرّ إنّ به غنى عن الحلّى لكن بى إلى مثله فقر
و حقّان كالكافورتين علاهما من النّد مثقال فنّد به الصبر
رويدك يا كافور إنّ قلوبنا ضعاف و ما كلّ البلاد هي المصر
تبدى بقدّ باسق (١) متأودا على نقو من رمل يطوف به نهر
يكاد يقدّ الخصر من هيف به روادفها لو لا الثقافه و الهصر
لها بشر مثل الحرير و منطق رخيم الحواشى لا هراء و لا نزر
رأتنى سقيما ناحلا و الها بها فأذنت لها عود (٢) أناملها العشر
إذا كنت مطبوبا فلا زلت هكذا و إن كنت مسحورا فلا برىء السحر
فقلت لها و الله يا ابنه مالك لما صابنى (٣) إلا القطيعه و الهجر
رمتنى العيون البابلديات أسهما فأقصدنى منها سهامكم الحمر
فقلت و ألفت فى الحشا من كلامها تأجج نار أنت من ملكنا حرّ
فو الله ما أنسى و قد بكرت لنا يابريقتها تسعى به القينه البكر
تدور بكاسات العقار كأنجم إذا طلعت من برجها أفل البدر
ندامى نعم و الرباب و زينب ثلاث شخوص بيننا النظم و النثر
على الناي و العود الرخيم و قهوه يذكّرها ذنبا (٤) بأقدامنا العصر

ص: ٢٤٣

١-١) فى السمط: باسقا.

٢-٢) فى السمط: عوذ.

٣-٣) فى السمط: لما شفنى.

٤-٤) فى السمط: دنيا.

فتقتص من ألبابنا و رؤوسنا فلم ندر هل ذاك النعاس أم السكر
معتقه من عهد عاد و جرهم و موعدها الأدنان لقمان و النسر
مشعشه صفرا كأن حبابها على فرش من عسجد نثر الدر
إذا فرغت من كأس نعم و اختها تشابه من ثغريهما الريق و الخمر
خلا أن ريق الثغر أشفى لمهجتي إذا ذاقه قلب الشجي حمد الجمر
و أنفع درياق لمن قتل الهوى فمات ارتشاف الثغر إن سمح الثغر
بهذا عرفت (١) الفرق ما بين كأسها و بين مدام الظلم إن أشكل الأمر
فو الله ما أسلو هواها على النوى بلى إن سلا بذل الندى (٢) الملك القسر
أبو حسن زيد المحاسن و العلاء له دون أملاك الورى المجد و الفخر
إذا ما مشى بين الصفوف تزلزت لهيبته الأقيال و العسكر المجر
و ترجف ذات الصدع خوفا لبأسه فتندك أطواد الممالك و القفر
فلو قال للبحر المحيط انت طائعا أتاه ياذن الله فى الساعه البحر
تظل ملوك الأرض خاشعه له و ما خشعت إلا و فى نفسها أمر
كريم متى تنزل بأعتاب داره تجد ملكا يزهو به النهى و الأمر
تجد ملكا يغنى الوفود و ينجز الوعود و أدنى بذله الدهم و الشقر
على جوده من وجهه و لسانه دليلان للوفد البشاشه و البشر
فما أحنف حلما و ما حاتم ندى و ما عتتر يوم الحقيقه أو عمرو
هو الملك الضحاك يوم نزاله إذا ما الجبان الوجه قطبه الكر

ص: ٢٤٤

لقد قرّ طوق الملك منه لأنّه لديه النوال الحلو و الغضب المرّ
حياه و موت للموالى و للعدى لقد جمعا فى كفه الجبر و الكسر
أنخ عنده يا طالب الرزق إنّ ما حواه أنوشروان فى عينه نزر
و لا تصغ للعدال اذنا و إن وفوا بإحسانهم منه فما العبد و الحرّ
و هل يستوى عذب فرات مروّق و ملح اجاج لا و لا التبن و التبر
فلو سمعت اذن العداه بمجده مزاياه لاستحيت و لكن بها وقر
فما قدروا زيد العلا حقّ قدره و ماذا عليهم يا ترى لهم الخسر
مليك إليه الانتهاء فقيصر يقصّر عنه بل و كسرى له كسر
مليك له عند الإله مكانه تبوّأها من قبله الياس و الخضر
مليك له سرّ خفىّ كأنما يناجيه فى الغيب ابن داود و الخفر (1)
فإن كذبت أعداء زيد فحسبه من الشاهد المقبول قصّته البكر
ليالى أن جاء الخصي و أكثروا أقاويل غيّ ضاق ذرعا بها الصدر
فأيقظه من نومه بعد هجعه من الليل بيت زاد فخرا به الشعر
كأن لم يكن أمر و إن كان كائن لكان به أمر نفى ذلك الأمر
و فى طيّ هذا عبره لاولى النهى و ذكرى لمن كانت له فطنه تعرو
فيا زيد قل للحاسدين تحنّطوا بغیظكم إن لم يطيعكم الصبر
فمجدى كما قد تعلمون مؤثّل و كلّ حمام البرّ يفرسه الصقر
من القوم أرباب المكارم و العلا ميامين فى أيديهم العسر و اليسر
مسامیح فى اللأوا مصايیح فى الوغى تصالح فى مغناهم الخير و الشرّ

أستتهم في كلّ شرق و مغرب إذا وردت زرق و إن صدرت حمر

مسايعر حرب و القنا متشاجر و يوم الندى تبدو ججاجحه غرّ

بنى حسن لا بعد (١)الله داركم و لا زال منهلاً بأرجائها القطر

و لا زال صدر الملك منشرحاً بكم فعنكم و لاه البيت ينشرح الصدر

و صلّى على المختار و الآل ربّنا و سلّم ما لاح السما كان و الغفر (٢)

و كانت وفاه السلطان مراد في شهر شوّال من السنه المذكوره، و الظاهر أنّه كان مسيره إلى بغداد في أوائل هذه؛ لأنّه فيها افتتح بغداد و أخذها من يد العجم؛ لأنّ تأريخ فتحه لبغداد لفظ «غمدا» و هي ألف و تسع و أربعون، و تولّى بعده السلطان إبراهيم خان بن أحمد خان.

وفاه الشيخ تاج الدين زكريا النقشبندی:

و في سنه خمسين بعد الألف: توفّى في عاشر (٣) جمادى منها، الشيخ تاج الدين زكريا بن سلطان النقشبندی، و دفن في رباطه المعروف به في سفح جبل قيعقان، أخذ عنه الشيخ أحمد بن إبراهيم بن علان، و الشيخ عبد الله، و أخوه الشيخ محمّد إبن الشيخ سعيد باقشير (٤).

ص: ٢٤٦

١-١) في السمط: أبعد.

٢-٢) سمط النجوم العوالى ٤:٤٦٥-٤:٤٦٨، و إتحاف فضلاء الزمن ٢:٧٢-٢:٧٣.

٣-٣) في السمط: ثامن عشر.

٤-٤) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٤٦٨، إتحاف فضلاء الزمن ٢:٧٤، و خلاصه الأثر ١:٤٦٤.

و فيها: توفّي الجمال محمّد بن أحمد بن حكيم الملك بالديار الهنديّة، قاله العصامي في تأريخه (١).

قلت: لقد قصّر غايه التقصير مع هذا الفاضل العلامه الشهير، جامع الفضائل و المناقب، و الحائز لدقائق العلوم بفكره الثاقب، مع كونه يترجم في تأريخه من لا يعبا به، و لا يلتفت إلى حسبه و نسبه، و هذا خلاف منهج العدول من المؤرخين، و ذوى الإنصاف من العلماء الراسخين.

و ها أنا أثبت لك من قلائد عقيانه، ما يشهد بفضله، و علوّ شأنه، بعد إيراد ترجمته من سلافه العصر، حتّى تعلم أنّه كان غزّه جبهه ذلك العصر.

قال رحمه الله تعالى، و أولاه رحمت توالى: فاضل تأزّر بالفضل و ارتدى، و سلك سبل المكرمات و اهتدى، سام في فنون العلم و سرح، و أوضح متون الأدب و شرح، فقوّم ما آده، و قام بعباءه فما آده، و هو من بيت رئاسه و جلاله، و قوم لم يرثو المجد عن كلاله، و كان لسلفه عند ملوك الهند التيموريّه محلّ تستضوع المراتب رياه، و تستسقى المناصب ريه.

و لثيّا وفد جدّه على الساده الملوك بنى حسن، قابلوه مقابله الجفن المسهّد للوسن، فأكرموا لديهم نزله، و قلّعدوا بأيادي منهم بزله، و ولد سبطه هذا بمكّه المشرفه، فنشأ في حجر الفضل و المجد، و انتشق عرف خزامى تهامه و شميم عرار نجد، فجمع بين تليد المجد و طارفه، و رفل من فضفاض الأدب في أبهى مطارفه.

و لم يزل متبوّء تلك الدار، محمود الإيراد و الإصدار، مع تمسّكه من سلطانها

ص: ٢٤٧

الشريف محسن بالعروه الوثقى التى لا- تنقسم، و حلوله لديه بالمكانه التى ما حلها ابن أبى داود (١) لدى المعتصم، حتى حصل على مكه شرفها الله تعالى من الشريف أحمد ما حصل، و انحل عقد ولايه الشريف محسن منها و انفصل.

فكان الشيخ محمّد (٢) المذكور ممّن أنهب الشريف داره و ماله، و قطع من الأمان أمانيه و آماله، فالتجأ مستأمنا إلى بعض الأشراف، فأمنه على نفسه بعد مشاهدته الوقوع على الهلاك و الإشراف.

فلما قتل الشريف أحمد، و تولّى بعده الشريف مسعود، رأى الشيخ من الاعراض (٣) منه ما تحقّق معه إنجاز الوعيد لا الوعود، فهاجر إلى الديار الهندية منتقلا (٤)، و هجر تلك المواطن المشرفه لا- عن قلى، و ذلك فى آخر سنه تسع و ثلاثين و ألف، فألقى بالديار الهندية عصاه، إلى أن بلغ من أمد العمر أقصاه، فتوفّى بها سنه خمسين بعد الألف.

و من مشهور نظمه و نثره، الذى دلّ على إشراق بدره فى سماء الأدب و نجمه، رسالته التى كتب بها إلى إمام العلوم، و ذرّه تاج ذوى المنطوق و المفهوم، مولانا القاضى تاج الدين المالكى، و بعث بها إليه من الهند فى سنه سبع و أربعين و ألف، شاكيا من كربه الغربه، بعبارات تصدع معانيها فى قلوب المخلصين، و أفاضها قلوب الحاسدين، و أولها:

ص: ٢٤٨

١- ١) فى السلافة: ابن داود.

٢- ٢) فى «د»: أحمد.

٣- ٣) فى السلافة: الأغراض.

٤- ٤) فى السلافة: مثقلا.

سقى الدمع مغنى الوابليه بالحمى سواجم تغنى جانبيه عن المحل

و لا برحت عيني تنوب عن الحيا بدمع على تلك المناهل منهل

مغانى الغوانى و الشيبه و الصبا و مأوى الموالى و العشيره و الأهل

سقى صوب الحيا دمنا (١) بجرعاء اللوى درسا

و زاد محلك المأنوس يا دار الهوى أنسا

لإن درست ربوعك فالهوى العذرى ما درسا

سقى بالصفاء الربعى (٢) ربعا به الصفاء و جاد بأجياذ ثرى منه ثروتى

مخيم لذاتى و سوق مآربى و قبله آمالى و موطن صبوتى

إنما المحافظه على الرسوم و الآداب، و الملا حظله للعوائد المألوفه فى افتتاح الخطاب، لمن يملك أمره إذا اعتن ذكر زينب و الرباب، و لم تحكم عقال عقله يد النوى و الاغتراب، و لست كمن كلما لاح بارق ببرقه تهديد، فكأنه أخو جنه مميا يقوم و يقعد، تتقاذفه أمواج الأحزان، و تترامى به طوامح الهواجس إلى كل مكان.

فهو و إن كان فيما ترى العين، قاطن بحى من الأحياء، يوما بحزوى (٣)، و يوما بالعقيق، و بالعذيب يوما، و يوما بالخليصاء، لا يأتلى مقسم العزمات، منفصم عرى العزيمات، لا- يقرّ قراره، و لا- يرجى اصطباره، إن رّوح القلب بذكر المنحنى، أقام الحنين حنايا ضلوعه، أو استروح روح الفرج من ذكر لبالى الخيف و منى، أو مضت بوارق زفراته، تحدر بعارض دموعه.

ص: ٢٤٩

١- ١) فى «١٥»: الجياذ منى.

٢- ٢) فى السلافه: للرتع.

٣- ٣) فى السلافه: بحزوى.

من تمنى مالا و حسن مآل فمناى منى و أقصى مرادى

فيا له من قلب لا يهدأ خفوقه، و لا قنى لامعه بروقه، و لا يبرح من شموله لأحزان صبوحة و غبوقه، يساور هموما فما مساوره ضئيله من الرقش، و يناجى أحزانا لو لا مس بعضها الصخر الأصم لأنهش، و يركب من أخطار الوحشه أهوالا دونها ركوب النعش، يحن إلى مواضع إيناسه، و يرتاح إلى مراتع غزلان صريمه و كناسه، و يندب أيام يستثمر الطوب من أفنان أغراسه.

أيام شرح شبابى روضه أنف ما ريع منه بروع الشيب ريعانى

أيام غصنى لدن من نضارته أصبو إلى غير جاراتى و جيرانى

ثم انقضت تلك السنون و أهلها، فكأنها و كأنهم أحلام.

لم يبق منى الشوق غير تفكرى فلو شئت أن أبكى بيكت تفكرا

لم أكن على مفارقه الأحباب جلدا، فأقول و هى تجلدى، و إنما و هى جلدى، ممّا حملت النوائب على كبدى، و فتت صروف البين المشتت من أفلاذ كبدى.

جربت من صرف دهرى كلّ نائبه أمرّ من فرقه الأحباب لم أجد

فراقا قضى أن لا تأسى بعد ما مضى منجدا صبرى و أوغلت منهما

و فجعه بين مثل صرعه مالك و يقبح بى أن لا أكون متمما

خليلى إن لم تسعدانى على البكا فلا أنتما منى و لا أنا منكما

و حسنتما لى اسوه (1) و تأسىا و لم تذكر كيف السبيل إليهما

آليت لا أفتح لسرور على قلبى المعنى بابا، و لا اعير طرفى قاصرات الطرف كواعب أترابا، و لا أجيل نظرى فى رياض نضره، و لا أسرح فكرى فى الإخفار

ص: ٢٥٠

إلى حدائق خضره، ولا- أحور إلى محاوره أنيس، ولا- أحضر لمحاضره جليس، و لو أنه الشيخ الرئيس، لأننى آيسا من ذلك (١) فعلت، و على أئى واحد منها لتنفيس الكرب عوّلت، تذكّرت عهد الأ-حبه فأعولت، و صدع الحنين و التذكار أعشار فؤادى فولولت.

فما رأّت (٢) عيني مذ فارقتهم شيئا (٣) يروق الطرف من هذا الورى

إن كنت أبصرت لهم من بعدهم مثلا فأغضيت على و خز القفا (٤)

فكففت (٥) همّتى على مساوره الهموم، و مسامره النجوم، و الاتّساء بشيخ كنعان، فى اتّخاذ بيت الأحران.

فحزنى ما يعقوب بثّ أفله و كلّ بلا أيوب بعض بليتى

رحلت عن كعبه البطحاء و الحرم، و نزلت بساحه قوم لا يدرون ما حمايه الحرم، كمثّل من هو خارج من الأنوار إلى الظلم، و نقلت من جوار البيت و سدنته، إلى حيث خوار العجل و جوار عبدته، و استبدلت بالوقوف عند الركن و المقام، بالوقوف بين يدى عبده الأصنام، و هجرت مهابط الوحى و التنزيل، و متردّد الروح الأمين جبريل، إلى مساقط (أنداء) (٦) الكفر و الضلال، و مرابط الأنعام و الأفيال.

ص: ٢٥١

١- ١) فى السلافه: لأننى لى أياما من ذلك.

٢- ٢) فى السلافه: فما أطبى.

٣- ٣) فى السلافه: شىء.

٤- ٤) فى السلافه: السفا.

٥- ٥) فى السلافه: فعكفت.

٦- ٦) الزيادة من السلافه.

و عوّضت بالمشاعر الإسلاميّة حيث الفروض و السنن، معتكف أقوام يجرون في رفض الفرائض على سنن، و بدّلت بززم و الحطيم، و مقام إبراهيم، زمزمه البراهمه على الحطيم، بديار لا- تطيب إلّا- لمن خلع ربقه الإسلام من عنقه، و لا ينعم بها سوى من أمعن في توحيدهِ (١)، إلى ميادين الضلال و عنقه، لا يصفو لي بها عيش، و لو أنّه على ما يقال أيش و أيش.

كيف يلتذّ بالحياه معنى بين أحشائه كورى الزناد

في قرى الهند جسمه و الاصيحاب حجازا و القلب في أجياد

اقاسى (٢) من متاعب الوحده، كلّ محنه و شدّه، و اعانى من أهوال الغربه كلّ غمّه و كربه.

فما غربه الإنسان في شدّه (٣) النوى و لكنّه (٤) و الله في عدم الشكل

و إنّي غريب بين بست و أهلها و إن كان فيها اسرتى و بها أهلى

كنت ممّن قد اتى علىّ حين من الدهر متخلّياً عن أشجاني (٥)، متسلّياً بمن شأنه في اعتيام الحوادث شانى، حزينا لما منيت به من مفارقه جيرانى و أوطانى، حتّى طرق الطارق، و ما أدراك ما الطارق، نبأ هائل، و خبر واعيه ذاهب اللبّ ذاهل، و هو وصول الأتراك من اليمن، و إجهازهم على رمقى تلك الفتن، السابقه

ص: ٢٥٢

١- ١) في السلافه: تخريده.

٢- ٢) في السلافه: يقاسى، و فيما سيأتى: و يعانى.

٣- ٣) في السلافه: شقّه.

٤- ٤) في السلافه: و لكنّها.

٥- ٥) في السلافه: بأشجاني.

و المحن، و مصارع الساده الأشراف الصفوه من بنى الحسن، فزاد كما يعلم الله الفؤاد جمرا إلى جمر، و غادر الأحشاء كأنما تشك بأطراف المثقفه السمر.

فهل يا مولاي على مغمور بغمران هذه الأحوال، و مطمور من سهام النوائب بين أنياب أغوال، من لائمه إذا ذهب عمّا يجب من تقديم الثناء على تلك الشمائل، و تقويم ماهيه الرسائل التى هى إلى قوام الأرواح أعظم الوسائل، بيت (1) يسير من حميدات الخصائل، لتلك الذات الجامعه لجميع الفضائل، بعد تقبيل أرضها التى تعشوشب بأكنافها العلوم و الآداب، أعشاب الأعشاب.

و تشرق بساحتها شمس الحقائق و المعارف، فتؤمن من الضلال بظلمات الشبه فى مسالك الهدايه المخاوف، الإمام الذى غدى بلبان الكمالات و الفضائل، الهمام التى نصّت عليه مخدّرات العلوم، فكان أجّل كفاء بحلّ عويصاتها كافل، العلامه المبرز على أقرانه، بفضائل غير متناهيه تشكك فى امتناع التسلسل و صحّه برهانه، كالشمس قلت و ما للشمس أقران، خلاصه العلماء الأعلام، سلاله العظماء، الذين سادوا بمجدهم الأنام، مولانا و سيّدنا القاضى تاج الدين، زاد الله فى إجلاله.

ثمّ إنّه (2) قد تبين من شرح نبذه من أحواله، بما بسطه (3) من مقاله، و هجر به هجر الواله، ما هو جواب عن سؤال مقدّر، و استفهام يقتضيه المقام مضمّر، فيعطف عن استقصاء ذلك عنان القلم خاسئا و هو حسير، و يصرفه إلى استعطاف ذى الفضل الكبير، مبتهلا سائلا، متضرّعا قائلا: اللهمّ فبحقّ من انتخبتم لتبليغ

ص: ٢٥٣

١- ١) فى السلافه: بيّث.

٢- ٢) فى السلافه: ثمّ ينهى أنّه.

٣- ٣) فى السلافه: بيّث.

رسالاتك، و أيدتھم بحججك البالغه و آياتك، و بحقّ المقتدين بآدابھم، من ذريّاتھم و أصحابھم، و بحقّ الصّافين في طاعتك أقدامھم، المستغرقين في جلال أحديتك (١) لياليھم و أيامھم، و بحقّ سماواتك و ما فيها من آيات للمتبصّرين، و بحقّ مجاوري بيتك الحرام حجّاجا و معتمرين، إلّا ما رزقتني العود إلى حرمك، و قضيت لي بالرجوع إلى جوار بيتك بجودك و كرمك.

و يلتمس من فضلكم هذا الدعاء في الملتزم و المستجار، و في أدبار الصلوات و بالأسحار، لعلّ الله سبحانه يمنّ عليه بالخلاص من هذه الديار، و الإياب إلى تلك المشاعر المشرفه الأقطار (٢)، إنّه على ما يشاء قدير، و بالإجابہ جدير.

و المأمول من فضلكم أن تؤنسوا وحشته بمكاتبتكم الكريمة، و تصلوا وحدته بمراسلاتكم التي هي من داء الهيام عوده و تميمه، فإنّه في دار وحشه ليس بها أنيس، و في جيل إنس منهم اليعافير و العيس، لا يتسلّى إلّا بأبيات من الشعر سمح بها فكر قد صلد زناده، و صرد إيقاده، و حمّ بشآيب الحوادث إخماده، في مكان إعرابه أهناده، فهو لا يستأنس بإنشادها إلّا في الخلوات، و إسعادها بالمسامره إذا جنت الظلمات، لا لأنّها لذلك أهل، بل لأنّ (٣) الهشيم يرعى لا محاله في المحلّ، و عند الضروره يعتاض تمايل الأغصان بالنسيم عن الهيف، و يقتنع لفقد محيا الحبيب بالبدر على ما فيه من الكلف، و الجوع يرضى الاسود بالجيف، و قد أدّاه ما

ص: ٢٥٤

-
- ١- ١) في السلافه: هدايتك.
 - ٢- ٢) في السلافه: الأوطار.
 - ٣- ٣) في السلافه: بل لكون.

ادّعاء من الوله و الهيام إلى إثباتها، كيلا يكون دعواه مجردة بيناتها (١)، و هي:

صوادح البان و هنا شجوها بادي فمن عذير فتى فى فتّ أكباد

صبّ إذا غنت الورقاء أرّقه تذكيرها نغمات الشادن الشادى (٢)

و هذه القصيده طويله جدًا شهيره إلى الغايه، و هي فى سلافه العصر، و للقاضى تاج الدين المالكى عليها، و هي:

غذيت درّ التصافى قبل ميلادى فلا ترم يا عدولى فيه إرشادى

و قد مرّ للقاضى أحمد بن عيسى المرشدى قصيده على وزنها مادحا بها الشريف مسعود بن إدريس، و كذلك قصيده المالكى ممدوحه فيها الشريف المشار إليه، و زفّت القصيدتان إليه فى يوم واحد.

قال الشيخ محمّد المترجم المذكور بعد خلوصه من القصيده المذكوره:

و حسبى يا مولانا التصديع بهذا الهديان، و إنّما أوجه القصد إلى إقامه البرهان، على ما ادّعاء من الوله و الهيمان، لا زلتم محفوفين بعين الله، من طوارق الحدّثان، و صلّى الله على سيّدنا محمّد و على آله و صحبه و سلّم (٣).

قلت: و إذ قد ذكرت الرساله، فلا بأس بذكر جواب القاضى المذكور و إن كان فيه نوع إطاله، و هي:

يقبل الأرض إجلالا و يشرح ما لاقى من الوجد و الأشواق و الحرق

و يشتكى بعض ما لاقى و أعجب ما رآه أن تخمد النيران فى الورق

ص: ٢٥٥

١-١) فى السلافه: عن بيناتها.

٢-٢) سلافه العصر ص ١٥٨-١٦٥.

٣-٣) سلافه العصر ص ١٦٥.

محبّ جرعه الدهر مراره النوى (١)، وأضرم في أحشائه حراره الجوى، فهو يشتكى النوى طورا، فيتمالا- فى طورها و يتغالى، و يرجع باللؤم على نفسه فورا، فيشند بقايا ثناء ليس هى ارتجالا، هجيرا سقيا معاهد الأحبه من عهد دموعه، و سميراه التلهف على ذلك العهد و تمنى رجوعه.

أرى آثارهم فأذوب شوقا و أسكب فى مواطنهم دموعى

و أسأل من بفرقتهم رمانى يمنّ علىّ منهم بالرجوع

قد حارب جفنه الرقاد، فليس بينهما صلح، و دجى عليه ليل الفراق، فلم يتبلّج له صبح.

و طال علىّ الليل حتّى كأنّه من الطول موصول به الدهر أجمع

لا- يزال يسامر النجوم و القمر، و يساور الهموم و الفكر، و تتلاعب به لواعج الأشواق تلاعب الصوالج بالأكر، و ينشد إذا هجع النّوأم، و طلب المسعد على السمر.

أيّها النائمون حولى أعينوا نى على الليل حسبه و ائتجارا

حدّثونى عن النهار حديثا و صفوه أنّى (٢) نسيت النهارا

كيف لا ينسى النهار، و ينكر سائر الأغيار، من لا يرتسم (٣) فى مرآه تصوّره إلا تصوّر تلك الذات، و لا يجول فى فكره تذكّره إلا سابق تلك الأيام المستلذات، و لا يغيّر وده تقادم العهد، و لا يسوغ أن يسوغ ماء السلو و لو أذاه تعطّشه إلى اللحد.

ص: ٢٥٦

١- ١) فى السلافه: الثوى.

٢- ٢) فى السلافه: و صفوه فقد.

٣- ٣) فى السلافه: من لم يرتسم.

ولى نفس حرّ لو بذلت لها على تناسيك ما فوق المنى ما تناست

لا تحسبوا نأيكم عنّا يغيّرنا إذ طالما غير النأي المحيّننا

والله ما طلبت أرواحنا بدلا عنكم ولا انصرفت فيكم أمانينا

فليس عهدكم عهد الغمام فما كنتم لأرواحنا إلا رياحيننا

و لو لا تعلّل الناس بعلى و عسى، و رجوى صنيع (١) القادر على جمع الشيثين لقضيت أسا.

ما أقدر الله أن يدنى على شحط من داره الحزن ممّن داره حول (٢)

رجع، يا مولانا فقد أجرى الملووك جوار قلمه مرخى العنان، و شرح من أنموذج حاله ما هو عند مولانا كالعيان، و أنساه بثّ شوقه ما هو الواجب من تصدير السّلام، و تقديم الثناء الذى لا- تستوفيه الأرقام، و لو أنّ ما فى الأرض من شجره أقلام، و لئن شغل المملوك عمّا هو الأحرى، فقد أقام البيت المشهور له عذرا.

و شغلت عن ردّ السلام فكان شغلى عنك بك

فهو تحمل عبوديته (٣) هذه من التحيّات ما يتضوّع قبل نشرها نشره، و من الأثنيه ما يضاهى الافق زهره، و يباهى الرياض زهره، إلى ذلك المقام الذى سحب على فرقد الفراقذ ذيل علّوه، و أورد نهر المجرّه خيل مجده و سمّوه، و سلّم له أهل الحلّ و العقد، و أذعنت لبلاغته جهابذه النقد، و ألقت إليه الفصاحه مقاليدها، و كتبت ملوك البراعه باسمه تقاليدها، و أقرّ بفضلها حتّى الحسود، و أجمع على

ص: ٢٥٧

١- ١) فى السلافه: جمع.

٢- ٢) فى السلافه: صول.

٣- ٣) فى السلافه: يحمل العبوديه.

سؤده السّيد و المسود، و أرى الناس مجعين على فضلك، ما بين سيّد و مسود.

إمام جماعه الصناعيتين، و مالك زمام براعه البراعتين، العلامه الذى خاض من العلوم بحرا، و قفت بساحله العلماء، و قفت أثره فانتهدت إلى حدّها من نقطه العلم و شكله الحكم الحكماء، سلاله الوزراء الذين اقتعدوا صهوه الجلاله و المجد، و خلاصه العلماء الذين تركوا الغير فى الغور، و افترعوا من المكانه المكان النجد، مولانا الشيخ محمّد بن حكيم الملك، لا زال محروسا بعنايه مجرى الفلك، بمحمّد و آله أجمعين (١).

و ينهى ورود الكتاب الذى استهلّت البراعه من براعه استهلاله، و أتى بالسحر الذى لا - حرج فى القول باستحلاله، و حرم على الادباء حياكه حكايته (٢)، و النسج على منواله.

أنى تجاربه فرسان القريض و من غباره فى هواديهنّ ما نقضوا

يجزم المتأمل فى فاتحته أنّها فريده وقتها، و يتلو عليه ما بعدها، و ما نريهم من آيه إلاّ هى أكبر من اختها، فقُبل المملوك منه مواقع الأقدام، شوقا لتقبيل مواضع الأقدام، و قرأه سطرا سطرا، و لم يكد (٣) يستطيع مجاوزه فقره منه إلى الاخرى، و سرح الفكر فى معانيه التى هى إلى الأفهام أجرى من الماء تحدر فى صبيب، و أفعل بالألباب من ابن غمام زوج بابنه العنب، فأضحك المملوك بما تضمّنه من

ص: ٢٥٨

١- ١) فى السلافه: أمين.

٢- ٢) فى السلافه: حكايه حياكنه.

٣- ٣) فى السلافه: و لم يكن.

تقلّب مالكة فى رياض البقاء، و شغله فى مراتب العزّ و الارتقاء، و أبكاه (١) بما انطوى عليه من شرح الحال التى عند المملوك شاهدها، و الغربه التى يعالج لواعجها المملوك، و إن كان فى ظنه (٢) و يكابدها.

يودّ من عمره أن لا يفارقكم ما كلّ ما يتمنى المرء يدركه

فصبرا يا مولانا على ما جرت به الأقدار، و رضا بإرادته الله و اختياره، فإنهما خير ممّا يريد العبد لنفسه و يختار، و لا أبلغ فى الوعظ و التنبيه لمن طلب منهما الغايه، من قوله تعالى وَ عَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَ هُوَ خَيْرٌ (٣) الآيه، و عذرا يا مولانا فإننى (٤) بهذه المواعظ كمن جلب التمر إلى هجر، و أهدى إلى البحر الدرر.

و لكننى أتيقن أنّ مولانا لا يرى ذلك لحسن الظنّ و النظر، ثم انتهى المملوك إلى تلك القصيده التى كلّ بيت منها بيت القصيد، فكّلل تاجه من جواهر عقدها الفريد، و استخرج من بحرها البسيط فرائد الفضل المديد، و علم أنّ مولانا أراد إثبات عجز من عارضه، فتمّ له ما يريد، و أكدت صوادح البان بشجوها أشواقه، و لا أقول زادت فليس عليها مزيد:

و ترنّمت ذات الجناح بسحره بالواديين فهيجت أشواقى

ورقا تعلّمت البكا و البثّ من يعقوب و الإلحان من إسحاق

إنّى تضاهينى هوى و صبابه و أسا و فرط جوى و فيض ماقى

ص: ٢٥٩

١- ١) فى السلافه: و أبكى.

٢- ٢) فى «ن»: طنه، و فى السلافه: وطنه.

٣- ٣) سوره البقره: ٢١٦.

٤- ٤) فى السلافه: فأنا.

و أنا الذى أملى الهوى من خاطرى و هى التى تملى من الأوراق

و كيف يا مولانا يقبل المزيد شوق هو أعظم ممّا تصف الألسن و تشرح الأرقام، و فوق ما يتصوّره الفكر و تتخيله الأوهام، و وراء ما يمكن أن يرى فى الأحلام، أطفأ الله حرّ النوى بالمشافهه، و أغنى عن المراسله بالمواجهه، و عَجَّل لكم الإياب إلى حرمه الشريف، و الإقامه بسوح بيته المنيف، إنّه على ما يشاء قدير، و بالإيجابه جدير (١).

إنتهى النقل من السلافه مع الحذف و الاقتصار، طلبا للاختصار.

و لنتنى عنان القلم، مخافه الملل و السأم، و ما أوردناه فوق ما أوردناه، فهو كاف فى إثبات جلاله مقام الشيخ و مقداره، و تقصير الشيخ الآخر فى إخفاء سنا بدره تحت سراره.

عودا إلى ما نحن فيه:

وفاه الشيخ فتح الله النحاس:

ففى سنه ثنتين و خمسين و ألف: توفى فى ثانى عشر صفرها الأديب المجيد، المحيى آثار البحترى و ابن العميد، دميّه عصره، و يتيمه دهره، الشيخ فتح الله النحاس الحلبي الشاعر (٢).

قال صاحب السلافه رحم الله أسلافه، مترجما له، بلّغه الله أمله: ناظم قلائد العقيان، و فاضخ (٣) نغمات القيان، الشاعر الساحر، و الباهر بما هو ألدّ من الغمض

ص: ٢٦٠

١-١) سلافه العصر ص ١٥٨-١٦٨.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٤٦٨.

٣-٣) فى السلافه: وفاضخ.

فى مقله الساهر،فهو صانع إبريز القريض و إن عرف بابن النحاس،و مسترقّ حرّ الكلام فما أشعار عبد بنى الحسحاس،و المبرز فى الأدب على من درج و دبّ.

و حسبك أن لقبه الادباء بمحكّ الأدب،و لو لم تكن له إلاّ حائته التى سارت بها الركبان،و طارت شهرتها بخوافى النسور و قوادم العقبان،لكفته دلالة على علوّ إنافه قدره،و إشراق شمسه،فى سماء البلاغه و بدره،و له ديوان شعر لم أره،و لكننى سمعت خبره،و قصيدته المشار إليها هى قوله مادحا الأمير محمّد بن فروخ أمير الحاجّ الشامى:

بات ساهى (١)الطرف و الشوق يلبّح و الدجى أن يمضّ جنح بات جنح

فكأنّ الشرق باب للدجى ما له خوف هجوم الصبح فتح

يقدهح النجم لعينى شررا و لزند الشوق فى الأحشا قدح

لا تسل عن حال أرباب الهوى يابن ودى ما لهذا الحال شرح

لست أشكو حال جفنى و الكرى إن يكن بينى و بين الدمع (٢)صلح

إنما حلى المحيّين البكا أىّ فضل لسحاب لا يسح

يا ندامى و أيام الصبا هل لنا رجع و هل للعمر فسح

صبّحتك المزن أعلا منزل (٣) كان لى فيه خلاعات و شطح

حيث لى شغل بأجفان الطبا و لقلبى مرهم منها و جرح

كلّ عيش ينقضى ما لم يكن مع ملىح ما لذاك العيش ملح

ص:٢٤١

١-١ فى السلافه:ساجى.

٢-٢ فى السلافه:النوم.

٣-٣ فى السلافه:صبّحتك المزن يا دار اللوى.

و بذات الطلح لى من عالج وقفه أذكرها ما اخضّر (١) طلح
حيث منّا الركب بالركب التقى و قضى حاجاته الشوق الملح
لا أذمّ العيس للعيس يد فى تلاقينا و للأسفار نجح
قربت منّا فما نحو فم و اعتنقنا فالتقى كشح و كشح
و تزوّدت شذا من مرشف فى فمى (٢) منه إلى ذا اليوم نفح
و تعاهدنا على كأس اللمى إننى ما دمت حيا لست أصحاب
يا ترى هل عند من قد رحلوا إن عيشى بعدهم كدّ و كدح
كم اداوى القلب قلت حيلتى كلما داويت جرحا سال جرح
و لكم أدعو و ما لى سامع فكأنتى عند ما أدعو أبح
حسّنا القول و قالوا غربه إنما الغربه للأحرار ذبح
أشكى برح الجوى إن لم يرى كابن فزوخ فتى لم يشك برح
ابن من كان لعاب سيفه ما له إلا بأعلى القرن مسح
فإذا قيل ابن فزوخ أتى سقطوا لو أنّ ذاك القول مزح
كلّ من أسهره من رعبه نومه اليوم بظلّ السيف سدح
بطل لو شاء تمزيق الدجى لأتاه من عمود الصبح رمح
بأبى أفدى أميرى إنّه صادق القول نقى العرض سمح
كلّما قد قيل من ترجيحه فى الندى أو فى الوغى فهو الأصح
كم طروس بالقنا يكتبها و سطور بلسان السيف يمحو

ص: ٢٤٢

يا عروس الخيل و السيف له من قراع الخيل و الأبطال صدح

يا رحاء (١) الحرب و الخيل لها فى حياض الموت بالفرسان سبح

حطّ سيف الجود فى حظّى الذى هو كالدهر يمّنّى و يشح

و انتقدنى و اتخذنى بلبلا صدحه بين يدى عليك مدح

طالع الأدبار ما لى و له إن يكن من كوكب الإقبال لمح

كلّ بيت فى العلى أنحته من نضيد الدرّ و الياقوت صرح

ناطق عنّى بالفضل الذى إن يبارى فله فى الفوز قدح

بقواف كسقيط الطلّ أو أنّها من وجنات الغيد رشح

خلقت طوى يدى كيما ترى لا كمن يتبعها و هى تشح (٢)

إنتهى النقل من الكتاب المذكور، و اقتصرت من قصائده الطنّانه على حائثه، إذ هى أحسن من عينيته و داليته، فكلّ بيت منها فريد، كأنّه قصر مشيد، و شعره كلّه درّ، و نسج كلام حرّ، فاكتفينا منه بالقليل خوف التطويل.

و من مقاطيعه الحسنه، و منازعه المستحسنه، قوله مضمّنا:

لا يدعى بدر لوجهك نسبه فأخاف أن يسودّ وجه المدعى

و الشمس لو علمت بأنك دونها هبطت إليك من المحلّ الأرفع (٣)

و قوله:

أنا الكوكب السيار فى كلّ بلده تراعيه أعيان العلى و تجلّه

ص: ٢٦٣

١- ١) فى السلافه: يا رحان.

٢- ٢) سلافه العصر ص ٢٧٦-٢٧٨.

٣- ٣) سلافه العصر ص ٢٧٩.

تطوف على سمع البلاد قصائدى و يخدمنى سهل الكلام و جزله (١)

قوله و أجاد:

توهّمت إذ مرّت بنا الغيد بكره

تلهبّ خال فى لظى خدّ أعيد

ورددت طرفى ثانيا فرأيته

فؤادى الذى قد ضاع فى الحبّ من يدى (٢)

عودا إلى الفوائد التأريخيه:

إنشاء السبيل و الحنفيه بمكّه:

و فى سنه ثلاث و خمسين بعد الألف: أنشأ مولانا الشريف زيد سيلا و حنفيّه بمكّه المشرفّه، فأرّخ بناه الفاضل العلامه القاضى تاج الدين المالكي، فقال:

لله تأسيس نما خيره و فاز بالتطهير من أمّ له

سبيل إحسان و حنفيه (٣) و سلسيل فارتشف سلسله

له نبا فى الفيض مهما روى حديثه أروى بما سلسله

سالت عطاياه لجينا فمن رام نداء نال ما أمّله

و حيث لم تكتف سؤاله فلا يكفّ البذل إذ أرسله

لأنّ من أسّس بنيانه غيث الورى فى السنه الممحله

ص: ٢٦٤

١-١) سلافه العصر ص ٢٨٥.

٢-٢) سلافه العصر ص ٢٨٥.

٣-٣) فى السمط: به سبيل و حنفيه.

من نفسه يوم عطاءه ترى إن وهب (١) الدنيا فقد قلّ له

توجه الله بتاج زهى بجوهر المجد الذى كَلَّه

و الله من وافر إحسانه أجرى له الأجر الذى أجز له

فإن تسل عن ضبط تأريخه فخذ جوابا يوضح المسأله

أسسه سلطان ام القرى زيد يدوم العز والسعد له (٢)

قتل مصطفى بيك والى جدّه:

و فى اليوم التاسع و العشرين من شهر جمادى الآخرة: من سنه سبع و خمسين بعد الألف، قتل مصطفى بيك صاحب بندر جدّه المتقدّم ذكره فى حرب العسكر اليمانى، و لقتله نقل غريب نقله العصامى و غيره.

و هو أنّه لما كان أوائل السنه المذكوره، طلع السنجق المذكور إلى الطائف لزياره قبر حبر الامّه رضى الله عنه، ثمّ طلع بعده بشير آغا الحبشى غلام السلطان مراد المتقدّم ذكره، و هذا فى مجيئه الثانى متولّيا مشيخه الحرم النبوى، فأقام بالطائف ما شاء، ثمّ نزل إلى مكّه المشرفه.

و لمّا كان فى النقب الأحمر المعروف على طريق عقبه كراء، و قد تفرّقت عساكره خلفا و أماما، و لم يبق معه أحد سوى السائس، و ثب عليه رجل عربى كان يتعهّده بالإحسان إليه، يقال له: الجعفرى، فضربه بسكين العرب حتّى أنفذها من أحشائه، و ذهب و لم يدر محلّه، فتلاحقت العساكر، فلم يلبث إلاّ نحو ساعتين و توفّى شهيدا، و دخل به إلى مكّه غرّه رجب المعظم فى تخت، و دفن أمام قبه

ص: ٢٦٥

١- ١) فى «د»: ذهب.

٢- ٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤: ٤٦٩، إتحاف فضلاء الزمن ٢: ٧٤.

السَّيِّدِ خَدِيجِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

و كان مولانا الشريف زيد في تلك السنه قد توجّه إلى ناحيه الشرق، و ابعده إلى قريب الخرج (١)، و قائم مقامه لحفظ البلاد، مولانا السيد إبراهيم بن الشريف محمّد بن الشريف عبد الله بن الشريف حسن، فاستاوى (٢) بعض عساكر السنجق المقتول، ثم بعد وصول بشير آغا من الطائف عادوا إليه بحيله و نقل طويل لا يترتب عليه قاتلا، و قد ذكره العصامي مفصّلا (٣).

زياره الشريف زيد للمدينه:

و في سنه تسع و خمسين: عزم مولانا الشريف زيد إلى زياره جدّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، و كان دخوله المدينه المنوره يوم الخميس ثامن شهر شعبان من السنه المذكوره، فنزل بالقاضيّه خارج السور، و اتفق أن وقعت حادثه ليله عاشر الشهر المذكور، و هي أنّ حضره زفر أفندي قاضي الشرع الشريف نزل لحضور صلاه الصبح في اليوم المذكور، و الوقت غلس، و معه ثلاثه من الخدام.

فلما كان عند الدفتر داريه و ثب عليه شخص، فضربه بالحدّ في ظهره، فأنفذها من صدره، فأكبّ على دابّته، و لم تزل سائره به إلى أن دخلت به محراب عثمان بن عفّان، و إمام الشافعيه قائم يصلّي في المحراب الفجر، فقام بعض الناس و أنزلوه على آخر نفس، و هو يقول: يا رسول الله يا رسول الله، و وضع أمام الوجه الشريف، و بعد لحظه قضى عليه، فحشدت العساكر، و اجتمعت و أغلقت أبواب سور المدينه،

ص: ٢٦٦

١- (١) الخرج: واد فيه قرى من أرض اليمامة، أرضه أرض نخل و زرع.

٢- (٢) في السمط: فاستدنا.

٣- (٣) سمط النجوم العوالي ٤: ٤٦٩-٤٧١، إتحاف فضلاء الزمن ٧٤: ٢-٧٦.

و وجهوا المدافع إلى الشريف زيد، و شرعوا ينادون: اخرج عنا، و فعلوا ما هو وصفهم دائما.

فبعث إليهم الشريف زيد أكابر جماعته، و أكابر جماعه عسكر مصر، فحلفوا لهم بأن لا علم للشريف بذلك و لا شعور، و لؤمهم على ذلك خطابا من تحت السور، فتراجعوا و فتحوا بابا السور.

و فى اليوم الثانى استدعى و جوههم لينظر فى حال قتله الأندى، و يبحث عنهم، فلم يزل يمسكهم واحدا بعد واحد، و حبسهم مده مديده، ثم حصلت فى بعضهم شفاعه، ففكك و ذهب بالباقيين و هم تسعه أنفار، و أمر بإبقائهم فى ينبع، و استمروا إلى الحج، فاستشفعوا بأمير الحاج، فأتى بهم مستشفعا فيهم فشفعه، ثم تعسكروا لغيطاس بيك أمير بندر جدّه و نزلوا معه.

و اتفق أنه فى نزوله هذا إلى بندر جدّه كان مغضبا على مولانا الشريف زيد بأسباب ذكرها المؤرخون، و أقواها و أعظمها تردد السيد عبد العزيز بن الشريف إدريس المذكور سابقا فى دوله الشريف نامى على حضره غيطاس بيك، و إفساده على الشريف زيد، و توغل خاطر البيك المذكور عليه من شىء سابق فى باطنه عليه، فواطأه على إسعافه، و إلباسه شرافه مكّه المشرفه.

فبعد نزوله إلى جدّه لحقه السيد عبد العزيز المذكور، فألبسه شرافه مكّه، و نودى له بالبلاد، و ولى حاكما فيها، و هو سعيد أو ناصر بن سعيد عتيق مصطفى السيورى، ثم خرج غيطاس بيك و الشريف عبد العزيز و مراجلهما، و خرج إليهم الشريف زيد بمراجله و جميع الساده الأشراف، و تلاقوا يوم الخميس تاسع عشر جمادى الآخره سنه ستين و ألف فوق التنعيم، و صار بينهم قتال عظيم، اصيب فيه السيد و بير بن محمّد بن إبراهيم، و عدد كثير من الجانيين.

فلَمَّا اشتدَّ الحال دخل السيّد عبد العزيز على عاداتهم المألوفه على السيّد مبارك ابن بشير طالبا الأمان لغيطاس بيك و جماعته، فعرف السيّد مبارك الشريف زيد بذلك، و وقع الصلح بينهم، و التمس السيّد عبد العزيز من الشريف زيد إرسال جماعه صحبه غيطاس بيك يوصلونه مأمنه، فأرسل معه خمسين نفرا من عسكره يوصلونه إلى بندر جدّه.

ثمّ بعد مدّه جاء عزله من جهه الدوله، فذهب إلى بندر ينبع، و استمرّ به إلى وصول الحاجّ، و مكث إلى عوده من مكّه، ثمّ مشى صحبته و استقرّ بمصر، و لحقه السيّد عبد العزيز، أو مشى صحبته و أقام بمصر سنتين، و فى السنه الثالثه وصل خبر وفاته بالطاعون.

و أمّا غيطاس بيك، فأقام بمصر سنه إحدى و ستين، و فى ثانى عشر ربيعها الأوّل البس إماره الحاجّ الشريف، و وصل فى موسمها أميراً، فتوّهّم منه مولانا الشريف زيد غايه التوهّم، إلاّ أنّه خرج للخلعه على العاده، إنّما أخلّ بالقانون القديم، و هو المناكبه، فصافحه بيده الشريفه، و من تلك السنه تركت المناكبه و بقيت المصافحه إلى عصرنا هذا، فقضى حجّه و ذهب (١).

تعمير قبه الفراشين بالمسجد الحرام:

و فى سنه ثلاث و ستين: عمّرت قبه الفراشين بالمسجد الحرام، فأرّخ عمارتها القاضى تاج الدين المالكى بقوله:

انظر لحسن قبه جدّها مؤسسا فخر الملوك الأمجد

و قل إذا أرخت عاما كان فى أثنائه بناؤها المشيد

ص: ٢٤٨

عمّرها سلطاننا محمّد الملك السامى العلىّ الأوحّد

قال العصامى: نو لَمّا أرادوا الشروع فى العمل، حملوا المؤونه على الحمير، و أدخلوها من باب البغله، و يعرف هذا الباب قديما بباب بنى سفيان بن عبد الأسد، كذا قاله الأزرقى.

و عزّف الفاسى هذا الباب بباب البغله، قال: و لم أدر ما سبب هذه الشهره.

قال العلامه الشيخ محمّد على بن علّان: لعلّ سببها (١) أنّ بغلته صلّى الله عليه و آله ربطت أو وقفت ثمّه فى بعض الأوقات (٢). إنتهى.

إصابه الشاه جهان فلج:

و فى سنه ثمان و ستين و ألف: أصاب سلطان الديار الهنديه شاه جهان فالج أقعده، فحصل بين أولاده حروب كثيره، إلى أن استقلّ بالمملكه اورنكزيب، و قتل أخاه داراشكوه، فاستقرّت البلاد به (٣).

وفاه السيّد عمّار بن بركات الحسنى:

و فى سنه تسع و ستين: توفّى السيّد عمّار بن بركات بن جعفر بن أبى ندى بالديار الهنديه، و ذلك فى يوم الجمعه لعشر بقين من شوال (٤).

و قد ترجم هذا السيّد صاحب السلافه رحمه الله تعالى، فقال: عمّار (٥) أبنيه

ص: ٢٦٩

١- ١) فى «٥»: سببه.

٢- ٢) سمط النجوم العوالى ٤:٤٧٤، إتحاف فضلاء الزمن ٢:٨٠.

٣- ٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٤٧٤.

٤- ٤) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٤٧٥.

٥- ٥) جاء اسمه محرّفًا بعماد فى السلافه.

المجد و المكارم، و رافع أليه شرف آباءه الخضارم، نسب في السياه كعمود الصبح، و حسب تنزه بجدّه الحسن عن القبح، طلع في افق الجلاله بدراء، و سما في سماء الأياله قدرا، رأيت في حضره الوالد بالديار الهنديه، و قد تفتياً ظلال مكارمه النديه (١)، و كان قد دخلها في سنه ثنتين و ستين و ألف، فرأيت الفضل فيه مصوراً، و جنيت به روض السرور منوراً.

و لقد كان يجمعني و إياه مجلس والدي حسب الاقتراح، و بيننا من المصافاه ما بين الراح و الماء القراح، و هو كهل شبت بالظرف شمائله، و هبت باللطف جنائبه و شمائله، و ربما جمعتنا حله أدهم و كميته، أو بيت شعر لم يتحكّم فيه (٢) لو و لا ليت، فتنقل من متن جواد إلى شرح بيت، و له شعر يفعل بالألباب فعل السحر. إلى آخر ما ذكره، و أورد له شعرا، و ذكر وفاته طبق ما رقمناه.

ثمّ قال: و قلت أرثيه:

لنا كلّ يوم رثه و عويل و خطب يكلّ الرأى و هو صقيل

بكيت لو أنّ الدمع يرجع ميتا و أعولت لواجدى الحزين عويل

لحي الله دهرا لا تزال صروفه تكرّر علينا دائما و تصول

علام و فيم قد أصاب مقاتلى و ما شهدت منه على نصول

و حمّلتني خطبا تضاءلت دونه و ما أنا قدما للخطوب حمول

بموت كريم ماجد و ابن ماجد له المجد دار و العلاء مقيل

فتى قد عنت يوم الهياج له القنا و راح الحسام العضب و هو ذليل

ص: ٢٧٠

١-١) في السلافه: و قد تفتياً ظلالها و أفاض مكارمه النديه.

٢-٢) في السلافه: عليه.

بكاه القنا الخطى علما بأنه كسير و إن المشرفى كليل

فمن للعوالى بعد كفيه و الندى و من فى صفوف الناكثين يجول

و من بعده للسيف و الضيف و العلا و من بعده للمكرمات كفيل

ريب على شخ الزمان بمثله و كل زمان بالكرام بخيل

و لما نعى الناعى (١) فضاق بى الفضا و راحت دموعى الجامدات تسيل

و هيهات أن تأتى النساء بمثله و يخلف عنه فى الأنام بديل

سأبكيك يا عمّار ما ناح طائر و ما ندبت بعد الرحيل طول

مصابى و إن طولته عنك قاصر و دمعى و إن أكثرت فيك قليل

لك الدهر فى قلبى مكان موّده و دادك فيه ساكن و نزيل

و إن هاطلات السحب شجت بسقيها سقاك من الجفن القريح همول

عليك سلام الله منى تحيه مدى الدهر ما غال البريه غول (٢)

وفاه القاضى عصام الدين العصامى:

و فى أواخر شهر رمضان من هذه السنه: توفى الفاضل العلامه القاضى عصام الدين بن على زاده العصامى بالطائف المحروس، و خلف ابنين نجيبين، و هما القاضى على، و القاضى محمّد.

و توفى القاضى محمّد عن ابنين أيضا، و هما: القاضى أحمد، و القاضى حسين، توفيا فى سنه واحده، و هى سنه ثمان و ثلاثين و مائه و ألف، كما سيأتى، و ماتا عن

ص: ٢٧١

١- ١) فى السلافه: نعاه لنا الناعى.

٢- ٢) سلافه العصر ص ٣١-٣٦.

أولاد كثيرين، وفقهم لمناهج آباؤهم (١).

الغلاء و القحط الشديد بمكّه:

و فى سنه سبعين: حصل بمكّه المشرفه غلاء، وصلت كيله الحبّ فيه إلى سبعة عشر محلقاً، فأشار العالم العلامة الشيخ محمّد البابلي على الشريف زيد بتركه التسعير، فنادى مناديه بذلك، فتواجدت الحبوب، و جلب من سائر البلدان.

و سبب الغلاء كثرة الجراد بأرض الحجاز و اليمن، و أعقبه الدبا، فأكل جميع الأشجار و الزراعات، فأرّخه بعض الادباء بقوله «غلاء و بلاء» (٢).

تعمير زمزم:

و فى سنه ثنتين و سبعين: عمرت زمزم و البناء الذى عليها، ما عدا الجهه القبليه، و ادير باب المصعد إلى أعلاها إلى الجهه الجنوبيه (٣).

المطر و السيل العظيم بمكّه:

و فى سنه ثلاث و سبعين فى يوم السبت بعد الظهر لسبع خلون من شهر شعبان من السنه المذكوره: حصل مطر عظيم، و سال منه سيل كبير ملاً المسجد، و غرق فيه نحو سته أنفار، فتصدّى مولانا الشريف زيد لتنظيفه، و نادى فى الناس، و حضر بنفسه.

و حضر أيضاً متولّى بندر جدّه فى تلك السنه، و هو الأمير سليمان بيك، و هو يومئذ قائم على عماره المقامات، و ترميم المشاعر، فاشتغل الأشراف و العلماء

ص: ٢٧٢

١-١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٤٧٥.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٤٧٥، إتحاف فضلاء الزمن ٢:٨١.

٣-٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٤٧٦.

و الخطباء و المدرّسون بأيديهم، و بذلت أموال عظيمه على ذلك، فكمّل تنظيفه في سبعة أيّام.

و أرّخ ذلك السيّد أحمد بن السيّد أبي بكر بن سالم بن شيخان بقوله:

قهقه الرعد عند ما ابتسم البرق فأبكى الغمام قطر المياه

و أذابا قلوبنا الخوف و الرعب فويل لغافل القلب ساهى

و أتانا طوفان نوح و بالموت قطعنا لو لا جناب الإله

إن تقل أوضحو فسابع شعبان و سبت ليوم ستّ مضاهى

أو ترد عامه المهيل فأرّخ بات سيل يطوف البيت داهى (١)

قلت: هذا التاريخ ساقط نظماً و معنى، كما تراه.

تعمير المقامات الأربعة:

و فى سنه أربع و سبعين و ألف: عمّرت المقامات الأربعة: مقام الخليل، و الثلاثه، و بيّضت جميع قباب المسجد الحرام ظاهراً و باطناً، و رمّمت جميع المشاعر بعرفات، و مسجد مزدلفه، و مسجد الخيف بمنى، و أعلام الجمرات، و حدود الحرم (٢).

خروج الشريف زيد لقتال قبيله جهينه:

و فى سنه ستّ و سبعين: خرج الشريف زيد لقتال قبيله جهينه، طلباً لثأر السيّد مساعد، و الملزم له على ذلك السيّد غالب بن محمّد بن مساعد بن مسعود ولى الدم الأدنى، فتوجّه بجميع من معه من الساده الأشراف و أتباعهم و عساكره و عساكر

ص: ٢٧٣

١-١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٤٧٦، إتحاف فضلاء الزمن ٨٢:٢-٨٣.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٤٧٦، إتحاف فضلاء الزمن ٨٢:٢.

مصر المقيمين بمكّه المشرفه، و أقام ببدر.

و توجه السيد حمّود بن عبد الله إلى زياره جدّه صلى الله عليه و آله على خيله و ركابه، فاتفق أن لاقاه الآغا المكرّم عماد الدين أفندي الرومى فى الخيف، و أعزّه إعزازا عظيما؛ لأنّه ورد فى هذه السنه إلى مكّه المعظمه، ثم زار السيد حمّود و رجع، فوجد الشريف على حاله مقيما ببدر، و نزل هو على ماء مخشوش (١)، و هو موضع معروف، ثمّ توجهّا معا لحرايه جهينه، و كان قائم مقام الشريف زيد بمكّه السيد أبا القاسم بن السيد حمّود (٢).

كثره الأمطار و رخصه الأسعار:

و فى تلك السنه: كثرت الأمطار بالحجاز، فرخصت الأسعار جدا، حتّى بيع الأردب القمح بثلاثه حروف عددى، و المنّ و الجبن بمحلّقين، و الألبان و اللحوم و جميع الخيرات كثيره إلى الغايه (٣).

وفاه الشريف زيد صاحب الترجمة:

و فى سنه سبع و سبعين: توفى الشريف زيد صاحب الترجمة، كما مرّ ذلك، فرحمه الله تعالى، و أولاه أُلطافا توالى. ثمّ انتقلت الشرافه إلى ابنه الشريف سعد بن زيد (٤)، كما سيأتى بيان ذلك، و وقّنا الله و إياكم لأقوم المسالك.

ص: ٢٧٤

١- (١) فى السمط: مخشوش.

٢- (٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٤٧٦-٤:٤٧٧، و إتحاف فضلاء الزمن ٢:٨٤.

٣- (٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٤٧٧، و إتحاف فضلاء الزمن ٢:٨٤.

٤- (٤) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٤٧٧، و إتحاف فضلاء الزمن ٢:٨٤-٨٣.

أبى ندى صاحب مكه المشرفه رحمه الله تعالى

قال العصامى: ولما مات الشريف زيد، وقعت بمكه رجه عظيمه فى التوليه على المسلمين، و فى من يقوم مقامه، بين ولده الشريف سعد و بين السيد حمود بن عبد الله، و قام كل من الرجلين أشد قيام، و جمع الجموع، و بذل المال (1)، و تحصوا نوا فى البيوت و المناثر.

و انضم الأشراف جميعهم إلى السيد حمود، و لم يبق مع الشريف سعد إلا السيد مبارك بن محمد الحارث، و السيد راجح بن قايتباى، و السيد عبد المطلب بن محمد، و السيد مضر بن المرتضى، و السيد الحسين بن يحيى، و السيد فارس بن بركات، و السيد محمد بن أحمد بن على، و هو الذى كان مع المنادى.

و كان فى مكه رجل عظيم الشأن، قد ورد فى العام الذى قبل هذا العام، و هو عام ست و سبعين، و سنجق جدّه، و شيخ حرم مكه المشرفه عماد أفندى المتقدم ذكره آنفا، فردوا الأمر إليه، و أحضر خلعه عنده، و الرسل تسعى من الشريف سعد إليه إلى الضحوه.

فاتفق رأى أن يلبسوا الخلعه الشريف سعد، فأخذها من تحت ركبته شخص من أكابر عسكر مصر، يقال له: المسلمانى، و ذهب بها إلى الشريف سعد، فلبسها فى بيته من غير وعد.

و كان مجلس عماد أفندى (2) فى دكه عند باب رباط الداووديه، فبعد أن

ص: ٢٧٥

١- ١) فى «ن»: الأموال.

٢- ٢) فى السمط: عماد آغا.

أخذت منه الخلعه، قيل له: إن ابن الشريف زيد السيد محمد يحيى هو المولى، وقد أخذ له والده أمرا سلطانيا بذلك، فقال لمن أخذ الخلعه: قولوا للشريف سعد: بشرط أنك قائم مقامه، و مشوا.

و فى رواحهم دخل المسجد من باب بنى سهم المسمى باب العمره جماعه من الأشراف، منهم: السيد محمد بن أحمد بن عبد الله، و السيد مبارك بن الفضل بن مسعود، و السيد عبد الله بن أحمد، و السيد محمد بن أحمد بن حراز، و غيرهم فى نحو ثمانيه عشر شخصا (١)، فوقفوا على عماد أفندى، و قد رأوا جماعه من الأتراك و بيدهم الخلعه قد قاربوا باب المسجد النافذ إلى بيت الشريف سعد، فقال لهم عماد أفندى: نحن ألبسنا الشريف سعد بشرط أنه قائم مقام أخيه السيد محمد يحيى؛ لأنه هو القائم بعد أبيه بأمر سلطاني، فلم يردوا له جوابا.

ثم إنهم رجعوا من الباب الذى دخلوا منه، و وصلوا إلى بيت السيد حمود، فوجدوا جميع الأشراف فى بيت السيد حمود، فلاقاهم السيد حمود فى درجه البيت، و هو ذاهب لموالاه الشريف زيد، فأخبروه بما شاهدوه، فعاد معهم (٢).

إنتهى مع اختصار و تغيير و حذف كثير.

و قال فى موضع آخر ما معناه: إنه كان مع مولانا الشريف زيد مملوكان:

أحدهما تركى الجنس اسمه ذو الفقار، و الآخر حبشى اسمه بلال.

أمّا الأول، فكان عند مولاه منذ زمان حتى كبر و صار شيخا للعسكر اللهم، فقام عليهم أحسن قيام، و كان ذا هيبة و رأى سديد، فدعاه الشريف زيد، و أوصاه

ص: ٢٧٦

١- ١) فى «ن»: شخص، و فى السلافة: أشخاص.

٢- ٢) سمط النجوم العوالى ٤٧٨:٤-٤٧٩.

على بنيه و عوله (١).

فلما انتقل الشريف إلى رحمه الله قام على قدميه، و شمر عن ساقيه، و رتب العساكر في المواضع الحصينه، و ضبط قانون الحرابه من سائر الجهات، و السيد حمود لم يبرح من بيته مع بنى عمه و شيعته، و نار الفتنة قائمه أشد قيام.

فجلس الشريف سعد للتهنأه و السرور، و تأطد له الملك بفأل اسمه و الحبور، و دعا مشايخ العرب و أهل الإدراك، و فعل ما تفعله الملوكة حال الجلوس، مع ما صار من الاضطراب فى البلاد و بين الباديه و الأعراب، و شدّه الاختلاف فى الطرقات، و جميع ما حول مكّه المشرفه من الجهات، بأسباب موت هذا الملك العظيم، و الركن الثابت القديم، إلا أنه بعد أن أخلص التيه، و وجه همته العليه، أمنت البلاد، و اطمأنت العباد.

فأرخ جلوسه الشريف الأديب الأريب الشيخ أحمد (٢) بن قاسم الخلى بقوله:

قام بأمر البلاد سعد أيد ربّ السماء ملكه

بغايه المجد أرخوه قد نلت بالسيف أمر مكّه

و أرخه الإمام فضل (٣) ابن الإمام عبد الله الطبرى أيضا بقوله:

ص: ٢٧٧

١- ١) فى السمط: و عولته.

٢- ٢) هو العلامه الأديب الشيخ أحمد بن القاسم الخلى المكى، و ولد بمكّه سنه (١٠٥٤) و نشأ و تعلّم بها، برع فى الشعر، له ديوان فى مدح النبى صلّى الله عليه و آله و الغزليات و الموشحات، و له قصائد غرر، توفى فى أوائل القرن الثانى عشر، و قد أكثر المؤلف النقل عن ديوانه هذا فى كتابه هذا.

٣- ٣) هو جدّ العلامه محمّد بن على بن الفضل، صاحب كتاب إتحاف فضلاء الزمن

قالوا لنا اليوم مات زيد و الناس تخشى وقوع عركه

و القوم لا يسألون هذا (١) قال كذا من يروم ملكه

فقلت و القيل قد تناهى و الخلق فى ضجّه و ربكه

بيتا صحيحا لهم جوابا مؤرّخا قد أجدت ٢سبكه

يباعوه يملكوه سعد بن زيد شريف مكّه

و أرّخه أيضا العالم العلّامه القاضى أحمد ابن القاضى مرشد الدين العمري بقوله:

شمس الخلافه أشرقت و بدا منيرا سعدها

مد حازها الشرف الذى بعلاه زين عقدها

سعد الذى تأريخه خير الملوك سعيدها ٣

قلت: هذا التأريخ لا- بأس بنظمه، غير أنّ فى شطر التأريخ وقفه؛ لسقوط حرف العطف ليتمّ التأريخ، و بثبوته يتمّ الوزن، و تزول الوقعه، غير أنّه يزيد التأريخ سنه، فلو أثبتته و وطىء لإخراج هذا العدد لكان أحسن و أسبك، و إن كان هذا النوع كثير فى شعر العرب، كقوله فى الحماسه... ٤.

و اتفق أن حصل فى اليوم الثالث من جلوسه، و هو يوم الخميس اضطراب

ص: ٢٧٨

(١- ١) فى السمط: و القوم يسألون هذا.

عظيم من بعد الظهر إلى بعد العصر، بين الشريف سعد و السيد حمّود، و كلّ منهما جمع جيوشه، و تحصّنوا في البيوت و المناثر، و ركبوا جماعه السيد حمّود على الجبل الذي خلف بيته، و الجبل المعروف بجبل عمر، و تراموا بالرصاص من بعد، و لم تحصل مواجهه، ثمّ إنهم استمرّ بهم الحال، و كلّ يوم يصبحون في قيل و قال، و كلّ من الفريقين واقف على قدميه كالسبع الصيال.

و لما كان اليوم الثالث عشر وقع الاتفاق بين الشريف سعد و السيد حمّود على قدر معلوم من المعلوم، و عيّنت جهاته، و كان يوما عظيما عند الناس، و حصل بذلك الأمن، و ارتفع البأس، و أمر الشريف سعد بالزينة ثلاثه أيام.

ثمّ كتب محضر من الشريف سعد إلى الدوله العليّه بإنهاء ما صار من وفاه الشريف زيد رحمه الله تعالى، و جلوس الشريف سعد بعده، و التماس تأييده و بقاءه، و عليه خطوط الأعيان، و ذهب به عبد والده المذكور سابقا بلال آغا إلى مصر، و سلّمه صاحب مصر، فأرسله إلى الدوله العليّه مع مزيد الاعتناء من عنده، و أصحبه مكتوبا من عنده.

و صدر أيضا عرض آخر من السيد حمّود ينقض ما كتبه الشريف سعد، و لم يكن عليه إلا خطوط الساده الأشراف، و أرسله مع رجل من أهل مصر يسمّى الشيخ عيسى، فقضى الله عليه بعد دخوله إلى مصر بيومين، فوجدوا العرض في تركته، فلم يجده (1).

و صدر أيضا عرض ثالث من السيد محمّد يحيى بن الشريف زيد من المدينه؛

ص: ٢٧٩

(١-١) في السمط: و لم يصل مقصده.

لأنه كان عليها (١) خطوط الأعيان من أهل المدينة، و أُلزم نفسه أربعين ألف دينار لوزير الدوله العثمانيه.

فلما كان اليوم الثاني و العشرون من شهر رجب المعظم: وصل البشائر و الأخبار الصحيحه، بأنّ الدوله قد أنعمت على الشريف سعد بشرافه مكّه المشرفه.

و في سادس عشرينه: وصل رسول حضره السلطان بالخلعه الشريفه، و معها مصلاه الذي يصلّي عليه و الأمر السلطاني، فلبس الخلعه مولانا الشريف سعد بالمسجد الحرام على العاده المألوفه، و قرىء الأمر السلطاني بحضور جميع أعيان مكّه المشرفه في اليوم المذكور من الشهر المذكور من السنه المذكوره.

فتأطّدت شرافته، و شيّدت بالتوفيق خلافته، و عطس بالمسرّه أنف صباحه، و أضاء في قصور المجد نور مصباحه، فأمر و نهى، و تسنّم ذروه السهي، و أحسن السيره، و أخلص مع رعاياه السريه، فاستقام ملكه، و استقلّت في بحار السعاده سفنه و فلكه (٢).

و أمّا ذاته الساميه الشريفه، فقد تفتّياً عفاته ظلال مكارمه الوريثه، لأنّه علم الكرم (٣) المشار إليه، و معلّم الجود المجمع بالثناء عليه، ولى شرافه مكّه أربع مرار، و دفاع أياديه ليس له حدّ و لا قرار.

فتى يروم المكارم عن يديه زكى عن زكى عن زكى

سيول عن حياء عن بحور عن الإفضال عن كفّ ملى

ص: ٢٨٠

١-١) في «ن»: بها.

٢-٢) سمط النجوم العوالى ٤:٤٨٨-٤٩٠.

٣-٣) في «ن»: الكرام.

و الحاصل أنّ أخبار كرمه تتناقلها الركبان، و يرويها لسان الزمان، لا يعفى لها أثر، و لا تنسخ لها آية خبر، مع كونه محك الآداب، و مفرع أبكار معاني خردها الكعاب، بفهم يتجدده، و ذكاء يتوقده، مدحه شعراء زمانه، فقلدهم بعقود بزه و إحسانه.

فمن جمله من مدحه، و أنعم من بزه قدحه، الأديب الفاضل، و الأريب الكامل، الشيخ عبد الملك العصامي (1)، بقصيده طائيه مطلعها:

سقى الغيث ذياك الابريق و السقطا فأنتبت في أرجائها (2) الرند و الأربطا

و حيا ربا تلك المعاهد فاكتست رياض لها من نسج إبرته بسطا

معاهد لمياء البديد تعطرت و مائث ميثاها بما تسحب المرطا

لها بشر كالماء إذ قلبها صفا و ناظرها كالسيف لكنّه أسطى

إذا ما دجى ليل حكى ليل شعرها (3) و إن لاح نجم الافق سمنا به القرطا

رواح إذ لاحت فكالبدرا (4) أورنت فكالظبي أو ماست ترى الحلّ و الربطا

أراشت لأحشائي رواشق مقله ترى نبلها يصمى الفؤاد إذا أحظا

و منها:

ص: ٢٨١

١- ١) و هو عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي، توفي سنة (١١١١) له كتاب سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل و التوالي، قد أكثر المؤلف النقل عنه في كتابه هذا.

٢- ٢) في السمط: أرجائه.

٣- ٣) في السمط: ليل جورها.

٤- ٤) في السمط: رداح إذا لاحت فكالشمس.

سقاها و مرباها سحوح من الحيا و روّى على أكنافها الأثل و الخمطا

فوا شوق أحشائي للحظه لحظها و أتى بها إذ قد نأت دارها شحطا

بلى قد نأت عنّى و لا بين بينها (١) و بدّلت من عين الرضا بالجفا سخطا

كذلك أخلاق الغوانى و من يرم بهنّ الوفا كالمبتغى فى الأضا قرطا

و منها:

و من لم يزد دون (٢) التصابى و سربه قصاراه فيها إن يذلّ و ينحطّا

و يمسى صريع العين لا ناصر له سوى عبره يروى تفجّرها سطا

نعم لو نحا فى كلّ أمر يؤوده مليك الورى سعد بن زيد لما شطا

مليك له من طينه المجد جوهر به ازدانت الدنيا و قدما هى الشمطا

شريف العلا و الذات فى الوصف متم إلى خير أصل طاب فى قته (٣) ربطا

و منها:

طويل البنا رحب الفنا منهل الغنا مزيل العنا مولى المنى للهى (٤) سفظا

عريض الجدا غوث الندا مورد الندا حمام العدى مردى الرد للهدى فرطا

فيا بن رسول الله و ابن وصيه و درّه عقد كنت أنت له وسطا

لقد حطت أكناف الخلافه عزمه و قمت بها حفظا و شيدها ضبطا

و منها:

ص: ٢٨٢

١-١) فى السمط: بيننا.

٢-٢) فى السمط: ذود.

٣-٣) فى السمط: قنسه.

٤-٤) فى السمط: باللهى.

أبى الله إلا أن تحلّ محلّه بمرتبه عزّت لغيرك أن تمطى

فوافقك بالتأييد ما كان كامنا من الأزل العلوى ينتظر الشرطا

فما خطّ تقليدا على الطرس كاتب و لكن قضاء الله من قبله خطّا

و منها و هو آخرها:

سأملأ ديوانى بمدحك مدحه لشعرى لكى يستوجب الحمد و الغبطا

قدم و ابق و اسلم لا برحت مؤيدا على العزّ مهما أن تحاوله تعطى

و لا زلت محفوف الجنب عزيزه رعاياك لا تخشى اهتضاما و لا قنطا

مدى الدهر ما طاب القريض بمدحك فأخجل مسك الختم و الندّ و القسطا (١)

هذا ما اخترته من القصيده فأوردته، و هو المقدار المتضمّن لما أردته، و مدائحه رحمه الله تعالى كثيره لا تحصى، و لا يستوعبها الاستقصاء.

عودا إلى حال الشريف سعد و السيد حمّود:

قد تقدّم تفصيل ما بنى الصلح بينهما عليه، و استند كلّ منهما إليه، فاستمرّا على كيفيته حسنه، و حاله مستحسنه، إلى أن حصل بينهما التنافر و الفراق، و قام كلّ واحد منهما فى مقاومه صاحبه على ساق، و ذلك بأسباب عدم إيفاء الشريف سعد بما رتبه للسيد حمّود من تلك المقررات و الوعود، مع ما فى نفسه من اختلاف الأحوال عمّا كان فى ذهنه.

فأزمع على الترحّل عن البلاد، و مفارقه العيال و الأولاد، ففارق الشريف سعد، و برز يوم الأربعاء ثامن ذى القعدة الحرام من سنه سبع و سبعين و ألف، و أقام بالزاهر، ثمّ توجه إلى وادى مرّ، و أقام به بمن معه من الساده الأشراف و الخدّام

ص: ٢٨٣

و فى أثناء إقامته يرسل إلى مكّه ليلا من يصيح فى أطرافها، و يشنّع بالنهب فى حوافها و أخطافها، استنهاضا لسلطانها، ليذبّ عن سكّانها، فيحصل المراد، بخروجه إلى ظاهر البلاد، غير أنّه لم يستخفّه الطيش، و لا- برز من داره بجيش، بل حفظ بلاده، و حشد عساكره و أجناده.

و لم يزل السيّد حمّود مقيما بالوادى إلى يوم أربع من ذى الحجّه الحرام، فقدم عليه الحاجّ المصرى، و أميره فى تلك السنه ازبك بيك.

قال العصامى: و لما كان يوم السبت رابع ذى الحجّه الحرام من السنه المذكوره، قدم على السيّد حمّود الحاجّ المصرى، و الأمير عليه ازبك بيك، فركب إليه السيّد حمّود و من معه من الساده الأشراف و الأتباع.

فقدت الأشراف من أنفسها طوقا على، و طاق الأمير و عسكره، و لم يدخل إليه إلاّ ثلاثه أشخاص: السيّد حمّود، و السيّد أحمد الحارث، و السيّد بشير بن سليمان، فأنهوا إليه الحال (١)، و عدم الوفاء من الشريف سعد فيما التزم لهم به من معاليمهم و مجاهيهم (٢)، و أنّها أمير لا ندع أحدا يحجّ إلاّ أن نأخذ ما هو لنا، و كان قدره مائه ألف أشرفى، فالتزم للسيّد حمّود أن ينقده الشريف سعد قبل الصعود خمسين ألفا منها، فقبل ذلك منه، و خلّى سبيله و من معه.

فلما دخل الأمير مكّه يوم خامس ذى الحجّه الحرام، خرج إليه الشريف سعد إلى المختلج، فلبس الخلع المعتاده، ثمّ كلّمه الأمير فيما التزمه للسيّد حمّود و من

١- ١) فى السمط: حالهم.

٢- ٢) فى السمط: و مجانيهم.

معه، فصَدَّقَ التزامه، وأسلم خادم السيّد حمّود الخمسين الألف قبل الصعود من السيّد إبراهيم بن محمّد بإحاله من مولانا الشريف، ثم دخل الأمير الشامي في سابع ذى الحجّه الحرام، وألبس مولانا الشريف على العاده.

إلى أن قال: ثم لما كان يوم الاثنين عشرين ذى الحجّه الحرام، ووصل مكّه مولانا السيّد حمّود، و معه السيّد عبد المعين بن ناصر بن عبد المنعم بن حسن، و السيّد محمّد بن أحمد بن عبد الله بن حسن، و السيّد بشير بن سليمان بن موسى بن بركات بن أبي ندى، و السيّد مبارك و السيّد نافع إبن السيّد ناصر بن عبد المنعم في نحو تسعه أشخاص، و من العبيد نحو خمسه و ستين عبدا.

و ما ذاك إلاّ لأنّ أمير الحاج و كبار العساكر قصدوا الصلح بينه و بين الشريف سعد، فتردّدت الرسل بينهم و بينه يطلبونه لذلك، و ألزموه برسل من القاضى وصلوا إليه إلى وادى مرّ، فجاء و حضر عند مولانا الأندى، و حضر الامراء و وجوه أركان الدوله و عماد آغا، و أكابر العساكر المصريين.

فأرسل مولانا الشريف سعد بلال آغا و كيلا عنه في الخصومه و الدعوى، فاغتاظ مولانا السيّد حمّود من ذلك، و أراد الفتك به في ذلك المجلس، فذهب مسرعا فزعا، فأرسل الشريف أخاه السيّد محمّد يحيى و كيلا عنه، و تطالبا على يد الحاكم الشرعى، و طال المجلس، و لم يقع بينهما اتفاق، ثم ادّعى عليه بما أخذه من طريق جدّه من الأموال، و لم يثبت عليه وجه شرعى في ذلك، و طلب مولانا السيّد حمّود أن يتوجّه إلى الديار المصريه، و يرفع أمره إلى الحضرة السلطانيه، فأذنوا له، و اتّفق الحال على ذلك.

ثم إنّه لما توجه الحاج الشامي و سائر الحجاج، توجه معهم حتّى توصل إلى بدر، فتخلف عنهم و أقام بها.

ولما دخلت سنه ثمان و سبعين و ألف، توجه مولانا السيد حمود من بدر إلى ينبع في شهر صفر منها، و أرسل ولده السيد أبا القاسم بن حمود، و أرسل مولانا السيد أحمد الحارث ولده السيد محمد بن أحمد، و معهما السيد غالب بن زامل بن عبد الله بن حسن، و جماعه من ذوى عنقاء السيد بشير و محمد و ظافر بنى السيد واضح، و السيد محمد بن عنقاء و ولده، و أرسل معهما قودا هديّه إلى باشا مصر المسمى عمر باشا نحو سته أفراس، منهنّ البغيله و الهدبا و الكحيله.

فساروا إلى أن بلغوا الحوراء (1) المنزل المعروفه، فلاقاهم قاصد من إبراهيم باشا المتولى بعد صرف عمر باشا، بمكاتيب متضمنه للأمر بالإصلاح، و الاتفاق على نهج النجاح، فرجع السيد غالب بن زامل صحبه القاصد لينظر ما يتم عليه الحال، فتقطع مادّه القيل و القال، و تسقط كلفه الارتحال.

فأقام القود و من معه بالحوراء نحو من خمسه عشر يوما ينتظرون الفرج بعد الشده، فلم يصل إليهم خبر بعد هذه المدّه، فلما لم يصل إليهم خبر ساروا إلى مصر، فدخلوها ليله عيد المولد، و قدّموا مكاتيبهم و القود لإبراهيم باشا، فأكرمهم و أعظمهم و أضافهم و احترمهم.

فاستمرّ الحال كذلك إلى شهر جمادى الآخره، و لم يرجع ذلك القاصد من مكّه إلى مصر، فاشيع بها أنّ الساده الأشراف قتلوه، فحصل الهرج و المرج، و جاءت الأكاذيب فوجا بعد فوج، فأشار بعض الأشقياء على الباشا يامساك السيدين أبا القاسم و محمد، فأمر بنقلهم من محلّهم الأوّل و هو قايتباى إلى بيت يوسف بيك.

ص: ٢٨٦

١-١) الحوراء: كوره من كور مصر القبليه فى آخر حدودها من جهه الحجاز، و هو على البحر فى شرقى القلزم.

أقول (١): قد وصل السيد محمد يحيى بن الشريف زيد إلى مكّه في أواخر سنه سبع و سبعين، و تقدّم أنّه هو الذى كان و كيلا عن أخيه الشريف سعد فى الدعوى على السيد حمّود، لَمّا حضر بمجلس أفندى الشرع الشريف فى موسم السنه المذكوره، فاستمرّ معه إلى عقب ذهاب الحجّ، ثمّ طلب من أخيه الشريف سعد أن يجعل له ريع محصول البلاد، و ينادى له به، فامتنع الشريف من ذلك، فغضب و برز من مكّه متوجّها إلى السيد حمّود، و أقام بالزاهر مدّه.

ثمّ إنّ هذا الخبر بلغ السيد أحمد بن زيد و كان بالشرق، فجاء مسرعا، و لحق السيد محمد يحيى قبل أن يتوجّه، و أرضاه بجمله من المال، فلم يرض إلاّ بالمشاركه فى الربع و بالنداء فى الحال، و توجه و لحق بالسيد حمّود و اتّفق معه (٢).

إنتهى ما أردنا نقله من تاريخ العصامى.

واقعه السيد حمّود و العساكر المصريّه

نقول: قد تقدّم ذكر اعتقال صاحب مصر للسيدين الشريفين: السيد أبى القاسم ابن السيد حمّود، و السيد محمد بن أحمد الحارث، حين بلغه ما شاع بمصر من أنّ الساده الأشراف قد لزموا رسوله الذى أرسله لقصد الصلح و قتلوه، مع تحسين ذلك الشقى له لزمهما و اعتقالهما، ثمّ نقله لهما من ذلك الموضع إلى أضيّق منه، ثمّ عزم و صمّم على إرسال عسكر نحو خمسمائه لمقاتله السيد حمّود و من معه، و أقام عليهم يوسف بيك أحد سناجق مصر، و بعثهم إليهم، و معهم مسلم بندر جدّه.

فلَمّا بلغ ذلك السيد حمّود و الأشراف الذين معه، جمعوا جموعا من أهل ينبع

ص: ٢٨٧

١-١) القائل هو صاحب السمط.

٢-٢) سمط النجوم العوالى ٤:٤٩٤-٤٩٦.

و جهينه و غيرهم، و ورد عليهم أيضا في أثناء هذه المدّة السيّد سعيد بن شبر (1) بن حسن بن أبي نمي؛ لأنّه وصل في تلك الأيام من جهه بيشه، ثمّ لم يتفق مع الشريف سعد، فلحق بالسيّد حمّود و رفاقته، و وفد عليهم في تلك الأيام، فقربت منهم العساكر، فأرسل إليهم السيّد حمّود بأنكم لا تمّرون بنا إذا لم يكن معكم السيّد أبو القاسم و السيّد محمّد، فتشاوروا بينهم؛ لأنّ مقصدهم الوصول إلى مكّه أوّلا، ثمّ العود إليهم ثانيا.

فأشار على البيك كبار جماعه بالعدول عن هذا الطريق إلى طريق اخرى، فلم يلتفت إلى هذا الرأى، و الحال أنّ صحبته جماعه من التجّار و معهم أموال عظيمه، و هم من جمله من أشار عليه بالعدول، فأبى إلاّ تنكّب طريقه التي هو سالكها لأجل وقوع قضاء الله تعالى بهم، و كان أمر الله حتما مقضيا.

فأوقع بهم السيّد حمّود واقعه عظيمه، و أغار عليهم غاره جسيمه، لا- تصدر إلاّ- عن أبناء الحسن السبط، الذين ما شأن أصلهم الشريف روم و لا قبط، و استأصلوهم عن آخرهم إلاّ مقدار مائه شخص منهم، و الباقون ذهبوا تحت السيف، و غنموا منهم أموالا جزيله لا تحصى.

و أمّا صاحب أمرهم يوسف بيك، فأمسكوا عليه، و أمر مولانا السيّد حمّود بجمع حريمه و حريم غيره و نصب لهم خياما، و أجرى عليهم نفقاتهم، ثمّ مات البيك المذكور في ينبع بعد الوقعه بأيّام، و كانت وفاته يوم الأربعاء رابع عشر شهر رجب المعظّم سنه ثمان و سبعين و ألف.

و أمّا قتلى الساده الأشراف-رحمهم الله تعالى-فهم أربعة، و هم: السيّد سرور

ص: ٢٨٨

(١-١) في «ن»: بشير، و في السمط: شبر.

ابن حسين بن عبد الله، والسيد شبير بن أحمد بن عبد الله، والسيد إلياس (١) بن عبد المنعم بن حسن، وشخص من ذوى عنقاء
يسمى السيد زين العابدين بن ناصر، تغمدهم الله برضوانه، وأسكنهم فسيح جنانه.

و كان وصول الخبر بهذه الواقعة إلى مكة المشرفة فى التاسع عشر رجب المعظم، و صار بمكة اضطراب عظيم.

و أمّا السيدان الجليلان السيد أبو القاسم بن حمّود، والسيد محمّد بن أحمد الحارث، فلما وصل الخبر إلى مصر بما صار من
السيد حيوود و بنى عمّه على عساكرهم، اشتدّ خنق صاحب مصر، و أمر بقتل من بها من أتباع هذين السيدين، و تتبعهم فى
محالّهم، و ضيق على السيدين فى اعتقالهما بنقلهما إلى حبس شنيع لا يليق بهما، و جمع العلماء و استفتاهم فى قتلهما، فامتنعوا عن
الافتاء بذلك، فغلاظ عليهما الحبس.

و استمرّ إلى أن رفع إبراهيم باشا، و تولّى إياله مصر شخص آخر سنة ثمانين، فسأل عن حالهما من حين دخوله، و عن سبب
حبسهما، فاخبر بقضيتهما، ثمّ تفحص إلى الغايه عن حالهما بسؤالات كثيره، حتى ظهر عنده و بان أنّهما مظلومين، فأمر بالإفراج
عنهما، و إحضارهما لديه، فأكرمهما غايه الإكرام، و خيرهما بين الإقامة و العود، بعد أن أنزلهما فى بيت نقيب الأشراف، و
أكرمهما هو أيضا بما لا مزيد عليه.

ثمّ مشى السيد محمّد إلى مكة المشرفة على ركائب، و وصل مكة فى سنة ثمانين. و أمّا السيد أبو القاسم، فتأخّر عنه بأسباب، و
استمرّ إلى أن دعاه داعى

ص: ٢٨٩

١ - ١) فى النسختين: لباس.

الحقّ فأجاب، و كانت وفاته في شهر شوّال من سنه إحدى و ثمانين و ألف بالطاعون (١).

كيفية الصلح بين سعد و حمّود

قلت: لم يزل السيّد حمّود -رحمه الله تعالى- مقيماً بينبع بعد الواقعة المشروحة، ثمّ انتقل إلى جهة الشرق، و صارت له به الوقعات العظيمة، المقرونه بالظفر و النصر، المرويّه إلى هذا العصر بلسان الدهر، كوقعه نعار مع عنزه، و وقعه بنى حسين، و وقعه هيثم العوازم، و وقعه مطير، و وقعه ظفير (٢)، و غير ذلك.

و لم يزل على هذا الحال و هو في غايه الإعزاز و الإجلال، إلى أن أذن الله بينهما بالصلح المستمر، و الحال الجميل المستقر.

فهياً بقدرته الصالحه لتقريب المداخله بينهما و المصالحه، فأبرز سعدا و ذويه، إلى جهات الشرق و نواحيه، في أوائل سنه إحدى و ثمانين، لإطفاء نار فتن المفسدين، من الأعراب المتمرّدين، فوصل في سابع عشر جمادى الآخرة إلى أرض المبعوث، و استدعى به عبده يعوق و يعوث، من هؤلئك البادية الطغام، المجدّدين لأيام الجاهليه بعد الإسلام، فحكّم في قمعهم بأثر صولته، و اقتضى فيما صدر منهم في مدّه دولته، فناصرهم في أموالهم، بعد أن شتت بعضهم هيبته منتظمات أحوالهم.

ثمّ دخل الطائف لزياره حبر الامّه، واسطه عقد الأئمّه، فوفد عليه مولانا السيّد حمّود، فصفت بينهما الخواطر، و تبدّل الوعيد بالوعود، و خمدت نيران الفتن،

ص: ٢٩٠

١- (١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤٩٧: ٤-٥٠٠.

٢- (٢) قد ذكر أرباب التواريخ تفصيل هذه الوقعات، لا مجال هنا لذكرها، فراجع.

و غاضت دواعى المفاسد و الإحزن، بعد أن تلقاه بنهايه الإعزاز و الإكرام، و أردف عليه غنائم العطايا و الإنعام.

ثم بعد ثلاثة أيام من وروده تكاتبا و تعاهدا على تشييد مباني الصلح المحكم الأساس، بمرأى من ضريح سيدنا عبد الله بن العباس، و استمرّا على ذلك (١).

فصل منيف

إشاره

يتعلّق بحوادث أيام هذا السيد الشريف

الغلاء العظيم و القحط الشديد بمكّه:

ففى سنه ولايته: حصل بمكّه المشرفه غلاء عظيم، و قحط شديد، و زاد و تقوى ذلك فى سنه ثمان و سبعين، إلى أن حلّت الميته لأهل مكّه، و اكلت الكلاب و البسس (٢)، و باعت الناس جميع أوباشهم و أثاثهم، و صار الفقراء يهجمون البيوت.

و ذكر المؤرّخون أنّ غالب الفقراء و الضعفاء يكون الواحد منهم ماشيا فيطيح و يموت، و منهم من يكون جالسا فتنهفت روحه، و قد شوهد ذلك.

و أمّا بندر جدّه، فكان من أعظم، بحيث إنهم يرسلون إلى مكّه لطلب القوت فلم يجدوه، و أهل الطائف فاجتمعت عليهم الكلمات الثلاث: البرد، و الجوع، و المخافه، و وصلت كيله الحبّ عندهم إلى خمسين محلقا (٣).

و فى سادس رمضان منها: اجتمع الرعيه، و توجّهوا إلى مولانا الشريف سعد،

ص: ٢٩١

١- ١) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ٨٨: ٢-٩١.

٢- ٢) البسس: الناقه التى لا تدرّ إلا على الإبساس.

٣- ٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٥٠١: ٤ و ٥٠٣.

و رفعوا أصواتهم بين يديه يشكون الناظر و المحتسب عليه، فأمر بإحضارهما، و حكم بعزلهما و حبسهما؛ لتواتر الخبر عنده بظلمهما و بأكلهما الرشا (١).

و فى هذه السنه: وصلت قيمه الأردب الحبّ إلى أربعين أحمرًا، ثمّ إلى خمسين، و طحنت الفول و الحمص أهل مكّه و جعلوه خبزًا و لم يجز.

ثمّ عدم الحبّ و غيره بالكليّه، و مع شدّه الغلاء و قوّه القحط تفرّقت البوادي و العربان، كعتيبه و هذيل و لحيان و غيرهم فى الطرقات، و صاروا ينهبون و يأخذون كلّما يجدوه (٢).

إغاره قبيله عتيبه على القوافل:

و فى شهر رجب من السنه المذكوره: أخذت عتيبه قافله نحو العشرين الجمل من أقوات و قماش فى منزل السيل من طريق الطائف بعد قتال بينهم و بين أهل المنزل المذكور، فقتل واحد من أهل المنزل، و جرح آخرون.

و فى ثامن شهر رمضان من السنه المذكوره: وصل إلى وادى مرّ جملة من قبيله عتيبه فى مائه مردوفه - و قيل: مائتين - فأخذوا جميع ما وجدوه و انصرفوا، فأرسل الشريف فى أثرهم جمعا من الأشراف و العساكر صحبه أخيه السيّد أحمد، فلحقوهم بعد ليل، و ظفروا بهم، و أخذوهم و قتلوهم، و أحرزوا منهم مالا عظيما (٣).

ص: ٢٩٢

١-١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٠١.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٠١.

٣-٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٠١-٥٠٢.

ظهور عمود من نور في المغرب:

و في الليلة الثالثة و العشرين من شهر رمضان: ظهر عمود من نور نحو الغرب مهيل طويل، و غلظه كطوله، و حصل بسببه رعب للمسلمين، و هو من الآيات للمعتبرين، و ظهر في الليلة الثانية و الثالثة لكنّه في الطول أكثر، بحيث إنّهُ امتدّ إلى ثلث السماء، ثمّ إنّهُ صار يضعف نوره و يتقهقر إلى ليله الثامن من شوال لم يظهر له نور بالكلية، قاله العصامي (١).

وصول عساكر المصريين إلى بندر جدّه:

و في يوم الثلاثاء ثامن عشر شهر شوال من السنه المذكوره: وصل خير من بندر جدّه بوصول جماعه من العسكر المصريين بحرا، و أخبروا بأنهم مقدّم رتبه واصله إلى مكّه المشرفه، يدخلون في ثلاثه آلاف، تجهّزت بعد قضيه السيّد حمّود المتقدّم ذكرها لمحاربتة و محاربه من كان معه، و أخبروا أيضا بتجهيز المراكب، فاستبشروا أهل مكّه بذلك (٢).

قصد السيّد حمّود نهب ينبع:

و في ثاني ذى القعدة الحرام: بلغ مولانا الشريف أنّ السيّد حمّود قصده نهب ينبع، فجهّز مائتين من العسكر، و أقام عليهم بلال آغا ليملكوا في ينبع، فمشوا بحرا، فاتجهوا بعسكر التجريده المتقدّم ذكرها، و عليهم محمّد جاوش، فردّهم معه إلى بدر، ثمّ مشى إلى مكّه و معه بلال آغا، و ذهبت الرتبه إلى ينبع البحر

ص: ٢٩٣

١-١) سمط النجوم العوالي ٤:٥٠٢.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالي ٤:٥٠٣.

و أقامت به (١).

حمل الأرزاق إلى مكة:

و فى سابع عشره: دخلت إلى بندر جدّه عشره مراكب و فيها العسكر، و حمل الحَبّ و جرايات لأهالى مكّه، فحصل لهم بقدمها غايه الاستبشار بعد ذلك الغلاء و القحط (٢).

وصول الحجاج المصريين:

و فى أوّل ذى الحجّه الحرام: دخلت إلى مكّه المشرفّه حجاج البحر و العساكر المصريون.

و فى الرابع منه: دخل الحجاج المصرى، و صحبته خلعتان لمولانا الشريف سعد:

إحدهما من حضره السلطان محمّد خان، و الثانيه من صاحب مصر.

و كان الحجاج فى هذا العام قليلين إلى الغايه، فخرج جمع يسير، و خرج قبلهم العساكر المصريون، فتلاقوا قبل ينبع بثلاثه أيام، و دخلوا إلى ينبع سواء، و أقاموا فيها نحو سته أيام، و هم يكاتبون السيّد حمود، و يجيبهم بأغلظ من كلامهم، فركبوا عليه، فلم يجدوا إلاّ خياما خاليه، ثمّ تشاوروا.

فاتفق رأيهم أن يقيم البعض لحفظ البندر، و البعض الآخر و هو الأكثر يحجّ، فتوجّه العسكر و معهم سنجقان، و الثالث محمّد جاووش، و هو رئيس العسكر و كبيرهم و شيخ الحرم، و سنجق جدّه المعمور، فدخلوا فى موكب عظيم يوم سبع

ص: ٢٩٤

١-١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٠٤.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٠٤.

من ذى الحجة الحرام، و فى ثامن ذى الحجة دخلت بقيه الحجوج (١).

و فى سادس عشرى ذى الحجة الحرام: توجه الحاج المصرى و العسكر و مولانا الشريف سعد إلى ينبع على السيد حمود، و أقام مقامه بمكة أخاه السيد أحمد، فلما وصلوا إلى ينبع تشاوروا فى أنهم يقيمون فى ينبع، أو يتوجهون خلف السيد حمود، أو يرجعون إلى مصر، فاتفق رأيهم أنهم يذهبون إلى مصر، و أقام الشريف سعد و جوشه و محمد جاوش.

و فى أثناء إقامته اقتنص جماعه من المفسدين الذين كانوا فى حرايه السيد حمود و حبسهم، و غرّمهم أموالا عظيمة، صار ذلك فى شهر محرم الحرام إفتتاح سنه تسع و سبعين و ألف (٢).

ظهور ضوء هائل بالقرب من عين الشمس:

و فى الاثنين حادى عشر ذى القعدة الحرام من السنه المذكوره: وقع أمر مهيل بعد طلوع الشمس بساعتين، و هو أنه ظهر من عين الشمس، أو بالقرب منها، ضوء هائل كالنجم، ثم استطال و امتدّ إلى جهه المغرب، و حصل لمن رآه حال مع غشاوه على بصره، و ارتعدت فرائصه، فانزعجت منه القلوب، و هو مشتمل على زرقه و صفره و حمره.

ثم إنه ذهب طرفاه، و بقى الوسط، و اتسع فى العرض، فخرج صوت كالرعد، و لم يكن غيم و لا سحاب، و ظنّ بعض الناس أنه صوت مدفع، و استمرّ ساعه، ثم اضمحلّ ذلك الباقي من الشعاع إلى سحاب، فكثير كلام الناس فى ذلك. انتهى قاله

ص: ٢٩٥

١-١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٠٤-٤:٤٠٥.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٠٥-٤:٥٠٦.

بناء الشاخص في المسجد الحرام:

و في هذا اليوم بنى الشيخ العالم العلامة الشيخ محمد بن سليمان المغربي فى صحن المسجد الحرام بعض أحجار، ليضع فوقها حجرا كبيرا مكتوبا فيه شاخصان من حديد، يستفاد منه بالظل ما مضى و ما بقى من النهار، بالتماس جماعه من المسلمين، ليكون نفعه عامًا للامة أجمعين.

فعند ذلك قال جماعه من الجهله ممن لا- خلاق لهم: إن هذه الحادثة التى وقعت فى السماء بأسباب هذه الواقعة التى فى الأرض؛ لأنهما كانتا فى يوم واحد، و فى ساعه واحده.

فكان الناس فى شأنها حيارى، و كثر فيها القيل و القال، حتى رفع الأمر إلى الشريف سعد، فأمر بوضعها، و عند تركيب الحجر المكتوب حصل منع من قاضى الشرع الشريف، فاستفتى الشيخ المذكور شيخ الإسلام، فأجاب بجواز وضعه إذا كان نفعه عامًا للمسلمين، فوصل حضره القاضى إلى دار الشيخ معتذرا و أمر بوضعه، فوضع فى اليوم الثانى و بقى على حاله (٢).

وصول حسن باشا إلى مكة و نبذه من أخباره:

و فى رابع ذى الحجة الحرام ختام السنه المذكوره: واصل إلى مكة المشرفة نجاب من المدينة المنورة بخير حسن باشا مع الحاج الشامى، و أن بيده أرقام من الدوله العلية بالتصرف فى أرض الحجاز و النظر العام.

ص: ٢٩٤

١- ١) سمط النجوم العوالى ٤:٥٠٩. و راجع: إتحاف فضلاء الزمن ٢:٩٤.

٢- ٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥١٠، و إتحاف فضلاء الزمن ٢:٩٤.

و سبب ذلك: أنه صدر من أهل المدينة المنورة شكايات للشريف سعد بكثرة مظالمه و تعدياته مع جماعه منهم، فدخل حسن باشا المذكور إلى المدينة بنهايه العظمه، و تلقاه أعيانها، ثم بعد استقراره وصلوا إليه أهل المدينة، و بثوا لديه ما لحقهم و ما صار عليهم، و أفهموه ببعض أشخاص ممن كان يميل مع الشريف سعد و يعينه في تنفيذ أوامره بمظالمه، فأمر يهانتهم و اعتقالهم.

ثم توجه إلى مكه المشرفه، بعد منع خطباء المدينة المنورة عن التصريح بذكر الشريف سعد، فتوهم الشريف منه غايه التوهم، و جمع جموعا من البادية و استعد لمقابلته استعداد مثله (١).

و في اليوم السادس من ذى الحجه: دخل الحاج المصري، و لبس الشريف الخلع المعتاده. و فيه دخل الحاج الشامي، ثم بين الظهريين دخل حضره حسن باشا في موكب عظيم، و هو في باطن تخته، و نزل عند باب السلام، و دخل المسجد الحرام (٢).

و في اليوم السابع: دخل المحمل الشامي، و لبس حضره مولانا الشريف سعد الخلع الثانيه على العاده و القانون من أمير الحاج الشامي الأمير عياف بن الأمير محمّد فروخ، إلا أنه بعد شاع و اشتهر و ظهر من حسن باشا ما ظهر، توقّف الشريف سعد عن الصعود إلى عرفات، حتى يستبين ما بيد المذكور من الأوامر السلطانيه، فأفهمه بذلك و أفهم الامراء و الأعيان، فاضطربوا اضطرابا شديدا، و عزّلت الأسواق، و خليت الطرقات.

ص: ٢٩٧

١-١) راجع: سمط النجوم العوالي ٤:٥١١، و اتحاف فضلاء الزمن ٢:٩٥.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالي ٤:٥١٢.

فوصل الامراء و الأعيان إلى حضرته الشريفه، و هؤنوا عليه الأمر، و تكفلوا له جميع المخالفات من حسن باشا، فبعد أن اطمأن إلى كلامهم نادى مناديه بالأمان، و بسط الأسواق، و الصعود إلى الحج على العاده، و سعد هو أيضا على عادته، و حجّت الناس من غير ضرر و لا بأس (١).

و فى ثانى شهر محرّم الحرام من سنه ثمانين و ألف: صار محضر خلف مقام الحنفى، و فيه الأمير عساف بن الأمير محمّد فرّوخ و أعيان الدوله و جمع من المسلمين، و حضره حسن باشا و الشريف سعد، و أصلح هؤلاء الأعيان بينهما، و أزالوا تلك الكدوره، و قاموا فتداخلا و تهاديا.

و فى اليوم العاشر منه: توجّه حسن باشا إلى بندر جدّه بعد اجتماع بينه و بين الشريف، تعاهدا فيه، و قدّم له حضره الشريف جوادا مكتملا بالعدد الفاخر (٢).

و فى اليوم الخامس من شهر ربيع الأول: دخل السيّد الشريف السيّد محمّد يحيى بن الشريف زيد مصالحا لأخيه، فحصل من العساكر المصريين المقيمين بمكّه المشرفه بعض كلام فى دخوله، حيث كان مشاركا للسيّد حمود فى تلك الواقعة، فسكّتهم الشريف بكتاب وصله من حضره الباشا باستحسان صلحه و دخوله البلاد (٣).

توجّه الشريف محمّد يحيى إلى قبيله بنى سعد:

و فى شهر ربيع الثانى: توجّه مولانا السيّد محمّد يحيى إلى قبيله بنى سعد

ص: ٢٩٨

١-١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥١٢.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥١٣.

٣-٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥١٤.

لخروجهم عن الطاعة، فلم يقدر عليهم، فأرسل إلى أخيه الشريف سعد يعرّفه بذلك، فأرسل إليه بجموع جزيله، وقبل وصولهم إليه دانوا لطاعته على إعطاء الأموال و سلامه الأرواح (١).

وصول سلطان من سلاطين العجم إلى مكة:

و في ثاني رجب الفرد: وصل إلى بندر جدّه سلطان من سلاطين العجم، فأرسل إليه الشريف سعد رسلا بالسلام، و معهم ستّه تخوت، و لاقاه شيخ إسلام مكّه المشرفه من مرحله، ثم دخل به إلى مكّه، و والاه في جميع نسكه، و أدرك منه مولانا الشريف مالا عظيما (٢).

وفاه الشيخ عيسى الثعالبي:

و في رابع عشرى رجب المذكور: توفى الشيخ الجليل العلامه الشيخ عيسى بن محمّد بن محمّد بن أحمد الثعالبي المغربي (٣).

وقوع صاعه مهيله بمكّه:

و في تاسع عشر رمضان من السنه المذكوره: وقعت بمكّه صاعقه (٤) قتلت رجلا (٥).

ص: ٢٩٩

١-١) راجع: سمط النجوم العوالى ٥١٤:٤-٥١٥.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥١٥.

٣-٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥١٦، و فيه «الجعفرى» بدل المغربى.

٤-٤) فى السمط: صاعقه جهه الشيبكه.

٥-٥) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥١٨.

و في سادس شهر محرم الحرام سنه ألف و إحدى و ثمانين: توفى الشيخ عبد الكبير بن محمد المتوكل (١).

تشارك السيد أحمد مع الشريف سعد:

و في سابع عشره: نودى بمكة على الأشهار بالربع للسيد أحمد بن زيد، و أمر الخطيب بالدعاء له بعد أخيه، و عرف الدوله بذلك، فكانت تصل منهم خلعتان، يلبس كل واحد منهما واحده (٢).

فصل: في حال حسن باشا و ما وقع عليه و ما صدر منه ملخصا

اشاره

في حال حسن باشا و ما وقع عليه و ما صدر منه ملخصا

و هو أنه حج في ختام سنه إحدى و ثمانين، ثم لمّا كان اليوم الثالث من أيام منى، و هو واقف لرمى جمره العقبه، و عساكره محدقون به، توالى عليه ثلاث رصاصات، فطاح من فوق فرسه، و تلقاه خدامه و وضعوه فى التخت، و حصل عندهم مزيد الاضطراب فيما حدث بهم، و نزلوا به إلى مكة المشرفه، و كل ما تجد عساكره أحدا تقتله، إلى أن أدخلوه داره، و تحصّوا خشيه على أنفسهم، و حال دخولهم رموا على بيت الشريف سعد بندق، و وجهوا المدافع إلى جميع الجهات، و استقرّوا على ذلك.

و أمّا الحجاج و أهالى مكة المشرفه، فمنهم من هرب إلى مكة و أدخل أسبابه محلّه، و منهم من تحصّن دور منى، و منهم من حج على رأسه، و ذهب أرواح

ص: ٣٠٠

(١-١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥١٩، و إتحاف فضلاء الزمن ٢:٩٦.

(٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٢٠، و إتحاف فضلاء الزمن ٢:٩٦.

و أموال، و اضطراب عظيم في جميع الأحوال.

ثم نزل الشريف سعد و أخوه أحمد من منى على العاده، و هما في غايه العزّه و السياده، بعد أن أمر الجيوش و العساكر بتقلد لامه الحرب، و إشهار الأسنّه و البواتر، و دخلا مكّه المشرفه، رافلين في حلل الشرافه الموقوفه.

ثم توسط أعيان الدوله العليّه، و أرباب الآراء الساميه الجليّه، بالصلح بين حسن باشا و هذين الشريفين الساميين المنيفين؛ لأنه قطع عليهما في تلك المدّه مبلغا عظيما من محصول بندر جدّه، فاتفق الحال على تسليم عشرين ألف قرش سلّمها إليهما.

ثم توجه صحبه الحاج المصري في ذلك العام و دخل مدينه سيّد الأنام، صلّى الله عليه و على آله و سلّم، و هداانا لنهجه القويم و علم، و ألبس بها السيّد أحمد الحارث شرافه مكّه المعظمه، و قلّمده عقود سلطنتها المنظمه، و نادى له فيها بها، و ألحقه بأصيل نسبها، و دعى له في المنابر، برغم كلّ عدوّ و مكابر.

و سبب اجتماعه بالسيّد أحمد في تلك البقعه الشريفه، حتّى أفاض عليه خلعه الولايه المنيفه: هو أنّه لمّا خرج من مكّه مسافرا صحبه الحاج، لحقه السيّد محيّد ابن السيّد أحمد في بعض تلك الفجاج، فأمره باستلحاق والده، لينيله غايه طريف المجد و تالده، فقصدّه ولده إلى منزله المسمّى بالشعري من أرض نجد، و كلّف راحلته إليه ليتسّم به ذروه كاهل المجد، فوصل المدينه المنوره، و متّع نظره بحدائقها المنوره، بعد أن تشرف بزياره جدّه، و شام بوارق سعده و جدّه، فأجلّه حسن و أنافه، و ألبسه خلعه الشرافه، و كان ذلك في شهر محرّم الحرام افتتاح سنه ثنتين و ثمانين و ألف.

و أمّا الشريف سعد، فكان قد مشى عقب الحاج المصري إلى ينبع و أقام به، فلما

بلغه ما صدر من حسن باشا من إلباس السيّد أحمد الحارث خلعه الشرافه، كتب إلى السيّد أحمد كتابا سلك فيه مسلك مثله من الاعتراف بحق الأكبر مع مزيد اللطافه.

و مضمونه كما ذكره العصامي في تأريخه: و هو بعد مزيد الثناء، و حميد الدعاء:

إنّ هذا الواقع الذي سمعنا به، من تقمّصك لبرد الملك و أثوابه، فهذا أمر أنت بيته الأعلى، و مثلك أحرى به و أولى، فإنّك أنت الشيخ و الوالد، الحائز لكلّ طريف من الكمال و تالده، فإن كان هذا بحكم الأساس و البنیان، جار على مقتضى مرسوم السلطان، فنحن بالطاعة أعوان، و إن كان الأمر خلاف ذلك، و إنّما كان من تسويلات هذا الظالم الغادر، و تنميقات ذلك المذمّم غير الظافر، فأجلّ حلمك أن تستخفّه نكباء الطيش، أو أن تسترّ له أخلاط الأشاوب و غوغاء الجيش.

فأرسل إليه الجواب مولانا أحمد: بأنّ الأمر لم يكن على هواى و إنّما هو إزام، مع علمى بأنّ هذا الابتداء لا يكون له تمام، و السلام (١). إنتهى ما ذكره العصامى.

و ربما بلغ حسن باشا أنّ الشريف سعد قد زمّ جميع أحواله، و عزم على محاربتة و قتاله، فزمهر للمسير إليه، و الركوب عليه، فثبطه السيّد أحمد عن ذلك، و سهّل له الأمر فيما هنالك، فترك الحركة و استقرّ و أقام بالمدينه.

و استمرّ إلى أن وافاه القاصد بعزله، و نقض نسجه و غزله، فكفى الله سعدا أمره، إذ كفّ عنه مكائده و عذره، فرحل حسن باشا من المدينه، و صادف فى طريقه حتفه و منونه.

و توفى فى طريق غزّه و تلك الجهات، و دفن فى هاتيك الهامه و الفلوات،

ص: ٣٠٢

و وصل صحبه ذلك المقاصد خلعه للشريف، و حقيقتها ضرب من المكائد (١).

ثمّ لما كان أواخر شهر ذى القعدة من السنه المذكوره، قدم محمّد جاووش المتقدّم ذكره؛ لأنّه عاد إلى مصر من جمله من عاد، ثمّ رجع هذه المرّه الثانيه بنحو من خمسه آلاف من العساكر المصريين، و نصبوا خيامهم بالزاهر، و استمرّوا في مخيمهم إلى وصول الحاجّ الشريف، يدخلون مكّه في أثناء ذلك ثمّ يعودون.

وصول حسين باشا السلحدار إلى مكّه:

و في تلك السنه: وصل صحبه الحاجّ الشامي حسين باشا السلحدار بنحو ألفى شخص من العساكر، و دخل مكّه ليله سبع من ذى الحجه الحرام، ختام سنه ثنتين و ثمانين و ألف.

فخرج مولانا الشريف سعد يوم سبع المذكور للبس الخلعه على العاده، و إنّما كان بروزه لذلك من جهه الحجون، فوقف منتظرا لإرسالها إليه، و إفاضتها عليه، فأرسلوا إليه بالطلب للحضور، و أن يخاطر بنفسه الشريفه تحت هذا المحذور، فأبت شهامته الامتثال، فعاد إلى مكّه عازما على الحرب و القتال.

فلما تلوّحوا منه ذلك المرام، خشيو على حجاج بيت الله الحرام، فأرسلوا الخلعه خلفه بنهايه الإسراع، توقّيا من شرّه، و خشيه من عذره، و أخروا مرادهم إلى ما بعد، ليتّم لهم قبض الشريف سعد، ثمّ حجّ و حجّت الناس من غير مكروه و بأس.

و في اليوم الثاني من منى، و هو يوم بلوغ الآمال و المنى: أرسل حضره الشريف

ص: ٣٠٣

١-١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٢١-٥٢٤، و إتحاف فضلاء الزمن ٢:٩٧-١٠٠.

سعد فى طلب خلعه الاستمرار، والأمر السلطانى الذى يقرىء على رؤوس الأشهار، فامتنع حسين باشا عن ارساله، وأضمر على قبضه و اعتقاله، فحاول حضره الشريف الصوله عليه، بعساكره و عربانه المنضمين إليه، ثم عدل عن ذلك و فرّ فى تلك الليله، و امتطى ركابه و خيله.

فما أصبح الصباح، إلا- و قد ذهب وراح، و انقضت أيام دولته، و عظيم هيئته و صولته، و كان خروجه ليله ثالث عشر ذى الحجه الحرام ختام سنه ثنتين و ثمانين و ألف، فكانت مدّه دولته ستّ سنوات إلاّ أحد و عشرين يوما (١).

و قد تقدّم أنّه ولى شرافه مكّه المشرفه أربع مرار، و فى الرابعه توفى إلى رحمه ربّه و سار:

فالدوله الاولى

هى التى قد مرّ بك تفصيلها، و أثبت و ضيعها و جليلها، فدونها روضه أريضه، و جنّه طويله عريضه.

الدوله الثانيه

هو أنّه- رحمه الله تعالى و أفاض عليه شآبيب غفران توالى- لما عزل عن الشرافه توجه إلى الطائف، ثم ارتفع إلى عباسه، ثم إلى تربه، ثم إلى بيشه و أقام بها، ثم سار منها إلى جهات عديده.

ثمّ توجه إلى الديار الروميه و أقام بها، و خدم الدوله العليّه إلى سنه ألف و مائه و ثلاث، فمّنت عليه الدوله بمنصبه، و أنالوه أسنى مقصده و مطلبه، و صاحب مكّه إذ ذاك ولده الشريف سعيد، فأرسل إليه والده خلعه ليكون قائم مقامه، إلى أن يأتى

ص: ٣٠٤

فى سنته و عامه، أرسلها إليه فى أثناء السنه المذكوره.

ثم وصل هو بنفسه صحبه الحاج الشريف فى موسم ختام سنه ثلاث و مائه و ألف، و استمرّ بها متوليا إلى يوم الجمعة سابع ذى الحجة الحرام ختام سنه خمس و مائه و ألف، أخرجّه منها إسماعيل باشا أمير الحاج الشامى، و محمّد باشا صاحب بندر جدّه، و وضعاً بدله الشريف عبد الله بن هاشم، كما سيأتى، و كانت مدّه دولته هذه سنتين.

فصل

إشارة

فى حوادث دولته هذه

توجه الشريف سعد لمحاربه قبيله حرب:

ففى السنه الاولى، و هى سنه أربع و مائه و ألف: توجه مولانا الشريف سعد لمحاربه قبيله حرب القاطنين بين الحرمين، و هى قبيله عظيمه، إلاّ أنّها ملفّقه لم يذكرهم أهل علماء النسب، كصاحب نهايه الإرب فى أنساب العرب (1)، و لا غيره، فقصدهم الشريف سعد إلى مواضعهم مقاتلا لهم.

و سبب ذلك: أنّهم قتلوا سابقا السيّد عبد الله بن السيّد أحمد الحارث، فألزم الشريف سعد بالخروج إليهم و قتالهم و استئصالهم السيّد ناصر بن أحمد الحارث أخو المقتول، فخرج مولانا الشريف و جميع الساده الأشراف و العساكر و البادية.

و لما استقرّوا فى ديرتهم، أرسلوا إلى حضره الشريف و بنى أعمامه، يلتمسون منهم الصلح و القيام بما يجب لهم، فامتنعوا و ثارت بينهم الحرب و استمرت، ثمّ

ص: ٣٠٥

(١ - ١) هذا الكتاب للعلامة أبى العباس أحمد بن على بن أحمد بن عبد الله القلقشندى المتوفى سنة (٨٢١)هـ.

كانت الصوله لقبيله حرب على مولانا الشريف و جيوشه، و عادوا إلى مكّه.

و فى سنه خمس و مائه و ألف: عاد إليهم مولانا الشريف سعد و الساده الأشراف بجيوش عظيمه لا تحصى، و لم يزلوا سائرين إلى أن اتصلوا بهم، فثارت بينهم الحرب، و كانت للشريف سعد عليهم، و حصل بها المطلوب، و عادوا إلى مكّه فى غايه السرور (١).

عزل الشريف سعد عن شرافه مكّه:

و فى موسم هذه السنه عزل الشريف سعد عن شرافه مكّه المشرفه.

و سبب عزله: أنه كان بيندر جدّه شخص يسمّى محمّد باشا واليا من قبل السلطنه العليّه عليه، فعزل عنها، و فى أثناء ولايته و عزله وقعت بينه و بين حضره الشريف امور أوجب المشاخه و المباغضه بينهما، و صدرت منه سعايات فى الشريف المذكور عند الدوله العليّه.

ثمّ توجه إلى الأبواب العثمانيّه، و اجتهد فيما هو بصدده، حتّى غير خاطر الدوله عليه، و صمّمت على عزله، فبعثت محمّد باشا المذكور، و جرده من العساكر ليسير بهم إلى مكّه المشرفه صحبه الحاجّ الشامى، و على الحاجّ الشامى إسماعيل باشا أيضا أميرا بعساكره و خيله، و أن تكون كلمتهما واحده، و يتعاضدان و يتساعدان فى عزل الشريف سعد، و توليه الشريف عبد الله بن هاشم أياله أقطار الحجاز، فوصلا جميعا إلى مكّه المشرفه.

فخرج مولانا الشريف سعد للبس الخلعه على المعتاد، و هو فى غايه القوّه من العساكر و الباديه و الساده الأشراف، فلمّا وقف فى الموضوع المسمّى بالمختلح

ص: ٣٠٦

منتظرا للخلعه، تحرّكت عساكر إسماعيل باشا و محمّد باشا، فعند تحرّكهم تحرّكت أيضا عساكر الشريف، فأوشك أن تقع الفتنة بين العسكرين في ذلك الوقت.

فحين رأى حضره الشريف ذلك رجع إلى مكّه، فلمّا حاذى طوى لحقته مراسيل إسماعيل باشا بالخلعه مع العذر له، لما لم يروا قتاله في ذلك الوقت صلاحا، وأنّ التأخير في ذلك أولى.

ولمّا كان اليوم السابع من ذى الحجّه: طلب إسماعيل باشا و محمّد باشا السيّد عبد الله بن هاشم إلى الأبطح، و ألبساه خلعه الشرافه، و توجّها معه بالعساكر.

فلمّا بلغ الشريف سعد ذلك، حفظ داره و ما حولها من البيوت و المنائر، و شحن الجميع بالعساكر.

فلمّا أقبل الشريف عبد الله و الامراء و العساكر، منهم عساكر الشريف، فصدّوهم (١) عن النزول، فتراسل الرمي بالرصاص من الفريقين، و استمرّ من ضحوه ذلك اليوم إلى مضي نصف الليل من ليله ثمان، فخرج الشريف سعد بعد أن رفع جميع أوباشه، و توجّه إلى جهه اليمن.

و في صبح يوم ثمان: نودي للشريف عبد الله المذكور، و أمنت البلاد (٢).

القبض على الوزير عثمان حميدان:

و في هذا الشهر: بعد النزول من منى، قبض محمّد باشا على الوزير المكرّم عثمان بن زين العابدين حميدان وزير الشريف سعد.

و سبب ذلك: أنّه كان بينه و بين هذا الوزير مشاحنات في أيام أيلته لبندر جدّه،

ص: ٣٠٧

١- ١) في «ن»: فصّدّهم.

٢- ٢) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١٧٨: ٢-١٧٩.

فأسرها في نفسه و لم يبد له شيئاً من ذلك، و كان يتعاطى خدمته و خدمه إسماعيل باشا، و يتردد عليهما لقضاء حوائجهما، و عند قرب سفرهما تواطئا على قتله، فأرسلا إليه و طلباه، و اعتقلاه في خيمه من خيام العسكر، و درّكابه (١) شخصان (٢) من كبار العسكر، و أمراه أن يأتي به إليهما بعد مضي ستّ ساعات من الليل ليقتلانه.

فلما جزم بالهلاك، اشتدّ به الحال، و آيس من الحياه، فاستند إلى صندوق في الخيمه و هو يفكر في حاله، فمضى جانب من الليل و هو على هذه الحاله.

فبينما هو كذلك و إذا الرجل الموكّل به منكبّ على وجهه يصيح مدد مدد، فحرّكه بيده و ناداه باسمه مرارا، فلم يجبه، فعظم روعته، ثمّ عمد إلى إبريق و أخذه بيده ليقول ثمّ يعود.

فلما خرج عن الخيمه، خيل له أنّهم الآن ينتبهون و يعيدونه بغلاظه و إهانته، فعزم على العود، فأحسّ عند ذلك بدافع يدفعه إلى قدّام، مع زوال ما كان به من الارتياح، و وقده (٣) جميع الحراس المحيطين بالخيمه، فتقدّم و مشى، و لحقه غلام كان له كان معه، إلى أن أتصل بجدار المعلاّ، ثمّ قفز من الجدار إلى داخل المقبره، و اختفى ببعض المحالّ المقاربه لقبّه السيده خديجه رضى الله عنها.

فانتبهت الحراس، و أوقدوا المشاعل، و فزعت الخيل و العساكر خلفه و هو يشهداها، فلما غابت عنه زوال و همه قام و مشى في المقابر، و خرج من باب ترابه

ص: ٣٠٨

١-١) كذا في النسختين، و لعلّ الصحيح: و بركابه.

٢-٢) في «د»: شخصا.

٣-٣) في «ن»: و رقدت.

الشيخ محمد بن سليمان.

ثم أخذ طريق قلق عبد المطلب بن هاشم، ثم إلى وادي قضا (١)، ثم إلى المسجد الحرام، ثم إلى بيت الشريف عبد الله بن هاشم شريف مكة حالاً فأخفاه، فأصبح الأميران يدوران عليه، ثم انحلت القضية بدفع مال عظيم، وأنجاه الله تعالى من ذلك الواقع، أخبرني جمع من الثقات بذلك نقلاً عنه من فيه (٢).

الدوله الثالثه

لما عزل عن الشرافه توجه إلى جهه اليمن، و أقام به و جمع باديه، ثم أتى بهم و قاتل الشريف عبد الله بن هاشم و أخرجه منها، و دخل في سابع ربيع الثاني من سنه ستّ و مائه و ألف.

و لما استقرّ بها كتب إلى الدوله عرضاً يعتذر إليهم فيما صدر منه، و يلتمس إبقاه في منصبه، فأجابته الدوله إلى مرامه، و استمرّ متولياً إلى يوم الجمعة تاسع عشر شهر ذى القعدة الحرام سنه أربع عشره و مائه و ألف، نزل بها لولده الشريف سعيد في اليوم المذكور، و كانت مدّه دولته سبع سنين و سبعة أشهر و اثنا عشر يوماً.

فصل

اشاره

في الحوادث الواقعه في مدّه دولته هذه

تغلب الأعراب على البصره:

ففي سنه ستّ و مائه و ألف: تغلبت الأعراب على البصره، و رئيسهم مانع رئيس

ص: ٣٠٩

١- ١) في «ن»: شظا.

٢- ٢) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١٨٤: ٢.

بنى المنتفك (١)، فأخرجوا من كان بها من قبل الدوله العثمانيه، و قتلوا الأمير حسن آغا و أخاه سرحان باشا أمير الحاج العراقى، ثم بعد استيلاء مانع و قومه على البصره أخذتها من أيديهم أشراف الحويزه (٢) و باديتها، و رئيسهم إذ ذاك السيد الشريف المعظم السيد فرج الله الحسينى (٣).

ثم أرسلوا إلى سلطان العجم يعرفونه بذلك، و يطلبون منه أن يبعث أميراً لحفظها، فبعثوا إليها أميراً.

ثم أرسلوا إلى الدوله العثمانيه يخبرونهم بما صار، و يعرفونهم أننا قد أرسلنا من طرفنا من يحفظها بطريق النيايه عنكم، فابعثوا من يسلمها؛ لأنهم كان بينهم فى

ص: ٣١٠

١- (١) قبيله كبيره عرفوا باسم أبيهم المنتفق بن معاويه بن عامر بن عقيل، نزلوا حوالى بصره، و كانت زعامه البصره و حوالىها على أيديهم.

٢- (٢) و هم الموالى المشعشعيون، من أعقاب المولى محمد المهدي المشعشى، حكموا الحويزه و ما والاها عدّه سنين، و كان أعظمهم شأنًا، و أجلهم نبلا، هو المولى محسن المشعشى، فقد حكم الحويزه و البصره و حوالىهما ما يقرب من خمسين سنه.

٣- (٣) هو السيد فرج الله بن السيد على خان حاكم الحويزه، حكم الحويزه بعد أخيه السيد عبد الله خان سنه (١٠٩٨) و جرت بينه و بين أقاربه منازعات يطول شرحها، و استقرّ له حكم الحويزه، و ذلك فى عهد الشاه سليمان الصفوى، و صدر له فرمان من الشاه حسين بتاريخ سنه (١١٠٤) يصفه بعالى جاه عمده الولاه العظام للسياده و الأياله و الشوكه و الجلاله و الاقبال السيد فرج الله خان والى عربستان، و كانت مدّه حكمه سنتين، ثم عزل و عين ولده السيد عبد الله، و ملك المترجم البصره سنه (١١٠٩). أعيان الشيعة ٨: ٣٩٦.

ذلك الزمن محاسنات و ملاطفات.

و فى سنة سبع: اعطى إسماعيل باشا المتقدم ذكره مصر (١).

وفاه عبد الله أفندى عتاقى زاده:

و فى سنة ثمان: توفى العالم العلامة، و الفاضل الفهامة، شيخ الإسلام، و مفتى بلد الله الحرام، عبد الله أفندى بن شمس الدين عتاقى زاده، و كانت ولادته عام تسعه و أربعين و ألف.

قال صاحب لسان الزمان: و كان من أجلاء العلماء، طلب العلم و جدّ و اجتهد، و لازم الشيخ، ثم ولى إفتاء مذهب الإمام أبى حنيفة بمكة المشرفة، و كان ذاسمه و وقار و بهاء، و أخلاق حسنه، كثير التواضع لعامة الناس و خاصتهم، كثير التحرى فى الفتوى.

و هو أول من حضرت مجلسه من العلماء و أنا صبى صغير بالطائف، و كان يقرأ فى بعض كتب الحديث، و يشرح ذلك شرحا حسنا بسكينه و وقار، و كان فقيها جيد المعرفة فى الفقه، و له مشاركة فى سائر العلوم، و اعطى السعادة و الرئاسة و القبول عند الأكابر ما لم يعطه أحد (٢).

المطر و السيل العظيم بمكة:

و فى هذه السنة: حصل بمكة مطر عظيم، و سيل كبير، دخل المسجد الحرام، و اعتلى إلى باب الكعبة الشريفه، و امتلأ المسجد الحرام، فاجتهد أهل مكة خاصه و عامه فى نزع ذلك الماء، و إخراج الأوساخ، و استمرت الفعله فى إخراج التراب

ص: ٣١١

١- ١) فى «ن»: بمصر.

٢- ٢) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ٢٠٣: ٢.

و تنظيف المسجد أربعه أشهر، و ادخلت الدواب إلى المسجد الحرام (١).

وفاه الشيخ أحمد القطان:

و فى سنة تسع و مائه و ألف: توفى الشيخ الجليل العلامة الشيخ أحمد القطان المكي.

قال صاحب لسان الزمان: ولد بمكة المشرفة، و نشأ بها، و جدّ و اجتهد، و كان ذا فهم ثاقب، و ذكاء مفرط، استقل على أجلاء الشيوخ، و شارك في سائر العلوم المتداوله، و تصدّر للتدريس، فأخذ عنه الطلبة، و انتفعوا به في سائر العلوم، و كان من التواضع و الديانة على جانب عظيم. إلى آخر ما ذكره ملخصاً (٢).

توجه العساكر العثمانيه إلى البصره:

و فى هذه السنه: وجهت السلطنه العثمانيه إسماعيل باشا بعد عزله عن مصر، و محمّد باشا المذكور سابقاً، بعساكر عظيمه إلى جهه البصره، لتغلب الباديه على أميرها من قبلهم، و استيلائهم على أطرافها، فسارا و أخذوا البصره، و جرت بينهما و بين الباديه حروب عظيمه.

وفاه الشيخ عبد اللطيف الشيبى:

و فى سنة عشر و مائه و ألف: توفى الشيخ الجليل ذو القدر السامى النبيل، عمده الخاصّ و العامّ، و فاتح بيت الله الحرام، الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الواحد الشيبى القرشى. توفى فى حياه والده الشيخ عبد الواحد، و أعقب ابنين، و هما:
الشيخ محمّد، و الشيخ عبد القادر.

ص: ٣١٢

١-١) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ٢:٢٠٢.

٢-٢) لسان الزمان لابن عقيله مخطوط لم أظفر عليه.

و في سنة إحدى عشره و مائه و ألف: توفّي الشيخ الجليل الفاضل الأديب الشيخ عبد الملك بن جمال الدين العصامي صاحب التاريخ المشهور بأرض الحرمين الذي نقل منه في بعض المواضع من هذا التاريخ (١).

و لقد ترجمه (٢) صاحب السلافة، فقال: هو عبد الملك بن جمال الدين بن صدر الدين بن عصام الدين الاسفرائيني المشهور بالملأ- عصام، صاحب الحاشيه على الشرح الجديد على الكافيه، و الأطول الذي عارض به المطوّل، و غيرهما من التصانيف المفيده، و التآليف السديده.

و عبد الملك هذا إمام العلوم العربيّه و علامها، و المنشوره به في الخافقين أعلامها، و السالك أوضح مسالكها، و المالك لأزمتها و ابن مالکها، و ورد عذب الفضل نهلا و علا، و فاز من سهامه بالقدح المعلى، فجدّد مغنى العلم الدريس.

و نصب نفسه للإقراء و التدريس، و اشتغل بالتصنيف و التأليف، و تخلى عن كلّ أنيس و أليف، حتّى بلغت مؤلفاته الستين، من شرح مفيد و متن متين، فلّقّب بخاتمه المحققين، و عدّ من أرباب الفضل و اليقين، إلى زهد و صلاح، و تقوى أشرق نورها في اسره وجهه و لاح، و إمام بالأدب وافر، طلع في افق الاحسان بدره المسافر، إلاّ أنّه قلّ ما أعار ذهنه و فكره، غير مسائل العلم التي خلدت في صحائف الأيام ذكره، فمن نظمه قوله مضمّنا:

أهدى لمجلسه الكريم فرائدا تهدي إليه

ص: ٣١٣

١- ١) و هو كتاب سمط النجوم العوالى فى أنباء الأوائل و التوالى.

٢- ٢) فى «د»: ترجم جدّه، و هو غلط و تحريف.

كالبحر يمطره السحاب ولا له فضل (١) عليه

إلى آخر ما قاله صاحب السلافه (٢)، ولم يذكر انتقاله إلى رحمه ربّه وانصرافه، والسبب أنّه كان في قيد حياته، حين جمع ابن معصوم لسلافته (٣).

حصول و بء عظيم بمكّه:

و في سنه اثنتي عشره و مائه و ألف: حصل بمكّه و بء عظيم، حتّى أنّه لم يبق بيت إلاّ و قد دخله، و لكن من لطف الله أنّ الموت كان قليلا (٤).

غزوه عنزه:

و في هذه السنه: أقبل أمير الحاجّ الشامي حسن باشا بجيوش عظيمه لاستئصال قبيله عنزه، لما صار منهم في السنه التي قبلها، فحجّ ثمّ سار راجعا، و في رجوعه اجتمعت له عنزه بيكره أبيهم، فحصل بينه و بين عنزه قتال عظيم، فكسروا حسن باشا، و نهبوا غالب الحاجّ، بل لم يبق منه إلاّ النزر اليسير.

وفاه العلامه أحمد أفندي منجم باشي:

و في سنه ثلاث عشره و مائه و ألف: توفّي رئيس المحققين، و سلطان المدققين، العالم العلامه، و الفاضل الفهامة، أحمد أفندي الشهير بالمنجم باشي (٥)، قاله

ص: ٣١٤

١- ١) في السلافه: منّ.

٢- ٢) سلافه العصر ص ١٢٢-١٢٤.

٣- ٣) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ٢: ٢١٩.

٤- ٤) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ٢: ٢٢٠.

٥- ٥) هو العلامه أحمد بن لطف الله السلانيكي الرومي المولوي الصديقي، المعروف

صاحب لسان الزمان.

و رأيت في موضع آخر بخط بعض الأفاضل: إنه توفي في سنة ستّ عشره و مائه و ألف، و الله أعلم بالحقيقه.

قال: و كان هذا الرجل اعجوبه من عجائب الدهر، و فريده من فرائد العصر، و هو من الأروام، جدّ و اجتهد في طلب العلم، و قرأ على يحيى منقاري زاده، و غيره من أكابر العلماء، و صارت له يد طولى في علم المعقول و الحكميات و الطبّ.

و أمّا الفلك و التنجيم، فكان فريد دهره، و وحيد عصره. و كذلك كانت له اليد الطولى في علوم العربيّه، مثل النحو و الصرف و المعانى و البيان، و اتّسع في الأدب، و معرفه أشعار العرب، و تبخّر في علم التأريخ و أخبار الامم السالفه.

و اختصّ بصحبه السلطان محمّد خان بن إبراهيم خان، و لازمه نحواً من عشرين سنه، و كان من خواصّ جلسائه و ندمائه، و محترماً لديه مقبولاً عنده.

إلى أن قال: و كان خفيف الروح، لطيف الشمائل، كثير التواضع، حجّ في أيّام السلطان محمّد و هو في رئاسته، و رجع إلى اصطنبول، ثمّ عاد مرّه ثانيه، فأقام

ص: ٣١٥

بالمدينة المنورة، فأخذ عنه جماعه من أهلها و انتفعوا به، ثم أتى إلى مكه شرفها الله، فصحبته و جالسته، و قرأت عليه بعض الكتب، و انتفعت به، و له حواشى كثيره نفيسه على كتب المعقول و العربيه و غير ذلك. إنتهى ملخصاً من لسان الزمان.

قلت: و قد رأيت له تعليقه على الحديث الشريف، و هو قوله صلى الله عليه و آله «إني تارك فيكم خليفين: كتاب الله تعالى، جبل ممدود بين السماء و الأرض، و عترتى أهل بيتى، ما إن تمسكتكم به لن تضلوا، و إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض» الحديث. و فى بعض الروايات زياده: فاعرفوا (١) كيف تخلفوني فيهما (٢).

قال رحمه الله: و قد نقلها سيدي الوالد دام فضله من خطه رحمه الله، و من خطه نقلت، لا يخفى أن فى هذا الحديث الشريف مواضع ينبغى للناظر المتبصر أن يقف فيها حتى يقف على ما فيها من النكات و المزايا:

أولها: تصدير الكلام بالجملة الإسميه المؤكده بكلمه «إن».

ثانيها: وجه نصب الخليفين، و عدم الاكتفاء بواحد منهما.

ثالثها: أن الظاهر من خلافه الكتاب أن تكون فى إفاده الأحكام الشرعيه الاعتقاديّه و العمليّه، و سائر ضروريات الدين.

ص: ٣١٦

١- ١) كذا، و لعل الصحيح: فانظروا، كما فى روايات القوم.

٢- ٢) رواه القندوزى بهذه الكيفيه فى ينابيع الموده ١: ١٢٠ برقم: ٤٥ عن الطبرانى فى الكبير برجال ثقات، و المعجم الكبير للطبرانى ٤: ١٥٤ حديث: ٤٩٢٢، و جواهر العقدين للسمهودى ٢: ١٧١، و جنى الجنتين للمحبي ص ٤٧، و مفتاح النجا للبدخشى ص ٣ مخطوط، و هو حديث متواتر جداً رواه الفريقين فى كتبهم، راجع تفصيل ما رواه العامه فى كتبهم إلى كتاب إحقاق الحق ٣٠٩: ٩-٣٧٥.

و أمّا خلافه العتره، ففيها احتمال إلى امور:

منها: كونها فى بيان ما خفى من أحكام الكتاب، و توضيح مشكلاته.

و منها: أن يكون فى إجراء الأحكام بين الامه.

و منها: تعليم الأخلاق المحمديه، و الصفات الأحمدية، بطريق الحال لا المقال، و على سبيل الإراده دون الروايه.

و منها: الوقوف على أسرار النبوه و باطن الشريعه.

و منها: المحبّه الخالصه التى تجب على كلّ مؤمن؛ لأنّ أصل الإيمان إنّما يحصل بتصديق النبى صلّى الله عليه و آله فى جميع ما جاء به، و كمال الإيمان إنّما يحصل بالمحبّه الخالصه فى حقّه، كما نطق به بعض الأحاديث الشريفه، فتكون المحبّه لتلك الخليفه عين المحبّه فى حقّه عليه الصلاه و السّلام.

رابعها: تشبيه كتاب الله تعالى بالحبل، ثمّ وصفه بكونه ممدودا بين السماء و الأرض.

خامسها: تأكيد العتره بأهل البيت.

سادسها: تعليق النجاه عن الضلال بالتمسك بهما جميعا، و هذا يشعر بأنّ كلّ واحده من الخيفتين فى أمر غير ما استخلف فيه الاخرى، و إلا قيل: بأيّهما أو بأحدهما.

سابعها: تعقيب هذا الكلام بعد تمامه بقوله «و إنّهما لن يفترقا» الخ، و وجه ارتباطه بما سبق.

ثامنها: إثباته بجملة إسميه مؤكّده، بأنّ خبرها جملة فعليّه منفيه بأداه دالّه على تأكيد النفى.

تاسعها: تخصيص الحوض بالذكر من بين سائر المواضع.

عاشرها: ما وقع فى الزيادة المرويّه من قوله «فاعرفوا» الظاهر منه أن يكون للتنبيه، فعلى أى شىء تبه و ما قصد بقوله «كيف تخلفونى فيهما».

و الحادى عشر: أنّ العتره إن اريد بها معناها الحقيقى على ما يقتضيه التأكيد بأهل بيتى، كان الحديث نصّا فى خلافه أهل البيت عليهم السّلام، وهذا خلاف ما عليه أهل السنّه. و إن اريد بها المعنى المجازى، كان التأكيد لغوا، بالنظر إلى ما هو الأغلب فى التأكيد؛ إذ الغالب فيه دفع توهم المجاز، و كلامه عليه الصلاه و السّلام مبرىء عن الاشتمال على اللغو.

و الثانى عشر: أنّ هذا الحديث الشريف يدلّ بطريق المفهوم على وعيد عظيم، و هو أنّ من لم يتمسك بشىء من الخليفتين، أو تمسك بأحدهما و لم يتمسك بالآخرى يقع فى الضلال و لا ينجو منه، مع خفاء ما هو المراد من الخليفه الثانى؛ إذ لو لم يكن فيه خفاء لم يقع الخلاف بأنّ المراد من العتره هل هو المعنى الحقيقى كما يقتضيه التأكيد، أو المعنى المجازى كما اتفق عليه أهل السنّه، و الله تعالى أعلم.

رحم الله تعالى من يكشف القناع، و يرفع الحجاب عن وجوه هذه النكات الجليله، و يزيل ظلمه الشبهه بالتنوير و التوضيح، و من الله التوفيق للتحقيق. انتهت رساله المشار إليها، و هى تدلّ على تمكّن عظيم فى علم العربيّه و غيره رحمه الله تعالى.

وصول الأمر السلطانى بقراءه حديث بدء الوحي:

و فى هذه السنه: وصل الأمر الشريف السلطانى من حضره السلطان مصطفى، بأن يحصل مجمع بالمسجد الحرام فى ليله السابع عشر من شهر رمضان، و يقرىء فيه حديث بدء الوحي، ثمّ ينتقلون جميعا إلى الحطيم و يفتح البيت الحرام، و يقف

الشيبي و يدعو لحضره السلطان، ثم تفاض عليهم الفراء السمامر (١) على الشريف، و على قاضى الشرع الشريف، و على مفتى الحنفية بمكّه المشرفه البهيّه، و على فاتح بيت الله الحرام، و على شيخ الحرم الشريف، و أصواف و قفاطين على القارىء و الإمام و الخدمه و المباشرين، و صرر من الدراهم، و يمدّ لهم الحلوى و ماء السكر و السموم.

جمله المنصرف فى تلك الليله أربعه آلاف قرش إلا قليل، و حضر فى تلك السنه الشريفه سعد شريف مكّه و سليمان باشا، و لم يزل مستمرًا.

وفاه الشيخ حسن العجيمى المكى:

و فى ثالث شؤال من هذه السنه: توفى الشيخ الجليل، و المقام العالى النبيل، عمده العلماء الأعلام، و قدوه فضلاء الإسلام، العلامة الفهامة، صدر الدين أبو على الشيخ حسن بن على العجيمى المكى.

قال صاحب لسان الزمان: و كان آيه فى الذكاء و الفهم، و سرعه الجواب، و كثره الاستحضار، لم أر فى من رأيت أفصح عباره منه، و لا أجود بيانا إذا تكلم، فكان ألفاظه الدرّ النضيد.

ولد بمكّه رحمه الله تعالى، و طلب العلم، و جدّ و اجتهد، ثم توجه إلى المدينه المنوره، فصحب بها العارف بالله الكبير، و الولي الشهير، الشيخ أحمد بن محمد القشاشى، و أخذ عنه العلوم الظاهره و الباطنه، و لقنه الذكر، و ألبسه الخرقة، و أجازه

ص: ٣١٩

١ - ١) الفراء جمع الفرو: شىء كالجبّه يبطن من جلود بعض الحيوانات كالأرانب و السمور. و السمامير جمع السمور: حيوان برى يشبه ابن عرس و أكبر منه، لونه أحمر مائل إلى السواد، تتخذ من جلده فراء ثمينه، و ربما اطلق السمور على جلده.

بالإجازات العامه و الخاصه فى جميع ما يجوز له أن يرويه عن مشايخه، و قرأ عليه كثيرا من كتب الأسماء و الخواص.

ثم رجع إلى مكه، فلزم بها الشيخ العلامة الفهامة الشيخ عيسى المغربى الجعفرى، و أخذ عنه، و انتفع به، و صحب السيد العارف بالله الكبير الشهير، السيد عبد الرحمن المحجوب المغربى و انتفع به، ثم تصدّر للإقراء و التدريس بالمسجد الشريف، فانتفع الناس به.

إلى أن قال: و الحاصل أنه كان إماما فى سائر العلوم المتداوله، مع جوده الذهن، و ذكاء الخاطر، و رحل فى آخر عمره إلى الطائف و أقام به، و توفى فيه و دفن به.

إنتهى ملخصا.

نزول الشريف سعد عن الشرافه لولده سعيد:

و فى يوم الجمعة تاسع عشر ذى القعدة الحرام من سنه أربع عشره و مائه و ألف:

نزل مولانا الشريف سعد المشار إليه لولده الشريف سعيد بن سعد بشرافه مكه المعظمه، كما تقدّم بيانه.

الولاية الرابعه

هو أنه لم يزل مع ولده مجللا مكرّما، إلى أن ثارت الفتنة بين ولده و الساده الأشراف، إلى أن أخرجوه منها، كما سيأتى ذلك فى ترجمه ولده إن شاء الله تعالى، فتابا مدّه ثم افترقا.

ثم وصل مولانا الشريف سعد إلى مكه بباديه اليمن على عقبه الطائف، و دخلها ضحى نهار الاثنين سلخ شهر رمضان سنه ستّ عشره و مائه و ألف، و أخرج من بها من طرف الشريف عبد الكريم بن محمّد الآتى ذكره فى ترجمته.

و استمرّ إلى غروب شمس يوم الخميس ثامن عشر شهر شوال، و كانت مدّته

ص: ٣٢٠

ثمانية عشر يوماً، وتوفّي إلى رحمه الله في الليلة التاسعة عشر من الشهر المذكور، و أتى به إلى مكّة المشرفه من أطراف المعابديه (١) لأنّه مات بها، وغسّل و كفنّ و دفن بقبّه السيّد أبى طالب بن حسن، رحمه الله الأبرار، وحشره مع أجداده الأئمّه الأطهار.

و كانت مدّه ولايته الأربع خمس عشره سنه و سبعة أشهر و تسعه أيّام مفرّقه كما رأيت، و قد صار من الباديه الذين دخل بهم مكّه المشرفه فى هذه الدوله الأخيره نهب شنيع، و فعل فضيع، يدخلون بيوت أهل مكّه كأنّها بيوتهم، و ينهبون جميع ما فيها، و أهل البيوت واقفون يرون و لا يقدرّون على مدافعتهم.

ثمّ فى اليوم الثانى و ما بعده يدورون بهذه الأوباش المأخوذّه فى سوق مكّه المشرفه، و يبيعونها على أهلها.

و أعجب من ذلك: أنّهم إذا فهموا أنّ هذا المشتري صاحب الحاجه المبتاعه، منعوا من البيع عليه لو أعطاهم مثلها، حتّى وقع بهم قضاء الله فى دخول الشريف عبد الكريم كما سيأتى، و قتلوا قتلا شنيعا، كما ستقف عليه فى ترجمه الشريف عبد الكريم إن شاء الله تعالى، و نسأله التوفيق.

ترجمه الشريف بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات

إشاره

ابن أبى ندى صاحب مكّه المشرفه

قلت: قد تقدّم فى آخر ترجمه الشريف سعد الاولى، و وصول محمّد جاووش بتلك العساكر المصريّه، و إقامتهم بالزاهر، إلى أن وصل حسين باشا أمير الحاجّ الشامى، ختام سنه ثنتين و ثمانين و ألف.

ص: ٣٢١

ثمَّ صارت تلك الرَّجَّة يوم لبسه للخلعه، وعوده إلى مكَّه راجعا، ثمَّ إلحاقه الخلعه، خشيه منهم عن وقوع فتنه تذهب بواسطتها الامَّة، و كان مقصدهم أيضا قبضه، و تعدَّر عليهم ذلك، فأروا تأخير ذلك إلى منى ليحلقوا على بيته و يقبضوه، فلما فهم ذلك سرى ليله ثانی عشر ذی الحِجَّة الحرام، و لم یصبح إلاَّ أثره، كما تقدَّم تفصیل ذلك.

قال العصامي: و لَمَّا كان ظهر اليوم الثانی عشر، حضر حسین باشا، و محمَّد جاوش، و أكابر الدوله، و امراء الحاجَّ، و استدعوا جماعه من الأشراف، منهم:

مولانا المرحوم السید أحمد بن محمَّد الحارث، و مولانا السید بشیر بن سلیمان، و مولانا الشریف برکات بن محمَّد، و أظهروا أمرا سلطانيا بصريح اسم مولانا الشریف برکات بن محمَّد فی شرافه مكَّه المشرفه، و أنَّها تحت تصرّفه، و البس خلعه الولاية فی ذلك الجمع.

و نزل إلى مكَّه فی موكب يبهر العين، و يدهش السمع، و نزل إلى بيت أبيه المعروف بزقاق ظاعنه، و وقفت على بابه الخيول صافنه، و هرعت السادات إليه و الأعيان، و الحضر و العربان، يهتؤونه بالملك و الولاية، و يدعون له بطول البقاء و الثبات بتوفيق العناية.

فأرّخ بعضهم عام ولايته بقوله نثرا ما نصّه «بارك الله لنا فی برکات» إلاَّ أنَّه لسنه ثلاث و ثمانين، و التولية إنّما كانت فی موسم اثنين و ثمانين، لكن التفاوت زياده سنه، أو نقصها عند أهل التاريخ مغتفر (1). إنتهى ما ذكره العصامي.

و قال فی موضع آخر: قيل: إنّ ولايته كانت بسعی الشيخ محمَّد بن سلیمان

ص: ٣٢٢

المغربى السوسى، و ذلك أنّ الشيخ المذكور تشفّع عند الشريف سعد فى رجل ازبكى كان يسمّى السيد محمّد الفصيحي، فعل جرما مع مولانا الشريف سعد، فلم يشفعه فيه، و ذلك فى سنه ثمانين و ألف.

فاتفق أنّ أخوا الوزير الأعظم حجّ فى موسم تلك السنه، و كان له ولع فى علم (1) الفلك، فاجتمع بالشيخ محمّد بن سليمان المذكور، فأخذ عنه، و طلب من الشيخ أن يسافر معه إلى الأبواب السلطانيه، فسافر معه، و اجتمع بالسلطان، و طلب منه أن يزيل أشياء كانت بمكّه المشرفه، فأمر السلطان بإبطالها.

منها: أنّ صدقه السلطان جقمق كانت تقسم على أرباب البيوت حبوبا، و كانت سابقا تطبخ شربه و خبزا للفقراء أصحاب القدح، فردّت إلى ما كانت عليه سابقا، و اضيف إلى ذلك حبّ السلطان قايتباى.

و منها: توليته على جميع الأربطه، و أن لا تكون إلا لمن يستحقّها بشرط الواقف.

و منها: إبطال الدفوف فى الزوايا.

و منها: منع النساء من الخروج ليله المولد الشريف، و تمّ جميع ذلك، و جعله نظرا على جميع أوقاف الحرمين (2). إلى آخر ما ذكره. إنتهى.

و فى هذا الموسم: وصل صحبه حسين باشا كتابان للسيد حمود بن عبد الله المتقدم ذكره: أحدهما من الوزير الأعظم أحمد باشا الكبرلى، و الآخر من صاحب مصر. و كتابان آخران منهما إلى السيد الشريف أحمد بن محمّد الحارث، و مثلهما

ص: ٣٢٣

١- ١) فى السمط: بعلم.

٢- ٢) سمط النجوم العوالى ٥٢٩: ٤-٥٣٠، و راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١٠٧: ٢.

فأما كتاب السيد حمّود من حضره الوزير المذكور، فلفظه: فرع ذؤابه هاشم، و نبعه و شيخ المحامد و المكارم السيد حمّود، نظم الله عقوده، و أباد حسوده آمين.

و بعد: لا- يخفاكم (٢) أنّ الكعبه البيت الحرام، و مطاف طواف الإسلام، هو أوّل بيت وضع للناس، و أسّس على التقوى منه الأساس، و أنّه لم يزل فى هذه الدوله العثمانيه آمنا و أهله من النوائب، و روضا مخصبا بأحسن الأطائب، إلى أن ظهر من السيد سعد من الأمر الشنيع، ما يشيب عنده الطفل الرضيع، و ما كفاه ذلك حتى شدّد الخناق على أهل المدينه البهيّه، و أذاقهم كأس المنون رويّه.

فلما بلغ هذا الحال السمع الكريم السلطاني، أمر بعزل السيد سعد عن شرافه مكّه، و تفويضها إلى الشريف بركات، ليعمل فيها بحسن التصرفات، و تكونوا له عوناً (٣) و ظهيرا، و ناصحا و نصيرا (٤)، و كلّ من يتفرّع غصنه من دوحه فاطمه الزهراء عليها السلام، و تتصل نسبته إلى الذريه الغراء، تهدونه إلى طريق الصلاح (٥)، و ترشدونه إلى معالم النجح و الفلاح، و أنتم على ما تعهدونه من التكريم و التبجيل، و الله على ما نقول و كيل (٦).

ص: ٣٢٤

١- ١) فى «ن»: شبير.

٢- ٢) فى السمط: فلا يخفى عليكم.

٣- ٣) فى السمط: معيناً.

٤- ٤) فى السمط: و مشيراً.

٥- ٥) فى السمط: طريق الخير و الصلاح.

٦- ٦) راجع: سمط النجوم العوالى ٥٢٧: ٤-٥٢٨.

و أما بقيه الكتب، فكلها بهذا المضمون، غير أنّ العباثر مختلفه، فلا حاجه إلى التطويل بنقلها، ففي هذا كفايه، مع كونها ليست بجيده النشر، كما تراه.

فصل

اشاره

في ذكر الحوادث الواقعه في أعوام دوله هذا الملك الهمام

مع ذكر وفيات بعض الأفاضل ممّا ساق إليه الأطلاع، و تفصيل شىء من أحوالهم و أقوالهم، مع إيراد لمع من فتوحات هذا الملك، و قطع من أحواله و أقواله و نوادره و قضاياه.

خروج الشريف بركات لإبعاد الشريف سعد:

ففي سنه ثلاث و ثمانين و ألف: خرج مولانا الشريف بركات لإبعاد الشريف سعد من نواحي الشرق و تلك الجهات؛ لأنّ الشريف سعد كان لمّا توجه من مكّه المشرفه بعد تعريته من حلال شرافتها المفوفه، قصد الطائف و ناسه، ثم ارتفع إلى عيّاسه، فقضى منها إربه، ثم قصد تربه، ثم مقتضيات المعيشه، طوّحت به بلده بيشه، فامتار منها، ثم بان عنها، و لم يزل طلوع الهّمه الهاشميه، إلى أن سنمته غارب السعاده بالديار الروميه (١).

و أما حضره مولانا الشريف بركات بن محمّد، فشمر عن ساق اجتهاده، و أروى في قطع دار آل زيد عن بلاده، و قدح زناده، حتّى فرّقهم شذر بذر، و لم يبق أحدا من أتباعهم و لم يذر، و تزلّ إلى نفى بعض أهل الأسباب ممّن كان ينسب إلى تلك الأبواب، من ساقط لا يلتفت إليه، و لا يعوّل في المهمّات عليه.

و على هذا الريح نشر قلاع فلكه، في بحار خلافته و ملكه، فبرح من البلاد بعد

ص: ٣٢٥

(١-١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٣٠، و إتحاف فضلاء الزمن ٢:١٠٨.

تمهيداً، و تأطيد مباني الخلافة و تشييدها، خلف سعد و ذويه، ليبيعه عن ملك أقطار الحجاز و نواحيه، و في خدمته محمد جاووش بعساكره، و لم يزالوا خلفه إلى تربه، ثم عاد إلى المبعوث، ثم دخل الطائف المحفوف باللطائف، و استمرّ به إلى شهر شعبان، و هو يمهد البادية و العربان، ثم عاد إلى مكّه المعظمه، متحلياً بعقود الرئاسة المنظمه.

و سبب عوده إلى الديار الحرميه: أنه وصلت خلع سلطانيه، و مراسيم خاقانيه، صحبتته قاصد عظيم، قوبل بنهايه الاجلال و التكريم، و وضعت في مقام سيدنا إبراهيم، إلى أن وصل الشريف المشار إليه، و افيضت الخلعه عليه، و حصل في أواخر هذا الشهر قبض لبعض الأعيان، و نفى إلى بعض البلدان (١).

و في أثناء شهر شوال: خرج إلى ركبته استدعى السيد حمّود بن عبد الله (٢).

وفاه الشيخ إبراهيم الخياري المدني:

و في هذه السنه: توفي الشيخ الجليل أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن الخياري المدني بالمدينه المنوره فجأه، و يقال: إنه مسموم، و هذا البيت بيت علم و جلاله.

خروج الشريف بركات إلى قتال قبيله حرب:

و في سنه أربع و ثمانين: برز مولانا الشريف بركات و جميع الساده الأشراف العساكر المصريه و العربان، إلى قتال قبيله حرب المتقدم ذكرهم في ترجمه الشريف سعد، و شيخهم حال خروج مولانا الشريف بركات أحمد بن رحمه،

ص: ٣٢٤

١-١) راجع: سمط النجوم العوالي ٤:٥٣٠-٥٣١.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالي ٤:٥٣١.

فحفروا خنادق قبل وصول مولانا الشريف إليهم، و تأهبوا للمقاتلة.

فأقبل عليهم بجيوشه، و نزل بدرا، و أقام به مدّة مصابرا لهم، و هم متحصّون في جبالهم و سبوره عليهم، و ساعاته في بعض قبائلهم بانحلالهم عن الآخرين، مع أنّه في كلّ عشره أيام أو أقلّ يزمر بالحرکه عليهم و الروب إليهم ليستظهرهم و يستنشرهم، ثمّ يحلّ عزمه عن القتال، فعل ذلك بهم مرارا عديده مع طول الإقامة، و تفرّق أكثرهم بهذه المصابره مع أشياء اخر، حتّى صاروا لا يهتمّون بحرکتة و لو عظمت.

ففي أثناء ذلك و ثب عليهم و ثوب الأسد، فكسرهم و استأصلهم، و أقام في أخذهم نحو ستّة أيام، و جيوشه تحمل أوباش حرب إلى بدر، و قطع نخيلهم.

و أمّا جثث القتلى، فهي مترادمه على بعضها في كلّ جبل و واد من تلك الجبال و الأودية، مع سبي النساء، و قتل الأطفال حتّى أبادهم، و مهّد تلك الأقطار، و أجرى فيها أحكامه، و كانت هذه الواقعة من أعظم فتوحات هذا الملك المعظم (1).

و رأيت في بعض التواريخ أنّه كانت وقفه بين السيّد حمود و بين السيّد أحمد بن غالب أحد ملوك مكّه المشرفه الآتى ذكر ترجمته الشريفه، و هذا قبل ولايته شرافه مكّه، فلمّا انتظم موقف الحرب، و آن وقت الطعن و الضرب، أقبل عليهما هذا الملك العظيم، بل الملك الكريم، و أقسم عليهما إلّا ما اصطلحتما في هذا الموقف، فاعتنقا و تصالحا.

و إلّا لكان الأولى بسياسه الملك أن يذكي جمره البغضاء بين هذين العظيمين،

ص: ٣٢٧

(١ - ١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤: ٥٣١.

و يقرب كلاً منهما إليه، ليجتهد كل واحد منهما فيما يقربه من خاطر الملك، ولا عليه بأس في بقائهما متوافقين إلى أن ينقضيا، إنما لما كان دأبه و ديدنه لمّ شعث رفاقته لمحبتته لهم، و أن تكون كلمتهم واحده، و بذلك تنموا أقدامهم، و يرتفع صيتهم، عدل إليه عما كان هو الأولى لسياسه ملكه، فله درّه.

وفاه القاضي عبد المحسن القلمى:

و فى هذه السنه: توفى الفاضل النبيه، العالم العلامة القاضى عبد المحسن بن الشيخ سالم القلمى، و كان ذا فضل واسع، و اجتهاد فى طلب العلوم شاسع، حفظ عدّه من المتون فى مذهب الإمام أبى حنيفه، ثمّ تصدر للتدريس، و ولى نيابه القضاء بمكّه المشرفه مراراً، و كان مع جلالته و رئاسته كثير التواضع.

(و فى هذه السنه توفى الأديب الأريب، العالم الفاضل... (١) جدّ فى طلب العلم، حتّى تقلّد منصب الإفتاء على مذهب الإمام الشافعى بمكّه المشرفه، مع خفّه روحه و لطافته) (٢).

وفاه السيّد حمّود بن عبد الله:

و فى سنه خمس و ثمانين و ألف: توفى زعيم الساده الأشراف، و رئيسهم بلا خلاف، السيّد حمّود بن الشريف عبد الله بن حسن، و كانت وفاته بالطائف، و دفن خلف حبر الامّه رضى الله عنه، و بنى على قبره تابوت و عليه حوطه، رحمه الله

ص: ٣٢٨

١- ١) بياض فى نسخه «ن».

٢- ٢) ما بين الهلالتين أضفناها من نسخه «ن» فقط، و لم يذكر اسم المتوفى. أقول: توفى فى هذه السنه ممّن لم يذكرهم المؤلف: السيّد محمّد بن عمر شيخان، و العلامة فضل بن عبد الله الطبرى المكي، راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١١٢: ٢-١١٣.

وفاه السيّد أحمد بن محمّد الحارث:

و فى تاسع رجب منها: توفى السيّد الشريف، و الهمام القطريف، ذى الأخلاق الرضىه، و المزايا المرضيه، السيّد الشريف أحمد بن محمّد الحارث المتقدّم ذكره، حين ولّاه حسن باشا فى المدينه المنوره، و كانت وفاته بمكّه المشرفه، و دفن فى قبّه السيّد مسعود بن حسن، و وضع عليه تابوت رحمه الله تعالى (٢).

قلت: و قد أرّخ وفاته صاحب لسان الزمان فى سنه أربع و ثمانين. و فى العصامى (٣) طبق ما ذكرناه، و هو المعتمد.

وفاه السيّد عبد الرحمن المحجوب:

و فى هذه السنه: توفى السيّد الجليل، و السند الأصيل، علم العلوم و المعارف، السيّد عبد الرحمن المحجوب (٤).

قال صاحب لسان الزمان: و كان محبوبا فى القلوب، قلّ أن يراه شخص إلاّ و أحبّه.

إلى أن قال: و كان ذا همّه كبيره الشأن، كثير الشفاعات عند الملوك و الأكابر، باذلا نفعه لله تعالى، لا يرد أحدا ممن يقصده، و لا يصدّ من أراد به شفاعه أو

ص: ٣٢٩

١-١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٣٢، و إتحاف فضلاء الزمن ٢:١١٢.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٣٣، إتحاف فضلاء الزمن ٢:١١٢.

٣-٣) سمط النجوم العوالى ٤:٥٣٣.

٤-٤) هو السيّد عبد الرحمن بن أحمد بن محمّد بن عبد الرحمن بن على الأندلسى المكناسى المغربى الشريف الحسنى الشهير بالمحجوب.

معروف، و كانت الملوكة و الأكابر تقبل قوله، و تمثل شفاعته، و كان له عند شريف مكة الشريف زيد و جاهه عظيمه، و قبول تام، و كان يمثل أمره، و لا يخالف رأيه، و كان باذلا همته و كليته في إصلاح شأن الشريف زيد محبا له، و كان بينهما من المودة أمر عظيم.

ثم إنه عرض له فالج منعه عن القيام و المشى، فأقام في بيته يزوره الناس، و يقصدونه من كل جانب، و كان يلبس ثوبا واحدا، و يجلس على خصفه و عنده و ساده من آدم ينام عليها، و كانت تأتيه الندورات العظيمة، و الفتوحات و الهدايا من أرض الهند و الروم و العجم و المغرب و السودان، فينفق الجميع، و يستدين حتى يبلغ دينه عشرة آلاف و خمسة عشر ألف أحمر، فإذا جاءته الفتوحات قضى دينه، و كان يعطى عطاء من لا يخشى الفقر.

و كان آيه في الكرم، حتى أخبرني عنه بعض الأصحاب أنه كان يقول: لو أعلم أن جسدي ينفع الناس لقطعته و أعطيته للخلق ينتفعون به، و له كرامات كثيرة، نقل منها صاحب لسان الزمان شيئا كثيرا، و غير ذلك، و إنما نقلت ذلك ملخصا مع حذف كثير اختصارا.

توفي في سابع عشر ذي القعدة الحرام من السنة المذكورة، و دفن بزوايه السيد سالم شيخان، و كان قد اشتراها منه، و أوصى أن يدفن بها (١).

وفاه السيد محمد الحسيني الشامي نقيب الأشراف:

و في هذه السنة: توفي السيد العلامة محمّد بن كمال الدين الحسيني الشامي، نقيب الأشراف بمدينة دمشق، و كان واسع العلم، فاضلا نبيها، و له مؤلفات، منها

ص: ٣٣٠

شرح تنوير الأبصار، و حاشيه على شرح الألفيه لابن المصنّف، و حاشيه على تفسير البيضاوى، قاله صاحب لسان الزمان.

وفاه يحيى أفندى المنقارى:

و فى هذه السنه: توفى شيخ الإسلام، و مرجع الخاصّ و العامّ، يحيى أفندى بن محمّد أفندى المنقارى، مفتى الديار الروميه، و التخت السلطاني العثمانيه (١).

كان واسع العلم، جمّ الفضائل، له مشاركه واسع في العلوم، و غوص على دقائق المسائل، ترقى في المناصب إلى أن ولى قضاء مصر، ثم ولى قضاء الحرمين، و كان يدرّس بمكّه دروساً جليله، و يحضره أفاضلها، و له في تلك الدروس لطائف و ظرائف و تحقيقات، نقلت عنه و حفظته.

إلى أن قال (٢): و له مؤلّفات منها حاشيه على تفسير البيضاوى، و حاشيه على حاشيه الملاّ يوسف القرباعى، و انتهت إليه الرئاسة في العلم، و حظى عند الملوك، ثم التمس النزول عن الإفتاء، و أن يكون فيه أحد تلامذته. من لسان الزمان ملخصاً.

وفاه الشيخ على الأيزى المكي:

(و فى هذه السنه: توفى الفاضل الشيخ على بن محمّد الأيزى الشافعي المكي) (٣).

ص: ٣٣١

١- ١) فى «د»: العثماني.

٢- ٢) أى: العلامه محمّد بن أحمد عقيله صاحب كتاب لسان الزمان.

٣- ٣) ما بين الهاليتين من «ن» فقط، و لم توجد فى «د».

وفاه السيد أبو بكر بن سالم شيخان:

و في هذه السنه: توفى السيد الجليل الأصيل، الفاضل المثل، السيد أبو بكر ابن المرحوم المقدس السيد سالم شيخان، كان من أجله علماء التصوف، وأخذ عن الشيخ أحمد بن محمد القشاشي وغيره، وله شعر لطيف (١).

وفاه القاضي أحمد بن عيسى المرشدي:

و في هذه السنه: توفى الفاضل الكامل، القاضي إمام الدين بن أحمد بن عيسى المرشدي العمري، مفتي الحنفية بمكة المشرفه (٢).

خروج الشريف بركات إلى الفرع:

و في هذه السنه في سابع رجب منها: كان خروج حضره الشريف بركات إلى الفرع و أقطاره لتمرد أهله عليه، و خروجهم عن طاعته، فسار إليهم في التاريخ المذكور.

و خرج معه صاحب بندر جدّه بعساكره و مدافعه، فتلاقيا على عسفان، و سارا جميعا، و أدركهم شهر الصوم قبل وصولهم إليه بقليل في منزل يسمّى «قويزه» فأتم به صيامه و عيد، ثم توجه إليه و وصله، و نزل بقرية منه تسمّى «أم العيال» و أمر السيد ناصر بن السيد أحمد الحارث بالنزول بقرية منه تسمّى «أبو ضباع».

ثم استمرّ مقيما بتلك الديره، إلى أن أذهب جميع أموالهم و مزارعهم، حتى عادوا إلى طاعته راغبين من غير قتال.

ثم لما مشى من عندهم، لزم خمسة و عشرين شخصا من كبار شيوخهم، و أتى

ص: ٣٣٢

١-١) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ٢:١١٢، و ذكر أنّ وفاته كانت في ثامن صفر.

٢-٢) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ٢:١١٢، و ذكر أنّ وفاته كانت سنه (١٠٨٦).

بهم الى مكّه فى الحديد، الى أن ماتوا بأجمعهم واحدا بعد واحد.

خروج السيّد سعيد بن بركات الى الروم:

وفى سنه سبع وثمانين و ألف: كان مشى السيّد سعيد بن الشريف بركات الى الديار الروميّه، وصحبته عرض من والده يلتمس فيه من الدوله العليّه أن تكون الشرافه بعده فى ابنه السيّد سعيد، فأكرمته الدوله لما ورد إليهم إكراما تامّا، و أنالوه مطلوبه بأمر سلطاني وصل به، و تمّ له ذلك بعد وفاه أبيه، كما سيأتى إن شاء الله تعالى (١).

وفاه الشيخ محمّد البكرى الصديقى:

وفى هذه السنه: توفى الشيخ الجليل، الفاضل النبيل، الشيخ محمّد بن زين العابدين بن محمّد تاج العارفين بن أبى الحسن البكرى الصديقى.

وفاه الشيخ حسين بافضل:

وفى هذه السنه: توفى الشيخ حسين بن محمّد بافضل بمكّه المشرفه، و كان ذا فضل.

وفاه الشيخ نور الدين الشبراملسى:

وفى هذه السنه: توفى العالم العلامه شيخ الإسلام، الشيخ نور الدين بن على الشبراملسى، كان رئيس العلماء، و مقدّم الفضلاء، انتهت إليه رئاسه العلم بمصر و غيرها.

ص: ٣٣٣

و فى سنه ثمان و ثمانين:صارت بمكّه قضيه (١)من أعظم ما يؤرّخ:لأنّها من أكبر

ص:٣٣٤

١ - ١) و هى المجزرة الداميه الفجيعه ضدّ الشيعه الإماميه الاثنى عشرية بمكّه،قتل فيها جماعه من علمائهم و صلحائهم و عبّادهم،بتهمه لا أصل لها،كما يظهر من هذه الترجمة و غيرها. قال العلّامه الشيخ أحمد الحرّ العاملى أخو العلّامه المحدث الكبير الشيخ محمّد العاملى فى كتابه الدرّ السلوك فى أحوال الأنبياء و الأوصياء و الملوك(٢:٣٣٩): و فى سنه تسع و ثمانين و ألف قتل فى المسجد الحرام جماعه من الشيعه على تهمه باطله،و كان أخى الشيخ زين العابدين بمكّه مجاورا،فخرج إلى اليمن،فتوفّى بصنعاء اليمن رحمه الله. أقول:وقد وقع نظير هذه القضيه المؤلمه فى تاريخ مكّه المكرّمه مرارا،و من تتبع التاريخ يجد عدّه مواضع اتّهموا الشيعه بأمثالها،مع أنّها مجرّد تهمه لا أصل لها. فمن ذلك:ما وجدته فى المجلّد الثالث المخطوط من كتاب تاريخ مكّه المعروف إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ بنى الحسن،لجمال الدين محمّد بن على بن فضل الطبرى المكي المتوفّى سنه(١١٧٣)و كان الفراغ من تأليفها سنه(١١٤٠)و النسخه حصّلت صورتها من إحدى مكّتبات القاهره. قال:و فى ثمانيه و عشرين شعبان سنه(١١٣٩)بعد صلاه العشاء اجتمعوا عساكر مصر و غيرهم على رجل من العجم،و جرّوه كغيس الغنم،و قد ثخنوه باللحم و الضرب و الشتم،و أطلعوه إلى الشرع الشريف،و شهدوا عليه أنّه تفلّ على الحجر الأسود المكرّم،و أنّه يسبّ الشيخين،فجلّده القاضى جلدا محكما،و استنطقه بالترضى عن الشيخين،فترضى،و تلك منه تقيّه لا تسمع،فسألوا القاضى حرقه،

المصائب فى الإسلام، و ذلك فى يوم الخميس ثامن شهر شوال من السنه المذكوره، اتفق أن أستار الكعبه الشريفه و الحجر الأسود و باب الكعبه لوثت بشىء نتن يشبه العذره.

فلما أصبح يوم الثامن المذكور، حصلت ضجّه عظيمه بالمسجد بين حضّار المسجد من الأتراك و أهل البلاد، و كان من جملتهم رجل من أعيان الأروام، يلقّب «درس عام» نسب هذا الفعل إلى الأرفاض (1)، كما قاله العصامى (2)؛ لأنّه كان ملازم المسجد، و يرى صلاتهم و كثرتها، و بعض حركات لهم يستغفر بها، فيهمّ أن يعدى عليهم، حتّى صارت هذه القضيه، فنسبها إليهم، و أنّها من أعمالهم.

فعمد إلى رجل من كبار أبناء أهل البيت، و هو السيّد الجليل الأصيل التقى الصالح، السيّد محمّد مؤمن الحسينى التقوى (3)، و كان فى تلك الساعه خلف

ص: ٣٣٥

-
- ١- ١) أى: الشيعة الإماميه التابعه لمذهب أهل بيت العصمه و الطهاره عليهم السّلام.
 - ٢- ٢) سمط النجوم العوالى ٤: ٥٣٣، نسبه إلى العصامى كناية عن عدم صحّه القضيه عند المؤلّف.
 - ٣- ٣) فى «ن»: القرشى، و فى السمط: الرضوى. أقول: كان السيّد محمّد مؤمن الحسينى عالما فاضلا فقيها محدّثا صالحا تقيا ورعا زاهدا عابدا، له ترجمه مبسوطه فى المعاجم الرجاليه، لا بأس بالإشاره الإجماليه إلى بعضها كى يتّضح أنّ هذه القضيه كانت تهمة واضحه لقتل أمثال هؤلاء

المقام يتلو كتاب الله تعالى، فأخذوا المصحف من يده، وشرعوا يضربونه على رأسه، ثم جرّ علي وجهه، إلى أن أخرجوه إلى خارج باب السلام، ثم كرّروا عليه الضرب و الرمي بالحجاره إلى أن زهقت روحه، و اعترضهم حال خروجهم به من

ص: ٣٣٦

المسجد مجرورا سيّد آخر رفاعى (١)، فوضعه فوقه و ثلاثه آخرين أيضا، رحم الله الجميع برحمته الواسعه.

قال العصامى: و لقد رأيت ذلك الشىء و تأملته، فإذا هو ليس من القاذورات، و إنّما هو من أنواع الخضروات عجيب بعدس ممخخ، و أدهان معقّات (٢)، فصار ريحه ريح النجاسات، و كان هذا الفعل عند مغيب القمر من تلك الليله، و لم يعلم الفاعل لذلك، و غلب على بعض الظنون أنّ ذلك جعل عمدا و سيله إلى قتل اولئك، و الله العالم بالسرائر، و هو متولّى البواطن و الظواهر (٣).

وفاه السيّد إبراهيم بن محمّد الحسنى:

و فيها: توفى السيّد الشريف، و الهمام الغطريف، السيّد إبراهيم بن محمّد بن إبراهيم بن بركات بن أبى نمى، صنو الشريف بركات، و كان ذا رئاسه و ديانه، و همّه و أمانه، مسموع الكلمه عند أخيه، و فصيلته التى تؤويه، و خلف أبناء أجلّه، قد طلّوا فى سماء الرئاسه أهلّه، فيساغ للقائل فيهم أن يقول:

إذا مات منهم سيّد قام سيّد قوول بما قال الكرام فعول

نزول مطر عظيم:

و فى هذه السنه: حصل مطر عظيم ليله النفر من عرفه، و النحر بمنى، و استمرّ إلى بعد مضى نصف الليل (٤).

ص: ٣٣٧

١- ١) يقال له: السيّد شمس الدين الرفاعى.

٢- ٢) و هذه من عطريات الهند، كما رأيناها مرارا.

٣- ٣) سمط النجوم العوالى ٤: ٥٣٤، إتحاف فضلاء الزمن ١١٨: ٢.

٤- ٤) راجع: سمط النجوم العوالى ٤: ٥٣٤، و إتحاف فضلاء الزمن ١١٨: ٢.

و فى سنه تسع و ثمانين:سالت أوديه المدينه المنوره سيلا لم يعهد مثله، فأخرب دورا كثيره،و ملأ تلك الحدائق دمارا،حتى صاروا يضرعون إليه تعالى ليلا و نهارا،أهلك شخصا واحدا و امرأه و ولدها بالحمراء،و ذهب ببعض الجمال و الأحمال (١).

الفتنه العظيمه بالمدينه:

و فى سنه تسعين فى الثالث و العشرين من رمضانها:صارت بالمدينه المنوره فتنه عظيمه،و حادثه جسيمه،و هى أن بعض عساكرها من حفاظ واردها و صادرها عدى على وزير حضره الشريف،ذى الظلّ المنيف،المتقلّد عقد وزارتها من قبله،ذلك العام،على العاده المألوفه فى جميع الأعوام،و هو الجمال محمّد بن أحمد الخلفانى،و معه أنصار كثيرون،بدعوى أنه سبّ حضره السلطان فاستحقّ القتل،فاجتمعوا على بابه يطلبونه إلى الوجه الشرعى.

فأجاب بتفرّقههم و تعيين الخصم،ثم يكون ما تريدونه،فامتنعوا عن سماع ذلك، ثم هجموا عليه و أوردوه حياض المهالك هو و من كان معه من جماعته.

فلتمّا بلغ الشريف هذا الأمر الهائل،و القضاء النازل،عرض إلى الدوله العليه فى هؤلاء الفاعلين،و هم كانوا قريبا من ثلاثين نفرا،فورّد الأمر الشريف بقطع جوامكهم و نفيهم عن البلاد (٢).

ص: ٣٣٨

١- (١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٣٤-٥٣٥،و إتحاف فضلاء الزمن ١١٩:٢.

٢- (٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٣٥،و إتحاف فضلاء الزمن ١٢١:٢.

(و فى هذه السنه توفى الفاضل الفهامة الشيخ... (١) اجتهد فى طلب العلم، و أخذ عن فضلاء كثيرين، و اتسع فضله فى الفقه و الفرائض و الحساب و الفلك، و له تأليف حسنه، ذكرها صاحب لسان الزمان (٢).

ظهور نجم له ذنب طويل:

و فى سنه إحدى و تسعين فى أواخر شهر شوال: ظهر نجم له ذنب طويل إلى جهة الشرق، و استمر إلى آخر السنه، ثم اضمحل (٣).

المطر و السيل العظيم بمكة:

و فى هذه السنه فى الثانى و العشرين (٤) من ذى الحجة الحرام: حصل بمكة مطر كأفواه القرب، و تحصّل منه سيل عظيم، أذهب قريبا من خمسمائه شخص و جمالا- محمله (٥)، و أخرج الدور، و دخل المسجد الحرام، و ارتفع على المقامات، ما عدا مقام الحنفى و مقام الشافعى، و علا على قفل باب الكعبة، و ذهب بخلق كثيرين من الحاجّ المصرى.

و الحاصل أنّه كان كالطوفان، و اّرّخ بلفظتى «طغى الماء» و أكثر أهل مكة يؤرّخ

ص: ٣٣٩

١- (١) بياض فى «ن».

٢- (٢) ما بين الهلاليتين من نسخه «ن» فقط.

٣- (٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٣٥، و إتحاف فضلاء الزمن ٢:١٢٢، و الدرّ السلوك فى أحوال الأنبياء و الأوصياء و الملوك ٢:٣٣٩.

٤- (٤) فى السمط: الثانى عشر.

٥- (٥) فى السمط: و أخذ الجمال محملات.

وفاه السيّد أحمد شيخان العلوى:

و فى هذه السنه: توفى السيّد الأجلّ، السيّد أحمد بن أبى بكر بن السيّد سالم شيخان العلوى، نشأ بمكّه المشرفه فى حجر والده، و أخذ العلوم عن والده، و عن الشيخ عيسى المغربى، و عن السيّد عبد الرحمن المحجوب، و عن الشيخ محمّد بن سليمان المغربى، و أمره بالتدريس و الإفتاء، فدرّس و أخذ عنه الطلبة بالمسجد الحرام، و له شعر لا بأس به، مات بمكّه، و دفن بحوطه آل باعلوى (٢).

وفاه الشيخ محمّد المنوفى:

و فى هذه السنه: توفى الأديب الأريب، الفاضل النجيب، الشيخ محمّد بن محمّد بن أحمد المنوفى المكيّ.

و كان ذا فصاحه و بلاغه، دونهما قدامه و ابن المراغه، و علم متّسع وافر، و وجه فى الرئاسة سافر، تقدّم عند سلطانها الشريف زيد بن محسن، و وفى له بنجح آماله دهره المحسن، و تبخّر فى مذهب الإمام محمّد بن إدريس، و شيّد مغانى ربه الأنيس، و خلف أبناء كرام، صاروا بعد اندراجه أعلام بلد الله الحرام (٣).

وفاه الشيخ أحمد باعتر الطائفى:

و فى هذه السنه: توفى الشيخ الصالح التقى، الشيخ أحمد باعتر الطائفى، سكن الطائف، و مدّ به ظلّ علومه الوارف، فانتفع به الناس، و ارتفع به عن سكاّنه الشبهه

ص: ٣٤٠

١-١) راجع: سمط النجوم العوالى ٥٣٥:٤-٥٣٦.

٢-٢) راجع: إتخاف فضلاء الزمن ١٢١:٢-١٢٢.

٣-٣) راجع: إتخاف فضلاء الزمن ١٢٣:٢.

و الالباس، و بنى به مسجدا تيرا يعرف به، و إلى الآن عامر بسببه؛ لأنّه خلّف أولادا أختيار، لهم بالطائف أعظم اشتهار، فقاموا به حسب الامكان، مع إقامه الصلوات، و تلاوه القرآن، وفقهم الله لأقوم طريقه.

وفاه الخطيب أحمد البرى المدني:

و فى سنه ثنتين و تسعين: توفى العالم العلامه، و الفاضل الفهّامه، الخطيب أحمد ابن عبد الله الحنفى المعروف بالبرى المدني.

قال صاحب لسان الزمان: كان آيه فى العلم و الفهم، وجوده المنطق، و كان إليه المرجع بالمدينه المنوره، و هو المشار إليه فى ذلك الوقت، و كان يخطب بالمسجد النبوى، فىأتى بالخطب البليغه.

إلى أن قال: أخبرنى الشيخ تاج الدين بن أحمد الدهان، أنّ الخطيب أحمد كان إذا مرّ بالطرق بالمدينه المشرفه لم يجلس أحد فى طريقه: إمّا أن يقوم له فيتلقاه، أو يدخل فى داره إجلالا له، و كان رئيسا لطيفا، حسن المفاكهه (١). إنتهى.

و قد ترجمه السيّد على بن أحمد معصوم فى كتابه سلافه العصر، بقوله: خطيب صبغ بالفضل أديما، فكأنما عناه من قال قديما.

شرح المنبر صدرا لترقيه (٢) رحبيا

أترى ضمخ طيبا أم ترى ضمّ خطيبا

له الفضل الذى بهرت روايته، و رسخت فى تخوم العلوم درايته، و هطلت بالإفاده غمائمه، و سجت على أفنان الفنون حمائمه، و الأدب الذى تناسقت فى

ص: ٣٤١

١- ١) لسان الزمان، مخطوط لم أظفر عليه.

٢- ٢) فى السلافه: لتلقيه.

نظام الاحسان درره، و وضحت فى بهيم البيان حجوله (١) و غرره، فهو رايض جموح الكلام، و مصرف أعنه الأفلام، و منفق كساد المعانى و الألفاظ، و مكسد خطب قس فى سوق عكاظ، و خذ ما شئت من وقار و سكينه، و مكانه فى الزهد و التقى مكينه، و حفظ لدمام الصحبه، و رعى لعهود الأجه (٢). إلى آخر ترجمته رحمه الله تعالى.

و أورد له شعرا يشهد بنبله، و نثرا يدل على غزاره فضله، توفى و عمره ينوف على الثمانين، و قد رثاه جماعه من الادباء، و من أحسن ما رثى به قصيده الشيخ أحمد بن الشيخ أحمد الخيارى المتضمنه لتأريخ وفاته، و مطلعها:

فجأ الأنام جميعهم خطب ألم بهم عجيب

و مصيبه قد أوجبت للطفل منها أن يشيب

ورزيه عظمت بدا ر المصطفى طه الحبيب

فقدوا الإمام الحافظ العلامه الشهم الخطيب

فهامه العصر الملتين بو عظه القلب الصليب

كنز الحقائق مجمع البحرين ذا الرأى المصيب

و منها و هو آخرها و فيه التأريخ:

مولاي فاهن بجنه الفر دوس و المأوى الرحيب

اختارك المولى لدا ر الخلد كى فيها تطيب

قد قيل لى ما ضبط هذا الأمر و الخطب العجيب

ص: ٣٤٢

١-١) فى السلافه: نجومه.

٢-٢) سلافه العصر ص ٢٥٩.

فأجبتة متأوفا بلسان محزون كئيب

زل أول الأعداد من تأريخه تكن المصيب

و اسمع فقد وافا لنا تأريخه مات الخطيب (١)

وفاه إمام اليمن أحمد المؤيد:

و فى هذه السنه: توفى إمام اليمن الإمام أحمد بن القاسم بن الحسن، و كان لقبه المؤيد رحمه الله تعالى.

وفاه الشيخ حسن بن على الدهان:

و فى سنه ثلاث و تسعين: توفى الشيخ حسن بن على الدهان، ولد بمكّه سنه أربع و ألف، و مات و قد ناهز التسعين (٢).

خروج الشريف أحمد بن غالب من مكّه:

و فى شهر صفر منها: خرج السيد الشريف أحمد بن غالب من مكّه مفارقا للشريف بركات، و معه خمسه و ثلاثون شريفا، فرحل إلى الديار الروميّه، و وصل الشام و صاحب أياته إذ ذاك حسين باشا السلحدار، فأكرمه هو و من معه من الساده الأشراف، و أنزلهم فى بيت نقيب الأشراف، و شملهم بجزيل إحسانه، و جميل بزه و امتنانه، فكتبوا عرضا متضمنا لشكوى حالهم، ملتسبين فيه نجاح آمالهم، و كتب هو أيضا بمثل ذلك، و أرسلوهما صحبه شريفين، و هما: السيد محمد ابن مساعد، و السيد بشير بن مبارك، و أقاموا بالشام (٣).

ص: ٣٤٣

١- ١) لعلّ هذه الأشعار مأخوذة من كتاب لسان الزمان، و غير موجوده فى السلافه.

٢- ٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤: ٥٣٦.

٣- ٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٤: ٥٣٦-٥٣٧، و إتحاف فضلاء الزمن ١: ٢٣.

وفاه الشريف بركات صاحب الترجمة:

و فى ليله الخميس الثامن والعشرين من شهر ربيع الثانى من السنه المذكوره:

توفى الشريف بركات صاحب الترجمة و ملك مكه المعظمه، و صلى على جنازته الشيخ عبد الواحد بن محمد الشيبى القرشى بوصيه منه رحمه الله، و دفن عند الشيخ النسفى بوصيه منه أيضا، و كانت مدّه ولايته (١) عشر سنين و أربعه أشهر و ستّه عشر يوما (٢).

ترجمه السيد الشريف سعيد بن بركات بن محمد بن إبراهيم بن

اشاره

بركات بن أبى نمى صاحب مكه المشرفه

كان جلوس هذا الملك الهمام، و الغضنفر القمقام، ذى المجد الراسخ، و الحسب الباذخ، و الفخر الشامخ، خدين الهمم العليه، و الآراء الساميه الجليه، علم أرباب الشجاعه و البساله، و معلّم أصحاب الرئاسه و الأياله، و الراوى لأحاديث الكرام (٣) و أبناؤه، عن نفسه العصاميه و عن آبائه.

شرف تتابع كابرا عن كابر كالرمح أنبوب على أنبوب

فى يوم وفاه والده و انتقاله، و طيران طاووس إقباله، فشمر عن ساعده، و قام بقوانين الملك و قواعده، و لا غرو أن يحذو الفتى حذو والده، و لشرافته نقل مختصر، قد ضبط كفيتهها و حصر.

و هو أنّه لما دعى الحقّ أباه، فأجابه و لباه، مشى جماعه من الساده الأشراف

ص: ٣٤٤

١- (١) فى «ن»: دولته.

٢- (٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤: ٥٣٨، و إتحاف فضلاء الزمن ١: ١٢٤.

٣- (٣) فى «د»: الكرم.

و معهم السيّد عمرو، قاصدين حضره قاضى الشرع الشريف، لرفع هذا الأمر ملتمين من جنابه العالى السديد، خلعه يلبسونها حضره الشريف سعيد، فسأل عن رضا الساده الأشراف، خوفا من وقوع الزيغ و الخلاف، فأجابه السيّد عمرو بما رآه، ممّا يرفع عن فكره الاشتباه.

فدفع إليهم الخلعه حسب مرادهم، بعد الإعزاز لهم فى إصدارهم و إيرادهم، فرقوا الخلعه إلى حضره الشريف، و ألبسوه إيّاها فى بيته السامى المنيف، كلّ ذلك كان قبل تجهيز والده المرحوم، و دفنه فى الموضع المعلوم، ثم نادى مناديه باسمه العالى، محفوفاً بجمله البواتر و العوالى، و صحبته فخر الساده الأعظم السيّد عبد الله بن هاشم.

و فى اليوم الثانى: عقد مجلساً عظيم الشأن، ينطوى على كبار الساده و جميع الأعيان، و أبرز أمراً سلطانياً (مضمونه) (١) أنه ولى عهد أبيه، و خليفته فى المنصب دون سائر بنيه، فارتفع القيل و القال، و اطمأنت الخواطر فى جميع الأحوال (٢).

و فى ثانى عشر رجب من سنه ثلاث و تسعين: وصل قفطان من صاحب مصر لحضره الشريف سعيد بحرا (٣).

وصول الخلعه السلطانيه:

و فى ثامن عشر شهر شوال: وصلت الخلعه السلطانيه، و الأوامر الخاقانيه، صحبه رجل من الأعيان، من خدام حضره السلطان، فصار مجمع عظيم، فى

ص: ٣٤٥

١-١ (١) الزيادة من «ن».

٢-٢ (٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٤٢-٥٤٣، و إتحاف فضلاء الزمن ١٢٤.

٣-٣ (٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٤٣.

الموضع الشريف المعروف بالحطيم، فلبس الخلعه بحضور الأكابر و جميع الساده، و قرأت المراسيم على العاده، فحصل بذلك سرور تام، لمكان بلد الله الحرام.

إخراج الشيخ محمد بن سليمان:

و فى شهر شوال: ورد أمر سلطاني بإخراج الشيخ الجليل العلامة الشيخ محمد ابن سليمان المتقدم ذكره، فأرسل إليه القاضي و شريف مكه الشريف سعيد، فاستمهلهم ثلاثة أيام، ثم توجه بالسيد ثقبه بن قتاده فى الصبر عليه إلى الحج، فتوجه السيد ثقبه على الشريف و قاضى الشرع، فوجهاه فى ذلك، ثم توجه صحبه الحاج الشامي؛ لأن الأمر الوارد بإخراجه قد عيّنوا فيه مسيره إلى القدس، كما قاله العصامى (١)، و إلى أى موضع شاء، كما قاله صاحب لسان الزمان.

وصول الأمر السلطاني بتقسيم البلاد:

و فى أواخر سنه ثلاث و تسعين: وصل صحبه الحاج الشريف أمر سلطاني بتقسيم البلاد أربعه أرباع: ربع لشريف مكه، و الثلثه الأرباع للساده الأشراف.

و السبب فى ذلك: أنه لما توجه الشريف أحمد بن غالب إلى الديار الروميّه فى السنه المذكوره، صدر من الشريف بركات عرض يتضمّن شكايه حاله مع الساده الأشراف، و أنه ناله أشدّ التعب منهم؛ لعدم رضاهم بما كان يعطيهم إيّاه، فإنّه قانع بالربع من محاصيل البلاد.

فجزموا بأنّ هذا مراد للشريف بركات، فأصدروا هذا الأمر بهذا المضمون، فوصل صحبه الحاج، فأراد الشريف سعيد كتّمه، فبلغ الساده الأشراف ذلك، فاجتمعوا على الشريف و طلبوه منه، و ألزموه بإحضاره، فلمّا لم يردّا عن إخراجه

ص: ٣٤٦

أبرزه لهم، فسجّلوه في المحكمة المكيه مضمونه.

ثمّ قسّموا مدخول البلاد و الإخوان أربعه أقسام، فوضعوا الشريف في الربع، و وضعوا السيّد محمّد بن أحمد بن عبد الله بن حسن، و السيّد ناصر بن أحمد الحارث، و جماعه من الساده في الربع، و وضعوا السيّد أحمد بن غالب، و السيّد أحمد بن سعيد و جماعه في الربع، و وضعوا السيّد عمرو بن محمّد، و السيّد غالب ابن زامل في الربع، فاستمرّوا على ذلك.

ثمّ حصل بينهم الزيع و الاختلاف بأسباب ذلك؛ لأنّ كلّ واحد من هؤلاء الأعيان ممّن بيده ربع رام أن يسوق سياق الملوكة (١)، و استعدّ بالخدّام و الكتبه و العساكر.

و أكثرهم استعدادا في ذلك السيّد أحمد بن غالب، فحصل عند الشريف تعب من ذلك، و أمره بترك العساكر، فامتنع مستندا إلى أنّ السوالف قد سبقت بذلك لصاحب الربع، و أسعفوه كبار الساده الأشراف على ذلك، فتوهم الشريف و طلب كفاله جمع من الأشراف عليه، فكفّلوا على السيّد أحمد.

و بهذه الأسباب حصل بمكّه لسكّانها غايه الاضطراب و النهب لبيوت مكّه ليلا و عناء ليس له آخر، فادّعى الشريف سعيد على الأعيان أهل الأرباع بأنّ البلاد قد خربت، و كثر فيها السرقة بالليل، فلا بدّ أن يصل من كلّ جماعه من أهل الأرباع أشخاص يعسون البلاد مع جماعتي، فعملوا بذلك، و لم تزل البلاد في غايه الاختباط و الخوف ممّا كان يصير بها من أشياء عديده لا يمكن تفصيلها

ص: ٣٤٧

(١ - ١) في «ن»: الملك.

حوادث سنه أربع و تسعين و ألف:

و على هذه الكيفيه دخلت سنه أربع و تسعين.

وصول هديه جليله من الهند:

و فيها فى خامس شهر رمضان منها: وصل إلى مكّه المشرفه هديّه من ملكه «آش» و هى بلده بأقصى الهند، و تلك مقابل هديّه كان أهداها إليها الشريف بركات، منها ثلاثه قناطير ذهب مصطنع يصفى على النصف خالصا، و ثلاثه غلايين ذهبا، و ثلاثه أرتال كافور، و جانب عظيم من القرنفل و الجاوى، و آواق من الزباد الآشى، و للكعبه بخمسه قناديل، و مبخرتين و شمعدانين، و للمدينه كذلك قناديل و مباخر و شماعدين.

فنازع الساده الأشراف الشريف سعيد، طالبين منه الثلاثه الأرباع منها، فامتنع، فقامت النفوس بينهم و بينه، ثم وقع الصلح على إعطائهم النصف، قاله العصامى (٢).

وفاه الشيخ محمّد المالكى السوسى:

و فى هذه السنه: توفّى العالم العلامه، و الفاضل الكامل الفهامة، المحقق المدقق، الشيخ محمّد بن سليمان المالكى السوسى.

قال صاحب لسان الزمان: أخذ العلم بالمغرب، و صحب أجلاء الشيوخ من أهل المغرب، و لازم أكابر العلماء، ثم رحل فطاف المغرب، ثم رحل إلى الشرق فدخل مصر، و أخذ عن أكابرها و علمائها، ثم دخل أرض الحرمين و أقام بالمدينه

ص: ٣٤٨

١- ١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤: ٥٤٤-٥٤٥.

٢- ٢) سمط النجوم العوالى ٤: ٥٤٥، و إتحاف فضلاء الزمن ١٢٧: ٢.

المنوره، ملازما غالب أوقاته للذكر و الخلوه عن الناس.

ثم وصل إلى مكّه المشرفه، و صحبته الفضلاء، و أخذوا عنه، و كان عالما متصنفا متسعا، عديم النظير، فصيح المنطق (1)، ذا هيبه و جلاله، و فراسه في إصابه الرأي، و صار له بمكّه شهره، فاعتقده كثير من الناس. إنتهى.

قلت: و قد تقدّم له ذكر شريف فيما سبق من هذا التأليف، حين صحبه أخو حضره الوزير مصطفى باشا، و بلغه من ترقى مراتب العزّه ما شاء، إلى أن رحل معه إلى الديار الروميّه.

و اجتمع بسطان تلك الأقطار السّتيّه، و حصلت منه الإشاره بتوليه الشريف بركات لمكّه المشرفه و تلك الجهات، و رفع بعض امور تقدّم تفصيلها، و فوّض إليه النظر العامّ في الأوقاف و الربط الكائنه بالبلد الحرام، فانتهى إليه بمكّه الحلّ و العقد، حيث قلّد صاحبها من مننه الساميه ذلك العقد، و استصحب معه امورا سلطانيّه تتضمّن إجراء ملك الأحوال الرحمانيّه، فكان لا يقطع أمر بدون رأيه، و لا يعرف الإقبال و الإدبار بأحسن من توجّهه و رأيه.

بنى بمكّه رباطا للفقراء، يعرف باسمه العالى إلى الآن، و مقبره أيضا تعرف بمقبره ابن سليمان، و أقام بمكّه و أقطارها تلك المدّه، فأمره نافذ على قلّ غلاظه و شدّه، إلى أن تبدّلت تلك السعودات بالنحوس، و هبط بعد أن كان على الرؤوس، فورد في إخراجة الأمر السلطاني كما تقدّم، فتعب من ذلك أشدّ التعب و تندّم، فمشى صحبه الحاجّ الشامي إلى الشام، و بها دعاه داعي الحقّ، فسكن تربتها و أقام.

ص: ٣٤٩

(١ - ١) في «ن»: النطق.

و كانت وفاته فى حادى عشر شهر ذى القعدة الحرام من السنه المذكوره، و دفن بالصالحية بسفح قاسيون من التربه (١)اللانجيه المعروفه، و له التصانيف المفيده، و التأليف السديده (٢).

إدخال القناديل إلى داخل الكعبه:

و فى سادس عشر ذى القعدة الحرام من السنه المذكوره: ادخلت القناديل المتقدم ذكرها إلى الكعبه، و علقت فيها بحضور الشريف سعيد، و السيد محمد بن حمّود، و نائب الحرم الشريف.

وفاه السيد محمد بن أحمد:

و فى يوم الأحد رابع عشر ذى القعدة المذكور: توفى السيد الشريف الأمجد، المنيف الأنجد، السيد محمد بن أحمد بن عبد الله.

توقف الساده الأشراف من العرضه:

و فى شهر ذى الحجه الحرام: توقف الساده الأشراف من العرضه المعتاده مع الشريف سعيد، و بعد النزول من منى عقد مجلسا احتوى (٣)على صالح باشا أمير الحاج الشامى، و أحمد باشا صاحب بندر جدّه، و أمير الحاج المصرى ذو الفقار بيك، و جميع أعيان الدوله العثمانيه، و أنهى إليهم شكايه من الشريف أحمد بن غالب فى جمعه العساكر و مناكده له و فساد عليه، و فساد جماعته و عساكره فى البلاد، فأرسلوا إليه السيد غالب بن زامل ليحضر فى هذا المجلس، و يسمع دعوى

ص: ٣٥٠

١- ١) فى «ن»: بالتربه.

٢- ٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤: ٥٤٧-٥٤٩ و إتحاف فضلاء الزمن ١٢٨: ٢.

٣- ٣) فى «ن»: يحتوى.

فامتنع من الحضور فى بيت الشريف، إلا أن صار هذا المجلس فى المسجد الحرام، وإن كانت دعوى فيصلكم وكيلىنا، فأرسلوا إليه من جهه العسكر، فأجابهم بأن هذا قانون بيننا قد سلف، و حضره الشريف يعرف ذلك، و أسألوا كبار الساده الأشراف عن ذلك، هل هذا قانون لمن يكون بيده الربع أم لا؟ و أمّا ما ادّعا من إفساد جماعتنا فى البلاد، فأسألوا عن ذلك، و تفحصوا و أطلقوا فى البلاد مناديا بذلك تظهر لكم الحقائق.

و فى مدّه هذه المراسلات قد اجتمع رأى الساده الأشراف على مقاومه هؤلاء إن صارت منهم حركه، فجمعوا مراجلهم و خيولهم، و لبسوا الدروع، و ألبسوا الخيل، و تأهبوا للقتال.

و كان من جمله المخاطبات أن أرسل صالح باشا للشريف أحمد: إنكم إذا لم تصطلحوا طوعا أصلحناكم بالسيف، فأجابه السيد أحمد بأن السيف لنا يا بنى هاشم، ما هو لفلايح الشام.

فلما وعوا جوابه مع كونهم غير جازمين بخطأ السيد أحمد، بذلوا الهمة بالصلح بينهما، على أن يكفل كل واحد منهما جماعه من الساده الأشراف، و كتبت بينهما حجّه بذلك، و التمسوا من السيد أحمد أن يصل إلى الشريف سعيد، فوصل إليه فى شهر الحجّ قبل خروج الحاجّ الشامى ليلا مرّه واحده.

و فى اليوم الثانى من هذا المجلس: وصل صالح باشا فى مرجله زهيدته إلى بيت السيد أحمد بن غالب معتذرا فيما صدر منه، و قبل يده، فقابله السيد بما هو أهله من الإعزاز و الإكرام.

ثم دخلت سنه خمس و تسعين، و فى ثانى عشر محرّم الحرام منها: صارت قضيه بين الساده الأشراف و بين أحمد باشا صاحب بندر جدّه، و هو أنّه وضع يده على ربع الحبّ المختصّ بشريف مكّه، فخاطبوه فى ذلك، فلم يجبهم إلى مطلوبهم، فتركوه إلى يوم مسيره إلى جدّه، و فى ذلك اليوم تأهبوا المقاومة إذا لم يجبهم إلى ذلك، و يخلصهم ما هو لهم.

و كان اجتماعهم فى بيت السيّد محمد بن حمّود، و المرسول إليه السيّد ثقبه، و الحال أنّه قد أرسل ثقله و حريمه، فصار أحيى من ضبّ، و قد خاطبه: بأنّك إذا لم توفى الساده الأشراف حقّهم، و إلّا- فيأخذون جميع أوباشك، و يذهبون حريمك، ثمّ يقتلونك (١)، فأذعن بما هو لهم، و كتب على نفسه حجّه شرعيّه، و كفّل على نفسه معمارا كان بمكّه فى ذلك العام اسمه كرد أحمد، و جميع آغاوات العساكر المصريّه، و الوزير المكرّم عثمان حميدان المتقدّم ذكره، ثمّ خرج آخر النهار (٢).

و فى تاسع ربيع الأوّل منها: ورد إلى مكّه المشرفّه شخص من طرف السلطنه العثمانيّه، و معه قفطان للشريف سعيد، و أمره بلزم كرد أحمد المعمار.

و سببه: أنّه كان قد أرسله الوزير مصطفى باشا وزير الدوله العليّه لعماراه المسجد الحرام، و بعض عمارات فى بندر جدّه، فعمرّ فى بعض الروايات، و فرشها بالحجر الشيبكى، إلّا- بعض مواضع منها بقيت بلاطا، ثمّ عمّر عينا بجدّه جرّها من الموضع المعروف بالقوز، و عمّر بجدّه أيضا مسجدا و مناره و حماما، و عمّر أوقافا

ص: ٣٥٢

١- ١) فى «ن»: يقتلوك.

٢- ٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤: ٥٤٩.

كبيره موجوده إلى الآن على المسجد المذكور لمصارفه.

فلما حصل الغضب على استاذة الوزير المذكور من الدوله العليّه، بسبب ما نسب إليه من الولىس (١) من الكفّار على المسلمين، و كان هذا المعمار من خواصّ الوزير المذكور، فأرسلوا في لزمه و محاسبته، فلزمه الشريف سعيد و مرسل الدوله و حاسبوه، ثمّ كتبوا بذلك حجّه شرعيّه، و أخذه الرسول بعد ضبط جميع أمواله و تعلقاته، و ذهب به بحرا في شهر ربيع الآخر من السنه المذكوره (٢).

وقوع أمر عجيب بمكّه:

و في هذه السنه: وقع فيها أمر عجيب، و هو أنّ حرمه في جهه الشيبكه من نساء العرب وضعت كلبا، فخافوا الفضيحه، فقتلوه و دفنوه. إنتهى قاله العصامى في تأريخه (٣).

وفاه الأمير يحيى بيك الحسائى:

و في هذه السنه: توفى الأمير المكرّم الأديب الأريب، يحيى بيك بن على باشا الحسائى بالمدينه المنوره، و قد كان والده المرحوم على باشا أمير الحسا، ثمّ آلت منه إلى ولده محمّد باشا، ثمّ استقلّوا بها العرب، و هم بنو خالد، فأقام على باشا و أولاده بالمدينه المنوره، و قد أطال الشيخ عبد الملك العصامى الكلام في شأن يحيى بيك و والده على باشا، فراجعه ثمّه (٤).

ص: ٣٥٣

١-١) الولىس: الخدعه و الخيانه.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٥٠.

٣-٣) سمط النجوم العوالى ٤:٥٥٠.

٤-٤) سمط النجوم العوالى ٤:٥٥٢-٥٥٥.

وصول خلعته للشريف سعيد:

و فى ثالث شهر شوال من السنه المذكوره:وصل إلى الشريف سعيد خلعته من صاحب مصر، أرسلها إليه بعد أن أرسل يعرض إلى الدوله حال (١)مكّه المشرفه و ما صار فيها من الفساد؛لأنّ الشريف سعيد كان قد أرسل ترجمانه إلى صاحب مصر يخبره بما وقع بمكّه المشرفه من الفساد،و يطلب إرسال عسكر يتقوّى بهم، فأرسل إليه هذه الخلعته،و بعث إلى الدوله عرضا يتضمّن ما شكاه حضره الشريف مع ترجمانه كما تقدّم،فوصلت الخلعته فى اليوم المذكور و لبسها.

كثره البلاء و المحن بمكّه:

و فى هذه السنه:اشتدّ الحال بأهالى مكّه المشرفه،حتىّ كسرت البيوت و الدكاكين ليلا- و نهارا،و كثر القتل فى الطرقات و المنافذ،و اشتهر الفساد اشتهارا عظيما من العبيد و أتباع الساده الأشراف،و ربما آل الأمر إلى إيقاع الفساد بحريم الناس بمرأى من رجالهم،لا يقدرّون على ممانعتهم،فضجّت الامّه،و تضرّعوا إلى الله تعالى فى رفع هذا البلاء عنهم.

فاستجاب الله دعاءهم بعزل الشريف سعيد عن مكّه المشرفه،و خروجه فى الليله الثامنه و العشرين من شهر ذى القعده الحرام أوآخر سنه خمس و تسعين و ألف،فكانت آخر مدّه دولته هذه (٢).

و كان لخروجه فى تلك الليله نقل لطيف و اتّفاق غريب،و هو أنّه كان فى ذلك اليوم،و هو يوم السابع و العشرين من ذى القعده،و قد صعد فى النهار إلى أحمد باشا

ص:٣٥٤

١-١) فى «د»:فى حال.

٢-٢) راجع:سمط النجوم العوالى ٥٥٥-٤-٥٥٦.

صاحب جدّه، و هو ببستان الوزير عثمان حميدان، و هذا البستان موجود إلى الآن، فاستمرّ عنده إلى ذهاب جانب من الليل، ثمّ نزل في قطعه من الخيل و قصد عقبه الحجون، ذاهبا إلى السيّد غالب بن زامل؛ لأنّه كان مقيما بذي طوى و نازل.

فصادفه (١) في مسيره رجل تسنّم غارب بعيره، فقال له: من هذا الملمّ، في الليل المدلهمّ؟ فأجابه بأنّه رجل من بني الصخر، أقبل قاصدا إلى أرباب المكارم و الفخر، فقال له: قد سقطت على الخير، فأبن لنا أبشير أنت أم نذير؟ و إذا لم تبد لنا صدق كلامك، و إلا جرّعناك كأس حمامك.

فلما قطع بعدم نتيجة ذلك المكر و الكيد، أخبره بأنّي مرسل من الشريف أحمد ابن زيد، فأمسك عليه و ذهب به، و سأله عن حقيقه خبر صاحبه و سببه، فأوضح له الخبر، و صدّق في حديثه و برّ، بأنّ الدوله العثمانيه المكرمه، قد أنعمت على الشريف أحمد بن زيد بشرافه مكّه المعظمه، فارتفع شأنه هناك و علا، ثمّ أجهد ركائبه مقبلا حتّى لحق الحاجّ الشامي بالعلا.

ثمّ ألزمني بالمسير إلى مكّه كالتطالب، و حملني كتبا إلى السيّد أحمد بن غالب، ليكون قائم مقامه ببلاده، حتّى يصل صحبته حجّاج بيت الله و وفّاده، فأخذه من ليله و ذهب به إلى بيت السيّد عمرو، و استدعى بالسيّد غالب بن زامل، و السيّد عبد الله بن هاشم، ليرو كيف يكون إظهار هذا الأمر، فاتفق رأيهم على أن يعدلون بها إلى السيّد مساعد بن سعد، و يتلون قوله تعالى لِّلّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ (٢).

ص: ٣٥٥

١- ١) في «ن»: فصادفه.

٢- ٢) سورة الروم: ٤.

فأرسلوا السيّد عبد الله بن هاشم إليه، ليأت به حتّى يبشّوا حقيقه الحال عليه، فأتى به إلى ذلك المجلس المعلوم، و ماوى خبرهم المكتوم، ثمّ أخبروه بحقيقه هذا الأمر الوارد، صحبه ذلك القاصد، بأنّ الشريف قد منّت الدوله بإعطائها لعمّك، فأحبينا إنهاء شريف علمك، فالقصد أن تتوالى أمر بلاده، و تنادى بصريح اسمه، و تجتهد فى دفع الفساد و إبعاده.

ثمّ أرسل الشريف سعيد إلى جميع العساكر المكيه المصريه و اليمنيه، بأنّ الشرافه قد آلت إلى ذلك الشريف، فكونوا تحت أمر السيّد مساعد عاملين برأيه المنيف، و أودع السيّد مساعد جميع طوارفه على المعتاد، و خرج فى آخر تلك الليله و ترك البلاد، ثمّ توجّه... (١).

ترجمه السيّد الشريف أحمد بن زيد بن محسن بن حسين

اشاره

ابن حسن بن أبى ندى صاحب مكّه المشرفه

قال الشيخ عبد الملك العصامى فى تاريخه عند ذكر الشريف أحمد المذكور: إنّه لما انفصل عن إمره مكّه هو و أخوه الشريف سعد إلى الطائف، ثمّ منها إلى بيشه، فأقام بها، و توجّه الشريف أحمد إلى دير بنى حسين، فإنّ له بها أهلا و ولدا، و استمرّ مقيما بتلك الديره إلى أوّل ذى القعدّه الحرام.

فرحل عنها قاصدا المدينه المنوره لزياره جدّه عليه الصلاه و السّلام، فدخلها ليله السابع و العشرين ليله دخول الحاجّ الشامى، و واجه بها فى ذلك العام أمير الحاجّ الشامى فقابله بآتمّ الإجلال و الإكرام، و التمس منه إتمام بعض مرام من شريف مكّه الشريف بركات.

ص: ٣٥٦

ثم رحل من المدينة المنورة ثاني شهر ذي الحجة الحرام من العام المذكور، ونزل على شيخ حرب أحمد بن رحمه، واستمرّ عنده إلى عود الحاجّ الشامي، فواجهه الباشا وأخبره بعد تمام ذلك المرام، بعد أن أرسل إليه الخبر من مكّة بالإعلام.

ثم توجه في أول عام أربعة وثمانين إلى الفرع، واستمرّ به مدّة يسيره، ثمّ لما خرج الشريف بركات إلى حرايه حرب في أواسط السنه المذكوره، عاد إلى حرب و حضر الحرايه، ثمّ بعد انقضائها توجه أيضا إلى الفرع، ثمّ أرسل إليه أخوه الشريف سعد، واستمرّ بين السوارقيه و الفرع، وأكثر الإقامة الفرع.

ولمّا توغّد الشريف بركات لأهل فرع أوائل سنه خمس و ثمانين، تنحّوا إلى جهه وادى النقيع من ديره حرب من بنى السفر و بنى على و عوف، واستمرّوا من معهما إلى شهر رمضان، ثمّ عنّ لهم التوجه إلى الديار الروميه، والأبواب العليه، فوصلوا إلى حول المدينة الشريفة، ونزلوا بالغابه مجتمع الأسيال غربى احد أواخر رمضان، فعّيدوا فى ذلك المحلّ، وليس فى نزل الاسود بالغابه، ملامه و لا معابه، و تقصّوا مصالح و أغراضا، و تزوّدوا منها.

وقد أخبرنى الثقه بأنّهما اجتماعا بالمحلّ المعروف ببئر واسط لمولانا السيّد مبارك و الحارث، و كان هو المشير عليهما بقصد الأبواب العاليه، و ترخّلوا من الغابه خامس شهر شوال من السنه المذكوره متوجّهين إلى الشام، لا يمرّون بحىّ من الأحياء إلّا أكرمهم بمزيد الإكرام.

و من أعجب الاتّفاق: نزولهم على مراح بن سحيم من غير علم منهم بذلك، و كان الشريف سعد قد قتل أباه، فلمّا علم بهم و علموا به حصل لهم كرب عظيم، فلم يشعروا إلّا و ولده مواجه لهم بالعبوديه و السلام، و الإجلال و الإعظام، و أهدر دم

والده و أكرمهم، و ذبح لهم الذبائح، و منح المنائح، و هذه لا شك أنها معجزه من جدّهم، و كرامه من سعادته جدّهم.

و لم يزالوا على مثل ذلك مع كل من مرّوا عليه من العربان، من جمع و وحدان، إلى أن وصلوا الشام، فتلقّاهم أهل الشام و امراؤها و علماءؤها، و كبرائها و أشرفها و نقباؤها، و كان يوما مشهودا.

ثم أقاموا بالشام، و أرسل صاحب الأمر بها يستأذن لهم بالوصول، فعاد الجواب بالإذن، فتوجّهوا و دخلوا إلى أدرنه في ربيع الأوّل من سنة ستّ و ثمانين، و حصل لهم من المقابله و اللطف، ما يكمل (١) عنه الوصف، فأقاموا مدّة يسيره، ثمّ توجّهوا بأمر من الدوله العليّه إلى إسلامبول، و استمرّوا بها بقيه سنتهم المذكوره.

ثمّ دخلت عليهم سنة سبع و ثمانين و هم بها، فلما كان شهر صفر من السنه المذكوره وصل مولانا السلطان و جميع الدوله من أدرنه إلى بلاد إسلامبول.

و في شهر ربيع الثاني: أنعم على مولانا الشريف سعد بولاية المعزّه، و أمره بالتوجّه إليها، و استمرّ بها يتجهّز إلى أن كان خروجه إليها حادي عشر جمادى الاولى.

و استمرّ مولانا الشريف أحمد بإسلامبول، و عرضت عليه ولاية طرسوس، و هي بلد بساحل الشام، و اخرى بجهه الروملى، فلم يقبل واحده منهما، و كان جوابه: إن تفضّلت بولاية بلادنا، و إلّا فنحن تحت أعتاب السلطنه العليّه.

و استمرّ السلطان بإسلامبول إلى أواسط شعبان من السنه المذكوره، ثمّ توجّه إلى أدرنه أيضا، ثمّ بعد خروجه في ثاني أو ثالث مرحله، توفّي الوزير أحمد باشا

ص: ٣٥٨

١-١) في السمط: ما يقصر.

بعد أن خرج مريضا، فاعيد إلى إسلامبول و دفن بها، و تولّى مكانه قائم مقامه مصطفى باشا.

و استمرّوا متوجّهين إلى أدرنه، و أقاموا بها إلى آخر السنه المذكوره و شهر من أوّل سنه ثمان و ثمانين، ثمّ عادوا إلى إسلامبول أيضا في شهر صفر أيضا، و تأخّر الوزير أيّاما ثمّ وصل، و استقرّت الدوله بإسلامبول.

و استمرّ مولانا الشريف أحمد مقيما بها تحت ظلّ الدوله العليه، و في كلّ سنه يتجدّد له من الإكرام و الترقّيات ما فوق المرام، و في كلّ شتاء بثلاثمائه بغل محمله من جميع ما يحتاج إليه البيت، و زيد في سنه إحدى و تسعين ثلاثمائه اخرى.

و حصلت بينه و بين قزلار آغاسى محبته أكيدة، و طلب الاجتماع بالوالده، فاجتمع بها، و أغدقت عليه سوايح الإنعام، و وعدته بتمام المرام، و قد سيق وعدّها وعد الملك العلام.

و استمرّ كذلك إلى سنه ثلاث و تسعين و ألف، فوصل فيها إلى الديار الروميّه السيّد محمّد بن مساعد، و السيّد مبارك بن بشير، مرسولين من السيّد أحمد بن غالب من الشام، فركبا إليه و قتيلا عنده، فأوحى بعض المفسدين إلى الوزير الأعظم، و قال: إنّ إقامه مولانا الشريف أحمد بإسلامبول يخشى منها، فالأولى عدم إقامته بها، فأحضره الوزير و ألبسه قفطانا بولايه «كرك كنيس» إسم محلّ بينه و بين أدرنه ثمان ساعات فلكيه.

و كان قبل ولايته بشهرين ارسل بأخيه الشريف سعد إلى البلد المسماه «ويزه» بكسر الراء و تخفيف الزاي، و هي أيضا قريب من كرك كنيسه، بينها و بينها ثمان ساعات أيضا.

و استمرّ كلّ منهما بمكانه إلى سنه أربع و تسعين، فتوجّه السلطان إلى السفر،

فَعِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى أَدْرَنَةَ فَسَّحَ لَهُمْ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى حَيْثُ شَاؤُوا مِنَ الدِّيَارِ الرُّومِيَّةِ، فَتَوَجَّهَ الشَّرِيفُ سَعِدٌ إِلَى إِسْلَامْبُولٍ، وَاسْتَمَرَ الشَّرِيفُ أَحْمَدُ فِي بَلَدَتِهِ الْمَذْكُورَةِ، وَطَابَتْ لَهُ وَتَأَنَّسَ بِهَا.

إِلَى أَنْ كَانَتْ سَنَةٌ خَمْسٌ وَتِسْعِينَ، فَوَصَلَ فِيهَا تَرْجَمَانَ الشَّرِيفِ سَعِيدٍ يُعْرَضُ إِلَى صَاحِبِ مِصْرٍ، يَذْكَرُ فِيهِ مَا شَرَحْنَا مِنْ إِفْسَادِ مَكَّةَ بِأَيْدِي الْعَبِيدِ، وَالنَّهْبِ الَّذِي لَا يَنْقُصُ بَلَّ يَزِيدُ، وَأَنَّ الْبِلَادَ خَرِبَتْ، وَالْأَحْوَالَ اضْطَرَبَتْ، وَطَلَبَ مِنْهُ عَسْكَرًا لِإِصْلَاحِهَا، وَمَالَا يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى أُمُورِ نَجَاحِهَا، وَأَظْهَرَ أَنَّ مَغْلُوبٌ عَلَيْهِ، وَأَنَّ كُلَّ مَنْ أَرَادَ شَيْئًا فَمِنْهُ وَإِلَيْهِ.

فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ أُرْسِلَ رَسُولًا إِلَى الدَّوْلَةِ الْعَلِيَّةِ، بِالتَّعْرِيفِ بِهَذِهِ الْأَحْوَالِ، وَأُرْسِلَ مَعَهُ التَّرْجَمَانَ الْمَذْكُورَ، فَوَصَلَ يَوْمَ عِيدِ الْفِطْرِ، وَحَصَلَ عِنْدَ الدَّوْلَةِ (١) الْعَلِيَّةِ اضْطِرَابٌ لِهَذَا الْخَبَرِ، فَاشْتَوَرَتِ الدَّوْلَةُ، وَاتَّفَقَتْ عَلَى أَنْ لَا يَصْلِحَ هَذَا الْخَلَلُ إِلَّا أَهْلَهُ (العَرَيْفُونَ) (٢) وَحَمَاتِهِ الَّذِينَ هُمْ فِي بَيْتِ الْمَلِكِ عَرِيقُونَ.

وَ بَرَزَ فِي الْوُجُودِ مَا كَانَ فِي عِلْمِ اللَّهِ كَامِنًا، وَمَا قَدَّرَ بِهِ لِبَلَدِهِ أَنْ يَعُودَ كَمَا كَانَ آمِنًا، فَاسْتَدْعَى مَوْلَانَا السُّلْطَانَ وَهُوَ مُقِيمٌ بِأَدْرَنَةَ عِنْدَ رَجُوعِهِ مِنَ السَّفَرِ مَوْلَانَا الشَّرِيفُ أَحْمَدُ مِنْ مَحَلَّةِ كَرَكِ كَنِيسَةِ الْمَذْكُورَةِ، يَوْمَ ثَالِثِ شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ.

فَبَادَرَ بِالْوُصُولِ إِلَيْهِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ، فَقَابَلَهُ بِغَايَةِ الْإِجْلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَالتَّحِيَّةِ وَالْقِيَامِ، وَوَضَعَ كَفَّهُ بِكَفِّهِ، وَتَصَافَحَا مِنْ قِيَامٍ، قَائِلًا: «اللَّهُمَّ صَلِّ

ص: ٣٦٠

١-١) فِي السَّمْطِ: السُّلْطَانَةُ.

٢-٢) الزِّيَادَةُ مِنَ السَّمْطِ.

علي محمد و علي آل محمد عليه الصلاة و السلام».

فكان أوّل خطاب وقع بينهما أن قال: يا شريف أحمد الحجاز خراب، اريدك تصلحه، فوضع يده على رأسه ممثلاً للأمر، فألبسه ثمّ جلس، و أمر الشريف أحمد بالجلوس، و كثر عليه الكلام الأوّل مرّتين أو ثلاثه، و هو يجيبه بما أجب به أوّلاً.

ثمّ التمس من حضره السلطان بعض أوامر سلطانيه، فأمر له بها، و قدّم له مركوب جميل مكمل، و أتبعه من الإكرام و الإحسان، ما لم يحصره بنان و لا بيان.

و استمرّ في أدركه إلى يوم التاسع من شوال المذكور، ثمّ توجه إلى كرك كنيسه، فأقام بها يومين، و ضمّ مفرّقات اموره و أحواله، و أوصى على أهله و عياله، ثمّ توجه إلى إسلامبول، و منها إلى أسكدار.

ثمّ جدّ في مسيره ليلا و نهاراً، و أرسل إلى أمير الشامي يتربّص له بالعلاء، و أرسل كتاباً إلى السيّد أحمد بن غالب ليكون مقامه، و كتاباً إلى الوزير المكرّم عثمان حميدان، كما تقدّم ذكره، و لحق الشامي بالعلاء، و دخل المدينه المنوره، و لبس الخلعه السلطانيه بحجره جدّه كما لبسها أبوه، و استسرت القلوب برؤيه محياه، و تبلّجت الوجوه. إنتهى نقل العصامي مع حذف و اختصار (1).

قلت: قد اتّضح لك من نقل العصامي، بيان نقل هذا السيّد الشريف السامي، إلى أن لحظته عين العنايه الربّانيه، فعطفت عليه عواطف الدوله العثمانيه، فأنالته غايه مأربه، و سنّمته ذروه منصبه، كما قد مرّ بك إيضاحه، و تبلّج لك صباحه، فورد مكّه المشرفه، رافلاً في حلل الشرافه المفوفه، و برز على افق مكّه من تلك المطالع، كالبدر الطالع، فأمنت بقدمه البلاد، و اطمأنت العباد.

ص: ٣٦١

و كان دخوله إلى مكه في اليوم السابع من ذى الحجه الحرام إنتهاء سنه خمس و تسعين و ألف.

و أما ورود الخبر بشرافته، و النداء باسمه الشريف، فكان في اليوم الثاني و العشرين من ذى القعدة من السنه المذكوره، كما تقدّم ذلك في آخر ترجمه الشريف سعيد بن بركات.

و أما لبسه لخلعه الشرافه، فكان في اليوم الثالث من شهر شوال من السنه المذكوره.

و قد أرّخ ولايته الأديب الأريب جمال الدين محمّد على بن سليم بقوله و أجاد:

حين بشرى الشريف أحمد و أفت ملاً الكون بشرها و تجدد

عاود التخت مالكا قلت أرّخ عود يمن بذلك العود أحمد (١)

و أرّخ ولايته أيضا الأديب الفاضل الشيخ عبد الملك العصامي بقوله:

قضى إله العرش ربّ السما أنك والى الفرش صوانها

و أنها بعد خراب بها (٢) حسا و معنى أنت عمرانها

قال حجابى و هو من طفحه الس كر من الأفراح نشوانها

يجيد فيه ضبط تاريخه أتى إلى مكه سلطانها (٣)

ص: ٣٦٢

١-١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٦٤.

٢-٢) فى السمط: و أنك من بعد خراب بها.

٣-٣) سمط النجوم العوالى ٤:٥٦٤.

فى حوادث أيام شرافته و مدّه ولايته و خلافته

قدوم الوزير محمد على بن سليم:

و أولها افتتاح سنه ستّ و تسعين، ففى ثانى عشر جمادى الآخرة: كان قدوم الوزير المكرّم الجمالى محمّد على بن سليم، ناظم التاريخ المتقدم، من نواحي اليمن، كان هذا الرجل وزيرا لأخيه الشريف سعد فى دولته الاولى، و كانت له فى تلك الدوله يد طولى.

ثمّ خرج من مكّه ليله خروج مخدمه، و توجه تلقاء اليمن و أقام بها مترقبا لقدمه، و صار فى غيابه ذاك نقض و إبرام لماله بمكّه من الأملاك.

و لَمّا بلغه وصول الشريف أحمد إلى أقطار الحجاز، أقبل عليه، فعامله بالإكرام و الإعزاز، فألقى بها عصاه، و استوطن من العزّ أقصاه، فهذه نتيجته عاقبه الصبر على حدوث الأيام و حوادث الدهور و الأعوام، فلا بدّ أن يعقبه الفرج، و يرتفع ذلك الحرج.

هى الأيام و الغير و أمر الله منتظر

أتىأس أن ترى فرجا فأين الله و القدر (١)

وفاه الشيخ يحيى بن محمد النابلى:

و فى هذه السنه: توفى العالم العلامه، و الفاضل الكامل الفهيمه، أبو زكريا يحيى ابن الفقيه الصالح محمّد البابلى (٢) الشاوى المليانى المغربى (٣).

ص: ٣٦٣

١-١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٦٥.

٢-٢) فى «٥»: النسائلى.

٣-٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٦٥.

قال صاحب لسان الزمان: كان إماما فاضلا نبيها، سكن مصر و أقام بها، و أخذ الناس عنه بها، و له مؤلفات، منها: حاشيه على أمّ البراهين للسوسى نحو عشرين كراسا، و شرح على التسهيل لابن مالك، و كتاب فى النحو لطيف، و كان آيه فى الحفظ و الفهم. انتهى.

وفاه الشيخ أحمد البشيشى:

و فى غزه شهر رجب: توفى الشيخ الجليل، الشيخ أحمد بن عبد اللطيف البشيشى الشافعى المشهور، و كانت ولادته سنه إحدى و أربعين و ألف، و له عدّه شيوخ أخذ عنهم، حتى صار إماما فى جميع العلوم، و قصده الفضلاء إلى مصر، و نشر بها العلوم، ثم رحل إلى مكّه المشرفه حاجًا، و أقام بها ثلاث سنوات، ثم عاد و توفى فى بلده بشيش فى السنه المذكوره (١).

دخول شيخ آل ضفير إلى مكّه:

و فى شهر شعبان من السنه المذكوره: دخل شيخ آل ضفير سلامه بن مرشد بن صويت مكّه المشرفه، فأنزلهم الشريف أحمد بخيام قد نصبها لهم بالمحصّب، ثم سمح عنهم و أخذ لهم خواطر الساده الأشراف جميعا؛ لأنهم كانوا جنيه لهم، و وصلوا فى أمان الشريف أحمد، و أمانهم جميعا ثم عادوا (٢).

خروج الشريف أحمد إلى عنزه:

و فى سنه سبع و تسعين و ألف فى عاشر ربيع الثانى منها: كان خروج الشريف

ص: ٣٦٤

١- (٤) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٦٧، و تاج العروس ٩:٦٢.

٢- (٥) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٦٧-٤:٤٦٨.

أحمد بن زيد إلى جهة الشرق، ثم قصد عنزه، وهي قبيله عاصيه، فوصل إليهم و استأصلهم، حتى دخلوا تحت طاعته (١).

وزاره سليمان باشا مير يا خور:

وفي هذه السنه: ولى الوزاره العظمى سليمان باشا مير يا خور (٢)، و وصل منه خلعه ستيه صحبه قاصد للشريف أحمد، و كان دخوله مكه المشرفه سابع عشر شهر ربيع الثانى من السنه المذكوره، و حضره الشريف بالمبعوث (٣).

وفاه السيد محمد بن يعلى الحسنى:

وفي هذا الشهر من السنه المذكوره: توفى السيد العظيم الأمد، السيد محمد ابن يعلى بن حمزه بن موسى بن بركات بن أبى ندى، و والد شريف مكه المعظمه الشريف عبد الكريم الآتى ذكره، و كان من رؤساء الساده، و ممن ثنيت له بينهم الوساده (٤).

وفاه إمام اليمن محمد المؤيد:

وفي هذه السنه: توفى إمام اليمن الإمام محمد المؤيد، و حصل باليمن اختلاف عظيم بين أبناء الأئمه، ثم استقر الأمر و قام بالإمامه جمال الدين أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن الحسن بن القاسم، و لقب بالمهدى.

و كان ذا كرم بارع، و فضل نوره ساطع، و دوله قاهره، و وصوله باهره، و صلوات

ص: ٣٦٥

١-١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٦٨.

٢-٢) فى السمط: مير أخور.

٣-٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٦٨، و إتحاف فضلاء الزمن ٢:١٣٣.

٤-٤) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٦٨، و إتحاف فضلاء الزمن ٢:١٣٣.

عميمه، و هبات جسيمه، و استمرت دولته مدّه مديده، إلى أن عزل منها بالقاسم بن حسين، كما سيأتي ذلك في سنه عزله، و سترجمه ترجمه ستيه، لا يقه بحضرتة العليّه.

فصل

في ذكر ملوك اليمن

و إذ قد ذكرنا وفاه هذا الإمام المذكور الذي كان مستوليا على قطر اليمن المشهور، فلا بأس بذكر ملوك هذا القطر على سبيل الإجمال، لحيث المناسبه، و زياده الفائدة، مطلوبه على كلّ حال.

و قال بعض عمد المؤرخين: قطر اليمن هذا ملك واسع ضخّم، يشتمل على مدائن عظيمه، و ملوكه أهل شوكة، و سكّانه العرب العرباء؛ لأنّ سام أولد إرم، و منه تفرّعت قبائل العرب، و سكنوا أرض اليمن، و منهم قبائل عاد، و سكنوا أرض الشام و الحجر و البلقاء، و منهم قبائل ثمود، و كانت ملوكهم من أولاد عاد أهل شوكة و نجده.

و منهم من غالب المعمور من الأرض، مثل شدّاد بن عاد، ثمّ من بعده من ملوك حمير، و منهم ذو القرنين الأوّل، و كان في عهد إبراهيم عليه السّلام دوّخ الأرض و ملك غالب المعمور.

ثمّ التّابعه من ملوك حمير، و هم ثلاثه: تبع الأ-كبر، و تبع الأوسط، و تبع الأصغر، و هو الذي ملك الأرض، و صحبته حبران من أحبار اليهود من مدينه يثرب، فحملاه على أتباع شريعة موسى عليه السّلام، و كانت قبائل حمير عبده أوّثان على ملّه العرب، فدخل تبع إلى اليمن بشريعة موسى عليه السّلام، و جرى بينه و بين أهل اليمن منازعه، ثمّ دخلوا معه في الدين، و هذا تبع هو المشار إليه في قوله تعالى أ هُم خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبْعِ افصارت مدائن اليمن كلّها على دين موسى عليه السّلام.

ص: ٣٦٦

ثمّ التّابعه من ملوك حمير، و هم ثلاثه: تبع الأ-كبر، و تبع الأوسط، و تبع الأصغر، و هو الذى ملك الأرض، و صحبته حيران من أحبار اليهود من مدينه يثرب، فحملاه على أتباع شريعته موسى عليه السّلام، و كانت قبائل حمير عبده أو ثان على مله العرب، فدخل تبع إلى اليمن بشريعته موسى عليه السّلام، و جرى بينه و بين أهل اليمن منازعه، ثمّ دخلوا معه فى الدين، و هذا تبع هو المشار إليه فى قوله تعالى أ هُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبَعِّ (١) فصارت مدائن اليمن كلّها على دين موسى عليه السّلام.

إلى أن دخل اليمن حبر من أحبار النصارى، يقال له: ميمون، إلى نجران من أرض اليمن، فأتبعه شخص منهم، يقال له: عبد الله بن السامر، و لم يزل يظهر للناس كثيرا من المعجزات و الآيات، حتّى أتبعه جمع من أهل تلك الأرض.

فلما علم ملك اليمن ذو نواس نهى الناس عن ذلك، و أن لا يتبعوا دين عيسى عليه السّلام، و توعد من فعل ذلك، ثمّ خذ الاخدود، و هو حفيره مستطيله، و أوقد فيها النار، و صار يعرض من خرج من مله اليهوديه إلى النصرانيه، فمن رجع تركه، و من أبى ألقاه فيها، و ذلك قول الله تعالى قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوُجُودِ (٢).

ثمّ لما فعل ذو نواس ما فعل بمن تنصّر، فرّ رجال منهم حتّى وفدوا على قيصر ملك الروم، و شكوا عليه ما فعل ذو نواس، و كان قيصر على دين النصارى، فغضب لذلك، و قال: إن أرضى بعيده من أرضكم، و لكنتى أكتب إلى النجاشى ملك الحبشه، فكتب لهم إلى النجاشى، فأرسل النجاشى معهم بجنود من الحبشه، فأخرجوا ملوك حمير التّابعه، و استولوا على جميع إقليم اليمن، و أقاموا على ذلك مدّه.

لى أن توجه سيف بن ذى يزن إلى ملك الفرس كسرى، و استنجده، فأمدّه بقليل من العساكر، و شىء من المال، فتوجه معهم و جميع قبائل اليمن، فحارب بهم الحبشه و أخرجهم منها، و استولى على اليمن، و أقامت معه نواب ملك الفرس باليمن، و توالدوا و تناسلوا، فسّموا الأبناء و هم أولاد الفرس، و منهم وهب بن متبه،

ص:

١-١) سورة الدخان: ٣٧.

٢-٢) سورة البروج: ٤-٥.

و همام بن مته، و عبد الرزاق الصنعاني صاحب المصنف، و غيرهم.

ثم ظهر الإسلام، و صار نواب الفرس على اليمن مشاركين لولائه، فلما أسلم أهل اليمن أرسل إليهم النبي صلى الله عليه و آله و لاه، منهم: على عليه السلام، و معاذ بن جبل، و غيره.

فلما توفي رسول الله صلى الله عليه و آله و ارتدت قبائل العرب، قامت نواب النبي صلى الله عليه و آله (١) باليمن، و جاهدوا من ارتد عن الإسلام، و أرسل أبو بكر عمارة إلى اليمن من طرفه، و كذا عمر و عثمان و على عليه السلام.

فلما صار الملك إلى معاوية بعث و لاه من طرفه، فلما مات و ولي ابنه استولى على الحجاز و اليمن و العراق عبد الله بن الزبير، و بعث و لاته إلى اليمن.

فلما قتل عبد الله في أيام عبد الملك بن مروان، و استولى أميرهم الحجاج على الطرق، و بعث أخاه محمدا و ولده عاملين على اليمن، و لم يزل الحال كذلك في دولة بني امية ترد و لاتهم على اليمن.

و شرع في أثناء هذه المدّة قيام بين الساده الحسينيين و الحسينيين، و غيرهم من الهواشم.

فلما صارت الخلافة في بني العباس، كثرت الدعاوى باليمن، و جرى بينهم و بين بني العباس حروب و خطوب.

و في أواسط بني العباس ظهر باليمن، رجل يقال له: الصليحي، و هو من دعاة الباطنية الإسماعلية، و كان يدعو للبيديين أصحاب المغرب و مصر، و استولى على اليمن جميعه، ثم قتل.

و بعد مدّة ظهر باليمن شخص، يقال له: عبد النبي، و هو أيضا من دعاة الباطنية،

ص: ٣٤٨

١- ١) في «ن»: رسول الله صلى الله عليه و آله.

و له زندقه و مروق عن الدين، فملك اليمن، و بقيت دولته مدّه هو و أقاربه.

ثم انقضت بدوله بنى أيوب الأكراد الذين ملكوا مصر، و أقامت دوله هؤلاء بنى أيوب باليمن مدّه، و ينازعهم بعض الدعاه من الساده، و يستولى على بعض الجهات.

ثم انقضت دوله بنى أيوب بدوله بنى رسول، و هم الذين يقال لهم: بنو غسيان، و دامت إلى أن انقضت فى أواخر أيام الجراكسه (١)، و كان آخر بنى غسان عامر ابن عبد الوهاب و أخوه.

ثم لما صار الملك لبنى عثمان، أرسلوا من طرفهم باشوات و امراء، فاستولوا على اليمن، و كان أيضا ينازعهم فى بعض جهاته بعض الدعاه من الساده، و يستولى على بعض الجهات، مثل السيد شرف الدين و أهل بيته، حتى قام الإمام القاسم بن محمد بالدعوه، فلم يزل ينازع الباشوات، إلى أن استولى على جميع قطر اليمن و أخرجهم منه، و آخر من خرج من عساكر آل عثمان فى سنه ثمان و أربعين و ألف.

ثم استولى على اليمن بعد الإمام القاسم ابنه الإمام المؤيد، ثم الإمام إسماعيل المتوكل، ثم بعده الإمام أحمد بن الحسن، ثم الإمام المؤيد أحمد (٢) بن المتوكل، و توفى فى سنه سبع و تسعين و ألف، فوقع التشاجر و الخلاف، إلى أن استقر الحال بالإمام محمد بن أحمد بن الحسن، كما تقدّم ذكره، و سيأتى تاريخ عزله بالإمام القاسم بن حسين إن شاء الله تعالى عند ذكر وفاته، فهذه جمله مفیده تتعلق بقطر

ص: ٣٦٩

١ - ١) فى «ن»: الشراكسه.

٢ - ٢) فى «ن»: محمد.

اليمن وولاته إلى هذا الزمن.

عودا إلى ما نحن بصدده:

وصول الشريف أحمد إلى جدّه:

و في سادس عشر شهر شوال من السنه المذكوره: كان وصول الشريف أحمد إلى مدينه جدّه، بعد أن أغمد سيفه في عنزه، و استطاعهم حتّى صار شيخهم بمنزله عبده.

و من يعص أطراف الزجاج فإنّه يطيع العوالى ركّبت كلّ لهزم

و استمرّ بالمدينه المشرفه إلى ثانى عشر ذى القعدة الحرام، ثمّ توجّه الى مكّه و دخلها ليله هلال ذى الحجّه الحرام، ختام سنه سبع و تسعين و ألف (١).

وصول خلعه سنيه للشريف أحمد:

و في رابع الشهر المذكور: وصلت خلعه سنيه و مرسوم شريف لحضره مولانا الشريف، و مضمونه نشر الثناء الجزيل، على هذا السيد الجليل، فلبس الخلعه الساميه بالحطيم، و حصل له مزيد الإعزاز و التعظيم (٢).

هدم البيوت الملاصقه بالمسجد:

و في عشرى الشهر المذكور: أمر أحمد باشا صاحب جدّه بهدم كلّ خلوه ملاصقه للمسجد المكي، و ما كان هدمه مخرّجاً بأجدره المسجد أبقاه و سدّه، و سبب نقضها وقوع فسوق في بعضها (٣).

ص: ٣٧٠

١-١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٦٨-٥٦٩، و إتحاف فضلاء الزمن ١:١٣٣.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٦٩.

٣-٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٦٩.

إشاره

ثم دخلت سنه ثمان و تسعين و ألف، و فى تاسع محرّم الحرام منها: عدا أحمد باشا المذكور على مفتى مكّه المشرفه فى تلك العصور، و هو العالم العلامه، و الفاضل الفهّامه، عبد الله أفندى عتافى زاده، فأوقع به ما لا يليق بمقامه، و لا يرضاه مسلم لبعض خدامه، و أخال أنّه لغرض كان فى نفسه، و علّه كامنه من أمسه، فأبرزها فى قالب الغضب عليه، عند صدور جواب قاس من المفتى إليه.

و ذلك فى يوم كان قد طاف برواقات المسجد الحرام فيه، لرفع ما كان فيه زياده من المدارس المشييده بنواحيه، فحين وقع منه ما وقع فى شيخ الإسلام، ثار لذلك الخاصّ و العامّ، و استدعى إلى قاضى الشرع الشريف، فتوقّف عن الحضور خشيه على مقامه العالى المنيف، ممّا يتوهّم وقوعه من العامّه من الرجم، و انتهاك حرمة بعد الهجم.

فاستدعاه حضره الشريف ليلا، و شمّر لتأديبه بقوارع اللسان ذيلا، و أسمعته من الكلام، ما يعدّ من أعظم الكلام، فاعترف مبتدرا، و تنصّل معتذرا، و أنشد لسان حاله بعد وقوع ذلك الخطأ:

من لم يقف عند انتهاء حدّه تقاصرت عنه فسيحات الخطأ (١)

بناء الحائط على مقابر مكّه:

و فى أواخر محرّم الحرام المذكور: شرع الوزير المكرّم عثمان حميدان و كيلا من طرف الدوله العليه آل عثمان، فى بناء الحائط المستدير على المقبرتين، الباقي إلى الآن، و هى مقبره السيده خديجه عليها السلام، و مقبره الشيخ عمر العرابي، و الثالثه

ص: ٣٧١

مقبره الشيخ محمد بن سليمان المتقدم ذكرها (١).

وفاه الشيخ محمد البخشي الدمشقي:

و في شهر ربيع الآخر منها: كانت وفاه الشيخ الجليل الصالح، شيخ الطريقه، و إمام الحقيقه، الشيخ محمد الشهير بالبخشي الدمشقي بمكّه المشرفه، و دفن بالمعلاه أمام قبه السيده خديجه امّ المؤمنين، و دفن بجانبه السيّد محمد بن زين العيدروس (٢).

إخراج التكرود من مكّه:

و في شهر جمادى الآخره: وقع إلزام من حضره الشريف في إخراج جميع من بمكّه من جنس التكرود، ببناء في الأسواق، فخرجوا برمتهم.

و سبب ذلك أمران:

الأول: وقوع سرقة منهم في البلاد.

و الثاني: التظاهر بعمل السحر بمكّه المشرفه حتّى فشى (٣).

عزل أحمد باشا والي جدّه:

و في الثامن و العشرين من شهر رجب من السنه المذكوره: وصل الخبر بعزل أحمد باشا صاحب جدّه بمحمد بيك (٤).

و في غزه شعبان: وصلت المستلم بصوره الأمر السلطاني بعزل أحمد باشا،

ص: ٣٧٢

١-١) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١٣٤:٢.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالي ٤:٥٧٠.

٣-٣) راجع: سمط النجوم العوالي ٤:٥٧٠.

٤-٤) راجع: سمط النجوم العوالي ٤:٥٧١.

و الحثّ عليه بالوصول، و سجّل ذلك الأمر بمحكمه مكّه المشرفه بنظر الشريف، و أكرم المستلم، ثمّ نزل إلى بندر جدّه، و أكرمه أحمد باشا.

ثمّ تهيّأ للسّير إلى الأعتاب، و وصل إلى مكّه، و أعانه الشريف إعانه لايقه بمقامه من الخيل و الركاب، ثمّ مشى إلى الدوله فى عاشر شهر شعبان من السنه المذكوره، و أصحابه الشريف السيّد على بن أحمد بن على، و جمله من الرجال، ثمّ عادوا بعد مدّه (١).

و فى السادس و العشرين منه: وصل إلى مكّه أمير اللواء محمّد بيك صاحب بندر جدّه، فتلقاه الشريف بنهايه الإكرام، و فى غزّه رمضان نزل إلى بندر جدّه (٢).

الوباء العامّ بالطائف:

و فى هذا الشهر: عمّ الطائف جميعا أرضه و بيوته و حدائقه و بآء، حتّى ملأ السهل و الوعر، و ترك الأشجار عاريه، لم يبق فيها شيئا من الخضره، و استمرّ مدّه، ثمّ ذهب (٣).

نصره المسلمين على الكفار:

و فى شهر ذى القعدة: وصل مبشّر من جهه الروم بنصره سلطان الإسلام على الكفار الطغام، و المفقود منهم ما بين قتل و أسر سبعون ألفا، و استرجعوا جميع ما وضعوا أيديهم عليه من بلدان المسلمين (٤).

ص: ٣٧٣

١- ١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٧١.

٢- ٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٧١.

٣- ٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٧١.

٤- ٤) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٧٢.

ثم دخلت سنه تسع و تسعين، و فى حادى عشر محرّم منها: انفصل عثمان حميدان عن وزاره الشريف يوسف آغاسنان (١).

انزعاج الشريف أحمد بن غالب:

و فى شهر صفر من السنه المذكوره: انفصل السيد الشريف، و الهمام الغطريف، ليث آل أبى طالب، السيد أحمد بن غالب، عن الشريف أحمد لأمر اقتضى ذلك، حتى هجر أقطار الحجاز و تلك المسالك، و تبعه جم غفير من الساده العظام، و المنهل العذب كثير الزحام، و قصد الديار المصريه، ثم منها إلى الدوله العثمانيه، بعزم سنى، و إقدام حسنى، و حزم (٢) له من دون يأجوج ماكر، و مأجوجهم سبك الحجا محكم السدّ.

و حلم يخفّ الطود عدلا بوزنه إلى لطف ذات دونه سلسل الورد

وجود محت آياته صيت من مضى كذاك جرى الوادى فطم على الشمذ

و كان سيره فى أواسط ربيع الأول من السنه المذكوره هو و جميع من معه من الساده بأكمل الأوصاف المستجاده. و بعد ممشاه أرسل الشريف فى أثره، ردّ أفعاله عن مملكته و قطره، جمله من العساكر و الأنصار، مرتين أو ثلاث مرار (٣).

وفاه الشريف أحمد بن زيد:

و فى الساعه الثالثه من يوم الخميس الثانى و العشرين من شهر جمادى الاولى

ص: ٣٧٤

١-١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٧٢.

٢-٢) فى «ن»: و جزم.

٣-٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٧٢، و إتحاف فضلاء الزمن ٢:١٣٥.

من سنه تسع و تسعين و ألف:توفى حضره الشريف أحمد بن زيد صاحب مكه المشرفه،رحمه الله تعالى،و أولاه أطفافا توالى،و دفن على والده المرحوم الشريف زيد بقبة الشريف أبى طالب.

فكانت مدّه ولايته باعتبار لبسه الخلع الشرافه بالأبواب السلطانيّه ثلاث سنوات و سبعة أشهر و تسعه عشر يوما،و باعتبار ورود الخبر إلى مكّه و قيام السيّد مساعد بنيابته ثلاث سنوات و خمسة أشهر و ثلاث و عشرين يوما (١).

قلت: كان هذا السيّد الأشرف،و السند الأمجد الأرف،و الملك الهمام،و الأسد الضرغام،ذا هيبة و وقار،و عدل شائع فى الأقطار،وورد مكّه و هى مفعمه بالمظالم، فنصر المظلوم،و خذل الظالم،و أزال ما كان بها من الفساد،الذى أذهب العباد، و أخرج البلاد،فغدت مكّه بها زاهره،و دولته باهره بها و قاهره.

و قام بأمر الله لم يبق قاسط بأحكامه إلاّ و قد راضه القسط

و سار على نهج السداد بنيه صفا وردّها لله ما شاء بها خلط

و أيد مظلوما و أضعف ظالما إلى أن غدا يسطو على الأجدل البسط

فله درّه من ملك أسدّ،و عادل هدم ربوع المظالم و هدّ،و طود حلم منيف، و جود خصب و ريف،مع فضل بارع،و فهم المسائل الغامضة قارع،و أدب غضّ ندى،تتهاداه الأسماع فى كلّ محفل و ندى،و فوائد فى العلوم الأدبيّه جمّه،يروىها لسان الدهر لأمّه بعد أمّه.

و إن أقرّ على رقّ أنامله أرقّ بالرقّ كتاب الأنام له

فلعمري لقد أوكر الشعر ببابه،و أبكر طلاب الفوائد إلى هاطل جنباه،فهبت أمّ

ص: ٣٧٥

١- ١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٧٣،و إتحاف فضلاء الزمن ٢:١٣٥.

مرزم مكارمه عليهم، و صدقهم سن بكر أمواله المنايه إليهم.

فمن جمله من بادر إلى مدحه، و بتر بما منى جوده، و عنق برحه، نادره عصره، و أديب مصره، صاحبنا الشيخ سالم الصعدى، قال:

سمح الزمان لنا بملك بنى حسن فلذا شهدنا أنه زمن حسن

للّه من زمن صفت أوقاته بدوام دوله من له العليا شجن

المالك الملك المؤيد أحمد بن المنتقى زيد المليك المؤمن

رأس الملوک يمينهم زند الرعيه كهفهم يوم المخاوف و المحن

ملك أقام السعد يخدمه على رغم الحسود أخى الضغائن و الإحن

ملك له الفخر (١) المخلد لم يزل عبدا يحفّ ركابه طول الزمن

ملك غدا المجد الأثيل أليه نعلا لأخمصه المصانه عن درن

ملك له العزّ (٢) المؤبد قد غدا من جمله الأنصار و الجند العون

ملك تتوج بالسياده و العلا و تدرع الفضل الذى لم يمتهن

ملك له فى الجود شهره حاتم و سماحه الغيث الملت إذا هتن

ملك إذا نزل الفقير بسوحه أنساه تذكّار الأقارب و الوطن

ملك إذا أمّ الفقير نواله أضحى يطوّقه أعاجيب المنن

ملك له يوم العطاء طلاقه الوجه الذى ماء الحياء به قطن

ملك له الخلق الوسيم كذا له ال خلق العظيم كذا له الفعل الحسن

من آل طه و البتول و حيدر من نخبه الأشراف أبناء الحسن

ص: ٣٧٦

١- ١) فى السمط: العزّ.

٢- ٢) فى السمط: الفخر.

من ساده أضحي حديث علاهم تالله يطوى نشره عنا الحزن
من قاده قطعوا ببيض سيوفهم تلك المواضي دابر القوم الخون
من عصبه ساروا على سنن الهدى قدما فيا نعما بذياك السنن
من فتيه شم الانوف القائمي ن بحمل أعباء الفرائض و السنن
و سليل زيد الملك هذا المرتضى هو خيرهم نفسا و أزكاهم هدى
هذا الذى ملك (1)البقاع أمانه فأراع جيش الخوف بعد أن أطمأن
حتى رعى ذئب الفلاه مع الظبا و تكحل الجفن المسهد بالوسن
هذا الذى طافت مكارمه بأر ض الصين بالروم المعمر باليمن
هذا الذى سارت عوارفه من ال بلد الحرام إلى العراق إلى عدن
و إلى مآثر طيبه الغزا إلى أرض الحجاز إلى الخبوت إلى قرن
هذا الذى بكمال وافر عدله خمدت لظى نار المظالم و الفتن
صعب العزائم من فرى بصفاحه و رماحه من شا و من شا قد طعن
ثبت الجنان إذا التقى الصفان أث بت من كسا جنن البساله و المنن
طلق اللسان إذا أشار إلى البيا ن أجل من وهب الفصاحه و الفطن
يابن الكرام الأقدمين و من لهم غرر المعالى لم تزل أبدا خدن
يا أيها الملك الذى حمد الورى أفعاله اللاتى بها الخير اقترن
خذها قصيده مخلص من وده لك فى حميد السر منه و فى العلىن
غزاه هذبها الذكاء و صاغها ال فكر الذى هو بالمتاعب فى وهن
هذا و لو لا صحبه الصبر الجمى ل لفارق الأهلىن و اصطحب الظعن

فأجز منضّدها اللجين فإنه رجل عليه الدهر بالدينار صن

و اسلم و دم طول الزمان مكرّما ما غرّد القمري الطروب على فنن

و غدت جميع الخلق تنشد فرحه سمح الزمان لنا بملك بني حسن (١)

و قد نظم غير واحد درّ المدح فيه، و رضع درّ نائله بفيه، فاكثفينا بهذا القليل، مخافه حصول الملل بالتطويل، و إنّما كان العصامي
أرّخ وفاته بأبيات أخطأه حسن السبك وفاته، و مطلعها:

فأجأنا دهرنا المفاجيء سطا علينا بطول أيدي

طاش حجانا لما دهانا بمن حجانا صروف كيدي

و منها:

لموت سلطانا المرجّجي أبي سليمان زين أيدي

الملك النائف المراقى و شائد العزّ أيّ شيد

إلى أن قال:

دونك بشرى بقال خير تأريخ عام بضبط جيد

دار نعيم حبي كريم قرّ بها أحمد بن زيد (٢)

ترجمه السيد الشريف أحمد بن غالب بن محمّد بن مساعد

اشاره

ابن مسعود بن حسن بن أبي نمي صاحب مكّه المشرفه

قلنا: كان الذي ينبغي سيرا على نهج هذا التأريخ السلوك، في ترتيب تراجم الملوك، تقديم الشريف سعيد بن سعد على
الشريف أحمد بن غالب، كما فعل ذلك

ص: ٣٧٨

١-١) راجع: سمط النجوم العوالي ٥٧٣-٤:٥٧٥.

٢-٢) سمط النجوم العوالي ٤:٥٧٥.

العصامي (١) وغيره؛ لكونه تولّى شرافه مكّه بعد عمّه، و نفذ بها على رفاقته و رعاياه أسنّه حكمه.

و نحن قدّمنا الشريف أحمد على صاحبه، غير ذاهبين إلى تفضيل أحدهما على الآخر في مسالكه و مذاهبه، بل هما كالفرقدين إذا تأمل ناظر لم يغفل (٢) موضع فرقده من فرقده، و إنّما أخرناه لأمرين.

أمّا الأوّل و هو الذى عليه المعوّل: أنّه لم يؤيّد من الدوله العثمانيه، و لم يفض عليه بها خلعه سلطانيه، بل من حين بلغهم انتقال الشريف أحمد بن زيد بأمر الله الغالب، و جّهوا الشرافه إلى الشريف أحمد بن غالب.

و الأمر الثانى: كونها مدّه جزئيه المقدار، مختبطه السيل و القرار، و أمّا دولته الطويله المدد، الكثيره العدد، فهى المتأخره بعد الشريف أحمد المذكور، و المنتشر بها صيته المشهور، و خصوصا دولته الأخيره، التى ورد فيها صافى العزّ و نميره، و فى آخرها دعاه أبو يحيى، و فارق دنياه، و من بها من الأحياء، و أخال أنّى عملت بما هو الأحقّ إذا حصحص الحقّ، و سنوفى الشريف سعيد حقّ مقامه، إذا وصلنا إلى وصلنا ترجمته بنهايه إعزازه و إكرامه.

عودا إلى ترجمه الشريف أحمد بن غالب، رحمه الله رحمه الأبرار، و حشره مع أجداده الأطهار.

قال الشيخ عبد الملك العصامى: و أمّا الخبر عن مولانا الشريف أحمد بن غالب، فإنّه لما سار هو و من معه من الساده الأشراف و الأتباع فى شهر ربيع الأوّل، مضى

ص: ٣٧٩

١ - ١) سمط النجوم العوالى ٥٧٥:٤.

٢ - ٢) فى «ن»: لم يعل.

إلى أن انتهى به السير إلى محلّ يسمّى بحرا بين المحلّ المسمّى بالأزلم، والمحلّ المسمّى كفاف منزلتى الحاجّ المصرى، فأقام به، ووصل إليه به سابع عشر جمادى الاولى أحمد آغا (1) صاحب القفطان، فقابله مولانا الشريف بغايه الإكرام، ونهايه الإجلال و الإعظام، كما هو شأن طبعه الشريف، ودأب خيمه الزاكي المنيف، وأقام عنده يومين، ثمّ رحل من عنده بما أرسل به لمن أرسل إليه.

ثمّ إنّ مولانا الشريف أرسل مولانا السيّد بشير (2) بن السيّد مبارك و معه السيّد دراج الهجارى (3) فى جماعه من الأتباع إلى محافظه مصر حسن باشا، بلغه الله من الخيرات ما شاء، بعرض يتضمّن ما أراه.

و كان رحيل السيّد بشير (4) و من معه يوم الخميس ثانى عشر الشهر المزبور، أعنى: جمادى الاولى، و هو اليوم الذى توفى الشريف أحمد فيه، فدخلوا مصر و أوصلوه العرض.

ولمّا كان يوم سابع عشر جمادى الآخرة: وصل خبر وفاه المرحوم الشريف أحمد بن زيد إلى مصر، فحينئذ أخرج لهم أمرا و قفطانا باسم مولانا الشريف أحمد ابن غالب، و سيّره مع كيخيته، و ضمّ إليه آغاوات من البلكات من كلّ بلد رجل (5) عظيم الشأن، فخرجوا من مصر ثانى عشرى شهر شعبان المعظم.

ص: ٣٨٠

١- ١) فى السمط: القابجى أحمد آغا.

٢- ٢) فى السمط: شبير.

٣- ٣) فى السمط: الهجالى.

٤- ٤) فى السمط: شبير.

٥- ٥) فى السمط: بلڪ جوربجى.

ثمّ أعرض إلى الأبواب العاليه لمولانا الشريف أحمد بأشدّ السير لتأييده بالأمر السلطاني، والقفطان الخاقاني.

ثمّ إنّ السيّد بشير (١) بعد خروجه من مصر، أرسل إلى الشريف أحمد: إنّنا واصلون إليكم عن قريب صحبه القفطان و من معه، فأقبل مولانا الشريف أحمد هو و الساده الأشراف، و خدامهم و أتباعهم إلى الينبع، و أقام بها أياماً، ثمّ منها إلى قريه بدر، و كان دخوله إليها خامس عشرى شهر شعبان، فأقام بها.

و لَمّا كان يوم الجمعة ثامن عشر رمضان: وصل إليه القفطان، و من معه من الآغاوات، فألبسوه إياه بمسجد الغمامه منها، و هو الموضع الذي بنى فيه العريش للنبي صلّى الله عليه و آله، فقعده فيه يوم وقعه بدر المشهوره، كما ذكره المؤرّخون الأقدمون.

ثمّ ساروا جميعاً مقبلين إلى مكّه -زادها الله شرفاً- و قد كان جاء يوم الاثنين رابع عشر رمضان المذكور، مورق إلى مكّه المشرفه من حضره محمّد بيك صحبه مكتوب الى حضره الأفندي و أكابر عسكر مصر، مضمونه: إنّّه جاءنى صورته أمر من صاحب مصر بولايه الشريف أحمد بن غالب، و أن يبرز و المقابله القفطان و من معه.

فلمّا وصل ذلك المكتوب، طلّعوا إلى الشريف سعيد، و أخبروه بما فيه، و كان الشريف سعيد قد سمع بأنّه قد نودى باسم الشريف أحمد فى جدّه، فأجابهم بقوله:

إن كان بيد السيّد أحمد بن غالب، أو صاحب جدّه، أمر سلطاني، فليأتوا به، و نحن مطيعون للأمر السلطاني. و إن كان غير ذلك، فحكم الباشا على مصر و صعيدها يعزل فيه و يولى من يشاء، و ما دون مكّه إلاّ السيف، فقال له الأفندي: يا مولانا

ص: ٣٨١

(١-١) فى السمط: شبير.

هذا وزير مصر يعزل و يولى، فكذبته صريحا، و قال: يعزل و يولى لمثللك.

ثم قال لكبار العساكر: أنا لا أمانع من يريد الخروج، و لكن اعلموا أنّ أول خارج أول من أضع السيف فيه، و إلا فالزموا بيوتكم لا معنا و لا علينا، ثم سطر كتابا لصاحب جدّه يقول له فيه مثل قوله الأوّل، فوصل الكتاب إليه و هو بالمحلّ المسمّى بحره من طريق جدّه، فأعاد إليه الجواب لا بدّ من الدخول.

فلما سمع الشريف هذا الجواب، أمر عساكره بصعود المنائر، و شحنت بيوت بأعلا مكّه و أسفلها بالعسكر، و أرسل بنحو أربعين (١) خيلا- و عشرين دبابا، عليهم السيّد حسن بن عبد الكريم بن حسن بن علي بن باز، و قال: أينما لقيتموه فردّوه، فإن رجع، و إلا فكذا و كذا، فخرجوا بعد صلاه العشاء حتّى واجهوا مخيمه مقبلا- على أدنى محلّ إلى مكّه، فردّوهم، ثم ساروا هنيئه حتّى لاقوه، فتقدّم السيّد حسن المذكور و قال له: يا سنجق يقول لك الشريف: إرجع و إلا فعلنا ما هو كذا و كذا فى هذا المكان، و من حذر فقد أنذر.

ثم قال لمن فى صحبه السنجق من الأشراف، و هم السيّد محمّد بن مساعد، و السيّد عبد الله بن أحمد الحارث، و السيّد صالح بن مساعد: يقول لكم الشريف: ما لكم دخول إلى ديرتى، ارجعوا من حيث شئتم، فرجعوا.

ثم رجع السيّد حسن، فوجد مورقا من الأفندى و كبار العسكر إلى السنجق، يعتذرون من الخروج لملاقاته، و يأمرونه بالدخول ليلا هو و من معه إلى مدرسه الأفندى ليكون أمرا بيت لليل، فازداد بهم البلاء و الويل، هكذا روى.

و روى أيضا أنّ ليله الاثنين حادى عشر رمضان أنّ بعض عسكر رتبه الفرع

ص: ٣٨٢

(١-١) فى السمط: خمسين.

مقبلاً (١) إلى مكّه لغرض له، فوجد مكتوباً مع موزّق أرسله محمّد آغا البغدادي إلى مولانا الشريف أحمد، فأوصله إلى الشريف سعيد، فقراه و دعا البغدادي بعد صلاه التراويح و ويّخه، فأجاب بالإنكار، فأظهر له الشريف ذلك المكتوب، ثم أمر به فضمّ فويّخ، و استدعى بعبده، فأخذه من الحجر المطهر، و أمر بحذف رأسهما من ليلتهما بأجساد، و كسرت أبواب بيوته، و أخذ ما فيها جميعه، و كان شيئاً كثيراً من أنواع كثيره، بعد أن حاصر فيها أربعة من عبيده، ثم قتلوه.

ثم إنّ حضره السنجق محمّد بيك استقبل مولانا الشريف أحمد بن غالب، و من معه من الساده الأشراف و الآغاوات بعساكره، و نوبته عند انفصالهم من ملاوى الوادي، أى: وادي مرّ، فواجههم و حيّاهم، ثم دخلوه معا جميعاً، ثم أتى عليهم به مولانا السيّد أحمد بن سعيد بن شنبر بن حسن، فركب إليه الشريف و تلقّاه من بعد، و اعتنقا بخالص الصدقه و الودّ، و أتاه فى قريب من خمسين عنان كان الله له حيث كان.

و فى تاسع عشر رمضان: وصل الخبر بأنّ الشريف أحمد قد نزل بوادي مرّ هو و من معه، فأمر الشريف سعيد حينئذ الفعله ببناء متارس عديده على رؤوس جبال الزاهر، و مضايق ثنيتى كداء و كداء، و رتبّ فيها العساكر و فى غالب الأماكن و ضبط قانون الحرب، إلى أن ورد خبر وصول الشريف أحمد إلى النواريه، و اشيع أنّ قصده الدخول، و ذكر اسمه الشريف فى خطبه العيد، فأرسل الشريف سعيد السيّد باز بن هاشم، و السيّد واصل بن أحمد إلى الشريف أحمد يطلب إرسال الأمر الذى وصل إليه ليشرف عليه.

ص: ٣٨٣

فلما وصلا إليه و خاطباه، غضب السنجق المذكور، و من معه من الآغوات و أعيان البلكات، و قال: ليس هذا الأمر ملعبه، و حصل بينهم كلام، فقال مولانا السيد أحمد بن سعيد: يا أمير نحن رفاقه و نصطليح.

ثم أخذ السيدين المذكورين، و تكلم معهما بكلام لم يبلغنا حقيقته، فرجعا إلى الشريف سعيد، فأخبراه، فعزم حينئذ على إخلاء مكه و الخروج منها، و أمر العساكر بمفارقة المتارس و الدور التي كانوا بها، و خرج نصف الليل من ليله الجمعة ثانی شهر شوال، و خرج معه أخوه السيد مساعد و ابن عمه السيد عبد المحسن و غيرهما، و توجهوا إلى قريه الطائف، ثم طلب من الشريف إقامة مده شهرين بها فاعطيا، و فى حال خروجهم دخل السيد حسن بن غالب فى جماعه من الأشراف لحفظ البلاد (١). إنتهى نقل العصامى مع حذف و اختصار.

و قد ظهر لك من هذا النقل مصداق ما ادعينا، من أنه لم يصدر أمر سلطانى و لا خلعه بعد وفاه الشريف أحمد بن زيد إلا إلى الشريف أحمد بن غالب، فكان أحقّ بالتقديم كما فعلنا.

ثم إنه دخل إلى مكه المشرفه يوم الجمعة ثانی شهر شوال بنهايه الإيعزاز و الإجلال، فى موكب عظيم، و جحفل جسيم، من العساكر و الأجناد، و الخيل الصافنات الجياد، و نادى مناديه باسمه الشريف، و عمّ قصاده بجوده الوريث، و ضبط مكه و أقطارها، و أزال مظالمها، و أحمده نارها، فغدت مكه تحتال به تيتها، و تفتخر بحضرتة العليته كأنه ابن أبيها.

ص: ٣٨٤

(و أصبحت مكّه فى عدله و فضله تشبه روض الجنان) (١)

فصل

اشاره

فى حوادث دولته و محاسنها و جمع نبذ من أحاسنها

ففى اليوم المذكور: عزل حاكم مكّه المشرفه القائد أحمد بن جوهر بعبد الشريف سنبل، و قام بها أحسن قيام (٢).

و فى حادى عشر الشهر المذكور: لبس خلعه الوزاره السنيه للدوله الأحمدية الحسنيه، الجنب المكرّم، و المآب المعظم، إبراهيم بن على حميدان، فتعاطى له كلّ أمر و دان (٣).

وصول الأمر السلطانى و الخلعه للشريف أحمد:

و فى يوم السبت ثامن شهر ذى القعدة آخر سنه تسع و تسعين و ألف: وصل الأمر السلطانى، و القفطان الشريف الخاقانى، صحبه سليمان آغا سلحشور، فنزل مولانا الشريف إلى الحطيم، و لبس الخلعه الشريفه به، و هو فى غايه الإجلال و التعظيم، بحضور الساده الأشراف، و القاده من آل عبد مناف، و جميع الأعيان، المقيمين بمكّه المشرفه فى ذلك الزمان، و كان يوما مشهودا، خفقت به رايات جدّه المسعود، فهرعت الادباء بالتهنأه بهذا التأيد، و تلت آيات شعر بأيوانه السامى الفريد (٤).

ص: ٣٨٥

١-١) ما بين الهاليتين من نسخه «د» فقط.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٨٦.

٣-٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٨٧.

٤-٤) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٨٤، و إتحاف فضلاء الزمن ٢:١٤٤.

فمن جمله من أمّ بابه، ومدح جنبابه، ونصّد بمدحيه الشريف عقوده، وأفرغ في أوصافه الحميده مجهوده، محبّه الأبر، ومخلصه الأ-كبر، سيّدى ووالدى السيّد محمّد بن على بن حيدر أدام الله بقاه، وأريد سعه و ارتقاه، بقصيده طنّانه، سيّد بها من مجده أركانها، عارض بها قصيده القاضى تاج الدين المالكى التى امتدح بها الشريف إدريس بن حسن المتقدّم ذكرها، وقدمها إليه فى اليوم المذكور:

تساميت بالأجداد يسمو بك الجدّ و جدّدت مجدا دونه يقف الجدّ

و شرفّت أقدار الممالك عند ما زهى بك دست الملك و التاج و العقد

بعزّك سوح الحلّ و الحرم احتمى غداه إليك الحلّ أصبح و العقد

ليهن ملوك العصر إن صرت بينهم كما قد رسى بين الصوى علم فرد

فإنّك شمس و الملوك كواكب إذا اتّصلت ودا بها حفّها السعد

على أنّ شمس الافق بالبرج شرفّت و أنت لأبراج العلى شرف عدّ

و لله كلّ الأمر و الله قد قضى بأنّ إليك الأمر من قبل أو بعد

و أخدمك الأقدار تسعى لنيل ما تريد و فيها سرّ حكمته يبدو

و شرفّ قدر الدهر لَمَا أقامه لديك مطيعا حيثما يقف العبد

و أولاك أسرار القلوب بوّدها فأجسادها ما من إطاعتها بدّ

إذا ما رآك العارفون ذوو النهى رأوا ملكا كلّ القلوب له جند

فإن فتحوا عينا هناك و حقّقوا رأوا ملكا من قدسه النور يمتدّ

و مذهب أهل الشعر فيك مقالهم لقد جاد دهر بالمنى و وفى الوعد

و لكنّ أرباب الحقائق قولهم سرت نفحات اللطف عيس الرضا تحدو

تهنّ بما أولاك مولاك أنّه رآك له أهلا فجا الحدّ يشتدّ

أ لست الذى فى العدل أوضح منهجا بدا بدليل الشرع مسلكه القصد

و أجريت في ذاك السبيل لقاصد عيوننا من الإفضال طاب بها الورد

و ظلّت من حرّ الهواجر فوقه سحائب حلم للقلوب بها برد

و لم ترض بالحسنى بديلا و إن أبى سوى ضدّها مع فرط قدرتك الحقد

تلطّفت بالمعروف في حقّ منكر فحزت الثنا عفوا و قد حصل القصد

فأنت لسرّ اللطف في الكون مظهر يمازج سرّ الانتقام به الرشد

فمن رحمه قد صوّرت ذاتك التي تصوّر من أقدامها الأسد الورد

أ لست المنيل المجد غيثا سحابه تصوب و لا برق يخاف و لا رعد

بلى مرسل ذاك السحاب صواعقا (١) تقطر للأقتار قلبا هو الصلد

أ لست الذي ساد الفخار بهمه و نادون أدناها بالاسكندر الجهد

فما قلت في خطب أعينوا بقوه و لو صدّ دون القصد من دهرنا سدّ

أغثت بنى أم القرى و قد انبرت بنات الليالى في مضرتهم تعدو

فسوّغتهم درّا (٢) من العدل حافلا و قد ضمّهم كالطفل من رأفه مهد

و ألبسهم بردا من الأمن ضافيا يحاك على سمر القنا ذلك البرد

تراعى نصيرا (٣) حين حاكت لك العلاملابس ملك ثمّ ألبسك السعد

لقد حاز ملبوس الخلافة إذ سما بعطفك فخرا هزّ عطفها له الفخر

طوى البحر ثمّ البرّ شوقا لسيد هو البرّ من إفضاله البحر يمتدّ

فيا خلعه لو أنّها خلعت سنا على الشمس ما لاح الكسوف بها بعد

ص: ٣٨٧

١ - ١) في «ن»: صواعق.

٢ - ٢) في «ن»: دارا.

تمنى عيون الشهب أنّ مقرّها محاجر عن أبصارها ما لها بعد
و أبهج نجم الصبح تشبيها له بنجابها فالبشر من افقها يبدو
حوى طيها نشر المودّه و الثنا فمن نشرها يوضع المسك و النّد
و إنّ لسلطان البرايا وسيله بوّدك للبارى بها ظلّ يعتدّ
إذا ما مباشير التباشير أشرقت بمضمونها فى العقل يتّضح الودّ
فخلعته درع من العزّ سابغ تأنق فيها من عنايته الردّ
دلاص إلى داود تعزى أفاضها عليك سليمان الزمان له الحمد
لها أبدا و العود أحمد أحمد مليك الورى.... (1)

ينادى لسان الحال منها مصرّحا بتأييد ملك ما لتجديده حدّ
على اليمن و الإقبال و البشر و الهنا بذلك طير الفال فى روضها يشدو
تعمّ التهانى فى كلّ شرق و مغرب ترى كلّ غور و هو من فرح نجد
لصوب الحيا فى كلّ فصل ربيعه سرور قلوب فى هواكم لها وجد
تردى من الآمال أغصان روضه بكلّ زمان يجتنى فوقها الورد
فلا زالت الدنيا بملكك جنّه بها كلّ وقت من نعيم هو الخلد
على كشحها منه نطاق مفصل و فى جيدها من نظم أحكامه عقد
و لا زلت محروس الجناب ممتعا بما شئت أنى شئت لا ينتهى العدّ
و مرآك بدر فى سعود مطالع تخلّص فى حسن الختام له الحمد

خلع السلطان محمّد:

و فى هذه السنه:خلع السلطان محمّد بن السلطان إبراهيم،و جلس بعده

١-١) بياض فى النسختين.

السلطان سليمان بن إبراهيم، و كان صغير السنّ، و تقلّد وزارته العظمى، المقام الأجلّ الأسمى، محمّد باشا الكبرلى، فقام به أحسن قيام، و هيّاه بأكمل نظام، و بيت الكبرلى هذا أعرق بيت فى الوزاره و الرئاسة، و أعرف بتسيير الحكومه و السياسه، و محمّد باشا هذا بيت قصيدهم، و درّه تاجهم، و قوام صحّه مزاجهم (١)، مع عقل كامل، و فضل شامل (٢).

و ينقل المؤرّخون عنه روايه، تعلن له بالولايه، و هو أنّه كان كثير السفك للدماء، فاعترض عليه بعض محبّيه، ممّن كان أيضا فى صحبه أبيه، فيما يصدر من حضرته من الإراقه، لتلك الدماء المراقه، فأجابه بأعظم الأقسام: إننى لم أفعل ذلك إلا بأمر العزيز العلام.

ثمّ طلب من ذلك الشخص أن يبيت عنده تلك الليله، حتّى يحقّق له كلامه و قوله، فاستمرّ عنده إلى وقت هجوم الكرى، و إذا بشخص يسمع صوته و لا يرى، يقول: إنّ فى الموضع الفلانى من يستحقّ القتل، و فى الموضع الفلانى من يستحقّ ذلك من قبل، و فى الجبهه الفلانيه من البلاد قوم لا يزال دأبهم الفساد، فاعمل بهم كذا، فيبعث لهم الوزير، فيجدهم كما قال ممّا وصف من العلل (٣)، فيعمل بما يؤمر، لكونه يجدهم طبق ما يخبر.

و استمرّ فى منصبه هذا إلى أن توفّى، ثمّ تولّى الوزاره بعده ولده أحمد باشا، و حسنت سيرته أيضا.

ص: ٣٨٩

١- ١) فى «ن»: مراجعهم.

٢- ٢) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١٤٤: ٢.

٣- ٣) فى «ن»: العمل.

ثم توفى في منصبه، وتولى الوزارة بعده مصطفى باشا، ولما صارت المحنة العظيمة على الإسلام، بتقدير الملك العلام، بعد الفتوحات السابقة التي صارت الوزيرين الأولين.

فتجهز هذا الوزير لغزو الكفار، ونازل مدينه من مدائنهم الكبار، واستمر محاصرا لها بالرجال، والمدينه المذكوره مشحونه بالذخائر و الأموال، و حضره الوزير المذكور قد عكس طمعه الزائد ضوابط الحرب السلطاني المشهور؛ لأن المسلمين قد أحاطوا بتلك المدينه، و عزموا على الهجوم عليها، و جهوا همّتهم العليه إليها، فمنعهم الوزير عن ذلك، طمعا فيما هنالك، و رجاء أن يأتونه الكفار بعد التأمين لهم، و يبذلون له جميع أموالهم على سلامه أرواحهم.

فهمت الطائفه الباغيه منه ذلك، و شرعت تراسله في ذلك، و في ضمنه يرسلون إلى من ورائهم للتقويه بهم.

فلما كثروا و رأوا قوتهم قد عظمت، وقعوا بجيوش المسلمين و أهلكهم، و استولوا على العسكر و أخذوه برمته، و كان ذلك من سوء تدبير هذا الوزير، و طمعه في جمع الأموال، ثم مات و وجد عنده من الأموال ما لا يكاد يحصى.

ثم تولى الوزارة بعده سليمان باشا أمير ياخور، و كان أيضا من الأخيار، و قام بتدبير الوزارة أحسن قيام، ثم تجهز لغزو الكفار، فغزاهم و استمر مدّه في ذلك، ثم توفى شهيدا.

و تولى الوزارة بعده مصطفى باشا الكبرلى في أوائل سنه تسع و تسعين.

وفاه القاضي على المكي:

و في سنه مائه و ألف: توفى الفاضل القاضي على ابن القاضي عصام الدين المكي.

و في هذه السنه: قتل محمد عمّار المشهور بالمدينه المنوره، و كانت له امور عجيبه، و حكايات غريبه، ترد بها الألسنه، إلى هذه الأزمنه، أمّا مظهره في مبادئ حاله، و ما كان يصدر من أفعاله و أقواله، فأوشك أن يكون قطب زمانه، و ولي ذلك العصر و الأوان، مع أنه كان أفسق العباد، في تلك البلاد، و له استخفاف عجيب لعظام الأموال، و فتح لمغلقات الأفقال.

و في تلك السنه فقد مبلغ عظيم من النقود، لشخص من المجاورين بالمدينه من الهند، فرفع الأمر إلى قائم مقام حضره الشريف، و هو السيد العالی المنيف، السيد بشير بن مبارك المتقدم ذكره، فسأل الهندي عن أتاه في ذلك اليوم، فأخبره بأنّه جاءني محمد عمّار، و اشترت منه سوارا، و أعطيته ثلاثين ديناراً، فأمر الشريف بإحضاره لديه، و حصوله بين يديه، و شرع يلاطفه مرّه و يتهدّده اخرى، إلى أن أقرّ بذلك المال و غيره، و دلّهم على موضعه، فأتى به، فأخذ كلّ ذي حقّ حقّه، و صار أحيّر من بقّه في حقّه، ثمّ استفتى في قتله العلماء، فأجابوه إلى ذلك، فأمر بشنقه و شنق. و أرّخ قتله الشيخ أحمد المدرّس بقوله من قصيده «قتل ابن عمّار و علق» (١).

عزل الشريف أحمد بن غالب عن شرافه مكّه:

و في ليله الثلاثاء الثانيه و العشرين من شهر رجب من سنه إحدى و مائه و ألف:

عزل الشريف أحمد بن غالب عن شرافه مكّه المشرفه، بعد زمهره عظيمه من الساده الأشراف، و حفظوا عليه بعض الأطراف، ثمّ دخلت يد الأتراك في جملتهم، فعزل بدون قتال بينهم، و خرج في تلك الليله المذكوره، فكانت مدّه

ص: ٣٩١

دولته سنه كامله و تسعه أشهر و عشرين يوما (١).

فصل

كان هذا الملك السديد، و الملك الصالح الرشيد، ذا همّه علويّه، و شهامه علويّه... (٢).

نقل من كتاب تاريخ الأديب الفاضل نور الدين علي

ابن عبد الرحمن بن حسن بن شمس الدين البهكلي

حول ترجمه الشريف أحمد بن غالب

في خروجه إلى نواحي اليمن

كان (٣) مقدّم الشريف أحمد بن غالب من مكّه المشرفه إلى مدينه صيبا (٤) في العشر الأواخر من شعبان أحد شهور سنه إحدى و مائه و ألف، بحاشيه مستكثره

ص: ٣٩٢

١-١) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١٥٦:٢-١٥٨.

٢-٢) كذا بياض في النسختين، و كتب في هامش نسخه «د»: هكذا وجد بياض في الأصل، فلعلّ من جهه تاريخ العصامي أو غيره. أقول: و ذلك أنّ تاريخ العصامي المسمّى بسمط النجوم العوالي ينتهي إلى أواخر القرن الحادى عشر، و هو سنه (١٠٩٩) و لم يتعرّض للقرن الثانى عشر أبدا، مع أنّه توفى سنه (١١١١) هـ ق، و قد أكثر المؤلّف النقل و الاعتماد على هذا الكتاب. و إلى هنا انتهى النقل عن كتاب سمط النجوم العوالي، و اعتمد المؤلّف رحمه الله في كتابه هذا عليه، و جعله مصدرا من مصادره.

٣-٣) من هنا نقل من كتاب تاريخ الأديب الفاضل نور الدين علي بن عبد الرحمن بن حسن بن شمس الدين البهكلي، و سيأتى التصريح بانتهاء ما نقله من هذا الكتاب.

٤-٤) صيبا: من قرى عشر من ناحيه اليمن.

من الخيل و المطايا و العبيد و العساكر، متوجّها إلى الإمام الناصر لدين الله (١) محمد بن أمير المؤمنين، و استهّل رمضان بقريه الخمارى (٢) من أرض عيس.

و وصل إلى حضره الإمام برداع (٣) العرش، أظنه في العشر الوسطى من رمضان، فقام الإمام بحقه قياما تاما، و استغاث بالإمام، و استنصره على أعدائه بمكّه الذين تمالوا على عزله، و مناه بملك مكّه و مصر و الشام على يديه، و سهّل له من ذلك ما هو متعسر، فصغى الإمام إلى كلامه، و مال إلى إجابته.

و جهّزه بما يكثر عدده من المال، و عيّن له على كلّ وال من ولادته رتبه من العسكر، و على الامراء الثلاثة من آل الإمام ثلاثه آلاف عسكرى، و هم: القاسم بن المؤيد، و الحسن بن المتوكل، و على بن أحمد، فضلّ الشريف راجعا من رداع، أظنه بعد عيد الأضحى من السنه المتقدّمه.

و فى أيام إقامته بحضره الإمام، ظهر خلاف همدان بنواحي صنعاء، و حصروا مدينه صنعاء نحو من خمسه عشر يوما، و كان الشريف ممّن تجهّز لحربهم فيما روى، و كفى الله شرهم، و قبض رئيسهم ابن خليل، و أودع حصن الحميمه (٤) أياما، ثم أمر الإمام بقتله، فقتل صبورا، و شردهم الإمام فى الآفاق، و تضعع حالهم، و فلّ عزمهم، و انكسرت شوكتهم.

و صحب الشريف فى رجوعه من رداع، الشريف الأكرم، الأسد الغشمشم،

ص: ٣٩٣

١- ١) فى «ن»: إلى دين الله.

٢- ٢) فى «ن»: الخمارى، و خمار بكسر أوّله و آخره راء مهمله: موضع بتهامه.

٣- ٣) رداع: مخالف من مخاليف اليمن، و هو مخالف خولان، و هو بين نجد و حمير.

٤- ٤) فى «ن»: الجميمه.

جمال الدين أبو طالب بن محمّد بن حسين الحواحي، وولده الشريف محمّد بن أبي طالب، متولّيًا لمدينه صيبا من جهه الإمام، و
القاضي العلامه عماد الدين يحيى ابن إسماعيل الحيارى حاكما.

فوصل الشريف إلى مدينه مور (1) لعلّه في آخر ذى الحجّه، أو أول شهر محرّم، و اجتمع بابن الإمام الحسن بن المتوكّل بها، و قام
ابن الإمام بما عينه الإمام من الجند و المال، و قبل وصول الشريف إلى مور أمر الإمام بحبس السفن، و لم يكن في تلك السنه
حجّ في بحر و لا- برّ، و أقام الشريف بمدينه مور قريبا من شهر، و كثرت التآليف على ابن الإمام، فضاق صدره، و أعيب عليه
أمره، مع انزعاج في الباطن، و خوف في الفؤاد كما من.

و يحكى عنه أنّه عاد في تلك الأيام إلى بندر اللحيه لبعض أغراضه، فخرج ذات ليله في البحر متنزّها، و غاب عن الأبصار جزء
عظيما من النهار، حتّى توهم أنّه لا يعود، و لم يزل مدرّعا بالصبر، مظهرا للتجلّد، حتّى ارتحل الشريف من مور، في العشر الاولى من
صفر سنه اثنين و مائه و ألف، فوصل إلى أبي عريش في العشر الوسطى حادى عشر في هذا الشهر، ممّا يكثر عدده من الأجناد، و
الخيال المسؤومه الجياد، و لم يزل حاله يعلو، و أمره يرتقى و ينمو.

و بعد استقراره بأبي عريش (2)، تظاهرت الأخبار بالقبض على القاسم ابن الإمام المؤيّد، لأمور نقمها الإمام عليه، و الأمر في هذا
مفوّض إليه.

و الحسن ابن الإمام المتوكّل بعد ارتحال الشريف، لم تزل القرائن تتظافر لديه،

ص: ٣٩٤

١-١) مور: ساحل لقرى اليمن.

٢-٢) في «ن»: و بعد استقراره ثاني عشر.

بأنّ الإمام فى نفسه القبض عليه، فلم يزل فى معاناه و فكره، و دهشه و حيره.

و كان من إقبال السعد لهذا الإمام، و قوده لما تعرّس من الامور بزمام، أن صمّم ابن الإمام، على تقويض الخيام، و الارتحال بأولاده و جميع ما يملك إلى الشام، فأخفى ذلك الأمر المستنكر، و أخذ فى تأهب عدّه الارتحال و السفر، و كان بعد أن تأخذ الناس مضاجعها، يأمر الخدم بلفّ أمتعته و أثقاله، رغبه فى الكتمان و رهبه من فشو حاله، و كان إذا سئل تعريضا أو تصريحاً ينكر ما هو مصمّم عليه، و ينهى من يسمع ذلك أن يصغى إليه.

فلما كان غرّه ربيع الأوّل من السنه المذكوره: لم يشعر الناس ذلك ليله إلاّ بارتحاله، و ركوبه البحر مع أولاده و أمواله، فزال ملكه فى قدر لحظه، من غير طعنه، و لا ضربه و لا لفظه، فحملتهم الجوارى المنشآت، و ضمّتهم كأنّهم أموات، بعد ما ضاق بهم القصر، و راق بهم العصر، و لله درّ القائل حيث قال:

هذه الدنيا و هذا شأنها أتعب الناس بها أعوانها

و اولوا الأحلام قالوا إنّها حلم يقضى بها يقظانها

و أعجب من ارتحاله على الصفه التى ذكرناها، إلقاءه بنفسه إلى من بذل جهده فى التأييب عليهم، بتحشّد الأجناد و إرسالها إليهم، كما قدّمنا من قيامه بما عيّنه عليه الإمام من الجند للشريف أحمد بن غالب، فكان حلمه ذهب و غاب، و هكذا الأقدار تذهب عند نزولها الأبواب.

و استقرّ فى سفره إلى بندر جدّه، و دخل مكّه المشرفه، و أقام بتلك الجهات نحواً من خمسه أشهر، ثمّ أعمل الحيله فى خلوصه حتّى تخلص.

و روى أنّ من جملة ما بذل في تخلصه، سَكِينًا مَقْوَمَهُ بِثَمَانِمِائَةِ قَرَشٍ (١) وَ تَيْفٍ، لَمَّا فِيهَا مِنَ التَّرْصِيعِ بِالنَّفَائِسِ الثَّمِينَةِ، وَ بَيْنَ تَدْبِيرِهِ فِي اسْتِنْقَازِ نَفْسِهِ مِمَّا قَدْ وَقَعَ فِيهِ، وَ بَيْنَ إِلقَائِهَا عَلَى الصَّفَةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا أَوْلَا بُونَ بَعِيدٍ.

وَ كَانَ رَجُوعَهُ إِلَى الْيَمَنِ مِنْ جَانِبِ الْبَحْرِ، وَ أَحْسَبَ وَصُولَهُ إِلَى بَنْدَرِ جَازَانَ كَانَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، أَوْ أَوَّلِ سُؤَالٍ، وَ اتَّصَلَ الْخَبْرَ بِمَسَامِعِ الشَّرِيفِ، فَبَعَثَ إِلَى الْبَنْدَرِ مِنْ يَمْنَعِهِ مِنْ دُخُولِهِ إِلَيْهِ، وَ بَلَغَتْ بِهِ الْحَالُ مَعَ شِدَّةِ الظَّمَاءِ، أَنْ مَنَعَ الْإِغَاثَةَ بِالْمَاءِ، وَ أَنْشَدَ لِسَانَ حَالِهِ مَتَفَكِّرًا حَائِرًا، مَتَعَجِّبًا مِنْ مَصِيرِهِ، فَرَدَا مَأْمُورًا بَعْدَ أَنْ كَانَ أَمِيرًا آمِرًا:

قَدْ كَانَ دَهْرَكَ إِنْ تَأْمَرَهُ مِمَثْلًا فَرَدَّكَ الدَّهْرَ مِنْهَا وَ مَأْمُورًا

مِنْ بَاتٍ بَعْدَكَ فِي مَلِكٍ يَسِّرُ بِهِ فَإِنَّمَا بَاتَ بِالْأَحْلَامِ مَغْرُورًا

وَ صَامَ شَهْرَ رَمَضَانَ هُوَ وَ أَهْلُهُ فِي الْبَحْرِ، وَ قَدْ كَانَ يُخْرَجُ إِلَى قَرْيَةٍ تَحِيصُ لِلتَّنَزُّهِ، وَ انْتَهَى أَمْرُهُ أَنْ رَجَّحَ النَّهْوضَ إِلَى الْحَضْرَةِ النَّاصِرِيَّةِ، وَ الْوُقُوفَ عَلَى مَا وَقَّفَ اللَّهُ رِبَّهَا إِلَيْهِ مِنْ خَيْرٍ وَ شَرٍّ، وَ ارْتَحَلَ بِنَفْسِهِ وَ تَرَكَ أَوْلَادَهُ، وَ كَانَ فِي ارْتِحَالِهِ يَتَجَنَّبُ الْمُرُورَ فِي الْأَمْصَارِ، وَ يَقْصِدُ الْمَضْيَ فِي الْبُودَى وَ الْقَفَارِ.

وَ لَمَّا انْتَهَى خَبْرَهُ إِلَى الْإِمَامِ عَطْفَ عَلَيْهِ، وَ نَظَرَ بَعِينَ الرَّحْمَةَ إِلَيْهِ، وَ أَمَرَ بِإِنزَالِهِ مَدِينَةَ ذِمَارٍ (٢) مِنْ دُونَ اجْتِمَاعِ بِهِ، وَ بَعْدَ اسْتِقْرَارِهِ بِهَا اسْتَدْعَى أَهْلَهُ وَ أَوْلَادَهُ إِلَيْهِ، وَ هُوَ الْآنَ بَاقٍ هُنَاكَ.

وَ كَانَ ابْنُ الْإِمَامِ هَذَا مِنْ أَكْبَرِ الْأَمْرَاءِ وَ سِرَاتِهَا، وَ وَجْهَ الْكِبْرَاءِ وَ دِهَاتِهَا، ذَاتَ

ص: ٣٩٦

١- ١) فِي «ن»: غَرَشٌ.

٢- ٢) الذِمَارُ: إِسْمُ قَرْيَةٍ بِالْيَمَنِ عَلَى مَرَحَلَتَيْنِ مِنْ صَنْعَاءَ.

دهاء و حلم، و ذكاء و علم، له معرفه تامه بتدبير الدوله، و خبره بأحوال الناس، فهو كما قال أبو الطيب:

ماضى الجنان يريه العزم (١) قبل غد بقلبه ما ترى عيناه بعد غد (٢).

نظر فى العلم فى خلال إمارته، فوقع منه على قطعه لائقه بمنصبه و جلالته، و أكثر مرامه بجبل رازح و حبور، و كان جزل العطايا، كريم الأخلاق و السجايا، له معه فى القلوب، ساعده على مراده المقذور، و الفلك بالسعاده له يدور، و كانت حضرته ملتقى الرحال، و موسم الفضلاء و قبله الآمال.

و تغيرت أحواله فى آخر أيامه، فبطش و غشم، و كان يبرم ما ينقض، و ينقض ما أبرم، و لم تحصل النكبه عليه، حتى قتله الرعيه و ملته، و مولده فى سنه أربع و خمسين بعد الألف.

و فى شهر جمادى الآخره، أو أول رجب من السنه المذكوره: كان قيام السيد العلامه جمال الدين على بن أحمد بن أمير المؤمنين، و يلقب ب«المتوكل على الله» و وردت كتبه إلى الشريف أحمد بن غالب، و إلى اناس من أهل هذه الجهه، يدعو إلى الانتظام فى سلوكه، و لا نعلم أحدا أجابه إلى ما طلب.

و توجه إلى اليمن، و ترك بمدينه صعده واليا، و بجبل رازح ولده السيد الأجل قاسم بن على واليا، و دخل مدينه الهجر بجموع كثيره بعد حرب شديد، و كان بها طالب بن المهدي، و قتل فى ذلك اليوم جم غفير، و نهبت المدينه نهبا فضيعا، و كان يوم دخوله يوما مشهودا، و قبض على طالب بن المهدي، و أرسله تحت الحفظ إلى

ص: ٣٩٧

١- ١) فى الديوان: الحزم.

٢- ٢) ديوان أبى الطيب المتبى ص ٤٤.

الامراء خيامها بأرض شقر على مسافه نحو أربعة فراسخ من أبي عريش إلى اليمن و الشرق، و اجتمع معهم من الرجال و الخيل عدد مستكثر.

و التقى الجمعان في العشر الاولى من شهر رمضان من السنه المتقدمه، فانهمزمت الأجناد التهاميه، و عصفت بها ريح الأجناد المشرقيه، و قتل من أصحاب الشريف ما ينيف على خمسين رجلا، و ظفر أهل المشرق بخزانه الامراء بعد أن ذعروا اندعارا مغرورا (١)، و اتصل الخبر بمسامع الشريف من أفواه الهارين.

و روى أنه اتهم بالخديعه بعض الامراء المذكورين، و أجلى أهل مدينه أبي عريش عنها، فأمست خاويه على عروشها، و لم يبق فيها إلا الشريف على حاله، لو أنهم قدموا إليه، لملكوا المدينه عليه، و لكنّها سبقت بخلاف ذلك الأقدار، و تحقّق رجوع قاسم بن على إلى البار، و لم يلبث حتى اتصل به الخبر برجوع أبيه من اليمن كما قدّمنا.

و استقرّ الشريف بقلعه أبي عريش، و نما خبره إلى الإمام، فعظم شأنه لديه، و التفت بعين الانصاف إليه، و رجع أهل المدينه إليها. و كان هذا أول إجلاء من أهل مدينه أبي عريش؛ لأنهم أجلوا عنها في مدّه الشريف ثلاث مرّات هذه أوّلها.

و لم يزل الشريف باسطة ظلّ العدل، ناشرا رايات الإحسان، يصل معروفه في كلّ ليله إلى أكثر من مائتي إنسان، و الوزير سنبل وجهه الشريف قبل قضيه سقرا إلى حرص. و لما بلغه الخبر برجوع على بن أحمد، ارتحل من حرص إلى المقرض (٢)، ثم إلى اللجب، ثم إلى المحرق، بسيره خشنه، و حاله غير مستحسنه،

ص: ٣٩٩

١-١) في «ن»: مزدرا.

٢-٢) في «ن»: المعرض.

و كان الشريف محمّد بن أبى طالب و أبوه يميلان إلى هذا الشريف المقتول، و يرغبان إلى توليته، و لا يكون أمر مدينه صيبا إلى أحدهما إلا و أمر هاتين القريتين إليه من جهتهما.

و ممّن أراد الشريف محمّد بن أبى طالب القبض له و التعزير الشريف مطاعن بن أبى طالب، فارتحل من قريه الشقيرى عملا بقول أبى الطيب:

و مقام الكريم فى ساحه الذلّ و قد أمكن الرحيل حرام (1)

فاعتصم بالشريف أحمد بن غالب، و أقام عنده، و وقف لديه.

لدى أسد شاكى السلاح مقذّف له لبد أظفاره لم تقلّم

فتعدّر على الشريف محمّد بن أبى طالب قبضه و تعزيره؛ لأنّه لاذ بحصن من حديد. نعم و الشريف بعد رجوع على بن أحمد استمال مشايخ رازح، و خامرهم بالطمع، و لمّا أحسّ منهم الاذعان و جّه إليهم رجلا، يقال له: الترجمان، فطردوا قاسم بن على، و أخرجوه مرفقا من بين أظهرهم، و أقام الترجمان فى جبل رازح مدّه لا- يصدر و لا- يورد، و الأمير الأكرم عزّ الدين بن حسن القطبى لمّا تفاقم عليه الأمر و أعياءه، كاتب الشريف يستأذنه فى القدوم عليه، و الانتظام فى سلوكه، و أذن له، و لمّا اجتمع به أنصفه، و أكرم مثواه، و أحسن نزله.

ثم تجهّز السيّد الرئيس حسين بن على بن أحمد من صعده، و قبض الترجمان، و سيّره إلى صعده، و أودع الحبس، و عاد جبل رازح لعلى بن أحمد، ثمّ كلّف الشريف الأمير عزّ الدين بالطلع الى صعده لاستخراج الترجمان من حبس على ابن أحمد، فطلع و أحسن السياسه فى استخراجه، و نزل به فى أواخر شهر

ص: ٤٠١

(١- ١) لم أعثر عليه فى ديوان المتنبى.

ذی الحجّہ من السنہ المتقدّمہ، و هذا کله و لم یکن إلی الشریف من البلد سوی مدینہ أبی عریش، و بندر جازان، و عسی أن یكون حرص.

و فی العشر الأوّل من شهر المحرمّ أوّل سنه ثلاث و مائه و ألف: جهّز الشریف أخاه حسن بن غالب و الوزير سنبل فی جموع یعسر ضبطها و حصرها إلی بعض قبائل بنی شعبه، و أمسوا بهجره ضمد لیلہ التاسع من الشهر المذكور، و مرّوا بقریه صلہبه، و کان لیلہ حادی عشره أو ثانی عشره منه، أمسوا بموضع یقال له:

صندلین، یسامت بسرقة قریه بيش، علی حال اطمئنان و دعه و راحه، مهملین النظر إلی ما قصده القائل:

و من لم یخف من غائلات عدوّه فرت نحوه أنیباه و مخالبه

و من جعل التفريط و العجز دأبه و خلّف رأی الحزم أعت مطالبه

و شاع خبرهم فی البدو، و کان فیهم جماعه من الفرسان، منهم الشجاع البطل، من لا یخاف البیض و لا الأسل، بشّار بن شریفه، فاستدرّهم اولئک الفرسان، مغتتمین الفرصه، عاملین بقول زهیر بن أبی سلمی:

و من لم یزد عن حوضه بسلاحه یهدّم و من لم (١) یظلم الناس یظلم (٢)

فاندعر ذلك الجمع، و عمی منهم البصر، و صمّ منهم السمع. و کان من أعجب صنع الفرسان و عظیم حذرهم، أنّهم لم یدخلوا المحطّه، و إنّما وقفوا علی جوانبها، فمن انتبه من المحطّه قام مدعورا، یظنّ أنّ الهرب ینجیه، وقع فی أيديهم، فقتلوا من الجيش نحو من ثلاثه عشر نفرا، و غنمت القبائل غنائم متّسعه، و رمی الشریف

ص: ٤٠٢

١-١) فی الديوان: لا.

٢-٢) ديوان زهیر بن أبی سلمی ص ٨٨ طبع دار صادر بیروت.

حسن بن غالب فى يده.

و لما حصل عليهم ما حصل، ثلم غرارهم، و مالوا إلى مدينه صبيا، فدخلوها، و بعد استقرارهم بها حصلت النكبه على الشريف محمّد بن أبى طالب على يدى النقيب سعدون من قبل الإمام، و كانت لأغراض تطابق ما فى نفس الشريف أحمد ابن غالب، و ذلك أنّ الشريف لمّا مالت به الرعيه إلى تملكك مخلاف صبيا أعمال الحيل، و أعانه على ذلك أقوام جعلوه ذريعه إلى زوال ملك محمّد بن أبى طالب، و غفلوا عن قول أبى الطيّب:

و من يجعل الضرغام للصيد بازه تصيده الضرغام فيما تصيدا

حتى وقعوا عليه، فغرم غارمهم إلى الإمام، و عظم أمر محمّد بن أبى طالب إليه، و كان من جملة المكائد التى عملها أنّ مخلاف صبيا يحتمل خمسه آلاف مقاتل يكون بهم النقع و النكايه للعدوّ، فيستعان بهم على جهاز صاحب صعده، فوقع ذلك الكلام من الإمام فى قلب فارغ و اغترّ به، و عيّن على محمّد بن أبى طالب ذلك القدر، فإن عجز عنه، فأمر صبيا يكون إلى الشريف أحمد بن غالب، و الشريف أحمد بن محمّد بن حسين يكون عاملا من جهته.

فلما وقف محمّد بن أبى طالب على ذلك القدر أقرّ بالعجز عن تحصيله؛ لعدم وجوده فى البلد، فجعلوا ذلك سببا لعزله (1)، و لله درّ القائل:

يعدّ الفتى إخوانه لزمانه و أعدى له من صرفه ما أعدّه

و أخذ النقيب سعدون يتتبع أذاه، و يطالبه بالأموال الجليله، و أشاع أنّ من له عند محمّد بن أبى طالب مظلّمه يأتى لها، و كان المظلوم يصل فرحا مسرورا ظانّا

ص: ٤٠٣

١- ١) فى «ن»: إلى عزله.

عود ما اخذ عليه إليه، فيخبرهم به، فيرقمونه، و بعد ذلك يعرضون عن المخبر و يزدرونه، و الغرض هو تكثير ما يطالب به من الأموال، و استصغارها من بعد ذلك لبيت المال.

فاجتمع عليه أموال تعزّ عن أن تحصى، و تجلّ عن أن تضبط و تستقصى، فاجتاحت ما احتوى عليه ملكه و ملك أبيه من المنقولات، و أنواع الحلّى و المصوغات، و عسر عليه من بعد ذلك الوفاء بما يطالب به، و انتهى إلى حال رثاه فيه الشامت، و اشتفت صدور أهل الحقّ بما ناله، و من ذا يأمن الدهر و أفعاله.

ثمّ توجه هو و أبوه إلى أبي عريش، و كان يظنّ أنّ في التقرب إلى الشريف ما يسهل عليه ما نزل عليه (١) من العذاب المؤلم.

و رأيت له في بعض كتبه إلى بعض أصدقائه بأبي عريش: إنك تذاكر (٢) الشريف يطلبنا إليه، يعني ليكون ذلك مخرجا له من الذي وقع فيه و أفاد. هذا معنى كلامه في كتابه، و لكنني أنسيت لفظه.

ولما وصل إلى أبي عريش، عظم عليه التغليظ، و وقع في أشدّ ممّا كان فيه، فكان كالساعي إلى مثعب، مواليا (٣) من سبل الراعد، و جرى عليه من الإهانة و التعزير ما لا يليق بمثله، و كان هذا الفعل به و أبوه عنده، لكنّه لا يستطيع في الدفع عنه حيله، و لا يهتدى إلى خلاصه سبيلا، و لسان حاله ينشد إنشاد حائر متردّد:

أهمّ بأمر الحزم لو استطيعه و قد حيل بين العير و النزوان

ص: ٤٠٤

١-١) في «ن»: به.

٢-٢) في «ن»: تذكر.

٣-٣) في «ن»: موائلا.

و أخذ العامل للشريف فى كلففه ففرقه الخمسه الآلاف على أهل القرى، و كأنهم رأوا أن تحصيلها رجالا مقاتله لا يمكن جعلوها تخيرا بين أن يكون رجالا- مقاتله، و بين أن تكون نافعه مالا- عوّض كلّ رجل أحمر يكون بخمسه آلاف أحمر، جاءت حصّه صمد و الشقىرى و خضيره ثلاثمائه و خمسين أحمر، و وكلوا أمر كلّ جهه إلى نائب يخبر من تقاعس عن التسليم، فكان كلّ نائب يفعل ما أرادته من غير توقّف على المال المطلوب و القدر المعين.

حتى روى لى من استقصى المأخوذ من هجره صمد و الشقىرى و خضيره، إنتهى إلى ألف و أربعمائه قرش، و اجتمع للشريف من الأموال قدر متّسع.

و روى أن الشرف لّمّا أنهى إلى الإمام أن أهل هذه الجهات اختاروا أن يسلموا ما لا معونه على الجهاد عوضا عن الرجال، طلب الإمام من ذلك المال قدر أربعة آلاف قرش، و ما بقى منه يكون للشريف.

و كان هذا فى شهر ربيع الأول أو الآخر من السنه المذكوره، و هذا أول ضرر نزل بهذه الجهات بعد توجّها إلى الشرف، و الثانى الإلزام بالضيافه و الخرص فى مخلاف صبيا، و هو ممّا جاء به الغارم (1) إلى الإمام فى شأن محمّد بن أبى طالب، و هو فى هذا المخلاف من البدع المحدثه.

على أن الإمام المؤيّد بالله يحيى بن حمزه قد روى إجماع العتره على عدم جواز خرص الزرع، أمّا مع الصفه التى استمرّ عليها عمال هذه الجهات، فلا يبعد اتفاق علماء الامه على التحريم، و لو لا محبّه سلوك الطريق التى سلكها بعض السلف، لذكرت من ذلك ما لا يستغنى عنه، و قد أبان العله فى ذلك بقوله:

ص: ٤٠٥

إِنِّي لَأَكْتَمُ مِنْ عِلْمِي جِوَاهِرَهُ كَيْ لَا يَرَى الْحَقُّ ذُو جَهْلٍ فَيَفْتِنَنَا

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي هَذَا أَبُو حَسَنِ إِلَى الْحُسَيْنِ وَأَوْصَى قَبْلَهُ الْحَسَنًا

يَا رَبِّ جَوْهَرَ عِلْمٍ لَوْ أَبُوحَ بِهِ لَقِيلَ لِي أَنْتَ مَمَّنْ يَعْبُدُ الْوَثَنًا

وَلَا اسْتَحَلَّ رِجَالُ مُسْلِمُونَ دَمِي يَرُونَ أَقْبَحَ مَا يَأْتُونَهُ حَسَنًا

وَهَذِهِ الْآيَاتُ مَعْرُوءَةٌ إِلَى الْإِمَامِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (١)، وَأَنْكَرَ عَزُوهَا عَنْ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عَلَيْهِ السَّلَامِ الْغَزَالِي فِي مِنْهَاجِ الْعَابِدِينَ، وَأَنْكَرَ عَزُوهَا إِلَيْهِ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ، وَالِدَيْلَمِي فِي التَّصْفِيهِ، قَالَ فِيهَا: وَلَا مَعْنَى لِإِنْكَارٍ مِنْ يَنْكُرُ وَيُزَعَمُ أَنَّ الْعِلْمَ لَا يَحُلُّ كِتْمَهُ (٢). انتهى.

كَيْفَ وَقَدْ أَخَذَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَا تَسْتَبُؤُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْتَبُؤُوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ (٣) أَنَّ الْحَسَنَ يَصِيرُ قَبِيحًا، أَوْ لِأَدَى إِلَى قَبِيحٍ وَكَانَ سَبَابًا لَهُ.

وَكَذَا يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَاكِيَا عَنْ يَعْقُوبَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا (٤) إِنَّهُ يَجُوزُ إِخْفَاءُ الْفَضِيلَةِ تَحَرُّزًا عَنِ الْحَسُودِ.

قَالَ فِي الثَّمَرَاتِ: وَهَذَا دَاخِلٌ فِي قَوْلِنَا إِنَّ الْحَسَنَ إِذَا كَانَ سَبَابًا لِلْقَبِيحِ قَبِيحٌ، وَقَدْ

ص: ٤٠٦

١- ١) نَسَبَهُ إِلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَشَارِقِ أَنْوَارِ الْيَقِينِ ص ١٧، وَرُوحِ الْمَعَانِي لِلْأَلُوسِيِّ ١٩٠: ٦، وَنُورِ الْأَبْصَارِ لِلشَّيْبَانِيِّ ص ١٤٢، وَالْإِتْحَافِ بِحَبِّ الْأَشْرَافِ ص ٥٠، وَيَنْابِيعِ الْمَوْدَّةِ ٣: ١٣٥، وَدِيْوَانَ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ص ٤٧٨، وَالدَّرَرِ الثَّمِينِ فِي دِيْوَانِ الْمَعْصُومِينَ ص ٤٨٨.

٢- ٢) كِتَابُ التَّصْفِيهِ لِلدَيْلَمِيِّ، لَمْ أَعْثُرْ عَلَيْهِ.

٣- ٣) سُورَةُ الْأَنْعَامِ: ١٠٨.

٤- ٤) سُورَةُ يُوسُفَ: ٥.

ذكر المؤيد بالله أنه لا يفتى بصحة إقرار الوكيل لفساد الزمان، فعرفت بهذا كله أن هذه الأبيات جاريه على أحسن سنن، وأن لها من الأدلة ما يعضدها (١).

نعم ولبث الشريف أحمد بن محمد واليا، قيل: إلى سلخ جمادى الآخرة، ثم عزل و جعل الشريف أحمد بن غالب الوزير سنبل واليا بمدينة صيبا، فملك وقهر، ونهى وأمر، وبنى المباني الرفيعة، وسكن الدور المنيعه، و اجترى على مصاهره من ليس لهم بكفو رغبه و رهبه.

و فى أول هذه السنه: تولّى بمدينة أبي عريش محمّد بن قاسم الغرباني، و لم يتم له الولايه إلى آخرها، و أخاله كان من قبل الشريف و تحت نظره.

استقرار الوزير سنبل بمدينة صيبا:

و فى شهر رجب: بعد استقرار الوزير بمدينة صيبا كانت واقعه الشريف الهمام، البطل الضرغام، مهدي بن محمد العواجي المكنى أبا صالحه.

و كان من خبرها: إنّ الشريف المذكور أخذ على رجل من آل حبيب يسمّى شبرا (٢) فرسا معاقبه له فى أمر صدر منه، ففزع الحبيبي إلى الوزير، يشكو ما فعل معه الشريف المذكور، فأرسل الوزير إلى الشريف المذكور من يصل به، فامتنع، و أحسبه تكزّر منه ذلك الارسال و ذلك الامتناع، فجزّد الوزير و أراد أن ينهض بنفسه، فبدا له أن يرسل من ينوب عنه، فأرسل نحو خمسة عشر من أهل البندق، و خمسة من أهل الخيل على ما روى.

فوصلوا إلى دار الشريف المذكور و لم يكن بها حينئذ، فأخذوا فرسه و فرس

ص: ٤٠٧

١- ١) كتاب الثمرات لم أعثر عليه، راجع: كشف الظنون ٥٢٢: ١.

٢- ٢) فى «ن»: بشيرا.

الحبيبي، فركب الحبيبي على صهوة فرسه و نجى بها، و كانت مغنمه، و شاع الخبر فأغار أبو صالحه و غيره، فكّر على العسكر، فقتل منهم ثلاثه، و قيل: اثنين من عبيد الشريف، و ضرب آخر ضربه لم يزهق بها روحه، ثم وّلت العسكر الأدبار، و نجوا بفرس الشريف.

و لم يذكر عن أحد من أهل الغارات فعل إلاّ عن هذا الفاطمي، فإن حملته على عدم احتمال الضيم نفسه الأبيّه، فصال هذه الصوله الهاشميّه، و بالأفعال يعظم الأخطار، و على حسبها يكون ارتفاع الجدود و علوّ الأقدار.

و لم أجد الإنسان إلاّ ابن سعيه فمن كان أسعى كان بالمجد أجدر

و عظمت هذه الفعله عند الوزير و سيّده. و روى أنّ الشريف مهدي أذعن بتسليم قيمه العبيد، و قدر من الأدب، فامتنع من ذلك الشريف.

قيل: و طلب الشريف مهدي و من معه الاذعان من الشريف بما ينطق به الشرع الشريف إن عليه و إن له، فثنى عن ذلك عطفه، و بعد ظهور امتناعه صمّم الأشراف المذكورون على دفع باطله، و ردّ ما جاء به من عنده، و تحرّبوا (1) و تجمّعوا، و أرسلوا صارخا إلى بنى شعبه، فأجابهم منهم من أجاب، و ساعدهم على ذلك بعض فضلاء العصر، حميه لله، و أنفه على ما روى، و عن جانبهم من أوامر الشريف التي ينزل بكلّ ركيك العزم ضعيف.

ثمّ ترجّح لبعض الأشراف أهل السلامه أن يرتحل إلى الشريف مبانا لأصحابه، خائفا من بوائق عقابه، و لما انشقت منهم العصا، عصى الشريف مهدي في رأيه من ذويه من عصا، خذلهم من أجابهم من بنى شعبه، و روجع الشريف في شأن

ص: ٤٠٨

(١ - ١) في «ن»: و تحرّبوا.

البقيته فى أواخر شعبان من السنه المذكوره، و أذعن له بقدر مستكثر من الأدب يطابق غرضه، فكان قد أظهر الرضا، و لكنّه أبطن خلاف ما أظهر، و ارتحل من مدينه أبى عريش فى آخر شعبان، أثنى المراجعه إلى مدينه صبيا لأجل الانتقام من أهل السلامه، و استصرخ بأهل البوادي، فأجابته من كلّ قريه جماعه.

و جهّز الوزير سنبل إلى قريه السلامه فى جمع كثير من الرجال و الخيل، و لمّا علم أهل السلامه بوصول الشريف إلى مدينه صبيا، انزعجوا و عملوا القدره على مقاومته، مع انشقاق عصاهم، و خذلان بنى شعبه لهم، فاستحسنوا الإجماع عن بلدتهم، و لا لوم فيما لا يطاق، و إنّما يلام الفتى فيما يطيق من الأمر.

فوصل الوزير إلى قريه السلامه و لا- أنيس بها، فأحرق بيوتها، و طمّ آبارها، و أفسد مزارعها، و بالغ فى أن لا يبقى لها أثر، و لقيه أهل نبش و صيفه (١)، فدخل نبش و أقام بها ليله أو ليلتين أو ثلاث، ثمّ استدعاه الشريف، فوصل و دخل الوزير قريه المحله و الدهنا، فسام أهلها الخسف، و كلّفهم بما لا يطيقونه، و عاث و أفسد، و شتّت و بدّد، و فعل جنده من قبائح الامور، ما لا يحسن إثباته فى هذا المسطور، و أقام الشريف بمدينه صبيا إلى آخر شهر رمضان، ثمّ عاد إلى أبى عريش، و كان فرار الشريف مهدى و عشيرته إلى الدرب، بيت دعائمه طوال، و طود لا تنال قلله الأوعال.

بيت حمت (٢) عنه أسنّه تغلب أن يستباح و أنّها لطوال

بيت تحزّ الهام عن أطنايه مشدوخه و تعفّر الأبطال

ص: ٤٠٩

١-١) فى «ن»: رصيفه.

٢-٢) فى «ن»: حميت.

بيت لو الأرماع تلمس قرنه لا ندقّ فيهنّ القنا العسال

خروج الشريف أحمد إلى وادي خلب:

و في شهر شوال من السنه المذكوره، قيل ليله حادى و عشرين، و قيل: ليله سابع و عشرين منه: ارتحل الشريف من مدينه أبى عريش إلى وادى خلب، بخاء معجمه مضمومه و لام مفتوحه فموجده على وزن زحل النجم المعروف، و كان ذلك بتكليف الإمام له، و تحريضه عليه، بالنكايه لصاحب صعده، و المماسه لأطراف بلده، و لم يرتحل إلا و قد عين على أهل مملكته ألف رجل مقاتل، كان على مخلاف صبيا منه ثلاثمائه رجل مقاتل.

فضرب الشريف خيامه يمانى مجرّه الوادى بأرض ذات ثمام مستويه، و بعد استقراره ألزم مشايخ تلك الأرض بتحصيل آلات البناء، فحصيلوا له من ذلك قدرا مستكثرا، فبنى بيوتا حينئذ واسعها، و استحسّن مع طول الإقامه و ازدحام الناس أن يجعل بذلك الموضع سوقا، و استدعى من المهندسين من يقيم أود السوق من العطارين و نحوهم، فارتحل إليه من هذه الأجناس جمع كثير رغبه و رهبه.

ثم جعل لذلك السوق يوما يجتمع الناس به فى كلّ اسبوع يوما، فورد إليه الواردون، و أتاه من كلّ فجّ القاصدون، و صار ذلك السوق أحسن الأسواق، و أجمعها، لما إليه يطرب المشتاق، و بنى بذلك الموضع مسجدا جامعاً.

و فى هذه السنه أو التى بعدها: جاءت له التوليه من الإمام لبلد الشرفين و المحرق و اللجب و المعرض و بلاد ظاعن و عاهم و مور و الضحى (1)، فضخمت سعادته، و اتّسعت دائرته، و امتلأ بالامم ذلك القاع، و صار أكثر أنيسا من سائر

ص: ٤١٠

البقاع، و كان الوردون لا يردون إليه أفواجا، و جبايات المملكة تساق وحدانا و أزواجا.

وفاه الشريف أبي طالب بن محمد العواجي:

و في يوم عرفه أو يوم النحر من هذه السنه المذكوره: كانت وفاه الشريف أبي طالب بن محمد بن الحسين العواجي، و هو الشريف الأكرم، الغضنفر الشهيم، برد الإمارة المسهم، أبو طالب بن محمد بن حسين بن أحمد بن حسين بن عيسى العواجي.

فتيه لم تلد سواها المعالي و المعالي قليله الميلاد

هو من بيت سبق مجد ملكه، و انتظمت المعالي و المفخرة في سمطه و سلكه، أول قائم منهم الشريف المنزه من كل شين، شمس الدين أحمد بن حسين في السنه السادسه بعد الألف، فأزال المنكرات و البدع، و رفع من الدين ما امتنع، و كان قيامه بهذه السهال، مضاهيا لقيام الإمام المنصور القاسم بالجمال، و لم يزل قائما بأعباء ما حمل، حتى لقي ربه في السنه الثامنه و العشرين بعد الألف.

و في أيامه كانت واقعه الشريف عيسى بن مفيد العواجي، و القائد محمد بن بدر من امراء صاحب مکه كما ذلك معروف.

و قام بالأمر بعده الشريف الأمجد، عقد السؤدد المنضد، حسام الدين حسين ابن أحمد، و بلغ من درجه الكمال ما لم يبلغه في وقته أحد من الرجال، و في أيامه كان خروج الباشا قانصوه، و مع عظم قهره، و نفاذ حكمه و أمره، لم يكن له في بلد الشريف المذكور الوطاء (١) الكليه.

ص: ٤١١

و روى أنّ الباشا حاول قبضه و لم يقدر، و ربما قيل له: إنّ في قبضه من المفسده ما يرخّج على مصلحته، لما هو عليه من القوّه و المنعه.

و كذا كان في أيامه وصول الشريف اللسن، نابغه بنى الحسن، أحمد بن مسعود ابن أبى نمى، وافدا على الإمام المؤيد بالله محمّد بن القاسم، و مستنجدا له، و مدحه بقصيدته الداليه أحسب أولها:

خذنا بدمى ذات الخلال و العقد

حتّى خرج فى مدح الإمام بقوله:

خطيبا إذا ما قام فى رأس منبر و خطب على ظهر المطهّمه الجرد

و سببه: كان خروج السيّد الإمام أحمد بن لقمان إلى الشام، و جرى لهم ما هو مذكور معروف، و كان الفقيه العلّامه، السابق فى مضمار الفصاحه، و المعدود من أهل الإمارة و الرجاحه، ضياء الدين إسماعيل بن محمّد المحلوى ملازما له، أعنى: الشريف حسين بن أحمد فى سنه ثلاث و خمسين من بعد الألف.

و روى بعض فضلاء العصر: أنّه لما توفّى جاء نعيه إلى الفقيه إسماعيل، و كان الفقيه قد أصابه طرش، فلما قال له: عظم الله أجرک فى الشريف حسين بن أحمد، وقع يكتب على الأرض بعضا:

أمخبرى أنّ الطريق قد عفت رسومه أنت قصمت ظهري

تطلب أجرا فى هلاك مسلم ما فى هلاك مسلم من أجر

و لم أقف على نسبتها لأحد قبله، و قام بالأمر بعده السرى المدرّه، الخائض فى طلب المجد ليجّ كلّ عشره، جمال الدين محمّد بن حسين بن أحمد، و له من المعالى ما يملأ الفم و الاذن و العين، و على الجملة فله و لآبائه فى المعالى و المكرمات،

أخبار لا يتسع لها هذه الوريقات، وأيامهم مشهوره في عددهم (١)، لها غرر معلومه و حجول، وكانت وفاته ثامن شعبان سنة ست و سبعين من بعد الألف.

و لم تزل هذه النطفه تهادهاها البطون و الأصلاب، حتى انتهت إلى الشريف أبي طالب بن محمد بن حسين، فكان خاتمه الباب. جبل رحمه الله تعالى على طباع الشرف و السيادة، و جمع من الخلال المحموده ما لم يجمعه غيره عاده، و رزق جدًا و سعداً، و ملاً صيته غورا و نجداً، و طلع بأيامه نجم السعد، و أفل بها نجم النحوس، و لم تقابله الأيام و الليالي بمكروه و لا بؤس، و كان شجاعا شهما جوادا ممدحا، همته عاليه، و سيوفه للأولياء حاميه، و على الأعداء بالرد أفاضيه.

يلقى النداء برقيق وجه مسفر فإذا التقى الجمعان عاد صفيقا

رحب المنازل ما أقام فإن سرى في جحفل ترك الفضاء مضيقا

و كانت دواعى صدره سليمه، و نيته مع الله و عباده صحيحه غير سقيمه، و صفت مملكته أكثر من اثنتي عشره سنه، كلها عند المسلمين أعياد خالصه عن الشوائب و الأفكار، رعوها فيها عشب النعيم الغض، و لبسوا أثواب الراحه و الدعه المبيض، ثم اضطربت من بعد، فاضطربت امور المسلمين باضطرابها، و نالهم البؤس و الضراء بذهابها، فكانت غره محتها أيدي الليالي، و زهره قطفها أيدي الدهر، و كذا الدهر لا يبالي عجا، للدهر ما داسته و لأحداث الليالي عجا.

و بعد وفاته رحمه الله توفيت الآمال، و قصرت الهمم، و قد خرب بيت المجد، الذي كان قد شاده و انهدم، و بكت العيون لفقده دمعا ممترجا بدم.

فإن تك أفتته الليالي فأوشكت فإن له ذكرا سيقى الليالي

ص: ٤١٣

و بعد (١)مضى عشره أيام من رزئه القاصم للظهور،شفعه (٢)رزء ولده محمّد ابن أبى طالب المذكور.

حوادث سنه أربع و مائه و ألف:

إشاره

و فى مستهلّ شهر محرّم الحرام أوّل سنه أربع و مائه و ألف: جهّز الشريف و هو بخلب أجنادا يكثر عددها، و أمر عليها السيّد حسن بن أحمد المرتضى، و الشريف على بن حسن العنقاوى، و فى صحبتهم الشيخ الصنديد محمّد بن جابر الزريقى (٣)الشعبى، قاصدين موضعا يقال له: الرنف، براء مفتوحه فنون ساكنه ففاء، أخاله من أعلى مير وادى جازان، و كان به قبيله دعجان، و فى نفوسهم أيضا الغزو لآل عمر و آل حسن، ثمّ أخذ من أمكن أخذه من قبائل بنى شعبه معاونه للشيخ محمّد بن جابر، فلما وصلوا ذلك الموضع وجدوه لا أنيس به، و قد غاب عنى أهل قبيله دعجان، و أجهت الشريف أو أجلت.

و أما آل عمر و آل حسن، فإنّه تعسّر عليهم أخذهم. و روى أنّهم تجمّعوا للدوله تجمّعا قريبا، و لكن سبق مرور الدوله، أو قصر عن موضع تجمّعهم.

فلما قربوا من قريه الشقىرى، قال الشيخ محمّد الزريقى: الرأى أن تنزل بهذه القريه ليعتلف الدوابّ، و يستريح الجند، كيما يقدرّوا على النهوض فيما بعد، فاستمعوا لقوله و نزلوا تلك القريه، فباتوا بها تلك الليله، و أصبح مكان الشيخ محمّد خاليا منه، فعرفوا عدم نصحه، و كتبوا إلى الشريف يعرفونه بما جرى.

ص: ٤١٤

١-١) فى «ن»: و قد.

٢-٢) فى «ن»: سفعه.

٣-٣) فى «ن»: الوريقى أو الرزيقى.

و دخلوا هجره ضمّد اليوم الرابع من الشهر المذكور، فباتوا بها تلك الليلة (١)، وقالوا أو شرعوا في القيلولة يوم الخامس، فورد عليهم كتاب الشريف يدعوهم فيه، فلم يلبثوا إلا ريثما يتزوّدون، وكانت هذه الفعلة من الشيخ محمّد من الحوامل على حبسه، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

و اعلم أنّ بنى شعبه لمّا فعلت فرسانهم و قبائلهم ما فعلت في صندلين كما تقدّم، غضب الشريف عليهم، و بلغ ذلك منه مبلغا عظيما، و كان في نفسه أن يجعلهم و من ينظرهم من القبائل تحت وطأته كسائر أهل مملكته.

و لم تساعدهم على ذلك شنشنتهم التغلبيّة، و نفوسهم العزيزة الأبيّة؛ لأنّهم لكامل نجدتهم و شدّه بأسهم، و قوّه عدّتهم، لم يرعوا إلاّ ثمر العزّ، و لم يشربوا إلاّ ماء الاحترام، و ما ألفتة النفس فهو عسر الفطام.

و كانوا لما عرفوا من الشريف الغضب من فعله صندلين، أرادوا طيبه نفسه، و عدم حقّه رعايه لحقّه، و إغلاقا لباب الفتنة، فعزم إليه منهم من عزم، و أحسب الشيخ زيد بن مرعى بعضا ممّن عزم، ففلق الشريف رضاه عنهم، بشرط أن يأتوا ببعض منهم عينه لهم يكون لديه.

و روى أنّه شرط عليهم أيضا تسليم قدر من الأنعام يستجهل من تلقّظ بها، فأرضوه في ذلك المجلس بالمقال، و نشطوا من مبركه العقال، و لحقوا بقومهم و بلدتهم، فاستحكمت الوحشه، و انقطع بينهم الاتّصال، و كان كلّ منهم على حذر من الآخر، و الشيخ محمّد بن جابر الزريقي رأى أن يحزم هذه القاعده، و يواصل الشريف استجلابا للفائده، و لله درّ القائل:

ص: ٤١٥

(١ - ١) في «ن»: فباتوا بها ليله الخامس.

و ما السيد القمقام عندي بسيد إذا استنزلته من علاه الرغائب

و ربما ظهر للشريف أنّ آل جابر منفصله بأحكامهم عن سائر بنى شعبه، كما روى عنه، و أنّ الفاعل لتلك الفعله فى صندلين ليس من آل جابر، و كان يطمّع الشريف و يمنيّه بأنّه يستميل من يستميل، و مكث على ذلك برهه مرعىّ الجناب، لا يغلّق دونه باب، و أخذ الشريف الطمع، و كان يجزل له المواهب، و يتلطف فى استخراجه بالرغائب، حتّى مضى وقت لم ير له فيه تأثيرا و لا نجعا، و كانت منه تلك الفعله مع السريّه المتقدم خبرها، و انكشفت له أنّ ذلك منه إنّما كان مكررا و خدعا، فأسرّها يوسف فى نفسه و لم يبدها لهم.

و لَمّا مضت أيام من فعلته تلك، أخاله فى آخر الشهر المذكور، دخل إلى مدينه صيبيا، و فى صحبته الشجاع الباسل، الكمى المناصل، بشار بن شريفه و غيرهم، و معهم قافله، مظهرًا أنّه يجلب للدوله المصالح، و على ذهنى أنّ ذلك كان أوّل دخول منه بعد فعلته تلك.

فلَمّا استقرّ به المجلس بين يدى الوزير، أشار الوزير إلى خدمه أن اقبضوه، فتسارعوا من بين يدى الوزير إلى أخذ سلاحه و قبضه، و أودعوه الحبس، و ركب بشار بن شريفه صهوه جواده (1)، فيخال حصلت فى المدينه زعزعه، و روى أنّه حصل نهب، و خرج الوزير بعد الهاربين غير بعيد و عاد.

و قيل: كان قبض الشيخ محمّد أنّ رجلا من أصحاب الوزير عرف سلاحا كان مع رجل من أصحاب الشيخ محمّد يدعى أنّه نهب يوم صندلين، و دار الكلام حتّى ارتفعت الأصوات، و كاد الحرب أن يقوم على ساق، فتوهم الوزير أنّ ذلك خديعه

ص: ٤١٦

(١ - ١) فى «ن»: دابته.

من الشيخ محمد فقبضه.

و الظاهر أنّ السبب فى قبضه هو ما قدّمنا؛ لأنّه لم يفكّه بعد أن تحقّق براءته، وإن صحّ ذلك الذى قيل، فهو سبب انضمّ إلى أسباب، ثمّ إنّ الوزير أرسل الشيخ محمد مصفّدا إلى الشريف، وبقى عنده بخلب.

و لما وصل الأشراف بنو حسن: عبد الله بن هاشم، و راجح، و شبير، و بشير، أبنا مبارك، من مكّه إلى الشريف، صحبهم الشيخ على بن جابر، و تعلق بأذيال الشريف فى شأن أخيه الشيخ محمد، فطلب الشريف فى فكّه قدرا من الأنعام مستكثرا، و احتمل به الشيخ على بن جابر، فلما حصله وقف به بين يديه جعل لا يأخذ إلاّ ما أجمع (1) على حسنه، و يظهر للقبائل و غيرهم أنّ من عرفه من هذه الإنعام شيئا يأخذه بعد أن يحلف عليه.

و لما كانت القبائل أهل معاده و بغى، و أكثر ما بأيديهم من مال غيرهم، انسلب ما جاء به الشيخ على بن جابر، و بعضه كان معييا على شرط الشريف، فأيس من خروج أخيه، فارتحل و فى فؤاده ما فيه.

و فى اليوم التاسع من شهر صفر، كان نزول الشريف حسن بن غالب من جبل رازح، بعد أن تحقّق خروج أولاد الإمام من مدينه صعده، و جرى عليهم من المصائب، ما يعجز عن ضبطه قلم الكاتب.

و قتل السيّد الرئيس الهمام، الضيغم الهرماسه القمقام، ضياء الدين إسماعيل ابن الإمام الناصر لدين الله، بعد خروجه من صعده قريبا.

و روى أنّه ثبت ثبات من لا يرهّب و لا يخاف، و جرّع من بغى عليه كأسا مترعا

ص: ٤١٧

من السمّ الذعاف.

و كان سيّدا حازما و قورا عادلا، محمود السيره، محبّبا إلى قلوب كثيره، و لم ينج من أصحابه إلا من شدّ، و لم يكن لابن الإمام على بن أحمد مشاركة في ذلك على ما روى، و إنّما الفاعل لذلك قبل تلك الجهات هالكا على الطمع.

و كان هذا السيّد قد دخل هو و جماعه من آل الإمام و من الرؤساء بأجناد يعسر ضبطها و حصرها إلى مدينه صعده بمواطاه منهم لقبائلها، و خرج ابن الإمام على بن أحمد خائفا يترقّب بعد أن أحسّ بالخداع، و علم أنّ الدفاع ليس بممكن و لا مستطاع، فتنحى إلى بنى جماعه -بضمّ الجيم- فأووه و عزّوه، و أكرموه و تركوه بمدينه صعده، و ترك أهله من النساء و الأطفال، و ضيّع الحزم، و سلك غير سبيل أهل السياسه و العزم.

و استحسّن بعض الرؤساء الداخلين إلى مدينه صعده تحميل أهل على بن أحمد و إيصالهنّ إلى اليمن، و أكاده (1) و أغاضه ففعل، و روى أنّ الإمام لم يرتض ذلك.

قيل: و كان ابن الإمام على بن أحمد قد عهد بأهله إلى طالب بن المهدي، بعد أن أخرجه من حبسه، و صمّم على التنحى. و ربما روى أنّه أنكحه ابنته له.

و لما تهيّأ لأولئك الداخلين ما تهيّأ، و ملكوا من مدينه صعده زمام عيسها، و اجتلوا ضوء بدرها و شمسها، أقبلوا على قبائل تلك الجهات، فأخذوها بالعنف، و عاقبوا المجرم منهم معاقبه غليظه، فاختلّ عليهم أمر السياسه و التدبير، اللذين

ص: ٤١٨

(١ - ١) في «ن»: و أكادوه.

يهون (١) بهما من الامور كلّ أمر عسير، و أساؤا السيره، و فعلوا من الامور التي لا تليق أفعالا كثيره، فتصدّعت قلوب القبائل و مالت، و أخذت بالحزم (٢) و استشعرت الصبر، فردّت عليهم أوامرهم، و أظهرت المخالفه لهم.

و جرت بينهم و بين آل الإمام حروب تحاكي حروب (٣) الفخار، و سدّوا طرق الموادّ على آل الإمام، فوقع عليهم الحصار، و دارت النوائب عليهم رحاها بالليل و النهار، و لبثوا على ذلك برهه من الزمان، حتّى آل أمرهم إلى ما ذكرناه من الخروج و قتل إسماعيل.

و كان الشريف لمّا أحسّ من أولاد الإمام بالزحف (٤) أيّام مقدمهم إلى صعده، جهّز من لديه من جهّز، و كان أخوه حسن بن غالب ممّن تجهّز، فطلعوا جبل رازح، و أقاموا به مدّه إقامه أولاد الإمام، و جرت لهم مع أولاد على بن أحمد وقائع كثيره، و كانت الحرب سجلا بينهم، و لمّا تيقّنوا خروج أولاد الإمام من صعده سارعوا إلى النزول، فنزلوا في التأريخ المتقدم، و عادت نواحي صعده و جبل رازح إلى على بن أحمد.

و هذه الوقعه لأولاد الإمام و صاحب صعده تشبه واقعه جرت لبعض ملوك الزمان الماضي، ذكرها في سلوان المطاع (٥).

ص: ٤١٩

١- ١) في «ن»: يبون.

٢- ٢) في «ن»: بالجزم.

٣- ٣) في «ن»: حرب.

٤- ٤) في «ن»: بالرجف.

٥- ٥) و هو كتاب سلوان المطاع في عدوان الطباع، تأليف أبي عبد الله محمّد بن

نعم و كتب الشريف الإمام يعزّيه فى ولده إسماعيل، و بعد وصول الشريف حسن بن غالب لم يمكث الوزير بمدينه صيبا، بل سار إلى حضره الشريف بخلب، و الظاهر أنّ ذلك كان باستدعاء من الشريف، خوفا من انفتاح الفتنة المشرقيّه، و تولّى بعده الشريف حسن العنقاوى، و أنّ الشريف (١) استخلف أحمد بن محمّد، ثمّ جاء على بن حسن من بعده.

و فى شهر ربيع أحسبه الأوّل، و وصل جواب التعزیه من الإمام بخطّ القاضى الأديب حسين بن أحمد الخيمى، مصدرا بهذين البيتين:

بقيت و قرى و انصرفت عن العلى و لقيت أضيافى بوجه عبوس

إن لم أشن على ابن هند غاره لم تخل يوما من ذهاب نفوس

و هما من أبيات حماسه أبى تمام (٢)، و طرق فى سمعى من بعضهم أنّها للأشتر. و فى أثناء الكتاب عند ذكر مقتله:

تردّى ثياب الملك (٣) حمرا فما أتى لها الليل إلا و هى من سندس خضر

و هذا البيت من شواهد التلخيص، و الشاهد فيه الطباق المعروف، و عند بعض

ص: ٤٢٠

١- ١) فى «ن»: الوزير.

٢- ٢) لم أعثر عليها فى ديوان أبى تمام.

٣- ٣) فى الديوان: الموت.

أهل علم البديع تبديع الكنايه، ذكر فيه لونين الحمرة و كُنِيَ بها عن القتل، و الخضره و كُنِيَ بها عن دخول الجنّه، و هى من قصيده لأبى تمام يرثى فيها محمّد بن حميد الطوسى لَمّا استشهد (١)، و أوّلها:

كذا فليجلّ الخطب و ليفدح الأمر فليس لعين لم يفيض ماؤها عذر (٢)

و قيل: البيت الأوّل:

غدا غدوه و الحمد نسج ردائه فلم ينصرف إلا و أكفانه الأجر

و بعد البيت الأوّل:

كأنّ بنى نبهان بعد وفاته نجوم سماء خرّ من بينها البدر (٣)

قال فى معاهد التنصيص (٤): يروى أنّه لَمّا ورد نعيه، غمس أبو تمام طرف ردائه فى مداد، و ضرب به كتفه و أنشد القصيده، و إلى ذلك أشار ابن زنجى الكاتب يرثى الشيخ أبا على ابن خلدون:

لولا الحياء و إن احبى بفعله يقضى علىّ بها سيوف ملام

و أكون متبعا لأتبع سنه قد سنّها قبلى أبو تمام

ص: ٤٢١

١- ١) فى سنه (٢١٤)هـ و هو يحارب الخرميه.

٢- ٢) ديوان أبى تمام ص ٣٠٣-٣٠٤.

٣- ٣) ديوان أبى تمام ص ٣٠٤.

٤- ٤) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تأليف الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العبادى العباسى، المتوفى سنه (٩٦٣) و هو شرح لأبيات تلخيص المفتاح فى المعانى للشيخ جلال الدين محمّد بن عبد الرحمن القزوينى المعروف بخطيب دمشق المتوفى سنه (٧٣٩). كشف الظنون ١: ٤٧٩-٤٨٣.

لبست لبس الثكالات و كنت فى لبس السواد كأننى من حام

نعم بعد وصول الأشراف المذكورين إلى الشريف أرسل إلى الإمام، منهم:

الشريف بشير بن مبارك، يستوهبه بندر اللحيه للاستعانه بجبايته فى أرزاق الأشراف الواصلين، فوهب له الإمام مدينه الزيديه (١).

و وصل الشريف بشير و فى صحبته الشريف النجيب حسن بن أبى طالب بن محمد، و النقباء الثلاثة: سرور، و ياقوت، و سنبل. أو اثنان منهم، و أظن ذلك كان فى آخر شهر جمادى الآخره (٢)، و الشريف عبد الله بن هاشم حصلت بينه و بين الشريف أحمد بن غالب وحشه أوجبت ارتحاله، فارتحل و صحبه من الأشراف من صحب، و أرسل و رآه الشريف يطلب عوده، فامتنع عملا بقول أبى الطيب:

إذا ترخلت عن قوم و قد قدروا أن لا تفارقهم فالراحلون هم (٣)

و فى شهر جمادى الآخره: غزا الشيخ على بن محمد الموكلى أهل قريه الحسينى، فأغاروا، و وقع الشيخ على فى أيادهم (٤)، فاستسلم، فقبضوه و سلموه إلى الشريف على بن حسن، و هو وال بمدينه صيبا، و بالغوا عليه فى أن لا يوقع به مكروها غير الحبس، فالترم لهم بذلك، و بقى الشيخ على محبوسا أياما، ثم بداله فصلبه حيا، و لا علم لى أكان ذلك عن إذن (٥) الشريف، أو لم يكن عن إذنه.

ص: ٤٢٢

١- ١) فى «ن»: الزنديه، و الزيديه: قريه باليمامه فيها نخل و روض.

٢- ٢) فى «ن»: الاولى.

٣- ٣) ديوان أبى الطيب ص ٢١٤.

٤- ٤) فى «ن»: أيديهم.

٥- ٥) فى «د»: عن علم.

غير أنه روى لى من روى أنّ الوزير كان يعدّ ذلك من سقطات الشريف على بن حسن، يقول: لو كان له من التدبير حظّ لما فعل ذلك الفعل الموجب لأتباع الفتنة بين الشريف و بين بنى شعبه، فإن صحّ هذا الكلام، ففيه إيحاء إلى أنّ ذلك كان من غير إذن الشريف، وبقى الشيخ على مصلوباً أكثر من يومين فى ظنّى.

ما قاله الادباء فى المصلوب:

وقد أذكرنى صلبه، و دعانى إلى ذكر ما قال الادباء فى المصلوب، و تشبيه حالته و تصوير هيئته حال صلبه، فمن أبداع ما جاء فى ذلك قول ابن الرومى:

كان له فى الجوّ حبلاً يبوعه إذا ما انقضى جبل اتيح له جبل

يعانق أنفاس الرياح مودّعا وداع رحيل لا يحطّ له رحل

و من ذلك قول الأخطل الأهوازى:

كأنه عاشق قد مدّ صفحته يوم الفراق إلى توديع مرتحل

أو قائم من نعاس فيه لوثته مواصل لتمطيه من الكسل

و وجه التشبيه فى هذا هو الهيئه المركبه من المواصله للتمطى مع سببه، و هو اللوثه و الكسل، فقد نظر فيه إلى الهيئه المركبه من الثلاث الجهات، و لذا كان لطيفاً، فهو كما ذكر أهل علم المعانى فى قول أبى الطيب المتنبى يصف كلباً صاد صيدا بغير صقر معه:

يقعى جلوس البدوى المصطفى بأربع مجدوله لم تجدل

من قصيدته التى أولها:

و منزل ليس لنا بمنزل ولا لغير الغاديات الهطل (١)

ص: ٤٢٣

فقوله «يقعى» أى: يجلس على الصيد مثل جلوس البدوى المصطفى بالنار، فإنه يكون لكلّ عضو من أعضاء الكلب فى إقعائه موضع خاصّ، و للمجوع صورته خاصّه مؤلفه من تلك المواقع، و كذلك صورته جلوس البدوى المصطفى بالنار.

ترجمه عمّاره بن على بن زيدان المخلافى:

و للفقيه العلامة أحد مفاخر المخلاف السليمانى، من لم يكن له فى عصره ثانى، عمّاره بن أبى الحسن على بن زيدان بن أحمد الحديبى فى المصلوب:

و مدّ على صليب الصلب منه يمينا لا تطول إلى شمال

و نكّس رأسه لعتاب قلب دعاه إلى الغوايه و الضلال

و له أيضا فى وصفه:

و رأته يدها عظيم ما جنتا فقّرت (١) ذى شرقا و ذى غربا

و أمال نحو الصدر منه فما ليوم فى أفعاله القلبيا

قلت: و قول عمّاره هذا ليس من تشبيهه هيئه المصلوب فى شىء، و إنّما هو من حسن التعليل الذى ذكره أهل علم البديع؛ لأنّ إماله الفم و تفرّق الأيدى من المصلوب له علّه، و لكنّها ليست ما ذكره من عظم الحزم و لؤم القلب فى أفعاله، فهو فى حسن التعليل نظير قول أبى الطيّب:

ما به قتل أعاديه و لكن يتقى إخلاف ما ترجو الذئاب

من قصيدته التى مدح فيها بدر بن عمّار، و أوّلها:

إنّما بدر بن عمّار سحاب هطل فيه ثواب و عقاب (٢)

ص: ٤٢٤

١- ١) فى «ن»: ففررن.

٢- ٢) ديوان أبى الطيب ص ٩٦.

وقوله «ما به قتل أعاديته و لكن» البيت من حسن التعليل؛ لأنّ قتل الأعداء في العاده لدفع مضرّتهم، حتّى تصفو المملكه عن منازعتهم، لا لما ذكره من أنّ طبيعه الكرم غلبت عليه، و محبّته صدق رجاء الراجين بعثته على قتل أعاديته، لما علم من أنّه إذا توجه للحرب (١) صارت الذياب ترجو اتّساع الرزق عليها بلحوم من يقتل من الأعداء.

قال في شرح التلخيص: و هذا مع أنّه وصف بكمال الجود، و وصف بكمال الشجاعه، حتّى ظهر للحيوانات العجم.

قيل: و من العجائب أنّ عمّاره صلب بعد قوله هذا بقليل، صلبه الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيّوب، و كانت هذه الكلمات كالقال.

قلت: و سبب ذلك ما ذكره أبو الحسن الخزر جي في تأريخه (٢): إنّها لمّا انقضت دوله العبيدين، جعل يكثر من ذكرهم، و التأسّف عليهم، و الدعاء على من كان سببا لهلاكهم، و كلّ ما همّ السلطان صلاح الدين بأذيته صدّد عنه القاضي الفاضل (٣)، حتّى كان منه قوله فيهم:

لمّا رأيت عراض القصر خاليه عن الأيس و ما في الربع سادات

أيقنت أنّهم من ربعم رحلوا و خلفوني و في قلبي حرارات

ص: ٤٢٥

١-١) في «ن»: إلى الحرب.

٢-٢) هو كتاب تاريخ أبي الحسن علي بن الحسن الخزر جي النسيابه، المتوفّى سنه (٨١٢) عني بأخبار اليمن، فجمع تاريخا على السنين، و آخر على الأسماء، و آخر على الدول. كشف الظنون ٣٥٦: ١.

٣-٣) في «ن»: الفاضلي.

سألت أبله قلبى فى السلو و قد يقال ليله فى الدنيا إصابات

فقال رأبى ضعيف لا يطاوعنى كيف السلو و أهل الفضل قد ماتو

يا رب إن كان لى فى قربهم طمع عجل بذاك فلتسويف آفات

و أنشدت الأبيات بأمر صلاح الدين، و كبر عليه، و أمر بشنقه، بعد أن قالها بيسير، فشنق هو و جماعه ممّين كان على رأيهم، فيقال: إنه تفأل على نفسه باللحاق بهم.

و فى الغربال (١) ما معناه: إن سبب شنقه أنه اشيع عليه التعصّب للبيدين مع ثمانية من الروساء، و أنهم يسعون فى إعادته دولتهم.

قال فى تأريخ أبى الحسن الخزرجى: فلما خرجوا يشنقونه، قال: مرّوا بى على باب القاضى الفاضل، فلما علم القاضى ذلك أمر بإغلاق باب داره، فلما مرّوا به هنالك و رأى الباب مغلقاً، قال ارتجالاً:

عبد الرحيم قد احتجب إن الخلاص هو العجب (٢)

فشنق فى درب يعرف بخزانه البنود فى القاهره، و ذلك يوم الثانى عشر من شهر رمضان سنه تسع و ستين و خمسمائه، و نسبه فى حكم سعد (٣) العشيره من مذحج.

قلت: و ضبط ابن هشام مذحج فى شرح بانة سعاد، بضم الميم و بالذال المعجمه و الحاء المكسوره.

ص: ٤٢٦

١- ١) هو كتاب غربال الزمان المفتوح بسيد ولد عدنان، فى مختصر مرآة الجنان فى التاريخ، لأبى الأهدل حسين بن عبد الرحمن اليمنى.

٢- ٢) تاريخ ابن خلدون ٤: ٩٦.

٣- ٣) فى «ن»: ابن سعد.

قال الخزرجي: و كان عماره فقيها نبيها فرضيا نحويا لغويا شاعرا فصيحاً بليغاً، يعرف عند أهل زبيد بالعرضي، و عند أهل عدن و الجبال بالفقيه، و عند أهل بلاده بالحدقي، و عند أهل مصر باليمني.

و رجّح أبو الحسن الخزرجي خروجه من مذهب أهل السنّه و دخوله في مذهب الفاطميين بني عبيد، قال: و أشعاره في مدائح القوم ناطقه بهذا مفصحه عنه، و كان مولده لبضع عشر و خمسمائه تقريباً.

قال ابن خلّكان: و ذلك بوادي و ساع بمدينه ساممرطان (١).

و كذا رأيت في الغربال، بزياده على أحد عشر يوماً من مكّه بتهمه اليمن، و قال: ذكر ذلك عماره في بعض تصانيفه.

قال الخزرجي: و ذكر عماره في مفيدته: إنّ مولده في قرية الزرائب، و هي في الناحيه الشرقيه من المخلاف السليماني، و ذكر أنّ أهل تلك القرية باقون على اللغه العريّيه من الجاهليه إلى عصره لم تتغير لغتهم، و ذلك لأنّهم لم يختلطوا بأحد من أهل الحاضر، و هم قرار لا- يضعنون و لا- يخرجون منه، و خرج عماره من بلده شايّاً في طلب العلم سنه إحدى و ثلاثين و خمسمائه، فلحق بزبيد.

قال في الغربال: و حجّ بسيره صاحب مكّه قاسم بن هاشم إلى صاحب مصر العبيدي، فمدحه بقصيده ميميه حسنه. قلت: أولها:

الحمد للعيس بعد العزم و الهمم حمدا يقوم بما أوليت من نعم

قال فيه فأجزل عطيته، و رجع إلى مكّه، ثمّ إلى زبيد، ثمّ حجّ ثانيه، فأرسله صاحب مكّه ثانياً إلى مصر، فاستوطنها، و لم يزل أمره قاهراً.

ص: ٤٢٧

فى ذكر دوله العبيدين

ذكر فى الغربال: إنَّ ابتداء دوله العبيدين بأفريقيه المغرب (1) فى سنه تسع و تسعين و مائتين، و مدّتهم مائتا سنه و ستّ و ستون سنه، و مقامهم بمصر مائتا سنه و ثمانى سنين، و جمله ملكهم أربعه عشر: أولهم المهدي، ثمّ القاهر، ثمّ المنصور، ثمّ المعزّ، ثمّ العزيز، ثمّ الحاكم، و هو الذى ملك الشام و الحجاز مع المغرب، ثمّ الظافر، ثمّ المستنصر، ثمّ المستعلى، ثمّ الأمر، ثمّ الحافظ، ثمّ الطاهر، ثمّ الفائز، ثمّ العاضد.

قال فيه: و أكثر الناس لا يسلّمون للعبيدين بنسبهم إلى أهل البيت، و كتب الحاكم العبيدى إلى صاحب الأندلس المروانى بهجوه و يذمّ نسبه، فكتب إليه المروانى: عرفتنا فهجوتنا، و لو عرفناك لهجوناك و أجبناك، و السّلام.

و اشتدّ ذلك عليه و أفحمه، و وجد العزيز يوما رقعته على منبر الخطبه، و فيها:

إنّا سمعنا نسبا منكرا يتلى على المنبر فى الجامع

إن كنت فيما تدعى صادقاً فانسب أبا بعد الأب الرابع

و إن ترد تحقيق ما قلته فانسب لنا نفسك كالطامع

أو لا دع الأنساب مستوره و ادخل بنا فى النسب الواسع

فإنّ أنساب بنى هاشم يقصر عنها طمع الطامع

قال فيه فى سياق وفاه و الدهم المهدي: و كان يظهر الرفض، و يبطن الزندقه،

ص: ٤٢٨

١ - ١) و قد ألّف الداعى إدريس عماد الدين المتوفّى سنه (٨٢٧) كتابا جامعاً مبسوطاً عن تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، مطبوع، فراجع.

و قتل هو و بنوه من بعده أربعة آلاف رجل ما بين عالم و زاهد، في دار النحر التي يعذب فيها، و منهم تولد مذهب الباطنية باليمن و المغرب.

هذا، و اعلم أنّ هذه المدينة التي ولد فيها عماره قد اندرست معالمها في وقتنا هذا، و لا نعلم أحدا يعرف موضعها على التحقيق، و أمّا الجهة فهي معروفة، و زمان عماره متقدّم على زمان اللسن البلغ القاسم بن علي بن هتمل بما يجاوز الستين سنة. و أظنّ أنّ مولد ابن هتمل كان في زمان عماره، و قد ذكره في قصيدته الدالية التي مدح بها الأمير فخر الدين بن علي العقيلي الخزاعي صاحب حلي، أوّلها:

فرطت يوم سويقه يا صائد في الصيد و هو مخاتل و مكابد

و أضعت قلبك فالتحقه بناشد إن كان يجمعه عليك الناشد

و لما خرج من مدحه يطلب منه اللهي، و يذكر من مضى ممّن يقول للمادح السائل، قال:

إن رشتني فزهير راش جناحه هرم و ريش جناحه متفاقد

و أخذ في تعديد هذه الأجناس، حتّى قال:

و عماره الحدّ في قام بحقّه في مصر من ولد الحسين العاضد

و أمّا جهاتهما، فهما متقاربان بينهما قدر أربع فراسخ تقريبا.

تتمه الحوادث:

إشارة

نعم، و بعد أن صلب الشيخ على الموكلي، اتسع على الراقع الخرق، و رأى أبوه أنّ التقاعد عن الأخذ بالتأثر بمعزل، فغدا يوعد أهل الحسيني و يجمع لهم الجموع، معتقدا أنّ السبب كالمباشر، و لتفرقه بينهما عند من لا يعلمها أمر غير ظاهر، و ترعرع أهل الحسيني لعلمهم أنّ ذلك وعد غير مكذوب، و أنّ هذا الطالب لا يقدر على دفعه هذا المطلوب، فكحلوا نواظرهم ليالي بالسهاد، و فارقوا لذيد المنام فرقا

من ذلك الإبعاد.

ولمّا جاءهم العلم اليقين باليوم الذى يريد العدو ان بهم فيه ما يوقع، لم يألوا جميعا فى الاستصراخ بأهل القرى التى حولهم، و أرسلوا إلى الشريف على بن حسن بمدينة صبيا رسولا يخبروه بما دهمهم، فجعل يتعلّل بأنواع العلل، يقول الموضع قريب، و العدو لا يأتى إلاّ نهرا، ثمّ تمهّل بعد دخول اليوم الموعود، حتّى أوقع العدو ما أوقع قبل مجيئه، و كان هو الأحقّ بقول القائل:

فخير نحن عند الناس منكم إذا الداعى المثوب قال بالا

و كان بقرية الحسينى من أهل الخيل فى ظنّى ثلاثه أو أربعة، و من أهل البنادق مثل ذلك، و ألفين فى أهل الخيل، هو الشريف الحسيب على بن محمّد الذروى.

فلمّا أقبل العدو بعد الفجر يوم الخميس سادس و عشرين شهر رجب من السنه المذكوره، أوّلا- ضرب بالبنادق أهلها مرّه واحده، فارتدع من العدو من ارتدع، و جعل الشريف على بن محمّد يدفع من شرّهم ما لا يندفع، و يجول بفرسه فيهم و لسان حاله ينشد:

تأخّرت أستبقى (١) الحياه فلم أجد لى نفسى حياه مثل أن أتقدّما

و لسنا على الأعقاب تدمى كلومنا و لكن على أعقابنا تقطر الدما

فاعترضه الكمى الهرير شارس شريفه، و هو كما قال ابن كثير (البرير) (٢) الهذلى بكسر الموحده على وزن كريم:

ص: ٤٣٠

١- ١) فى «ن»: تأهّرت أستبقى.

٢- ٢) الزيادة من هامش «د».

مَمَّن حَمَلْنَ بِهِ وَ هَنَّ عَوَاقِدَ حَبِّكَ النِّطَاقَ فَشَبَّ غَيْرَ مَقْبِلٍ (١)

فَاعْتَنَقَهُ وَ سَقَطَا جَمِيعًا إِلَى الْأَرْضِ، وَ جَمَحَتْ فَرَسَ الشَّرِيفِ، فَغَنِمَهَا مِنْ غَنَمٍ، وَ كَادَ الشَّرِيفُ مَعَ مَا أَثْقَلَهُ مِنَ الْبَيْضِ وَ الدَّرْعِ أَنْ يَقْضَى عَلَيْهِ، لَوْ لَا حُضُورُ مَنْ ثَبَّتَ جَنَانَهُ، كَشَفَ عَنْ سَاقِ ابْنِ شَرِيفِهِ، أَرَادَهُ لِمُضَرَّتِهِ، فَاشْتَغَلَ بِنَفْسِهِ، وَ نَجَا الشَّرِيفُ حَتَّى تَوَارَى فِي خَرَابٍ مِنَ الْبُيُوتِ، وَ أَثَخَنَ الْعَدُوَّ الْقَتْلَ فِي أَهْلِ الْقَرْيَةِ.

وَ كَانَ مِنْ قَتْلِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ رَجُلًا، أَحْسَبُ ثَمَانِيَةَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَ أَحْرَقُوا بُيُوتَ الْقَرْيَةِ إِلَّا قَلِيلًا، وَ طَمَّوْا آبَارَهَا، وَ ضَاهَى فَعْلَهُمْ بِهَا فَعَلَ الْوَزِيرُ بِقَرْيَةِ السَّلَامَةِ.

ثُمَّ تَفَرَّقَ مِنْ بَقِيٍّ مِنْ أَهْلِهَا عَنْهَا، وَ خَذَلَ أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ أَهْلَ الْقَرْيَةِ، فَتَقَاعَدُوا عَنْ نَصْرَتِهِمْ (٢)، مَعَ بَذْلِهِمُ الْجَهْدَ فِي الْإِعْلَامِ لَهُمْ، وَ لَمْ تَجِءَ الْغَارَاتُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ قُضِيَ الْأَمْرُ، وَ لِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ:

إِنَّ الْمَرْءَ (٣) مَيِّتًا بَانْقِضَاءِ حَيَاتِهِ وَ لَكِنْ بَأَنْ يَبْغَى عَلَيْهِ فَيُخَذَلُ

وَ اعْلَمْ أَنَّ الْإِعْتِنَاقَ كَانَ مِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ الْعَرَبَاءِ فِي حُرُوبِهَا، وَ لَا نَعْلَمُ أَحَدًا يَفْعَلُهُ فِي زَمَانِنَا، إِلَّا قَبِيلَهُ هَذَا الشُّجَاعَ الْمَذْكُورَ.

قَالَ فِي شَرْحِ آيَاتِ الْجَمَلِ فِي شَرْحِ قَوْلِ خَرَبِقِ (٤) بِنْتُ هَتَّانَ الْقَيْسِيَّةِ، اخْتِطَفَهُ بَنُ الْعَبْدِ لَأَمِّهِ، مِنْ شَعْرِ رَثَتْ بِهِ زَوْجَهَا بَشْرَ بْنَ عَمْرِو بْنِ مَرْثَدٍ وَ مِنْ قَتْلٍ مَعَهُ

ص: ٤٣١

١ - ١) فِي «ن»: مَهْبِلٌ.

٢ - ٢) فِي «ن»: نَصْرَهُمْ.

٣ - ٣) فِي «د»: الْأَمْرُ.

٤ - ٤) فِي «ن»: خَزْنَتُ.

من بنيه و قومه:

لا يبعدنّ قومي الذين هم هم سمّ العداة رأفة الجزر

النازلون بكلّ معترك و الطيّبون معاقد الأزر

النزول في الحرب على ضربين: أحدهما في أول الحرب، و هو أن ينزلوا عن إبلهم و تركوا خيلهم. و الثاني في آخرها، و هو أن ينزلوا عن خيلهم، و يقاتلوا على أقدامهم، إذا كان القتال في موضع وعر لا مجال فيه للخيل.

قال: و ربما اعتنق الرجل صاحبه، فسقطا جميعا إلى الأرض، و هذا هو النزول الذي أراد مهلهل بقوله:

لم يطبقوا أن ينزلوا و نزلنا و أخو الحرب من أطاق النزولا

و هو الذي أراد عترة بقوله:

فيهم أخو ثقه يضارب نازلا بالمشرفي و فارس لم ينزل (١)

إنتهى كلامه. و ثقه بكسر المثلثة المصدر، فإن فتحها فمعناه عدل، تقول رجل ثقه.

قلت: و قد ذكر الاعتناق أيضا زهير في قوله:

ليث بعثر يصطاد الرجال إذا ما الليث كذب (٢) عن أقرانه صدقا

يطعنهم ما ارتجوا (٣) حتى إذا طعنوا ضارب حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا (٤)

ص: ٤٣٢

١-١) ديوان عترة ص ٦٠ طبع دار صادر بيروت.

٢-٢) في الديوان: ما كذب الليث.

٣-٣) في الديوان: ارتموا.

٤-٤) ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٤٣.

وقد أحسن و زاد على الإحسان فى البيت الآخر، لاندماج الألفاظ فيه و انسباكها، و ارتباط كل كلمه منها باختها و ترتيبها عليها.

نعم، و كان بين الصباح و شفق المذكور نحو من سبعة عشر يوماً، و كانت هذه الفعله أول سطوه وقعت فى أهل القرى من بنى شعبه.

و الشريف لم يزل فى اغتنام مساره، و اجتلاء عرس (١) ملكه و أفكاره، حتى دهمه العلم بنزول الدوله المشرقيه فى العشر الأواخر من شهر رجب من السنه المذكوره أولاً، و ذلك بعد امتناعه من الانتماء إليهم، و الانتظام فى سلوكهم، و كثرت المكاتبه بينهم، و ترددت الرسل.

و لم يرجع الشريف عمياً هو عليه من الانتماء إلى الإمام الناصر لدين الله، و أخذ فى جمع الجمال، و تقريبها لجمع الأثقال، و استشار أرباب دولته فى هذا الخطب الفادح، لاستفاده رأى منهم ثاقب صالح، و أجمع رأيهم على حسن النهوض إلى أبى عريش؛ لأنه من المرافق المعينه على الثبات، فألبس بهذا الموضع الذى هم فيه، من الآبار الكثيره، و المباني الحصينه الممنعه، فقدم الشريف الوزير سنبل بأهله و أثقاله.

و لمّا وصل إلى أبى عريش، كان من فساد رأيه، و اختلال تدبيره، أن منع أهل المدينه من الخروج بأثقالهم، من حين أن وصل الشريف بعده أذن لهم، و لكن تفاقمت الحادثه، فعدمت (٢) الجمال، و تعدّر عليهم حمل الأمتع و الأثقال، و خرجوا بالنفوس و الأولاد.

ص: ٤٣٣

١- ١) فى «ن»: عون.

٢- ٢) فى «د»: فعدمت.

و كان هذا الإجلاء الثاني منهم عن وطنهم في مدّة الشريف، و في قدوم الشريف من خلب إلى أبي عريش، احترقت عليه خزانه الباروت (١)، و أحرقت النار جماعه من أصحابه، و ضاقت نفسه من أجل ذلك.

ثمّ أخذ في إعمال مكائد الحرب، فجعل من العسكر جزء وافرًا في ثلاثه متارس يصيبون و لا يصابون، و بقيه العسكر معه بالقلعه، و الدوله المشرقيه وصلت عياش، بعين مهمله مفتوحه، فبأه مئناه من تحت، فشين معجمه على وزن بقال:

لمن يبيع البقل يوم الثلوث، أو يوم الربوع، و هو على نحو فرسخين من أبي عريش مشرقًا يميل إلى اليمن، و اضطرب حال الشريف و تقلقل، لهجوم هذه الحادثه مع شدّه بأسه، و ثبات جناحه.

و لما كان بعد شروق الشمس من يوم الجمعة سابع و عشرين من شهر رجب الثاني ليوم وقعه الحسيني، أقبل من نحو المشرق يوم مستطير، و ارتفع بالجوّ نفع قد اثير، فأردع الشريف الحزم، و استشعر الصبر للاصطلاء بحرّ هذا اليوم، و أخذ هو و أهل خيله نحو المشرق بقدر مدّ البصر، فإذا جيش كثيف قد طبق الأرض بأطباقه، فليس من أطباقه مهرب، كؤوس المنايا به مترعه، و رؤس المحن و البلايا محدقه به مهطعه.

فحين أن رأوا الشريف و أصحابه، أطلقوا عليهم صواعق محرقه، تصتكت منها المسامع، فكزت الخيل راجعه، و غشيهم من يّم ذلك الجيش ما غشيهم، و حملت الأجناد المشرقيه حمله لم يتمّ لها أحد، و تفرّق شمل أهل الخيل، و أظلم الموضع بالقتام كالليل، و لو لا ما كان أعمله الشريف من المكائد لما عاد منهم الى المدينه

ص: ٤٣٤

عائد، و مال الجيش المشرقى قبلى المدينه يجزّ، و لا يبعد اطلاعهم على ما كان أعمله الشريف فى يمانيه من المكائد.

و لو لا- أنّهم تجاسروا على الإقدام على القلعه لملكوها، و لكن سبق القدر بخلاف ذلك، و حملت منهم شرذمه، فجاءت قبلى القلعه، فالتفت عليها المتارس، و أهلكت منهم جزء وافر، و دخل جزء من الجند المشرقى فى البيوت و الحوانيت إرادته للنهب، فكان من إحكام الشريف و عنايته، أن أمر بإحراق البيوت، فأحرق النار منهم خلقا؛ لعدم خبرتهم بالشوارع، و تهالكهم على الطمع، ثمّ اجتمعوا جميعا فى الجانب القبلى من المدينه، و استتروا بما يقيهم، و كفت الحرب.

و روى أنّ الشريف خرج بعد رجوع الخيل، و بعد الالتقاء إلى موضع قبلى المدينه أو غربيها، و لم يرجع إلا بعد أن تحقّق أنّهم لم يدخلوا القلعه، و كان هذا اليوم يوما مشهودا غمامته، كصائب صوبها الرزايا و النوائب، سفه فيه من الحلیم الحلم، و كاد أن يجعل الوليد شايبا كالهمّ.

و روى أنّ قاسم بن على بن أحمد قال: لم يكن فى خلدنا أنّ الشريف يتزحزح من مكانه الذى كان به، و أنّه يرى ذلك عارا عليه؛ لما كان يظهره من التمدّح فى الثبات. و لما فرّ إلى أبى عريش قصدا للاختفاء، لم يسعنا إلاّ الإقدام، قال: و لم يكن معنا ما نستعين به على ما وقّنا فيه.

حكى أنّهم (1) لم يكن معهم آله الماء المعروفه فى الجهه التهاميه من الدلو و الرشاء، و كان ما يستقون به هو المزاد، و أرشيتهم حبال البيوت التى قبلها ليس بمحكم، و لغرتهم و عدم خبرتهم كانوا إذا سقط عليهم ممّا يستقون به شىء لم

ص: ٤٣٥

يمكنهم استخراجها، فاجتمع في الآبار من ذلك التي كانوا يستقون منها شيء كثير، أخرجهم غيرهم بعد عزمهم، ثم إن الطرق كانت مسلّمة للشريف، فكان يريد يسيّر إلى أيّ جهة شاء.

و روى أنّ بعض أصحاب الشريف كان يلقي الجيف بالليل في الآبار التي يستقى منها أهل المشرق، فتصبح منتنه، وانضمّ بعض الامور إلى بعض، فاستحكمت شدّه على أهل المشرق، وكثرت مكائد الشريف لهم، فأخذوا في التوسيط إليه طلبا للصلح المترتب عليهم سلامتهم وقت الخروج، فتبيّن له أنّه قد ظهر عليهم، فشمخ عن ذلك، وثنى عطفه.

و روى أنّه طلب أن يبقى لديه بعض امراء السريّه وثيقه، فامتنعوا و صمّموا على الخروج، و الحرب قائمه، عملا بقول القائل:

إذا لم يكن إلاّ الأسنّه مركبا فلا رأى للمضطرّ إلاّ ركوبها

فلما كانت الليله الخامسه من دخولهم و ذلك ليله الأربعاء، أخذوا في جمع أثقالهم، و أكثروا من الرمي بالبندق، ليشغل (١) الشريف و أصحابه، (و كان يخرجون فئه بعد فئه، فلما كان قبل أن يتبيّن الخيط الأبيض من الخيط الأسود، خمدت الأصوات دفعه واحده، فاستنكر ذلك الشريف و أصحابه) (٢) و أمر من تجسّس، فوجد منازلهم خاليه منهم.

فلما أخبر الشريف المتجسّس بذلك الذي قال، قال الشريف: الرأى أخذنا

ص: ٤٣٦

١-١) في «ن»: ليشغل.

٢-٢) ما بين الهاليتين ساقطه من نسخه «د».

بالحزم أن يبقى أهل المتارس بها، و يغير غيرهم (١).

فروى أنه نهض بنفسه و معه أهل الخيل و بعض الجند، فقبل: إنه ترآى الجمعان، و حقّ التعارف على الخلصان، و رأى الشريف و أصحابه موجاً لا - علم لهم بالسباحه فيه، فتقاعسوا عنه، و قهقروا على أدبارهم، و التقطوا المتأخر و العاجز و الضالّ، و رجعوا مسرورين، و أسروا الشيخ العوسجى و كان ممّن تأخر، و سبق بالمهمله له القدر و قبض.

قيل: و بلغ عدد المقتولين من أهل المشرق نحو المائتين، على اختلاف فى ذلك، و من أصحاب الشريف نحو سبعة لا غير، و ذلك لإقدام أهل المشرق على الموت، و بروزهم فى أغلب الأوقات، و فى وقت وصولهم و اختفاء أصحاب الشريف بما سترهم قبل و بعد.

و كان خروجهم يوم الأربعاء ثانى يوم من شعبان سنه أربع و مائه و ألف، و أصاب أهل مدينه أبى عريش من النهب للمدائن، و ما لا (٢) يستطيعوا حمله من الأثقال أمر لا يضبط، مع إحراق بيوتهم، و تعقب خروج أهل المشرق أصحاب الشريف ينهبون ما وجدوا، و لا رؤى لأحد منهم يتبع، أو نهى ناه لهم عمّا ارتكبوه يسمع.

و روى أنّ المأخوذ من سوق البايان بلغ ما قيمته ثمانيه آلاف قرش (٣)، و أرسل الشريف بالرسل بالتهانى إلى كلّ موضع، و ربما ارتفع عند الإمام من شأنه

ص: ٤٣٧

١ - ١) فى «ن»: غيرهم.

٢ - ٢) فى «ن»: و ما لم.

٣ - ٣) فى «ن»: غرش.

ما ارتفع، وهنأه السيد الأكرم، السالك من الأدب مسلكه، والمتسّم ذروه البلاغه في كلّ معركه، عماد الدين يحيى بن أحمد بن صلاح بن الهادي الوشلي المنيمي بهذه القصيده:

إليك و إلا لا نجاح لطالب و فيك و إلا لا مديح لراغب

و منك و إلا فالمؤمل مخطيء و عنك و إلا فالثناء غير واجب

يقول لى الحادى و قد جدّ فى السرى و للعيس و خد بين تلك الغياهب

و قد خالط القوم النعاس من السرى و هم بين ماش فى القفار و راكب

إلى م التمادى فى السرى يا أخوا السرى و حتى م قطع للربا و الشباب

أما حان للعيس المناخ فقلت لا مناخ سوى فى سوح أعلى (1) المراتب

و كم لك من بأس يذوب لهوله الجماد و فعل صادق غير كاذب

و عزم إذا أودعته البيض لم تدع على الأرض من باغ لها أو محارب

و من ذلك:

و أمنت من فى البرّ و البحر بعد أن غدوا من عظيم الخوف فى كفّ لاعب

و من ذلك:

و أنسيت أخبار الملوك و ما مضى لهم من أحاديث جرت و مناقب

و عذرا أطال الله عمرك أنّى و إن طال مدحى لا يقوم بواجب

فما كنت فى مدحيك إلا كمعتد يحاول إحصاء لعدّ الكواكب

و إلا كباغ للفرات أحاطه لأكنافه أو ما به من عجائب

بقيت بقاء الدهر يا خير ماجد لتشيد عزّ أو لبذل مواهب

ص: ٤٣٨

و لا برحت أيامكم فى سعادته و مجد و إقبال و نيل مآرب

و سعيك مشكور و أمرك نافذ و سوحك مقصود منيع الجوانب

و هذا السيد من ادباء العصر، ملك من الفصاحه زمام النهى و الأمر، و له كل معنى رائق فى النظم و النشر. و ما أحسن تضمينه لبيت
أبى بكر الخوارزمى، و ذلك بعد أن شرع سيدنا و شيخنا الإمام شيخ الإسلام شرف الدين الحسين بن ناصر بن عبد الحفيظ
المهلا فى عماره دار له بمحروس الشجعه، فقال السيد مخاطبا له و مضمنا للبيت الآخر:

ستبلغ فى عليك ما كنت آملا و تكمل بنينا كمجدك كاملا

و تسكنه فى نعمه و سعادته و تضحى لأنواع المراتب (1) شاملا

أباني المعالى و الفخار بهمه يقصر عنها من يروم تطاولا

تمتلت إذ شاهدت دارك هذه الجديده يا بحر الفضائل وابلا

و قد برزت فى حسنها ذات بهجه و أضحت تسر الناظرين تكاملا

أكل بناء أنت بانيه معجز بنيت المعانى أن بنيت المنازلا

و من التضمين الحسن فصيده السيد العلامة صلاح بن أحمد بن المهدي عادت بركاته، ذكره القاضى العلامة شمس الدين أحمد
بن صالح بن أبى الرجال فى تاريخه:

و صغيره حاولت فض ختامها من بعد فرط تحنن و تلطف

و قلبتها نحوى فقالت عند ذا قلبى يحدثنى بأتك متلفى

المصرع الثانى فى البيت الأخير لابن الفارض، قال القاضى: و هذا المعنى

ص: ٤٣٩

عجيب، و قائله فى الزمان غريب.

و من الحسن أيضا تضمين السيد الأديب عماد الدين عيسى بن لطف الله لبيت أبى الطيب:

قلت لما رأيت من تبع الملك بدار المطهر الملك مخلا

أبدا تسترد ما تهب الدنيا فياليت جورها كان بخلا

و من ذلك أيضا تضمين السيد الأديب جمال الدين محمد بن على بن حيدر المكي الحسينى، أخبرنى به الشريف الأديب بشر بن مالك حين اجتمعت به فى حلب، فسألته عنه، فقال: هو حى يعيش بمكة المشرفة، و قد صدر و عجز هذه البيتين:

يروى و ما لى جيره ما استعنتهم على الدهر إلا و ارتجعت معانا

أراشوا جناحى ثم بلوه بالندى فلم أستطع عن حيمهم طيرانا

قلت: و فى استعمال ارتجع بمعنى رجع تأمّل؛ لأنّ أهل علم الصرف ذكروا مجيء افتعل للمطاوعة فى غير العلاج و الأتحاد، و للتفاضل و التصرف، و لم يذكروا مجيئه بمعنى فعل، كما ذكروا ذلك فى تفاعيل و استفعل، فقال السيد المذكور مصدرا و معجزا، و هما من التضمين على ما يعطيه كلام أهل البديع.

بروحى و مالى جيره ما استعنتهم فخبث و لا ظنى المصدق خانا

و لا جنتهم مستنجدا صارخا و لو على الدهر إلا و ارتجعت معانا

أراشوا جناحى ثم بلوه بالندى لكى أتقى فى ظلهم و اصانا

و عندهم استوطنت ذكرا بروضه فلم أستطع عن حيمهم طيرانا

قلت: و كله حسن إلا- تعجيزه بقوله «أراشوا جناحى ثم بلوه بالندى» بقوله «لكى أتقى فى ظلهم و اصانا» كما لا يخفى ذلك على المتأمل العارف بمواقع

يوضحه: أنّ قوله «جناحى» إستعاره مصرّحه، و الأراشه ترشيح، و قوله «ثمّ بلّوه بالندى» تشبيه لآتصال النعم إليه، و ترادفها عليه، بعد جبر حاله المنهاض بالبلّ للجناح الكامل الرشّ فى ترتيب الطير، و المكث و عدم القدره على النهوض بعد كلّ منهما، فهو استعاره مصرّحه تبعيه.

و قوله «فلم أستطع حيّهم و طيرانا» تفرّيع على الاستعاره بما يلائم المستعار منه من عدم استطاعته الطيران، فالاستعاره مرّشحه. فما أبلغ هذا الكلام مع الثام صدره و عجزه غايه الالتيام.

و أمّا تعجيز السيّد له بما ذكره، فهو منفكّ عنه غير ملتئم به؛ إذ لا مناسبة بين البلّ للجناح و الاثقاء و الصون، و لو قال: لكى أتقين بنون التوكيد الخفيفه داخله على المضارع لكان مناسباً، و يكون تجريدا لا ترشيحا، و دخول نون التوكيد على المستقبل الذى هو خبر محض غير منفي، و إن كان غير جائز فى الشفه، فللشعر أحكام مجوّز له ما يخطر على غيره، و الله سبحانه أعلم.

و للشيخ جمال الدين محمّد بن نباته ماجنا واصفا ضعف آله، مضمّنا مصراع امرىء القيس:

دنوث إليها و هو كالفرخ راقد فيا خجلى لما دنوت و إذلالى

فقلت امعكيه بالأنامل فالتقى لدى و كرها العنّاب و الحشف البالى (١)

المصراع الثانى فى البيت الأخير لامرىء القيس، و صدره «كأنّ قلوب الطير رطبا و يابسا» و العنّاب لم يذكر تفسيره صاحب شارح التلخيص، و لا شارح

ص: ٤٤١

شواهد، وإِنما ذكره فى شرح الأزهار فى الایماق، فقال: هو ثمره لا توجد فى جهاتنا، قال فى بعض الحواشى: و هو شىء يشبه الأصابع. قال فى بعضها: و يكون أحمر. و أما الحشف فهو أردى التمر، و الضعيف الذى لا نوى له، و الیابس الفاسد.

و قد تمادى بنا القلم، و خرج بنا عن المقصود، و لكن لا یخلو ذلك عن فائده إلى الناظر المستيقظ، و الشىء بالشىء یدكر.

ثم أخذ الشریف فى المعاقبه لمن اتهمه بالخداع، و الرضا بما نزل به من المكروه، فحبس جماعه، منهم: الأمير الشهير خيرات بن حسن بن عزّ الدين القطبى، و سلط على بيته نقيبا من نقباء الإمام استولى على ما فيه.

و كان بنو شعبه لما فرغوا من تصحيح قريه الحسينى للتأريخ المتقدم، استطعموا أهل القرى الشاميه، و الشریف حينئذ فى شغل شاغل عن الالتفات إليهم بما نزل به من فتنه الدوله المشرقيه.

و لَمّا كانوا من بالمكان المعروف من القوّه، لم يستطع أهل القرى الإباء عن ضيافتهم، و إن كانوا أعداء للشریف، و عقوبته غير مأمونه، و لبثوا ينتقلون من قريه إلى قريه، و همّوا بدخول صبيا، و كان بها نائب خلفه الشریف على بن حسن، فولّى دبره، و أقام بيته، و أخذ أهل صبيا بالحزم، و صمّموا على المقاتله و الدفاع، و قام فيهم الشریف الأكرم الأنبى شمس الدين أحمد بن محمّد بن حسين، و حاميا لدماره، و قاصدا للذبّ لمن يقصد إلى دياره، و ركب إلى بنى شعبه بعض الأعيان، فنطحهم بما كان سببا لاندفاع شرّهم، و رجعوا عمّا كانوا أرادوا.

و لَمّا انجلت عن الشریف غراما، ألمّ به من أنكر به، و طلع و أطلع على ما صنع أهل القرى الشاميه من الضيافه لبنى شعبه، و وجه إليهم النقيب قاسم بن غاضب، و معه نحو مائه و خمسين لقصد تأديبهم، غير ملتفت لما هو لهم فى ذلك من

المعاذر، و من أوضحها و أجلاها أنّ المستطعم لهم قوى قادر، و وجّه إلى مدينه صبيا الشريف على بن حسن، و إلى قريه الشقىرى و هجره ضمّد الوزير سنبل.

و لما شاع و امتلأت به أهل هاتين القريتين الاسماع أنّ الشريف كان أباها للوزير و أجناده، لاّتهامه بأهلها بالسرور بمكروهه، و التقاعد عن نصرته و إعانته أيام كان الحصار عليه، فرجّح له من رجّح استهلاك ما يملكونه على التدريج، ليكون ذلك أعظم نفعاً، و أوفر جمعاً، فوجه الوزير سنبل و قد أضرب عن تلك التيه.

و لما شاع خبر وصوله، و ما كان استحسّنه الشريف أوّلاً من الإباحه، هرب من هجره ضمّد من هرب، و أمسى الوزير ليله الخامس أو السادس من شهر شعبان بضمّد، و كان بجنده عجب و خيلاء مساوها اعتقاد غلبتهم لتلك الأجناد المشرقيه، فبات أهل القريه من أجلهم بليله نابغيه (١)، و أحزان يعقوبيه، و انفصل صبح تلك الليله إلى الشقىرى.

و كان قد هرب من أهله خلق، خوفاً من ذلك الأمر الذى شاع، فاستدرجهم الوزير من حيث لا يعلمون بكتاب، مضمونه: إن الجائى إليكم للذبّ عنكم و حمايه لكم، كيف يليق بكم الفرار منه خوفاً من شرّه؟.

و أرسل بذلك رسولا و تلطّف لهم الرسول، فرجعوا و رفضوا ما كانوا صمّموا عليه من الإجماع، فلمّا مضى عليهم نحو عشره أيام أقبل عليهم يؤدّبهم بالأموال الجليله، و يعزّزهم جنده بأنواع التعزير، فكانوا كما قيل:

و كم رافض أمرا و فيه نجاته و مدّخر نفعاً و فى نفعه الأفعا

و النقيب قاسم بن عاصب فعل بأهل القرى الشاميه نحو هذه الأفعال، و قد

ص: ٤٤٣

(١ - ١) فى «ن»: نابغيه.

مكروا مكرهم و عند الله مكرهم، و إن كان مكرهم لتزول منه الجبال.

نعم، و بالغ الشريف فى إدخال الضرر على أهل المشرق، بقطع المواد، و منع الصادرين و الواردين، و انقطع اتصال أهل الأسباب بالأسواق المشرقية، و أدب من بيتهم بذلك بالأدب الكبير، و كذلك آل عمر و آل حسن منعهم المواد، و أكثر من ذلك على أهل القرى الأرصاد.

و كان المسلمون فى عناء و تعب، و عدم الملح على أهل الجبل، و ارتفع لديهم ارتفاعاً لم يعهدوه من قبل، و تنكرت من الشريف بعد هذه الفتنة معارفه، و جهل حتى من كان أولاً يعرفه، و انقاد لهوى نفسه بزمام، و ظهر منه ما كان يجنّه فى سالف الأيام، فعظمت فى القلوب هيئته، و ترقبت فى كل وقت سطوته.

عمارہ قلعه جازان:

و فى غزّه شعبان: ابتدأ الشريف عماره قلعه جازان، و كانت الأشجار قد سترت أرضها، فأمر بقطعها، و كان يغدو إليها و يروح إلى أبى عريش، ثم ضرب بها خيمه و أقام بغير سكن معه، و جدّ فى ذلك و اجتهد، و أقام و أقعد، و أكثر من الصنّاع و الاجراء، فامتلاً بهم ذلك الموضع بعد أن كان مقفراً.

و روى لى بعضهم أنها مسحت (1)، فجاءت ثلاثه معاود، و قيل: ثلاثه معاود و قيراطا، و بالغ الشريف فى إعادتها كما كانت، و كان لا يبنى أمراً إلا على ما يريد من الوضع و الإحكام، و قد زرعت أسبها من الجانب الغربى، فجاء بذراع السيد سبعة أذرع و نصف ذراع، و كان بذلك الموضع باب قديم غربى سدّه الشريف.

و لم يزل مهتماً بأمرها و شأنها، مشغولاً بالعنايه فى إحكامها، و توثيق بنائها،

ص: ٤٤٤

و لم يدع أمرا تدعو الحاجه إليه عند الحرب و شدّه الحصار إلا أمر بفعله، فجاء اسلوبها غريبا، لم يهتد ملك هذه الجهات إلى الإتيان بمثله، و أنشده ناطقا بالموعظه لسان الحال، و ناهيا له عن الطمع في بقاء ما هو موضوع للزوال:

أتبنى بناء الخالدين و إنما مقامك فيها لو عقلت قليل

و قد كان في ظلّ الأراك كفايه لمن كلّ يوم يقتضيه رحيل

و اعلم أنّي طالعت بغيه المستفيد (١)، تأريخ مدينه زبيد للربيع (٢)، مطالعه مستقصاه، فلم أره ذكر عمارتها القديمه، مع ذكره لملوك زبيد، و عماراتهم إلى مدّه بنى طاهر رأس المائه التاسعه.

و طالعت قرّه العيون في أخبار اليمن الميمون (٣)، له أيضا، مطالعه إمرار لا استقصاء، و لا أخاله ذكر عمارتها.

و طالعت الغربال (٤) للعامري، و لم أره ذكر عمارتها. و بعض تأريخ أبي الحسن الخزرجي (٥)، و لم أر فيما رأيت ذكرا لعمارتها.

و لا أظنّ العامر لها غير الأمير خالد بن قطب الدين و أولاده، و لو كان لملوك

ص: ٤٤٥

١ - ١) هو كتاب بغيه المستفيد في أخبار زبيد، تأليف الشيخ وجيه الدين عبد الرحمن ابن عمر بن علي المعروف بابن الديبع اليمنى، المتوفى سنه (٩٤٤) و هو مجلّد، مرتّب على مقدّمه و عشره أبواب، و كان أعظم البواعث لتأليفه بيان أحوال بنى طاهر. كشف الظنون ٣٠٦: ١.

٢ - ٢) كذا في النسختين، و لعلّ الصحيح: لابن ديبع.

٣ - ٣) راجع: إيضاح المكنون ١٩١: ٥.

٤ - ٤) تقدّم الكلام عنه.

٥ - ٥) تقدّم الكلام عنه.

زبيد فيها عماره لما أغفله الربيع (١)، مع ذكره لعماره البرك، وهو أحقر منها قدرا و أبعد مسافه، و أول خراب وقع عليهما فيما علمت في مدّه الشريف السلطان أبي الغوائر أحمد بن دريب بن خالد بن قطب الدين في شهر ربيع الأول من سنه اثنين و ثمانين و ثمانمائه.

و كان ذلك-على ما ذكره في بغية المستفيد-بسبب وحشه شديده حصلت بين الشريف أحمد بن دريب و الشريف محمّد بن بركات، فتجهّز الشريف محمّد بن بركات من مكّه في جمع عظيم، و صحبته جميع أهله من الزوجات و الذراري و السراري، فوصلوا إلى وادي جازان، و تردّدت الرسل بينه و بين صاحبها، فلم ينتظم صلح، و وقع بينهم وقعه عظيمه.

فانهزم فيها صاحب جازان، و قتل من أصحابه جمّ غفير، و انتهكت الحرمات، و انكشفت العورات، و جرى على نساء صاحب جازان من الذلّ و الإهانه و كشف الحجاب، ما لم يكن لأحد في حساب، و انتهبت خزائنه، و فيها من الكتب النفيسه شىء كثير، و اخذ من السلاح ما جمعه أبوه و جدّه، و نهبت جازان، و احترقت، و هدّمت دور الخلافه و سور البلاد، و أصبحت البلاد خاويه على عروشها (٢). إنتهى.

و الحراب الثاني: كان في مدّه عامر العزيز، أظنّه سنه ثلاث أو أربع و أربعين و تسعمائه، و هو آخر ملوك الامراء القطبه، و عدّه ملوكهم تسعه: أولهم الأمير خالد ابن قطب الدين، ثمّ ابنه دريب بن خالد، ثمّ ابنه أحمد بن دريب، ثمّ ابنه يوسف العزيز بن أحمد، ثمّ أخوه المهدي بن أحمد، ثمّ أخوهما عزّ الدين بن أحمد، ثمّ

ص: ٤٤٤

١-١) ابن الديبع، و هو صاحب كتاب بغية المستفيد و غيره.

٢-٢) بغية المستفيد لابن الديبع، لم أعثر عليه.

محمّد بن يحيى، ثمّ أحمد بن المهدي، ثمّ عامر بن يوسف العزيز.

و مدّه ملكهم مائه سنه و أربعون سنه، كلّها صافيه إلاّ. أربع سنين في أيام عامر العزيز، فإنّها ترعرت، و كان امراء جازان قتلهم الشطوط، بشين معجمه فمهملتين بينهما واو، و هم من ذريه غانم بن يحيى، و آخر ملوكهم المقلّم على صيغه اسم المفعول من التقليم، و كانت ابنته حليله للأمير خالد.

غزوه قبيله النحوس:

و في آخر العشر الوسطى من شهر شعبان: نهض الوزير من قريه الشقيرى غازيا قبيله النحوس من قبائل بنى شعبه، و كانوا بناحيه نبش، و كتب إلى الشريف على بن حسن، و كان قد خرج من مدينه صيبا إلى قريه الدهنا يخبره بما عزم عليه من الغزو للمذكورين، و يعرفه بموضع معين يجتمعان فيه (1)، و تبّه الشريف على بن حسن على النقيب قاسم بن غاضب بما يريد الوزير، و كان السبب بقريه المحلّه، فاجتمعوا بالموضع الذى قد كان عينه الوزير.

و اجتمع معهم من الخيل و الجند عدد مستكثر، و قدم أهل الخيل على العسكر، و استولوا على أنعام تلك القبيله، و كانت أنعاما واسعها تقرب من الألف و تنيف، ثمّ جعلوها بين أيديهم و كزوا راجعين، و التقت العسكر و تلك القبيله، فحمى بينهم الوطيس، و ثبتت تلك القبيله ثباتا عظيما، حتّى كادت أن تهزم الدوله، و قتلوا من العسكر نيفا و خمسين رجلا، و غنموا أسلحتهم و ما كان معهم من المال المستفاد من مال أبى عريش.

و أمسى الوزير تلك الليله بنش، و أحسبه بات به ليله اخرى، ثمّ ولى مدبرا و لم

ص: ٤٤٧

يعقب، و كانت هذه الغزوه إيقاظا لنائم الفتنة، و قرعا لبابها، و غرابا نعق لتفرق شمل أهل القرى، و أذن بخرابها.

و لَمَّا ارتحل الوزير من نبش، خاف أهله و وجلوا؛ لعلمهم بعدم القدره على دفاع العدو؛ لأنه يعدّ أهل القرى بعضا من الدوله، و الآخذ لهم عنده آخذ لها، مع زياده أمر آخر عرف من دأب الشريف، و هو أنّ من وقف من أهل القرى فى بلدته متكلا فى دفع العدو عن نفسه على جبلته (1) كان عنده من الخاطئين، و يلحقه بالعدوّ فى وجوب معاداته، و استباحه مملوكاته، و هذا أقوى العلل، و أعظم الأسباب فى الاتّساع للخراب.

و بعد ارتحال أهل نبش، ارتحل من يليهم من أهل القرى، ثم لم يزل الآخر يتبع الأوّل فيما فعل للعلّه التى كان سببها ارتحال الأوّل، و ارتحل الشريف على بن حسن من قريه الدهناء بعد أن كان مريدا للإقامه بها، و كذلك النقيب قاسم بن غاضب ارتحل من قريه المحلّه، و قد كان نواها دار إقامه، قصدا منه للتأديب، و إرادته للتحكّم فى أهلها بنوع التعذيب.

و أوّل صباح وقع بعد هذه الغزو صباح القوز، و أظنّه كان فى شهر رمضان، و لا علم عندي بكيفيته، و حصل فى قريه الدهناء، و لا علم لى فى أىّ شهر كان.

و حكى بعض الساده الفضلاء بأنّه وقع صباح الدهناء ليلا و هو بها، و أقبل عليه رجل من الأعداء شاهرا لخنجره، و انفردا و لم يكن مع السيّد سلاح، و كان ذلك يريد أن يسطو بالسيّد و هو فى وجل، يظنّ أنّ مع السيّد سلاحا أو رداء، و السيّد فى وجل منه لا يريد إلاّ إدباره، فتشابه حالهما، و تضاهى و جلهما، حتّى انثنى السيّد

ص: ٤٤٨

يريد أخذ ما يستدفع به شرّ ذلك الرجل من سلاح أو عصا، فأدبر ذلك الرجل إديارا لم يتعقبه منه إقبال، و كان فى ذلك لهما فرجه كحلّ العقال.

و فى شهر شوال: وقع صباح العدايه و الأثله، و انتهى الحراب من قريه نبش إلى مدينه صبيا، و كانت طرفا، و الوزير بعد رجوعه من هذه الغزوه إلى قريه الشقىرى أقبل على ظلم الرعيه، فكان كلّ داهيه من الظلم و الضرّ يشفّعها بما هو أدهى منها و أمرّ، و استباح أعراض المسلمين، و ما حازته أيديهم من كلّ منقول بالأسباب التى يمجّجها السمع، و يخيلها المعقول، و أخاف السبيل فى غير المصروفيه، و ضاق كلّ منزل من أجل ظلمه و جوره على ساكنيه.

و انتهت به الحال إلى أنّ الكذب على الناس، و النقل عليهم بخلاف الواقع، و بالأسباب التى لا- توجب التأديب من الامور الموجهه لمرتكبها القرب منه، و المحبّته له، و ارتفاع المنزله لديه، فسرى ذلك فى الخلق، و سارعوا إلى الاتيان به لقلّه من تجده منهم على طريقه الحقّ؛ لأنّهم كائل (1) مائه لا- تجد فيها راحله، و كان إذا أحسّ تقصيرا ممّن عهد منه ذلك الإعزاز، أو ذلك الكذب، تهذّده و عدّه ممّن لا مصلحه فيه، و ممّن يحقّ أن لا يلدك نعمه بفيه.

و من قبيح أفعاله: أنّ صبيا ممّيزا ورد بثرا من آبار هجره ضمد يستقى بدلوا و رشا، فرلّت به قدمه، فهوى فيها، و اخرج منها حيا لا بأس به، فجعل الوزير يؤدّب بالمال جيران تلك البئر، حتّى أمّ ذلك الولد أدبها بمال كثير، و لبث فى قريه الشقىرى نحو من ثلاثه أشهر و نصف، جاعلا هذا الفعل ديدنه و دأبه، غير مراقب

ص: ٤٤٩

١- ١) فى «ن»: كامل. و كائل مكائله: قال له مثل قوله أو فعل معه كفعله، شاتمه فأربى عليه و زاد.

لمن ولّاه، و لا خائف ربّه الذى خلقه فسوّاه، و شمخت به أنفه، و استكبر هو و جنوده فى الأرض بغير الحقّ، و كانت له أفعال غير ظلم العباد، فيها نكارة و شناعة تسمح بنا ذكرها اتّخذها خلقا و عادة.

مساو لو قسمن على الغوانى لما أمهرن إلا بالطلاق

و الشريف لم يزل بقرية أهل الأ-حن و الضغائن، بعداوه أهل الفضل و ذوى الأقدار، فتغيّر قلبه عليهم، و نظر بعين البغضاء شزرا إليهم، فكان يسرّه ما ساءهم، و لا- يقبل لهم عثره، و لا- يرحم لهم عبره، و أتهمهم و هم الامناء، و استصفا من أصمّ لهم فى قلبه عداوه و أحناء الأرب نصح يغلق الباب دونه، و غشّ (١) إلى جيب السرير متسرّب (٢).

و كان للسانه ذربه عليهم، تكلمّ بها أعراضهم الوافره، و تدمّ بها شمائلهم المحموده العاطره (٣)، و الشريف على بن حسن توجه إلى مدينه الزيدية واليا، أظنّه فى شهر رمضان، و تولّى بعده مدينه صبيا الشيخ على حضير، و ليس له فى هذا الدور جمل و لا ناقيه، و لا مقدمه و لا ساقه، و كانت أفعاله مضاهيه لأفعال الوزير.

و من غريب ما وقع لأهل هذه القرى من الشدائد: أنّ العدو كان يطلب سفك دمائهم، و أخذ أموالهم، إدخالا- للنصره على الشريف، و الشريف يطلب أموالهم، و يبالغ فى أخذها منهم، و انجرارها إليه، كما قدّمنا فى فعل الوزير، و يعلّل ذلك

ص: ٤٥٠

- ١- ١) فى «ن»: و عش.
- ٢- ٢) فى «ن»: مقرب.
- ٣- ٣) فى «ن»: العطره.

بكرهتهم له، و عدم النصيحة منهم فى دفع العدو، و صرّح فى بعض مجالسه بأنّ أهل القرى لم يدفعوا العدو عن أنفسهم، مع أنّه يقتلهم، و ينهب أموالهم، إرادته منهم لإكادته، و عدّ الناس فى عدم دفع العدو، و العجز عن دفاعه، و من ذا يكيد غيره بقتل نفسه و أخذ ماله، و فى كراهه الشريف أفعاله القبيحه.

و الحاصل أنّه كان يعلّل إساءته إليهم بكرهتهم له، و هم يعلّون كراهته لهم بإساءته إليهم، فاستحكمت العلّه، و عدم دواؤها.

و لم أر ظلماً مثل ظلم ينالنا يساء إلينا ثمّ نؤمر بالشكر

و كان له أعوان مساعدون له على مذهبه، فمن أحسّوا منه إرادته الرفع إلى الإمام أغروه به، و كان ينبذ الخطوط (١) الإماميّة وراء ظهره، و يجعلها مؤخره عمّا يريد تقديمه عن أمره، فقصرت الآمال، و ترقّبت النفوس الفرج (٢) من الكبير المتعال، و أنشد لسان الحال من كلّ أحد بهذه الديار بعين مبرحه، و دمع مدارار:

أقول كما يقول حمار سوء و قد ساسوه حملاً لا يطيق

سأصبر و الامور لها اتّسع كما أنّ الامور لها مضيق

فإمّا أن أموت أو المكارى و إمّا ينقضى عنّا الطريق

حكم معاقبه الإمام لرعيته:

و اعلم أنّ المجرى للعمّال على التتابع فى نهب الأموال، هو قول العلماء: إنّ للإمام الجامع للشروط المعتره أن يعاقب من أخطأ خطيئه يحتمل المعاقبه عليها، و الزجر عنها، بأخذ المال منه.

ص: ٤٥١

١ - ١) فى «ن»: الحطوط.

٢ - ٢) فى «ن»: الفرحه.

و قد خالف في جواز ذلك للإمام كثير من العلماء، واستدل المخبر بحديث أن سعد بن أبي وقاص سلب عبدا وجده يصيد في حرم المدينة، وقال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: من وجدتموه يصيد فخذوا سلبه عند أئمتنا و سلم (١).

و احيب بأن العقوبه حدّ، و الحدود إلى الأئمه، فتولّى سعد لها و ليس بإمام و لا وال، مخالف للاصول.

و من أدلّه المجيز تضمين من أخرج غير ما يأكل من التمر المعلق مثليه، و حديث كاتم الضالّه يردّها، و قرينتها مثلها، و حديث تضمين عمر بن الخطّاب لحاطب بن أبي بلتعنه مثلي قيمه الناقه التي غصبها عبيده و انتحروها.

و احيب بأن الإجماع استقرّ على عدم استحقاق المجنى عليه لما ذكر؛ لأنّه مخالف للاصول بتضمين المثلي و القيمي بأكثر من قيمته و مثله.

و أيضا فهو غير محلّ النزاع؛ إذ النزاع في أحد مال المذنب لبيت المال، و لذا روى محمّد بن الهادي إلى الحقّ بإسناده إلى علي عليه السّلام: إنّ الله أدب هذه المله بالسيف و الحجر. فلو كان التأديب بالمال مشروعاً لذكره؛ لأنّه باب مدينه العلم.

و تعقّب هذا شيخنا المجتهد شرف الإسلام الحسين بن ناصر بن عبد الحفيظ بن عبد الله المهلا في مواهبه القدسيّه (٢)، بما معناه: أمّا لو فعل الإمام أو نائبه اجتهاداً

ص: ٤٥٢

١- ١) كتر العمّال ٤: ٤٣٤ برقم: ١١٢٨٠، رواه عن ابن جرير، عن سعد بن أبي وقاص، قال صلى الله عليه وآله: من وجدتموه يصيد في شيء من هذه الحدود فمن أخذه فله سلبه.

٢- ٢) هو كتاب المواهب القدسيّه شرح البوسيه في الفقه كالشاطبيّه، في سبع مجلّدات، تأليف الحسين بن ناصر بن عبد الحفيظ المعروف بالمهلا الشرفي اليمني الزيدي، المتوفّى سنة (١١١١). ايضاح المكنون ٥: ٥٠١.

أو تحرياً للمصلحة على وجه لا يراد به طلب الدنيا ولا اتباع الهوى، بل على حدّ ما يسلكه الأئمة الذين علم إعراضهم عن الدنيا، وشدّه وروعهم وزهدهم فيها، و على وجه لا يلحق معه تهمة، توخياً لما يقصد بالتأديب من الزجر عن المعصية، و كان التأديب بالمال أشدّ في الزجر من التأديب بغيره، لكن لا على الوجه الذى عليه العمّال و العرفاء من قصد جمع الحطام، و ارتكاب الآثام، و توجّه النقائص و الآداب المحرّمه فى الامور المشكوك فيها بمجرد النقولات الكاذبه التى لا تحلّ مال المسلم الثابت تحريمه قطعاً، و ذلك- أعنى: ما صدر لا على هذا الوجه- ممّا ترجى السلامه منه فى الآخره.

ثمّ قال: و الورع يصدّ عن ذلك، و يحمل على البعد منه، و عليه المانعون.

و أمّا المعاقبه بإحراق المال و إفساده، فأجازّه المانعون، بحيث همّ النبى صلّى الله عليه و آله بتحريق بيوت المتخلّفين عن الجماعه عليهم، و تحريق على عليه السّلام مال المحتكر، كما رواه عنه قاضى القضاة.

و روى أنّه حاز نصفه إلى بيت المال لأمر خاصّ فى تجويز ذلك، و هدمه عليه السّلام لدار جرير بن عبد الله البجلي؛ لأنّها كانت مجمع أعداء أمير المؤمنين. إنتهى ما ذكره سيّدنا مختصراً بالمعنى.

و هاهنا فائده لا- ينبغى إهمالها نظّلعك عليها، و هو أنّ كثيراً من الناس يجهل ما هو فرضه فى مثل هذه البلوى الصادره من مخلوق، و الواجب على من نزل به شىء من هذه البلايا التى ذكرناها فى سيره هؤلاء القوم مع هذه الرعيه، أن يعرف أنّ لها طرفين:

أحدهما: التخليه الكائنه من الله سبحانه لهذا الظالم، فيجب على العبد الصبر عليها، و اعتقاد أنّها كانت منه سبحانه لضرب من المصلحه، و أنّه سبحانه لا يرضى

بها؛ لأنَّ التخليه منه لظالم، أى: تركه و شأنه ليس رضى بفعله؛ لأنه قد بين له قبح فعله، و نهاه عنه فى آياته، و على لسان نبيه، و لكن لم ينته.

و الطرف الثانى: أنها صادرة من عبد مخلوق منهى عن اتيانها، فيجب على الشخص المعامله لهذا العبد المقدم على ما نهاه عنه سيده بالدفع و الجهاد، و النهى عن منكره الذى ارتكبه بشروطه المعتمده عند أهل العلم، أو الهجره بشروطها أيضا.

هذا الذى يؤخذ من الأدله، و تعطيه أقوال العلماء، و تقضى به قواعدهم و اصولهم، و الظاهرى أيضا و الأشعرى و المعتزلى فى ذلك الذى ذكرنا؛ لأنَّ الأشاعره القائلين بالكسب، و إن أطلقوا القول بأنَّ أفعال العباد مخلوقه لله، فمرادهم ذات الأكوان التى هى الحركه و السكون، مجردة عن الوجوه و الاعتبارات التى تعلق بها قدره العباد، و يوقعونها عليها، فالواقع بقدره الله عندهم هو الحركه من حيث هى حركه مجردة، و لا- قبح فيها من هذه الجبهه إجماعا، و الواقع بقدره العبد هو أن كونه الحركه طاعه أو معصيه، أو حجبا أو صلاه.

الذى ألجأهم إلى هذا، أن الحركه و السكون عندهم من الأشياء الحقيقيه مثل الأجسام، و أنه لا يقدر على إيجاد الأشياء الحقيقيه إلا الله تعالى، فكون الحركه طاعه أو معصيه، هو أثر قدره العبد المقابل بالجزاء عندهم، لا حدوث الحركه و وجودها؛ لأنها صفة مشتركه بين الحسن و القبح، غير مطلوبه من العبد، و لا ممنوعه عنه، و لا محموده، و لا مذمومه.

و قالت المعتزله: الحدوث و الوجودهما أثر قدره العبد، و هما متوقفان على هميه و داعيه، و ليستا بحقيقتين يتعلق بهما الخلق، كالأجسام على أن يكون الشئ الحقيقى لا يقدر على إيجادها إلا الله غير مسلم.

كيف؟ وقد يخالف فيه إمامهم الكبير أبو المعالي الجويني، والشيخ أبو إسحاق الشيرازي، وقالوا: يقدر على ذلك من أقدره الله عليه وملكه منه. هذا ملخص اختلافهم على سبيل الاختصار.

و صرح بعض محققي المتأخرين، أنّ الخلاف بينهم في هذه المسألة خلاف في العبارة بعد التحقيق، قال: والكسب الذي يقوله الأشاعره هو ما عنته المعتزله بالفعل، وإنّما الخلاف المعنوي للجبريه الخالص جهنم بن صفوان و أتباعه، وقد أجمع المعتزله و الأشعريّه و أهل الأثر على ضلالهم، و الردّ لقولهم، و اختلف العلماء في إمامتهم، و في المشبّه تشبيها، مجمعا على ثلاثه أقوال مذكوره في كتب السير من متن الأزهار.

تنبيه

عدم إرادة الله تعالى للمعاصي

و قول أئمة الأشعريّه: إنّ المعاصي مراده لله تعالى يريدون بها إرادته مجازيّه، لما كانت أسبابها التي هي القدره و الدواعي مراده جعلوها مراده مجازا، تنزيلا لها بمنزله عرض المعرض.

و خطأهم في هذا الإطلاق بعض العلماء لوجهين:

أحدهما: أنّه وقع لكثير من جهلتهم مغترّا بهذا الإطلاق منهم، توهم أنّ المعاصي مراده حقيقه، و أنّ المراد محبوب، ثمّ أطلق أنّ المعاصي محبوبه لله مرضيّه.

و قد سمعت بعض جهله الشافعيّه يسند الرضا بالظلم إلى الله، تعالى عن ذلك، و الظاهر أنّه شافعي الفروع، أشعري الاصول، مخبط خبط عشواء، و ركب متن عمياء.

و الثاني: أنّ شرط المجاز، و هو العلقه المسوّغه، مفقود.

قلت: لم لا يقال بأنه من باب إطلاق اسم السبب على المسبب كرهينا الغيث؟

و اعلم أنّ إرادته الشيء لنفسه من غير معارضه كراهه لها بوجه من الوجوه هي الإرادة الحقيقيه بالإجماع، و هي الملازمه لمحبه المراد، كإرادته الواجبات و المستحبات و القبائح، لا تكون مراده بهذا المعنى اتفاقاً، و لا يعرف للإرادته معنى غير هذا عند الأئمه و المعترله.

و قالت الأشاعره: لها معنى ثان، و هي الإراده الدالّه على نفى ما يستلزم العجز من وقوع ما يكره الله وقوعه في ملكه من غير سبق قدر منه، و ذلك لكمال قدرته، و نفوذ مشيئته، و عدم ربوبيته، فوقع المعاصي عندهم يسمّى مراداً بهذا المعنى، و لا تسمّى المعاصي مراده بمثل وقوعها، بل تسمّى مكروهه، و تسمّى عندهم إرادته وقوعها إرادته كونه.

قال بعض الفحول: و هذه التسميه لو ثبت بالنص، و إنّما الثابت به أنّ ذلك مقدر، و ليس كلّ مقدر مراداً، فإذن الأحوط في ذلك النظر إلى الدليل، فالنصوص في المعاصي قاضيه بأنّها مكروهه لأنفسها، فلا تسمّى مراده لأنفسها؛ لتضاد ذلك، و عدم الدليل عليه.

فائده اخرى

في حكم وجوب الهجره

إعلم أنّ الهجره زمن اصطلام هذه البليه حقت على كثير من المسلمين، و لم يفعلها إلاّ من وفق إليها، و قليل هو، و عموم الظلم لكلّ موضع غير مسلم، و إن سلم بوجود المواضع التي قلّ فيها الظلم، و خفّ لا يمكن إنكاره.

و تقرّر أن يكون وجوب الهجره على من كلف بتسليم المال، و هو الأكثر من الناس متفقاً عليه إلاّ من له عذر شرعي؛ لأنّ تسليم المال إلى الظالم معصيه، و من

لِيَقْرَبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى (١).

و أوجب العلماء على صاحب الجدار المائل على طريق المسلمين رفعه، و ضمان ما أفسد، و لا- اشترطوا في ذلك قصد إثم، قال: على ما ذكرته إجماع أهل البيت. إنتهى كلامه بالمعنى.

قلت: ذكر في الأزهار (٢) و الأثمار جواز بيع العنب إلى من يتخذه عصيراً، و الخشب إلى من يتخذه مزامير، و عللوا الجواز بأن العاصى هو المستعمل لا البائع، قالوا: و ليس بإعانه إذ لا تكونها إلا مع القصد، إلا أنه مكروه من حيث شبهه بالإعانه.

و لقائل أن يقول: المأخوذ من قوله تعالى وَ لَا تَسْأَلُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْأَلُوا اللَّهَ عَٰدُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ (٣) إنَّ الحسن يصير قبيحاً إذا أدى إلى قبيح، و يجب تركه، و إن لم يكن هناك قصد، و فرع أهل الفروع على هذا مسائل:

منها: أن من أراد طلب الماء للوضوء، و خشى على ماله أن يأخذه مكلف، حرم عليه الطلب، توقياً لهذا المنكر المخوف؛ لأن طلبه يصير سبباً للمنكر، و عدم قصده لحصوله معلوم بالضرورة.

و منها: ما ذكره قاضى القضاة و أبو رشيد و أبو مضر، كما رواه فى الثمرات عنهم:

ص: ٤٥٨

١- ١) سورة الزمر: ٣.

٢- ٢) هو كتاب الأزهار فى فقه الأئمة الأطهار، على مذهب الزيدية، لأحمد بن يحيى بن مرتضى اليمنى المتوفى سنة (٨٤٠) من أئمة الزيدية، و هو صاحب كتاب البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار، مطبوع.

٣- ٣) سورة الأنعام: ١٠٨.

إنَّ المودَع إذا عرف أنَّ صاحب الوديعة يستعملها في المعصية، لم يسلمها إليه و له جحدها، و الحلف على أنه ليس عنده، و ينوى يجب عليه تسليمها، فجعلوا تسليمه إليه مع علمه بأنه يستعملها في معصية حراما و لا قصد له.

فمسأله الأزهار و الأثمار مخالفه لهذه المسائل، غير مطابقه لمقتضى هذا الدليل، على أنه روى في الثمرات عن الهادى و الوافى عدم الجواز أيضا.

و لا يخفى عليك أن ما ذكره الإمام القاسم من الدليل، إنما يقوم حججه على كون الفعل معصية، لا على كونه كبيره توجب دخول النار، فلعلَّ جزمه باستحقاق الفاعل النكال و الخلود فى النار إنما هو لترك الهجره مع التمكّن منها، و مع إجبار السلطان له على ذلك الفعل الذى قام الدليل على أنه معصيه و حمل عليه، و دليل ذلك ما قدّمنا.

نعم، و أمّا ما ذكره فى الثمرات من قوله «أمّا إذا أراد سفر الحجّ أو غيره، و عرف أنه تؤخذ منه الأتاوه، فقال الشافعى: إنَّ ذلك يمنع وجوب الحجّ، و مذهب الأئمّه أنه لا يمنع؛ لأنّ هذا شيء يشبه السكون فى الأرض الذى تحكّم فيها الظلمه بما شأؤوا من أخذ الشيء من المال، فهذا جائز، و لا تجب الهجره لهذا عند الأكثر متى قال ذلك كالإجماع، و يحكى الخلاف لبعضهم» فهو مع أنه مناقض لما ذكر فيها من أن من حمل على معصيه و جبت عليه الهجره وفاقا، مدفوع بما هو المروى عن الهادى و القاسم و الناصر من وجوب الهجره عن دار الفسق.

قال المنصور بالله: و هو الظاهر من مذهب أهل البيت.

و لا شكّ أنّ الأرض التى يحكم فيها الظلمه بما شأؤوا من أخذ شيء من المال دار فسق، سواء فسّرناها بما ظهر فيها من المعصيه من غير إمكان تكبير، كما هو

أو فسّرناها بما ظهر فيها من الفسق من غير تكبير، كما هو تفسير غيره؛ لأنّ السلطان المتحكّم في أهل بلده يأخذ المال ظلما من عشره دراهم فصاعدا و له منعه، مرتكب لكبيره، فهو ظالم فاسق، و الدار التي هدمها دار فسق، و هذا هو مذهب الإمام الناصر، و الإمام يحيى، و الإمام المؤيد بالله، و الإمام شرف الدين، و الإمام الشافعي.

و حجّتهم صدق إسم المحارب المذكور في الآيه (٢) عليه؛ إذ المحاربه معناها إخافه السبيل من غير تخصيص بالمصر أو غيره، و اشتراط كونها في غير المصر - كما هو المذكور في الأزهار - ليس إلّا قول الهادي و أبي حنيفه، و قد ضعّفه الإمام شرف الدين، و تأوّل الإمام أبو طالب قول الهادي، و أبو بكر الرازي قول أبي حنيفه، بأنّ المخيف للسبيل في المصر إنّما لم يكن محاربا عندهما؛ لأنّه يلحقه الغوث من المسلمين في الحال.

قلت: و لذا علّله في شرح الأزهار بهذا، و أمّا من لم يحصل منه الغوث، كسلطين الظلم و امراء الجور، فهو محارب، و قد قال المؤيد بالله: أمّا سلاطين

ص: ٤٦٠

١ - ١) كتاب القلائد في العقائد (في تصحيح العقائد) على مذهب الزيديّ، لأحمد بن يحيى بن المرتضى اليمنى المتوفّى سنه (٨٤٠) فيه تدقيقات غريبه، و ذكر أقوال الفرق بأجمعها، و أجاب عنها على طريقه مختصر ابن الحاجب في الإيجاز. كشف الظنون ٥٧٣: ٢. أقول: قد طبع هذا الكتاب في ضمن كتابه البحر الزخار في المجلّد الأوّل.

٢ - ٢) سورة المائده: ٣٣.

الأمصار، فقد زادوا على المحاربين، كما زاد الكفار على البغاه.

قال الدواري: مراده من لا يوجد منه الغوث، كما هو الغالب من حالهم.

قال بعض المتأخرين: و مجرد الإخافه كاف، و إن لم يكن منه قصد لقطع الطريق.

فأئده

أشاره

فى حكم المختلس و الطرّار و الغاصب

أمّا المختلس و الطرّار و الغاصب لقدر عشره دراهم، و كانوا ممّن لا منعه له، بحيث يحصل منهم الغوث، و كان أخذهم لذلك القدر على غير وجه السرقة الموجب للحدّ، فهل فعلهم هذا كبيره يوجب الفسق؟ نصّ فى شرح القلائد جاعلا له قول الجمهور على أنّه كبيره توجب الفسق، و جعل مثلهم الممتنع على قضاء دين عشره دراهم و هو واجد، أو ردّ وديعه قدرها ذلك.

و روى عن بعض المعتزله أنّ الغصب مطلقا كبيره، و سواء فيه القليل و الكثير، قيل: و هو مذهب الناصر، و عزّى إلى الهادى، و ولده أحمد، و لا أعلم لذلك كلّه دليلا، إلاّ القياس على السرقة، و شرطه عند المفسق به أن يكون قطعيا، و قطعيته هنا غير متّضح؛ لجواز أن يكون هتك الحرم (1) جزء من العله، و الله سبحانه أعلم.

و قد أجت متابعه القلم، إستكمالا للبحث، و إيقاظا للناظر الغرّ على ما يقبح منه الجهل به، اللهمّ إئى أسألك بذاتك العظمى، و أسمائك الحسنى، أن توفّقنى إلى مطابقه العمل للعلم، بإتيان أسباب النجاه، و اجتناب أسباب الإثم، و أن تجعلنى معرضا عن نزاهات هذه الدار، مقبلا على الاشتغال بما ينجى من الهلكه يوم

ص: ٤٦١

١ - ١) فى «ن»: الحرر.

بقية الحوادث:

نعم، و في العشر الوسطى من شهر ذى القعدة: أغار الوزير على قوم من آل عمر و آل حسن، أخذوا أنعاما، فقتل منهم ثلاثة، و قتلوا من أصحابه رجلا، و قبض منهم رجلا، ثم شنقه بقرية الشقيرى.

و فى يوم الخميس لتسعة عشر يوما خلون من ذى القعدة: توجه بنو شعبه من الدرب، و معهم الشيخ على بن جابر تائرا بأخيه الشيخ محمّد بن جابر الزريقى، و هو قائد الجيش، بعدّه قوّه من الرجال و الخيل، قاصدين الوزير بقرية الشقيرى، و شاع خبرهم فى القرى، و كان مظنّه قدومهم الشقيرى و صبيا و صلهبه، و كان بصلهبه الشريف حسن بن غالب، و بصبيا الشيخ على حضير، و أخذ كلّ منهم حذره.

و لما جاء الوزير الخبر، و سوست نفسه بالتوانى؛ لظنّه أنّ قصدهم لدفع (1) ما هو عليه من القوّه و المنعه بعيد جدّا، و أمر العسكر و أهل الخيل بالأهبة خشيه على غير موضعه الذى هو به ساكن.

فلما كان قبل الشروق من يوم الأحد الثالث و العشرين من الشهر المتقدّم، و كان قد خرج بها بعسكره و أهل خيله و هم كثيرون إلى قبلى القرية أقدموا عليه، و حملت الفرسان منهم و ذوو الثبات على الدوله حمله لم يكن لهم معها بأنفسهم حاجه.

و الخيل تصهل و الفوارس تدعى و البيض تلمع و الأسنّه تزهر

ص: ٤٦٢

فصدّقوهم الجلاذ، ورووا من دمائهم الرماح السمر و البيض الحداد، فثلم من الوزير غراره، و أقبل بالمساءه عليه نهاره، و هرب أكثر العسكر عنه، و لاذهو و جماعه منهم بدار حصنت بشوك السلم، و كانوا واقفين عنده، يحمونه و أنفسهم بالبنادق و الفوارس تتخطفهم، و كان على صهوه دابته بينهم، و أمروه بالنزول خشيه أن يراه فرسان بنى شعبه، فيقتحموا من أجله المسالك الصعبه، و يقتلوهم معه، فنزل و جثى على أقدار مطهر كان هناك، غير مبال بلؤم لائم، و غير ملتفت إلى قول أبى فراس:

و لا خير فى ردّ الأذى بمذله كما ردّه يوما بسوءته عمرو

و دخل منهم من دخل داره، فأحرقها، و نهب منها ما يحلّ قدره، و يعسر ضبطه، و كان هذا اليوم يوما مشهودا، كريما عند المسلمين محمودا، طابت به منهم النفس، و قرّت به العين، و أحيأ ما أثر بدر و خير و حنين.

و روى عن بعض أهل الشقىرى حكى عن نفسه: أنه كان واقفا مع الوزير فى موضعه الذى لاذبه بعد انهزامه من المعركه، فقال: وددت أن لو دخل العدو إلى الوزير ليقتله، و لو آل الحال إلى قتل من هو واقف معه و هو من جملتهم، لشده ما قد نزل بالمسلمين من جوره و ظلمه، و بلغ عدد من قتل فى هذا اليوم نحوا من تسعه عشر رجلا، الأكثر من العسكر، و الباقي من أهل القرية، و من الخيل نحو أربع.

و روى أنّ بنى شعبه لم يألوا جهدا فى التوصيه لأجنادهم، و التحريض عليهم فى عدم قتل غير أجناد الدوله، و لو لا ذلك لكان المقتولون من أهل الشقىرى أكثر من هذا القدر، و نهبت على أهل الشقىرى أموال كثيره جليله خطيره، و سلب كثير من النساء و الرجال، و كفت الحرب بعد ارتفاع الشمس، و خلت القرية من أهلها، و أقام الوزير بها إلى وقت العصر فى حال سيء، و ذلّ وضع.

و روى من روى أنّ عينيه ذرفت بعد منصرف أعدائه من شدّه ما نزل به من الذلّ و الهوان، و ما شاهده من خذلان أصحابه له، و كان قد غدّاهم بأموال المسلمين، و لا يستقيح هتكهم لعرض من لا يستحقّ، و ذلك لأنّه كان يعدّهم لمهمّاته، فأضاعوه أحوج ما كان إليهم.

و انصرف بنو شعبه و أجنادهم لا بسين ثوب المجد و الفخار، مسرورين بما أمدهم الله به من كسر رايه اولئك الأشرار، و الشيخ على بن جابر تبرّق أسارير وجهه من الفرح، و أنشد لسان حاله إنشاد من له النصر قد وضح.

يهنى المفاخر أنّى قد ضمنت لها حمل الحقوق و قد أوجبت ما يجب

أرعى الولى و يرقى خلفه مطر و أرعى و دخانى (1) تحته لهب

و قتل من جيشه من قتل، و لكن لما كانت الغلبة لهم لم يؤثر ذلك فى جانبهم.

و من ظنّ ممّن يلقى الحروب أن لا يصاب فقد ظنّ عجزا

و بات الوزير ليله الإثنين، أوّل ليله بعد هزيمته بهجره ضمّد، و معه من بقى من جنده، و هم قليلون مستضعفون، و ارتحل يوم الإثنين إلى سيده الشريف بقلعه جازان، و الشريف يوم وقعه الشقىرى تززع، و عظم عنده ما أقحمته بنو شعبه.

و أمر فى ذلك اليوم بإيصال الشيخ محمّد بن جابر الزريقى إليه، و كان الشيخ بقلعه أبى عريش، و قد كانت حصلت له فرصة، فاغتنمها و سرى من قلعه أبى عريش و معه ثانى، و كان النهار لما أدركه مع ما قد كان فيه من الضعف لطول السجن، أقام بموضع شرقى مدينه أبى عريش على نحو ميلين أو أكثر، و فارقه ثانيه و كان مطلقا كأنّه يستنجد من يعينه على حمله، و شاع خبر مسرّاه، و أخذت

ص: ٤٤٤

الخيال و الرجال فى طلبة من الجوانب الأربعة، حتى وقع عليه من وقع منهم بذلك الموضوع الذى ذكرناه.

ولما جىء به، أمر بتغليظ السجن على من فيه، و كان الزمان زمان حرّ، فأصبح فى اليوم الثانى نحو ثلاثة عشر رجلا من المسجونين أمواتا لا حراك بهم، و كان لهذه الواقعة موقع عظيم فى قلوب أهل التقى.

نعم، و روى أنّ الشريف بعد وقعه الشقىرى حرض على الصنّاع فى تنجيز أبواب القلعه، و انتهرهم على التراخى فى ذلك، و بات هو و جنده ليالى لا يكتحل لهم بالمنام ناظر، و لا تمسى خيلهم إلاّ مشدوده السروج، يروعها و أهلها طيران الطائر.

و حكى أنّ فرسا قطعت وثاقها ذات ليله، فركضت، و ارتاع أهل القلعه و انزعجوا، و لى من لى منهم مدبرا.

فصل

فى ارتحال الشريف حسن إلى مدينه صيبا

فلما أخلوا قريه القشيري، و أجلا أهل هجره ضمد، و ارتحل منهم الأكثر، و تقلقل الشريف حسن بن غالب و كان بصلهبه، و هجر المنام، و أمر أصحابه و أهل صلّه به بملازمه السهر، و أخذ الأهبة و استشعار الحذر.

ثمّ صمّم على الارتحال إلى مدينه صيبا، فارتحل ليله الثالث من وقعه الشقىرى، و ظنّ بأهل القريه الخداع لبني شعبه، و فهم منه بعض من يلازمه أنّهم إن لبثوا بعدنا و لم يرتحلوا، فهم مخادعون، و سوف يلحقهم من الأدب ما يكرهون، و فشى ذلك فى أهل صلّه به، فلم يقدروا على الإقامة بعده خوفا منه.

و كانت قد وصلت إليهم كتب من بنى شعبه، مضمونها: أن لا تخافوا و لا تحزنوا،

فالغرض المطلوب و الحاجة التي في نفس يعقوب إنما هي الدوله، و لكنهم لمّا أتوا من مأمّنهم، و خرج عليهم العدو من مكنهم، لم يصطبروا على الإقامه، مع ما قد بلغهم من الشريف حسن بن غالب أنّهم إن تخلّفوا بعده في قريتهم عاقبهم، فلهذا أخلوا عنها.

فلما كان بعد الشروق من يوم الثلوث، أقبلت أخبار بني شعبه تملأ الفضاء، فأتوا على قريه صلّبه خاويه على عروشها، فأقدموا إلى مدينه صبيا، و كان بها جند عظيم من الخيل و العسكر، و لكن قد خامرهم الجبن، و حلّ بأفئدتهم ذلّ الظلم، و الأمير بها الشيخ على حضير، و بقيه الأجناد و الرؤساء تبع له، فلم يركن (1) منهم من له همّه علويه و شهامه عنترية تحمل على لقاء العدو قبل وصوله، ليندفع شرّه و معركته عن الضعفاء قبل دخول المدينه، بل استترت تلك الأجناد و امراؤها و القوَاد بالبيوت، و من خرج منهم للقاء العدو، فهو عندهم ممقوت.

و لما كانت المدينه متّسعه بعيده الأطراف، ووقفت أجناد بني شعبه على جوانبها، و كان ذلك الوقوف منهم كهزّ جذع النخله، و كان الهارب من أهل المدينه من ذكر و انثى يقع في أيديهم، فغنموا من الهارين أموالا جليله، و دخل بعضهم ما كان من البيوت على طرف، فنهب نهباً واسعاً، و الدوله و أجنادها لم يكن في همّهم شيء سوى الرمي لمن وقف تحت دارهم، دفعا عن أرواحهم و أموالهم.

و كلّ يرى طرف الشجاعه و الندى و لكن طبع النفس للنفس قائد

ثمّ ولّوا راجعين، و كان مرورهم على قريه صلّبه، و نهبوا من مخازنها ما نهبوا، و كان في ذلك أكذاب لما ذكروه لأهلها قبل من التسكين و التأسيس.

ص: ٤٦٦

(١ - ١) في «ن»: فلم يكن.

غاض الوفاء فما تلقاه فى أحد و أعوز الصدق فى الأخبار و القسم

و قيل: لم يكن الفاعل لذلك إلا- آل عمر و آل حسن، و لكن كانوا فى صحبتهم، و كان الواجب على بنى شعبه الحرص على الوفاء لأهل صلته أن يمنعوهم من ذلك، لما سبق لهم من التأمين.

و روى أنه قتل منهم فى صيبا ثلاثة رجال، كأنهم لقربهم و عدم خبرتهم وقعوا فيما لا يهتدون إلى الخروج منه.

و لمّا حصل من بنى شعبه هاتان الفعتان بالشقىرى و صيبا، اهتزت الأرض بأهلها و مادت، و بلغت القلوب الحناجر من شدّه الخوف و كادت، و خفت (1) العقول، و سفهت الأحلام، و اضطربت أمور الخلق اضطرابا يعجز عن التعبير عنه الألسنة و الأقلام، و أنشد لسان حال الناظر إليهم فى تلك الأيام:

أرى الناس مخسوفاً بهم غير أنّهم على الأرض لم يقلب عليهم صعيدها

و رجع من أجلا من أهل هجره ضمد إليها فى عشر ذى الحجّه، و امتلأت بهم، و لم يبق منهم القليل، و كذلك أهل الشقىرى.

غزوه المخبزه:

و فى ليلة ثانى النحر: توجه الوزير سنبل من القلعه، و معه السيّد حسن بن أحمد المرتضى بأجناد كثيره، غازين قوما من القبائل بموضع يسامت جبال آل عمر و آل حسن، تواجه وادى ضمد.

و لمّا بلغ القبائل الخبر ارتحلوا، فلحقتهم الدوله، و أخذت أنعامهم، و استحوذ عليهم الطمع فى اللحوق لرواحلهم و أخذها، فوافوهم بموضع يقال له: المخبزه-

ص: ٤٤٧

بميم مفتوحه، فحاء معجمه ساكنه، فموحده مفتوحه، فزاي فتاء تانيث - وأخذت القبائل بالحزم، واستصرخوا بمن أمكن الاستصراخ به، واجتمع على الدوله منهم جيوش كثيره، وقد كان في قلوبهم للدوله من البغضاء ما هز من عطفهم، وحرّك من نشاطهم، وأحاطوا بالدوله، وظهروا عليها، فأدبرت الدوله إديار ذلّ و ذعر، وكان هذا عاقبه ما سؤلته أنفسهم من الطمع.

و من لم يتق الضحضاح زلت به قدماه في البحر العميق

و أئخت القبائل القتل، و مع تعدّر الموضع و حصول الهزيمه، و تشتت أصحاب الدوله، كان الرجل من القبائل لا يمنعه من القتل إلاّ الأعياء و التعب من كثره الضرب، و هم كأنهم خشب مسنده، و كثر المقتول من أصحاب الدوله كثيره لم تعهد في أيام الشريف، و الأقوال مختلفه في القدر، فقيل: بلغ من قتل أرباب الدوله مائه و خمسه.

و في اليوم الثاني أو الثالث: نهض الشريف مطاعن بن أبي طالب من قريه الشقيري بعد أن رجع أهلها إليها كما قدّمنا، و معه آخر لأخذ ذمه من القبائل بها يسكن نفس الراجع إلى وطنه منهم على تخوّف من الشريف؛ لأنّ ذلك لا يرضيه كما قدّمنا، من أنّ من أراد أن يسكن في بلده متّكلاً على حيلته كان عنده من الخاطئين، فوقعا على قوم من القبائل لا يعرفونهما، فوثب عليهم من وثب.

فخرج الشريف مطاعن، فقال لهم: إنّما الغرض أخذ ذمه منكم و لسنا بعدوّ، فقالوا: لا ذمه لكم عندنا، و لا نفقه كثيرا ممّا تقول، و شدّوا لهما الوثاق (1)، و حصلت للشريف فرصه فاغتنمها و فرّ.

ص: ٤٦٨

(١ - ١) في «ن»: الوثائق.

فلما وصل إلى قريه الشقيري أنذرهم، وقال: الرأي أن لا يبقى منكم أحد، وأن هنا أقواما قد تجمعت كثيره، و لم يعطوني جوابا فيما عزمت من أجله، و لا- اخالكم تنجون، و الحزم على الارتحال، و أن البقاء على غير ذمّه مع اشتعال نار هذه الفتنة غير مستحسن، فارتحل أهل القريتين عنهما، و لم يبق إلا من لا يعتدّ به، كأرمله لا كافل لها.

و لما مضى نحو ثلاثه أيام، و لم يكن لما حسبه الشريف مطاعن حصول طمع من أجلا من أهل ضمد و من طمع، في العود راجيا للسلامه فرجع.

و لَمّا كان عصر يوم الجمعة ثامن عشر شهر ذى الحِجّه الحرام: أقبل عليهم من الجانب اليماني جيش نحو المائتين، و معهم من الخيل نحو ثلاث، و لم يكن في القريه من سما طرفه (١) و عبل ذراعه (٢) مَمَّن يدفع به ملامه، أو يرجي لكشف غمّه، و كان بعض من فيها من الشيعة أصناف المعذورين عن القتل شرعا.

ف فعل العدو بهم ما أراد، و لم يردّه عن ذلك مراد، و سلب النساء، و أخذ ما وجد من الأنعام، و قتل نحو اثني عشر رجلا، و جرح نحوهم، و بعدها ارتحل من بقى منهم، و خلت القريه عن أهلها خلوا أعظم من الأوّل.

حوادث سنه خمس و مائه و ألف:

و في آخر شهر ذى الحِجّه أو أوّل شهر محرّم: توسّط بعض الأعيان قصدا لخمود نار الفتنة بين الشريف و بني شعبه على فكّ الشيخ محمّد بن جابر الزريقي،

ص: ٤٦٩

١- ١) يقال: رددت من سامى طرفه، أى: حقّرت إليه نفسه. السما: الصيت البعيد الحسن، يقال: شاع سماه، أى: صيته.
٢- ٢) يقال: رجل عبل الذراعين، أى: ضخمهما.

و تسليم قدر من الأرب (١) معروف يكون بعضه مسلماً من بنى شعبه، وبعضه يحصّص على أهل القرى، معونه لبنى شعبه لكفّ شرهم، و التزم الشريف الوفاء بذلك إن تمّ دخولهم فيه، فعزم ذلك المتوسط إلى بنى شعبه بعد مواطأه الشريف على ذلك، فامتنعوه من الدخول فى ذلك، و ثنوا عطفه عنه، فطلب منهم ذلك المتوسط ذمّه لأهل القرى، قيل: بشهر، و قيل: بشهرين.

ففعّلوا و شاع الخبر فى أهل القرى المطرودين عنها، فسروا بذلك سرورا عظيما، و رجع منهم من رجع إلى وطنه، و كان أهل الشقىرى و هجره ضمد مّمن رجع، و كان بوادى ضمد خصب عظيم، فانجذب معهم من الأجانب من انجذب طمعا فى ذلك الخصب؛ لأنّ رجوعهم فى العشر الاولى من شهر محرّم.

و لما كان أول العشر الوسطى منه، حصلت من القبائل غزوه على أهل الشقىرى وقت العصر، فأغاروا و أغار معهم أهل الضمد، و كادوا أن يظهروا على الغازين، و استردّوا ما أخذوا، أو أنه فات.

و أتصل الخبر بمن بقى من القبائل فى المراح، و كان فيهم من بنى شعبه جماعه أهل حيل، فأغاروا و حملوا حمله قويّه، و دخلوا قريه الشقىرى، و قتلوا رجلا و نهبا و سلبا، و تزعزع أهل القريتين، و علموا أنّ تلك الذمّه المعقوده غير مبتيه على الصّحّه، و ارتحلوا، و كان هذا ارتحالا ثالثا من أكثرهم، و من أقلهم أربعا بعد وقعه الوزير.

و بعد مضى نحو خمسه أيّام من هذا الارتحال، غزا من العدوّ من غزا اناسا كانوا بقريه حضيره و كوكب من المجلين من أهل هجره ضمد و غيرهم، و كان ذلك

ص: ٤٧٠

١- ١) أرب إليه: احتاج، و بالشىء: كلف به.

ليلاً، فنهبوا ما وجدوا من الأنعام و غيرها، و قتلوا نحو ثلاثه، و أجلوا من بقى منهم، ثم خلى بعد هذه الغزوه وجه وادى ضمد عن القطان، و دخل هو و أهله فى خبر كان، و كان الحراب مبتدءاً من نيش، منتهياً إلى قلعه جازان، و جاوز عدد القرى التى خلت من أهلها الخمسين، يجبب بها اليوم الصدا، و لا ترى فيها من السكّان أحداً (١).

كأن لم يكن فيها أو انس كالدما و إقبال حرب فى بسالتهم أسد

تداعى بهم صرف الزمان فأصبحوا لنا عبره تدمى الحشا و لمن يغد

و لم تبق إلاّ- مدينه صيبا، و ارتحل من الساكنين أيضا كثير و جلا و خوفا، و فى القرى التى تليها من العرب و اليمن اناس قليلون متخوفون، بالليل و آخر النهار يظهرون، و بأول النهار يستتروا.

و من غريب ما وقع من الخوف و الاضطراب و الوجل الذى يخطر على جلد ذوى الألباب، أنه حصل فزع و روع على الساكنين بوادى جازان من الهاربين من أهل القرى و من أهله، أول عصر من تلك الأيام، فقبل: جاءكم العدو، فولّوا مدبرين من دون أن يتحقّقوا صدق الخبر أو كذبه، و كان كذبا، و عمّ هذا الفزع و هذا الإدبار مدينه أبى عريش، و نحوها من عشر قرى من وادى جازان.

و روى أنه عمّ قريه الحربه و حضيره، و كلّ ذلك فى ساعه من النهار، و اندعر أهل الحوانيت بأبى عريش، ففرّوا عنها مفتّحه الأبواب، و التجأ أكثرهم إلى ثلاثه بيوت أو أربعه، محصّيه يظنّ فيها النجاه، و فى القلعه بأبى عريش هرب الشريف راجح بن محمّد عمّ الشريف أحمد بن غالب من دار الجون إلى القلعه المذكوره

ص: ٤٧١

(١- ١) فى «ن»: من السكّان الأنيس أحداً.

مذعورا، و كان بعضهم يقول لصاحبه: إرم بالبندق كى يسمعه العدو، فیرتدع عن الإقدام إلى موضعنا، فإذا رمى به، قال السامع له من أهل المدینه: هذا العدو دخل المدینه، و ضجّ البندق شاهد على ذلك، فوقعوا فى حيص بيص، ثم حصلت الإفاقه من ذلك الإغماء بعد ذلك الوقت.

حوادث يديها العيان كما ترى و إن نحن حدّثنا بها رفع العقل

و فى أوّل العشر الأواخر أو آخر الوسطى من شهر محرّم من سنه خمس و مائه و ألف: صمّ الشريف على الخروج بنفسه على القبائل العاديه له، فجمع الجمال، و حشد الأجناد، و أخذ فى التّأهب لذلك و الاستعداد، و اجتمع له من العسكر أهل البندق نحو ستمائه، و من غيرهم نحوهم، و ألزم القبائل الموافقه له، كدكوان و الأخادعه بالمحاذاه له، بأموالهم و أهليهم ليرتفق بذلك الأجناد الذين معه و يمتازوا، فكان إذا سار قليلا سارت الأمزجه كسيره، و كانت طريقه من جهه المير و لا يسير إلاّ زحفا.

بلغت مدّه خروجه من القلعه إلى وصوله وادى صيبا نحوا من خمسه عشر يوما، و تزعزع من خروجه البدو و فزقوا، و اتّصل الخبر ببني شعبه فوجلوا، و كان قد حالف آل حبيب على الانتقام من بني شعبه، و دخل تحت و طأته فى خروجه هذا قوم من قبائلهم التى بها فعلوا تلك الأفعال.

و الحاصل أنّه كان قد أعدّ من الامور بما يظنّ ظهوره على بني شعبه لو أمهله المقدور، و كانت القبائل لمّا فعلت تلك الأفعال العظيمه بأهل القرى، و لم تر أحدا منهم إلاّ موليا و مدبرا، و قدر ما قدر لها من الظهور على سرايا الشريف التى يوجهها إليهم أولا و آخرا، ثمّ رأته ساكتا مطرقا عن الأخذ بالثأر فيما قد جرى، اعتقدت أنّ ذلك منه عجز أو ذلّ، و كذلك أهل القرى اعتقدوا فيه ذلك الاعتقاد.

فلَمَّا كان منه هذا الخروج على الصفه التي ذكرناها، تحقَّق أنَّ سكوتَه و إطرَاقَه فيما مضى ليس بعجز و لا ذلٌّ، و إنَّما هو لأمرٍ آخر، و أنشد لسان حاله في حال سفره و ارتحاله:

نحن بنو الحرب إذا شمرت و لاح عنوان سناها و ضاع

و إنَّما أوقفنا موجب عنها و قد يطرق قلب الشجاع

و ذلك الموجب الذي أوقفه: إنَّما التشفَّى على أهل القرى و الإكاده لهم، لما ذكرنا من كراحتهم له، و حملة لهم على خلاف ما هم عليه، و النقص الحاصل في سراياه أهون من النقص الحاصل في أهل القرى. و إنَّما أنَّه كان يترقَّب فرصه لم تحصل له إلا في وقت خروجه لهم و بروزه، فلَمَّا خرج و لَّوه الأدبار، و صدَّقوا ما تضمَّنه البيت السَّيَّار:

و إذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده و النزالا

نعم، و بينهما هو في ثوب أمانيه رافل، و بالأسباب المعينه له على الظفر بأعدائه متشاغل، إذ دهمه العلم بنزول الأمير الشهير عزَّ الدين بن الحسن القطبي إلى مور، و قاسم بن الحسين المهدي إلى بلاد الشرفين، فتتغصت لذَّته، و ولَّت مدبره فرصته، و كرَّر راجعا إلى قلعه جازان، و سرَّ المسلمون بذلك سرورا عظيما، راجين زوال ملكه، و مؤمِّلين عتق رقابه، و خروجها عن ملكه، فهو بذلك في حزن عظيم، و هم به في سرور و نعيم.

بذا قضت الأيام ما بين أهلها مصائب قوم عند قوم فوائد

و اعلم أنَّ الأمير عزَّ الدين لَمَّا انفصل من جانب ابن الإمام علي بن أحمد، و اتَّصل بالشريف، أنصفه كما قدَّمنا، و أنزله منزلته.

و لَمَّا طلع أخوه الشريف حسن بن غالب، و الشريف أبو طالب بن أحمد بن

محمّد العواجى إلى جبل رازح، أيام دخول أولاد الإمام إلى صعده، وطلع الأمير معهم، وصابر و رابط، و فعل ما يتوجّه على مثله رعايه لحقّ الإمام الشريف.

و لَمّا انقضت فتنة الجبل، و نزل الشريف حسن بن غالب، نزل الأمير عزّ الدين، و اجتمع بالشريف و هو بخلب، فقصر معه فيما يجب له، و ترك ما كان فعله له من الانصاف، و سامه خطّه، لا يصبر عليها مثله.

و لم تزل قلّه الانصاف قاطعه بين الرجال و إن كانوا ذوى رحم

فلم تساعده نفسه الأبيّه على الإقامه، و رأى أنّ اللبث مع هذا حسّه و ملامه، و ارتحل إلى الحضرة الإماميه الناصريه، منشدا لسان حاله، و مخبرا بما قضت به همّته العليّه:

أبت همّتى أن ترام الضيم و ارتقت إلى مذهب بالأريحيّه مذهب

و قوبلت فى عمّ و خال مسودّ كريم و فى جدّ حسيب و فى أب

تعودت تعقيد الامور و حلّها و تقلبيها من حوّل القلب قلب

و لَمّا انتهت ركائبه إلى الحضرة الإماميه، تلقّاه ربّها بالانصاف، و مكث بها عزيزا محترما الجناب، و لم تزل الأسباب الموجبه لرفع يد الشريف تتظاهر، و القرائن بجوره و حيفه لدى الإمام تتظافر، و حصل فى هذه الجبهه ما قدّمناه من نهب الأموال، و قتل النفوس و الخراب، و غير ذلك من الامور العظام الصعاب.

فكبر ذلك عند الإمام، و رأى أن تبقية الشريف هدم لقاعده الإسلام، فمدّ بقلمه للأمير مدّه، و قال: اذهب مكان هذا الجائر، و سنفعل لك ما يعينك من العدّه، فأبى الأمير من استصحاب العدّه من العسكر، و أقبل على ولاء الشريف بالزيديه (1).

ص: ٤٧٤

و الضحى و مور و حرض و الأبروخ و المعرض (١)، مع قدوم قاسم بن الحسين، فأجلوا و فزوا و لم يستقرّوا، و لم يكن مع الأمير حينئذ غير ذلك المدّة بقلم الإمام، و لكنّه كما قيل:

فلم يفلّ الجيش و هو عرمرم و البيض ما سلّت من الأغماد

و لما اتّصل الخبر بمسامع الشريف، كان سببا فى رجوعه من المير، بعد خروجه كما قدّمنا، و وصل الأمير إلى حرض ثالث عشر شهر صفر.

و فى هذا الشهر: بعد رجوع الشريف من المير، و شيوخ خبر الأمير عزّ الدين، حصل على اناس قليلين بهجره ضمّد صباح (٢) بالليل، و جرح من جرح، و أخذ العدوّ من الأنعام ما أخذ، ثمّ وقع بعد ذلك أيضا صباح آخر العصر و قتل العدوّ رجلين من أهل ضمّد، و ربما نهبوا ما نهبوا، و رجل ثالث ضربه العدوّ فى الصباح الأوّل، ثمّ كان ضرب فى الصباح الثانى، فمات بسبب ذلك.

و السبب فى تعدّد ذلك: أنّ أهل القرية لم تياس أنفسهم عنها، فكان من لا يجد من المرافق ما ينفعه فى غيرها، يعود (٣) إليها مع لوعه الوطن الجاذبه للطبائع، و العدوّ يطمع بالعائد مع قلّته، و حصل على قرية أهل صلّبه فى هذا الشهر صباح بالليل بعد عودهم إليها.

و قد كان أهلها جعلوا أنفسهم ثبّتين: و جلا من العدوّ، و عملا بالحزم، فافترق العدوّ فرقتين، كلّ فرقه قصدت ثبته من الثبات، و لم يأل أهل القرية جهدا فى الدفع

ص: ٤٧٥

١- ١) كلّ هذه المواضع من نواحي اليمن.

٢- ٢) يوم الصباح: يوم الغاره.

٣- ٣) فى «ن»: فعود.

للعدوّ، و ثبتوا ثباتا لا يظنّ مع ما قد خامر أهل القرى من الفشل، و الانزعاج الفضيع و الوجل، و شهد ذلك المقام لبعض الساده
بثبات جنانه، و حقّ له أن ينشد قائلا بلسانه:

أنا الذائد الحامى الذمار و إنّما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى

و قتل العدو ثلاثة من أهل صلهبه، و لم يمسهم سوء سوى هذا القتل.

و فى آخر هذا الشهر أيضا: حصل على أهل نبش صباح، و كان الشريف حسن ابن رضى الفليتى مقيما عند الشريف بالقلعه، مع
جمّ غفير من أهل نبش، فهزمهم الشوق، و جذبهم لاجع هوى الوطن و التوق.

و استأذن الشريف حسن المذكور الشريف فى الرجوع إلى الوطن، و كان قد بذل جهده فى عقد الذمم من القبائل، حتّى ظنّ مع
ذلك أن لا بأس عليهم فى السكون ببلدهم، فأذن له الشريف بعد أن قد كان أبدا له أنّك لا تثق بما يقعه ذلك العدو من
الذمه، و إن وثقت لك و وفا لك بنو شعبه، لم يف الغير من القبائل، و خوّفه كأنه يرجو إقامته لديه، فلم يعرج على ذلك العذل
من الشريف، و ارتحل إلى نبش و معه من أحبّ من أهل القرية، و أقاموا بها أياما، و ارتحل إليهم من ارتحل من أهل المواشى
رغبه فى الخصب الكائن بتلك الجهة.

فلما كان ذات يوم من الأيام فى آخر الشهر المذكور، صبّحهم من العدو بكره عذاب مستقر، و انكشف لهم أنّه فى عقده الذمه
لهم مخاتل غادر، فقتل منهم نحو ثلاثة عشر، و فيهم الشريف حسن بن رضى، و نهبوا من المواشى ما يعسر ضبطه، و حصل على ما
بالمحلّه و مشرف و العالیه ممّن رجع بعد الإجلاء رغبه فى الوطن

صياح و أخاله قبل صياح نبش... (١).

قتل سيد ذكر ثباته لم يحضرني وقت الرقم اسمه، و بعد ذلك خلت القرى الشاميه عن السكان، و عاد ربعا مقفرا كما كان.

نعم، و حصل على جماعه من الأشراف الحوازمه كانوا بناحيه قريه شقربا- بشين معجمه مضمومه فقاف ساكنه فراء مضمومه فباء موخده فألف تأنيث، من أسفل وادى ضمد-صباح بالليل، و لكنّه قبل خروج الشريف إلى المير، و ثبتوا ثباتا يليق بشرفهم، و يعلو به مجد سلفهم، و كانوا أجلا عن بلدهم، و استحسنا الإقامه بهذا الموضع و هو قفر لبعده، و غصّ النظر من الطامع إليه، فدهمهم من العدو من دهمهم، و قتل رجلا أو رجلين من المقيمين بهذا المكان، و امتنع من ذكرناه من السادات على مواشيهم، و أدبر العدو بعد أن يئس عن الظفر بها... (٢).

إلى القلعه اهتمّ بأمر بنائها، و بالغ في إتمامه على الصفه التي يكون بها الانتفاع و الثقه مع الحصار، و أدار عليها سورا، و تصوّب على أهل باديه من بوادي أبي عريش نحو المحاضين-بحاء مهمله بعد ميم و ضاد معجمه بعد الألف فياء تحتيه فنون- و استولى على أكثر ما بأيديهم من الأطمعه يأخذها بالثمن البخس، و ربما يوفى الثمن أو يقرب إليه فينقصه عماله، و جعل يكاتب الإمام في شأن الأمير عزّ الدين، و وجّه رسلا.

و لم يصرح له الإمام في شيء من جواباته بأنّه معزول، و ربما شنع عليه في بعضها بما جرى من الخراب، و قتل النفوس، و كلّ ما جاءه جواب غير مونس شفع

ص: ٤٧٧

١-١) بياض في النسختين.

٢-٢) بياض في النسختين.

كتابه بآخر، و لما حصل له الظنّ بإعراض الإمام عنه، كاتب صاحب صعده و بايعه على أن يوليه البلد إلى مدينه زبيد.

و ليس بأول ذى همّه دعتّه إلى ما ليس بالنائل

فقبل صاحب صعده بيعته، و منّا بنزول أجناد كثيره تعينه على دفع ما جاء من عند الإمام، فاستروح الشريف بذلك و أنس، و فى إجابته صاحب صعده له مع ما قد علمه من حاله الذى كان يشنّع عليه فيه للاعتراض مجال، و كان اللايق به أن يقول له لما بايعه: إن رجوعك إلينا ليس اعترافاً بحقنا، و اعتقاداً لوجوب طاعتنا، بل لغرض دنيوى و مآربه، لا جفاوه (١) جاءت بك، و كيف؟ و قد تواتر لديه عدم صلاحيته، و أنزل عليه بالأمس أجنادا قصدا الاستئصال شافيه.

و ممّا يقضى به العجب، و يضيق به وجه التأويل، أنّه قبل أن يبايعه الشريف بأيام قلائل، كتب إليه كتابا، مضمونه التأييب له، و التشجيع عليه فى أفعاله القبيحه، و ذاكره فى شأن الشيخ العوسجى، و امتناعه من فكّه، و امتنّ عليه بفكّ الترجمان فيما مضى من غير إحواج مراسله و لا فدا، و استشهد له بقول ابن الصيفى، حيث قال:

ملكنا فكان العفو منّا سجيّه و لما ملكتم سال بالدم أبطح

و أحللتهم قتل الأسارى و طالما عدونا على الأعداء نefو و نصفح

و حسبكم هذا التفاوت بيننا و كلّ إناء بالذى فيه ينضح (٢)

و لئى بايعه أقبل يتهدّد بنى شعبه فى المعاونه للأمير على إزالته، و يصفه بأنّه سيف الإسلام، من دون أن يتحقّق منه التوبه فيما ارتكبه من الكبائر العظام.

ص: ٤٧٨

١- ١) فى «ن»: جفاوه.

٢- ٢) ديوان صفى الدين الحلّى ص ١٩٣.

و لهذه الأبيات نكته ذكرها في الغربال في ترجمه الشيخ نصر بن مجلى، أحببت ذكرها لغرابتها، قال فيه: قال ابن خلكان: و كان من ثقاه أهل السنّه.

ثم قال: روى عنه أنّه قال: رأيت في المنام على بن أبى طالب عليه السّلام، فقلت له: يا أمير المؤمنين تفتحون مكّه، و تقولون: من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ثمّ يتّم على ولدك الحسين عليه السّلام يوم الطفّ ما تمّ؟

فقال: أما سمعت أبيات ابن الصّيفى في هذا؟ فقلت: لم أسمعها منه، ثمّ استيقظت فبادرت إلى دار ابن الصّيفى (١)، و ذكرت له ذلك، فشهق و أجهش بالبكاء، و حلف بالله ما خرجت من فيه و لا من خطّه إلى أحد، و لا نظمتها إلاّ في ليلتى هذه، ثمّ أنشدنى (٢). إنتهى.

قال في شرح بانة سعاد لابن هشام: النّظح بالخاء المعجمه أكثر من النّظح بالمهمله، و لهذا قالوا: النّضح بالمهمله الرّشّ، و قالوا في قوله تعالى نضّاختان (٣) قوارتان. إنتهى.

و أرسل الشريف إلى أبى عريش محطّه، و إلى بندر جازان محطّه، و أقام الأمير في حرّض نحو شهر، ثمّ توجه إلى البدوى، و لما ظهرت قرائن قدومه، و تواترت الأخبار به، أمر الشريف بطمّ آبار أبى عريش، و لم يبق منها إلاّ بئرا أو بئران، و خرج أهل المدينه عنها، و كان هذا هو الخروج الثالث منهم، و أرسل الشريف بالأموال للعسكر الذين بأبى عريش إرهاصا لما يريد، و تثبّتا لهم على النّصيحه،

ص: ٤٧٩

١- ١) في الوفيات: دار حيص بيص.

٢- ٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ٢: ٣٦٤.

٣- ٣) سورة الرحمن: ٦٦.

و عملا بقول القائل:

و إذا رأيت صعوبه فى مسلك فاحمل صعوبته على الدينار

و ابدله فيما تشتهيهِ فإنه حجر يلين قوه الأحجار

و ألزمهم بحفظ المتارس، و جعل عندهم أخاه الشريف حسن بن غالب، و الشريف على بن حسن، و استنجد الأمير بنى شعبه، و أرسل إليهم رسولا، و مكث الرسول لديهم أياما، ثم توجهوا معه من الدرب.

مقلدون صفائحا هندية يتركن من ضربوا كأن لم يولد

و إذا دعوتهم ليوم كريبه و أتوك بين مكبر و موحد

و لما أحس بهم النائب بصيبا، كتب إلى الشريف يعرفه بذلك، و يطلب منه فى أمرهم رأيا من المقابلة أو الإجماع، فأمره بالقدوم و ترك المدينة، فدخلها بنو شعبه فى أول شهر ربيع الأول بأجناد كثيرة، و أمدهم الأمير بما استطاع، و جعل بها نائبا من قبله.

و فى هذه الأيام فكّ الشريف الأمير خيرات بن حسن القطبى، و حالفه (١) و كساه، و أقام بنو شعبه فى صيبا أياما، ثم ارتحلوا إلى قرية الريان ضدّ الضمان من قرى وادى جازان، و بعد استقرارهم بوادى جازان فكّ الشريف الشيخ محمد بن جابر الزريقى، و حالفه (٢) و أعطاه مركوبا أو ملبوسا، و اجتمع بإخوانه و آباءه بالوادى، فسروا به سرورا عظيما.

و وصل الأمير إلى قرية القرفى و البديع من وادى جازان فى يوم الربوع أو

ص: ٤٨٠

١- ١) فى «ن»: و حالفه.

٢- ٢) فى «ن»: و حالفه.

الخميس حادى عشر شهر ربيع الأول، و كان قد وافاه و هو بالبدوى الحاج محمد التركى رسولا من الإمام إلى الشريف، فحين أن توجه الأمير إلى وادى جازان، فارقه الحاج محمد إلى القلعه.

ولما وصل إلى الشريف أفضى إليه ما أوصاه به الإمام، و حصل ما قال الشريف على ما روى لى الثقة، مسندا إلى الشريف: إن الإمام يقول: إن ولاتك جاروا على الرعيه و ظلموا، فسيجعل الإمام من قبله فى البلد و لاه، و يأمرهم بدفع الجبايات إليك، يكون لك معونه على جهاد صاحب صعده، فعرف الشريف أن ذلك تكليف له بما يعجز عنه سعيه إلى الدرب؛ لأنى لا آمنهم إذ ارتحلت و هم بوادى جازان، و لا تطيب نفسى إلا مع بعدهم.

فوصل الحاج محمد التركى إلى الأمير و هو بقريه البديع، و أخبره بما قال الشريف، فامتنع الأمير عن ذلك، و ارتحل هو و بنو شعبه إلى العقده لقصده حصاره، و جعلوا من القبائل الذين مع بنى شعبه كثيرا فى قرى وادى جازان، و يجمعهم الداعى عند الحاجه إليهم، و القلعه من العقده مشرفا بنحو فرسخ، و الشريف لم يزل ينتظر مواعيد صاحب صعده، و بالغ عليه فى تنجيزها و إتمامها، و اشتد عليه الحصار، و ضاقت أحواله، و انقطعت موادّه.

و كان فى ابتداء الحصار أن خرج جماعه من أصحابه الذين بأبى عريش إلى قريه المخاضره - بميم مفتوحه فضاء معجمه و ألف فضاء معجمه مكسوره فراء مفتوحه فتاء تأنيث - بعد أن بلغهم أن بها اناسا من بنى شعبه، فأخذوا من أطرافها أنعاما لينجز لهم من ينجز إلى المتارس فيرموه، فبلغ ذلك الأخذ بنى شعبه بقريه العقده، فأغار منهم من أغار، و ممن أغار البطل الضيغم شار بن شريفه، و الشريف الشجاع الضرار النفاع مهدي بن محمد أبو صالحه.

و أول من ورد حوض المنايا، المترع كأسه بالرزايا، شار بن شريفه، فاسترجع المأخوذ، و لَجَّ العدو إلى مكمنه، ليفعل ما هو من دأبه و ديدنه، من الرمي في الخفيه، و لَمَّا ولى الشيخ سار راجعا بعد الظفر، تصَوَّب (١) له منهم من تصَوَّب، فرماه فلم تخط الرميهِ فؤاده، و سقط إلى الأرض من فوره.

قناه صدت للطعن حتَّى تقصّدت و سيف أطال الضرب حتَّى تتلّما

و كان الشريف مهدي بن محمّد أبو صالحه مقبلا، فلَمَّا رآه سقط بادر ليحميه عن المثلّه و السلب، و في حال حمايته له رماه من رمي، فأصاب مارن أنفه، و أغار بقيه المغيرين بالشيخ شار، و سقط في أيديهم لَمَّا أصابه و دهاه، و كان أحدهم أحقّ لو اعطى المرء مناه، و حملوه على أعناقهم، و ودّوا لو كان محمولا على أحداقهم.

و لَمَّا انتهوا به إلى نصف الطريق خرجت روحه، و وصلوا به قريه العقده ميتا، و فاضت أعينهم عليه بدمع كان دهرا مكتوما، و فضّوا من الحزن رقه الذي كان بنفايه مختوما.

و روى أنّ الرامي له كان من أضعف العسكر، و لو برز له أضعافه لظهر عليهم و انتصر.

فالليث أكبر أن يصطاده جرد و النسر أعظم أن يغتاله حرب

و كان أصحاب الشريف مع شدّه الحصار، يخرجون إلى قريه الجربه (٢) و حضيره للمير، فيكلفون أهل تلك القريتين بإيجاد الطعام، و يأخذونه منهم، و كانت الأخبار تتصل بالأمر، فنهاهم عن هذا الفعل فلم ينتهوا، و أخرج إليهم

ص: ٤٨٢

١- ١) في «ن»: بصوب.

٢- ٢) في «ن»: الحربه.

الأمير خيرات بن حسن بجند، وفيه من بني شعبه اناس، فباتوا ليله خروجهم بنحو قرية المخاضره، ثم أصبحوا مرتحلين.

فبيناهم كذلك إذا الصارخ يستغيث بهم على قوم من أصحاب الشريف القاطنين بأبي عريش، قد أخذوا على أهل الخبت مواشى، فنهض الأمير خيرات و من معه من الجند، و ولج الآخذون قبل الالتحام و بعد البراء، فأقدم المغيرون غير مغولين، و دخلوا أبا عريش، و ركضت خيلهم في شوارعه، و أخال أنه سلم مترس من المتارس، و كاد المغيرون أن يظهروا، و جاء الخبر إلى الأمير، فسّر بذلك و اغتبط، و أغار من بني شعبه من أغار.

و ربما رام الأمير أن ينهض بنفسه، أو أنه نهض فرحاً، و مسرّه و استقبالا، لما فادته و جوه السعاده، من الفتح بوجوه مفترّه، و جاءت الغارّه من القلعه و من تلقاء الشريف.

و قد كان الشيخ مسعود بن جابر نزل من صهوه دابته آمنا بتأمين بعض العسكر، أو كأنه قد ظنّ الملكه و الظهور، فحين أحسّ العسكر إقبال الفارّه من القلعه، قبضوا الشيخ مسعود، و أشعلوا نار الفتنة، و قامت الحرب بينهم و بين أصحاب الأمير على ساق، و رمى أصحاب الشريف في من رموا رجلا من بني شعبه، يقال له: ابن أبي جمح، ففاضت روحه.

و قيل: إن غاره القلعه لم تأت إلا و قد قبض الشيخ مسعود، و أدبر أصحاب الأمير بعد غاره القلعه إدبارا مذموما، و تبين ما كان يظنّ بهم من الثبات موهوما، و كان هذا اليوم يوما مشهودا، أول خبره مبشّرا، و آخره مزعجا منذرا، البس المسلمين ثوب النكايه و الحزن، و أظهر منهم ما كان من الغمّ قد استكنّ، و أوصل الشيخ مسعود إلى القلعه، و أمر الشريف بإيداعه السجن.

و بعدها أرسل الأمير أخاه خيرات بن حسن إلى اللحيه لاستئجار موادّ أمر بها الإمام معونه في هذا الجهاد، و ربما شاع أنّ عزمه كان للمجىء مدافع و لم يصحّ، و في بعض أيام الحصار سلمت الطائفه التي بيندر جازان، فملك الأمير البندر.

و في هذه الأيام أعنى أيام قبض الشيخ مسعود فما بعدها تظاهرت الأخبار بنزول السيّد الرئيس حسين بن علي إلى البار و المعنق، و ربما هزّ ذلك من عطف الشريف و أصحابه، رجاء لكشف الغمّه التي آلت بهم.

و لم تزل أيدي الرجاء منهم لذلك العارض ممدوده، و سحاب ذلك العارض بضمّ حبال المشرق مشدوده، و من قوّه رغبه (١) الشريف في التنفيس لذلك الضيق، و مبالغته في أن لا يجد صاحب صعده في الاخلاص له و الانقطاع إليه من طريق، أرسل ولده أبا طالب إلى ولده السيّد الرئيس حسين بن علي كالوثيقه، و بقى عنده بالمعنق أياما، و لم يكن لذلك جدوى و لا نفع.

و لم يزل الشريف ينتظر تلك المواعيد، و يحرص على صدقها الحرص الشديد، حتّى تبين الصبح لذي عينين، و رجعت آماله فيه بخفى حنين، و كان في طين عقم خريم زرع، فلمّا أضرتّ الحاجه بنخيل الشريف، استمدّ أصحابه منه إغاثه لها، فبلغ ذلك الأمير، فأذن للناس في استهلاكه؛ لئلا يظفر بذلك الشريف و أصحابه.

و خرج -أعنى: الأمير- بنفسه، و معه أكثر الجند أو كلّه، إرادته لذبّ أصحاب الشريف عن الأخذ من ذلك الزرع، و حمايه للتصرّف من أصحابه، و أهل القرى من أن يمسه أصحاب الشريف بسوء.

و كان ذلك الخروج يوم الخميس تاسع عشر شهر ربيع الآخر بعد مضي شهر

ص: ٤٨٤

(١ - ١) في «ن»: زعبه.

و ثلاثة أيام من وصوله إلى القعدة، و انتشر الجند، و أقدم اولى الحاميه من الحيل (١)، حتى قربوا من القلعه بنحو ميل.

فلما راهم الشريف و أصحابه مع ظهور النفع الذى أثاره الجند، وقع فى أنفسهم أن هذا قصد لهم و استعدوا، و خرج منهم من العسكر و الفرسان من خرج، فالتقى جماعه من أصحاب الشريف، و جماعه من القبائل التى مع الأمير، و التحم القتال، و انهزم أصحاب الأمير، فولوا مدبرين، و اصطدم جماعه من أصحاب الأمير، و جماعه من فرسان الشريف، و شمرت الحرب بينهم عن ساقها، و تجالدوا مجالده عوفيت عن مذاقها.

و لما طال بينهما المصاع، و ظهر الأمير و كان مقيما بعيدا عنهم عنوان المصادمه و ضاع، حمل بمن معه حملة نكص معها أصحاب الشريف على أدبارهم، و رش بما حملته على ما أشعلوه من نارهم، و كان ذلك هو الفرجه، و انقلب أصحاب الشريف مهزومين، و أصحاب الأمير مسرورين، و كان هذا اليوم يوما مشهودا، ضيع فيه الأمير الحزم بعدم الإكثار من عدّه الرمي، لظنه أن الحال لا تؤول إلى ما إليه آلت، و لكن الله سلم، إنه عليهم بذات الصدور.

و لم تزل أحوال الشريف تشتدّ و تضيق، و لم تجد إلى انفكاك ذلك من سبيل أو طريق، فخرج له العسكر الذين صابروا معه، و كان عدّتهم نحو سبعمائه، بأن لا طاقه لهم بعد هذا الضيق على الإقامة.

لكن لما قد أسداه إليهم من النعم السابغه، و لما انقضى به حقّ الصحبه الكامله

ص: ٤٨٥

١ - ١) فى «د»: الجبل.

البالغه،قالوا:أنت مخيّر في ثلاث:إحداها أن نخرجك (١)مّمّا وقعت فيه،و نسيرك إلى أى مكان أردت،بأذلين أنفسنا قبل نفسك.

و ثانيها:أن تقدم على هؤلاء القوم الذين سدّوا عليك طريق المبرّه،و فعلوا في جانبك الأفعال الكبيره،فإمّا أن تظفر بهم،أو يبلغوا فيك قصارى رأيهم (٢).

و ثالثها:أن تأذن لنا فى الارتحال،بطيبه نفس منك و سكون بال،أو لأنهم اقتصروا على الاثنين الأولين،أو أنّ الثالثه غير ما ذكرت غاب عنى حقيقه ذلك، فأخاله (٣)طلب المهله فى ترجيح أحد الثلاث.

ثم رجّح بعد ذلك الاقدام،و القصد لاولئك الأقوام،و أمر من بأبى عريش بالتأهب لذلك و الاستعداد،و واعدهم بالتحرب لليوم الذى أراد،و خرج من القلعه صبح يوم السبت تاسع و عشرين شهر ربيع الآخر بمن معه من الأجناد متنمرا، و لخلق الحديد مستشعرا،بجأش أثبت من الصخر،و عدّه تسهل ما صعب من الأمر،و لسان حال ينشد مخاطبا لنفسه،و معرّفا لها بما هو آيل إليه من الحلول فى رسمه:

أقول لها و قد طارت شعاعا من الأبطال و يحكك لا تراعى

فإنك لو طلبت بقاء يوم على الأجل الذى لك لم تطاعى

فإن الموت غايه كلّ حىّ و داعيه لأهل الأرض داعى

و كتب-أعنى:الشريف-إلى الأمير و بنى شعبه فى ذلك اليوم كتبا،مضمونها:

ص:٤٨٦

١-١) فى «ن»:يخرجك.

٢-٢) فى «ن»:آرائهم.

٣-٣) فى «ن»:فأحاله.

إنكم توتون لنا فى الطريق للمضى فيها. و خرج من أبى عريش من أجناد الامراء بخروجه على حسب ما بينهم من المواعده، و جاء الأمير بذلك الخبر اليقين الذى لا شك يمازجه، و لا كذب يشويه أو خالجه، و قد كانت أجناده و إن كثرت، كما قال من له الوجوه عنت: **تَحَسَّبُهُمْ جَمِيعاً وَ قُلُوبُهُمْ شَتَّى (١)**.

و أخذ فى جمعهم للقيا الشريف، فاجتمعوا بصفه مؤذنه بالخذلان، و معلنه بعدم الثبات أى إعلان، و صفوا بما فى قريه العقده و شرقها، صفوفا تملأ الفضاء كثرتها، و كان بعضهم يتسلل لو اذا بين الصفوف، و بعضهم يرجع إلى موضع إقامته بالقريه، يدعى أن له غرضا سيأخذه و يعود، و كان الأمير ميسره الجيش، و النقيب سنبل الميمنه، و بنو شعبه و أجنادهم القلب، و كان الشريف و أصحابه يمشون زحفا مقدمين، و أجناد بنى شعبه يقهقرون مدبرين.

فلما تراءى جمع أصحاب الشريف المقبلين من أبى عريش، و أصحاب النقيب سنبل، ارتموا بالبندق، و بعد ارتمامهم نكصت القبائل على عقبها موليه، و الأمير مقيم بموضعه، و ذوو الثبات من بنى شعبه كذلك، حتى خذلهم الجيش قبل المصادمه و الالتحام، و نطقت لهم ألسن القرائن بالانهزم، و عمل أصحاب الشريف بعد أن ظهرت لهم قرينه الظفر، و أعطاهم العيان من ذلك ما لا يعطيه الخبر **(٢)**، فولى من ثبت من الأمير و أصحابه، و دخل أول الجيش من أصحاب الشريف القريه.

و لما علم صاحب خزانه الأمير بظهور الشريف، حرق البيت الذى كان فيه

ص: ٤٨٧

١- ١) سورة الحشر: ١٤.

٢- ٢) فى «ن»: الحسين.

الأمير على ما فيه، وصادفه بعض أصحاب الشريف هناك فقتله، وأشعل النار في غيره من البيوت، وانتشر أصحاب الشريف في القرية طلباً للطمع، وانكشفت عورات نساء العقده، وسلبن أثوابهن، وتبع أصحاب الشريف الهاربين من جيش الأمير وغيرهم، فقتلوا من لحقوا، وأخذوا ما وجدوا من المواشى وغيره، وكان بقرية العقده أموال جليله نهبها أصحاب الشريف.

وانتشر خبر الهزيمة في وادي جازان، فوجم لذلك المسلمون، وأيقنوا بأنهم هالكون، وخفّ منهم العقل وطاش، وأثبتوا على ظهر البسيطة كتابات (1) الفراه، وكان هذا اليوم يوماً مشهوداً، يشهد معانيه بأنّ بالمسلمين حتفاً نزل، وأنّ الساعة قامت، فالآخر من هذه الامّة يتبع الأوّل.

وروى أنّ الشريف كان في آخريات الجيش، لمّا اتصل به الخبر بانهزام الأمير، وثب من صهوه دابّته وسجد لوجهه المشرق شكراً، وأمر العسكر أن تكفّ عن متبع الهارب، وحطّ ركابه بمدينة أبي عريش، وجاء للعسكر في يومه هذا بما ينيف عن سبعائه دينار.

وانتهى الأمير في إدباره إلى قرية الريان، ورام أن يقيم بها عوضاً عن العقده، فرأى بالناس فشلاً وذلّاً لم يبق معه بالإقامه فيها، ولم يبق معه من تلك الأجناد إلّا نحو الربع أو أقلّ، وكان من عسكره جماعه ممّن به النفع، لمّا حصلت الهزيمة تحصّوا بدار من دور العقده، وحاط بهم عسكر الشريف واستسلموا، فقبضوهم وأصلوهم معهم إلى أبي عريش.

وقتل في ذلك اليوم جماعه لم أقف على حقيقه قدرهم، وتفرّقت الامم القاطنه

ص: ٤٨٨

(١ - ١) في «ن»: كانفثاث.

بوادى جازان شذر مذر، و فقد الأخ أخاه، و الولد امه و أباه، و لم يجتمع شمل الناس إلا قريب اسبوع، و بعضهم بعد يومين أو ثلاثه و قد أضرب به الجوع، و اهتزت من هذه الواقعة الأرض، و ضاقت على من بظورها مع طولها و العرض.

و فى يوم الأحد أصبح أصحاب الشريف منتشرين بوادى جازان للطمع، و قد كان الشريف ألزم أخاه الشريف حسن بن غالب بالتقدم إلى الأمير لاستئصال شاقته، بعد أن بلغه استقراره بقريه الريان.

فلما رأى الرائي أول أصحاب الشريف المنتشرين لقصد الطمع، جاء إلى الأمير و قال: هذا الشريف وصل، فركب الأمير لقصد اللقاء، و رأى ممن بقى معه توانيا لا يظنّ معه ثبات، و صمم على الارتحال خشيه من حصول ما هو أعظم ممّا قد جرى، فصرف عنان دابته مدبرا، و انتهى فى إدباره إلى حرض، و كان بمن وصل معه من الجند لا يبلغون المائتين، و الخيل نحو العشر، و كلّ ذلك أقلّ من العشر ممن كان مجتمعا بقريه العقده معه.

و بنو شعبه لَمّا بلغهم أنّ أصحاب الشريف منتشرون بالوادى، ركبوا آخذين فى طلبهم، و لم يرجعوا إلى الريان بعد ارتحال الأمير، و ارتحلوا من فورهم إلى مدينه صيبا، و قد كان بعضهم أظنه ارتحل فى اليوم الأول، ثم ارتحلوا فى اليوم الثانى من وصولهم إلى الدرب، و الشريف حسن بن غالب كأنه بلغه إدبار الأمير، فقعد عمّا ألزمه الشريف به من نهوض فى ذلك اليوم.

و كان من لطف الله عزّ و جلّ، و حلول بعض الآمن فى الوجل، أن أظهر الشريف الصفح و العفو عن جميع الناس، و صاح بالأمان، فسكن ما فى القلوب من الروع، و رجع من كان فرّ على سبيل الطوع، و كلّ من اجتمع بالشريف لا يروى عنه إلا ذلك الذى ذكرناه من الصفح، فقوّت بذلك العيون، و آنست النفوس إلى القرار

و بعد أيام أرسل إلى صبيّا أحمد بن محمّد بن حسين واليا، و كان قد تجرّع معه مصاب الحصار، و أسلمته فيما يكره من ذلك الأقدار، و بعث الأمير الرسل بالكتب إلى الجهات التي يرجو منها الإغاثة تعريفا بما جرى، و وجّه إلى الإمام أخاه الأمير خيرات بن حسن يستنجده و يعرفه و يستمدّه، فخرج من حرّض أظنه يوم الربوع ثالث يوم من شهر جمادى الاولى، و لما رأته بعد الاجتماع به في حرّض في همّه العزم إلى الإمام، أنشدته قول عباده بن مسلمه معبرا عنه:

فلئن بقيت لأرحلنّ لغزوه نحو الغنائم أو يموت كريم

فقال: بل لأقبلنّ. فلمّا اتّصل بالإمام الخبر كبر ذلك عليه، و أخذ في توجيه الأجناد، و الحثّ في ذلك بالإقامة و الإقعاد، و كانت السرايا تصل إلى الأمير تترى، و الشريف يمكث إلى العشر الوسطى من جمادى الاولى.

و جهّز الشريف على بن حسن و معه من الخيل ما ينيف على الثلاثين، و انتهى إلى قريه الصمدى بوادى ليه.

و كان بقريه التاهره عسكر من قبل الأمير في شأن واجب كان، فكاتبوا الأمير يخبرونه بقدم الشريف على بن حسن إلى قريه التاهره، و قد تفرّق أهلها منها خوفا، و ألزمهم بإرجاع من يحتاج إليه للطحن و نحوه من النفاعات، و كان يظلّ النهار بالقريه، و يبيت الليل بعيدا عنها.

ثمّ توجه الوزير سنبل، و السيّد حسن بن أحمد المرتضى بجيش، و أقاموا بقريه سامطه (1)، و تصوّبوا على تلك القريات، و أخذوا أطعمتها، و ألزموا بإقامه سوق

هناك، و كان من يظهره أنه الغرض افتتاح أرض اليمن، و كانت الخيل قد تقصد إلى طرف حرض لأخذ ما أمكن أخذه.

و بنى الأمير بذلك الموضع متارس، خوفا من بادرتهم، و أخذوا بالحزم، و لو أنه فعل مثل ذلك بقرية العقده لرجى له عدم الانهزام، و اجتمع لديه فى حرض من الأجناد، ما يكثر قدره، و يعسر ضبطه و حصره.

ثم صمّم فى يوم من الأيام فى شهر جمادى الاولى أو أول الآخرة على القصد للشريف على بن حسن، و قد كان أله فى أخذ الوزير و تابعيه، فجمع أجناده، و حمل حملته هى له معتاده، فانهمز الشريف على بن حسن، و قد كان لثما بلغه إقدام الأمير استدعى الوزير، فرحل إليه.

و لما بلغ نصف الطريق غشيه من يَمّ جيش الأمير ما غشيه، فولّى مدبرا و لم يعقب، و اندعر جيشه انزعارا عظيما، و مزّوا بقريةهم التى كانوا بها مقيمين هاربين، كأن لم يغنوا فيها بالأمس، و اضمحلّ جمعهم الذى كان بعين الاعتزاز مرقوما، و زهق ما روجوه من القعقه من الباطل، إنّ الباطل كان زهوقا، و مات بعضهم من الطرد و الظماء المفرط، و نهبت الأموال التى كانت بقرية سامطه، و كانت أموالا جليله.

و كادت هذه الواقعة أن تضاهى وقعه القعده لو لا عموم المصيبة بتلك، و خصوصها بهذه و بعدها تفاقده من الشريف ريشه، و أيقن بالعجز، و أعمل الفكره فى كفيته المخلص، و ضاقت به مسالك الرأى، و عاد حائرا فيما وقع فيه حيره من أسلمه البغى، و استشار بعض أعيان الزمن ممن كان قد قلب له ظهر المجن.

و كان قد جلب الدهر سطوته (١)، و تأدب بصروفه، فأفضى إليه حقيقه حاله، و استمدّ منه رأيا يهديه إلى فعل ما فيه حسن مآله.

فقال له ذلك المستشار: هل بقي لك طمع في الإمام؟ قال: لا، قال: هل بقي لك طمع في صاحب صعده؟ فقال: لا.

و أوقفه على خطّ صدر منه، مضمونه: إنّ الأهلين و الأولاد الذين اشتدّت بهم أيدي النوى ساروا في الطريق مقبلين، و قد أذن الإمام بفكّهم و إيصالهم، و لا يحسن التحرّك للنصره مع هذا.

ثمّ قال الشريف للمستشار: هل بقي في أهل هذه القرى نجده؟ فقال له ما معناه و حاصله: لا تطمع فيهم لنيل أرب، و لا تؤمّل فيهم نجاحا لمطلب (٢)، فقال: لم؟ قال: لأنهم مع ما في قلوبهم لك من البغضاء شوكتهم و عمدتهم امراء صبيبا، و قد علمت ما هم عليه الآن من الضعف، فقال له: المال إن بذلته رجوت خلوصك، فقال ما معناه: يبق عندنا ما ينفع؛ لأنّ لنا أشهرا نخرج و لا ندخل.

فقال له: إذن لا- يكن نظرك إلّا- إلى الله، و حسن ما أضمرته من التيه بينك و بينه، فقد ضاقت عليك المسالك، و أسلمك المقذور.

و صرّح له الشريف بأنّ من بقي من أصحابي لست بواثق بهم، و أنّهم أوّل من يمسنى بسوء عند زلّه النعل، و ليست إقامتهم الآن من أجلى، بل من أجل أغراض لهم خاصّه، فارتحل من لديه المستشار، و هو من الفكر في بحار.

و في هذه الأيام: فكّ الشريف الشيخ مسعود بن جابر، و كان قد استشار هذا

ص: ٤٩٢

١- ١) في «ن»: شظرته.

٢- ٢) في «ن»: لطلب.

المستشار في أمره، فأشار بفكّه.

ثمّ تعقّب هنا وصول السيّد الأجلّ، فخر الدين عبد الله بن محمّد المحرابي من عند الإمام، وأمورا بتجهيز الشريف، و تكليفه بما يحتاج إليه، و كان ذلك للشريف من السعد، و إقامة ما كاد أن ينهدم عليه من بنيان الجدّ.

و أقام السيّد عبد الله بحضرة الشريف فوق عشرين يوما يجمع له ما يجهّزه من المال و الجمال، فروى أنّ الذي سيّره إليه من النقد ثلاثة آلاف قرش، و من الجمال نحو المائتين أو أكثر.

و لما كمل تجهيزه، ارتحل من أبي عريش ثالث عشر شهر رجب سنة خمس و مائه و ألف، فكانت مدّه لبثه باليمن منذ دخل إلى أن خرج ثلاث سنين و نحو عشره أشهر، فأقام بصبيا يومين، ثمّ ارتحل إلى الدهنا، ثمّ من الدهنا إلى الشام يوم الإثنين سابع عشر شهر رجب المذكور.

إنتهى النقل من تاريخ الأديب الفاضل نور الدين علي (1) بن عبد الرحمن بن حسن

ص: ٤٩٣

١ - ١) لم أعثر في هذه العجالة على ترجمته، نعم هناك جماعة من البهكليين، ذكرهم ابن زبارة في كتابه نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر من هجره سيّد البشر، نذكر جملة منهم: ١- القاضي أحمد بن الحسن بن علي البهكلي التهامي، ولد بمدينة صبيا سنة (١١٥٣) و توفّي في مدينة أبي عريش سنة (١٢٣٣) نيل الوطر ١: ١٧٠-١٧٥. ٢- القاضي أحمد بن محمّد بن الحسن البهكلي المتوفّي سنة (١٢٢٧) نيل الوطر ١: ٣٢٦-٣٢٧. ٣- القاضي إسماعيل بن عبد الرحمن بن حسن البهكلي التهامي، المتوفّي سنة (١٢٤٢) نيل الوطر ١: ٤١٢.

ابن شمس الدين البهكلي المتقدّم ذكره، و بيان وفاته (١)، النوادر (٢) و الغرائب الحادّته في دوله الشريف أحمد بن غالب.

و لقد أطلنا النقل منه إلى الغايه، و تعدّينا فيه حدّ النهايه، و إنّما السبب الذي ألزّنا بذلك هو التحاصي على نقل مآثر الشريف أحمد الصادره عنه في شرافته لمكّه، ثمّ ارتحاله إلى اليمن و تلك الممالك، ثمّ و لا يخلو هذا النقل من أن ترد في

ص: ٤٩٤

١ - ١) لم يتقدّم ذكره و لا - ذكر وفاته و لا ذكر كتابه هذا، و لم أعثر على ترجمته حسب و سعى في كتب التراجم و المعاجم، و هو مسلّم من المعاصرين للسيد رضی الدين مؤلّف هذا الكتاب و والده.

٢ - ٢) لعلّ اسم تاريخه هو كتاب النوادر و الغرائب الحادّته...، أو لعلّ العبارة أن تكون هكذا: و بيان وقائع النوادر و الغرائب الحادّته... الخ، و الله العالم.

أثنائه فائده شريفه، و نكات لطيفه، و قطع شعريه، و لمع نثريه، و بحوث أدبيه، و أمثال عربيه، و الجمع يتبع المناسبه، لا المشاحه و المحاسبه، و ممّا قيل فى هذا الباب:

إن لم أقل هذا و هذا و ذا بأى شىء كنت أملا الكتاب

و نرجو الله أن يكون عذرنا هذا مقبول، عند ذوى الانصاف من أرباب العقول.

فصل

إشارة

فى الجواب عن الاعتراض على والد المؤلف

تقدّم فى أثناء ما نقلناه من هذا التاريخ (1)، اعتراض من مؤلفه المذكور على والدنا و سيدنا العالم العلامة، و الفاضل الفهّامه، ذى الأدب الوافر الغضّ، و النسب الواضح المبيض، المنشد فيه لسان ابنه الأبي، لكلّ عارف و غيبى:

هذا أبى حين يدعى سيد لأب هيهات ما للورى يا دهر مثل أبى

السيد الأجلّ الأجد الأفر، السيد محمّد بن على بن حيدر، أدام الله شريف وجوده، و منيف آبائه و أجداده، و ذلك عند زبره لتصديره و تعجيزه، للبيتين المشهورين:

بأهلى و مالى جيره ما استعنتهم على الدهر إلا و ارتجعت معانا

أراشوا جناحى ثم بلّوه بالندى فلم أستطع عن حيّهم طيرانا

فقال أوّلا معترضا على صاحب هذين البيتين، بما صورته:

قلت: و فى استعمال «ارتجع» بمعنى «رجع» تأمّل؛ لأنّ أهل علم الصرف ذكروا مجيء افتعل للمطاوعه فى غير العلاج و الاتّحاد، و للتفاعل و للتصرف، و لم يذكروا

ص: ٤٩٥

(١-١) أى: تاريخ الأديب نور الدين على البهكلى.

مجيئه بمعنى فعل، كما ذكروا ذلك في تفاعيل و استفعل، ثم قال بعد إيراد التصدير و التعجيز، و هو:

بروحى و مالى جيره ما استعنتهم فحبت و لا ظنى المصدق خانا

و لا جئتهم مستنجدا صارخا و لو على الدهر إلا و ارتجعت معانا

أراشوا جناحى ثم بلوه بالندى لكى أتقى فى ظلهم فأصانا

و عندهم استوطنت و كرا بروضه فلم أستطع عن حيمهم طيرانا

و كله حسن، إلا- تعجيزه بقوله «أراشوا جناحى ثم بلوه بالندى» بقوله «لكى أتقى فى ظلهم فأصانا» كما لا يخفى ذلك على المتأمل العارف بمواقع الألفاظ و لطائف المعانى.

يوضحه: إن قوله «جناحى» إستعاره مصرّحه، و الأراشه ترشيح، و قوله «ثم بلوه بالندى» تشبيه لآتصال النعم إليه، و ترادفها عليه، بعد خبر حاله النهاض بالبلّ للجناح الكامل الرشّ فى ترتّب التحيز و المكث، و عدم القدره على النهوض بعد كلّ منهما، فهو استعاره مصرّحه تبعيه.

و قوله «فلم أستطع عن حيمهم طيرانا» تفرّيع على الاستعاره بما يلائم المستعار منه من عدم استطاعه الطيران، فالاستعاره مرشّحه، فما أبلغ هذا الكلام مع التثام صدره و عجزه غايه الالتئام.

و أمّا تعجيز السيّد له بما ذكر، فهو منفكّ عنه غير ملتئم به؛ إذ لا مناسبه بين البلّ للجناح و الاثقاء و الصون، و لو قال: لكى أتقين بنون التأكيد الخفيفه داخله على المضارع لكان مناسبا، و يكون تجريدا لا ترشيحا، و دخول نون التوكيد على المستقبل الذى هو خبر محض غير منفي، و إن كان غير جائز فى الشفه، فللشعر أحكام تجوّز له ما يخطر على غيره، و الله سبحانه أعلم. إنتهى كلام السيّد المؤرّخ.

فاتفق أن وصل هذا التأريخ إلى مكة المشرفة، و عرض على سيدي الوالد دام بقاءه ما أورده السيد المذكور، فأجاب عن الإيراد بما هو كالصحيح وضح لذي عينين، و كنت رأيت الجوابين مكتوبين على حاشيته تلك النسخة بخطه الشريف و منه نقلت، فكان جوابه عن الإيراد الأول ما هذا صورته:

قال ابن مالك في التسهيل: و منها تفاعل، و هو للاشتراك في الفاعلية لفظاً، و في المفعولية معنى، و لمطاووعه فاعل، و للظهور في صفة ما تخيلاً، و قد يوافق إفعال و تفعّل و إفتعل، و إن تعدّى هو أو تفعّل دون الثاني إلى مفعولين تعدّى معها إلى واحد، و إلاّ لزم، و ربما ساوت هذه الخمسة المجرد، و أغنت عنه. إنتهى.

قلت: و هو نصّ على مجيء إفتعل بمعنى فعل.

و في المفصل للزمخشري: و بمنزله فعل إفتعل، نحو قرأت و اقترأت.

و إنّما الإيراد الذي كان ينبغي للمورد أن يتتبه له: أنّ مثل هذا موقوف على السماع، و ليس بقياسي، و لم يسمع ارتجع بمعنى رجع اللّازم، ألاّ ترى أنّه ليس لنا أن نستعمل كلّ فعل على وزن فاعل، أو استفعل بمعنى فعل، فلا نقول ضاربت و عاملت و راجعت، بمعنى ضربت و عملت و رجعت، و إن جاء من العرب سافرت بمعنى سفرت، و قس على ذلك غيره، فكلّ هذا الباب سماعي، فمنه بكثره، و منه بقله.

و يمكن أن يجاب عن ذلك: بأنّ ارتجعت متعدّد، و المفعول محذوف، أي:

ارتجعت نفسي، كما قالوه في قوله تعالى وَ لَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ (١) و الله أعلم.

ص: ٤٩٧

و جوابه عن الإيراد الثاني هذا صورته أيضا: قوله «جناحي» استعاره مصرّحه، و الأراشه ترشيح عجيب، فإنّ الترشيح لا يكون إلا بعد تمام الاستعاره، و كيف تتمّ الاستعاره من مجرد لفظه «جناحي» حتّى تكون الأراشه ترشيحا لها؟

و الصحيح أنّه من الاستعاره بالكنايه، شبّه نفسه فى المعاش بالطائر فى القدره على الطيران تاره، و عدمها اخرى، و أثبت لنفسه الجناح تخيلا، كالأظفار فى قوله «و إذا المتيه أنشبت أظفارها» و أراشوا مثل أنشبت، و ليس من الاستعاره المصرّحه إلا على رأى عبد القاهر الذى نقله فى المطوّل فى أبحاث الاستعاره بالكنايه، فراجعه يظهر لك.

و قوله «ثمّ بلّوه بالندا تشبيه» الخ، هو استعاره تحقيقيه تبعيه؛ إذ قد طوى ذلك ذكر المشبّه لفظا و تقديرا، لكن شبّه جودهم عليه و إنعامهم بالبلّ للماء (1) فى الشمول و السريان فى المبلول، و جعل البلّ للجناح ترشيحا للاستعاره السابقه، لا كما ذكره المورد فى وجه التشبيه و الترشيح.

ثمّ رشح هذه الاستعاره المتضمّنه لترشيح الاستعاره السابقه بترتيب قوله «فلم أستطع عن حيّهم طيرانا» عليه.

و مثله فى هذا الترشيح بلا- فرق قوله «لكى أتقى فى ظلّهم فأصانا» بل هو أبلغ ترشيحا و أنسب بالمدح؛ لأنّ الاتّقاء للطائر يشعر بالبلل الحاصل من الغيث المتواصل، بخلاف عدم القدره على الطيران، فإنّه كما يحصل بذلك يحصل أيضا بصبّ الماء على الطائر دفعه واحده من غيث أو غيره، و لأنّه ادّعى أنّهم قصدوا ببلّ الجناح حمايته و صيانته فى دارهم، بخلاف «فلا أستطع» الخ، فإنّه لا يفهم ادّعاء

ص: ٤٩٨

قصيدهم إقامته فهو أمدح، فقول المورد «فهو منفك عنه» الخ من التغيير (١) في وجوه الحسان.

و أما قوله «و لو قال: لكي أتقين بنون التوكيد» الخ، فلم أفهم منه معنى إلا إخراج الشطر عن الوزن، والله تعالى أعلم بمراده. إنتهى كلامه رفع مقامه.

قصيده والد المؤلف في الشريف أحمد:

و ممّا بعث إلى الشريف أحمد من المدائح الشعريّة بعد ارتحاله إلى اليمن، و مفارقتة للعشيره و الوطن، قصيده فريده، كالعقود النضيده، أصدرها إليه سيدنا الوالد، لا زال حائزا للطرائف (٢) من المفاخر و التالذ، و هي أعراض قصيده ابن هانيء الأندلسي التي مطلعها:

فتقت لكم ريح الجلال بعنبر و أمدكم فلق الصباح المسفر

و هي من أشهر القصائد الطنّانه التي أودعها ناظمها محاسنه و إحسانه، و القصيده المشار إليها هي هذه:

بسقت بكم قضب الحديد الأخضر في روض عزّ من نداكم أنضر

أدنت قطوف النصر نحو أكفكم تحلو بمزان الوشيخ السمهرى

و تلاحمت بكماتكم اجم القنا لما غدت غيلا لكلّ غضنفرى

فتواثبوا بعزيمه تفرى دجى نقع الوغا عن صبح فتح أنور

و غدت بهم قتب الجياد كأنها الأطواد تحمل كلّ طود شمّرى

من كلّ مأمون أغزّ محجل يعدو بميمون أغزّ مشهرى

ص: ٤٩٩

١ - ١) في «ن»: التغيير.

٢ - ٢) في «ن»: للطريق.

متدرّج بجنابه متلّفّع بدلاصه متبرقع بالعنبرى

بدر يقارن من شهير حسامه مريخه و من السنان المشتري

فإذا عدى فى جحفل عصفت به هوج الذوارى من قوائم أشقر

و إذا انتدى فى محفل فانظر إلى علم أشم من الأنام مصور

من آل طه كلّ أبلج ممكن فى حلم أحمد بأس صوله حيدر

بشر تسير الجنّ تحت ركابه جيشا بطاعه أمرهم لا يمتري

كلّ يرى بذل الحشاشه مغنما فى نصرهم و وسيله فى المحشر

يلقى الكريهه دونهم إن أنعموا كرما بذاك بعزه المستبشر

من خير عدنان الذين تفرقت بولايتهم قحطان أهل المفخر

قوم ظهور العاديات حصونهم دع بطن حصن بالقلال معمر

و لهم حصون كالكوكب رفعه و مناعه من نيل باغ مجترى

عزت فلم يعلق بذيل بنائها عزم البيوت إلى مطار الأنسر

خاضت فضاء الجوّ حتّى خالها متخيل فوق البسيط العنصرى

فغدت لأقواس البروج كأسهم ركبّين إلا أنّها لا تندرى

و لهم صواعق من بنادق أرسلت برد السحائب من رصاص مسعر

لو رام راميههم إصابه ذرّه لم تحمها حجب العجاج الأكر

يسمو بهم رتب المعالى سيد هو فى الزمان فريد عقد الجوه

فكأنّها القدر المتاح إذا رمى لم يخط قطّ و دفعه لم يقدر

فإذا تبدّى بينهم حجب النهى عن أن تصوّر تبعاً فى حمير

و الاعتبار لهم نذير مشاهد عن ذكره الوضّاح و ابن المنذر

ملك أقلّ الناس من أتباعه يسمو على كسرى الملوّك وقيصر

ص: ٥٠٠

فيه علا آل الرسول تبلّجت و تارّجت بشذا الثناء الأعطر
قدس حكيم قد حوى من حكمه خيرا كثيرا شاده بتذكّر
فطن أريب لو تقدّم عصره أضحى به المنصور كالمستنصر
شهم قوى فى المراس محاله يبدى عجائب جدّه فى خير
ندب جواد قبل إمعان النداء ينسى به معنى كأن لم يذكر
برّ تقى قاهر سطواته متذلّلا للقاهر المتكبر
متّم لله منتصرا له متلطف فى الحادث المتّم
قطب السعادة قد علا إقباله فى علم هرمس طالع الاسكندر
ما زال منصورا و حسبك آيه بالناصر المولى الإمام الأكبر
لما انتضاه فارتضاه صارما كانت ضرابته رقاب الأعصر
دع ذكر كسرى و ابن ذى يزن فقد محت القديم جلاله المتأخر
ما أفصح التاريخ فى أمثالها همما سمت أعلى مدا المتصوّر
هذا ولى الأمر ملجأ هاشم و وليه فى الودّ و النسب السرى
و الجوهرة الفرد العظيم تواصلت أسبابه بقسيمه فى الجوهرة
أولاه منه عنايه مشموله بأشعه النظر السديد الأنور
لو لا حظت افق المطالع ما بدا منه علينا غير سعد أكبر
يا أحمد الأملاك صفوه أحمد نطق الوجود بحمدك المتكرّر
ما إن أساء الدهر إلا كنت فى ربّ الثنا يسر الزمان الأعسر
خلق الإله لذاك ذاتك فى الورى أبشر فأنت إليه خير ميسر
فاستجل أبكار السعود و عونها أبدا ورح فى شكرهنّ و بكر

واهنأ بشهر مثل ليله قدره أسرار مجدك في خفاء مظهر

ص: ٥٠١

و اسلم و دم عودا على أعياد و العود أحمد في جميع الأشهر
هذا و تأخير المدائح عذره باد و صفحك ستر كل مقصّر
فلئن ملأت بها الصفائح سابقا فلأجرينها لاحقا كالأبحر
و لئن قصرت على علاكم نظمها فلذاك خلق لست عنه بمقصر
و الشوق عندي للمثول لديكم شوق الغريق إلى الفضاء التبر
قد جال بين الباز و الطيران في جوّ المنى حصّ الجناح المقدر
دام البقاء لكم على نيل المنى بصعود مجد في النعيم الأنضر (1)
و إذا بكم ريش الجناح فإنّه تعيا الجوارح خلفه إذ تنبرى
حسبي من النظر الشريف إشارة فيها استقامه نجمي المتحير
و له فيه قصيده اخرى، قدح فيها زند بلاغته و أوري، و هي هذه:
جياذ العلا غاياتها الفخر و الذكر و مضمارها غرّ الخلائق لا القفر
و ميدانها روض النفوس و رأيه مخالفه العادات كي يحلو المرّ
و حبّ الثنا مثواه صدر مهذب فسيح إذا ما ضاق بالحادث البرّ
و ما افتضّ أبكار المعالي سوى امرىء إذا رامها فالروح يبذلها المهر
و ما عنت تلك العذارى لو أنّها تميل لما تصبو به الخرد الخفر
و لكنّها تصبو إلى الباسل الذي له الزغف قمص و الدماء هي العطر
مضى في اعتناق السمر و البيض عمره و ما هي إلاّ البيض و الأسل السمر
و ما ساد إلاّ من يسود بهمه و نفس هما ماء الغمامه و الخمر
توزّع بين البذل و البطش كفه كما قلبه في كلّ همّ له شطر

١-١) في «ن»: بصعود مجد في خفاء مظهر.

عزائمہ الشہب الثواقب حیثما هوت لشیاطین الخطوب بها دعر

و دون اقتناء المجد مصعد أخشب ترى تحته الأعلام و هی الصوی الشغر

منیع تزلّ العصم عن صهواته و يعجز أن یرقی أواسطه النسر

ألا ربّ عزم قد نحاه فدکّه كما اندکّ حفق بالریاح له نبر

و ما زال من سنج الجبال و إنّما هو الرأى ثمّ البطش و الجود و الصبر

و مصداق ما قلت الشریف ابن غالب فشاہده یوضح صحّہ الخبر الخبر

قلت: لم أجد من هذه القصیده الغزاء إلا هذا المقدار، و إن كان کلّ بیت منها یرحل إليه و یزار، و خصوصاً بیت المخلص، فهو الذهب الخالص، و سیّد المخالصة، و إن نظرت إلى هذا الشعر و ما قبله بعین الانصاف فی الاختبار ألحقت ناظمه بمصاقع البلغاء، و بواقع الفصحاء من طبقه بشار.

و له فی هذا السیّد الشریف الأغرّ، مدائح هی فی جباه الأعصار غرر، و لأجیاد المعالی قلائد درر، و لو لا خشیه الملال، لأوردت لك جمیع ما له فیہ من الأقوال.

عود الشریف أحمد بن غالب إلى مكّ:

عودا إلى ذكر حضره الشریف المشار إليه، لا زالت هواطل الرحمة مترادفه علیه: و هو أنّه لما ظعن (1) من أراضی الیمن، توجّه إلى مكّ المشرفه فی عدد عظیم، و مدد جسیم، و أقبل علی صاحبها الشریف سعد بن زید، و من بها من الساده الأكارم، و القاده الخضارم، فی أواخر سنه خمس بعد الألف، و نزل فی محلّه المعروف به و هو الرکانی، و أقام به إلى انقضاء موسم السنه المذكوره، و فیہ عزل الشریف سعد بالشریف عبد الله بن هاشم، كما تقدّم بیان ذلك فی ترجمه

ص: ۵۰۳

(۱- ۱) ظعن ظعننا: سار و رحل، یقال: ظعنوا عن ديارهم، أى: رحلوا عنها.

ثم بعد أن اعتقل الشريف عبد الله بن هاشم المذكور، بعث إلى الشريف أحمد بن غالب بالدخول إلى مكه المشرفه، فدخلها في أوائل سنه ست بعد الألف، فاجتمع هو و الشريف عبد الله و محمد باشا صاحب جدّه المتقدّم ذكره في ترجمه الشريف سعد في بطن الكعبه المشرفه، و تعاهدوا فيها.

ثم استمرّ بمكّه المشرفه متداخلا هو و الشريف عبد الله، يتعاضدان في المهمّات، و يتساعدان في دفع الملمات، و استمرّا على هذه الحاله، و هو في غايه العزّه و الجلاله، إلى أن عزل الشريف عبد الله بالشريف سعد، فتوجّه إلى الديار الروميّه هو و صاحبه الشريف عبد الله بن هاشم، و استمرّ ثمّه إلى أن توفّي بها في سنه ثلاث عشره و مائه و ألف، رحمه الله تعالى رحمه واسعه.

أعقاب الشريف أحمد بن غالب:

و أعقب من الأولاد: السيّد أبا طالب، و السيّد جسّاس، و السيّد عبد المطّلب، و السيّد الظاهر، و ولدا صغيرا شقيقا للظاهر درج. و كلّ هؤلاء الساده قد ظهرت عليهم بعد الكبر مخائل الرئاسه و السياده، مع نفوس أبيه، و زعامه قرشيّه، و شجاعه حيدرّيّه، و همم إسكندرّيّه، و كرم متواصل، يهزأ بالغيث الهاطل.

بيض الوجوه كريمه أحسابهم شمّ الانوف من الطراز الأوّل

كيف لا؟ و هم:

شربوا بمكّه في ذرا بطحائها ماء الخلافه ليس فيه مزاج

فأبت أنفسهم الأبيّه إلاّ تسنّم ذروه المعالي، و كان ذلك محالا لمناقضه أحكام الأيام و الليالي، اختار كلّ واحد منهم مصرا من الأمصار، و تفرّقوا شفر بفر في سائر الأقطار.

فتوفى أبو طالب و جسياس بالروميّه، و الظاهر بالهند بقضاء الله المحتوم، و لم يمت بمكّه إلاّ عبد المطلب، و هذا حكم الدهر المنقلب، فرحمهم الله تعالى و رحم أباهم، و بوأهم دار الخلد، و بألطفه العميمه أولاهم.

يا بنى الزهراء واهما لكم و لأيامكم المقبله

كانت الدنيا عروسا بكم فهى اليوم تكول أرمله

إلى هنا انتهى الجزء الأول من الكتاب حسب تجزأتنا، و يتلوه الجزء الثانى من ترجمه السيّد الشريف محسن بن حسين بن زيد بن محسن بن حسين بن حسن ابن أبى نمى صاحب مكّه المشرفه، و أنا العبد الفقير السيد مهدي الرجائي عفى عنه.

ص: ٥٠٥

فهرس مواضيع الجزء الأول

مقدمه المحقق، ترجمه المؤلف، إسمه و نسبه ٣

الإطراء عليه ٤

مشايخه و من روى عنهم ٦

تلامذته و من روى عنه ٦

تصانيفه الرائعه ٩

أدبه و شعره ٩

ولادته و وفاته ١٨

حول الكتاب ١٩

فى طريق التحقيق ٢٦

نماذج من النسختين المخطوطتين ٢٧

تنضيد العقود الستيه بتمهيد الدوله الحسنيه ٣١

مقدمه المؤلف ٣٣

ترجمه الشريف قتاده ٤٠

ترجمه الشريف حسن بن قتاده ٤٨

ترجمه الشريف راجح بن فتاده ٥٠

ترجمه الشريف محمّد أبى نمى بن الحسن بن على بن قتاده ٥٤

ترجمه الشريف رميئه بن أبى نمى محمّد ٥٩

ص: ٥٠٧

ترجمه الشريف عجلان بن رميثة بن أبي نمى ٦١

ترجمه الشريف أحمد بن عجلان ٦٤

ترجمه الشريف حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمى ٦٥

فصل بديع ينطوى على فرائد من علم البديع حسن الابتداء ٦٨

ترجمه الشريف بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة ٧٣

الحوادث الواقعة فى دولة الشريف بركات ٧٧

وفاه ابن حجر العسقلانى ٧٨

وفاه السلطان مراد خان العثمانى ٧٨

وفاه السلطان جقمق ٧٨

وفاه الشريف بركات بن حسن ٧٩

ترجمه الشريف محمّد بن بركات بن حسن بن عجلان ٧٩

الحوادث الواقعة فى دولة الشريف محمّد بن بركات ٨١

فتح القسطنطينيه على يد محمّد مراد خان ٨٢

وفاه سعد الدين الكاشغرى ٨٣

تعمير مسجد ميمونه ٨٤

وفاه العلامه ابن همام ٨٤

وفاه السلطان اينال ٨٤

وفاه الشيخ عبد الكبير المتوكل ٨٤

وفاه السلطان خوش قدم ٨٥

إرسال السلطان قايتباى بخلع لشريف مكّه ٨٥

وقعه زبيد ٨٦

ص: ٥٠٨

بناء مسجد الخيف ٨٦

بناء مسجد النمره ٨٦

منع الحاج العراقي ٨٦

بناء سقف الكعبه ٨٧

ورود محمل العراقي ٨٧

بناء مدارس بمكّه ٨٧

غزوه جازان ٨٨

تغسيل داخل البيت ٨٨

حجّ السلطان قايتباي ٨٩

وصول المرسوم من السلطان قايتباي ٨٩

وقوع الحريق بالمسجد النبوي ٩٠

وفاه السلطان محمّد فاتح القسطنطينيه ٩٠

ظهور السلطان الشاه إسماعيل الصفوي ٩٠

وفاه السلطان قايتباي ٩١

وفاه الشريف محمّد بن بركات ٩١

ترجمه الشريف بركات بن محمّد بن بركات بن حسن بن عجلان ٩٢

الحوادث الواقعه في دوله الشريف بركات بن محمّد ١٠٢

قتل السلطان ناصر بن قايتباي ١٠٢

خلع السلطان قانصوه ١٠٣

خلع السلطان جان بلاط ١٠٣

القبض على القاضى ابن ظهيره ١٠٣

ص: ٥٠٩

ظهور دعوه إمام اليمن يحيى الحسينى ١٠٣

قتل مالك شيخ قبيله زبيد ١٠٤

تعمير عين حنين و سور جدّه ١٠٤

وفاه السلطان بايزيد العثمانى ١٠٥

خروج السلطان سليم إلى قتال أخيه ١٠٥

حجّ بعض نساء الغورى ١٠٥

توجه السلطان سليم لقتال الشاه إسماعيل الصفوى ١٠٦

وقائع السلطان سليم العثمانى ١٠٧

وفاه الشريف بركات بن محمّد الحسنى ١٠٨

ترجمه الشريف أبى نمى بن بركات بن محمّد بن بركات بن حسن بن عجلان ١٠٨

خطبه القاضى عبد اللطيف باكثر ١١٣

إهتمام الشريف أبى نمى بأهل الشرف ١١٨

وفاه الشريف أبى نمى ١٢٠

أدب الشريف أبى نمى ١٢١

تجديد سقف البيت و الميزاب ١٢٢

تشريك الشريف أبى نمى مع ولده الحسن ١٢٢

ورود محمل من طريق اليمن ١٢٢

ورود ميزاب من ذهب للبيت ١٢٣

إجراء عين عرفات إلى مكّه ١٢٣

عماراه المسجد الحرام ١٢٦

وفاه السلطان سليم خان العثماني ١٢٦

ص: ٥١٠

وفاه الشريف بركات بن أبي نمى ١٢٧

ورود مرسوم بالكتابه ١٢٧

وفاه القاضى حسين المالكى ١٢٨

وفاه قطب الدين النهروانى ١٢٨

وفاه الشريف أبى نمى ١٢٩

ترجمه الشريف حسن بن أبى نمى بن بركات ١٢٩

الحوادث الواقعه فى دوله الشريف حسن ١٤٠

بنايات و عمارات بمكّه ١٤١

وصول خيرات من السلطان مراد لأهالى مكّه ١٤١

وصول الشريف مسعود إلى مكّه ١٤٢

وفاه السلطان مراد خان ١٤٢

لبس الشريف ثقبه الخلعه ١٤٢

وفاه الحكيم داود الأنطاكى ١٤٣

وفاه الشريف ثقبه ١٤٣

ولايه عهد الشريف أبى طالب ١٤٣

وفاه الشريف حسن بن أبى نمى ١٤٤

ترجمه الشريف أبى طالب بن الشريف حسن بن أبى نمى ١٤٤

ترجمه الشريف إدريس بن الشريف حسن ١٤٦

ترجمه الشريف محسن بن حسين بن حسن ١٥١

ترجمه الشريف أحمد بن عبد المطلب بن حسن ١٥٨

ترجمه الشيخ عبد الرحمن المرشدى و سبب قتله ۱۶۲

ص: ۵۱۱

وجوب محبته ذريته رسول الله صلى الله عليه وآله ١٦٤

ترجمه الشريف أحمد بن مسعود الحسنى ١٧١

ترجمه الشريف مسعود بن إدريس بن حسن بن أبى نمى ١٩٤

الحوادث الواقعة بدوله الشريف مسعود ٢٠٢

وصول قانصوه باشا إلى اليمن ٢٠٢

نزول مطر شديد و تخريب البيت الشريف ٢٠٢

عمارته البيت الشريف ٢٠٣

وفاه الشريف مسعود ٢٠٣

ترجمه الشريف عبد الله بن حسن بن أبى نمى ٢٠٤

ترجمه الشريف محمّد بن عبد الله بن حسن بن أبى نمى ٢٠٥

ترجمه الشريف نامى بن عبد المطلب بن حسن بن أبى نمى ٢٠٩

ترجمه الشريف زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبى نمى ٢١٥

الحوادث الواقعة بدوله الشريف زيد ٢٢٥

وفاه الشيخ أحمد المقرئ التلمسانى ٢٢٥

وفاه الشريف أحمد بن مسعود ٢٢٦

وفاه الشريف إبراهيم بن الشيخ حسن اللقانى ٢٢٧

وفاه السيد هاشم الحبشى ٢٢٧

وفاه السيد أحمد شيخان باعبود العلوى ٢٢٧

وفاه الشيخ أحمد بن أبى الفتح الحكمى ٢٢٨

وفاه السيد أحمد بن محمّد الهادى ٢٢٨

وفاه الشيخ يوسف بن محمد البلقيني ٢٢٩

ص: ٥١٢

وفاه السيد سالم بن أحمد شيخان ٢٢٩

وفاه السيد نعمه الله الجيلاني ٢٢٩

تحقيق حول نسب الكيلانيه ٢٢٩

تجديد بناء الكعبه ٢٣٥

الفتنه العظيمه بمكّه المكرمه ٢٣٦

قدوم شعبان أفندي إلى المدينه ٢٣٦

وفاه القاضي أحمد بن عيسى المرشدي ٢٣٧

وفاه السيد علوي بن علي بن عقيل السقاف ٢٤٠

وفاه السيد محمّد بن بركات السقافي العلوي ٢٤٠

وصول بشير آغا الحبشي الطواشي ٢٤١

وفاه الشيخ تاج الدين زكريا النقشبندي ٢٤٦

وفاه الشيخ محمّد بن أحمد حكيم الملك ٢٤٧

وفاه الشيخ فتح الله النحاس الحلبي الشاعر ٢٤٠

إنشاء السيل و الحنفيه بمكّه ٢٤٤

قتل مصطفى بيك والي جدّه ٢٤٥

زياره الشريف زيد للمدينه ٢٤٦

تعمير قبه الفراشين بالمسجد الحرام ٢٤٨

إصابه الشاه جهان فلج ٢٤٩

وفاه السيد عمّار بن بركات الحسني ٢٤٩

وفاه القاضي عصام الدين العصامي ٢٧١

الغلاء و القحط الشديد بمكّه ٢٧٢

ص: ٥١٣

تعمير زمزم ٢٧٢

المطر و السيل العظيم بمكّه ٢٧٢

تعمير المقامات الأربعة ٢٧٣

خروج الشريف زيد لقتال قبيله جهينه ٢٧٣

كثره الأمطار و رخصه الأسعار ٢٧٤

وفاه الشريف زيد الحسنى ٢٧٤

ترجمه الشريف سعد بن زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبى نمى ٢٧٥

واقعه السيد حمّود و العساكر المصريه ٢٨٧

كيفيه الصلح بى سعد و حمّود ٢٩٠

الحوادث الواقعه فى دوله الشريف سعد ٢٩١

الغلاء العظيم و القحط الشديد بمكّه ٢٩١

إغارہ قبيله عتيبه على القوافل ٢٩٢

ظهور عمود من نور فى المغرب ٢٩٣

وصول عساكر المصريين إلى بندر جدّه ٢٩٣

قصد السيد حمّود نهب ينبع ٢٩٣

حمل الأرزاق إلى مكّه ٢٩٤

وصول الحجّاج المصريين ٢٩٤

ظهور ضوء هائل بالقرب من عين الشمس ٢٩٥

بناء الشاخص فى المسجد الحرام ٢٩٦

وصول حسن باشا إلى مكّه و نبذه من أخباره ٢٩٦

توجه الشريف محمد يحيى إلى قبيله بنى سعد ٢٩٨

ص: ٥١٤

وصول سلطان من سلاطين العجم إلى مكّه ٢٩٩

وفاه الشيخ عيسى الثعالبي ٢٩٩

وقوع صاعقه مهيله بمكّه ٢٩٩

وفاه الشيخ عبد الكريم بن محمّد المتوكّل ٣٠٠

تشريك السيد أحمد مع الشريف سعد ٣٠٠

في حال حسن باشا و ما وقع عليه و ما صدر منه ملخصا ٣٠٠

وصول حسين باشا السلحدار إلى مكّه ٣٠٣

ذكر الدول الأربعة للشريف سعد ٣٠٤

توجه الشريف سعد لمحاربه قبيله حرب ٣٠٥

عزل الشريف سعد عن شرافه مكّه ٣٠٦

القبض على الوزير عثمان حميدان ٣٠٧

الحوادث الواقعة في دوله الشريف سعد ٣٠٩

تغلب الأعراب على البصره ٣٠٩

وفاه عبد الله أفندي عتاقى زاده ٣١١

المطر و السيل العظيم بمكّه ٣١١

وفاه الشيخ أحمد القطان ٣١٢

توجه العساكر العثمانيه إلى البصره ٣١٢

وفاه الشيخ عبد اللطيف الشيبى ٣١٢

وفاه الشيخ عبد الملك العصامى ٣١٣

حصول وباء عظيم بمكّه ٣١٤

غزوه عنزه ٣١٤

ص: ٥١٥

وفاه العلامة أحمد أفندي منجم باشى ٣١٤

وصول الأمر السلطاني بقراءة حديث بدء الوحي ٣١٨

وفاه الشيخ حسن العجيمي المكي ٣١٩

نزول الشريف سعد عن الشرافه لولده سعيد ٣٢٠

ترجمه الشريف بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات بن أبي نمي ٣٢١

الحوادث الواقعة في دوله الشريف بركات ٣٢٥

خروج الشريف بركات لإبعاد الشريف سعد ٣٢٥

وفاه الشيخ إبراهيم الخياري المدني ٣٢٦

خروج الشريف بركات إلى قتال قبيله حرب ٣٢٦

وفاه القاضي عبد المحسن القلمي ٣٢٨

وفاه السيد حمود بن عبد الله الحسنى ٣٢٨

وفاه السيد أحمد بن محمد الحارث ٣٢٩

وفاه السيد عبد الرحمن المحجوب ٣٢٩

وفاه السيد محمد الحسينى الشامى نقيب الأشراف ٣٣٠

وفاه يحيى أفندي المنقارى ٣٣١

وفاه الشيخ على الأيزى المكي ٣٣١

وفاه السيد أبو بكر بن سالم شيخان ٣٣٢

وفاه القاضي أحمد بن عيسى المرشدى ٣٣٢

خروج الشريف بركات إلى الفرع ٣٣٢

خروج السيد سعيد بن بركات إلى الروم ٣٣٣

وفاه الشيخ محمد البكرى الصديقى ٣٣٣

ص: ٥١٦

وفاه الشيخ حسين بافضل ٣٣٣

وفاه الشيخ نور الدين الشبراملسى ٣٣٣

تهمه تلويث أستار الكعبه و الحجر و الباب ٣٣٤

وفاه السيد إبراهيم بن محمد الحسنى ٣٣٧

نزول مطر عظيم ٣٣٧

السييل العظيم بالمدينه ٣٣٨

الفتنه العظيمه بالمدينه ٣٣٨

ظهور نجم له ذنب طويل ٣٣٩

المطر و السيل العظيم بمكه ٣٣٩

وفاه السيد أحمد شيخان العلوى ٣٤٠

وفاه الشيخ محمد المنوفى ٣٤٠

وفاه الشيخ أحمد باعتر الطائفى ٣٤٠

وفاه الخطيب أحمد البرى المدنى ٣٤١

وفاه إمام اليمن أحمد المؤيد ٣٤٣

وفاه الشيخ حسن بن على الدهان ٣٤٣

خروج الشريف أحمد بن غالب من مكه ٣٤٣

وفاه الشريف بركات بن محمد ٣٤٤

ترجمه الشريف سعيد بن بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات الحسنى ٣٤٤

وصول الخلعه السلطانيه ٣٤٥

إخراج الشيخ محمد بن سليمان ٣٤٦

وصول الأمر السلطاني بتقسيم البلاد ٣٤٦

ص: ٥١٧

حوادث سنه أربع و تسعين و ألف ٣٤٨

وصول هديه جليله من الهند ٣٤٨

وفاه الشيخ محمّد المالكي السوسي ٣٤٨

إدخال القناديل إلى داخل الكعبه ٣٥٠

وفاه السيد محمّد بن أحمد ٣٥٠

توقّف الساده الأشراف من العرضه ٣٥٠

حوادث سنه خمس و تسعين و ألف ٣٥٢

وقوع أمر عجيب بمكّه ٣٥٣

وفاه الأمير يحيى بيك الحسائي ٣٥٣

وصول خلعه للشريف سعيد ٣٥٤

كثره البلاء و المحن بمكّه ٣٥٤

ترجمه الشريف أحمد بن زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبي نمي ٣٥٤

قدوم الوزير محمّد علي بن سليم ٣٦٣

وفاه الشيخ يحيى بن محمّد النابلي ٣٦٣

وفاه الشيخ أحمد البشيشي ٣٦٤

دخول شيخ آل ضفير إلى مكّه ٣٦٤

خروج الشريف أحمد إلى عنزه ٣٦٤

وزاره سليمان باشا ميرياخور ٣٦٥

وفاه السيد محمّد بن يعلى الحسنى ٣٦٥

وفاه إمام اليمن محمّد المؤيد ٣٦٥

ذکر ملوک الیمن ۳۶۶

ص: ۵۱۸

وصول الشريف أحمد إلى جدّه ٣٧٠

وصول خلعه سنه للشريف أحمد ٣٧٠

هدم البيوت الملاصقه بالمسجد ٣٧٠

حوادث سنه ثمان و تسعين و ألف ٣٧١

بناء الحائط على مقابر مكّه ٣٧١

وفاه الشيخ محمّد البخشي الدمشقي ٣٧٢

إخراج التكرود من مكّه ٣٧٢

عزل أحمد باشا والي جدّه ٣٧٢

الوباء العامّ بالطائف ٣٧٣

نصره المسلمين على الكفار ٣٧٣

حوادث سنه تسع و تسعين و ألف ٣٧٤

انزعاج الشريف أحمد بن غالب ٣٧٤

وفاه الشريف أحمد بن زيد ٣٧٤

ترجمه الشريف أحمد بن غالب بن محمّد بن مساعد بن مسعود النموي ٣٧٨

حوادث دولته و محاسنها ٣٨٥

وصول الأمر السلطاني و الخلعه للشريف أحمد ٣٨٥

خلع السلطان محمّد ٣٨٨

وفاه القاضي على المكي ٣٩٠

قتل محمّد عمّار ٣٩١

عزل الشريف أحمد بن غالب عن شرافه مكّه ٣٩١

نقل من كتاب تاريخ البهكلي حول ترجمه أحمد بن غالب ٣٩٢

ص: ٥١٩

استقرار الوزير سنبل بمدينه صبيا ٤٠٧

خروج الشريف أحمد إلى وادي خلب ٤١٠

وفاه الشريف أبي طالب بن محمد العواجي ٤١١

حوادث سنه أربع و مائه و ألف ٤١٤

ما قاله الادباء في المصلوب ٤٢٣

ترجمه عمّاره بن على بن زيدان المخلافي ٤٢٤

ذكر دوله العبيدين ٤٢٨

تتمه الحوادث ٤٢٩

عماراه قلعه جازان ٤٤٤

غزوه قبيله النحوس ٤٤٧

حكم معاقبه الإمام لرعيته ٤٥١

بحث كلامي في عدم إراداه الله تعالى للمعاصي ٤٥٥

حكم وجوب الهجره ٤٥٦

حكم المختلس و الطرار و الغاصب ٤٦١

ارتحال الشريف حسن إلى مدينه صبيا ٤٦٥

غزوه المخيزه ٤٦٧

حوادث سنه خمس و مائه و ألف ٤٦٩

الجواب عن الاعتراض على والد المؤلف ٤٩٥

قصيده والد المؤلف في الشريف أحمد ٤٩٩

عود الشريف أحمد بن غالب إلى مكّه ٥٠٣

فهرس الجزء الأول من كتاب تنفيذ العقود السنيه ٥٠٧

ص: ٥٢٠

سرشناسه: للعلامة المؤرخ السيد رضی الدین بن محمد بن علی بن حیدر الموسوی العاملی المکی ۱۱۰۳-۱۱۶۳ ه ق

عنوان و نام پدیدآور: تنضید العقود السنیه بتمهید الدوله الحسنیه/ موسوی عاملی، رضی الدین بن محمد؛ تحقیق السید مهدی الرجائی

مشخصات نشر: معهد الدراسات ل تحقیق أنساب الأشراف، نشر الأنساب / ایران - قم

مشخصات ظاهری: ۲ ج.

وضعیت فهرست نویسی: برونسپاری

یادداشت: عربی.

موضوع: تاریخ شهر مکه از اواخر قرن ششم تا روزگار مؤلف

موضوع: ۱. مکه- تاریخ. ۲. مکه- سرگذشتنامه. ۳. سادات- مکه- سرگذشتنامه

شابک: ۹۷۸-۶۰۰-۹۰۱۴۰-۸-۸

ص: ۱

تنضيد العقود السنيه بتمهيد الدوله الحسنيه

للسيد رضى الدين بن محمد بن على بن حيدر الموسوى العاملى المكى

تحقيق السيد مهدي الرجائى

ص: ٢

ترجمه السيد الشريف محسن بن حسين بن زيد بن محسن بن حسين بن أبي نمي صاحب مکه المشرفه

اشاره

كان جلوسه في منصب ولايه مکه المشرفه ليله الثلاثاء لثمان بقين من شهر رجب من سنه إحدى و مائه و ألف بعد الشريف أحمد بن غالب.

و سبب ذلك: نفور بعض الساه الأشراف عن الشريف أحمد، و انحرافهم عنه إلى هذا السيد الأمجد، و انقلاب محمّد باشا صاحب جدّه عن تلك المحبّه السابقه و الموّده، فشرعت دواعي الفساد و الاختلاف، من بعد خروج الشردمه من الساده الأشراف، و عظمت الشدّه، و زاد البلاء بوقوع القحط و الغلاء.

ثم انفصل هؤلاء الساده، بحضره صاحب السعاده، فوضع يده معهم في القضيه، و أعمل فيها مواضي آرائه الوضيئه، و خرج معهم للقتال بجميع من معه من الخيل و الرجال، و قصدوا مکه، و نزلوا بالزاهر، و بذلوا الهّمه بالاجتهاد (1)، إلى أن عزل الشريف أحمد بحكم الملك القاهر، فدخلوا البلاد، و سكّنوا نيران الفتنة و الفساد.

ثم استمرّ الشريف محسن ناهضاً بأعباء الشرافه، عاقداً ألويه الخلافه، إلى أوائل شهر محرّم الحرام افتتاح سنه ثلاث و مائه و ألف، فكانت مدّه دولته هذه سنه

ص: ٣

و خمسة أشهر إلا ثمانية أيام، أخرجه منها الشريف سعيد بن الشريف سعد، كما سيأتي في ترجمته الشريفه.

فصل: في الحوادث الواقعة في دوله هذا الشريف

إشاره

في الحوادث الواقعة في دوله هذا الشريف

ففي هذه السنه: بعد استقلال الشريف محسن بالشرافه، نقلت سدانه البيت الشريف، و انتزع المفتاح السامى المنيف، من الشيخ الجليل الشيخ عبد الواحد بن محمّد الشيبى إلى أخيه الشيخ عبد الله بن محمّد الشيبى، لأمر كان في نفس الشريف على الشيخ عبد الواحد، فأقدم على ذلك غير منكر و لا جاحد؛ لأنّ هذا خلاف عاداتهم و عاده أسلافهم الكرام، القاطنين ببلد الله الحرام، من عهد الجاهليّه و بعد الإسلام، فهى فى الأكبر منهم فالأكبر، و على هذا استمرّ منصبهم الأشرف الأفر.

و كان هذا الشيخ عبد الواحد المنتزع منه المفتاح قسراً أكبر من أخيه الشيخ عبد الله سنّاً و قدراً، فكان هذا أوّل خرق صار فى عاداتهم المعروفه، و قوانينهم المألوفه.

ثمّ بعد مدّه من ذلك طلب الشيخ عبد الواحد المذكور أن يكون المنصب لابنه الشيخ عبد المعطى، فأجيب و استمرّ بها إلى أن دعى، فكان أسرع مجيب، و ذلك فى سنه عشر، فطلب الشيخ عبد الواحد ثانياً أن يكون المنصب فى ابن ابنه الشيخ محمّد بن الشيخ عبد المعطى، فسمع كلامه، و ارتفع صيت محمّد هذا، و عظم بمكّه المشرفه مقامه، حتّى صار أوحد زمانه، و فريد أقرانه، و استمرّت سدانته، و شكرت بين أهالى مكّه و وزّادها أمانته و ديانتته.

و كان ذا رئاسه باهره، و أخلاق كالرياض الزاهره، و كرم عامّ، شمل به الخاصّ

و العام، و لم يزل بمنصبه و رئاسته قرير عين، إلى أن توفّي فصار خيرا بعد عين، و سيأتي ذكر وفاته على محلّها، و سنذكر عند وفاه الشيخ محمّد هذا بيان أمر السدانه، و ما ورد فيها في فصل لطيف إن شاء الله تعالى (١).

وفاه الشيخ محمّد الشرنبلالى:

و فى سنه ثنتين و مائه: توفّي الشيخ الجليل العلامه النبيل الفهّامه، الشيخ محمّد ابن أحمد الشهير بالشرنبلالى الشافعى بمكّه المشرفه، بعد مجاوره له بها، و دفن بتربه الساده لآل باعلوى، و كان معاصرا للشيخ المعظم الشيخ أحمد الشبشىي.

توليه السلطان مصطفى خان:

و فى هذه السنه: أجمع العساكر ياسلامبول (٢) على خلع السلطان سليمان، و توليه السلطان مصطفى بن محمّد خان، و ذلك عقيب (٣) سفر وزيره المعظم مصطفى باشا الكبرلى إلى بعض بلدان الكفّار، فلمّا بلغه الخبر عاد ببعض أجناده، و أباد أهل الفتنة، و رؤوس المعاندين، و أعاد السلطان سليمان إلى التخت (٤).

حصول طاعون عظيم ببغداد:

و فى هذه السنه: صار ببغداد طاعون عظيم، أهلكت أمّه من المسلمين، ثمّ انتقل إلى البصره و عمل مثل ذلك، إلى أذن الله بانصرافه، و هذا الطاعون لم يعهد مثله من زمن الطاعون الجارف؛ لأنّه أخلّى البصره، و أخرجها خرابا لم يعمر إلى زمننا هذا.

ص: ٥

١- ١) راجع: إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بنى الحسن للطبرى ١٥٩: ٢.

٢- ٢) فى «ن»: بإصطنبول.

٣- ٣) فى «ن»: عقب.

٤- ٤) راجع: إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بنى الحسن للطبرى ١٦٠: ٢.

وصول الشريف يحيى بن بركات إلى مكّة:

و فى هذه السنه: وصل إلى مكّة المشرفه الشريف يحيى بن بركات بن محمّد أميراً على الحاجّ الشامى، ورد إلى مكّة بالمحمل السلطانى، و هو فى غايه الانتظام، و هو أوّل حسنى تولّى إماره الحاجّ الشامى من هذه السلسله الشريفه، و لم يصر بعده أيضاً لأحد منهم إلى وقتنا هذا.

وفاه السلطان سليمان خان:

و فى آخر هذه السنه: توفّى السلطان الأعظم، و الخاقان المكرّم، السلطان سليمان خان ابن السلطان إبراهيم خان، وصل خبره إلى مكّة المشرفه فى يوم النحر من آخر السنه المذكوره، و جلس بعده فى منصب السلطنه السلطان مصطفى خان ابن السلطان محمّد خان (١).

تغلّب الشريف سعيد على الشريف محسن:

و فى أوائل شهر محرّم الحرام من سنه ثلاث و مائه و ألف: تغلّب السيّد الشريف سعيد بن الشريف سعد على الشريف محسن بن حسين صاحب مكّة المشرفه و أخرجه منها، كما سيأتى، و نودى باسمه.

و أمّا المدينه المنوره، فبقى فيها اسم الشريف محسن المذكور يدعى له بها، و لم ينفذ بها أمر للشريف سعيد، و لم يرتفع اسمه فيها إلاّ بعد أن وصل خير شرافه الشريف سعد بن زيد (٢).

و هذا آخر ترجمه الشريف محسن بن حسين المذكور، توفّى بالمدينه المنوره

ص: ٦

١- ١) راجع: إتحاف فضلاء الزمن للطبرى ١٦١: ٢.

٢- ٢) راجع: إتحاف فضلاء الزمن للطبرى ١٦١: ٢-١٦٢.

ترجمه السيد الشريف عبد الله بن هاشم بن عبد المطلب

ابن حسن بن أبي نمي صاحب مكه المشرفه

قد تقدم في ترجمه الشريف سعد في كيفيه عزله عن ولايته الثانيه بوصول إسماعيل باشا أمير الحاج الشامي، و محمد باشا صاحب بندر جدّه، صحبته أميراً على جيش جهّزته الدوله العثمانيه لعزل الشريف سعد، و توليه الشريف عبد الله بن هاشم صاحب الترجمة.

و كيفيه شرافته: و هو أنّ محمد باشا المذكور كان قبل ذلك متولياً بندر جدّه المعموره، فصارت بينه و بين الشريف سعد بن زيد أمور متعدده من نوع المكر و الكيد، فأسرّها يوسف في نفسه، و مجازاته قبل مواساته برمسه (٢).

تجازى الرجال بأفعالها فخيراً بخير و شراً بشر

فاتفق أن عزل عن منصبه و سار، و توجه لتقاء الأبواب السلطانيه و تلك الأقطار، فلما تشرف بلثم أعتابها، و خالط أعظم وزرائها و كتابها، شرع يبرم حبال المفاسد، و أعانه على ذلك كلّ عدو و حاسد.

لا كانت العدا إذا وجدوا خرقاً أحبوا اتّساعه

و ناهيك بعداوه الجار، فهو أدري بجميع المضارّ، فأوغل في شعاب السعايه، و قطع أصحاب الصحبه السابقه و الرعايه، و جعل قذف سعد ضرائب مواضيه،

ص: ٧

١- ١) بياض في النسختين، و بعد لم أعر على تاريخ وفاته، و راجع: خلاصه الكلام في بيان أمراء البلد الحرام للسيد أحمد بن زيني دحلان ص ١١٤.
٢- ٢) في «ن»: في رمسه.

و سؤد الصحف بمساويه، و قبائح مواضيه، و لم يزل يكدر عليه الخواطر، و يشن الغوائر، حتى استمال السلطنه إلى مرامه، ففوضت الأمور إلى رأيه في تدبير هذا الحال و إحكامه.

فاقتضى رأيه الأسد الحازم، بروز المراسيم السلطانيه بشرافه السيد عبد الله بن هاشم، و أمر هو أيضا بالعود ثانيا إلى أقطار الحجاز، و جهّزوا معه من العساكر السلطانيه ما يفى بالمرام، و ينحى الشريف سعد عن إماره بلد الله الحرام، مع معاونه إسماعيل باشا أمير الحاج الشامي له، ليلبغ بمعاضده مقصده و أمله.

إذا الحمل الثقيل توازعتة أكفّ القوم هان على الرجال

فورد مكّه المشرفه معاً، و طنبا خيامهما بالزاهر، و أراد أن يبرز ما في أنفسهما إلى الظاهر، فمنعهما عن ذلك الخوف على الحجوج، فسلمّا الخلعه إلى سعد، و بقى أمرهما مرجوح (١). ثمّ لمّا كان اليوم الثاني رفضا أسباب التأخير و التواني، و عزمًا على إظهار الأمر، و إذاعته بين زيد و عمرو.

إذا لم يكن إلاّ الأسنّه مركب فما للفتى المضطرّ إلاّ ركوبها

و ذلك بعد أن ولجا مكّه، و نزلا بأعاليها، و أنعما بالخيّل و العسكر (٢) واديهها، بعثا إلى الشريف عبد الله بن هاشم، و أفاضوا عليه خلعه الشرافه على سنن الشرفاء الأعظم، ثمّ توجّها معه بالعساكر المنصوره، و الرايات المنشوره.

فلما بلغ الشريف سعدا ما صار، تأهّب للمقاتله و الحصار، و فرّق الباديه و العساكر في الدور الشاهقه و المنائر، و سدّد سهم رأيه الثاقب النافذ، في تحصين

ص: ٨

١ - ١) في «ن»: مرجوح.

٢ - ٢) في «ن»: و العساكر.

جميع الطرقات و المنافذ، فنشأت بينهم الحرب، و كثر الطعن و الضرب، و هلك من الفريقين جمّ غفير، و جمع كبير.

و لم يبق إلا من حماها من الظبا لمن شفيتها و الثدى النواهد

ثمّ فى أثناء ذلك ذهب جانب من الحاجّ بأيدى الأعراب، خصوصا ما كان منه مفزقا فى ملاوى الشعاب، فقد غدا كقرع السحاب، و استمرّ هذا البلاء و الويل، إلى ذهاب جانب من الليل، ثمّ ترك سعد البلاد و ظعن، و توجه تلقاء اليمن، و جلت دوره التى كانت منتجع الوفود و منبع الكرم، و خوت على عروشها بعد أن كادت تغصّ بالأمم.

قصور خلت عن ساكنيها فما بها سوى البوم تسمى حول واقعه الرما

كأن لم يكن فيها أنيس و لا التقى بها الوفد جمعا و الخميس عرمرما

و لما أسفر من ليله ثمان العاطس، و ضاءت كوكب ليها الدامس، عن انجلاء تلك الهزاهز السود، بتجرّع كؤوس الصبر المحمود.

إنّ الأمور إذا انسدت مسالكها فالصبر يفتح منها كلما ارتبجا

لا تيأسنّ و إن طالت مطالبه إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته و مدمن القرع للأبواب أن يلجا

فأصبح حضره الشريف عبد الله بن هاشم مفتر المباسم، و الدهر ضاحك لامرته و باسم، لا يعلق به كدر، و لا تتشوّش له فكر، قد ثنى الوساده، و افتقد مفرق الشرافه و السياده، فأمر و نهى، و خدمه العارفون من ذوى النهى، و أضحى الملك واقفا على بابه، لا ئذا بشريف جنابه، فأطد مبانيه، و شيّد معانيه، و شمل جيران بيت الله الحرام بجميل الرأفه و جزيل الإنعام، و سلك أحسن مسلك مع رفاقته، مع قصر مدّه شرافته، عاملهم بالصدق و الإجلال، و الوفاء فى جميع الأحوال.

و استمرّ على هذه الحال، و هو فى غاية العزّه و الجلاله، إلى سبع مضمين من شهر ربيع الثانى من سنه ستّ و مائه و ألف، فكانت مدّه دولته أربعه أشهر من غير زياده و لا نقصان.

ثمّ بعد عزله توجه إلى مصر و أقام بها، ثمّ رحل إلى الديار الروميّه، و اتّصل بأعتاب الدوله العليّه، و توفّى بالروم فى سنه ثلاث عشره و مائه و ألف (١).

و أعقب من الأولاد: السيّد الشريف الأصلح الأتقى النجيب، الفاضل الأديب، السيّد أحمد بن الشريف عبد الله المذكور، اشتغل بطلب الفضائل، و برع فى فقه الزيديّه، و سلك مسلك العلماء الصالحين، و فقه الله تعالى لخيرى الدارين، إنّه قريب مجيب.

ترجمه السيّد الشريف سعيد بن سعد بن زيد بن محسن بن

اشاره

حسين بن حسن بن أبى نمى صاحب مكّه المشرفه

كان هذا السيّد الشريف، و الأيّد فى اقتناء المجد المنيف، ذا عزمه علويّه، و همّه تراحم الأفلاك العلويّه، و بأس و شجاعه، أناف بهما حصون ملكه و قلاع، مع صبر على توالى الخطوب، و إقدام به أسنى مطلوب.

ولى مكّه مرارا عديده، و لم يقم فيها مدّه مديده، بل كانت ولاياته متفرّقه كقرع السحاب، تاره بأوامر السلطنه العثمانيّه، و تاره بمعاونه الباديّه و الأعراب، يهجم على مكّه فى كلّ سنه مرّه، و يتجرّع من كؤوس الحرب حلوه و مرّه، فسنة يخطىء و سنه يصيب، حتّى نال بذلك فى آخر عمره من ملك مكّه أوفر نصيب، فاختطفته يد الهلكه من سرير الملك، فكم من ملك دقت له الطبول، و نشرت له العلامات،

ص: ١٠

(١-١) راجع: خلاصه الكلام ص ١٢١-١٢٢.

فلما على مات.

و أميا دولته الأخيره، فقد ورد فيها من منهل العز صافيه و نميره، و طالت مدد ملكه، و عظم مدده، و كثر عدد جنده، و توفرت عدده، فجنّد الجنود، و حشد العساكر، و غدا كلّ حامد لنواله و شاكره، إلاّ أنّه غصّ بصره عن الساده الأشراف، لم يمدّهم من فضله بإسعاف، فكان ذلك سببا لاضطراب دولته، إذ لم يزل معتمدا على عظيم صولته، فتفرّقت (1) الساده الأشراف في أطراف البلاد، لقطع سبل قصاده و وفّاده، نكايه له يبلغ كلّ منهم بها أمله.

و كان أيضا ممّن لا يعتمد إلاّ على جنوده، إذا خفقت في الحرب رايات بنوده، و يعوّل عليهم دون غيرهم الاعتماد، و بهم يحصل السداد، و لم يزل مشتغلا بترقى عبيده في المناصب، رافعا لهم على أعلى المراتب، فاستقلّوا بها، و ترقّوا بسببها.

و أمّا ما عداهم من الأحرار الذين عليهم في غير دولته المدار، فهم لديه في غايه البوار، مع أنّهم من أعظم ذوى الأقدار، و كنت دائما إذا سمعت هذا المقال، أنشدت بيتين معناهما طابق مقتضى الحال:

أرى الناس محسودا بهم غير أنّهم على الأرض لم يثبت عليهم صعيدها

و ما الحتف أن تلقى أسافل قريه أعاليها بل أن تعود عبيدها

فله درّ ناظمهما كأنما شاهد هذه القضيّه، فأبرزها في هذا القالب مخترع أفكاره الوضيئه، ثمّ لم يكن قصده من جميع ذلك إلاّ الحزم السالك به في أضلّ المسالك، و هو أنّ كثره العطاء و الامداد، لرفاقته الساده الأمجاد، ممّا يقوى شوكتهم، و يعظم

ص: ١١

١ - ١) من أوّل قوله «فتفرّقت» إلى أوّل ترجمه السيّد الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد... ساقطه من نسخه «ن» و ما أوردناها هنا فهي من نسخه «د» فقط.

صولتهم، و يسعفهم على مقاومته، و يعينهم على مصادمته، فلم يزل يقلل نوالهم، و يفلل أقوالهم، و يحط أقدارهم، و يحقر كبارهم، ظنًا منه بأن سيرموا بالقله، و تستولى عليهم الذله.

و أخبرنى بعض من أعتد عليه، و أستند فى نقل الأخبار إليه، أنه خطر يومًا من الأيام بباله، إضافة إلى ما صنعه من سيىء أفعاله، أن تردّد أرباب المناصب و غيرهم من الرعايا عليهم، ممّا يجلب بعض النفع إليهم.

فاتفق أن كان يومًا عند وزيره، لضبط أحواله و أموره، و حضر بذلك النادى جميع خدامه الكرام، و من يعتمد عليه من العلماء الأعلام، فى الحلّ و الإبرام، و أفراد من أهل الثروه الدنيويّه، المعروفين لدى حضرته العليّه.

فالتفت إليهم، و هو مظهر لشديد التعب عليهم، و قال: إنّ من تردّد من وزرائنا و حكّامنا و علمائنا و خدامنا و جميع رعايانا إلّا من لا يعتمد عليه، و يرجع فى بعض الأمور إليه على الأشراف، فلا يلو منّ إلّا نفسه، إن حصل له من طرفنا خلاف.

كلّ ذلك كان فى أواخر دولته، التى انتقل فيها إلى فسيح جنّته، إلّا أنه كان ذا حظّ وافر، و سعد لم يزل به على أعدائه ظافر، و بلهنيه (١) من الأموال، و كثره من الخدم و الرجال، فساعده القضاء على مراده، و بلّغه من الإقبال ما تسنّم به قحم أضداده، مع شجاعه و إقدام، نال بهما أسنى مرام.

و إذ قد ذكرنا جملا- من صفاته الفاخره، و تلونا عليك من أنبائه آيات باهره، فسندكر لك مفركات ولاياته على الترتيب الواقع، فلكلّ شىء محال و مواقع:

ص: ١٢

(١ - ١) يقال: هو فى بلهنيه من العيش: أى: سعه و رفاهيه-الصحيح.

الولاية الأولى

بعد وفاه عمّه الشريف أحمد بن زيد المتقدّم ذكره، و كان ذلك يوم الخميس الثانى و العشرين من جمادى الأولى سنة ألف و تسعه و تسعين، و استمرّ فيها إلى ليله الجمعة ثانى شؤال من السنه المذكوره، و كانت مدّه دولته هذه أربعه أشهر و عشره أيام، يجمعها قولك «كلّ له مدى» قاله العصامى (١).

و يعترض بأنّ مدى كفتى الذى بمعنى الغايه يائى، فلا يكتب بالألف، كما هو مصرّح به فى كتب اللغه، فليعلم ذلك. و قد نقل لهذه الولاية تفصيلا طويلا، فراجعه ثمّه (٢)، و أخرج منه الشريف أحمد بن غالب المتقدّم ذكره.

الولاية الثانية

هى التى أخرج فيها الشريف محسن بن حسين المتقدّم ذكره، و ذلك ليله السبت لستّ خلون من شهر محرّم الحرام سنة ألف و مائه و ثلاث، و استمرّ فيها إلى يوم الاثنين لستّ بقين من جمادى الثانية من السنه المذكوره، و وليها بعده أبوه الشريف سعد المتقدّم ذكره.

الولاية الثالثة

و هى التى نزل عنها أبوه الشريف سعد و ولّاه إياها عن اختياره، و كان ذلك فى نهار الجمعة تاسع عشر ذى القعدة الحرام من سنة ألف و مائه و أربع عشره، و استمرّ فيها الشريف سعيد إلى ليله الاثنين الحاديه و العشرين من ربيع الأوّل من سنة ألف و مائه و ستّ عشره.

ص: ١٣

١- ١) سمط النجوم العوالى ٤:٥٨١.

٢- ٢) سمط النجوم العوالى ٤:٥٧٥-٤:٥٨١.

و فى هذه الولاية حصل لأهالى مكّه من الاضطراب بسبب كثره الحروب، و توالى الحوادث المزعجه و الكروب، و الغلاء المديد، و القحط الشديد، ما أذهب أموالهم، و شتت أحوالهم، و قرّب آجالهم، و خرّب دورهم، و هدم قصورهم، حتّى أصبح ذو الثروه كالبائس الفقير، و اللانثد المستجير.

و سبب هذا الأمر الفضيع، الذى شيب طفل أهالى مكّه و الرضيع، من وجوه جمّه، أنتجت هذه الخطوب المدلهمّه:
أولها: قلّه الأمطار، فى تلك النواحي و الأقطار.

و ثانياها: قطع السبل و المسالك عن الوافدين بالخيرات إلى تلك الممالك، و تغلب الباديه و الأعراب، لعدم معاملتهم بالارهاب و الارعاب.

و لهذين الأمرين الأخيرين أسباب و شواهد، تولّدت منها تلك المفاسد، و نشأت عنها تلك الشدائد، و هو أنّه لما أراد والده الشريف سعيد النزول عن شرافه مكّه المعظمه، و تحليه ولده بعقود ولايتها المنظمه، نفر لذلك جم غفير من الساده الأشراف، إذ لم يزالوا مع والده فى نهايه العزّه، مع تواصل الامداد و الاسعاف، و ناهيك بسعد و نائله، و حسن سيرته، و كرم شمائله.

و قد أملينا عليك من صفاته الرضيّه، و مزاياه المرضيّه، ما تطيب بذكره النفوس، و تعبق بنشره الطروس، فلم يرضوا بذلك، و تفرّقوا فى جميع المسالك.

ثمّ أجمعت آراؤهم السديده، و أفكارهم الرشيده، بأن يستخدم كلّ منهم جدّه، و يستعمل جدّه، و ينزلون جميعا فى طريق جدّه، حتّى يصير البندر وراء ظهورهم، لقضاء مصالحهم، و تمهيد أمورهم.

و كان صاحب جدّه فى ذلك الزمان، معتمد الدوله العليه الباشا سليمان، فشرعت بينهم و بينه المكاتبه و المراسله، و ظهرت آثار المحاربه و المقاتله، فاشتدّ

عزمهم، وقوى حزمهم.

و كان مقصد سليمان باشا إزاله سعيد و أبيه، و فصيلته التي تؤويه، عن شرافه بلد الله الحرام و نواحيه، و توليه تلك الجهات و الأطراف، من تجمّع عليه الساده الأشراف، من غير تلك السلسله، و على ذلك بنى أمره و أمثله، إلا أنه كان مستجهما لهذا الأمر العظيم، و الخطب الجسيم.

و يرى أنه لا يترتب هذا الحال إلا بعد ذهاب الأرواح و الأموال، فلم يزل يقدم رجلا و يؤخر أخرى، و فى أثناء ذلك يتفرّس فى الساده ليستظهر من هو منهم بهذه المكانه أخرى.

فاقتضى نظره الأعلى، توليه الشريف عبد الكريم بن محمّد بن يعلى، فأجمع رأى الساده على ما استحسنته صاحب السعاده، إلا أنهم لم يزالوا متفكرين فى جميع الأوقات، فى كيفيه اقتلاع هذا الملك من أيدي آل زيد، و وضعه فى أيدي آل بركات، و هو فى الحقيقه أمر عسير، يحتاج إلى قوه عزم و شدّه تدبير.

فوجه حضره الباشا همته العليه، و إرادته الجليه، فى حلّ أخلاط هذه القضيّه، مع مساعده رؤساء الساده له، حتى يبلغوه أمله، فجلّ ما نتج من تلك الأراء و نشأ عنها، أنّ ما يقطع هذه الشجره إلا عريق منها، و لم يكن معهم فى تلك الجمله من هذا الفخذ السنّى إلا السيّد عبد المحسن بن أحمد بن زيد الحسنى، فأزمع رأى حضره سليمان باشا أن يلبسه خلعه الولاية، و ينمحه من السعاده ما شاء.

فإذا سمع هذا الخبر حضره الشريف سعيد، علم أنّ هذا الأمر ليس بذهاب عنه بعيد، بل هو لم ينقل عن أربابه، حتى يحزن على ذهابه، و لم يدر أنه أمر بيته أهله بليل، و يعقبه البلاء و الويل، و كان ذلك من حضره الباشا على ما بينه و بين السيّد عبد المحسن من الشروط، و العقد المربوط، و هو أنه إذا استولى على شرافه بلد الله

الحرام، وأخذ فيها مدّه من الأيام، يفرغ بهذا الملك العظيم، للشريف عبد الكريم.

و سبب ذلك: أنّه لم يكن له هوى فى توليه تلك الممالك، وإتّما ارتكب هذا الأمر، حتّى يشيع بين زيد و عمرو، بأنّ عبد المحسن هو ملك مكّه، فتصبح أحوال سعيد بسبب ذلك منفكّه، فكان ذلك عين الواقع، وأصبحت بقاع مكّه منه بلاقع، فدخلها عبد المحسن، ولم يزل يؤطّد أحكامها و يحسن.

ثمّ استمرّ فيها و بسط بساط العدل فى نواحيها، من يوم الاثنين لتسع بقين من ربيع الأوّل سنه ألف و مائه و ستّ عشر إلى يوم الأربعاء سلخ ربيع الأوّل من السنه المذكوره، و فى هذا اليوم نزل عنها للشريف عبد الكريم، و هى أوّل ولايه، كما ستقف عليه فى ترجمته (١).

و هذا آخر ما أردنا إثباته من هذه القضية بنهايه التلخيص و الاختصار، و إلاّ لولا ذكرنا جميع جزئياتها و كلياتها لبلغت مجلّدات كبار، و إنّما اقتصرنا على هذا المقدار؛ إذ هو قطب رحى تلك الفتنة الذى عليها المدار.

و ممّين أرّخ هذه الولايه التى نزل عنها والده له، و ألبسه من ملبوس الشرافه أفخره و أجمله، سيّدى و استنادى، و ملجأى و اعتمادى، سيّدى الوالد السيّد محمّد ابن على بن حيدر، أدام الله تعالى سعده الأكبر، و فضله الأشهر، و كان لسعد رحمه الله فيه حسن اعتناء و اعتقاد، اقتضى ذلك أمره بتعيين الوقت حسب الانتقاد، فعمل بعد تعيين الوقت تاريخين، هما فى غايه البلاغه و حسن الصياغه، فأوّل منهما:

لآل سعيد حسن إلاّ سنه اللسن

ملك سعيد شبل سعد نجل زيد محسن

ص: ١٦

(١ - ١) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١٦٣: ٢-١٧١، و خلاصه الكلام ص ١٢٥-١٣٦.

اختاره الله وولاه أبوه الأيمن

قربنه عينا و قد قرت بذاك الأعين

و مهد الله له الأسباب حتى يوقنوا

بأنه أهل لما حوله المهيمن

كمعجز الإرهاص حتى افتت عنه الزمن

فأسعد الدهر بملك يمنه ميرهن

دليله تاريخه حظ سعيد بين

و التاريخ الثاني هو هذا:

ضحك الدهر عن مباسم سعده و وفي لطف ذى الجلال بوعده

سر قلب الزمان ملك سعيد كسرور المولى أبيه بمجده

فتبدت بشائر الخير و الأرزاق و العدل قبل مبدء قصده

و كذاك الآثار تعرب عما شاء الله من سعاده عبده

و استمع نطق قاله ثم أرخ ملكه سعيد راسخ بحده

الولاية الرابعة

و هذه الولاية كانت بأمر سلطاني، و تجريده من عساكر مصر، و وصلت صحبه الحاج المصري، و عليهم الأمير المكرم أيوازبيك، و ذلك يوم ست من ذى الحجة الحرام من تلك السنة يعني ختامها، و حطوا جميعا في الزاهر، و نودي له بمكة المشرفة في ذلك اليوم و هو في خارج البلاد، و قائم مقامه في ذلك اليوم و ليلته السيد ناصر بن أحمد الحارث، و دخلها يوم سبع صحبته المحمل السلطاني من سفلى مكة المشرفة.

و استمر فيها إلى ليله خمس خلون من شعبان سنة ألف و مائة و سبع عشره،

أخرجه منها الشريف عبد الكريم الآتي ذكره (١).

الولاية الخامسة

و هذه الولاية كانت آخر ولاياته، التي تصرّمت فيها مدّه حياته، و كانت بسعى و اجتهاد من أمير الحاجّ الشامي نصوح باشا.

و سبب ذلك: أنّه كان يرد في كلّ سنه إلى مكّه المعظّمه، و لم يجد فيها من يكرمه و يعظّمه، بل وقع بينه و بين ملكها الشريف عبد الكريم، منافرات لم يسعه فيها إلّا التسليم، فأسرّها يوسف في نفسه، و شرع يفرغ سواد مداده في بياض طرسه، و يعرض إلى الدوله العليه، بأنّ فلانا لم يكن أهلا للملك الولاية المنيفه، و لم يزل يشنّع أفعاله، حيث كان بمكّه أفعاله، و يززع بالزور أقواله، و ينوه في عروضة، بأنّ توليه غيره للملك الأقطار أنفع له و أقوى له، و يصرّح بأنّه لا يصلح ذلك القطر البعيده إلّا الشريف سعيد، فأنالت الدوله من مطلوبه مراده، حسبما اختاره و أراد، فوصل إليه ذلك المرسوم، و الأمر النافذ المحتوم، بأنّ سعيدا ملك تلك الأقطار، و إليه الأمر، و عليه المدار، فأرسل إليه التقرير و هو بأقصى اليمن، و طوّقه بذلك أطواقا من المنن.

فلمّا سمع بأنّ الأمر السلطاني، و الخطاب الخاقاني، قد وصل إلى مدينه جدّه، حثّ على استقباله، ركائب همّته و جدّه، و تلقّاه بالإعزاز و الإكرام، و مزيد العظمه و الاحترام، و سار به على جميع العربان، النازلين بأخطاف ركبته و مران، و لم تنزل علامات سعده ظاهره، و آيات حظّه باهره.

إلى أن وصل إلى أقطار بجيله و ناصره، فأنحاز إلى جنبه في ذلك المسير من

ص: ١٨

(١ - ١) راجع: خلاصه الكلام ص ١٤٨.

البادية جمع كثير، و وفد عليه من كبار الساده الأعيان، من يعضده و يقويه فى قريه يقال لها: بقران، فعظمت بهم صولته، و نهضت دولته، و لم يزل محتوفا باللطائف، إلى أن وصل إلى أرض الطائف، فأخذ بها يوما أو مثله، يمهد فيها خيله و رجله، و سار على عقبه يعرج، و أكفّه الكريمة تهبّ الأموال و تخرج، و الأقوام خلفه و أمامه، و كلّ منهم يعدّ جنابه العالى قبلته و إمامه، و هو يقطع بهم الفيافى و القفار، إلى أن حطت ركائبه فى موضع يقال له: انكسار.

و لما سمع عبد الكريم بإقباله، خرج إلى حربته و قتاله، فالتقى الجمعان بأعلى عرفه، و لم يزل يقاتله حتى كسره و صرفه، فرجع إلى موضع يقال له: الشريفة، حيث لم يجد فى قومه إلا من عزم على الهزيمة الشنيعة، فنكس و هو كاسف البال، أسير همّ و بلبال، و علمك بحال المكسور، الذى ورد عليه الحزن بعد السرور، فتوسّط بينهم كبار الساده، ذوو الرئاسة و السعاده.

فبنى الأمر على المهادنه، و أن يلزم كلّ من الفريقين مواضعه و أماكنه، إلى أن يصل الحاج، فيرتفع ذلك العلاج، غير أنّ من مع سعيد من الساده و الخدّام، لا يمنعون من الورود إلى بلد الله الحرام، لقضاء مصالحهم و أوطارهم، لاحتياجهم إلى ذلك و افتقارهم، فدخل صبيحه ذلك اليوم جمّ غفير من هؤلاءك القوم، و هو يوم الأحد لثلاث بقين من ذى القعدة الحرام سنه ألف و مائه و ثلاث و عشرين.

و كان من جمله من دخل مكّه المشرفه السيّد الشريف محمّد بن عبد الكريم، الذى كان يكتنى بأبى الخناصر، و ملك مكّه الشريف عبد الكريم، مقيم بأعليها ليدخل إليها فى وقت مختار فى ذلك النهار، فأصبح و هو ينتظر خروج العساكر لتلقّيه، كما هو عادة ملوك مكّه إذا رجعوا من سفر أو حرب.

فما شعر أهل مكّه إلا و قد نزل السيّد محمّد بن عبد الكريم إلى محكمه الشرع

الشريف، و أبرز من يده الأمر السلطاني الذي كان صحبه الشريف سعيد، فأثبتته عند القاضي بحضور أكابر عسكر مصر، ثم حصن البلاد بهم، وأطلق المنادى بأن البلاد للشريف سعيد، و ذاك مطمئن الخاطر، ينتظر خروج العساكر، و لم يدر أن الأمر قديم، و أن الحادث قد ألم، و أن تلك الجهود على المهاده، قد أبدلت بالمقاومه و المباينه، و أن مدته قد وفت، و أن سحابه سعه بعد ما أن ركضت وفت، فركب هو و من معه من الأجناد لمقاتله من بالبلاد، فمنعه بعض الساده الأشراف، و أخبره بأن البلاد قد حصنت من جميع الأطراف، فسلم للقضاء و القدر، و علم بأن الصوله على البلاد في تلك الساعه لا تنتج إلا الضرر، حسبا بان عنده و ظهر، فعمد عقبه الحجون، و هو مغموم محزون، و قصد وادى مر، و ترك البلاد و مر.

و من العجب العجاب، و العبر الظاهره لذوى الألباب، أن العساكر و الأجناد، الذين تهيأوا لإدخاله البلاد، و هو منتظر لوصولهم، حسب قواعدهم و أصولهم، أبدلهم السميع العليم، بسعيد عن عبد الكريم، فورد مكه بهم عصر النهار، و هو يرفل في حلل العظمه و الافتخار، فسبحان المتصرف في عبادته، و الباعث للأشياء طبق مقصده و مراده، فلعمري إنها عبره لمن اعتبر، و حكمه دقت فقصرت عن كنهها ثواقب العقول و الفكر.

و كان دخوله إلى مكه عصر اليوم السابع و العشرين من ذى القعدة سنه ألف و مائه و ثلاث و عشرين.

و قد ذكرت في أول الترجمة جانبا من أحواله، و جملة من أقواله و أفعاله، الصادره عنه في هذه الدوله، التي أيد الله فيها قوته و حوله، ثم بعث إليه

أبا يحيى (١)،فانتقله فكأنه لم يمت و لم يحيى.

و مَمَّن أَرخ هذه الولاية،و نشر له من الثناء فخر رايه،مخلصه الأكبر،والدى السيّد محمّد بن علي بن حيدر،و أوصل التأريخ إليه في منى،يوم لبسه لخلعه الاستمرار التي نال بها القصد و المنى،فوقع عنده أحسن موقع و أسناه،فوعده بأن يبلغه من السعاده فوق ما يتمناه،و التاريخ المشار إليه هو هذا:

بشائر السعد قالت و الدهر واف و محسن

بيتا نأنى عنه كيد فجاء تاريخ متقن

بشّر سعيد بن سعد بملك زيد بن محسن (٢)

و كان أيضا ممّا يتعاطى خدمه القلميه،و يعمر أسواق مجالسه بيضائه الأدييه، و ينضد بجواهر الكلم عقود طروسه السئيه،حيث عرف منذ نشأ بمكّه بمنشئ الدوله الحسيه،غير أنه لم يقف له على طائل،و لم يحظ منه بنائل.

و ممّا جازاه به على خدمه السابقه،و قابله على ما نظمه فيه من درر ألفاظه المتناسقه،أنه قبض على أحد أولاده،و ثمره فؤاده،فأخفى خبره،و عفى أثره، و اتسم بمن أحيأ و أمات،و هو ربّ السماوات،إنه لم يكن عليه بآمر،و لم يعلم بمن كان له على السوء ظاهر،مع أنّ المشاهد بالعيان،أنّ القابض له بعض من يعتمده من الغلمان،و هو الأمر بقبضه و اعتقاله،و انتهاب نفيس عمره قبل نموّ هلاله.

ص:٢١

١-١) كنيه ملك الموت.

٢-٢) قال في هامش نسخه «د»:أشار بقوله «نأنى عنه كيد»أى:أخرجه من أصل البيت بيت التاريخ الذى هو بشّر سعيد البيت الأخير لمّا أخرج منه عدد كيد و هو يتمّ التاريخ مع تمكين التوريه.

و كان وقوع ذلك القضاء المحتوم، و السرّ المكتوم، على ذلك الفاطمي المظلوم، بنو أمّى الحجون، و أخطاف طوى، بين تلك الأعلام و الصوى، لكن ليس على التعيين، حيث لم يكن معه ترب و لا - خدين، فجرعه ذلك الغلام و من معه، كأسا من الحمام مترعه، بتهمه باطله، أصبحت ربوع التقوى بسببها باطله.

و كان ذلك لثلاث خلون من محرّم الحرام، و هو الشهر الذى قتل فيه جدّه الحسين عليه السّلام، إلا أنّ المتجرىء على ذاك فاسق شقى، و الأمر على هذا فاطمي علوى، فرحمه الله تعالى رحمه الأبرار، و حشره مع أجداده الأئمة الأطهار عليهم السّلام.

و من أعجب الأسرار النبويه، و الثارات العلويه: ما يروى عن هذا الأمر بختله، و القادم على قتله، أنّه رأى ليله عاشر الشهر المذكور فى منامه، و هو راقد بين عياله و خدامه، كأنّه قد دخل الحمام لأجل التنظيف، بعد قتله لذلك الشريف، فلاقاه على ابن أبى طالب عليه السّلام، و أقبل عليه كالقاصد و الطالب، بصوله قاهره، و حربه يقدها بيمينه الطاهره، و قال له: أنت القاتل لذلك السيّد المظلوم، بغير حقّ معلوم.

فشرع يخلط فى كلامه، كالمذعور من سطوته و كلامه، فما استتمّ خراعه، إلا و شكت الحربه أضلاعه، فصاح صيحه أيقظته من هجعته، و هو مضطرب من روعته، يجسّس على طعنته، فظلّ بليله الملسوع، و الخائف المروع، فاذا للطعنه أثر، بقى و ما دثر، و لم يزل بسببها مرعوب، حتّى علقت به شعوب (1)، و توفّى ليله الحادى و العشرين من شهر محرّم الحرام المذكور سنة ألف و مائه و تسع و عشرين رحمه الله تعالى.

و أعقب سعيد المذكور جمله من الذكور، و هم: عبيد الله، و محمّد، و على، و مضر،

ص: ٢٢

(١ - ١) من أسماء المنيه.

و مسعود، و مساعد، و مبارك، و حسن، و راجح، و سعد، و ناصر، و أحمد، و عبد الله، و جعفر، و غير هؤلاء من الاناث جمله أيضا.

و أخبرني بعض الأصحاب أنه كان ببندر جدّه المعموره، سائرا في بعض سبلها المشهوره، و معه خدين له و ترب آخر، فما شعروا جميعا إلا و قائل يقول: إن فلانا قد انتقل إلى رحمه الله تعالى، فقال أحدهم و هو مضطرب: بذا يعرف الله فحسب، فإذا هو تاريخ وفاته، و هو عام تسعه و عشرين و مائه و ألف.

و هو من أغرب الاتفاقيات، و الآيات الباهرات، لأنه كان مع قوته، و غلبته و رهبته، لم يخطر في فكر أحد زواله.

فصل: في وفيات بعض الأعيان الدارجين في مدّه دولته

إشاره

في وفيات بعض الأعيان الدارجين في مدّه دولته

هذه التي ابتداءها شهر ذى القعدة إنتهاء سنه ثلاث و عشرين و مائه و ألف، و التي قبلها من الولايات.

وفاه الشريف أحمد بن حازم الحسنى:

ففى أوائل سنه (١١١٧) سبع عشر و مائه و ألف: توفى السيّد الشريف، و السند العالى المنيف، رئيس الساده الأشراف، و زعيم القاده من آل عبد مناف، مولانا و سيّدنا السيّد أحمد بن حازم بن عبد الله بن الحسن بن أبى ندى.

و سبب وفاته: أنه أصيب برصاصه فى ساقه الشريف فى الوقعه التي صارت بين صاحب الترجمه و بين الشريف عبد الكريم بن محمّد فى الولاية الرابعه للشريف سعيد التي كانت بأمر سلطاني، و تجريده من العساكر المصريه عليها أيوازيك و لم يكسر فيها، بل استمرّ إلى خامس شعبان من السنه المذكوره.

و كان هذا السيّد الماجد، ملاذ الساده الأماجد، و مرجعهم فى الأمور المهمّه،

و الخطوب المدلهمة.

له آثار عظيمه، تدل على همته الجسيمه، بنى بمكة دارا ساميه البناء، صرف فيها مزيد الاعتناء فى الموضع المسمى بسوق الليل، و مثلها بالطائف، و ثلثه بقرية لقيم من قرى الطائف.

و أعقب من الذكور: السيد مسعود، و السيد يحيى، و السيد زين العابدين، و فقههم الله تعالى، و أولاهم أطافا تتوالى، ثم درج السيد يحيى غير معقب، و بقى الولدان الآخرا، أبقاؤهما الله تعالى، و وقاهما شر حوادث الزمان.

و فى هذه الوقعه قتل السيد الأجل السيد على بن السيد أحمد بن أبى القاسم، و كان شابا شجاعا لودعيا، رحمه الله تعالى رحمه الأبرار، و حشره مع أجداده الأئمة الأطهار.

وفاه الشيخ محمد الشيبى:

و فى سنه (١١٢٥) ألف و مائه و خمس و عشرين من دولته الأخره: توفى المقام الجليل، و المرام النبيل، عين الأعيان، و غره وجه الزمان، الشيخ محمد بن المرحوم الشيخ عبد المعطى الشيبى، فاتح بيت الله الحرام، ثم انتقل المفتاح الشريف بعد وفاته إلى أخيه الشيخ عبد القادر بن الشيخ عبد المعطى الشيبى، درج الشيخ محمد المذكور و لم يعقب.

ترجمه السيد الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد

ابن محسن بن حسين بن حسن بن أبى ندى

طود شرف منيف، وجود خصب وريف، و منهل ندى ترده الملوكة الأعظم،

و مسحل (١) روى نجم دونه الأسود الضراغم، طالما قلّد أعناق ملوك زمنه، بعقود صنائعه، و قلائد مننه، فعزل منهم و ولى، و نبت فيهم و ما ولى، و ما زال يستخلص قلوب أعاديته، بقيض قواضيه، و فيض أياديه، فدانت رقاب الأمم لجنابه، و تعفرت جباه الملوك على أعتابه.

و أما أبناء عمّه آل قتاده، فلم يزل يمنحهم برّه و إسعاده، و لعمرى لقد رقى بخلعه الحسن، قمم السراه من آل الحسن، مع حظّ يغلق الحصاص، و رأى يفرق العصا، و كرم يهزأ بالغيث الهاطل، و يعمر ربوع المجد و هى عواطل.

تولّى شرافه مكّه المعظّمه، و تحلّى جیده بعقود الولايه المنظّمه، يوم الاثنين لتسع بقين من ربيع الأوّل سنه ألف و مائه و ستّ عشره، و استمرّ فيها إلى يوم الأربعاء سلخ ربيع المذكور، نزل بها عن طيب نفس للشريف عبد الكريم الآتى ذكره، فكانت مدّه ولايته ثمانيه أيام.

و هذه الولايه قد تقدّم لها ذكر فى ترجمه ابن عمّه الشريف سعيد بن سعد، إلاّ أنّه بعد ذلك النزول علا، و تسنّم ذروه غارب العلا، و رفل فى حلل المجد و الفخار، و متاع صيته الشريف فى جميع الأقطار، و إن أردت تحقيق المرام، و تأييد ما ادّعيناه فى هذا المقام، فسرح طرف الطرف فى تراجم الملوك اللاحقه، و اقتطف من ثمار حدائقها الباسقه، تعلم علوّ محلّ هذا الشريف و مكانه، و جلاله مقداره، و ارتفاع شأنه، فلقد حجّ العلماء إلى مشعر بابه، و طافوا بكعبه جنابه، و خدمه الأدباء فى زمانه، و نظموا فيه من القريض قلائد عقيانه، فأحرزوا من حضرته العليّه، غنائم صلاته السّيّه.

ص: ٢٥

فمن جمله من نشر عليه حلل الثناء و المدح، و بنى له على هام السماكين أعظم صرح، محبّه و مخلصه الأكبر، و الدنا السيد محمّد بن حيدر، فقال يهنئه بقدم أخيه الأجدد، السيد مبارك بن أحمد من إمام اليمن المهدي بمقابل هديته، فقال:

قالوا نرى الإنسان عبد المحسن فجميعهم رقّ لعبد المحسن

ملك غدا إحسانه ملكا على كلّ القلوب و ذلك الملك السنى

كلّ القلوب جنوده و سلاحها من حمدها و دعائها فى الألسن

فسهامها تسرى إلى السبع العلا و سيوفها تفرى رقاب الأزمن

ملك سطاها فى غداه (1) قومت أود الزمان إلى الفعال الأحسن

أسيافه من نقمه فى الله بل من رحمه لله غوث المؤمن

لما حمى أمّ القرى و أغائها عرفت بنوها مطعم العيش الهنى

قد أودع الرحمن فيه حكمه فكأنّ فيه السعد أبلغ معلن

ما زال قلب الملك مضطلعا به أو عاضدا للمستحقّ الأيمن

هى نية و سريره ما همّها إلاّ الصلاح و كلّ رأى متقن

و إذا أقام إلّنا فى أمره عبدا فليس بغير ذلك يعتنى

و تراه غصنا ناضرا متشّيا بهوائه و إلى الهوى لا يثنى

فيكون خادم ربّه و قلوب خلق الله تخدمه بوّد بين

أو ما ترى الأشراف من شام إلى يمن و كلّ ذوى الفخار الأزين

طوع الموّد للشريف ابن الشريف ابن الشريف المحسن

هو شبل أحمدهم شهاب ملوكهم يسمو بزيد سنائه للأعين

ص: ٢٤

هذا إمام العتره المهدي قد أولاه صفو وداده المتمكن

و حباه جزل صلاته لَمَّا رأى لهباته فعل السحاب الأركن

و الفضل يعرفه لأهل الفضل أهل الفضل من ثمر المعارف تجتنى

فليهن مولانا قدوم مبارك في صحه وهنا وقره أعين

في مثله قد قال شاعرهم أخ لي ماجد في مشهد لم يخزني

أبقا كما ربّ العباد لخلقه كالتيّرين سنا و نفعا لا يني

و أحقّ منتفع بسعدك مخلص داع بخدمه ذي الكفاءه يعتنى

جمعت به الأنساب في أهل الكسا متخصّصا بك في الحسيني السني

أقصى مداه أن يروم وجودكم أمّا بدون الواو فهو به غنى

و له فيه القصائد الطيّانه، التي شيّد بها من مجده أركانها، و لولا- خوف التطويل، لأوردتها لك بالتفصيل، و لقد كان في مدّه حياته، من بعد نزوله عن الشرافه إلى حين وفاته، لا يتولّى ملك و لا يعزل آخر إلاّ برأيه، و لا يستمرّ (١) إلاّ إذا كان تحت أمره و نهيّه، و ناهيك بهذه السياده، التي لم تصر لأحد من أشراف مكّه من عهد قتاده.

توفّي -رحمه الله تعالى، و أفاض عليه هواطل رحمت توالي (٢)- في شهر محرّم الحرام من سنه إحدى و ثلاثين و مائه و ألف.

و قد أرّخ غير واحد من الأدباء وفاته، إذ كان أغلبهم طلاب جوده و عفاته، قلّد أعناقهم بعقود برّه، و قيّد ألسنتهم بحمده و شكره.

ص: ٢٧

١- ١) في «ن»: يستقرّ.

٢- ٢) في «ن»: توالي.

فمن جمله من أرّخ وفاته، وأظهر ذكر جميله و ما أخفاه، جامع هذا الكتاب و منشييه، و المغمور في بحر أيادييه، و المتشرّف بلثم أعتابه، و المعدود من جمله خواصّ جنابه، بقصيده فائيه، و هي:

الله أكبر كيف ذكرك قد عفى أم كيف بدرك في السرار قد اختفا

أم كيف شمس علاك و هي منيره للكون ترضى أن تغيب و تكسفا

أم كيف أرسلت المتيه باعها وسطت فغيتت المليك الأشرفا

عهدي به بالأمس طود مهابه لا يستطيع لديه شخص موقفا

هل كان في عزّ و جاءت فجأه الله حسبك يا متيه قد كفى

فمن المقيم اليوم فخر عصابه قرشيّه من نسل سبط المصطفى

و من المعدّ لكلّ خطب معضل و إذا دهى أمر أباد و صرّفا

أين الذي قد كان يمنح رفته من كأس هاتيك المسره مرشفا

جيران بيت الله من لضعيفكم و من المؤمل أن تغضب أو عفا

نوحوا على قبر الشريف و أرّخوا طود الشرافه و الرئاسه قد هفا

و لم يعقب من المذكور إلاّ ابنه السيّد الأجدد السيّد أحمد، فاستولى على طريف المجد و تالده، و لا غرو (١) أن يحذو الفتى حذو والده. رأيت و هلاله قد أبدر، و أورد في المهمّات و أصدر، فأنشدت قول الشاعر راجيا و آملا:

إنّ الهلال إذا رأيت نموّه أيقنت أن سيصير بدرا كاملا

وفقه الله تعالى لبلوغ غايات المعالي، و كفاه شرّ كلّ عدوّ و قالى.

إنتهت ترجمه مولانا المشار إليه، لا زالت شآبيب الغفران فائضه عليه، إنّه هو

ص: ٢٨

الموفق للصواب، و إليه المرجع و المآب.

ترجمه السيد الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى بن

اشاره

موسى بن بركات بن أبى ندى صاحب مكّه المشرفه

ملك لا- يسفر عن وصفه العلوى، فى سماء النسب الفاطمى العلوى، إلا- قول الفتح بن خاقان فى قلائد العقيان (١): ملك قمع العدا، و جمع بين البأس و النداء، و طلع على الدنيا بدر هدى، لو جاوره كليب بن ربيعه ما طرق حماه، أو استجار به أحد من الدهر لحماه، أو كان بجفر الهباه ما انتمى قيس سيفه، و لا قضى وطرا من حمل و حذيفه، أو استنجده امرىء القيس ما كساه قيصر الملاء، أو كان حاضر بسطام ما خرّ على الألاء.

و لو دعى الأسد الورد لأجاب، أو أوماً إلى الليل البهيم لانجاب، و لو قعدت بين يديه الأطواد لتحرك سكونها، أو عصته الطير لما أوته و كونها (٢)، مع فقار عفّ حتى عن الطيف، و حكى المحرمين بالخيف، و ندى خرق العوائد، و أورك عوده فى يد الرائد، و سحابا تنجلي عنها الظلماء، كأنّ مزاجها غسل و ماء، قلت: كيف لا و هو:

ملك أبوه و أمّه من دوحه منها سراج الأمه الوهاج

ص: ٢٩

١ - ١) هو كتاب قلائد العقيان فى محاسن الأعيان، تأليف أبى النصر الفتح بن عيسى ابن خاقان القيسى المتوفى قتيلا سنه (٥٣٥) جمع فيه من شعراء المغرب طائفه، و ذكر أشعارهم، و جعله على أربعة أقسام: الأوّل فى الملوك، الثانى فى الوزراء، الثالث فى القضاء و العلماء، الرابع فى الأدباء و الشعراء.

٢ - ٢) كذا، و لعلّ الصحيح: و كرها.

شربوا بمكّه في ذرابطحائها ماء النبوّه ليس فيه مزاج

تولّى هذا الملك الهمام، والغضنفر القمقام، شرافه بلد الله الحرام، وأقطاره وحماته ووفّاده وحصّاره ثلاث مرار، فالتفت إليه الرئاسه مقاليدها، وساس المملكه فأحسن تمهيدها، وأشرق شمس سيادتها، وأورقتة (١) أغصان سعادته، فطبق صيته الأقطار، و اكتحل بإثمد صفاته العليّه طوق الافتخار، فأبصر بعد عماه، و تدانى بعد مرماه.

و أقياً عزائمه الثواقب، فهي كالنجوم، التي أضحت لشياطين الإنس رجوم، فمهد و أصاب، بعد أن تجرّع العلقم و المصاب، فغدا لجبهه الزمان غزّه، و لعين آل قتاده قرّه.

ذكر ولاياته الثلاثه

الولاية الأولى

هي التي قد تقدّم ذكرها في ترجمه الشريف سعيد بن سعد، و شرح مبادئها مفصّلاً، و في ترجمه الشريف عبد المحسن بن أحمد أيضاً؛ لأنها كانت بنزول منه، كما تقدّم بيانه في ترجمه الشريف سعيد، من التواطىء الذي كان بين سليمان باشا و الشريف عبد المحسن و صاحب الترجمة، فراجعته تجده ثمّه.

و كانت هذه الولاية يوم الأربعاء سلخ ربيع أول من سنه ألف و مائه و ستّ عشره، و استمرّ فيها إلى يوم الاثنين سلخ شهر رمضان من السنه المذكوره، فكانت مدّته فيها ستّ أشهر، و ذلك لأنه توجّه و ظعن لإصلاح بعض طرق اليمن، و أقام مقامه في كلّ أمر السيّد محمّد بن عمرو.

فوصل إلى مكّه المشرفه الشريف سعد بن زيد من طريق الطائف بجمع من

ص: ٣٠

العربان، و دخلها سلخ شهر رمضان من السنه المذكوره، كما تقدّم ذلك، و أخرج السيّد محمّد بن عمرو، فترك له البلاد، و مرّ بعد قتال يسير، لأنّه جاء متغلّباً بالعربان، و لم يكن بمكّه من يقاومه.

الولاية الثانيه

بعد أن دخل سعد البلاد، و تصرّف فيها حسب ما أراد، بلغ ذلك صاحب الترجمة، و معه الشريف عبد المحسن بن أحمد و جمع من الساده الأشراف، فرجع القهقري لتدارك هذا الأمر العظيم، و الخطب الجسيم، و شرعوا فى إحكام الرأى و التدبير، لإزالة هذا الحادث الخطير.

ثمّ فى أثناء ذلك توجه من عندهم السيّد الشريف عبد المطلب بن أحمد بن زيد أخو مولانا الشريف عبد المحسن إلى مكّه لأمر اقتضاه الحال، فاتّفق أن رمى برصاصه، اختلفت الأقوال فيها، قريباً من داره، غير أنّ من حيث الجملة كان صدورها من جماعه الشريف سعد، و مات بسببها فى شهر شوّال من السنه المذكوره.

فاشتدّ كربهم لما بلغهم ذلك، و حصل لمولانا الشريف عبد المحسن أعظم تعب، و قويت عزائمهم على القتال، و اجتمع بأسباب ذلك جميع الساده الأشراف، إلاّ بعض أشخاص منهم كانوا مع الشريف سعد، و توجهوا إلى مكّه المشرفه، و دخلوها ليله الجمعه تاسع عشر شهر شوّال من السنه المذكوره، و وقع تلك الليله التحام بين الساده الأشراف؛ لأنّهم حملوا حملة (1) واحده و كانت بالمنحنى، و انجلت عن دخول صاحب الترجمة إلى بلاده برفاقته و أجناده، و توجه الشريف سعد إلى

ص: ٣١

١- ١) فى «ن»: جملة.

و هذه الليله تسميها الساده الأشراف ليله الظليماء إلى زماننا هذا،و ذلك لشده انحلاك ظلامها،إلا أنه صار فى يوم الجمعة صبيحه دخولهم إلى مكه مقتله عظمى، رؤوس تجزّ (١)،و جثث ترمى،و هو أنه لَمّا دخل الشريف سعد البلاد بقومه باديه اليمن،فجرعوا أهل مكه كؤوس المصائب و المحن،من كسر أبوابهم،و نهب أثاثهم و أثوابهم (٢).

و بالجمله فقد أقاموا عليهم القيامه،إلا من أذن الله له بالسلامه،و شرعوا بعد النهب بأيام،يظهرون تلك الغنائم على رؤوس الأعلام،و يبعونها فى الأسواق بأنجس الأثمان،و هم فى غايه الاطمئنان،فيشترى الرجل ما يجده من حوائجه مرّه أخرى،و يسلم أمره لصاحب العاجله و الأخرى،و قد افتقرت أمم بسبب هذا الخطب الذى ألم،إلا أنه بعد صار ما صار،لم يمهلهم الملك الجبار،فأباد تلك القوم،بعد مضى ثمانية عشر يوم.

و ذلك أنّ الشريف سعد لما بلغه وصول الساده الأشراف لقتاله،برز لهم إلى أعالي مكه المشرفه،و وزّع الباديه،فأخذ شطرا منهم فى ركابه،و الشطر الآخر أبقاه فى بيته دار السعاده.

فلَمّا وقع عليه ما وقع،و توجه إلى العابديّه و ارتفع،دخل صاحب الترجمه إلى بلاده،فوجد الدار المذكوره و ما حولها مفعمه من العربان،و الحال أنّهم لم يعلموا أنّ سيدهم قد خرج وبان،فسدّت عليهم المسالك،و ظهرت لهم آثار المهالك،

ص: ٣٢

١- ١) فى «د»: تحزّ.

٢- ٢) فى «ن»: و ثيابهم.

فحاصروا ليلتهم تلك إلى الصباح، بعد ما أيقنوا بذهاب الأرواح، فكسروا الباب و هجموا عليهم، و وجهوا عزائمهم العليّه إليهم، فظفروا بهم، و قتلوهم عن أمرهم، و هم نحو من خمسمائه رجل، و جزّوا (١) رؤوسهم بعد قتلهم، و رموها على بعضها عند بركه الشامي على بناء قديم ثمه.

و أمّا جثثهم، فمنها ما دفن تحت دار السعاده فى خندق حفر لهم، و منها ما نقل على الألواح بالبقر إلى أسافل مكّه، و نهب فى ذلك اليوم بيت الشريف سعد بيد عساكر سليمان باشا المتقدّم ذكره فى ترجمه الشريف سعيد، و هكذا يكون الانتقام من هؤلاء الأعراب الطغام، فى تجزيهم على بلد الله (٢) الحرام.

و استمرّ صاحب الترجمة فى الولاية إلى ضحى يوم الثلاثاء سادس شهر ذى الحجه الحرام ختام سنه ستّ عشره المذكوره.

الولاية الثالثه

كانت بأمر سلطانى وصل إلى مكّه المشرفه يوم رابع شهر شعبان من سنه ألف و مائه و سبع عشره، و سجل فى المحكمه، و خرج الشريف سعيد ليله خامس الشهر المذكور، و دخل صاحب الترجمة صبح يوم ستّ من الشهر المذكور.

و استمرّ فيها إلى يوم الخميس عشرين من شهر ذى القعدة الحرام سنه ثلاث و عشرين و مائه و ألف، و أخرجه منها الشريف سعيد بالأمر السلطانى الذى أرسله نصوص باشا، كما تقدّم فى ترجمه الشريف سعيد، و بعدها لم يعد صاحب الترجمة إلى شرافه مكّه المعظمه، فكانت مدّه ولايته هذه ستّ سنوات و شهرين و نصف إلاّ

ص: ٣٣

١- ١) فى «ن»: و جزّوا.

٢- ٢) فى «ن»: على جيران بيت الله.

كسور، وجملة الولايات الثلاث ست سنوات و عشره أشهر، إلا أنه في هذه الولاية الأخيره انسجمت أحواله، و كثرت أمواله، و توفرت أجناده، و تعددت أعضاده، و صفت مشاربه، و نجحت مطالبه، و انبسط عدله و أمانه، و حسن دهره و زمانه.

و إنما كان يرد عليه الشريف سعيد في كل سنه مرّه، و يجزّعه من كؤوس الحرب علقمه و مرّه، فيتلقّى ذلك بعزم شديد، و رأى سديد، فيفلّ حسامه، و يبید أفوامه.

و بالجملة فله الوقعات المشهوره، التي لم يزل يرويها لسان الدهر منظومه و منثوره، فرحمه الله رحمة واسع مبروره.

فصل: في الحوادث الواقعة في أيام إمره هذا الملك المعظم

إشاره

في الحوادث الواقعة في أيام إمره هذا الملك المعظم

من وفيات لبعض الأعيان، أو حادثه واقعه بمكّه المشرفه و غيرها من البلدان.

وفاه الشيخ عبد الله القرشي الشيبى:

ففى سنه ستّ عشره و مائه و ألف: توفّى الشيخ الأجل، و الكهف الأطلّ (١)، الشيخ عبد الله بن محمّد القرشى الشيبى.

قتل الشيخ فيض الله الأفندى:

و فى هذه السنه: وقع فى الدوله العثمانيه خلف بين العساكر، استقرّ عن قتل شيخ الإسلام، و مرجع الخاصّ و العامّ، فيض الله أفندى، و عن خلع السلطان مصطفى خان عن السلطنه، و توليه أخيه السلطان أحمد بن محمّد خان (٢)، قاله صاحب لسان الزمان نقلا بالمعنى، و هو سهو منه؛ لأنّ هذه الوقعه كان وقوعها فى

ص: ٣٤

١ - ١) فى «ن»: الأطلّ.

٢ - ٢) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ٢: ٢٣٨.

سنه خمس عشره، و فيها جلس السلطان أحمد، و كان جلوسه... (١) على الصحيح.

و سبب ذلك المقتضى لورود هذا الأندى حياض المهالك: هو أنه كان في مبدأ حاله، معلماً لهذا السلطان، و مهذباً له في أقواله و أفعاله، ثم لما جلس السلطان على تخت الملك و سريره، تقرب إليه بحسن سياسته و تدبيره، و لم يزل قائماً في خدمته أحسن قيام، إلى أن ولّاه مشيخه الإسلام، فشيّد منصبه المعظم و شاده، و ذلك مصداق قول الشاعر:

إذا كان عون الله للمرء شاملاً تهياً له من كل أمر مراده

فلما ارتفع (٢) و علا- مقامه، و نفذت على سائر أرباب الدوله العثمانيه أحكامه، و صار منهي للامور العظام، التي كانت تختصّ بالوزير الأعظم و غيره من ذوى الأحكام، و جمع بأسباب ذلك من الأموال ما لا يحصى، و لا يضبطه بنهايه الاستقصاء، فحسده على ذلك أركان الدوله و أعيانها، و رجمه بشهب الألسنه صالحها و شيطانها، و انتقدوه في عدّه أمور من مفترياتهم، و محكمات هفواتهم، و سعوا به في أثناء ذلك عند حضره السلطان مراراً، فلم يفدهم إلاّ خساراً.

فلما لم تجدهم تلك السعايه، و رأوا ما له عند السلطان من مزيد الكرامه و الرعايه، عدلوا عن تلك الكيفيه إلى كيفيه آخره، و أجمعوا على نقله من دار الدنيا إلى دار الآخره، فنسبوا إليه أنه أخذ مالاً- عظيماً من الكفّار الطغام، على أن لا تسير إلى نواحيهم جيوش الإسلام، فتضعف المله المحمديّه، و العساكر السلطانيه

ص: ٣٥

١-١) بياض في «د».

٢-٢) في «ن»: ثم ارتفع.

و استندوا إلى هذا المسوّغ الدالّ على ضعف دينه و خباثته، و وثبوا عليه و ثوب الأسد في غابته، و قتلوه هو و جميع طوائفه و أعضاده، و من كان عليهم جلّ اعتماداه، و نهبوا الأموال، و شتّوا العيال، و لم تزل نار الفتنة تتقدّد، و الآراء تبرم و تنعقد، و لا سكن ذلك الاشتعال و انطفئ، إلّا بعد رفع السلطان مصطفى، و توليه أخيه السلطان أحمد، فسكن تلك الفتنة برأيه الأحمد و أحمد، و استمرّ الحال إلى هذا الزمان، و الأقطار الروميّه في غايه العدل و الأمان.

وفاه الشيخ عبد الوهّاب الهندي:

و في سنه سبع عشره و مائه و ألف: توفّي الولي الكبير، العارف الشهير، الشيخ عبد الوهّاب الهندي المشهور، و دفن في زاويه له بالمعلاه.

قتل السيّد علي ميرماه:

و في هذه السنه: توفّي في ليله حادى عشرى شهر رمضان منها، السيّد الجليل، و السند المثيل، ذو النسب الشامخ، و الحسب الباذخ، السيّد علي بن عبد الله الشهير بميرماه مقتولا رحمه الله تعالى.

و كان هذا السيّد ذا كرم بارع، و فضل نوره ساطع، و جرأه و إقدام، و نفع للخاصّ و العام، و ركنا لمن يلوذ، و يتعلّق بسببه، لأنّه كان من أعظم ذوى الشهامات العلويّه، و الهمم العلويّه، و تظاهر في آخر عمره بالغلوّ في آل زيد، ملوك مكّه المشرفه المحروسين من كلّ كيد، فكان ذلك سببا لزواله، و طيران طاووس إقباله، و له خلف صالح و فقههم الله تعالى (1).

ص: ٣٤

إرسال الشاه حسين الصفوى هديّه إلى المدينه:

و فى سنه ثمان عشره و مائه و ألف: صار بالمدينه المنوره قضيه عظيمه، و محنه جسيمه، و هو أنّ سلطان العجم الشاه حسين، كان قد أرسل على طريق النذر إلى الحجره الشريفه كره من الذهب، محشوه بالعنبر، مفضّيه بالجواهر المتنوعه، قد صنعت بغايه التكليف.

فلما وصلت إلى المدينه المنوره، استلمها أمناء المسجد النبوى، و وضعوها فى حرز مثلها إلى أن يعرضوا إلى الدوله، و يستأذنونهم فى تعليقها بحضور الباشوات و الأمراء و أعيان الدوله.

فلما طلبت من موضعها لم توجد، فحصل اضطراب عظيم لأغوات المسجد النبوى و شيخ الحرم و أهالى المدينه المنوره، و كانت عليهم من أعظم المحن، و شرعوا فى التفتيش، حتى وقعوا على من فعل ذلك، فقرّروا بأنواع العذاب، فأقرّوا بأنهم أخذوها و باعوا معادنها و ذهبها و عنبرها مفرّقا، فأخبرت الدوله بذلك، فأرسلت رجلا معتمدا للسؤال عنها، و قبض هؤلاء الفاعلين، فوصل و أفرغ همته فى تحصيلها، فأدرّكها جميعا إلا النزر، و توجه بها إلى الدوله لتصاغ ثم تعاد، و عزل بأسبابها شيخ حرم المدينه المنوره، و وصل آخر بدله.

وفاه السلطان أورنگ زيب ملك الهند:

و فى سنه تسع عشره و مائه و ألف: توفّى السلطان الأجلّ، و الملك المبجلّ، ذو الآراء الوريّه، و الهمم الاسكندرّيّه، و فخر الدوله التيموريّه، السلطان أورنگ زيب ابن شاه جهان، و كانت مدّه ملكه على الأقطار الهنديه تيفا و خمسين عاما، و قد جمع جميع ممالك الهند التى كانت مفرّقه بأيدي ملوك آخرين، و استمرّت دولته، و عمرت مملكته.

و كان ذا عقل متين، و رأى سمين، و فطنه وقّاده، و معرفه نقّاده، و صلاح و عباده، ثمّ قام بالسلطنه بعده ولده و ولى عهده شاه عالم، ثمّ انتقلت منه إلى آخرين من سلسلته، و اضطرب قطر الهند غايه الاضطراب، و استمرّ ذلك إلى زماننا هذا.

وفاه السيد على العاملى المكى:

و فى ثامن عشر شهر محرم الحرام من السنه المذكوره، توفى السيد الأمجد، و السند الأنجد، الفاضل الأديب، و الحائز من العلوم أوفر نصيب، السيد على (١)

ص: ٣٨

١- ١) هو العلامه السيد على بن على نور الدين بن على بن الحسين بن أبى الحسن على بن محمّد بن أبى الحسن بن محمّد بن عبد الله بن أحمد بن حمزه الأصغر بن سعد الله بن حمزه الأكبر القصير بن محمّد بن عبد الله بن محمّد بن على الديلمى بن عبد الله بن محمّد المحدث بن طاهر بن الحسين القطعى بن موسى الثانى بن إبراهيم المرتضى بن موسى الكاظم الحسينى الموسوى العاملى الجبعى. قال السيد عتيّاس المكى فى كتابه نزهة الجليس: جهبذ نحير فاضل، فما صاحب لديه و ما الفاضل، تفرد بعلم البديع و المعانى، ففاق البديع الهمدانى، و توحد بالنحو و الصرف، فلو عاصره سيويوه و التفتازانى ما نطقا فى حضرته بحرف، و تعزّز فى اللغه و علوم الأوائل، فبارز فى حله الفصاحه و البلاغه قسّ بن ساعده و سحبان ابن وائل. و تبخر فى سائر العلوم، و تفنّن فى المنطوق و المفهوم، إلى كرم يخجل قطر المطر، و أخلاق أطف و أرقّ من نسمة السحر، أفضل من نثر الدرّ من البلغاء، و نظم و فضل على أشهر من نار على علم. كان بمكّه المشرفه كالحجر الأسعد الأسود يستلمه تيمّنا و تبرّكا به الأبيّض -

ابن العالم العلامه المرحوم المقدس السيد نور الدين بن أبي الحسن، المترجم في سلافه العصر (1)، الشامي بلدا، و المكي مولدا و
موطنا، رحمه الله رحمه الأبرار،

ص: ٣٩

١ - ١) قال الحرّ العاملي: كان عالما فاضلا أديبا شاعرا منشئا، جليل القدر، عظيم الشأن، قرأ على أبيه و أخويه السيد محمد صاحب
المدارك و هو أخوه لأبيه، و الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني و هو أخوه لأمه. له كتاب شرح المختصر النافع أطال فيه المقال و
الاستدلال لم يتم، و كتاب الفوائد المكيه، و شرح الاثنى عشرية في الصلاة للشيخ البهائي، و غير ذلك من الرسائل، ثم ذكر جملة
من كلام المدني في السلافه. ثم قال: و قد رأيت في بلادنا و حضرت درسه بالشام أياما يسيره و كنت صغير السن، و رأيت بمكة
أيضا أياما، و كان ساكنا بها أكثر من عشرين سنة، و لما مات رثيته بقصيده طويله سنّه و سبعين بيتا نظمتها في يوم واحد، و أولها:-

و حشرهم مع أجدادهم الأئمه الأطهار عليهم السلام.

و كان هذا السيد من أكابر الساده، و ممنّ ثنيت له بين أرباب العلوم الأدبيه الوساده، مع أخلاق حسنه، و صفات مستحسنه، و شعر أرقّ من النسيم، و أعذب من عصر الشباب الرميم، فمن شعره متغزلاً:

أيا قلب بح مستشهرها بهوى دعد و غص جاسرا ليج الصبا به و الودّ

و لا تعدلنّ عن حبّها و لو أنّها صلتك بنيران الصدود و بالبعد

عليك بها عذراء معموله اللمي معقر به الصدغين فاحمه الجعد

مدملجه الساقين مهضومه الحشا مورده الخدين ممشوقه القدّ

إذا ما بدت تختال في حلل البها فيا خجله السمر المثقفه الملد

عجبت لجسم كالحرير منعم يضمّ فؤادا قدّ من حجر صلد

لها الله من رعبه سفكت دمي بمرهف ماضي اللحظ قتلا على عمد

تعشقتها أخت المهاه خريده ثوى حبّها في القلب مذ كنت في المهد

فغنى إليك اليوم يا عاذلي أتند أتحسب أنّ النصح في حبّها يجدى

أتعذلى فى حبّ دعد ضلاله و تزعم يا مغرور أنك ذو رشد

أيقبل فىها اللوم سمعى و قد سرت محبّتها فى الجسم بالعكس و الطرد

و أقسم بالمسودّ من مسك خالها و بالشفق المحمّر من صفحه الخدّ

و بالمقله البخلاء و المبسم الذى تسرّ بالياقوت و المرشف الشهد

لو أنك تشكو ما بقلبى عذرتنى و ما لمت لكن ليس عندك ما عندى

و من شعره أيضا مصدرًا و معجزا قصيده لذى الوزارتين عيسى بن اللبون، أوردها الفتح بن خاقان فى قلائد العقيان (1) فى

ترجمه المذكور، فقال:

خلىلى عوجا بى على مسقط اللوى لذى البان عن يمنى الكثيب لتوجرا

قفا بى قليلا لا عدمت و فاكما لعلّ رسوم الدار لم تتغيرا

فأسأل عن ليل تولّى بأنسنا و عصر مضى كالحمّ فى سنه الكرى

و أثم آثار الالى سكنوا الحشا و أندب أياما تقصّصت و أعصرا

ليالى إذا كان الزمان مسالما و أمرى عليه نافذ الحكم فى الورى

إذ الخرد البيض الدما تحت قبضتى و إذ كان غصن العيش فينان أخضرا

و إذ كنت أسقى الراح من يد أغيد أغنّ عفيف النفس بالروح يشتري

معتّقه فى الدنّ من عهد جرهم يناولنيها رايجا و مبكرا

أعانق منه الغصن يهتّر ناعما و أرشف منه الثغر شهدا و كوثرأ

ص: ٤٥

١ - ١) هو كتاب قلائد العقيان فى محاسن الأعيان، تأليف أبى النصر الفتح بن عيسى ابن خاقان القيسى المتوفى قتيلا

سنه (٥٣٥) جمع فيه من شعراء المغرب طائفه، و ذكر أشعارهم، و جعله على أربعة أقسام: الأوّل فى الملوك، الثانى فى الوزراء،

الثالث فى القضاء و العلماء، الرابع فى الأدباء و الشعراء.

و أقطف من وجنانه الورد يانعا و ألثم منه البدر يطلع مقمرا
و قد ضربت أيدى الأمانى قبابها بساحتنا و الهَمّ ولى و أدبرا
و مدّت لويلات التهاني رواقها علينا و كفّ الدهر عنّا و أقصرا
و ما شئت من لهو و ما شئت من ود (1) و ما شئت من قد حكى الغصن مشمرا
و ما شئت من وجه يروقك حسنه و من مبسم يجنيك عذبا مؤثرا
و ما شئت من عود يغنيك مفصحا و من غاده تشجيك صوتا و منظرا
تحرك منك الوجد إن هي أنشدت سما لك شوق بعد ما كان أقصرا
و لكنّها الدنيا تخادع أهلها فتضحكهم يوما و يبكون أعصرا
و ذو العقل لم يركن إليها فإنّها تغرّ بصفو و هي تطوى تكذرا
لقد أوردتني بعد ذلك كلّه مواردكم أردت اناسا و معصرا
على الرغم منى كان قسرا و رودها موارد ما الثيت عنهنّ مصدرا
و كم كابدت نفسى لها من ملّمه و من كلّ خطب كان حتما مقدرا
و كم محنه قضيتها متصبرا و كم بات طرفى من أساها مسهرا
خليلى ما بالى على صدق عزمى إذا رمت من دنيای أمرا تعسرا
إلى م ولى نفس تروم اقتنا العلا أرى من زمانى ونيه و تعدرا
و والله ما أدرى لأىّ جريمه أصرّ على كيدى و للغدر أضمرأ
و ما علمت نفسى بأىّ جنايه تجنّى و لا عن أىّ ذنب تغيرا
و لم أك عن كسب المكارم عاجزا إذا الغير أبدى عجزه و تأخرا
و لا كنت ممّن تألف القبض كفّه و لا كنت عن نيل أنيل مقصرا

لئن شاء تمزيق الزمان لدولتي فما كان إلا واعظا لي و منذرا

جزى الله هذا الدهر خير جزائه لقد ردّ عن جهل كثير و بصّرا

و أيقظ من نوم الغراره نائما و أهلك قدما من طغى و تجبّرا

و لله من سكر الجهاله غافلا و أكسب علما بالزمان و بالورى (١)

وفاه الشيخ عبد الله طرفه المكي:

و فى سنه عشرين و مائه و ألف توفى الشيخ الجليل الفقيه عبد الله طرفه المكي، ولد بمكّه المشرفه، و اجتهد فى طلب العلم، و أخذ عن عدّه من المشايخ، حتّى تفنّن فى العلوم، و تصدّر للتدريس بالمسجد الحرام (٢).

وفاه الشيخ حسين الخطيب:

و فى سنه إحدى و عشرين و مائه و ألف، توفى الشيخ الأجلّ الأفضّل الأعلّم الأعمل، الشيخ حسين بن عبد الرحيم الخطيب و الإمام بالمسجد الحرام، صحب الفضلاء و الأعيان، كالعلامة الشيخ محمّد بن سليمان، و غيره من المشايخ الجلّه، فلبس من العلوم أفخر حلّه، و حلّ إلى الديار الروميّه صحبه السيّد سعيد بن بركات، و حصل له قبول تامّ عند أعيان تلك الجهات، ثمّ عاد إلى مكّه صحبه مخدومه، و نشر بها نتائج منطوقه و مفهومه، و تظاهر برئاسه ستيّه، مع علوّ مكانته عند الساده الحسنيّه، كلّ ذلك كان بحلول نظر أستاذه و شيخه، الشيخ محمّد بن سليمان، تغمّده الله بالرحمه و الرضوان.

ثمّ بعد انتقال الشريف سعد بن بركات لزم داره، و اشتغل بالعباده ليله و نهاره،

ص: ٤٧

١-١) راجع: نزّهه الجليس ٥٠:١-٥٢.

٢-٢) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ٣٠٨:٢.

و أخذ الطريقه، عن أئمه الحقيقه، كالسيد سعد الله، و الشيخ محمد البخشي، و غيرهما، فلازم الأذكار الفاخره، إلى أن نقل إلى دار الآخره، و ذلك في ليله الثامن و العشرين من شهر رمضان من السنه المذكوره.

وفاه السيد علي بن أحمد المدني:

و في هذه السنه: توفي إمام العلوم الأديبه على الإطلاق، و السائر صيته العالی في جميع الآفاق، صاحب التأليف العديده، و التصانيف المفيده، العالم العلامه، و الفاضل الفهامة، السيد علي (1) ابن السيد الجليل، و السند الأصيل، و المتفنيء من

ص: ٤٨

١- ١) هو العلامه السيد علي خان صدر الدين المدني الشيرازي بن الأمير أحمد بن محمد معصوم بن أحمد بن إبراهيم بن سلام الله بن مسعود عماد الدين بن محمد صدر الدين بن الأمير منصور غياث الدين بن محمد صدر الدين بن إبراهيم شرف الدين بن محمد صدر الدين بن إسحاق عز الدين بن علي ضياء الدين بن عريشاه فخر الدين بن أنبه عز الدين بن أميري بن الحسن بن الحسين العزيزي بن أبي سعيد علي بن زيد الأعشم بن أبي شجاع علي بن محمد بن علي بن جعفر بن أحمد السكين بن جعفر الشاعر بن محمد بن زيد الشهيد. قال ابن شدقم: أحد أعلام الأدب، يعرف بابن معصوم، من تصانيفه سلافه العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، ثم ذكر نماذج من أدبه استخرجها من كتابه السلافه. و قال الحرّ العاملي: من علماء العصر، عالم فاضل ماهر أديب شاعر، له كتاب سلافه العصر في محاسن أعيان العصر حسن جيد، جمع فيه أهل العصر و من قاربهم ممن تقدّم زمانه قليلا، و ذكر أحوالهم و مؤلفاتهم و بعض أشعارهم، نقلنا منه كثيرا في هذا الكتاب.-

كٲف الشرف الأٲيل؁ ظلّهُ الظليل؁ السّيد أحمد نظام الدين بن معصوم رحمه الله.

و كان هذا السّيد نادره الدهر؁ واسطه عقد الفخر؁ غاص في بحار العلوم

ص: ٥٥

العربيّة، فظفر منها بجواهر القواعد الأدبيّة، فصنّف و ألّف، و تقدّم و ما تخلف، صنّف في علم اللغه كتابه الذي سمّاه الطراز (١)، فصار إمام كتب اللغه على الحقيقه لا- المجاز، نحى به نحو نسق القاموس، و زاد عليه زيادات مع إيرادات لا تصدر إلا عن مثله، في غزاره معرفته و فضله.

و له سلافه العصر في محاسن أعيان العصر (٢)، عارض به قلائد العقيان، لمحك الأدب الفتح بن خاقان، ترجم فيه أعيان عصره، بشر بارع، ليس له مقارب و لا مضارع.

و له كتاب أنوار الربيع في أنواع البديع (٣)، صنّفه على نسق شرح ابن حجّه، إلا أنّ دليل التقديم قوى الحجّه، واضح المحجّه.

و له شرح الصحيفه الكامله (٤) للإمام على بن الحسين عليه السّلام، و هو ممّا تطيب به النفس، و تقربه العين، رأيت منه أجزاء عديده، و وقعت منها على مسائل مفيده.

و له شرح الفوائد الصمديّه في النحو، و هو كتاب جليل جامع لما في هذا العلم من مختلفات الأقاويل. و له غير ذلك من المصنّفات النافعه، و المؤلّفات الرائعه.

و له أيضا ديوان شعر مشهور، هو في الحقيقه روض مطور، و درّ منثور، و حديقه من زهور، فمن لطيف شعره قوله:

و لَمّا التقينا بالعذيب عشيه و فاز بمن يهوى مشوق و شائق

ص: ٥٦

١-١) طبع أخيرا في قم على أحسن حال.

٢-٢) طبع بمصر قديما غير مصحّح.

٣-٣) طبع في النجف الأشرف مصحّحا.

٤-٤) يقال له: رياض السالكين، طبع بقم في سبع مجلّدات مصحّحا.

تبسّم من أهوى فقلت لصاحبي بلغت المنى هذا العذيب و بارق
و لاح فقال الصبح هذا تبلّجى أيكذب هذا الصبح و الصبح صادق
و فاح فقال الروض نافح عبقتى و هل نفحت بالمسك قطّ الحدائق
و ماس فقال الرمح تلك معاطفى متى أزهرت فوق الرماح الشقائق
و أبدى لحاظا أقسم الريم أنّها لوحظه لو لا السهام الرواشق
و أرخى أثينا أدهم الليل لونه و من أين الليل البهيم مغارق
وفاه بنطق خاله الدرّ نظمه و هل نظّم الدرّ المنظّم ناطق
و كلّهم قد كاد يحكيه مشبها و لكنّ من أهوى على الكلّ فاتق
و من غزلياته قوله:

من أودع الراح و الأقاح فمكّ و من أعاد الصباح مبتسمك
أصبح من قدراك ملتثما يقيه سكرًا فكيف من لثمك
لو انصفتك الحان قاطبه أصبحت مولى و أصبحوا خدمك
قالوا حكى فرعك الدجى كذبوا فالشمس يا فرع ما جلت ظلمك
قالوا حكى فرقك الصباح و لو حكمت فيه أوطأته قدمك
يا مقسما أن يذيني كلفا حسبك أبررت بالجفا قسمك
سلبتني صبرى الجميل و ما كفاك حتىّ كسوتنى سقمك
و من خمرياتة قوله:

لمعت ليلا فقالوا لهب و صفت لونا فقالوا ذهب
و إذا ما اندفقت من دنّها فى الدجا قالوا طراز مذهب
خمره رقّت فلو لا كأسها لم يشاهد جرمها من يشرب

أبستها الكأس طوقا ذهباً و حياها باللاكي الحيب

ص: ٥٧

عجبوا من نورها إذ أشرقت و شذاها من سناها أعجب

نبت كرم كرمت أوصافها أي نبت قام عنها العنب

و هذا المقدار كاف في إثبات الدعوى، و من ذاق هذا الشعر و ذاق غيره علم الفرق بين المرّ و الحلوى.

و أمّا نشره، فمن الغيات، بل من معجزات الآيات، في حسن السبك، و عذوبه الألفاظ، و البلاغه التي يقصر عنها بلغاء سوق عكاظ.

و كانت ولادته -رحمه الله تعالى- بمكّه المشرفه، ثمّ سافر إلى الهند، و أقام بها في كنف والده، و جمع بين طريف المجد و تالده، و بها تخرّج في فنون الآداب، على عدّه من جهابذه الشعراء و مصاقع الكتّاب، فتسنّم غارب البلاغه، و صار قدامه زمانه و ابن المراهقه، و كان يتأوّه إذا ذكر وطنه و بلاده، و يقرع سنّ الندم و يستنجد أجداده، فقدّر الملك العلام عوده إلى بلد الله الحرام.

و في سنه أربع عشره و مائه و ألف أتى فحجّ، ثمّ سافر إلى بلاد فارس، الطيبه المغارس، و بها تصرّمت أيام حياته، و وفي أجل وفاته، فمات في السنه المذكوره أو التي قبلها في بلده شيراز، و دفن بها، و قبره معلوم رحمه الله تعالى.

سلام على القبر الذي ضمّ أعظما تحوم المعالي دونه و تسلّم

سلام عليه كلّما ذرّ شارق و ما امتدّ دجن من دجى الليل مظلم

فيا قبره قد جاء أرضا تعطفت عليك ملثّ دائم القطر مرزم

وفاه الشيخ عبد الرحمن مفتى الهند:

و في سنه ثنتين و عشرين و مائه و ألف: توفى الفاضل العلامه، رئيس الفقهاء و المحدثين، شيخ الإسلام بالديار الهندية، الشيخ عبد الرحمن مفتى الهند و علامها، و الناشر رايات العلوم و أعلامها، ورد إلى مكّه المشرفه مرّتين، و في الأخيره دعاه

داعى الفراق و البين، و كان ذا عَفَّة و ديانة، و أمانه و صيانته، و فضل واسع، و فهم بارع، درس بمكَّه و انتفع الناس، و نشر فوائد علومه المحكمه الأساس، إلى أن دعاه خالقه للقائه، فانقضت مدَّه بقائه.

وفاه الوزير عثمان حميدان:

و فى سنه ثنتين و عشرين فى ثامن عشر شهر ربيع الأول: توفى عين الأعيان، و فخر الأقران، الوزير المكرم، عثمان بن زين العابدين حميدان، المتقدم ذكره عند ذكر إسماعيل باشا، فى حوادث ترجمه الشريف سعد، و قد توزر هذا الرجل لعدّه من ملوك مكَّه المشرفه، و ارتفع صيته، و علا- ذكره، و اجتمع عنده من الأموال ما لا- يحصى، و لمّا مات مشى فى جنازته مخدمه صاحب الترجمة، و دفن بالمعلّاه بمقبره السيده خديجه رضى الله عنها (1).

وفاه السيد سالم السقاف:

و فى سنه ثلاث و عشرين و مائه و ألف: توفى السيد الأجلّ، و الكهف الأظّل، التقى الورع الزاهد، السيد سالم السقاف، أفاض الله على قبره شآبيب الرحمة و الألفاف.

عزل الشريف عبد الكريم بن محمّد:

و فى هذه السنه فى السابع و العشرين من ذى القعدة الحرام منها: عزل الشريف عبد الكريم بن محمّد صاحب الترجمة عن الشرافه، و توجه إلى جهه قبيله حرب، و مكث عندهم مدّه طويله، ثمّ سافر إلى مصر، و استمرّ بها، إلى أن توفى إلى رحمه الله تعالى بالطاعون فى سنه إحدى و ثلاثين و مائه و ألف.

ص: ٥٩

و أعقب من الذكور ابنه النجيب السيّد محمّد بن الشريف عبد الكريم، و السيّد أحمد بن الشريف المذكور، و فقههما الله تعالى إلى المسالك الحميده، و الأفعال السديده، إنه على ما يشاء قدير، و بالإيجابه جدير.

ترجمه السيّد الشريف عبد الله بن الشريف سعيد بن سعد

إشاره

ابن زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبي نعي

أقول: قد تقدّم في ترجمه أبيه في آخر الولاية الخامسة، ما عرض لوالده من التوعّك في مزاجه، و ذهاب رونقه و ابتهاجه، و امتداد ذلك المرض و السقام، إلى الليله الحاديه و العشرين من محرّم الحرام.

ففي هذه المدّه كان هذا السيّد الشريف، ذو الحسب الباذخ المنيّف، قد خرج من مكّه المشرفه المحفوفه بالبركات، إلى نواحي الخبت و تلك الجهات، و أقام هناك أيّاما قلائل، و لم يدر أنّ والده قد لبس من السقام قلائل.

فلما اشتدّ بوالده ذلك الألم، أرسل إليه بالطلب فألم، و لم يزل يتلطف به و يتقرّب إليه، إلى أن قضى الله عليه، فجمع الأجناد و العساكر، و فرق جانبا منهم في البيوت و جانبا في المنائر، حفظا للبلاد، و درأ للفساد.

و كان رئيس الساده في ذلك الأوان و زعيمهم، و درّه تاجهم و عظيمهم، و من إذا دهم خطب مهيل، فإليه المهرب و عليه التعويل، السيّد الشريف الأمجد، عبد المحسن بن أحمد المتقدّم ذكره الشريف، فألقى الساده إليه الأمر، من غير أن يعترضه زيد و عمرو، فاقضى نظره السديد، إقامه الشريف عبد الله بن سعيد، مع أنّه أحقّ منه بالخلافه، و أصلح للشرافه، غير أنّه لم يكن فيها إرادته، و إلا فلا مانع لما أرادته.

فنزل بنفسه الشريفه إلى المسجد الحرام، لملاطفه الباشا و العساكر الأروام،

و قبض الخلعه من أيديهم، بعد أن يرشدهم إلى الصواب و يهديهم، فامتنعوا جميعاً إلا من حضرته العليّه، و ربما وضعوا الخلعه على مناكبه الشريفه، فطرحها من أكتافه، و شرع يأخذ بخواطهم، و يلتزم لهم ما يقع في البلاد من الخلاف، و يتعهد لهم بإرضاء الساده الأشراف.

فلما علموا أن لا بدّ من ذلك، و إلاّ تسدّت عليهم المسالك، و نزل بهم البلاء المهيل، و ذهبوا تحت السيف حتّى لم يبق منهم إلاّ القليل، أطاعوا جميعاً أمره العالى، و سلّموا إليه الخلعه برغم البواتر و العوالى، و زفّها إليه السيّد عبد المحسن، و ألبسه إيّاها فى داره، فغدا الدهر مطيعاً له و محسن، فنودى له فى البلاد، و ارتفعت مقتضيات العناد، و قرّت قلوب العباد.

و أحكم أحكام الشرافه، و رفل فى حلل الخلافه، فوطأ أكباد أعاديّه، بعد أن صرّخ (١) مناديّه، و سار على قوانين والده، و أجرى صلوات برّه، على قديم عوائده، و نظر إلى جيران بيت الله الحرام، بعين العدل و الرأفه و الإكرام، إلاّ أنّه بعد ذلك عدل عن تلك المسالك، فنسأله الهدايه فى البدء و النهايه.

و أمّا أبناء عمّه و سائر الساده، فصرف عنهم برّه و إسعاده، جرياً على سنن أبيه و قواعده، و لا غرو أن يحذو الفتى حذو والده (٢).

و كان أوّل يوم جلس فيه، هو الحادى و العشرين من شهر محرّم الحرام سنه ألف و مائه و تسع و عشرين من الهجره النبويّه، و هو الآن غرّه جبهه الشرافه، و شامه وجه الخلافه.

ص: ٦١

١- ١) فى «ن»: صرح.

٢- ٢) خلاصه الكلام فى بيان أمراء البلد الحرام ص ١٦٨.

جمعت هذا التأليف في أيام دوله جنابه الشريف، و لم أقف له حال التسطير على ما يودع بطون الطروس، ممّا تطيب به النفوس، و إن عثرت بعد على شيء من ذلك، فسأبته في أثناء فصل حوادثه الواقعة في تلك الأقطار و الممالك، و لم أظفر أيضا بشعر مدح به، أو شاعر تعلق بسببه، أو عالم لازم جنابه، أو فاضل حلّ رحابه، و ما ذاك إلا أنّ جنابه الكريم، لم يكن محتاجا إلى الاستفادة و التعليم، بل هو مّمن رزق ذلك المراد من غير كدّ و اجتهاد.

و أما عقبه الشريف، فلم أقف له على حقيقه، حتّى أبين نهجه و طريقه.

إنتهينا إلى هذا الموضوع في ترجمه حال الكتابه، و سدّدنا في إظهار أوصافه الحميده سهم الإصابه، جرت أحكام القضاء بعزله عن الشرافه، بعد أن تسّم غارمها فأنافه، و هذا حال الدنيا أم الاعتبار، فما هي إلا إقبال و إدبار، و كان عزله في غزه شهر جمادى الاولى سنه ثلاثين و مائه و ألف، فكانت مدّه ولايته سنه و ثلاثه أشهر و عشره أيام، و لعزله نقل طويل، لا بأس بشرحه على التفصيل؛ لأنّه من أغرب النقول، و أعجب ما أرّخ.

فنقول: قد تقدّم في أثناء ترجمته، ما حدث له في آخر دولته من العدول عن مسالك العدل و الاستقامه، إلى سبل (1) المظالم حتّى أذاق رعاياه حمامه، و لم يزل يتزائد الحال، و هو لم يكن دأبه إلاّ جمع الأموال، ليقيم بها أود ملكه، و يسير بريحها قلاع فلكه، فحصل للساده الأشراف، و لسائر الرعايا في جميع الأطراف، تعب و بلاء و شدّه فلس و غلاء، و هو حفظه الله لم يكن ناظرا إليهم، و لا معولا في المهمّات عليهم.

ص: ٦٢

بل آل أمره بعد ذلك إلى عدم الالتفات إليهم في جميع المسالك، فتوَلَّد من هذه القضايا، قبض لقلوب الرعايا، فصار في أثناء ما ذكرناه نبيل لإخوانه، فأخرجهم عن بلاده و أوطانه، على عادة آبائهم الكرام، و أسلافهم العظام، و انضمَّ إليهم جمع من الأشراف؛ لعدم تفقده لهم بالعطاء و الاستعطاف، فسلكوا جميعاً سبل اليمن، فلم يبق منهم أحد إلاّ - و قد ظعن، إلى أن حلَّت ركائبهم بالقنفذه، فخرج وراءهم، لإبعادهم و حلّ عراهم.

فقبل وصوله إليهم للمقاومه، توسَّط بينهم للصلح و المسالمة، السيّد الشريف الأمجد، السيّد عبد المحسن بن أحمد، على أن يسلم إليهم جميع حقوقهم، و أن يمحو آيات عقوبتهم، فأخذ منهم مهله أيام يسيره، إلى أن يوجّه إلى تحصيلها همته و تدبيره، و رحل من موضعه الذي كان فيه، إلى بندر جدّه و نواحيه.

و استمرَّ هناك أيّاماً عديده، و حبال جذبته للدراهم من جدّه طوال مديده، فجمع بذلك السبب من العيون فوق ما طلب، فأرسل ما استقرَّ عليه الحال، إلى عمّه السيّد عبد المحسن بن أحمد، و واسطه ذلك المجال (١)، فدفع الدراهم إلى إخوانه، و اعتذر إليهم بأنّه لم يجد أكثر من ذلك على خوانه، و دعاهم إلى الوصول، و حفظ الاصول، فامثلوا أمره العالى، إذ هو قرين النجوم العوالى، فبعد أن تمّت امورهم، عمرت بأشخاصهم الشريفه دورهم.

و أمّا حضره سيّدنا صاحب الترجمة، فحين رأى أنّ أحوال ملكه أصبحت (٢) لذوى الأبصار منسجمه، رحل في حلل العجب و العظمه، و شرعت دواعى الفساد

ص: ٦٣

١ - ١) في «ن»: الحال.

٢ - ٢) في «ن»: أضجت.

و الفتن، بينه و بين عمّه الذى طوّقه أطواق المنن، إذ يسمعه من الكلام ما يعدّ من أعظم أنواع الكلام، فلم يزل يتلقّى ذلك باذن صمّا، و يكابد همّا و غمّا، و ينشد لسان حاله، فى حلّه و تر حاله:

اعلمه الرمايه كلّ يوم فلما اشتدّ ساعده رمانى

و كم علّمته نظم القوانى فلما قال قافيه هجانى

إلاّ أنّه قد عزم و صمّم، و أضمر و ما تكلم، على رفعه من منصبه و مكانه، و إزاله ملكه و سلطانه، إلاّ أنّه يحاول انتهاز الفرصه عليه، ليسوق أنواع البلاء إليه، و ذاك مستقرّ الفكره، مستمرّ السكره، قد أتقن سحره، و هو مقيم بأعالى نجده (1).

فصار فى أثناء ذلك، حادث لم يصير لأحد من ملوك تلك الممالك، و هو أنّه قطع على عساكره مقرّراتهم المألوفه، و مشاهراتهم المعروفه، و أتبع ذلك بالإهانه، حتّى كره كلّ منهم وقته و زمانه، فأجمعت آراؤهم السديده، و أفكارهم الرشيديه، على فراقه و هجره، و الصبر على حلّو البلاء و مرّه، و العزم على الارتحال، و ترك الخدمه على كلّ حال، و تعاهدوا بينهم على أنّ من رجع عن هذه التيه، فهو طعام للمتيه.

فشبت بينهم النار، و تفرّقوا فى تلك الهامه و القفار، و قصدوا السيّد عبد المحسن، ليتصدّق عليهم بما يقيم أودهم و يحسن، فوفدوا جميعا عليه، و طرحوا نفائس أرواحهم لديه، فأكرمهم و أمر لهم بالهباء السّتيه، و هو فى منزله المعروف بالحسيّتيه، ثمّ حزمهم حزما ثانى، غير عاقد لعنان العزيمه و لا ثانى، و الذى يظهره للخاصّ و العامّ، أنّ هذا الاجتهاد فى حال العساكر إنّما هو خدمه لذلك المقام، فهياّ لهم المنازل، و أجرى عليهم برّه المتواصل، و هم لا يزالون إلى زياده، إذ قد شملتهم

ص: ٦٤

(١ - ١) فى «ن»: نحره.

فلم يبق أحد منهم فى تلك الآفاق، إلا وقد وفدت عليهم منهم الأوراق، بالحضور مع الجماعه، و المسير إليهم فى الساعه، و هو فى أثناء ذلك يشيع بالمساطر، إلى ذلك الجناب الخطير، و يخبره بوفود العساكر عليه، و وصولهم إليه، و يراجعه فى حالهم، و يفيده بمنتهى آمالهم.

و لم تزل الكتب تتوالى بينهما، إلا أن العاقل قد عرف و تحقّق بينهما، و علم أن ظلّ صاحب الترجمة قد زال، و آن وقت الزوال، فلم يزل السيد عبد المحسن بن أحمد يسدّد الامور برأيه الأحمده، إذ كان وفود العساكر عليه، و التجاؤهم إليه، لثلاث بقين من شهر ربيع الثانى، و خرج الشريف عبد الله غزّه جمادى الاولى.

ففى هذه المدّه من الأيام قد سدّد اموره مع الساده و العساكر و الأروام، و كلّ قد ألقى الأمر إليه، و صوّب رأيه فيما بناه و صمّم عليه، و ذاك على حاله، معتمدا على أقواله و أفعاله.

و لم يدر أن العامريّه قد نبت و أن ربوع الحى أمست خواليا

إلا أنه بعد ذلك انتبه، بعد أن خفى (1) عليه الأمر و اشتبه، فركب من موضعه، بعد أن أنبأه بعض خدامه و عرفه، و قصد مكّه المشرفه، ليتدارك الحال، و لو بإعمال القاضب و العسال، فوصل البلاد ليله تسع و عشرين من ربيع الثانى، و استمرّ يومه ذاك، ليستبين ما هناك.

فحين تبسّم كواكب الإشراق، و عمّ بضوئه الآفاق، و إذا بكتب الساده تترادف عليه بالفراق، فعلم أن هذا أمر بيته أهله بليل، و يعقبه البلاء و الويل، فبعد استبان

حال القوم، ركب عصر ذلك اليوم، ووجه همته العليّه، تلقاء الحسينيّة، ووفد على عمّه، إذ قد جعله لهذه القضية غرض سهمه، ثمّ سأله عن مطلوب العساكر، ولساده الأكابر، فأجابّه بجواب شام منه بوارق الأثر بعد العين، وشمّ من أرجائه عرف الهجر و البين، فعبس و تولّى، و نكب عن المراجعة و ولى، و أيقن بطيران طاووس إقباله، و ذهاب رونقه و جماله.

و رجع إلى مكّه كرهه اخرى، إذ لم يجد لكلامه هناك مسرى، و أزمع على الترك و الارتحال، من غير حرب و قتال، فلم يسفر عليه فجر الغرّه، إلا و قد خفيت تلك الغرّه، و خليت منه البلاد، و تفتّرت لفقدته الأكباد، فنسأله تعالى أن يصحبه السلامه، و أن يجعل التوفيق خلفه و أمامه.

فحفظ البلاد الساده الأشراف و العساكر و الأروام، و عزّفوا السيّد عبد المحسن بأنّه قد عرج ذلك المقام، فأمر السيّد الجليل الأ-كبر، السيّد زيد بن أحمد بن سعيد بن شبر (1)، بأن يكون و كيلا- عنه فى حفظ الديره، حتّى يصل فتصبح العيون بوصوله قريه، فنادى بالبلاد فى وجهه، و سلك فيها بمقتضى نصره.

و لهذه القضية بقيه، قد سطرناها فى ترجمه أخيه الشريف على بن سعيد، فراجع ذلك هناك، تظفر بمناك.

و من جمله حوادثه: أنّه بعد خروجه من مكّه ظعن، و توجه تلقاء اليمن، على ترتيب معين، و مسلّك مبين، بأن يكون من الليث إلى أقاصى اليمن له على سبيل السكنى، و أن لا تقطع بينهما الحسنى، و ذلك بعد صدور حركات منه أوجبت إبعاده، و ضعفت إبراقه و إرعاده، فاستمرّ هناك مدّه شهر، و أخبار عفته عن قطع

ص: ٦٦

السبل لم يصبها دثور، تمرّ به المحملات إلى مكّه و القوافل، و هي بالغنائم السّتيه كوافل، فلم يكن أهمّ بها قطّ، و لا قطع لها حبلا و لا قطّ، فجزاه الله عن شهامته و عفّته أفضل الجزاء، جعل نصيبه من سعادة الدارين أوفر الأجزاء.

ثم إنّه في شعبان المعظم من سنه عزله، رأى أنّ من جملة فروضه و نفعه، التصميم بخلوص التّيه من غير شبهه و لا-الباس، على زياره جبر الامّه سيّدنا عبد الله بن العيّاس، فاستصحب معه ما خفّ ثقله، و هان نقله، و سار على طريق النفر المشهور، فحصل بقدمه المبارك لمجيئه غايه السرور، و دخل الطائف، المحفوف بالطائف، صباح اليوم الثامن و العشرين من شعبان.

و وكيل الطائف في ذلك الأوان، السيّد الشريف مسعود بن مساعد بن سعد بن زيد، حفظه الله من كلّ كيد، فعزم على منعه (1) من دخول البلاد، و لو بإعمال المرهفات الحداد، فحصل اللطف دون ذلك المرام، بتوسّط الساده الكرام، فأخذوا منه العهود و المواثيق، أن لا يصنع مع الرعايا ما لا يليق، و أن لا يعترض السبل و المسالك، و أقطار تلك الممالك.

فاستمرّ على ذلك الشرط إلى غزه رمضان، و تلك الأقطار الحجازيّة في غايه الأمان، غير أنّ أخاه صاحب مكّه المشرفه، و الرافل في حبل ولايتها المفوفه، لمّا بلغه مسير أخيه إلى أقطار الحجاز، استعدّ للمقاومه و البراز، و التوجّه إليه بنفسه، مع جماعه من أبناء جنسه، و صحبته العساكر و الأجناد، و الصافنات الجياد، و التقيا بالطائف غره رمضان المعظم.

و كلّ منهما قد عزم و صمّم، على مقاومه أخيه، و دفعه عن البلاد و تنخيه، فظفر

ص: ٦٧

(١ - ١) في «ن»: دفعه.

على بضده، وبنى على إبعاده بجهد، إلا أنه لما وصل إليه، أدركته الشفقة عليه، إذ بعد خروجه من البلاد، تركه يسير على مهله، ولم يصبه ضرر لا من خيله ولا من رجله، وأقام على بالطائف إلى تاسع رمضان، ثم انصرف إلى مكة المشرفة.

وأما صاحب الترجمة، لا زالت أمورُه بالتوفيق منسجمه، فرجع القهقري إلى موضعه الأول ومحلّه، ومقرّ عوله وأهله، إلا أنه فى رجوعه المقرون باليمن والسعد، مرّ بقبيله بنى سعد، سكاّن أعالي الحجاز، وحماته على الحقيقه لا المجاز، فأخذ منهم بعض شويهاً (1) غير معلومه الثمن، لكن بعد ذلك تفضّل بما يزيد على الثمن و منّ.

غير أنه فى أثناء ذلك حصل من بعض هؤلاء العرب، ما أسأؤوا به الأدب، من صياح فى أطرافه وهو يسير، وقاتل أذهب أرواحا وإن كا هو يسير، فلا حول ولا قوه إلا بالله العلى العظيم، إنه نعم المولى ونعم النصير.

فصل: فى الحوادث الواقعه بعد رجوع الشريف من الحجاز

فى الحوادث الواقعه بعد رجوع الشريف من الحجاز

ومن أغرب ما صار، وأعجب ما اتفق فى هذه الأقطار، ما وقع من هذا السيّد الشريف بعد رجوعه من الحجاز، ممّا استوجب به المقاومه والبراز.

وسبب ذلك: عدم النظر إلى العواقب، وإحكام الامور بالراى الثاقب، وهو أنه لما وصل إلى البيت فى إيايه، واجتمع بجمله من ذويه وأترابه، تصدّى بعد ما عزم، وجمع قومه وحزم، وبنى على محاربه أخيه، ومعاقبه من كان يواليه، فتهتأت له الأسباب، لتوفّر دواعى الفساد والخراب، على أخيه صاحب مكّه لخروج الساده

ص: ٦٨

(١-١) شويهاً جمع شويهه، والشويهه تصغير الشاه.

الأشراف بأسرهم عن طاعته، فغدت اموره منفكّه، بل و ربما بعد خروجهم إلى وادي مرّ كتبوا إليه بالوصول، فأجاب بالامثال صحبه المرسل، و شرع يهتأ أحواله، و شمّر أذياه.

و كان من جمله من نازله، و طلب الإلمام به و المواصله، الساده آل أحمد بن أبي نمي بن بركات، و هم الآن فخذان مشهوران، و بطنان معروفان، و هما آل حراز، و آل منديل، و لعمرى أنّهم كباش الكتيبه، و إن كانوا قليل، فعاملهم على المسير إلى مكّه و القتال، و أوفى لهم المكيال، فاجتهدوا فيما يصلح له، و بلغوه من مطلوبه أمله، و هو لم يزل يجمع الأقوام، و يسدّد أحواله بنهايه الإحكام.

فمن جمله من دخل تحت لوائه، و تمسّيك بحبل رجائه، قبيله من العرب يقال لهم: بنو الأسد، و هم في الحال جتيه (1) للساده آل أحمد، و إنّما صار التواطىء بين الشريف عبد الله المذكور و الساده آل أحمد في أثناء تلك الامور، إنّنا نقضى بهم الآن غرض، و إذا دخلنا إلى مكّه المشرفه نجعلهم لسهامنا غرض، و توثّقوا منه على ذلك، و طلب منهم الكفّ عنهم في جميع السبل و المسالك، و شرعوا يصرفون الأوقات، في شدّ الأقوات، فاحتاجوا إلى ما يحملون عليه، فرجع بعض الساده إليه، ليأذن لهم في السخره، ثمّ التجميل بحسب قدره، فأذن لهم في ذلك بحيث لا يكذّرون خواطر عربان تلك الممالك.

فاتفق أنّ واحدا من الساده آل أحمد، وجد رجلا و معه بعير من قبيله بنى الأسود، فطلب منه البعير، على أن يحمله حملا يسير، فأبى عن ذلك و مدّ عليه بندقا قاصدا، أن يجرحه كؤوس المهالك، فأخطأت الشريف رصاصته، فعالجه

ص: ٦٩

١-١) تجتّى عليه: رماه بإثم لم يفعله، الجتيه: الذنب.

الشريف بسيفه، فطاحت قبل أن يستقيم طاسته، فلا شلت يمينه (١) من شريف ما استقرّ حتى أوردته حياض سقر، وأخذ البعير و سار إلى جماعته و ذويه في تلك البرار.

فلَمَّا سمع الشريف عبد الله بذلك حنق عليهم، و سار في جيشه إليهم، فوصل ليلا- عند دورهم، و عاجلهم بالقتال قبل ظهورهم، فوقعوا في محنه عظيمه، و شدّه جسيمه؛ لأنهم إن عزموا على الفرار وقع البلاء على حريمهم، صانهم الله تعالى ممّن مع الشريف عبد الله من هؤلاء الفجار، و إن قاتلوا فهو أكثر منهم عددا، و أقدر مددا، فلم يروا إلاّ القتال، و إعمال القاضب و العسال، و عملوا عمل جدّهم ليله الهرير (٢)، و أكثروا فيهم المجندل و الكسير.

ثم ارتفعت تلك الغبره عن قتل واحد من الساده، و إصابه آخر، و قود أسير، إلاّ أنّهم قد أثخنوهم ضربا بالمهرفات، و وخزا بالرماح، و أشبعوهم حربا تغصّ الشخّ (٣) بالماء القراح.

فلَمَّا وصل الخبر إلى السيّد الشريف الأمجد، السيّد عبد المحسن بن أحمد، اجتهد في جمع الساه الأشراف لهذا الأمر المهمّ، و الخطب الملمّ، و سدّد الأمر و حزمه، على رقم وثيقه تتضمّن تجنيه صاحب الترجمة، و حقيقتها تطريده عن البلد، و إهدار دمه لكلّ أحد.

ص: ٧٠

١- ١) في «د»: يمينك.

٢- ٢) و هي الليله التي اشتدّ الحرب فيها في حرب الصّفّين، حيث أنّ الإمام على بن أبي طالب عليه السّلام قتل الالوف من الطغاه في تلك الليله.

٣- ٣) في «ن»: الشيخ.

و استمرّ الحال على ذلك الأمر، و صار مترينًا باليمن و مخالفه، و ظهرت عليه سرايا عديده من ملوك مكّه المشرفه، إلى أن منّ الله بعود الشرافه إلى ذويه، و فصيلته التي تؤويه، فكانت سببا لرجوعه إلى مكّه المعظمه، ثمّ التقلد بعقود ولايتها المعظمه، كما سيأتي تفصيل ذلك و بيانه، إذا جاء وقته و أوانه.

فصل: في الحوادث الواقعة في سنتي شرافته

إشاره

في الحوادث الواقعة في سنتي شرافته

و هي سنه تسع و عشرين و مائه و ألف، و سنه ثلاثين، من وفيات لبعض الأعيان، أو وقوع حادثه في بعض البلدان.

وفاه محمّد المهدي بن أحمد إمام اليمن:

ففي سنه تسع و عشرين و مائه و ألف: توفّي الإمام الأ-عظم، و الهمام الأجل الأ-كرم، ناشر العلوم و الأعلام، و شاهر السيوف و الأقاليم، و ممهد بساط العدل و الأمان، و مشيد قواعد الشرع و الإيمان، بأسا تجمّ دونه الأسود في الآجام، و حلما يوازن ذات القلقل و الأهضام، و علما يستمدّ منه العليم القمقام، وجودا شمل الخاصّ و العامّ، و استوى فيه وفود الرواحل و الأرقام، و المنشد فيه قاصده و آمله.

هو البحر من أيّ النواحي أتيته فلجّته المعروف و البرّ ساحله

و لو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتق الله سائله

إمام المسلمين، و نتيجة الآل المكرّمين، جمال الدين محمّد بن أحمد بن الحسن بن القاسم الملقّب ب«المهدي» رحمه الله تعالى.

و قد تقدّم أنّ ولايته كانت في سنه سبع و تسعين بعد الألف، و استمرّ إلى سنه سبع و عشرين و مائه و ألف، و فيها قام بالدعوه الحسين بن القاسم بمعاضده ابن عمّه القاسم بن الحسين، و لم يزالا متعاضدين إلى أواخر سنه ثمان و عشرين، ثمّ استقلّ

بالأمر القاسم بن الحسين استقلالاً تاماً.

و استقرّ بصنعاء و المهدي المشار إليه باق على حاله، بين أولاده و عياله، في غايه العزّه و الإكرام، و نهايه الإجلال و الاحترام، إلى أن قضى الله عليه في السنه المذكوره رحمه الله. و كانت مدّه إمامته ثلاثين سنه و كسورا.

و كان هذا الإمام منبع الجود، و منتج الوفود، و معهد الفضائل، و مقصد أرباب المسائل، صلّت الشعراء إلى قبله كرمه، و فازوا بسوايغ نعمه.

فمن جملة من أصدر إليه شعره، و اتقن في مديحه الشريف سحره، سيّدنا الوالد دام فضله و علاه، بقصيده دالّيه غزّاء، أشبه بمدائح الكميّ (١) في بني الزاهراء،

ص: ٧٢

١ - ١) هو الشاعر الشهير، و الأديب الأريب، أبو المستهلّ الكميّ بن زيد، ولد سنه (٦٠) و توفّي سنه (١٢٦) و له ديوان شعر، و من شعره الرائع قوله: نفى عن عينك الأرق الهجوعا و همّ يمتري منها الدموعا دخيل في الفؤاد يهيج سقما و حزنا كان من جذل منوعا و توكاف الدموع على اكتئاب أحلّ الدهر موجه الضلوعا ترقق أسحما دررا و سكبأ يشبّه سحها غربا هموعا لفقدان الخضارم من قریش و خير الشافعين معا شفيعا لدى الرحمن يصدع بالمثاني و كان له أبو حسن قريبا حطوطا في مسرّته و مولى إلى مرضاه خالقه سريعا و أصفاه النبي على اختيار بما أعبى الرفوض له المديعا و يوم الدوح دوح غدیر خمّ أبان له الولايه لو أطيعا و لكنّ الرجال تبايعوها فلم أر مثلها خطرا مبيعا -

و كان قد أرسلها من مكّه إليه صحبه من ناب منابه في قراءتها عليه، فحصل لها أحسن قبول، و هي هذه:

شرى يمنى البرق يهدى سناهند فيا حبّذا المهدي للروح و المهدي

أضاء ثنايا الشام من يمن كما أضاءت ثناياها ابتساما لذى و جدى

و هبّت جنوب و الجنوب مرامه فدع يا صبا نجد متى هجت من نجد

و من يهو في الأرواح ريحا فإتّما هواه مهبّ الريح مستوطن القصد

يمانيه أهدت لأهل تهامه شذا دونه أعطار تبت و الهند

و ما عرف العرف الشذى (1) سوى شبح تلقاه عن أردان ساكنه الرند

ص: ٧٣

(١ - ١) في «ن»: الذكى.

ممنّعه لم تستظّل بخدرها إذا لم يكن في ظلّ أيك القنا الملد
عزيزه حيّ تحسد الشمس مشرقا تلوح به إن لم يفارق سنا السعد
و أنّ الدرارى من أسنّه قومها تحيط بها من منظر القرب و البعد
و أنّ لها حسن الغزاليه فى الضحى و للشمس فى الغرب اصفرار ذوى السهد
و من يهوا عرابيه حول خدرها أفاطيع أو ممشى اليعافير و الربد
فودى لقحطانيه قد تكنّفت مرابعها إرسال عاديه (1)الجرد
و لا تسألا فرسانها الحمر عن دمي و لكن سلا ذات الخلاخل و العقد
فما شهرت أجفانهم عن مهّند كما شهرت أجفانها باتر الحدّ
و لا اهترّ فى راحتهم من مثقّف كما اهترّ إذ مرّت تميمس من العقد
و لا لمعت تحت الدياتجى أسنّه كألحاظها فى ليل فاحها الجعد
و لو نظرت للقوم آرام أرضها بمثل الرنا الفتان من مقلتي هند
أو التفتت عن مثل أتلع جيدها إليهم معاذ الله من لفته الصدّ
و لو أطلعت تلك الرياض أقاحيا كمبسمها المعلول بالراح و الشهد
و أبدت كنعمان الخدود شقائقا و من عنم شبه البنان التى تبدى
إذ لحمت فرسانها ظبياتها و روضاتها عن طالبى الصيد و الورد
و لكن تشاييه البيان تخيل و هند سمت فى منتهى الحسن عن بدّ
ألست ترى سلطانها كلّ مملك مجازا و سلطان الحقيقه للمهدى
إمام له الملك العظيم الذى حبا به آل إبراهيم خالقنا المبدى
و هم بعد خير الرسل أحمد آله سفينه نوح و النجوم لمستهدى

و هم قرناء الذكر علما مع التقى إلى أن يوافوا الحوض فى جنّه الخلد
حباك أمير المؤمنين محمدا بها الله مهديا إليها من المهد
خلافه عدل يشهد الخلق أنّها إليك بأعلى (١)المهر زفت و بالعقد
لعمري لقد أمهرتنا كلّ مهرة و مهر يبارى الريح فى الكثر و الطرد
بقايا الجياد الصافنات التى ارتضى سليمان يوم العرض و الأمر بالردّ
عليها ليوث من نزار و يعرب فرائسها أعداء دينك و الرشده
تحوط ثغور المؤمنين و تعتدى حصون الحصون الشّم فى الحزن و الوهد
و زعف (٢)دلاص من صنائع تبع و صنعه من بالوحي قدّر فى السرد
تقى مهج الأبطال كلّا و إنّما عزائمه فى الله واقية الحشد
و كلّ ردينى يرى متقصّدا من الطعن فى لبات عاد من القصد
تخال شعاع الشمس لمع سنانه و بعد الوغى المريخ من علق وردى
و كلّ حسام مشرفى لجده مضاء القضاء الحتم و القدر المردى
بوارق تسرى فى دجى عثير الوغى سحائبها أرضيه عصب الجند
ترى أثر المغلوب سيف ابن ظالم و ما هزّها من ظالم قطّ فى شدّ
أرى الجدّ يحبوه القضاء و خير ما حبا قدر ما يستحقّ من الجدّ
و ما يستحقّ الجدّ بالجدّ فى العلا كمثّل مجدّ فى رضا الصمد الفرد
سما الجدّ بالمهدى إذ كان مخلصا لتأييد دين المصطفى أعظم الجدّ
بحلم يخفّ الطود عدلا بوزنه إلى لطف ذات دونه سلسل الورد

ص: ٧٥

و علم لدنئى تفيض بجوده و يقصر عن أدناه كسب ذوى الكدّ
فكلّ إمام فى علوم تخاله لديه كلیم الطور بالخضر يستهدى
و حزم له من دون يأجوج ماكر و مأجوجهم سبک الحجى محکم السدّ
وجود محت آیاته صیت من مضى كذاک جرى الوادى فطمّ على الثمد
فدع يمنا و اسأل به أهل فارس مع الروم ثمّ الترك و الزنج و الهند
لتسمع من أبناء حام و يافث وفاق بنى سام على المدح و الحمد
و عزم و إقدام ترى الأسد عنده على رغمها كالشاء فى أجّم الأسد
له خرق عادات الطبائع سطوه ثباتا بتاتا للمعاند و الضدّ
صفات جلال مع جمال تمازجا كما يدغم المثلان باللفظ فى الشدّ
أجزها أمير المؤمنین تفضّلا قبولاً بإصغاء يليق لذى الودّ
صراط سوى فى الولاء يمدّه فتى موسوى فضل آبائه يهدى
درى أنّك الظلّ الظليل على بنى الوصى و شبليه فخصّك بالقصد
بآداب مدح ليس يلفى له بها نظير كما الممدوح فرد ذوى المجد
لو اسطاع سيرا نحو بابك لم ينب رقيما لبعض البعض من خدم يسدى
بلى سار عنى نحو أعتابك العلا أخى و ابن أمى مستتابا عن العبد
فكان لديكم كاسمه فى اختياره و كاسم أبيه فى علا القدر و المجد
و ما هو إلاّ فرع دوح خصائصى علوما و آدابا بتوفيق من يهدى
عنيت به مذ كان طفلا فلم يزل كغرس أنميه بماء النهى جهدى
كما لأبيه فوق ما لى عليه من حقوق فبعد الله شكرى له و كدى
و ظننى به شكرى و ذكرى لديكم و إلاّ يكن أنسبه للسهو لا العمد

وقد سبقَت مِنِّي لَدَيْكُم مَدَائِحُ سَتْرُوى وَ تَبْقَى فِي فَمِ الدَّهْرِ كَالوَرْدِ

ص: ٧٤

و كل كتاب من شريف بمكّه أتاكم فمن حوك البلاغه كالبرد

و كل دعاء أو ثناء مسطر لكم بنائى قد أتى وارى الزند

ولى حقّ ذى القربى و ذى العلم و التقا لكم مع نصر الآل بالحجج اللدّ

فإن كان لى حقّ فعدلك أمر و إلا يكن فالفضل هل أملى يكدى

ترجمه السيد الشريف على بن سعيد بن سعد بن زيد

اشاره

ابن محسن بن حسين بن حسن بن أبى نمى

تقمّص هذا السيد الشريف، و الغضنفر الغطريف، شرافه مكّه المعظمه، و تحلّى جيده بعقود الخلافه المنظمه، و ضربت بين يديه نوبات التهانى، و حققت لديه رايات الظفر و الأمانى، و خدمه السعد و الاقبال، و خضعت له أعناق الرجال، و تبسّم له الدهر عن ثنايا البشر و المسرّه، فوسم قلوب رعاياه بمبسم الرحمه و الميرّه، فطالما جمح الملك بأربابه، فحين تسنّم صهوته وقف على بابه، فكأنّه القوس بيد باريها، و مياه الحدائق فى جداول مجاريها.

و لا غرو فلقد أحيا ماثر سعد، و هو جدّه الذى انتهى إليه الحلّ و العقد، بكرم يستمدّ منه الصحب الغوادى، و عدل يشكر صنيعه الرائح و الغادى، و عزمات إسكندريّه، و سطوات حيدرّيّه، كلّ ذلك مع أنّ أكفّ عمره لم تقبض العشرين، و سامى قدره لم يرض بالسهى له قرين.

ولى مكّه المشرفه، و رفل فى حللها المفوّقه، لثلاث بقين من جمادى الأولى سنه ألف و مائه و ثلاثين.

و لهذه الولايه روايه ساقصّيهها لك عن درايه، تقدّم فى ترجمه أخيه فى كيفيّة عزله عن الشرافه و تنحيه: إنّه كان خروجه من مكّه المشرفه من الشهر المذكور، كما هو محرّر فى ترجمته و مسطور، و أنّ السيد الشريف الأمجد، السيد

عبد المحسن بن أحمد، صرخ مناديه في البلاد، بأنّها في أمانه عن الخراب و الفساد.

و استمرّ هو و الأشراف غرّه الشهر و ثانيه، لتعيين من يضعه في هذا المنصب و يوليه، فاستقرّ الأمر على رجلين من الساده، و هما هما ممّن نثيت لأبائهما في شرافه مكّه الوساده: أحدهما السيّد الشريف، ذو الظلّ الوريّف، و المجد المنيف، الأمجد الأنجد، صنوه السيّد مبارك بن أحمد. و الآخر: السيّد الأشراف الأرف، خدين الصلات، السيّد يحيى بن الشريف بركات.

فالأوّل منهما مع كونه في الشرافه عريق، غير أنّ أخاه لم يزل ينصب له حبالل التعويق، لثلاً ينسب إلى ما لا يليق، من الاجتهاد و السعى في عزل ابن عمّه، لأجل وضع أخيه و ابن أبيه و أمّه، و هو لم يكن مراده إلاّ- إزاحه الظلم و الفساد، و اطمئنان البلاد و العباد، تيّه خالصه لم يشبها غرض، و لم يعلق بها مرض.

و أمّا الثاني في العدد، مع كونه وافر المدد و العدد، فقد حال بينه و بينها دواعى الأهويه و الحسد، و إلاّ فقد استقرّ الرأى عليه، و توجّهت أحكام البلاد إليه، و طلع بدره المنير، من أفق الشرافه، و أورد غصنه النضير في رياض الخلافه، غير أنّه إلى الآن لم تتحلّى بالخلعه مناكبه، و لم تسر في سماء الملك كواكبه، بل قد ترتبت أحواله، و ضارع الأبدار هلاله.

و إنّما آخر اللبس إلى ثالث الشهر المذكور، لبقاء بعض تعلّقات من تلك الأحوال و الأمور، و سكّان مكّه المشرفه و من بها من القصاد، لم يزالوا يتضرّعون إلى ربّ العباد، أن يولّى عليهم من يختاره لجيران بيته الحرام، و هذا دعاؤهم في تلك الثلاثه الأيام.

ثمّ و من العجب العجاب، و العبر الواضحه لذوى الألباب، أنّه قد ترتبت هذه

الأُمور المهمّة و الأحوال، و عيّن لملك مكّه المشرفه من يحفظ زمامه، و يؤطّد أحكامه، و ارتفع كلّ قيل و قال، و على هذا لم يخطر لأحد ببال، بل و ربما عزم ليله ثالث الشهر، بعد ظهر له أنّ الدوله قد استحالت بركائبه ممّا يكابده من الأنفه و القهر، و أزمع رأيه بأن يتسنّم ركائبه، و يضرب في المهامه مضاربه، و يعتاض في درر مكّه المشرفه حصباء القفار، و يقنع بفيء السلم و الضالّ عن ظلال تلك الديار.

فلمّا بنى على ذلك، و وجّه نجائب همته على اقتحام تلك الفجوج و المسالك، بلغه أنّ بعض كبار الساده لم يرض بيحيى، و ودّ أنّه يموت قبل ولايته و لا يحيى، فنشق من ذلك روح الفرج، مع ما ورد عليه منهم من التأخير في الحركه، فتهلّل وجهه الشريف و انبلج، و قال لخدّامه: قد هجم علينا الكرى، و عند الصباح يحمد القوم السرى، فعلقوا الركاب، و كونوا أحذر من غراب.

فلمّا اتّضح فجر اليوم الثالث، و إذا مكّه المشرفه قد حفّت بالخطوب الكوارث، فاجتمع عامّه الساده الأشراف اجتماعاً مسدّد، عند شيخهم السيّد عبد المحسن بن أحمد، إذ قد دنا حسم المادّه، و إيضاح الجادّه، بولايه الشريف يحيى بن بركات، من الإعلان بالدعاء له على رؤوس المنابر و عقب الصلوات، فعظم الأمر على عمرو، و علت الأصوات، و كثرت المجادلات، و استولى الأرجاف، على مكّه المشرفه و ما حولها من الأطراف.

و وقع السيّد عبد المحسن بين أمرين مشكلين، و خطيبين معظّلين؛ لأنّه إن وقف عند ما رآه، و شيّد مبناه، و تحقّق عنده أنّه الصواب، بعد النظر السديد في عواقبه من جميع الأبواب، و هو توليه السيّد يحيى بن بركات، احتاج إلى المخاصمات للساده و المقاومات. و إن أئخر الأمر في ذلك، ليستظر غيره ممّن يصلح لحفظ تلك الممالك، خربت البلاد، و ذهبت العباد.

فلَمَّا علم أنّ الأمر لم يحتمل التأخير، ليتمكّن من إعادة الرأى والتدبير، صمّم حسبما اقتضاه نظره السديد، على تقليدها لحضره السيّد الشريف على بن سعيد، و هو صاحب الترجمة، لا- زالت دولته العادله، رافضه لكلّ مظلمه، فأرسل إليه، و أفاض الخلعه عليه، بعد كلام طويل، لم يحزّ من الفائدة غير التطويل، و مجادلات كثيره، فربما أنّنا لو شرحناها لكانت للمملّ مثير، و إنّما تسطيرها و تحريرها قد لخصهما الحسين بن مطير فى قوله:

و كم طامع فى حاجه لا ينالها و من نافس منها أتاه بشيرها

و هذا محطّ الفائده، و طيب هذه المادّه. و ممّن أرّخ له هذه الولا-يه، و نشر عليه من الثناء أفخر رايه، مؤلّف هذه الكلمات و منشيها، و حائك بردها و موشيا، تقرّبا إلى ذاته، و متعرّضا لجزيل برّه و صلاته، و هو:

يا سيّدا قد حاز فخر الأولى سبحان من بالملك قد كملك

و يا فريد العقد مجدا و ما درّه تاج الملك ما أعدلك

بسطة عدلا شائعا فى الورى بمنهج يحمده من سلك

لذا أتى تاريخ عام الهنا بملكك الصاعد أوج الفلك

من بعد إظهار لجن علوا و أسعد الرحمن مستقبلك

فهاك تاريخا غدا مفردا ما تمّ للعالم ما تمّ لك

فصل: الشطر الأخير و هو التأريخ للبهاء زهير رحمه الله تعالى

[الشطر الأخير و هو التأريخ للبهاء زهير رحمه الله تعالى]

و إنّما ضمّنته لمطابقتها مقتضى الحال، مع كونه صالحا لأن يكون تاريخا، و إنّما زاد ثلاثه و ثمانين، فاستثنيتها بقولى «من بعد إظهار لجن علوا» و هو لفظ لجن بمفرده، و هو ثلاثه و ثمانون، و لا يخفى ما فى ذلك من التوريه اللطيفه، و هذا النوع من التاريخ كثير

جدًا لطيف، و يسمّى التاريخ المستثنى.

قال الفاضل العلامه السيّد محمّد كبريت فى كتابه نصر من الله و فتح قريب (1):

و منه-أى: من التاريخ المستثنى-و مثاله للشيخ جمال الدين العصامى تاريخ وصول قاضى مكّه المشرفه حسن أفندى «قاضيينا حسن بلا- كلام»أى: بإسقاط عدد حروف لام، و هو فى غايه الحسن مع التوريه اللطيفه، و نحوه لمولانا إبراهيم ابن أبى الحزم المدنى تاريخ مقعد له:

عند ما تمّ مقعد الصدق هذا قيل أرّخه قلت يا صاح حاضر

هاك تأريخه و لا شين فيه مقعد للجليل عال و عامر

أى: بإسقاط عدد جمل حروف «شين» من الشطر الأخير. إنتهى كلامه رفع مقامه.

و من هذا النوع تأريخ سيّدنا الوالد-دام علاه-المتقدّم فى هذا الكتاب عند ترجمه الشريف سعيد بن سعد، و هو تاريخ الولاية الخامسة، و هو:

بشائر السعد قالت و الدهر واف و محسن

بيتا نأى عنه كيد فجاء تاريخ متقن

بشّر سعيد بن سعد بملكك زيد بن محسن

أى: بإسقاط عدد حروف «كيد» و إخراجها من البيت الأخير، و هو التاريخ، و لا يخفى ما فيه من تمكين التوريه بين فى قوله «بيتا نأى عنه كيد» فلله درّه.

و الحاصل أنه كثير، فتتبعه تجده كثيرا.

ص: ٨١

(١- ١) ذكره إسماعيل باشا فى كتابه إيضاح المكنون ٥٤٢:٥، قال: كتاب نصر من الله و فتح قريب فى الأدب، للسيّد محمّد كبريت المدنى، رحله الشتاء و الصيف.

قد تقدّم في أثناء هذه الترجمة، أنّ هذا السيّد الشريف، والأزيد في اكتساب المجد المنيف، توالى أمر الشرافه، وعقد ألويه الخلافة، يوم ثانی جمادى الأولى من سنة ثلاثين، ثمّ إنّ من حين تسنّم غاربها، و جلا بطلعته البهيّة مشارقها و مغاربها، و شمل برأفته مكّه المشرفه و من فيها، و أشاع العدل و الأمان بنواحيها، عرض جيران بيت الله الحرام، من الساده الأشراف و العلماء الأعلام، إلى حضره السلطنه العليّه العثمانيّه، لا زالت أوامرها مطابقه للأقدار (١) الربانيّه.

و مضمون العرض السؤال، بعد التوسّل بالنبي و آله الأطهار، أن يكون صاحب الترجمة شريف مكّه المشرفه و تلك الأقطار، فأجابت السلطنه سؤالهم، و أنجحت بإرسال المراسيم و الخلعه آمالهم، فوصلت إليه سادس عشر سؤال، و هو حفظه الله نازل بالركاني، محاصر لبعض الساده بمن معه من الرجال، لكونهم خرجوا عن طاعته، و تعرّضوا لما هو في حمايته.

و في يوم الجمعة لعشر بقين من سؤال: سار في شردمه من الخيل و العساكر، و صحبته بعض الساده و الأكابر، و قصد مكّه المشرفه، ليستفيض بها تلك الخلعه المفوفه، و تقرأ تلك المراسيم، بحضور الأمه في الحطيم، فلمّا صار ذلك، عمّ السرور سكان تلك الممالك.

ثمّ إنّ بعد أن لبس الخلعه في المسجد الحرام، عزم على الإقامه بمكّه خمس أيام، ففى أثنائها حصل ذلك الأمر المشكل، و الخطب المعضل، و هو قتل الشريف عبد الله لذلك الشريف بغيا و نكايه، حتّى استوجب بهذا السبب تلك الجنايه، و هباه

اللّٰه له الاسباب بإزاله ذلك الاختلاف، بينه و بين بنى عمه الساده الأشراف، فأجمع رأيهم السديد على محاربه الشريف عبد اللّٰه، كما قد مرّ نظرك على تقريره، فلا حاجه إلى تكريره.

و لنرجع إلى ما نحن بصدده، و ضبط مدده، و هو أنّه بعد أن صار ما صار، إطمأنت تلك الأقطار، و إنّما وقع الغلاء فى الأسعار، مع قلّه الأمطار، و فى أواخر دولته اضطربت البلاد، و كثر الفساد، و صار النهب فى أطراف مكّه المشرفه و بالليل فيها، و عظمت صوله العربان فى نواحيها، و استمرّ ذلك إلى شهر ذى القعدة من سنه ثلاثين.

و فى هذا الشهر: خرج الساده الأشراف برمتهم إلى الوادى و نواحيه، لقطعهم لعوائدهم المقرّره لهم من زمن جدّه و أبيه، و لم يبق بمكّه أحد منهم، غير أنّا نسمع الأخبار عنهم، و استمروا بالوادى إلى وصول الحاجّ الشامى، متمسّكين بلطف اللّٰه السامى، و فيض كرمه الهامى، لم يقع منهم خلاف، فى تلك الأطراف.

فلمّا وصل الحاجّ الشامى، رفعوا أمرهم إلى الوزير الأعظم، و المشير الأفخم، رجب باشا، منحه اللّٰه من السعاده ما شاء، فقابلهم بالإعزاز و الإكرام، و رفع على عن حمايه بلد اللّٰه الحرام، و أقاموا عليهم من أجمعت عليه كلمتهم، و اقتضاه نظرهم السديد لحفظ تلك الجهات، و هو الشريف يحيى بن الشريف بركات، ألبسه يوم ستّ من ذى الحجّه الحرام بوادى مرّ، و دخل مكّه المشرفه ليله سبع مع الساده و جمع من عساكره المنصوره، فترك على البلاد و مرّ، و أقام بالحسيّيه أيّامًا ثمّ ظعن، و توجه تلقاء اليمن، فنسأل اللّٰه تعالى أن يشمله بفضله الذى لم يزل يتوالى، و أن يصحبه السلامه، فى السفر و الإقامة.

و كانت مدّه دولته سبعة أشهر و أربعة أيّام، و له من العقب ذكور صغار، إلى الآن

ترجمه السيد الشريف يحيى بن بركات بن محمد بن إبراهيم

اشاره

ابن بركات بن أبي نمي صاحب مكّه المشرفه

السيد الشريف الماجد، والأيد في اقتناء المآثر والمحامد، المشرق نور غزته سناء الفخار، والمزهر نور طلعتة بحياء الوقار، منبع الكرم والجود، ومنجع القضاة والوفود، مع حلم وصيانته، لا توازنهما الأطواد رزانه، وأخلاق أطف من نسيمات الصبا، وأرق من أحاديث الصبا، وأما صلاحه وتقواه، فيشهد له لذلك ملازمته بالمسجد الحرام لكل صلاه.

ولد بمكّه، ونشأ بها، وارتضع درّ الخلافه فالتحق بنسبها، ففاز بالقدح المعلى، من طريف المجد وتالده، ولا غرو أن يحدو الفتى حدو والده، طالما خدم والده الخدم السنيه، مدّه دولته إلى أن اختطفته يد المتيه، ثم والى خدمه أخيه الأجد السديد، المرحوم الشريف سعيد، إلى أن عزل عنها بالشريف أحمد بن زيد.

فرحل معه إلى الأبواب المحروسه من كل كيد، وذلك في سنه ألف و ستّ و تسعين، إلا أنّ سعيدا توجه إلى مصر وهذا إلى الشام، فلاحته له بوارق السعاده، فاستمطر غيثها بعد ما شام، فتزوج بوالده نجله السيد بركات، وحسنت سيرته في تلك الجهات، وأنعمت عليه الدوله العثمانيه في ذلك العام، بحكومه بعض قرى الشام، ثم نقلوه إلى إماره حاج بيت الله الحرام، فورد مكّه المشرفه وأميرها السيد محسن بن حسين، وذلك في سنه ألف و مائه و ثنتين.

فلما قضى من المشاعر مآربه، وأخذ في العود مناهجه الأولى ومذاهبه،

ص: ٨٤

تعرّضت له باديّه عنزه، و من حولها من الأعراب، و طلبوا منه زياده على قواعدهم المقرره لهم فى الإياب، فامتنع عن ذلك، و أوردهم حياض المهالك، فوقع بينهما حرب و قتال، و ذهب فيه جملة من الخيل و الرجال، و وقف فى ذلك اليوم موقفا يشهد بنجابته و أصالته، و كرّ كرات تعلن بشجاعته و بسالته.

فتفرّق بسبب ذلك غالب الحاجّ، و ظلّ فى تلك المهامد و الفجاج، ثمّ أسفر طول مكثه عن ذهاب ثلثه، فقيل: إنّ ما أساء هؤلاء الأعراب معه الأدب، حتّى صاروا ينسلون إليه من كلّ حدب، إلّا- ياغراء شريف مكّه عليه، حين حقّقت له الفراسه، أن ستؤول الشرافه إليه.

فلما خشى من تلك القضيّه، أراد أن يقبح سيرته عند الدوله العليّه، ليحول بينه و بين ذلك الأمل، فأحرز مقصده بذلك العمل، لأنّه لما ورد شامه، و سمعت السلطنه أخباره و أعلامه، ساءت سيرته لديهم، و أهتموا بإحضاره بين يديهم، و إنّما لما لحظته عين العنايه من جدّه، و أحاطت به سرادق سعاده و جدّه، ألقى الله الشفقه فى قلوبهم، و أحالت القدره الإلهيه بينهم و بين مطلوبهم، فعزموا على رفعه من منصبه الأسمى (١)، و توجيهه إلى ديار مصر العظمى، إكراما لنسبه الشريف، و إجلالا لمقامه المنيف، و قرروا له ما يوازى مخارجه.

ثمّ حبسوا بها عليه سبله و مناهجه، فألقى العصا بمصر مع أخيه، و هجر مكّه و من بها من ذويه، فخالط أعيانها بلطف شمائله، و شمل ضعفاءها بجزيل برّه و نائله، فسرى فيهم مسرى الروح فى الجسد، و تمكّن منهم تمكّن البرين من الأسد، حتّى صار لديهم بيت القصيد، و واسطه العقد الفريد.

ص: ٨٥

ثم استمر بها عدّه سنين، لم تطأ آساد الثرى له عرين، و لم يزل طائر يمنه يصدح بإقباله، فى مدّه حياه أخيه و بعد انتقاله، بل زاد من برّ السلطنه مدده، و توفّرت بأسباب موت أخيه عدده.

و فى سنه ألف و مائه و ثمان عشره: إستأذن من الدوله أن يسير إلى مكّه المعظمه، و يكون عضدا للمتعلّى بعقود ولايتها المنظمه، لاختباط مكّه و ما حولها من الأطراف، و اختلاف كلمه الساده الأشراف، على مليكها الأمجد الأنجد، ابن عمّه الشريف عبد الكريم بن محمّد، فورد بالإجلال و الإي-كرام، و مزيد العنايه و الاحترام، و عضده صاحبها بخيله و رجاله، و خدمه بأفعاله و أقواله.

و لم يزل معه برأيه الرشيد، و اجتهاده السديد، إلى أن عزلته السلطنه بالشريف سعيد، فلزم داره، و اشتغل بالعماره، و عكف على عبادته و تقواه، و ألزم نفسه الحضور فى المسجد لكلّ صلاه، و لم يزل هذا دأبه و شعاره، و قطبه الذى عليه مداره، إلا أنّك إذا نظرت إليه بعين الفراسه، ظهرت لك من وجهه الشريف مخائل الرئاسه، و لثما استقامت فى دائره الفلك كواكبه، و صفت من الأكار مناهله و مشاربه، زفّت شرافه مكّه إليه، بعد انقضاء دوله سعيد و نجله.

فصل: كيفيه شرافه الشريف يحيى بن بركات على مكّه

كيفيه شرافه الشريف يحيى بن بركات على مكّه

تولّى هذا السيّد الشريف الأمجد، و السند المنيف الأنجد، شرافه بلد الله الحرام الأمين، و حمايه قطّانه و الآمين، لستّ خلون من ذى الحجّه الحرام سنه ألف و مائه و إحدى و ثلاثين.

و سنملى عليك فى هذا الفصل اللطيف، بعد تمهيد ما تقدّم من ذلك الأنموذج الطريف، حديث كيفيه سوق الشرافه إليه، و إفاضه الخلع السلطانيه عليه.

و هو أنه قد تقدّم فى ترجمه الشريف على ما صار من الزيغ و الاختلاف، الصادر من الساده الأشراف، فى أوائل شهر ذى القعدة الحرام من السنه المذكوره، و ذلك بسبب تخلف مقرراتهم، و قطع صلاتهم و مبرّاتهم.

و أجمعت كلمتهم على الخروج، و الترخيل إلى شام العرب و ملاقاه امراء الحجاج، و ظهوروا إلى وادى مرّ الظهران، و لاقوا أمير الحاجّ الشامى قبل وصولهم إلى عسفان، و هو الوزير الأعظم، و المشير الأقرم، ذى الأخلاق الرضيّه، و الآراء الوضيّه، المعروفه فى كلّ قضيه، رجب باشا، بلغه الله من السعاده ما شاء، فتلقاهم بصدر رحب، و رأى مصيب.

فرفعوا إليه شكواهم، بعد أن قدّموا بين يدي نجواهم، و شرحوا له ما صار من الفساد، و طلبوا منه رفع على من البلاد، فامثل أمرهم العالى، و عزم على أعمال القواضب و العوالى، إلّا أنّه سألهم عن شيخهم العظيم الأمجد، السيد الشريف عبد المحسن بن أحمد، فأجابوه بأنّه لا يخلو من توغّك فى مزاجه، فتأخّر لمدّاه مرضه و علاجه، ثمّ سألهم ثانياً، و قال: أين من أجمعتم الآن عليه، و أزمعتم على تفويض أمر الشرافه إليه، فأشاروا إلى السيد الشريف، و الغضنفر الغطريف، الأمجد الأنجد، السيد مبارك بن أحمد، فقال: لا بأس بجنابه، إذ هو من ولاة هذا الأمر و أربابه، إلّا أن لا بدّ من استشاره أخيه، و ما يأمرنا به نسير فيه.

هذا كلمه و صاحب الترجمه، مقيم بمكّه المكرّمه، ليس له يد فى هذه الأحوال، بل ناهض بما يجب للملك من شروط العمّال، فكتب حضره الوزير المسدّد، كتاباً أرسله مع كبار الساده إلى السيد عبد المحسن بن أحمد، و معهم أخوه المشار إليه، و الأمر لم يكن محزوماً إلّا عليه، فحين حلّوا رحابه، أسلموه كتابه، و صارت بينهم مراجعات طويله، لم تفد الحديث إلّا تطويله.

ملخصها: أنه نكب على توليه أخيه، وأظهر توانيه عن هذا الأمر و تراخيه، و اعتذر بامور عظام، لا يسع شرحها المقام، منها: أنه ما سيؤول تعب هذا الأمر إليه، و ذهاب جملة من الأموال عليه.

ثم خاطبه مشافهه بلسانه، طاعنا لما تجسّمه عقله بسنانه، و قال له ناقضا لما أبرمه من ذلك الغزل، هل بعد الولاية إلا انتظار الغزل، و إذا صار ذلك غدوت مطرودا في جميع الطرق و المسالك، و أجمع الساده على إبعادك، عن عشيرتك و بلادك، فهل أحرزت من شرافتك، غير عداوتك لرفاقتك، و أخيبت فيما كنت آمله فيك و أرجوه، و أحكمته من جميع الوجوه، من أنك ستكون الجامع لأهلى و عيالي، إذا كسفت شمعي و غاب هلالى، و هل بعد اجتهادى فى حلب الدرّ بفيك، تضيّع أملى فيك، فمّل عن ذلك، و اقتدى بى، و سر على تهديبى.

ثم شرع يجول مع الساده فى من يصلح لهم، و يبلغهم من السعاده أملهم، فعزم هو و الساده الأشراف، على من يحصل به السداد من جميع الأطراف، لسعه صدره، و علوّ قدره، و هو صاحب الترجمه، لا زالت عقود دولته منظمه.

فكتب إلى حضره الوزير بذلك، و أفهمه بأنّه الغايه لحفظ هذه الممالك، و الحال ان يجيء بمكّه المشرفه، و إنّما أرسل إليه السيّد عبد المحسن بذلك و عرفه، و أمره بالمسير إلى حضره الوزير، فجاءه المرسل بعد صلاه الصبح و هو فى المطاف، و مهبط البرّ و الألفاف، فامثل الأمر و سار، و وصل الوادى قبل حلول الشمس فى رابعه النهار، فوجد به صاحب السعاده، و جميع الساده، فى استسراق شمس غرّته، و استبدار هلال طرّته.

فلما وصل إليه، أفاض خلعه الشرافه عليه (١)، و حَفَّه الساده من جميع جوانبه، كأنه البدر بين كواكبه، و ذلك في يوم ستّ من ذى الحِجّه الحرام من السنه المذكوره، و دخل مكّه بعد العشاء ليله سبع من الشهر المذكور، و هو في غايه النشأه و السرور، و خرج على من البلاد و سار، من غير حرب و لا حصار.

و هذا بيان كيفيه سوق الشرافه إلى جنبه العالى، لا زال مشمولاً بفيض كرمه المتوالى، و استمرّ فيها إلى يوم الأربعاء لسبع خلون من شهر رجب المعظم من سنه ألف و مائه و ثنتين و ثلاثين، فكانت مدّه ولايته سنه و سبعة أشهر و يوماً واحداً، عزل عنها بالشريف مبارك بن أحمد الآتى ذكره الشريف (٢).

فصل: فى مناقب الشريف يحيى بن بركات

فى مناقب الشريف يحيى بن بركات

كانت دوله هذا الملك الهمام، و الغضنفر القمقام، حسنه من حسنات الزمان، و منه من منن الرحمن، أمّا أيامه فأعياد و مواسم، و ثغور الأفراح بدولته المزهره بواسم، طالما هزّ الدهر بها إعطافه، و نثر الربيع عليها من ذخائر نواره أصنافه، مهّد الأمور و عدل، و أصاب الحقّ و ما عدل.

ولى مكّه و هى مفعمه من حوادث الرسوم و المظالم، فهبّ عليها نسيم عدله فعفى رسوم تلك المعالم، و أقام الشريعه فظهر شعار الدين، و سلك مسلك الخلفاء الراشدين، و لعمري لقد صدق من أنشد فيه، فى بعض الرسائل التى كانت توافيه، قول بعض الشعراء السابقين، و البلغاء الناظمين:

ص: ٨٩

١-١) فى «ن»: إليه.

٢-٢) راجع: خلاصه الكلام ص ١٧٠.

إذا أردت شريف الناس كلهم فانظر إلى ملك في زي مسكين

ذاك الذي حسنت في الناس سيرته و ذاك يصلح للعالم و للعالمين

أقام للساده الأشراف عمود أقدامهم، و أثار بدولته النموية ضوء نبراسهم، و سلك مع رفاقته و ذويه، مسلك الوالد مع بنيه، و كانت له خصال جمه، لم تلف في أحد من ملوك هذه الامه.

من جملتها: التواضع و حسن الأخلاق، اللذان استمال بهما قطان بلاده و وفاده من جميع الآفاق، و كثيرا ما يقف في مسيره لسماع الشكوى، لضغائن النساء ذوات البلوى، فيأخذ لها الحق، و يهين من عقوقه، و هو واقف على قدمه، بين عساكره و خدمه.

و منها: سعه صدره التي هي من أعظم الدلائل على نمو قدره، يتلقى الخطب بصدر رحيب، و رأى مصيب، فيحل عراه، و ينظر ما وراه.

عليم بأعقاب الامور كأنما تخاطبه من كل أمر عواقبه

و منها: الرأفه بأهل البلاد، و الرحمه الشامله للعباد، بالنظر العالى في جميع أحوالهم، و التعفف عن أغصابهم في أخذ أموالهم، ثم التنزل إلى الموالاه بذاته العليه لأسعار الأقوات، و عدم الغفله عنها في جميع الأوقات، طالما يمر على السوق و هو في غايه الانتظام، من العساكر و الخدام، و يتناول بيده الشريفه أنواع الحبوب، و يسأل عن أثمانها حتى يقف على المطلوب، فيضع منها ما ارتفع ثمنه، و هذا دأبه و ديدنه، فجزاه الله عن أهل مكه خير الجزاء، و جعل نصيبه من السعاده أوفر الإجزاء.

اشاره

فى الحوادث الواقعة فى شهور دولته الزاهره و إمارته الباهره

من وفاه لبعض الأعيان، أو حادثه وقعت فى بعض البلدان.

فقد تقدّم أنّ ولايته كانت فى افتتاح سنه إحدى و ثلاثين، و عزله كان فى سنه ثنتين و ثلاثين.

وفاه السيد زين العابدين الصحرا:

ففى سنه إحدى و ثلاثين: توفى السيد الجليل الأصيل ذو النسب الفاخر، و الحسب الجامع لأشتات المفاخر، السيد زين العابدين بن جعفر بن الفاضل العلّامه السيد زين العابدين الشهير بالصحرا، و كانت وفاته رابع شهر جمادى الاولى من السنه المذكوره.

و كان هذا السيد من أجلّ الساده، و أعظم من تسّم عند ملوك مكّه غارب السعاده، فأحلّوه روضه غنا، و أنالوه كلّ ما تمنى، فصار منهم بمنزله الروح من الجسد، و البرشن من الأسد.

و أمّا جدّه العلّامه السيد زين العابدين، فكان واسطه عقد علماء الدين، فرحمه الله تعالى، و أولاه أطفافا توالى.

وفاه الرئيس عبد اللطيف الموقت:

و فى سابع عشر رجب: توفى الرئيس عبد اللطيف موقت الحرم الشريف.

ترجمه الشريف مبارك بن أحمد بن زيد بن محسن

اشاره

ابن حسين بن الحسن بن أبى ندى

ملك نشأ من دوحته النبوه و الرساله، و ترعرع فى رياض الفتوه و البساله،

و رشف من كؤوس الهيبة و الوقار، و اعتسف جموح المجد و الفخار، و نشق (١) ربا الخلافه من قبل صباه، و شفّ بها شغف أبى زيد السروجى لفتاه، فلم يزل يفتل فى الذروه منها و الغارب، حتى تسنم صهوتها، فشاع صيته الشريف فى جميع المشارق و المغارب، فغدت دولته الزاهره غرّه لجبهه زمانه، و صولته القاهره قرّه لعين أعيانه.

ولى أحكام الشرافه، و لوى ألويه الخلافه، لسبع خلون من شهر رجب المعظم، عام ألف و مائه و اثنين و ثلاثين، و سأملى عليك لهذه الولايه أعجب حكايه، و أغرب روايه:

كان هذا السيد الشريف، و الأيد فى اقتناء الغرّ المنيف، من جمله المندرجين فى جميع الحركات و السكنات، تحت أوامر الشريف يحيى بن بركات، و لم يل كذلك سالكا فى خدمته أشرف المسالك، إلى أن رمى الله بينهما بسهم التفريق، و صار كل واحد منهما عن صاحبه فريق، و لذلك أسباب و أمور، لم تقتض فى الحقيقه ذلك النفور، و إنّما لما قدر بينهما، رمى العداوه و البغضا بينهما.

فخرج من مكّه المشرفه غاضبا إلى منزله الشريف، و سوحه المنيف، و هو إذ ذاك نازل فى الحسينيه، غير عازم على الفراق المعلومه قواعده عند الساده الحسينيه.

فتوسّط بينهما لتقريب الأحوال، و السعى فى إزاله ما ثقب فى ذهن كل واحد منهما من الأقوال، رجل من كبار الساده الأشراف، فحصل فى رجوعه من ذلك المسير، و مراجعاته للشريف يحيى بعض تكدير، بسبب خطاب صدر من الرجل

ص: ٩٢

المذكور، تلّوح منه ما ينصبح على الصلح، وإلا فهو واقع في محذور، من تعظيم ذلك الجانب، وارهابه حسبما اقتضاه نظره الثاقب.

فطلب من الرجل المتوسّط الكفّ عن السعى في ذلك، وعزم على المقاومة لاوئك، وأرسل إلى السيّد مبارك ينّحيه عن بلاده، جريا على قواعد آبائه وأجداده، فأخذ منه مهله سبعة أيام، إلى أن يسير حيث شاء هو و من معه من الأقسام.

ثمّ سار إلى الطائف ونواحي الجحاز، وهو ملك في الحقيقة لا-المجاز، وذلك في... (1) من شهر جمادى الاولى من السنه المذكوره.

ولحقه بعد أيام يسيره، عضده و من به أحقّ إذا صحص الحقّ، ابن أخيه الأجد الأنجد المحسن، السيّد أحمد بن عبد المحسن، في بلهنيه من الأموال، وكثره من الخيل والرجال، و معه جماعه من أعظم الساده الأشراف، بعد المعاهده بينهم من الزبيغ والخلاف، وصاحب الترجمة حينئذ بنواحي سوق الضراب، لجمع الباديه والأعراب، والسيّد أحمد و من معه قصدوه، ثمّ قَصّروا عنه بوادى ليد، وهم مجمعون على ما تقدّم منهم من تلك الألبد، وأمّا الطائف و ما حواه من الأطراف، فهو فى أحكام الشريف يحيى، و له فيه رتبه من العساكر والأشراف.

و أمّا السيّد أحمد و من معه من الأقسام، و ما اجتمع عليه فى غيبه عمّه من الأعراب الطغام، لمّا رأى أنّ جمعه سيّد، و بأسه شديد، عزم على مقاومه من بالطائف من الأشراف والأجناد، والاستيلاء على البلاد، فسار عليها، و وجه نجائب همّته العاليه إليها، فدخلها يوم ثلاثه عشر من شهر جمادى الثانيه من السنه

ص: ٩٣

المذكوره، بعد حرب و حصار طويل، استمرّ يوماً إلّا قليلاً، و استأجروا جمعا من الخيل و العساكر، و دخلوا البلاد و كلّ حامد و شاكر، ثمّ سيّروا أحكامهم فيها، و أشاعوا الذكر بنواحيها.

فشرع هذا السيّد الشريف، يتساوى قبائل عتيبه و ثقيف، و يكسى كبارهم، و ينفع صغارهم، و حوله من أعظم الساده، من يسدّد الامور بأرائه المستجاده، و يقوى صوله العربان بلطائف الأوضاع، و الحرب كما علمت خداع، فاجتمع لديه جملة من البوادى، و صلاه برّه عليهم تخجل السحب الفؤادى، إلى أن ورد عليه عمّه من سوق الضراب، و معه أيضا شرذمه من الأعراب.

و من أكبر حظوظ هؤلاء الساده، الدالّه على سمولهم برواق السعاده، بأن اجتمع شيوخ ثقيف و عتيبه، و من انضمّ إليهم من بواقي العرب خيفه و هيبه، و عقدوا بينهم عقدا على قواعدهم المعروفة، و قوانينهم المألوفه، بأنّ من يومهم هذا إلى أن يردوا مكّه المعظمه، و يتحلّى جيد سيدهم بعقود الشرافه المنظمه، يسير القاتل عبي عزيمة، و يطوى كلّ منهم سجل حديثه و قديمه، و يشرعوا فى المقصود، بعون الملك المعبود.

و ناهيك بما بين عتيبه و ثقيف فى ذلك الزمن، من كثره الحروب و توالى الفتن، غير أنّ الله عزّ و جلّ لما أراد ما أراد، سخرهم لهم و هيّأهم حسب المراد، كلّ ذلك و شريف مكّه مطنب خيامه بأعاليها، قانع بأوامرها و نواهيها، و لم يدر أنّ الحادث قد ألمّ، حيث إنّ القضاء قد نزل به فأعمى و أصمّ، و إلّا فالجيوش التى لا تحصى لديه، و غالب أعظم الساده الأشراف بين يديه.

فسار صاحب الترجمة و من معه من الأشراف و الأجناد، و تفرّقوا من طرق ثلاث بنهايه الإحكام و السداد، و لموعد عرفه، ثمّ منها إلى مكّه المشرفه، فالتقى

الجيشان يوم الأربعاء لسبع خلون من رجب، و وقع بينهما قتال لم ينازله إلا من زكى أصله الشريف و نجب، لأنه كان محك الفرسان من الساده الأشراف، و الموقف الذى لم يسع الضدّ فيه إلا الاعتراف، فلقد أعلوا فيه القاضب و العسال، و فتكوا فى عدّه من الخيل و الرجال.

ثم ارتفع ذلك القتام (1)، عن توجه يحيى و دخول مبارك إلى البلد الحرام، و صار ذلك كلّ من أول الليل إلى مضى خمس ساعات من النهار، و لعمري أنّها عبره لذوى الاعتبار، و حكمه قادر عليم، و مدبرّ للامور حكيم، فدخل مكّه المشرفه، و رفل فى حلال ولايتها المفوفه، و صرخ مناديه باسمه العالى، و لسان حاله ينشد كلّ عدوّ و قالى.

و من يعص أطراف الزجاج فإنّه يطيع العوالى ركّبت كلّ لهزم

ثم بسط بساط العدل و الأمان، و عمّ رعاياه بالرأفه و شملهم بالجدود و الاحسان، و استألف من كان مناصيه من رؤساء الساده، و منحهم بزّه و إسعاده، استقرّت البلاد، و اطمأنت العباد.

و مدحه شعراء مكّه بما هو أرقّ من الصبا، و أدقّ من أحاديث الصبا.

فمن جمله من مدحه، و أفعم من بزّه قدحه، جامع هذا التأليف و منشيه، و حائك بروده و موشيه، بقصيده رائيه، سمت بمدحيه على القصائد الطائيه، و هى:

لعلوى ربوع باللوى و خدور فهل لك يا حادى الضعون تزور

تجدّد عهدا باللوى جاده الحيا فلى فى رباه روضه و غدير

ص: ٩٥

١- ١) القتام و القتمه: الغبار الأسود، غبار الحرب، الظلام، السواد.

و نذكر أيا ما تقضت بسفحه و عصرا به غصن الشباب نظير (١)

سقى مربعا للعامريه باللوى ملث يعم الأرض منه بحور
فلم أنس سراً قد أذاعته عند ما تدانى فراق بيننا و مسير
عشيه قالت بالحمى سوف نلتقى و قال لها الواشى أبوك غيور
فدتها الغوانى كيف تفشى حديثها أما علمت أن الوشاه حضور
أطعت الهوى فى حبها و لو أنه يؤجج نارا فى الحشا و يثير
طرفت حماها حين طال بى النوى و فى كبدى منه لظى و سعير
و قلن محب قد أتى يطلب الثوى فقالت يقيم اليوم ثم يسير
فقلت لها يا علو فى غير أرضكم أسير و أما عندكم فأسير
أما ملكتى (٢) لا فرق الله بيننا إلى كم صدود فى الهوى و نفور
أفى كل يوم لى إليكم وسيله أقدمها إنى إذا لصبور
على أنني لم أفش سراً و لم أحن عهدا و لم تسند إلى امور
فقلت حماك الله من كل شيمه تشين و لكن الوشاه كثير
إذا ظفروا يوما بحرّ تبادروا إلى ذمه إن اللسان عثور
فقلت دعيهم لا أبا لأبيهم فإنى مليك فى الهوى و أمير
فقلت نعم قد أيدتك شواهد لدينا و أخبار بذاك تسير
و لكن إذا فاض الحديث بمحفل و أرجنا منه شدا و عير
رأيتك للآداب تصغى و للعلا تميل و ذا ودّ لديك تمير

ص: ٩٤

و تنظم من حرّ الكلام قلائدا تحلّى بها للغانيات نحور

أ لست الذى تطوى القفار لماجد له بين سادات الأنام ظهور

فقلت بلى لله درّك هذه مطامح مثلى لا طلا و بخور

فقلت إذن فاقصد أبا المجد و العلى و من بالخصال الصالحات شهير

مبارك نجل الشهم أحمد من له بغاه المعالى بالأكفّ تشير

فقلت هو المولى الذى قطّ ما له كما صحّ بين الخافقين نظير

مليك عظيم ماجد متواضع عليم بأعقاب بالامور خبير

مليك رقى هام السماكين و اغتدى لبان العلا و المجد و هو صغير

و ساد بنى السبط الذين هم هم ملوك الورى بالسيف و هو كبير

مليك له يومان يوم لبؤسه فكلّ الفيافى للعصاه قبور

و يوم ندى عمّ الخلائق برّه فلم يلف بين العالمين فقير

مليك عريق فاطمى مهذب علا أورثاه شبر و شبير

مليك خطيب مصقع ذو بلاغه يقصّر عنها دعبل و جرير

مليك زهت أم القرى بقدمه و حفّ جميع الخلق منه سرور

فيا ملكا تروى أحاديث فخره ثقاه عدول فى الورى و صدور

عن السبط عن مولى الأنام بأسرهم على كما قد أوضحته سطور

و يا ماجدا حاز القلوب بلطفه و كلّ و داد قد حواه ضمير

ألم تدر أنّى لم أزل منذ أشرق على شمس من علاك تنير

و أصفيتنى محض الوداد تفضّلا و ظنّا بأنّى عالم و بصير

رجوت بأنّى أرتقى كلّ رتبه ذراها يرّد الطرف و هو حسير

فكان جزائي ضدّ ما قد رجوته على أنّني بالفضل منك جدير

ص: ٩٧

على حظّي المنحوس عتبي لأئنّي أرى أنّ حظّي قد عراه (١) قصور

فإن تولني منك الجميل فأهله و إلا فإني عاذر و شكور

و هاك لآل في سموط نضمتها عقودا و في أثناء تلك شذور

هديه رقّ مخلص قد طغى (٢) به زمان لأرباب الكمال كفور

فجد بقبول لا برحت معظّما مهابا عزيزا و العدوّ حقير

و دم مالكا للمجد ثمّ متمّما له بفخار لم يصبه دثور

و لولا طلب الإيجاز في مقاله، و الحذر من الملل بالإطالة، لسوّدت الصحف بمدائحه، الدالّه على مكارمه و منايحه.

و مما اتفق لهذا الملك الهمام، و الغضنفر القمقام، ممّا لم يصر قبل ذلك، لأحد من ولاة هذه الممالك، بأن دخل تحت طاعته، و تفتياً رواق سعادته، ملكان شريفا (٣) المقدار، منيفا المجد و الفخار، قد تحلّيا سابقا بعقود الشرافه، و رفلا في حلل الخلافه، و كان هو من جمله أتباعهما، و المرتشف (٤) من كؤوس إنعامهما، و هما الشريف عبد الله، و الشريف علي ابنا الشريف سعيد، فسبحان المبدىء المعيد، فشملهما إطلال (٥) لوائه، و صارا من جمله أنصاره و أوليائه، و أسقطا له قواعد أمثالهما من الملوّك، و احترامه لهما سابقا في كلّ مسلوّك.

ص: ٩٨

١-١ (١) في «د»: علاه.

٢-٢ (٢) في «ن»: هفى.

٣-٣ (٣) في «ن»: شريفان.

٤-٤ (٤) في «ن»: المرتشفين.

٥-٥ (٥) في «ن»: ظلال.

و من حدِيثهما: أَنهما كانا باليمن وتك الجهات، في دولة الشريف يحيى بن بركات، وقد أرسل إليهما من الأشراف و العساكر من يعهما عن تلك الأقطار، و يشتت شملهما في هاتيك المهاتمة و القفار، فصار بينهم حرب مديد، و قتال شديد، نالهما منه أعظم تعب، و أشد شغب (١).

فلما صار بين الشريف يحيى و صاحب الترجمة ذلك الفراق، بعث يستدعيهما إليه بالأوراق، و يستحشم بهما على قرمه، لكونهما ابني عمّه، فما ارتحلا- من المواضع التي كانا فيها، إلا- بعد تمكّن صاحب الترجمة من مكّه و نواحيها، و أخرج يحيى عن مملكته، كما تقدّم في ترجمته، فما أمكنهما (٢) بعد الوصول، إلا- تلقيهما بأكفّ القبول، و عاملهما بالإعزاز و الإكرام، و مزيد الإعظام و الاحترام و منحهما من بزه و إسعاده، فوق ما يرجى منه لو فاده.

و طلب منهما قبل الإقامة، المعاهده و القيام بالخدامه، ففعلا له ذلك، و سلكا معه أحسن المسالك، و استمرا في البلاد، و هما معه في غاية السداد.

و إنما لما كان شهر محرّم الحرام من سنة ألف و مائه و ثنتين و ثلاثين، شرعت بينه و بين الشريف عبد الله مقتضيات الفساد، و لمعت بينهما بروق النوى و البعاد، و تواترت النقول لدى صاحب الترجمة بفساده، و ثبت عنده أنّه حول منصبه و بلاده، فثار عليه ثيار الأسد من غابته، و عزم على رده إلى اليمن و إعادته، فأمضى عزمه من آنه، و نكبه جواد اليمن بعساكره و فرسانه، و لم يزل مستعملا عقبه السير الحثيث، إلى أن أوصله إلى الليث.

ص: ٩٩

١- ١) في «ن»: سغب.

٢- ٢) في «ن»: أمكنه.

فلَمَّا آمَنَ من رجوعه، عادَه باقوامه و جموعه، و ما فعل به ذلك إلا لما ظهر له أَنه كان يحاول شام العرب و تلك المسالك، لِيَتَمَّ مطالبه المبتئِه، بملاقاته لامراء الحجوج و أعيان الدوله العثمانيه، و هذا سبب بذل الهَمَّه في رَدِّه إلى اليمن، و مسيرته إذا شدَّ و ظعن.

و مع ذلك لَمَّا عاد عنه بعد ما ساره، و تنكَّب سبل اليمن و تلك الأقطار، و علم بأنَّ صاحب الترجمه قد قصد الخبت للاقتناص، رجع كَرَه أخرى على ظهور خيل و قلاص، محاولا ملكا آخر إلى وادي مرَّ، ثمَّ منه إلى ذلك المستقرَّ.

فبلغ الشريف ذلك و مشى مشيا عنيفا إلى مكَّه المشرفه، ثمَّ منها إلى نواحي وادي نعمان، إذ قد بلغه أَنه مرَّ بذلك المكان، فلَمَّا وصل إليه، و قطع بأنَّه سيصل عليه، آوى إلى الساده ذوى جازان (1) في محلَّهم المعروف بهم و هو الشريفه و استضافهم، فتركه الشريف احتراما لهم، إلا أَنه شدَّد عليهم في ارتحاله، و هو آمن على جماعته و أمواله، و يرجع من طريقه التي جاء منها.

فلَمَّا كان آخر الليل سار و هو خائف، و ترك طريق اليمن و أخذ ثنيه الطائف، فوجد بعض العساكر فيها، و جمعا من العربان النازلين بنواحيها، فردَّوه عن مراده، حتَّى لحقه الشريف بأجناده، و نكبه طريق اليمن مرَّه ثانيه، و لم يزل وراءه، إلى أن أبعد مرماه، و لم يبق له خبر، و لا اسم و لا أثر.

و أمَّا أخوه الشريف على، فبقى على حاله، قانعا بما يقيم به أود خدَّامه و عياله، و لم يحدث منه شيء من المفاسد، جاريا على القوانين و القواعد. إنتهى حديثهما مع صاحب الترجمه، لا زالت عقود مملكته بفوائد الظفر منظمه.

ص: ١٠٠

اشاره

ينطويان على ما لعلّه يستحسن من إيراد حادثه لطيفه، و فائده ظريفه، و نكات غريبه، و ترّهات عجيبه، و قضيه مفيده، و سيره جديده، تتعلّق بسنه ألف و مائه و ثلاث و ثلاثين و ما بعدها، فيكون ذلك كالتذييل لما تقدّم، و التكميل لترجمه هذا المليك الأعظم.

الاشتعال الهائل في جدّه:

فمن جملة الحوادث، و الخطوب الكوارث: ما صار في بندر جدّه المعمور، و هو أنّه ثارت بها نار (١) يوم الاثنين رابع عشر شهر ربيع الأول من السنه المذكوره، و لم يعلم موضع ابتدائها، إلا أنّها تنتقل من موضع إلى آخر، حتّى استولت على ثلثي جدّه.

و لم تزل مستمرّه إلى يوم الجمعة ثامن عشر الشهر، و ذلك بسبب ريح هبّت لم يعهد مثلها، حتّى زجر البحر من حرّ النار، و فقد من الخلق رجال و نساء نحو من مائه و خمسين نفرا، و لم يبق لهم أثر، فافتقر بذلك (٢) جمّ غفير من أهلها و الواردين عليها، حتّى صاروا يستحقّون الحسنات.

و من جملة الغرائب، و الأمور العجائب، أنّه احترقت توابيت المشايخ المشاهير الذين يستغاث بهم، و يتقرّب بهم إليه عزّ و جلّ، و بعض من المساجد القديمه، التي لم تزل الصلاه بها متواتره، و بيوت البغايا و ما حولها قد أطافت (٣) بها النار شرقا

ص: ١٠١

١-١) في «ن»: نار بها.

٢-٢) في «ن»: بسبب ذلك.

٣-٣) في «ن»: أطاقت.

و غرباء، و لم تأكل شيئاً منها، و لم يلحقهنّ لفح منها، و لا ضرر ناشىء منها.

و قد رأى الصالحون من الساده قبل وقوع هذا البلاء بأيام منامات باهره، و علامات ظاهره (1)، تدلّ على حدوث خطب بهم، و غضب يحلّ بسببهم، و ذلك لارتكاب أهلها المعاصى من الاشتهار بالربا، و احتكار الأقوات، و منع الزكوات، و الاشتغال بالغيبه و النميمه و الحسد و البغى، فنعوذ بالله من شرّ ذلك، و نسأله الهدايه لنا و لهم فى جميع المسالك.

الحروب العظيمة بنواحي ينبع:

و من جمله حوادثهما: أنّه صار حرب عظيم بنواحي ينبع، بين حرب و حلفائهم من صبح و الحوازم و غيرهم، و بين الساده الأشراف آل هجار أمراء ينبع من جانب شريف مكّه المشرفه، و حلفائهم من قبائل جهينه و بنى إبراهيم و غيرهم، و كانت للساده و حلفائهم على حرب و قبائلهم، و ذهب من الفريقين فى القتال نحو من مائه شخص، و شريف واحد من آل هجار.

و سبب ذلك: أنّه نما فى قبيله حرب شيخ لهم، يقال له: مبارك بن مضيان، و عزّ فيهم، و ارتفع شأنه، و شاع صيته حتّى صار ركنا تلوذ به ملوك مكّه المشرفه إذا حصل عزل، فملك جميع الشام، و أطاعته العربان، و كان يأخذ جائزا على جميع الحجوج التى تمرّ به، و المدينة و أهلها و حكّامها تحت أوامره و نواهيه، و كذا بندر ينبع و من بها من حكّام الشريف و وزرائه و امرائه.

فصارت بينه و بين أمير ينبع السيّد عبد المعين بن هجار منابذات خفيه، هى فى الحقيقه جزئيه، فيما يتعلّق بأحكام البندر، لم تحوج إلى مثل ذلك من حرب

ص: ١٠٢

(١ - ١) فى «د»: باهره.

وقتل، مع أنّ بينه وبين السيّد المذكور عهد ثقّال، غير أنّه أزمع على قتاله، ولم يلتفت إلى عهوده و أقواله، فجمّع الجموع من العربان، و سار إليه، و قصده إلى محلّه، و السيّد المذكور لم يزل يرسل إليه، و يبثّ الحقائق عليه، و يصرح له بتمام ما يريد، فأبى إلاّ القتال.

فصار بينهم حرب شديد، أسفر عن نصره السيّد عبد المعين و رفاقته و قومه، و عود حرب و شيوخهم منكسرين إلى محالّهم، فأخذوا من السيّد عبد المعين ذمّه سنه و شهرين بتوسّط بعض القبائل على أن لا حكم لهم في البندر و ما يتعلّق به، و يقتصرون آل مضيان عن الوصول إلى ينبع، و أمّا بقية حرب فيصلون و يحملون على غيرهم.

و استمرّ الحال على ذلك، و هذه عاقبه الباغي، و خصوصا على أهل البيت النبوي، فحين شاع ذلك و ذاع، و ملأ البقاع، ضمّت مؤلّف هذه الكلمات عصبيه المشاركة في النسب الشريف، المنتهى إلى ذلك المقام المنيف، فنظمت قصيده غزّاء، تتضمّن الإعلان بنصره بنى الزهراء، و ذكر أوصافهم الحميده، و آرائهم السديده، و مدح من ثار لهم على هذا الباغي، و الذمّ له و لأتباعه، و بعثت بها إلى السيّد عبد المعين الهجاري، و هي هذه:

تبسّم ثغر النصر بالبيض و السمر و أورك غصن الفخر بالساده القرّ

هم فتيه من آل طه تملّكوا حصون العلا بالزاعبيّه و البتر

و شادوا مباني العزّ بالطعن في العدا و سادوا البرايا بالصلاه و بالبرّ

مطا غير في الهيحاء حجاجيح في الوغا مكاشيف للغمّاء في ملتقى الكرّ

فأحيوا رسوم المجد بعد اندراسها و أعلوا لواء الفاطميين بالنصر

فهم ساده فاقوا هجارا أبأؤهم وفاقوا جدودا من كنانه و النضر

بحزم وإقدام ورأى و هممه و جزل هبات لا تنهنه بالزجر
و فيهم فتى يدعى لكل ملّمه و خطب إذا ضاقت به سبل البرّ
قريع المعالى الشّم بيت قصيدهم و واسطه العقد المنصّد بالدرّ
مجيب الندى عبد المعين أخو الندى و مردى العدا جون المهامه و القفر
أخو كرم قد ساد كلّ قبيله عطاء و طعنا بالرديته السمر
فأضحى أمير الشام مع أرض ينبع و مقصد من يأتي من البرّ و البحر
لقد شنّ فى حرب و صبح غواترا يقصّر عنها حرب تغلب أو بكر
أتاه شويخ الشام أعنى مباركا بسبعه آلاف من البدو و الحضر
و خان بعهد قد تقادم (1) ربطه فأضحى إماما للخيانه و الغدر
و سار لحرب الهاشميين دافقا دماء بنى الزهراء و الأنجم الزهر
على أنّهم فى العدّ عشرون فارسا و لكنّهم فى الحرب أشجع من عمرو
فوافتهم الأقوام من كلّ جانب و دبّوا ديب النمل فى السهل و الوعر
فثارت لهم أبناء موسى و مالك ثيار محبّ مخلص صادق برّ
و ضمّ إليهم قوفه جياذ قوفه ملثّ يروى القاع من وابل القطر
كذا عروه لا شتّ الله شملها و لا حلّ فى ساحاتها كلكل الدهر
و أزرق قد وافوا بأبيض باتر و أسمر خطّى على الإبل الحمر
فجالت بمضمار الوغى خيل معشر نشاوى قراع لا نشاوى من الخمر
لهم فتكه البراض فى كلّ مازق و عزم علىّ يوم خبير أو بدر
فخزّت لهم أبطال حرب و أحجمت و قالت دهانا الخطب من حيث لا ندر

فولوا سراعا قائلين لشيخهم لك الويل دع هذا و هيا بنا نسرى
فساروا و هم ما بين سلم و هارب و آخر ملقى للغراب و للنسر
فيا لك حربا لم يصر قطّ مثلها تريك نجوم الليل تسطع فى الظهر
فيا ابن مضيان علتك سحابه لابن هجار برقها فى الدجا يسرى
غدوت بها قنّا و عبدا مملّكا و ذى يا أبا العصماء عاقبه المكر
حربت و لم تظفر و قد عدت هاربا و أذهبت عزّا ثم صرت أبا ذعر
فهلّا اتّقيت الله فى آل أحمد بنى الهدى غوث الورى من لظى الحشر
بغيت و لم تعلم بأنّ أباهم عليا سيعليهم عليك مدى العمر
فقد قيل قدما للبغاه مصارع و أنّ مشير الشرّ يوقع فى الشرّ
فتبا لكم يا حرب إنّ شيوخكم زعانف من نسل ابن ملجم و الشمر
يجزون جيشا للسراه ذوى العلا بنى السبط بغيا مزمعين على الكفر
لعمرى لم تسر الركاب بمثلها و لا نظمت أنظارها قطّ فى شعر
فعودوا بنى حرب إلى نخلاتكم و خلّوا طعان الخيل للساده الغرّ
و دونك يا عبد المعين خريده أتتك تجرّ الذيل كالغاده البكر
تبثّ إليك الشوق و المدح من فتى رآك لها أهلا و تنطق بالشكر
هديه خدن فاطمى مهذب تدلّ له الألفاظ فى النظم و النثر
ينضد من درّ الكلام قلائدا تناط بأعناق الكعاب و بالنحر
يدير على الألباب من سحر نطقه كؤوس سلاف تستميل ذوى السكر
فها هى قد وافتك يبسم ثغرها سرورا و تأييدا و تعلن بالنصر
فخذها عروسا قد تكامل حسنها و منّ عليها بالقبول و بالبشر

و دم صاعدا فى أوج عزّ مؤطد عظيمًا مهابا رافعا علم الفخر

ص: ١٠٥

إناره الفتنة بين شريف مكّه و الساده الأشراف:

و من جمله حوادثها: أنّه ثارت فتنة بين شريف مكّه و بين غالب الساده الأشراف، حتّى صارت مكّه و جميع سبلها غايه الاختلاف، و ذلك بسبب قطع مشاهراتهم، و رفع غالب مقرّراتهم، فخرج عليه لأجل ذلك جمع تفرّق فى بعض الطرق و المسالك.

و كان ابتداء ذلك فى أوائل شهر شعبان المعظّم من السنه المذكوره، و لم تزل الفتنة بينهم تكبير، و نار الحرب تضطرم و تسعر، حتّى اجتمعوا بأسرهم فى وادى مرّ، و ترتّب حالهم به، و استقرّ على أن تكون الشرافه فى زعيمهم السيّد أحمد بن عبد المحسن، و هو الذى يبذل لهم الأموال و يحسن، و معهم الشريف عبد الله بن سعيد المتقدم ذكره، و أخوه الشريف على بن سعيد، إلاّ أنّهما لم يعترضا أمر الشرافه، بل هما عضدا ذوى الخلافه؛ لأنّ الشريف عبد الله كان بنواحي اليمن و تلك الجهات، و أتى بتوطئه و طلب من الساده آل بركات، فأنزلوه الوادى، و جمعوا عليها جمّا غفيرا من الأشراف و البوادي.

و أمّا الشريف على بن سعيد، فكان بمكّه على حاله كما سبق، و إنّما فى أثناء الفتنة توجه إلى أخيه، و فارق صاحب الترجمه، لتوانيه عن الاهتمام به و تراخيه، و رجع معه إلى الوادى رجوعا ثانى، غير قاصر عنان عزمه و لا ثانى.

ثمّ ورد عليهم السيّد أحمد، و سيف عزمه مجرّد و مشهور، فأجمعوا عليه، و فوضوا أمر الشرافه إليه، و أقاموا فى موضعهم مدّه من الأيام، و آراؤهم الشريفه تاره تنتقض، و تاره تكون فى غايه الإبرام، و لم يزل هذا حالهم، إلى أن نفذت أموالهم، و قلّت لديهم الأقوات، و انحصرت عليهم جميع الطرقات، و هم ينتظرون خروج صاحب الترجمه إليهم، و صولته عليهم، فياخذونه فى طرفه عين، و يرمونه

بالبعد و البين.

هذا، و شريف مكه مقيم فى بلاده، متحصن بعساكره و أجناده، و لم يبرح، تيقن الرأى فى قطع الأقوات عنهم، و جذب بعض أشخاص منهم، بمعاونه من بقى معه من رؤساء الساده، الذين قد منحهم برّه و إسعاده، و هم فى الحقيقه أهل الرأى و الاجتهاد العظيم، فى جمع الباديه و الأقوام، و مع ذلك فقد أصابته شدّه عظيمه فى البلاد، و بلاء يفطر الأكباد، لخلوّ يده من النقود، و عدم برّه المعهود، حتّى آل أمره إلى بيع آلات ملكه، ليسير بها قلاع فلكه، و جزم كلّ ذى عقل، بأنّ مآله إلى العزل، لقوّه هؤلئك و كثره عددهم، و توفّر خيولهم و عددهم.

و إنّما مع طول المدى عليهم، و انقطاع الواصل إليهم، ذهب اضطبارهم، و اختببت أفكارهم، و فى كلّ درجه و ساعه تنفكّ عنهم أفراد و جماعه، فيصرف الآخرون عظيم جهدهم، فى أخذ خواطرهم و ردّهم.

فلَمّا عظم الأمر على عمرو، و طال الأبد على لبد، عزموا على الحرب و القتال، و إعمال القاضب و العسال، و قصدوا مكّه المعظمه، و عقود عزماتهم ببذل نفائس الأرواح منظمه، و ضربوا قبابهم بالزاهر، و سيف صولهم مجرّد شاهر.

فخرج صاحب الترجمه عليهم، و وجّه نجائب همّته إليهم، و وقع بينهم القتال فى اليوم الرابع و العشرين من شهر شوّال، صارت بينهم معركه خطبها عظيم، و هولها جسيم، التحم فيها الساده، و أظهروا كلّ منهم شجاعته و سداده، فاشتدّ الكرب، و كثر بينهم الطعن و الضرب، فما أسفرت تلك المعركه عنهم، إلّا بعد إصابه أشخاص من الأشراف، و موت واحد منهم، و أمّا من عداهم من الأجناد، فقد ذهب منهم بعض أفراد.

و أمّا صاحب الترجمه و من معه من الأشراف، فلم يلحقهم من تلك المعركه

ص: ١٠٧

خلاف، إلا ما لحق أجنادهم، و عساكرهم و قوادهم، فهو حقير لا يذكر، و كانت لصاحب الترجمة عليهم، فطلبوا منه الأمان، و بقاء ثلاثه أيام في ذلك المكان، ثم يرحلون منه و يبعدون، فأبى و قال: لا بدّ من الرحيل و الابعاد، عن أطراف هذه البلاد، و نعطيهم هذه الثلاثه الأيام، ثم يتوجّهوا إلى غير نواحي الشام.

فرجعوا من يومهم إلى واديههم، و أذنوا بالتفرّق لعربانهم و بواديههم، و استقرّوا فيه، و مكثوا بنواحيه، فتوسّط بينهم و بين صاحبه كبار الساده، و صرف كلّ منهم همته العليه و اجتهاده.

فكان أوّل من دنا للمسالمة و الإصلاح، و بنى أمره على التوّدّه و الانطراح، الشريف عبد الله بن سعيد، ثمّ اجتهد هو في بقيه الأشراف، و رفع ما كان بينهم من الزيغ و الخلاف، و ضمن لهم جميع حقوقهم و مقرّراتهم، و أدّى إليهم ما ترتّب عليه الحال في مشاهراتهم.

فدخل مكّه المشرفه زعيمهم السيّد أحمد بن عبد المحسن صحبه الشريف عبد الله المذكور، و رتبوا الأحوال لرفاقتهم، و سدّدوا الأمور، ثمّ أرسلوا إليهم بالوصول، و قبض ما نجز من المحصول، فدخلوا مكّه المشرفه متتابعين، و جمع الله شملهم على أحسن وضع و أسلوب، و وفقّ بينهم على الوجه المطلوب.

و هذه المرّه الثانيه لدخول الشريف عبد الله و أخيه، تحت أوامر صاحب الترجمة و نواهيه، و قد سبق الكلام في ذلك، و هو الموقّف في جميع المسالك (١).

إثاره فتنه عظيمه بالمدينه:

و في هذه السنه: ثارت فتنه عظمى بالمدينه المشرفه على صاحبها أفضل

ص: ١٠٨

١-١) راجع: خلاصه الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ص ١٧٢.

السلام، بين أهالي المدينة و بين حرب و بنى على.

و سبب ذلك: أنه لما تغلب قبائل حرب على سكان المدينة، و استذلّوهم و استتبعوهم، حتّى آل الأمر إلى أنّ الحربى إذا دخل المدينة و أراد إمضاء أمر لم يناقضه فيها أحد، بسبب شيخ حرمها أيّوب آغا و أتباعه من الأغاوات، و ذلك من وجهين:

الأول: فلصداقه و موّده أكيدة، كانت بينه و بين شيخهم مبارك بن مضيان المتقدم ذكره فى قضيه السيد عبد المعين الهجارى، فاقضى ذلك تعضيده لهم على الرعيّه و غيرهم.

و أمّا الثانى: فلكون حبوبهم الواصله إليهم من مصر فى كلّ عام هم وصالها إليهم، و ممّرها عليهم، فكثير فسادهم، و زاد ظغيانهم، فخربت المدينة و أطرافها، و صار النهب و الأخذ بخوارجها ليلا و نهارا.

فلمّا عظم عليهم الحال، و تزايد الوبال، ثارت العامّه عن يد واحده، و عضدوهم العساكر، و تبعهم شيخ الحرم المذكور، و جميع الأغاوات و عبيدهم أيضا رغما على أنوفهم، خوفا من أن تلحقهم العامّه حربا و بنى على، و تعاهدوا جميعا على ضبط المدينة و أطرافها، و أن يسلكوا فيها بمقتضى الوجه الشرعى فى جميع الأحوال، و أن لا يمكّنوا عربيا من دخول المدينة بسلاحه، و سدّوا جميع الطرق الخارجه عن السور، و لم يبقوا إلا طريقا واحدا.

و تولّوا بأنفسهم ضبط المدينة ليلا- و نهارا، حتّى صار الحربى و غيره من العربان فى غايه الذلّه، و جرت عليهم أحكام عمّال شريف مكّه المعظمه، و صاروا يسلمون ما عليهم من الجوائز بحسب القانون الأصلى، و صلحت المدينة، و تهدّبت أطرافها، و ارتخت أسعارها.

و أول من أنكر هذا المنكر و ثار، و قوى العزائم على الذب عن جيران النبي المختار، السيد الجليل، و الأيد الأصيل، السيد محمد بن أبي العزم، و الشيخ الهمام، ذو الرأي الثاقب و الاقدام، الشيخ محمّد سعيد الكردي، و علماء المدينة و خطباؤها، و أمثالها و رؤساؤها، ثم تبعتهم العامه و العساكر، ثم شيخ الحرم المذكور و أتباعه، فاطمأنت البلاد، و راقت العباد، فجزاهم الله خير الجزاء، و جعل نصيبهم من سعاده الدارين أوفر الاجزاء.

إلا أنهم بعد ذلك افترت عصاهم، و تصدعت بالشقاق حصاهم، و صارت بينهم فتنه أخرى، و هى بين أهل المدينة و عساكرها و بين الأغوات و عبيدهم، بعد أن كانوا يدا على عدوهم.

فاتفق أن جاء رجل من توابع الأغوات يسمّى على قنا، و أراد أن يستفرغ وظيفه، و يعمل عسكرياً، فمنعوه أغوات (١) العساكر، و قالوا: إنه كان سابقاً عسكرياً، و حدثت منه خيانه، اقتضت حلّ مواده، و إخراجة من حزب العساكر، و عندنا أمر سلطاني يعرب بأنّه من حدثت منه خيانه من العساكر السلطانيه يخرج من الحزب الذى كان فيه و لا يعاد إليه، فوقع بينهم ضجّه، و ابتدأهم على قنا المذكور و أعضاده بالشرّ، و صعّدوا على منابر الحرم الشريف، و أغلقوا أبوابه، و فى بعض البيوت التى على حوافّ الحرم الشريف، و عزموا على محاربه العساكر و من يعضدهم من أهل المدينة.

فرفعت أغوات العساكر و أهل المدينة أمرهم إلى قاضى الشرع، خوفاً من قيام الفتنه على القبر المعظم، و ذهاب ما فى الحجره الشريفه من الأموال، و ما سيحدث

ص: ١١٠

من غضب الدوله العثمانيه عليهم.

فأرسل إليهم القاضى بالمنع لهم عن ذلك، وطلبهم إلى المجلس الشرعى، فمنعوا عن الكفّ و عن الحضور، وعضدوا لهم بعض أشخاص من الأغوات، وقرّروا عزائمهم و هم خمسه أو ستّه أنفار، منهم عبد الله خزندار شيخ الحرم الشريف، و نائب الحرم، و غيرهما (1) كبلال آغا، و عنبر آغا، و مسعود آغا، و عبد اللطيف آغا، فلما لم يكفّوا و لم يحضروا إلى المجلس الشرعى، كتب عليهم بأنهم عصاه بغاه، يجب قتالهم و مجاهدتهم.

فشرعت العساكر و أهل المدينه فى قتالهم يوما كاملا و بعض يوم آخر، و كانت العساكر و أهل المدينه عليهم، لأنهم حشروهم من كلّ جانب، و جنحوا للسلم، فامتنعوا إلاّ بعد إحضار الأغوات المذكورين سابقا، و حبسهم فى قلعه السلطان بالوجه الشرعى، ثمّ ترفع أمرهم إلى نائب السلطان شريف مكّه المشرفه.

فأتوا بهم فى غايه الذلّه إلى حبس السلطان، ما عدا عبد الله الخزندار؛ لأنّه قد هرب فى أثناء الفتنة، و استجار ببعض شيوخ حرب، إلاّ أنّه حضر بعد ذلك على يد الشريف حين الدعوى، و حبس مع جماعته كما يأتى.

ثمّ رفعوا الأمر إلى شريف مكّه، فطلبهم من الحبس، و طلب جماعه لإقامه الدعوى و إيراد الشهود على يد قاضى مكّه المشرفه فى مجلسه العالى، فوصل إلى مكّه أولا لرفع الشكوى مفتى المدينه المنوره السيّد محمّد أسعد، و الخطيب عبد الله البرى، و السيّد حسن البرزنجى، و الشيخ أحمد الصالحى، و غير هؤلاء.

ثمّ وصل مع وصول الأغوات بطلب من الشريف المذكور السيّد يحيى

ص: ١١١

(١ - ١) فى «ن»: و غيرهم.

الأزهرى، و بعض ساده من آل بيت باعلوى، و غيرهم.

فنصب شريف مكه المعظمه لهم مجلسا عظيما، أحضر فيه قاضى الشرع الشريف، و صاحب بندر جدّه إبراهيم باشا، و الأربعة المفتين، و جميع علماء مكه المشرفه، و أرباب دولته، و رفعت الدعوى، و قدّمت الحجّه المسطره بالمدينه المنوره على يد قاضيهما، و وردت الشهود طبق الدعوى المرقومه فى الحجّه المذكوره، بصوره ما تقدّم ذكره.

ف عند ذلك حكم الحاكم الشرعى بخطأ الأغاوات و جماعتهم، و نفذ الأمر الشريف دام علاه، بحبسهم ثانيا فى داره إعزازا لهم، إلى أن يعرض إلى حضره السلطان ما صار، و ينتظر ما يأتى به الجواب فى حالهم، و رجع أهل المدينه و عساكرهم مجبورين الخاطر، داعين لحضره الشريف إلى مدينتهم، و قد ارتفع منها ذلك الفساد، و عادت إلى صلاحها الأوّل و رخاء أسعارها (١).

قصيده السيد جعفر بن محمد البيتى:

و قد نظم السيد الأديب الأريب، السيد جعفر بن السيد الجليل العارف بالله السيد محمد البيتى قصيده تتضمّن صورته الواقع، و لا بأس بإيرادها؛ لأنها قد تضمّنت شرح الحال فى الفتنه الأولى التى صارت بين أهالى المدينه جملته، و بين حرب و بنى على و غيرهم من العربان، كما تقدّم إملاؤها.

و الفتنه الثانيه التى نحن فى تفصيلها، فلأجل ذلك حسن إيرادها و إثباتها برمتها، و إن كانت طويله، و فيها ما فيها من اللحن و غير ذلك، و ادّعاء زاد عن حدّه، فيعتذر للسيد الناظم أولا عن اللحن بصغر سنّه، و بكونها قصّه تركب الشاعر

ص: ١١٢

(١-١) راجع: خلاصه الكلام فى بيان أمراء البلد الحرام ص ١٧٣-١٧٤.

استعمال الضروره، فيحمل ما فيها على الضروره الشعريه، التي قد جوز أئمه الأدب ارتكابها في الشعر، و عن الادعاء بقولهم «أكذبه أعدبه» و ما أقبح قوله منها كما سيأتي:

فهم الرجال و ما سواهم نسوه لم يتركوا من زيهنّ سوى الحلى

فلقد تعدّى استه الحفره، لأنّها طفره و أيّ طفره، و العجب ثمّ العجب كيف أساء هذا الناظم الأدب، و قصّير البساله على قومه في أثناء مدحه، و أوري زناد العصبية، و أجهد قريحته في قدحه، و ما قنع بتسنّم هذه الذروه، حتّى جعل من عداهم نسوه، و هو قاطع بأنّ ملفّ قصيدته على بنى السبط، الذين ما شأن أصلهم الشريف قطّ روم و لا قبط، و هم ملوك مكّه المعظّمه، و المتقلّدون بعقود الشرافه المنظّمه، و الفائزون من الشرف الأعلى، بقدحه المعلّى، و السابقون في مضمار الشجاعه (1) و الاقدام، فرسان الجاهليه و الإسلام.

قوم تخال وجوههم إن أسفرت يوم الفخار أهله الأعياد

رضعوا لبان المجد في حجر العلا فعلوا على الأكفاء و الأنداد

و إذا نضد مثل هذا المدح في رعاياهم كزيد و عمرو، فماذا يقال في ملوكهم و ولاه الأمر، ثمّ و أين رجال قريش، من جمال بنى أقيش، و كأنّه لم يحط بعتب الخليفه من بنى العباس على إمام الأدب أبى نواس، قال في بعض أقواله مادحا للخصيب أحد عمّاله:

إذا لم تزر أرض الخصيب ركابنا فأىّ فتى بعد الخصيب تزور

ص: ١١٣

(١ - ١) في «ن»: الشرافه.

و هو نقل عظيم الشأن، مفصّل في تاريخ ابن خلكان (١).

و هذه القصيدة المشار إليها، فاشرف عليها:

المجد تحت ظلال سمر الذبّل و شبا القواضب بالجياد القفل

الموريات العاديات ضوايحا الصافنات النافرات الجفل

بالخوض في غمرات بطنان الثرى يوم التصادم في القتام المسبل

و تواتر العزمات في طلب العلا و الفوز في اقتافيا في الهوجل

و الفخر ما ترك الأعدى خضعا رفل المحازم كالجبان الأعزل

بين الفتى و ورود (٢) أحواض الردى لعق العلا قم في تراقى الحوصل

لا عاش من ترضى المذله نفسه طوعا و عن شاوى المفاخر يا تلى

من غضّ للضيم المبرح طرفه أمسى و أصبح بالقذا متكحل

العزّ أجمل ما اقتناه أولوا النهى و الذلّ بالأحرار ليس بمجمل

من شاء إدراك المعالى فليكن مثل الهمام الأمجد ابن الأفضل

السيد الذمر الشريف محمّد ذى العزم سبط المصطفى و المرسل

و ابن الكرام الطيبين أرومه أهل الكساء الطاهرين الكمل

الحازم المقدم دحاض الردى دون العباد بسيفه و المقول

لا غرو فهى سجيّه مودوعه فيه و شنشنه لأخزم أو على

ما زال ينكر فى المدينة منكرًا من مرجف أو مفسد أو مخذل

و تغلب العربان فى أطرافها من كلّ ناحيه و بغى بنى على

ص: ١١٤

و تغافل الحكام عمّا أبصروا من بغيهم فيها و ظلم الأرملة
حتّى أتى الفرج القريب و ساعدت همّاته الأقدار لله العلى
فاستنهض الأبطال من أنصاره من كلّ شهم للخطوب مذللّ
يهوى إلى نهب النفوس بعزمه مقرونه بالنصر مثل الأجدل
و تعاهدوا فى الله أن يتناصروا فى الدين لم يخشوا ملام العدل
و حموا حاهم و الديار عن العدا بالبيض و السمر اللدان الذبّل
فتذلّت لهم البوادي عنوه و تعدّلوا بالحدّ أى تعدّل
و لطالما قاسوا لىالى العسّ من هول يذيب مراره المتهوّل
يمشون فى حفظ المناق كمنّا متختّلين على حجار الجندل
يا ويل من قد أوقعته نفسه فيهم فيصبح فى الحديد مكبل
فهم الرجال و ما سواهم نسوه لم يتركوا من زيهنّ سوى الحلّى
فتشاور الفساق فيما بينهم أن ينقضوا ما أبرموه بمبطل
فجرت هنالك هدّه يرقى إلى أفق السماء عجاجها بل يعتلى
وطغت عليهم بعد ذلك عصبه الأغاوات مع أتباعهم و الجهل
و الأصل فى ذا أنّهم قد سندوا لعلّى قنا الغمر الزنيم الحسكل
منعوه أصحاب الوجاق جميعهم أن يشتري فيهم و لمّا يدخل
زعموا بأنّ له فسادا سابقا إذ خان قدما فى الزمان الأوّل
فترافعوا للشرع و انكشف الغطا و دعاهم القاضى ليوم مقبل
نزلوا و ألقوا فى المداعين الظبا من غير مكترث و غير معوّل
و أتوا إلى الحرم الشريف و أغلقوا الأبواب و اصطعدوا المنابر و العلى

و رموا على الناس الرصاص و ما رعووا جاه النبي و لا الكتاب المنزل

ص: ١١٥

و أقام ذاك إلى الغروب و أصبحوا متحصّنين بحليه المستقبل

فدعوا إلى أن يرجعوا فتنصّبوا و أتوا بفعل منكر لم يفعل

فقضى عليهم أن تباح دماؤهم هدرًا لحدّ المرهفات الفصّل

فتبادرت لهم الرجال عوابسا من كلّ فحل بالثبات مسربل

فهم بيت المالكي وصفّه و لنا عليهم صفّ بيت الحنبلي

و سرت إلى ذروان منهم عصبه فتحصّنوا الحّمّام منه و ما يلي

فهناك قامت للمنون صواعق و تسعّرت للموت نار القسطل

يوما أشدّ من الحديد قساوه و أمرّ طعاما من مذاق الحنظل

ترك النواصي شيئا فكأنّه (1) وقعات جسّاس بيوم مهلهل

نقبوا عليهم كلّ دار عنوه فاستخرجوهم منزلا عن منزل

و تداركوهم بالردى فتنفّجرت أحشاؤهم مثل انفجار الدمل

و تصاغرت أرواحهم ممّا رأوا و جرت دماؤهم كجري الجدول

و تحقّقوا الموت الزّوام و سلّموا للأمر طوعا خصّعا بتدلّل

فأشار قاضي الشرع كفّوا إنّهم جنحوا لسلمكم بغير تفعل

فأطاع كلّ منهم لمقاله إذ حيث كان أولاك عنه بمعزل

فتداركوا الخطب الجليل بحبس من قد كان رأسا للفساد الأوّل

التائب الجاني و مسعود الذي جعل المفاسد سنّه لم تجعل

و بلال عنبر رأس كلّ مصيبه حبكت عليه عمّه لا تنجلي

و تلاهم عبد اللطيف فاسجنوا و هووا إلى درك الجحيم الأسفل

و مشت عروض الناس فيهم جملة نحو الشريف لحلّ ذاك المشكل

فاهتال منه و ابغتنى إحضارهم هم و الخصوم مع الشهود العدل

ليبين بالإجماع كلّ مغمغم رغما على أنف العدو المبطل

و تكون حجّتهم هناك قويه غزاء لم تدحض و لم تتحوّل

تأتى إلى السلطان قولاً مثبتاً أيضاً و يحملها بأحسن محمل

فاستمثلوا للأمر إذ هو واجب و مشوا جميعاً خضّعا بتدلّل

فإذا أتوه و حقّقوا ما أخبروا عنه بغير تلعثم و ثكلكل

فلسوف تأخذه هناك حميه فينا بغير تهاون و تمهّل

يا أيّها المولى تدارك كربنا بالغوث منك و غاره المستعجل

فلك البلاد مع العباد و أمرهم و هم إليك بنسبه كالعول

تأتى و يسألك المهيمن عنهم عن كلّ أمر مجمل و مفصّل

فالعوث ثمّ العوث إنّك كهفنا نأوى له من كلّ خطب معضل

إنّ المدينة حلّ فيها منكرا لا يرتضى و الجور فيها قد ملئ

فلأنت أولى الناس حقّاً غيره فافعل إذا ما شئت أو لا تفعل

و لأنّ من بيت تقدّس سرّه شرفاً و غيرك عن مناقبه خلى

لو تسأل القبر الشريف غداً ما رجفوه بالفعل الفضيع المشكل

لأجاب أنّ محمّداً فى طيبه متوجّع من فعلهم بتملل

حاشا لمختلف الملائك أن يرى مأوى البغاه و كلّ وغد مضلّل

أفّ لقلب مؤمن لا يمتلى غضبا و طرف جامد له يهمل

الله أكبر أنّها لمصيبه تبدو لعين الناظر المتأمل

إِصْدَعْ فَمَا تَأْخُذُكَ لَوْمَةٌ لَّائِمَةٌ فِي اللَّهِ بِالْحَقِّ الْمُبِينِ الْمُنْجَلِي

ص: ١١٧

لا ترثين إذا أتوا بتملق فلأنت تعرف حيله المتحيل
لولا النبي أقام فيهم غاره شعواء لم تبرح و لم تتحول
ما أوقعتهم في الوبال نفوسهم و لكان ذاك الأمر لم يتحصل
قطعت زناير النفاق بكتبهم و لسوف تقطع في الزمان المقبل
لا زلت يا أهل طيبه نصره للحق سماً للعدو المبطل
في ظل أعتاب النبي وجاهه متسرلين بنعمه لم تبدل
إن النبي له عليكم غيره حقاً و إن الله ليس بمهمل
فامضوا على صدق العزائم و ارفضوا قول المعنف و الجبان الأعزل
إننا إذا أخنى (١) علينا حادث أو شدّه أو بعض أمر معضل
فلنا اعتصام بالنبي محمد خير الوري المدثر المزمل
صلى عليه الله ما نشر الربا نشر العبير مع النسيم الشمال
و على بنيه و الصحاب و آله الطيبين الراشدين الكمل
ما رجح الحادى يقول مكرراً المجد تحت ظلال سمر الذبل

قصيده الشيخ تاج الدين بن عارف المنونى:

و لقد أجاد صاحبنا الأديب، الفاضل الشيخ تاج الدين ابن المرحوم الشيخ عارف المنونى، حيث قال و أبدع فى المقال:

السعى فى طلب العلا فخر جلى و فكاهه للمجتنى و المجتلى

و طريده ما صادها قط امرىء إلا و فاز ببلغه المتطول

و نفيسه ما طوقت إلا فتى نظام جوهرها بحسن المقول

ص: ١١٨

فالعزّ أشرف ما تكوّن في انتضا بيض السيوف و هزّ سمر الذبيل
و المجد أفر ما تسامى في ذرى صهوات حمر الصافنات الرقل
السابحات الساحيات سحائباً يوم الوغى تروى الفراسه عن على
يحملن كلّ غضنفر متقلدا في أحسن التدبير أمر الجحفل
من كلّ مقدم مواضى عزمه في الحرب أمضى من لسان المصقل
نامى القرا حامى القرا سامى الذرا غيث الورى في كلّ خطب أحول
فهم الاولى إن حاربوا أو سالموا قطعوا العدو و أوصلوا جبل الولى
و هم الاولى إن قاربوا أو باعدوا أدنوا و أقصوا بالمقام المعتلى
و هم الاولى إن سابحوا أو رابحوا سبقوا و قد فازوا بربح أكمل
و هم الرجال فراسه و سياسه يوم الطعان و ما سواهم فاهمل
هم ساده السادات إن قعدوا و إن قاموا بغير تنكّر (١) و تأمل
هم ملجأ العانى و منقطع الرجا عند الكروب و فى الزمان المحمل
هم أهل بيت المصطفى أهل التقى و الفضل و الإحسان كهف الأرملة
من أصبح البيت الحرام حماهم بين الحماه و ذاك أشرف منزل
و مدينه المختار تحت يمينهم و يسارهم فى دفع كلّ مهول
أوما تراهم أحسنوا التدبير فى خطر تأتى من مسىء أجهل
قادوه حتّى جاء يسعى خاضعا متواضعا فى قيد ذلّ مرذل
و رأى مباركهم و محسن فعلهم تأييدهم فى الحقّ بالشرع الجلى

ص: ١١٩

و إقامه الوجه الجميل لهم على وفق المراد ودحض (١) هذا المبطل
من صال (٢) عدوانا و ظلما و اعتدى وسطا بصارم خائف متنكّل
و أقام جيران الرسول لسهمه غرضا فصادف منه عين المقتل
فاستنصروا بالله ثمّ رسوله خير الورى المبعوث أشرف مرسل
و تظاهروا و تظافروا و تناصروا كالشمس كالضرغام بالصمد الولى
و تعاهدوا و تعاقدوا و تناجدوا صدقا و إلزاما و نجده أطول
فى رفع شأنهم و خفض مقامه بالجزم فى نصب الطريق الأعدل
و الأخذ بالرفق الرفيق و قطع قطّاع الطريق و وصل كلّ موصل
فألله يحرسهم بحقّ جناب من جيرانه فازوا بستر مسبّل
و بعين نور الرشد فى توفيقهم للحقّ يلحظهم حراسه مفضل
فإليكم يا جيره جاورتهم ودا بعهد عقده لم يحلل
وجزيه (٣) تسعى بنشر ثنائكم فى طيّ مدح الفاضل المتفضل
الشائد العليا لبيت محمّد بمحاسن الفخر السنى الأمثل
منشى الرقائق بالدقائق جعفر الكاشف المعنى الخفى المشكل
الناظم الدرر النفيسه بالذكا عقدا يحلّى جيد ربّات الحلّى
فهو الذى قد صحّ أن يدعى له بمفاد بيت الشاعر المتمثّل
لا زال صدر الدست صدر الرتبه العليا صدر الجيش صدر المحفل

ص: ١٢٠

١ - ١) فى «ن»: و خصّص.

٢ - ٢) فى «ن»: من طال.

فى روض إقبال السعود و أوج أفلاك الصعود و نعمه الصمد الولى

ما قال بين ذوى المعالى منشد السعى فى طلب العلا فخر جلى

قلت: لله درك من ناظم أديب، و حازم أريب، أجرى مياه الرئاسة فى مجاريها، و أعطى قوس البساله باريها، و دخل بيوت الشرف من أبوابها، و ردّ ضالّه الفخر إلى أربابها، و هكذا يكون الأديب العارف، المتفتىء ظلّ الأدب الوارف، و ما أصدق قوله فيها، و هو من أمكن قوافيها:

فهم الرجال فراسه و سياسه يوم الطعان و ما سواهم فاهمل

و لعمري أنّهم بهذا القصر أحقّ، إذا حصحص الحقّ، و ما ألطف تضمينه فيها لبيت الصفى، و إتقانه لهذا الاستهزاء الخفى، لأنّ من اعتقل السم، و تقلّد البواتر، و تسنّم سهوه الصافنات الضوامر، صحّ أن يدعى له بقول هذا الشاعر، فإذا كان الأمر لا كما قال، كان هذا الدعاء استهزاء به على كلّ حال، فلقد أحسن و عدل، و أصاب الحقّ و ما عدل.

قصيده الشاعر صفى الدين الحلى:

و بيت الصفى هذا من قصيده له غزاء، من قصائده الحماسيه التى يفتخر فيها المصدّرات فى ديوانه، و هذه القصيده من غررها، يصف فيها حاله، و لا بأس بإيرادها؛ لأنّها من أجود الشعر، و على روى ما تقدّم من النظم وقافيته، و مذاهبه الحماسيه، فتكون كالمسك ختاماً لما سلف، من تلك الجواهر التحف، لكى تظهر لك المحاسن، فترد ماء غير آسن، و هى هذه:

لمن الشواذب كالنعام الجفّل كسيت جلالاً من غبار القسطل

يبرزن فى خلل العجاج عوابسا يحملن كلّ مدرّع و مسربل

شبه العرائس تجتلى فكأنّها فى الخدر من ذيل العجاج المسبل

فعلت قوائمهنّ عند طرادها فعل الصوالج في كرات الجندل

فتظللّ ترقم في الصخور أهله بشبا حوافرها و إن لم تنعل

يحملن من آل العريض فوارسا كالاسد في أجم الرماح الذبيل

تنشال حول مدرّع بجنانه فكأنه من بأسه في معقل

ما زال صدر الدست صدر ال رتبه العليا صدر الجيش صدر المحفل

لو أنصفته بنو المحاسن إذ مشوا كانت رؤوسهم مكان الأرجل

بيننا تراه خطيبهم في محفل رحب تراه زعيمهم في جحفل

شاطرته حرب العداه لعلمه أنّى كنانته التي لم تنثل

لما دعنتي للنزال أقاربي لباهم عنى لسان المنصل

و أبيت من أنّى أعيش بعزهم و أكون عنهم في الحروب بمعزل

وافيت في يوم أغرّ محجّل أغشى الهياج على أغرّ محجل

ثار العجاج فكنت أوّل صائل وعلا الضرام فكنت أوّل مصطلى

فغدا يقول كبيرهم و صغيرهم لا خير فيمن قال إن لم يفعل

سل ساكنى الزوراء و الامم التي حضرت و ظللها رواق القسطل

من كان تتمّ نقصها بحسامه إذ كلّ شاك في السلاح كأعزل

أو من تدرّع بالعجاجة عند ما نادى منادى القوم يا خيل احملى

تخبرك فرسان العريكة أنّى كنت المصلّى بعد سبق الأوّل

ما كان ينفع من تقدّم سبقه لو لم تتممها مضارب منصلى

لكن تقاسمنا عوامل نحوها فالإسم كان له و كان الفعل لى

و بديعه نظرت إلّى بها العدى نظر الفقير إلى الغنى المقبل

و استثقلت نطقى بها فكأنما لقيت بثالث سورة المزمل

ص: ١٢٢

حتى انثت لم تدر ماذا تتقى عند الوقائع صارمى أم مقولى
حملوا على الحقد حتى أصبحت تغلى صدورهم كغلى المرجل
إن يطلبوا قتلى فلست ألومهم دم شيخهم فى صارمى لم ينصل
ما لى أسرها و تلك فضيله الفخر فى حصد (١) العدو بمنجل
قد شاهدوا من قبل ذاك ترفعى عن حربهم و تماسكى و تجملى
لما أثاروا الحرب قالت هممتى جهل الزمان عليك إن لم تجهل
فالآن حين فليت ناصيه الفلا حتى تعلمت النجوم تنقلى
أضحى يحاولنى العدو و هممتى تعلقو على هام السماك الأعزل
و يروم إدراكى و تلك عجيبه هل يدرك الزرور صيد الأجل
قل لليالى و يك ما شئت اصنعى بعدى و للأيام ما شئت افعلى
حسب العدو بأننى أدركته لما وليت وقته لما ولى
سأظل كل صبيحه فى مهمه و أبيت كل عشيه فى منزل
و أسير فردا فى البلاد و إننى من حشد جيش عزائمى فى جحفل
أجفو الديار فإن ركبت و ضمّنى سرج المطهم قلت هذا منزلى
لا تسمعن بأن أسرت مسلما و إذا سمعت بأن فعلت (٢) فعولى
ما الاعتذار و صارمى فى راحتى (٣) إن لم يكن من دون أسرى مقتلى
ما كان عذرى إن صبرت على الأذى و رضيت بعد تدللى بتدلى

ص: ١٢٣

١-١ فى الديوان:فصد.

٢-٢ فى الديوان:قتلت.

فإذا رميت بحادث في بلده جرّد حسامك صائلا أو فارحلا

فلذاك لا أخشى ورود مئيتي و أرى ورود الحتف أعذب (١)منهل

فإذا علا جدّي فقلبي جنّتي و إذا دنا أجلي فدرعي مقتلي

ما تهت بالدنيا إذا هي أقبلت نحوي و لا آسى إذا لم تقبل

و كذاك ما وصلت فقلت لها اقطعى يوما و لا قطعت فقلت لها صلى

صبرا على كيد العداة لعننا نسقى أخيرهم بكأس الأوّل

يا عصبه فرحوا بمصرع ليشنا ماذا أمتتم من وثوب الأشبل

قوم يعزّون النزيل و طالما بخل الحيا و أكفّهم لم تبخل

يفنى الزمان و فيه رونق ذكرهم يبلى القميص و فيه عرف المندل (٢)

حول قصيده الشيخ تاج الدين المنوفى:

عودا إلى قصيده صاحبنا تاج الدين المذكور، و ما فيها من تلويحه و إشارات، التي أدرجها في ضمن عباراته، إذ المقصد و المرام، حلّ مبهجها لذوى الأفهام، ففيها توريه يجب الإمعان في بيانها، و تشييد بيانها، و هي التي في قوله:

و رأى مباركهم و محسن فعلهم تأييدهم في الحقّ بالشرع الجلى

الضميران عائدان إلى الساده الأشراف، من غير شكّ و لا خلاف، فيصحّ حينئذ أن يكون مباركا و محسنا صفتان، فالأوّل مشتقّ من البركه، و الثانى من الإحسان، فيوصف بهما كلّ فرد منهما، و يصحّ أيضا أن يكونا علمين للشريفيين الأ-كرمين، و المنيفين الأعظمين، أحدهما صاحب الترجمة، و شريف مكّه المعظّمه، الشريف

ص: ١٢٤

١-١) في الديوان:عذب.

٢-٢) ديوان صفى الدين الحلّى ص ٢٢-٢٥، طبع بيروت.

مبارك بن أحمد بن زيد، لا زال محروسا من كل كيد.

و الثاني عضده و ذراعه و حسامه و يراعه، و سهمه النافذ، إذا سدّت المنافذ، و رأيه الصائب، إذا توالى المصائب، و الصائل لديه بأعمال الطب، إذا جاوز الحزام البطين و بلغ السيل الربا، زعيم الساده الأشراف، و عظيم القاده من آل عبد مناف، غزه وجه زمانه، و درّه عقد أقرانه، القامع العدى، و الجامع بين البأس و الندى، منبع الجود و مأوى الخلق الحسن، و مصقع ذوى الفصاحه و اللسن، السيد الشريف محسن بن عبد الله بن حسين بن حسن، لا زال الدهر طوع نواهيه و أوامره، و القضاء طبق مواردّه و مصادره.

و لا انفكّ محروس الجناب ممتعا بما شاء مهما شاء فى أطول العمر

و لقد تشرفت بلثم أعتابه، و خدمت بأصفرى عالى جنابه، فشملى بنظره العالى، و غمرنى بفضله المتوالى، فسأشكره على جزيل إنعامه، و جميل إعزازه و إكرامه.

عودا إلى ما نحن بصدده من ذكر صاحب الترجمة، و مدّه دولته:

تتمه ترجمه صاحب الترجمة:

قد تقدّم أنه كان جلوسه فى سابع شهر رجب الفرد من سنه ثنتين و ثلاثين و مائه و ألف، و استمرّ فى الشرافه إلى ليله سابع و عشرين شهر ذى القعدة الحرام انتهاء سنه أربع و ثلاثين و مائه و ألف، فكانت مدّه دولته سنتين و خمسه أشهر إلاّ تسعه أيام، عزل عنها بالشريف يحيى بن بركات فى عوده من الديار الروميّه، كما سيأتى.

فى الحوادث الواقعة فى أيام شرافه هذا الملك المعظم

من وفاه لبعض الأعيان، أو حادثه وقعت بمكّه المشرفه، أو فى غيرها من البلدان.

ففى سنه ثنتين و ثلاثين و مائه و ألف... (١).

وفاه الشيخ عبد الله بن سالم البصرى:

و فى يوم الاثنين رابع رجب من سنه أربع و ثلاثين: توفى أعلم العلماء الأعلام، و شيخ مشايخ رواه (٢) الحديث النبوى ببلد الله الحرام، مولانا الشيخ عبد الله بن سالم بن محمد بن سالم البصرى أصلاً المكى مولداً و وطناً، الشافعى مذهباً (٣).

فلعمري لقد أظلمت لفقده جميع الآفاق، و قامت أسواق نوائح العلماء و الادباء على ساق؛ لأنه كان إمام العلوم و علامها، و الناشر فى الخافقين ألويتها و أعلامها، و خامس العبادله الجلّه، المشيدين لمباني الإسلام بقواطع البراهين و الأدله، و أقسم بمن أحيا و أمات، و هو خالق السماوات، إنه لقول فصل، و ما هو بالهزل، و سأبرّ هذه اليمين، بقول (٤) صادق لا يمين، و هو الفاضل الأديب الشيخ سالم بن

ص: ١٢٦

١ - ١) فى نسخه «د» بياض بمقدار نصف صفحه، كان فى هذا التاريخ وفاه الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد الحسنى، راجع: خلاصه الكلام ص ١٧٠.

٢ - ٢) فى «ن»: روايه.

٣ - ٣) ترجمه الشيخ عبد الرحمن الجبرتى فى كتابه تاريخ عجائب الآثار فى التراجم و الأخبار ١: ١٣٢-١٣٣.

٤ - ٤) فى «ن»: بشهاده.

أحمد بن إدريس الشهير بالشماخ، في ترجمه له ترجم بها الشيخ.

فقال: عالم عارف، أطلعه الله على أسرار المعارف، قارئ صحیح البخاری في الكعبه الشريفه، أجل من شكر الدهر تالده و طريفه، إمام الحديث و خادمه، المقدم في هذا العصر و خاتمه، منار الشريعة و منير جمالها، و محقق الحقيقه و مفضّل لجمالها، جامع العلوم، و المستخرج من بحورها درر المنطوق و المفهوم، المقتنى نفائس جواهرها، و المجتنى أزاهر بواطنها و ظواهرها، فهو طود رسی في مقوّر العلم و رسخ، و نسخ خطّه الجهل بما خطّ و نسخ.

فعلى به من حديث الفضل اسناده، و أقوى به من علم الأدب إقواؤه و سنده، حتى صار صيته في الآفاق، و انعقد على فضله الوفاق، و انتهت إليه رئاسه العلم بالبلد الأمين، و صار منتجج الوافدين و الآمين، منه تقتبس أنوار الفنون، و عنه تؤخذ أحكام المفروض و المسنون، و ما من علم إلا و له فيه القدر المعلى، و المورد العذب المحلى.

أما علم الحديث، فقد جمع فيه بين الروايه و الدرايه، و رفع لجيش أحزابه أرفع رايه، فاستوعب قماطره بين مقروء و مسموع، و جمع شوارده جمعا في الحقيقه منتهى الجموع، قصدته فيه علماء الأمصار، و بهر في تقريره منهم الأسماع و الأبصار، فألف فيه و صنّف، و قرطف المسامع به و شنف، و له على صحیح البخاری شرح سار مسير الأمثال، و عزّ أن يلقى في الشروح له مثال، لكن ضاق الوقت عن إكماله، و ما أودعه فيه من الدقائق، شاهد صدق على كماله، سمّاه ضياء السارى، و هذا الإسم كاد أن يكون قسما من أقسام المعما، فإنه وافق تاريخ سنه (١١١٣) عام الشروع في تأليفه، فكان الإسم طبق المسمى.

و أما علم التفسير، فهو كشاف بيان ما في كتاب الله من آيات محكمات، و اخر

متشابهات.

و أما علم الفقه، فهو مفرد أئمتته في تحرير مذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعي، و ثاني إمام الحرمين، و ثالث الشيخين النووي و الرافعي.

و أما علم العربية، فهو رابع سيبويه، و ابن مالك، و أبي حيان.

و أما علم المعاني و البيان، فهو السعد المشار إليه بالبنان.

و أما علم اللغة، فهو قاموسها و الصحاح، و نهايتها و الإيضاح.

و أما بقيه العلوم، فهو جديها المحكك، و عذيقها المرجب، المعمل في (1) يده و لسانه و ضميره المحجّب.

و قد أقرأ بالمسجد الحرام عدّه كتب من أجلها صحيحا البخارى و مسلم، و كذا بقيه السنن حتّى انتفع به النفع التامّ كلّ مسلم، و أقرأ فى جوف الكعبه الشريفه صحيح البخارى سنه (1109) و كان فى داخلها عماره قام بها أحمد بيك صاحب جدّه و شيخ الحرم الشريف.

و كذلك أقرأ فى جوفها مرّه أخرى سنه (1119) و كان أمر بتجديد بابها السلطان أحمد، و القائم بذلك صاحب جدّه، و شيخ الحرم الشريف عوض بيك.

و كذلك أقرأ مسند الإمام أحمد بن حنبل جميعه فى الروضه الشريفه عند رأس الجناب المعظم، صلّى الله عليه و آله و سلّم و عظم، فى ستّ و خمسين مجلسا، و ذلك فى سنه (1131).

أخذ عن جمله من المشايخ، ممّن لهم فى العلوم القدم الراسخ، منهم:

ضياء الدين الشيخ محمد البابلي، و الشيخ عيسى المغربى الجعفرى الثعلبى،

ص: ١٢٨

(١ - ١) فى «ن»: فيها.

و القاضى تاج الدين المالكى، و الشيخ على بن الجمال الأنصارى، و الشيخ عبد الله ابن سعيد باقشير الهاشمى، و ولده الشيخ سعيد باقشير، و الشيخ إبراهيم باغريب، و الشيخ محمّد بن سليمان المغربى، و الشيخ أحمد بن عبد العزيز المغربى، و الشيخ عبد المالك المغربى، و الشيخ منصور الطوخى، و الشيخ أحمد البشيشى.

و مشايخه فى الطريق، و أساتذته فى الارشاد و التحقيق، جملة أجلاء، و عمد تزيّن بهم جيد الوجوه و تحلّى، و واسطه عقدهم الثمين، و جوهره تاجهم ببلد الله الأمين، العارف بالله و الدالّ عليه، مولانا و سيّدنا السيّد عبد الرحمن بن السيّد محمّد بن السيّد أحمد الحسنى المغربى المكناسى المالكى الشهير بالمحجوب.

و منهم: العلّامة المحقّق، و الفهّامه المدقّق، السيّد سعد الله الهندى، و غيرهم ممّن تعرب عنهم الإجازات، القامعه للخصم فى مقام المنازات.

عاش و لم يعرف له إلى الصبوه ميل، و مات و هو مواظب على قيام الليل، كان ورده فى اليوم و الليله عشره أجزاء من كلام ربّ العالمين.

ثمّ لمّا كبر و جاوز الثمانين، يقرأ ما أمكنه ليلا و نهارا، و لم يخل وقت من أوقاته بغير تدريس، أو تلاوه، أو صلاه، أو مذاكره، و لم يخل بقيام الليل بجزئين من كتاب الله تعالى إلى مرضه الذى مات فيه.

و من مناقبه: تصحيحه للكتب الستّه، حتّى أنه ليرجع إليها من الأقطار، و يعتمدها اولوا الأبصار، أعظمها صحيح البخارى الذى وجد فيه ما فى اليونيتيه و زياده، كتبه بيده، و أخذ فى كتابته و تصحيحه نحوا من عشرين سنه، و جمع مسند الإمام أحمد بن حنبل، بعد أن تفرّق أيادى سبأ، و كاد أن يكون كالهبا، و صحّح من نسخه صارت أمّا و كعبه لمن أمّا، نقل منه الساده العلماء نسخا تشفى الألّماء، و انتشرت فى الحرمين انتشارا أضاء به الخافقين، و أرسل ابنه البارّ بالديه برّا

ظهرت بركتة عليه، نسخه أوقفها بطييه الشريفه، و أخرى بجامع مصر المنيفه.

و جمع من نفائس الكتب ما لا يوجد له عند غيره نظير، و كان لا يبخل بإعاره الكتب لجميع المسلمين، كانت أخلاقه رضيّه، و شمائله مرضيّه، طالما اعتورت الطلبة في مجلسه كؤوس الصحب، و لم يظهر منه في ذلك عليهم تعب، بل يأخذهم بالملاطفه و اللين، حتّى يبين لهم ما أشكل عليهم أوضح تبين، سيرته رحيمه، و سريرته سليمه، لا يملّ من النظر إلى وجهه البهي، و لا يسأم من حديثه الشهي.

ولد عند طلوع الفجر من يوم الأربعاء رابع شعبان بالرؤيه، و ثالثه حسابا سنه (١٠٤٩) تسع و أربعين و ألف. و مات قبيل العصر من يوم الاثنين رابع رجب الفرد بالرؤيه، و ثالثه حسابا سنه (١١٣٤) و قد حزن لموته الخاصّ و العامّ، و غصّ للصلاه عليه بالناس المسجد الحرام، و كانت جنازته حافله جدّا، و صلّى عليه إماما بالناس السيّد عبد الرحمن بن علي باعلى، و نقل بعد الصلاه عليه إلى المعلاه، و دفن بزوايه الشيخ الجليل، ولى الله بلا نزاع، مولانا الشيخ عمر العرابي، و قبره هناك مشهور يزار. إنتهى ما ترجمه به الأديب الفاضل المذكور (١)، و ترجمه أيضا غيره أيضا من أرباب الفضل المشهور (٢)، و مقامه الشريف فوق هذا التعريف.

و يا عجباً ممّا نحاول وصفه و قد فئت فيه القراطيس و الصحف (٣)

هذا، و قد رثاه جماعه من أهل الأدب، و ابتدر لتاريخ وفاته كلّ شاعر و انتدب، غير أنّا ننتخب منها ما يليق بهذا المجموع، ممّا يفتق الذهن بكونه أبلغ مسموع.

ص: ١٣٠

١- ١) و هو الفاضل الأديب الشيخ سالم بن أحمد بن إدريس الشهير بالشماع.

٢- ٢) في «ن»: المأثور.

٣- ٣) في «ن»: و الكتب.

رثاء والد المؤلف للشيخ عبد الله البصرى:

فمن ذلك: ما رثاه به صديقه الأبرّ، ومخلصه الأكبر، والدنا المرحوم المقدّس، السيّد محمّد بن على بن حيدر، وبعث بها من الطائف إلى ابنه المعظم الآتى ذكره إن شاء الله تعالى، ومعها نثر سنكتبه تلو القصيده، وهى:

كسف الردى للفضل شمس نهار فرمى الحجى فى ظلمه و تبار
شمس العلوم وهى الحلوم بفقدها فرأوا نجوم الليل فى الإظهار
و تقلّص (١) الظلّ الظليل و قوض الفقه الجليل و سنّه المختار
و تهدّم الحصن الحصين فأصبح الع قل الرصين يطير كلّ مطار
و تفرّقت حلق الدروس كأنها أيدى سبا فى سالف الأعصار
أودى الزمان بجنتيهم جنتى علم الظهور و باطن الأسرار
لاقى الحمام لكى يلاقى ربّه فى جنّه الفردوس دار قرار
من يومه هو يوم نأتى الأرض نثق صها و بالتفسير مثلك دارى
من موته موت الحديث و أهله و بذاك يشهد مسلم و بخارى
و الفقه و التفسير و الأصلين مع الاتها لفهم أو قارى
و علوم الأخلاق الكريمة كلّها قولاً و فعلاً فى البريه سارى
بصريها أودى فما حسن يرى من بعد عبد الله بالأبصار
موت العبادله الأعالم موته و هو السمى و ناشر الآثار
أما القبور فإنهنّ اوانس بقدمه ملأى من الأنوار
و بيوت أحياء الوجود توخّشت و علا ظلام الحزن كلّ جدار

ص: ١٣١

(عزّ العزاء به و فطّر رزؤه جزعا فواد الثابت الصّبار) (١)

لكن إذا كان المعزّي فيه أهل العلم و الأحلام و الأفكار
فهم الذين تضعضعوا بمصابه و العارفون بقدر ذى الأفكار
مع نجله و الشبل كالأسد الذى ساد الكواسر بالزناد الوارى
هو سالم شبه المسمّى له ابن عبد الله نجل خليفه المختار
و أنا المعزّي و المعزّي و الذى يقضى حقوق حياته و يبارى
حقّ الابوّه بالإفاده و المودّه و الدعا و تفقد الأنظار
ذكر المصاب بسيد الكونين و الآل الكرام و صحبه الأخيار
فبذا تأسّوا و استكانوا حسبه و تلوا عزاء حكمه الأشعار
لا حتى من هذه الخليفه خالد حكم المتيه فى البريه جارى
و رأوا بعين العلم أنّ مماتهم عين الحياه لدى جوار البارى
تلك الحياه حقيقه لا هذه فهى المجاز بنا لتلك الدار
فى هذه الدنيا الدنيه أنّها شرك الردى و قراره الأكدار
فلذاك طابق حالهم إذ أرخوا بيتا كنجم كواكب الأسحار
حكم الحساب يحقّ فى تاريخه قل حلّ عبد الله دار قرار
و ما كتبه من النثر هذا صورته:

أقامها ناظمها السالك بها طريق الوفا السوى، محمّد بن على بن حيدر الحسينى الموسوى، مقام كتاب التعزیه لولده الأسعد
الأمجد، الحقيق بتظافر الأثنيه و الأدعيه؛ لأنها تضمّنت ذلك بلفظ أعلق من النثر بالخواطر، و الشعر يخلد

ص: ١٣٢

فى مشامّ الزمان نفحات الأثنيه العواطر، عنيت بجيده الذى تبقى جاريه فى أوديه الروايه مسائله.

يموت روى الشعر من قبل ريّه و جيده يبقى و إن مات قائله

و قد قال عمر بن الخطاب لبنت زهير أخت كعب، الذى أعلنت بانث سعاد منه الكعب: ما فعلت الحلل التى كساها هرم بن سنان أباك؟ قالت: أبلاها الدهر، قال:

لكن الحلل التى كساها أبوك هرما لا يبليها الدهر. أو ما هذا معناه، و بالله التوفيق.

و هذه القصيده و الشتر أصدرهما و الدنيا-رحمه الله تعالى- من الطائف إلى نجله الأجلّ الأكرم، و شبلة المبيجل المعظم، و خلفه الصالح فى عالم الوجود، و خليفته المسدّد فى كلّ أمر محمود، الحائز لطريف المجد و تالده، و لا غرو أن يحذو الفتى حذو والده، و الفاضل الذكى النبيه، الصادق فيه الولد سرّ أبيه، سيّدنا و مولانا، و من بجميل فضله و إحسانه أولانا، الشيخ سالم ابن المرحوم المقدّس الشيخ عبد الله البصرى، أدام الله شريف وجوده، و منيف آبائه و جدوده، و وريف إفضاله وجوده.

ترجمه الشيخ سالم بن عبد الله البصرى:

اشاره

أبدر هلال سعده و رئاسته فى زمن أبيه، و رقى ذروه المعالى على بنى الفضل و مكتبيه، اشتغل فى حياه أبيه بعض الاشتغال، إلا أنّه أدرك فيه مع قوّه ذهنه و ذكائه ما لم يدركه أغلب الرجال، و تصدّر بعد وفاه أبيه لإكمال بعض دروسه من الحديث، و حضر مجلسه الشريف أكثر العلماء الأعلام، القاطنين ببلد الله الحرام، فشكروه على تقريره، و تهذيبه للبحوث و تحريره.

و أوّل مظهره كان بصحبه مخدومه فخر الشرافه، و مفخر آل زيد أرباب الإمرة و الخلافه، السيّد الأجلّ الأشرف الأرف الأمجد الأنجد، مولانا و سيّدنا الشريف عبد المحسن بن الشريف أحمد، المنتظم ذكره السامى المجيد، فى سمط عقد ملوك

مكّه النضيد، فحلّ عنده و عند ملوكها محلّ الروح من الجسد، و البرأين من الأسد.

و كانت رئاسه مخدومه المشار إليه هو ركنها الذى يعتمد فى المهّمّيات عليه، مع كونه مرجع الملوك أيضا فى الموارد و المصادر، و منتجج الوافدين من رؤساء الدوله العثمانيه، مقيما كان أو مسافرا.

كاتب وزراء الدوله المذكوره و هاداهم، و بعث إليهم من التحف المالىه ما استمال به خواطرهم و استأواهم، حتّى خاطبته الدوله بخطابات جميله، قلّ أن تصدر منها لأحد من ذوى الأقدار الجليله، و خدمهم فى عماره العين المكّيه مرارا عديده، و فى غيرها من المهّمّيات مدّه مديده، و صار يطلب كلّ ما يريد من الأوامر السلطانيه، فتأتته على الفور طبق إرادته و مقاصده السديده، حتّى اجتمع عنده ما لا يحصيه عدّ، و لا يحيط به حدّ.

و هذا لم يتفق لأحد من أبناء مكّه المعظّمه، بل و لا لغيره من المتقلّدين بعقود خدمهم المنظّمه، ففاق الأوائل و الأواخر، بجمع أشتات المناقب الشريفه و المفاخر، فسطعت فى جميع الآفاق شمس رئاسته و ذكره، و تلت ألسن الخلائق آيات حمده و شكره.

و الحاصل أنّه لم يعهد بمكّه المشرفه ممّن تقدّم له نظير، إلاّ القاضى حسين، غير أنّ هذا هو الحاجب و ذاك العين، لأنّه جراه فى مضمار المفاخر، حتّى قيل كم ترك الأوّل للأخر، و إذا تلوت عليك مناقبه و مآثره، علمت علوّ همّته و مقداره، و عرفت مفاخره.

إنّ آثارنا تدلّ علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

منها: أنّه بنى بمكّه المشرفه رباطين عظيمين، بنهايه الإحكام و السداد، جعل أحدهما وقفا على الساده الكرام الأمجاد، آل أبى علوى حرسهم الله تعالى.

و الثاني على النساء المنقطعات بمكّه المشرفه، و كلا الرباطين بأسفل مكّه المشرفه، قريبا من دار سكناه، صرف في عمارتهما جانبا عظيما من الأموال، و هما الآن أحسن الأربطه في جميع الأحوال.

و جعل لهما مقدار مائه قرش في كلّ شهر من علوفه بندر جدّه لمهام الرباطين و بعض المصاريف، و وقف عليهما أيضا محلين عظيمي الغلال لأجل عماره الرباطين و مصارفهما، و وقف في الرباط المخصوص بالساده جانبا عظيما من الكتب المعتبره من جميع الفنون.

و منها: عمارته و تصليحه لجميع ما في مكّه المشرفه من المحالّ المأثوره، و الآبار المذكوره، حتّى التي في أطراف مكّه المشرفه، و صرف على ذلك أموالا عظيمة.

و منها: بناؤه لقبه السيّد المهدي في منزل مستوره الكائن بين الحرمين.

و منها: بناؤه للمدرسه العظيمة، و ما عليها من المباني النفيسه الكائنه بباب العمره أحد أبواب المسجد الشريف على يمين الداخل إلى المسجد، و هي من أفضل المباني، و بنى دورا كثيره بمكّه المشرفه، و وقف غالبها على معاتيقه و خواصّه، و جانبا منها في وجوه المبرّات.

و منها: عمارته لعين مكّه المشرفه مرارا عديده، تاره بأمر من الدوله العثمانيه، و تاره بطريق النيايه عن وكلائهم على ذلك، حتّى صارت له بذلك اليد الطولى.

و منها: أنّه جمع كتب لا- يتأتّى لغيره جمعها، ربما أنّها نافت على كتب الصاحب ابن عبّاد، و كلّها في نهايه الضبط و الحسن و السداد، ثمّ أضاف إليها ما خلفه والده

المرحوم المقدّس من الكتب التي ليس لها نظير؛ لكونها (١) خدمها مثل ذاك المقام الخطير، فملأت كتبه أماكن عديدة من داره الساميه، لا زالت عامره ناميه.

و منها: أنّه وقف على ضريح سيّدنا حبر الامّه عبد الله بن العباس -رضى الله عنهما- كتباً عديدة فاخره من جميع الفنون، لقصده انتفاع أهل الطائف من الطلبة وغيرهم بها، و شرط في وقفيتها أنّها لا تخرج من نفس القبّه الشريفه، بل كلّ من أراد المراجعه يدخل القبّه الشريفه، و يراجع فيها ما يريد من المسائل، فأحرز بهذه المنقبه الفاخره خيرى الدنيا والآخره.

و من عجيب أخباره، الدالّه على عظم (٢) رئاسته و جلاله مقداره، أنّه زار قبر النبي صلّى الله عليه و اله بجميع عياله و خدامه، و فى ركابه جماعه من العلماء الأعلام المجاورين لبيت الله الحرام، منهم: الفاضل العلّامه الشيخ محمّد بن عبد الله المغربى، المتوفّى سنه (١١٤١) بالمدينه المنوره. و منهم: العالم الجليل الشيخ عيد المصرى المتوفّى سنه (١١٤٢) و منهم: الصالح الفاضل الشيخ موسى الحنفى، و غير هؤلاء من الأفاضل من أبناء أكابر مكّه المشرفه، و غيرهم.

و جملة جماله التي تحت خزائنه و عياله و خدامه مقدّمه عليه، و معه ستمائه جمل، و سار فى صحبته اناس كثيرون من أهالى مكّه المشرفه، فسلمّ كرى جميع ما معهم من الجمال، و سلمّ أيضا أكريه بيوتهم بالمدينه المنوره، مع اهتمامه بأحوالهم فى الطريق، و إرسال كلّ ما يحتاجون إليه من الأقوات فى كلّ منزل، حتّى وصلوا إلى المدينه المنوره، و هم فى غايه الرفاهيه، و تحت خدامه و عبيده

ص: ١٣٦

١- ١) فى «ن»: لكونه.

٢- ٢) فى «ن»: عظيم.

أكثر أنواع الحيوانات من الخيل و البغال و الإبل و أنواع المراكيب من المحاف و غيرها.

وصلت إليه -حفظه الله تعالى- لقصد الموادعه، في موضعه الذي برز فيه في جهه الزاهر، فوجدته في مختصر حاج من الحجوج من كثره العالم و الخدام و الخيام، الله على ما أقول كفيلاً (١).

و كان كلما جاء منزلاً من المنازل لاقاه شيوخ قبيله حرب بالهدايا، و قابلهم هو بالعطايا الجزيله، و ألبسهم الملايس الحسنه الفاخره، إلى أن وصل إلى المدينه المنوره، ثم لما وصلها قابله أهلها و دولتها و عساكرها بالإجلال و الإكرام، و بعثوا إليه بالهدايا اللائقه بجنابه العالى، فقبلها منهم، ثم قابلهم عليها، و أرسل إلى كل شخص ما يليق به من الأقمشه الهنديه الفاخره، و أوصل ضعفاءهم، و أعطى من خدمه منهم العطايا العظيمه، و ألبسهم أفريه السماير.

ثم رجع إلى بلده من عامه ذاك بمثل ما ذهب و زياده، فسألناه -حفظه الله تعالى- عن مقدار ما صرفه من الأموال على هذه الزياره، فأجاب بأن المتصرف على هذه الزياره الشريفه، و فى عماره المدرسه، يعنى التى تقدمت الاشاره إليها، لم تضبطه لكثرتة، و لكون الانفاق فى الأمرين إنما المقصود به وجه الله تعالى.

و هذه الكيفيه لم تصر إلى أحد من أبناء البلد الحرام، بل و لأعظم رئيس من وزراء (٢) دوله الأروام.

نعم وقفنا فى تاريخ القطبى على صفه زياره القاضى حسين المتقدم ذكره،

ص: ١٣٧

١- ١) فى «ن»: وكيلاً.

٢- ٢) فى «ن»: رؤساء.

و صارت إليه أبته عظيمه، إلا أنها حقيره بالنسبه إلى أبته زياره هذا الشيخ، و كثره إحساناته، و دليل ذلك أن عدّه جماله مائتان و أربعون جملا، و قس عليها غيرها.

ثم زار - حفظه الله تعالى - بعد هذه الزياره فى سنه... (١) زياره مختصره، تقارب زياره القاضى حسين، و كانت زيارته الاولى التى ذكرنا كيفيتها سنه... (٢)، و قبلها زار زياره إلا أنها مختصره كالأخيره.

و له - أيد الله تعالى، و أدام الله عليه نعمه التى لم تزل توالى - قضايا عجيبه، و أحوال غريبه، و هبات جزيله، و يده بالحسنات طويله، كان يوصل أهل مكّه المشرفه فى شهر رمضان بمفرده مائه أردب من القمح كل سنه، و غير ذلك، و لو أرسلنا القلم فى عدّد مناقبه و مكارمه لبلغت مجلّدات عديده، أبقاه الله تعالى للمسلمين آمين.

و قد تقدّم أن الشريف مبارك بن أحمد عزل عنها بالشريف يحيى بن بركات فى عوده من الديار الروميه.

توليه الشريف يحيى بن بركات الثانيه

و هو أنه بعد أن عزل عن الولايه و توجه و سار، إلى الدوله العليه و تلك الأقطار، فتلقته السلطنه بالإعزاز و الإكرام، و شملته بعين العنايه و الاحترام، و توجهت إليه، و جبرت خاطره ممّا وقع عليه.

فمن جمله ما صار له من العنايات السلطانيه، و النظرات العثمانيه، أنه اجتمع به حضره السلطان يوما إلا قليل، و صار بينهما حديث طويل، فشمله ببرّه و رأفته،

ص: ١٣٨

١-١) بياض فى النسخين.

٢-٢) بياض فى النسخين.

حتى سنمه غارب شرافته، إلا أنّ ذلك كان بعد إسعافه، بولايه بيت المقدس و أخطافه، ليكل بخراجه مهياه، ثم يسير لتأطيد أساس ملكه و ميناه.

فمكث به عدّه من الشهور، و حديث عدله بين الرعيه مشهور، إلى أن آن مسير الحاجّ، و توجّه المحامل السلطانيه إلى الجهات الحرّميه و تلك الفجاح، صدر الأمر الشريف، بتوجّه حضره مولانا الشريف، و ذلك في أواخر سنه أربع و ثلاثين و مائه و ألف.

و أخدمه الوزير المكرّم، و المشير المفخّم (1)، على باشا كتاهيه، متولّى بندر جدّه المعمور، و أمر بأن يكون تحت أوامر الشريف و نواهييه، في أقطار الحجاز و نواحيه، و استصحب معه من الفرامين السلطانيه، ما استدلّ به العقال على فساد التيه، و عزّزهما حضره السلطان لقلع عروق الفساد، مع التأكيد في الأبعاد، لبعض أشخاص عن نواحي البلاد، بعين الوزراء العظام، و قدوه الامراء الكرام، على باشا المشهور بابن المقتول أمير الحاج الشامي في السنه المذكوره.

فمشوا جميعا على طريق الشام، و دخلوا مدينه سيّد الأنام، عليه أفضل الصلاه و السلام، و مهّدوا برأيهم الأسدّ الأحمد، بعض ما وقع بين أهلها من الفتن في أيام دوله الشريف مبارك بن أحمد، ثم توجّهوا إلى أمّ القرى، و جعل بأسهم و صولتهم وثيق العرى، و لم تزل الساده الأشراف تلاقيه، من العلا و نواحيه، و دخلوا مكّه المشرفه لستّ خلون من شهر ذى الحجّه الحرام انتهاء سنه ألف و مائه و أربع و ثلاثين.

و استمرّ في الشرافه إلى رابع عشرى شهر ذى الحجّه الحرام انتهاء خمس

ص: ١٣٩

(١ - ١) في «ن»: الأفخم.

و ثلاثين و مائه و ألف، فكانت مدّه دولته باعتبار المنادى الواقع باسمه الشريف فى اليوم السابع و العشرين من شهر ذى القعدة- كما مرّ-سنه كامله إلاّ ثلاثه أيام، و نزل بها لولده الشريف بركات بن الشريف يحيى فى اليوم الرابع و العشرين من شهر ذى الحجّه الحرام، كما سيأتى ذلك إن شاء الله تعالى (١).

فصل: فى الحوادث الواقعه فى هذه السنه

اشاره

فى الحوادث الواقعه فى هذه السنه

و هى سنه خمس و ثلاثين و مائه و ألف؛ لأنّ دوله هذا الشريف لم تستغرق غير هذه السنه كما مرّ، و فى آخرها كان نزوله المذكور آنفاً، و الآتى بيانه لا-حقاً إن شاء الله تعالى لولده الشريف بركات، و قد وقع فى هذه السنه من الحوادث العجب العجاب، و سندكرها لك على طريق الاختصار لا الاطناب.

و هى أنّه لمّا ورد حضره الشريف يحيى إلى مكّه المشرفه، و رفل فى حلال ولايتها المفوّفه، توالى الامور بشدّه و غلاظه، و قابل الساده الأشراف بزعامه و فضاضه، رجوعاً منه عن سيرته الاولى، و استحساناً بأنّ هذه الكيفيه أصوب و أولى، مع اعتماده على من جاء معه من الأروام، و الوزراء العظام.

فلم يزل حال الساده الأشراف معه فى نهايه الاضطراب، مع نفور الأعراب، و الحال أنّ الشريف مبارك بن أحمد و ذويه، آل زيد بن محسن مقيمون بأطراف الطائف و نواحيه، فقضى الشريف و صاحبه الوزير على باشا كتاهيه الحجّ، ثمّ وجّها همّتهما لتمهيد الامور، و إخلاء بعض الدور، و معهما أوامر كثيره متضمّنه لأشياء عديده:

ص: ١٤٠

١-١) راجع: خلاصه الكلام ص ١٧٥.

منها: إبعاد الساده آل زيد بن محسن بن الحسين بن الحسن ملوك مكّه المشرفه من قديم الزمن لامور اقتضت ذلك.

و منها: هدم دارهم المعروفه بهم المسّماه بدار السعاده.

و منها: إبطال الدخّل المعروف بين الساده الأشراف فيما إذا قتل شخص شخصا و دخل على أحدهم، فإنّه يمنع عن القصاص منه، و أمّا الديه فلا، و هذا خلاف الوجه الشرعى.

و منها: إبطال الطلقات المعلومه فى عرفهم، و غير ذلك، غير أنّه لم يتمّ منها شىء.

أمّا الساده آل زيد، فقد علمت ممّا سبق بأنهم نزلوا أطراف الطائف فوق قريه تسمّى ليه، فى موضع عزيز يسمّى جرجه، و له حصن شاهق لبعض قبائل ثقيف، و هم الشريف مبارك بن الشريف أحمد، و الشريف عبد الله بن الشريف سعيد، و الشريف على بن الشريف سعيد، و معهم إختوتهم و من يلوذ بهم من الأتباع.

فلَمّا كان أواخر محرّم من السنه المذكوره: توجّه صاحب الترجمه و على باشا كتاهيه إلى الطائف على طريق محلّه بالخيول و العساكر، و سارا سيرا عنيفا حتّى وصلوا الطائف، و أقاما به يوما واحدا، ثمّ توجّها ليلا بدلاله بعض شيوخ ثقيف، و صبحاهم تحت الحصن المذكور، و استولت العساكر على جميع أوباشهم لم يسلم إلاّ الأشخاص، و كادوا يذهبون لولا حفظ الله تعالى و عنايته بهم.

و هذه الغاره إنّما كانت على الشريف مبارك و أتباعه، و إلاّ فالشريف عبد الله و أخوه الشريف على قد رحلا صباحا قبل وصولهم إليهم بقليل، و قتل من جماعه الشريف مبارك أشخاص، و ذهب جميع ما معهم، ثمّ رجعا إلى الطائف و أقاما أيّاما يمهدان أقطار الطائف، ثمّ سارا إلى مكّه المشرفه، و دخلا مكّه شرفها الله تعالى فى

و فى رجوعهما إلى البلد وقع اضطراب بأهل البلد، و ذلك أنّهم وجدوا فيما أخذوه من الأوباش كتباً بخط بعض أهالى مكّه ممّن ينسب إليهم بأشياء، كوجيه الدين عبد الرحمن بن على بن سليم، فإنّ حضره على باشا قد وقع له على مكاتبات بينه و بين الشريف مبارك و لآخرين أيضاً، فنهب بيت عبد الرحمن المذكور، و أراد لزمه و قتله، لكن هرب بمساعدته بعض الخدّام، ثمّ ذهب إلى اليمن، و أراد الآخرين أيضاً لكنّهم هربوا.

ثمّ بعد مدّه جمع الشريف مبارك المذكور جمعا من بادية سرايه بجيله و ناصرته، و من ثقيف ما يقارب الألف، و أقبل بهم على الشريف يحيى بن بركات و صاحبه، فخرجا لملاقاته إلى عرفه، و وقع بينهما الحرب فوق الجبل المسمّى بالخطم على يسار الصاعد إليها، و صار قتال شديد بين هؤلاء البادية و بين عساكرها.

و أمّا الخيل، فقد حملت فى أوّل الأمر على الشريف مبارك و ما معه من الخيل و كسرتة، و البادية قد انحسرت فى الجبل المذكور، و معلوم حال المحصور القاتل عن روحه، فوقع منهم قتال أهال الأتراك؛ لأنّه لمّا خرج الشريف يحيى و صاحبه أخرجوا البلديات السبعه بعساكرهم، بل و من ينتمى إليهم من سكّان مكّه المشرفه من أبناء الأروام و المغاربه و المصاربه، و عساكر بندر جدّه المحافظين لها، و قاومت هذه البادية جميع هؤلاء الطوائف بحرب طار شرره، و قتل جمّ غفير من الأتراك و غيرهم، و لم يمكنهم الاستيلاء عليهم أبداً، فأعطوهم الأمان، و بذلك سلم بقيه الأتراك من القتل، و نزلوا من الجبل الذى كانوا عليه، و توجهوا إلى الطائف آمنين مطمئنين غير منقوصين.

و يقال: إنَّ عليَّ باشا لحقه صواب (١) في فخذِه في تلك الواقعة، فهذه كانت عليَّ الشريف مبارك، و رجع إلى الطائف، ثمَّ خرج من الطائف بسبب عسكر و جَّه عليه الشريف يحيى، و بقي في أطرافه إلى شهر رمضان من السنه المذكوره، ثمَّ دخل الطائف و أخرج منه و كيل الشريف يحيى، و هو السيّد محمّد بن الشريف عبد الكريم، و استقر به يجمع الباديه.

و كان بالطائف حين دخول الشريف مبارك، حضره السيّد الشريف، الغضنفر الغطريف، زعيم الساده الأشراف بلا مين، مولانا و سيّدنا السيّد محسن بن عبد الله ابن حسين، فتوالى الأمر و ذبَّ عن الرعيه، و أرسل كتباً مع ولده إلى حضره الشريف يحيى و صاحبه يعرّفهما بذلك، فأرسلا يطلبانه، فوصل إلى مكّه المشرفه، و اجتمع بهما جميعاً، ثمَّ بعلى باشا بمفرده.

و تواطئا هو و إيّاه عليّ أن يكتبا إلى الشريف مبارك كتاباً يلاطفه فيه، و يوغيده بالشرافه بعد الحجّ، و أن يرسل إليه مبلغاً من الدراهم يستعين به، و يفرق من عنده من البوادي، و يستقرّ في الطائف مصاحباً لا يعارض شيئاً من الأحكام، و أنك إذا فعلت ذلك تعهدت لك بأنّه ما يخالف ما تأمر به، و أنا أمشي إليه بنفسى لأجل ذلك، و في ضمن ذلك تنطفىء نائره الساده الأشراف القائمين الآن عليَّ الشريف يحيى، لكن لا بدّ من تسليم شيء لهم، فحاضوا في ذلك أيضاً، و استقرّ الأمر عليّ تسليم علوفه شهر لهم نقداً، و سلّم إليهم من خزانه عليّ باشا عليّ يد وزير الشريف.

ثمَّ توجه السيّد محسن إلى الطائف، و وفد عليَّ الشريف مبارك و من معه من الساده الأشراف، و أعطى الشريف مبارك كتابه من حضره الباشا و المبلغ المذكور،

ص: ١٤٣

و حلّه عمّا كان عليه و الأشراف الذين معه علوفه شهر نقدا، و تفرّقت البادية، و استقرّت الأحوال، و آمنت البلاد، و مشت فيها أحكام الشريف يحيى.

ثمّ عاد السيّد محسن إلى مكّه المشرفه، و معه جماعه من عيون خدام الشريف مبارك، لقضاء بعض أغراضهم الدنيويّه، فوجد على باشا قد توجه إلى بندر جدّه؛ لأنّه كان عازما على المسير إليها، بعد تعهّد السيّد محسن بانحلال الامور على التريب المذكور.

فلما وصل السيّد محسن إلى مكّه، و وجده قد نزل إلى بندر جدّه، لحقه بمن معه من جماعه الشريف مبارك، فوفد عليه في البندر، فأكرمه بما لم يعهد مثله لمثله، و أعطاه جواب الشريف مبارك بامثال الأمر في كلّ ما أمر به، فاسترّ بذلك و تشكّر من حضره السيّد محسن فيما فعله، و رجع إلى مكّه المشرفه، فحدث على باشا مرض طال به إلى ذى القعدة، ثمّ هلك به، و دفن بجده قريبا من قبر حوّاء رضى الله عنها، و بنى عليه قبه هناك موجوده إلى الآن.

و استقرّ في منصبه بعده كيخيته إسماعيل باشا، و ضبط جميع أمواله، و أقام علائف العسكر على عادتهم مع على باشا، و كانت هذه التولية و النصب لإسماعيل برأى حضره الشريف يحيى، و قاضى الشرع الشريف و أعيان الدوله.

فاستمرّ متوليا إلى شهر الحجّ، إلاّ أنّه صار من العسكر تعدّيات كثيره على الرعيه، لعدم ضبطه لهم كاستاذه، و الأشراف في نهايه الاضطراب أيضا مع شيخهم الشريف يحيى؛ لقطعه مقرّراتهم المعروفه.

و الشريف مبارك قد تحرّك بالطائف لجمع البادية و المسير إلى مكّه بعد وفاه على باشا المذكور، و لم تزل الحال كذلك إلى أن وصل حضره الوزير المعظم عثمان باشا المكنى بأبى طوق، و فى مكّه أعيان الدوله العثمانيه، كحسن آغا دار

السعادة، و أيوب آغا شيخ الحرم الشريف النبوي سابقا، وغيرهما، فتواطؤوا على أن الشريف يحيى ينزل بالشرافه لولده الشريف بركات، و يصير هو شيخ الحرم المكي، فإذا فعل ذلك ذهبت حقوق الأشراف القديمه، و قام لهم الشريف بركات بما ينفعهم حالا، و تسير الامور على أحسن الأوضاع، فلم يصر ذلك، كما سيأتي بيانه في ترجمه الشريف بركات إن شاء الله تعالى (١).

فتنه عبيد الساده و عساكر علي باشا:

و في هذه السنه: صارت قضيه بين عبيد الساده الأشراف و بين عساكر علي باشا، أفضت إلى قتال صار بين الفريقين، و كان الشريف يحيى المذكور و من يتبعه من العساكر و العبيد في طرف علي باشا على الآخرين، فتحصل من ذلك هرب عبيد الساده الأشراف، و تفرقهم في جبال مكه المشرفه، فأوغلت في خواطرهم على صاحبهم.

وهم علي باشا بهدم بيت من بيوت الساده الأشراف؛ لأنه رأى رمى بندق منه، و لم ينحل عن هذه الهمة إلا بعلاج عظيم، و قتل فيها بعض شيوخ العبيد، و صار على العبيد ذل لم يعهد مثله، غير أنهم تقاصوه من العساكر المذكوره في الحرب الواقع بين الشريف مبارك و من معه من الساده و بين الشريف بركات، كما سيأتي في ترجمه الشريف مبارك في دولته الثانيه، إن شاء الله تعالى.

الحوادث الجمه بين الشريف و عساكر الوزير:

و في هذه السنه: صارت حوادث جمه و مخاصمات و غارات بين الشريف و الساده الأشراف، و بين عبيدهم و عساكر الوزير المذكور، و بينهم و بين عساكر

ص: ١٤٥

مولانا الشريف، والحاصل أنها كانت سنه مريخيه ضد دولته الاولى.

و لم يزل الحال كذلك إلى حلول شهر ذى الحجة انتهاء السنه المذكوره، و فيه كان نزوله بالشرافه لولده الشريف بركات، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

و كان وزير هذا الشريف فى الدولتين، حضره عين الأعيان، و فخر الأقران، و غرّه وجه الزمان، معهد الكمالات الجليله، و معقد خناصر ذوى الهمم العليه، ذى الفكر الثاقب، و الرأى الصائب، الأديب الأريب، المحيى لآثار ابن عباد و ابن قريش، بدر الدين حسن بن الموفق عبد النبى الناشف، و بيته هذا من بيوت مكّه القديمه، المعروفه بالخير و الحسنات العميمه.

و أصله الشريف من دمشق الشام، فانتقل بعض أجداده الكرام، إلى البلد الحرام، فأولد فيها، فاستمرّ ولده بها و أقاربه باقون بالشام، و هم من أعظم رؤسائها الكرام، و حسن هذا هو بيت قصيدهم، من شايبههم و وليدهم، ولد بمكّه و نشأ بها، و تعلق من أهداب المعالى بأصبغها، فأحرز منها أمدّ الخصل، بالمنطق العذب و القول الفصل، مع الأخلاق الحسنه، و الصفات المستحسنه، و اليد البيضاء، الهاطله بالحمراء و البيضاء.

لبس خلعه الوزاره الحجازيه لمخدومه المتقدم ذكره الشريف، فى ذى الحجة افتتاح سته (١١٣١) بعد جلوس (١) مخدومه فى دست الأياله بأيام، فقام بعثها أحسن قيام، و أقبلت عليه وجوه الناس، و انصرفت عنه دواعى الهمّ و البأس، فحكم و عدل، و أصاب الحقّ و ما عدل، و فيه - حرسه الله تعالى - صفه قد قصرت عليه، و لا ريب أنّ عليها المدار، بين ذوى الكمال و الاعتبار، و هى معرفه أقدار

ص: ١٤٦

(١ - ١) فى «ن»: جلوسه.

فلعمري لقد فاز منها بالقدح المعلّى، فهو الحسن عموماً مستفاداً من المحلّى، أحسن إلى العلماء و الساده، و المشايخ الجله من أهل العباده، و قابل كلاً بما يستحقّ من الا-كرام، و الفيض المتواتر و الانعام، مع إدامه الخلق الحسن لكلّ وارد عليه، أو منتسب إليه، فساس الوزاره، أحسن سياسه، و سلك فيها مسلك المتواضعين من ذوى الرئاسه.

و استمرّ فيها كذلك إلى أن عزل مخدمومه من منصب الشرافه بالشريف مبارك ابن الشريف أحمد بن الشريف زيد فى سنه (١١٣٣) فتوجّه مع مخدمومه إلى الديار الروميّه، ثم عاد معه فى دولته الثانيه التى حرّناه آنفاً، فتوالى أمر الوزاره ثانياً من حين وصوله إلى أرض الحجاز، و استمرّ فيها سنه خمس و ثلاثين و مائه و ألف، و انفصل عنها بانفصال مخدمومه عن الشرافه، و هو نزوله لولده الشريف بركات كما تقدّم ذكره، و الحال أنّه ولى منصب الوزاره لمخدمومه فى الدولتين، فهو الجدير بأن يخاطب بذى الوزارتين.

هذا، و قد مدحه غير واحد من الشعراء، و أحسن صلتهم. فمن جمله من مدحه سيّدنا الوالد-قدّس الله روحه، و نور بمصاييح الرحمه ضريحه- بقصائد عديده بليغه، لا يحضرنى الآن منها شيء إلاّ ثلاثه أبيات، و هى:

يحيى مليك بعدل دولته يحيى الهدى و الفروض و السنن

و كلّ أوصاف ملكه حسن يجلو سناها وزيره حسن

فليشرا بالسعود مقبله عن بركات قد أسفر الزمن

و له رحمه الله مخاطباً له:

يا كهفنا و ملاذنا المعروف بالعرف الحسن

و وزير آل محمّد و معينهم في ذا الزمن

و مغيث أهل العلم و الآداب قوام السنن

و هذه قصيده طويله لم يحضرني منها إلا هذه الأبيات. و له قصيده طويله عارض بها قصيده ابن المقريء التي مطلعها مخاطبا به الشريف حسن بن عجلان:

أحسنت في تدبير ملكك يا حسن و أجدت في تحليل أخلاط الفتن

و قد تقدّمت، و لنا اعتراض على هذا المطلع قد حرّراه فيما سلف، فراجعه ثمّه، و مطلع قصيده والدنا رحمه الله تعالى:

أحسنت تدبير الوزاره يا حسن و أجدت في تحصيلك الذكر الحسن

أخلاق برّ صادق متواضع أشهى لساهره العيون من الوسن

في بسط جود بعده نسيانه و الناس إن جادوا فمع كبر و من

في دهى عقل لا يحلّ عقاله لولا الشريعه كان داهيه الزمن

لكنه محض الذكاء و فطنه أشطانها يعيا بها المهر الأرن

قد قيّدت تقوى الإله جياها إلا بمقدار الدفاع لمن شطن

ذوتيه و بصيره ديتيه ما زال من بدء الشباب على سنن

يهوى لما يرضى المهيمن قلبه مهوى القلوب إلى حمى الحرم الأغن

لا سيّما في نفع آل المصطفى ودا و خدمتهم بعزم مؤتمن

و كذاك أهل العلم و التقوى فلم يبرح كذا في عزّه لا تمتهن

حتّى أتته وزاره منقاده زفّت إليه تجرّ أذيال الحصن

لو غيره لسعى إليها جهده (1) دهرا و بعد السعى كان رأى حزن

ص: ١٤٨

وافته من أعلى الملوك و خيرهم نظرا و معرفه و أيدا فى الفطن

من قارنته عنايه الرحمن فى أفعاله حتّى غدا قطب الزمن

يحيى الذى أحيا شريعته جدّه عدلا و فعلا للفرائض و السنن

حتّى رأى الأعمى مآثر برّه أمنا و خصبا فايضا من ذى المنن

و أعانه و أمده فى ملكه جاها و مالا تلو تأييد قطن (١)

و بشائر استقباله للخير قد صدقت لإخلاص السريه و العفن

فألله يلهمه امتثال مقاله و لئن شكرتم إنّ ذلك من و من

هذا دعاء لو سكتت كفيته فالظنّ فيه الشكر علما غير ظنّ

يا أيها الحسن الخلائق كاسمه هذا ثناء الودّ أعلن أم بطن

ودّا لكم فى الله لا عن مطمع إذ كان فيكم طاعه البارى تسن

هو محض قول الحقّ شكرا للاله و الشكر للمخلوق تثبته السنن

نظم جلته رياض و حجّ فهو من أغصانها ثمر و زهر يغتصن

و يحفّه حفّ السياج دعاؤنا لكم لدى الحبر العفيف له ركن

وافى لحضرتك العليّه قائما عتّى مقام حضور مشتاق مدن

قد عاقه عجز المزاج عن السرى يطوى كرا حتّى يرى الوجه الحسن

و إذا جلى نظمى بحضرتكم شذا روض الحجاز و عطر المغنى الأغن

فليجل من أقطار يسر الهند ما يجلى بطائفنا أخارج الخمن

ثمّ اكفنى حتّى كأننى حاضر تكفى بحرمة جدنا غير الزمن

فأصدر إليه الجواب مع الرسول، بنجاح المراد و المأمول. و راسلته بأبيات

معاتبا، و هي هذه:

أبا على فدتك الناس قاطبه هل غيرتك على خلانك الدول
أم هل خلانك الغر التي عرفت بالأمس منك عراها النسخ و البدل
أين المحبّه أين الاختصاص بكم أين الوداد الذي ماشا به خلل
قد كنت قدما أرجى منك مكرمه إذا علوت فخاب الظنّ و الأمل
تركتني و اتّخذت الغير بى عوضا مع أنّى سيف ما به فلل
خلّ صدوق وفى لم يزل أبدا يحمى علاك إذا ما ذمه رجل
حظوظ كلّ الورى يا بدر وافرّه لديك دهرا و لم تعلق به علل
و حظّ خلّك لم يبرح أخوا دنف قد مسّه السقم بل قد شفّه الكسل
وعدت وعدا ولى عام أوّله و كلّ يوم ولى وعد ولى أمل
فلست يا بدر كالكمون توعده بالسقى دهرا إذا ما فاته النهل
لا زلت يا غايه الآمال مرتشفا كأس العطا و إليك الخلق ترتحل
وجود كفيك يولى الناس مكرمه إلا أنا فصدى الصدق يحتمل
فأجاب على العتب، بما زال به التعب، فجزاه الله خير الجزاء، و جعل نصيبه من سعادته الدارين أوفر الاجزاء.

ترجمه الشريف بركات بن الشريف يحيى بن بركات بن محمد

اشاره

قد تقدّم فى ترجمه والده-رحمه الله تعالى- أنّه لَمّا كان آخر سنه ألف و مائه و خمس و ثلاثين، اضطرب عليه حال الساده الأشراف، و ظهر الخلاف فى جميع الأطراف، لأسباب اقتضت ذلك:

أحدها: موت عضيدته الوزير على باشا.

و ثانيها: تحرّك الشريف مبارك بن الشريف أحمد بالطائف و أطرافه لموت

الوزير المذكور و انخرام ما كان بينهما من الأقوال.

و ثالثها: عجز الشريف يحيى عن إيفاء الساده الأشراف حقوقهم المرتبه عليه.

فلما وصلت الحجوج الشاميه و المصريه و غيرهما، سعد بهم الشريف يحيى إلى عرفات، و الأشراف برمتهم فى ناحيه عنه لم يخالطوه أصلا، و أوصلوا شكيتهم إلى أعيان الدوله العثمانيه الواصلين فى ذلك الموسم، و من جملتهم أمير الحاج الوزير المكرم عثمان باشا أبو طوق.

فاستقرّ الرأى بينه و بين حضره الشريف يحيى و أعيان الدوله على أن ينزل الشريف يحيى عن الشرافه لولده الشريف بركات صاحب الترجمه.

فبهذا (1) النزول تنهدم حقوق الساده الأشراف المنكسره عنده، و تصلح الأحوال، و يداخلهم الشريف بركات بحسب جهده، ففعل ذلك حضره الشريف يحيى، و نزل لابنه الشريف بركات فى مجلس الوزير المذكور، بحضور أعيان الدوله و قاضى الشرع الشريف، على أن يلبس خلعه مشيخه الحرم استقلالاً عن صاحب بندر جدّه؛ لأنّها منصبه المختصّ به عاده، و قانونا إنّما كان صاحب جدّه إسماعيل باشا كيخيته الوزير على باشا الذى نصبه الشريف يحيى بعد موت أستاذه فى شهر ذى القعدة من السنه المذكوره، كما تقدّم بيانه، لم يباذ الشريف فى ذلك.

و كان النزول المذكور فى اليوم الرابع و العشرين من ذى الحجه الحرام انتهاء سنه (١١٣٥) فزاد اضطراب الساده الأشراف؛ لما عرفوا أنّها حيله على إذهاب حقوقهم، و استولى على الشريف بركات المذكور أبوه و عمّه السيد عبد الله بن

ص: ١٥١

(١ - ١) فى «ن»: فهذا.

بركات، فلا يرد و يصدر إلا عن رأيهما.

و الحال أنه كان بينه و بين السيد الشريف المعظم السيد محسن بن عبد الله بن حسين منابذات و مخاصمات عند بعض الامور، فأراد الشريف بركات إزالتها، فلم يتمكن له بسببهما لإطاعته لهما، فبنى السيد محسن المذكور و معه جملة من السادة الأشراف على الفراق و الارسال إلى الشريف مبارك بن الشريف أحمد ليصل بمن معه من البادية، و عزموا على مقاتله الشريف بركات، و إخراجه من البلاد.

فلما أزمع رأيهم على ذلك، فارقه على مقتضى قواعدهم، و برزوا إلى خارج البلاد، و رحلوا يوم سادس محرّم الحرام، و تلاقوا هم و الشريف مبارك في عرفات يوم عاشر الشهر المذكور.

و في أثناء هذه المدّة لم تزل المراسله و المكاتبه بين السيد محسن المذكور، و بين السيد الشريف، و الأيد في اكتساب المجد المنيف، الشريف عبد الله بن الشريف سعيد المتقدم ذكره، و كان في أطراف اليمن، و لم يزل يتقرّب إلى أطراف مكّه المشرفه، إلى أن اجتمع بالساده الأشراف و الشريف مبارك.

ثمّ وصلوا جميعا إلى أعالي مكّه، و خرج لمقاتلتهم صاحب الترجمة و والده و إسماعيل باشا بعساكره، بحيث بلغوا ثلاثه، أمثال الشريف مبارك و من معه، و ثارت الحرب بينهم في يوم الأربعاء الثاني عشر من محرّم الحرام، و حمى الوطنين، و اشتدّ الحال، فحملت الساده الأشراف حمله واحده على عساكر إسماعيل باشا و الشريف بركات، و هزموهم هزيمة شنيعة، و قتلوا فيهم قتلا عظيما لم يسمع بمثله، حتّى امتلأت أعالي مكّه من القتلى، و انهزم صاحب الترجمة و من يلوذ به من الأشراف و الخدّام.

ثم جاء السيد محسن بن السيد عبد الله، وأمن العساكر اليمتية، ونزل بهم إلى مكة المشرفة، لا حقا بهم الشريف مبارك، إلى أن أوصلهم إليه، فوصل بهم إلى داره العامره، وتوجه الشريف بركات إلى وادي مرّ بأجله، وكذا على قانونهم المعتاد، فكان مدّه شرافته ثمانية عشر يوما، ولم أقف على مدّه أقلّ من هذه لأحد من ولاة مكة المشرفة.

وكان وزيره في هذه المدّة الزهيدة شخص من الأتراك يسمّى على صاكسلي، كان ترجمانا لحضره الشريف يحيى، فلما جلس الشريف بركات عزل بدر الدين حسن بن عبد النبي الناشف المتقدم ذكره عن الوزاره، وألبس هذا الرجل المجهول، فكان أول علامه دلّت على ارتفاعه من هذا المنصب، وآخر خاتمه حسنه لحسن المذكور (1).

وفاه الشريف حسن بن غالب الحسني:

إشاره

و في محرم المذكور في أيام شرافه صاحب الترجمه افتتاح سنه (١١٣٦) ستّ و ثلاثين و مائه و ألف: توفي السيد الشريف، والسند العالي المنيف، عمده الساده الأشراف، ونخبه آل عبد مناف، مولانا و سيدنا السيد حسن بن غالب -أخي الشريف أحمد بن غالب المتقدم ذكره- بن محمد بن مساعد بن مسعود بن الشريف الحسن بن الشريف أبي نمي، أفاض الله عليه شآبيب غفراته، وأحلّه بحبوحه جناحه.

و كان هذا الشريف ذا فكر ثاقب، و رأى صائب، و فطنه وقّاده، و معرفه نقّاده، و حلّ لمهمّيات الامور، مع خلق كالروض الممطور، ناهز عمره الشريف المعترك،

ص: ١٥٣

(١-١) راجع: خلاصه الكلام ص ١٧٧-١٧٨.

و هو حالٌ بمكان بين رفاقته غير مشترك، و كان لا يعقد أمر بين الساده الأشراف و لا يحلّ، إلاّ في مجلسه الأشرف الأجلّ، و ناهيك بهذه الرتبة السّيّئه، بين السلسله الشريفه الحسّيّئه.

و صلّى عليه بالمسجد الحرام، و الرئيس يخطب له فى المقام، و الناس واقفون على الأقدام، ثمّ دفن بالمعلاه فى مقبره بيت الرئيس بوصيه منه، ناشئه عن اعتقاد فى هذا البيت العظيم، مع مصاهره كانت بينه و بينهم من قديم.

و أعقب من المذكور ثلاثه: السيّد ناصر، و السيّد عبد الكريم، و السيّد يحيى، و فقههم الله تعالى لما يحبّ و يرضى. و هذه آخر ترجمه بركات.

شرافه الشريف مبارك بن الشريف أحمد بن زيد توليته الأخيره

إعلم و فّقك الله تعالى، و أولاك أظافا توالى، أنّه لما انفصل عن شرافته الأولى، توجّه إلى أقطار الطائف، و صحبته ذووه آل زيد بن محسن بن الحسن، و هم:

الشريف عبد الله بن الشريف سعيد، و إخوته السيّد مسعود، و السيّد حسن، و السيّد مضر، و السيّد راجح، و آخرون صغار لم يبلغوا حدّ الاشتهار.

و اجتمعوا بأعالى الطائف حيث المواضع الحصينه، بعد أن صال الشريف عبد الله المذكور على الطائف المعمور، و وجّه الشريف يحيى بن الشريف بركات و صاحبه الوزير على باشا إليه حضره السيّد محسن بن عبد الله، و جماعه من الساده الأشراف و خيلا و عساكر، ثمّ ألحقاه بحضره السيّد عبد الله بن الشريف بركات أخى الشريف.

و قد اجتمع على الشريف عبد الله جانب من باديه ثقيف، فلمّا سمع بتوجّه هؤلاء لدفعه من طريق نخله سار للقائهم، فوقع القتال بينهم بمنزل القديره، و استمرّ القتال يوما كاملا، و فى الليل ظهر القلب على الشريف عبد الله، فرجع إلى الطائف،

و فى صبيحه تلك الليله لحقه السيد محسن المذكور بالعساكر و أخرجه من الطائف، و توجه الشريف عبد الله إلى قريه ليه.

و استمر السيد محسن بالطائف إلى أن استقرت أحواله، ثم عاد إلى مكه المشرفه، فاستمر الشريف عبد الله و الشريف مبارك، بعد أن اجتماعا و نزلا موضعا حصينا يسمى جرجه، فتأهب الشريف يحيى و الوزير المكرم على باشا، و ساروا جميعا بالخيل و الرجل على طريقه نخله، و دخلا الطائف.

ثم سارا قاصدين آل زيد فى حصن جرجه المذكوره، و صبّحاهم فيه بدلاله بعض شيوخ ثقيف، و نهبوا جميع ما معهم، و قتلوا بعض أعزاء أتباعهم، و لم يبقوا لهم لا- ما قلّ و لا ما جلّ، و أخذوا بعض ركابهم و خيلهم، و فرّوا من أيديهم فرار الطبقى من يد الصياد، و كلّ هذه الفارّه، إنّما كانت على الشريف مبارك و أتباعه.

و أمّا الشريف عبد الله، فارتحل قبل حلول الفارّه بهم و ارتفع، فسلم هو و من معه، ثم عادا إلى الطائف و أقاما فيه أياما.

ثم سارا إلى مكه المشرفه، و دخلاها بنهايه العزّه و الناموس، فبقى مبارك صاحب الترجمه فى ليه، ثم قصد الطائف، فاجتمعت عليه باديه ثقيف، و قد فارقه الشريف عبد الله، و توجه تلقاء اليمن مقيما بها، و قصد الشريف مبارك و من عليه من باديه ثقيف و ناصره و بجيله و بنى سعد و غيرهم ناحيه مكه المشرفه على عقبه يعرج بفتح أوله و كسر ثالثه.

فلما تحقّق عند الشريف يحيى و صاحب إقبال مقدّهما، خرجا بعساكرهما و خيلهما، و عساكر مصر حفاظ مكه المشرفه و بندر جدّه و عساكر جدّه إلى أرض عرفه، و صار القتال بينهم فى جبل يقال له: الخطم، على يسار الصاعد إلى عرفات، و تحته فتحات على عين مكه المشرفه، فوقفّت الباديه عليه، و الشريف مبارك و ما

معه من الخيل تحت الجبل إلى جهة جبل الطارقي، و على باشا و الشريف يحيى باتا عند جبل عرفات، بناء على أن القوم مقابلون لهم.

فلَمَّا أصبح الصبح وجدوهم وراءهم، قد قطعوا بالليل أوديه كثيره، إلى أن تملكوا الجبل المذكور، فأقبلا- عليهم بالخيول و العساكر، و أحاطوا بالجبل المذكور، و حملت خيل على باشا على الشريف مبارك و ما معه من الخيل فكسرتهم، و توجه الشريف مبارك و ما معه من الخيل صباحا، لكونهم كثيرين لا طاقة له بهم.

و أما البادية الذي في جبل الخطم، فصار بينهم و بين العسكر حرب لم يسمع مثله، و فتكوا في الأتراك فتكا عظيما، خصوصا في العساكر المصريه و الجداويّه، و أصاب على باشا منهم رصاصه في فخذه، و أخذوا في ذلك إلى آخر النهار، و لا انفكّ الحال بينهم إلا- بإعطاء الأمان لهم، و أنّهم يذهبوا لا حقين بصاحبهم، فنزلوا من جبلهم آمنين، و توجهوا إلى الطائف، فوجدوا صاحبهم به، و عرضوا عليه.

و بقي بالطائف إلى أن وجّه عليه الشريف يحيى أشرافا و عساكر، و أقام عليهم السيّد الشريف محمّد ابن المرحوم الشريف عبد الكريم بن محمّد المتقدم ذكره، فأخرجه من الطائف إلى بعض أطرافه، و استقرّ بالطائف، و بقي فيه إلى شهر رمضان من السنه المذكوره، و فيه عدى عليه الشريف مبارك بالباديه المذكورين، و أخرجوا السيّد محمّد بن الشريف عبد الكريم من الطائف، و استولوا عليه.

و كان بالطائف في تلك الأيام السيّد الشريف محسن بن عبد الله بن حسين المتقدم ذكره، فتوالى أمر الرعيه و منع عنهم، ثمّ كتب إلى الشريف يحيى و إلى حضره الوزير على باشا بما صار، و منعه عن الرعيه، فأرسلا إليه يطلبانه، فوصل مكّه المشرفه و اجتمع بهما، ثمّ بالوزير المذكور بمفرده.

و تواطىء هو و إِيَّاه على أن يكتب إلى الشريف مبارك كتابا، و يوَعِّده فيه بالوعد الجميل، بشرط تفرقه البادية، و أنه يقيم بالطائف كافًا يده عن الأحكام، و يصدر إليه مبلغا يلزم به يده، فإذا فعلتم ذلك، و ألزمتم حضره الشريف يحيى بتسليم علوفه شهر نقدا، ثم تستمر لك هذا الحال.

فقرّ الحال على ما رتبته هذا العزيز، فسلم الشهر المذكور للساده الأشراف نقدا، و أخذ الكتاب و المبلغ و رجع إلى الطائف، و وفد على الشريف مبارك، و أسلمه الكتاب و المبلغ، و سكّته عن الحركة، و فرّق البادية و من معه من كبار الساده الأشراف، و صلّتهم علائفهم، فسكنت الفتنة، و استقرّ الشريف مبارك بالطائف، و رجع السيد محسن إلى مكّه، و معه بعض خدام الشريف مبارك، و جواب الشريف مبارك.

فلما وصل إلى مكّه وجد حضره الوزير قد نزل إلى جدّه متوعّكا، فلحقه إلى بندر جدّه، فتلقاه بالاعزاز و الاكرام، و أمر بنصب الخيام العظيمه له، و أمر أكابر خدامه بملازمته و خدمته، بعد أن واجهه و أعطاه جواب الشريف مبارك بامثال الأمر، و واجهه خدام الشريف مبارك، و أقام عنده يومين، ثم توجه إلى مكّه المشرفه بالخدام المذكورين.

و استمرّ بمكّه و الحال بينه و بين الشريف يحيى غير حسن، لأمور اقتضت ذلك، و لم يزالا كذلك و حضره الشريف مبارك مقيم بالطائف، إلى أن قضى على الوزير المذكور فى أواخر ذى القعدة، فاضطربت الأحوال، و هاجت النيران على الشريف يحيى من جميع الجهات.

أمّا الشريف مبارك، فأظهر شعار الحرب بالطائف من حين بلغه موت الوزير المذكور، و الأشراف ثارت لطلب حقوقهم، و لم يزل الحال يتزائد إلى أن وردت

الحجوج، فشكى الساده الأشراف على أمير الحاج الشامي عثمان باشا المكنى بأبى طوق، فلم يجد، و حجّ الشريف يحيى بالحجوج، ثم نزل من منى، واستقرّ الأمر على نزوله عن الشرافه لولده الشريف بركات، فكان ذلك فى اليوم الرابع و العشرين من ذى الحجة الحرام، كما تقدّم ذلك.

و الشريف مبارك على حاله مقيم بالطائف يجمع البادية، و الساه الأشراف قد خرجوا من مكّه، و أرسلوا إلى الشريف مبارك يحثونه على الوصول، فنزل من الطائف بمن اجتمع عليه من الأقوام، و لا- قوه بأرض عرفه، و كان إذ ذاك الشريف عبد الله بن الشريف سعيد فى نواحي اليمن.

ثم لم يزل يقرب بمكاتبه من بعض أعظم الساده الأشراف، حتّى نزل عليهم فى منزلهم الذين هم فيه، فنفر بعض الساده الأشراف عنه لما بينه و بينهم من دما، فلاطفهم ذلك العظيم المكاتب له، و بيّن لهم أنّ الأمر محتاج إليه الآن لما هو فيه من خيل و رماه، ثم بعد ذلك ندبّر فى إخراجهم من مكّه المشرفه، فاستمرّ معهم الشريف عبد الله المذكور، و اجتمعوا جميعا بأعلى مكّه.

فلما بلغ الشريف بركات إقبالهم لقتاله خرج إليهم بعساكره، و إسماعيل باشا بعساكره أيضا، و والد الشريف بركات، و جمع من الساده الأشراف، و تلاقوا بالمنحنى بأعلى مكّه المشرفه فى يوم الأربعاء ثانى عشر محرّم الحرام إفتتاح سنه (١١٣٦) ألف و مائه و ستّ و ثلاثون.

و استمرّ القتال إلى آخر ساعه من النهار المذكور، فحمل جماعه الشريف مبارك حملة واحده على عساكر إسماعيل باشا، و كسروهم و هزموهم، و قتلوا فيهم قتلا شنيعا لم يقع مثله، و العساكر اليمية متحصنون على الجبال، إلى أن جاءهم السيد محسن بن عبد الله بن حسين، و نزلهم من مواضعهم فى أمانه، و ألحقهم

الشريف مبارك، فنزلوا تحت فرسه إلى أن دخل داره، وخرج الشريف بركات ووالده إلى وادي مرّ بأجله على قوانينهم المعتاده، ونادى المنادى بمكّه المشرفه بأمر الشريف مبارك بالأمن والأمان.

فاستقرت البلاد، وأمنت العباد، وراج حال الساده الأشراف لديه، ودخل صحبته الشريف عبد الله بن الشريف سعيد، واستقرّ بداره، فاستمرّ الحال على أحسن ما يكون، ثمّ بعد شهرين أو ثلاثة اضطرب الحال بين الشريف مبارك وبين السيّد محسن بن عبد الله المذكور، ولذلك سببان:

أحدهما: تعهده بإخراج الشريف عبد الله من مكّه بعد الدخول، فلم يفعل، بل حصلت بينهما مزيد المصادقه.

و ثانيهما: أنه أراد عزل وزيره عبد القادر بن سليم، ويهيّأ له وزيراً آخر، فلم يفعل، وعضد لوزيره جماعه من كبار الساده الأشراف، فتوقّف عنه السيّد محسن المذكور، وشرع يتألف خواطر الساده الأشراف الشريف عبد الله المذكور، مع انقطاع الطرقات، ووقوع غلاء آخر بالناس، بسبب انقطاع السبل، وكثره السراق بالليل بمكّه المشرفه، وعدم التفاته لشيء من ذلك بالكلية.

و في أثناء ذلك نزل طريق جدّه، ثمّ استقرّ على بئر الحديبيّه، ولم يأمن الطريق، بل أخذ قربها منه ولم يفزع، و في أثناء هذه المدّه قد نضج الدمث، فبلغه شيء من ذلك، فجاء إلى مكّه المشرفه ما يلا على السيّد محسن المذكور و على الشريف عبد الله، فلم يجده شيئاً بل زاد الحال.

و كان الشريف عبد الله حال دخوله إلى مكّه مع صاحب الترجمة، بعث عرضاً إلى الدوله العليّه العثمانيه بمساعدته آغاوات عساكر مصر المقيمين بمكّه، بأنّ الشريف مبارك قتل جميع الأتراك، وأرهب عساكرهم، ولا ذبّ عنّا، وما سلّمنا

من القتل إلا الشريف عبد الله بن الشريف سعيد، فوصل هذا العرض إلى الدوله، و كان جوابه عزل الشريف مبارك، و توجيه إماره مكّه المشرفه إلى الشريف عبد الله.

فلما كان ثانى عشر جمادى الاولى، وصلت البشائر من المدينه المنوره بتوجيه الأمر إليه، و صادفت ما هم فيه من تذيب مع فروغ مده صاحب الترجمة.

و لما كان يوم السبت خامس عشر جمادى الثانيه من سنه (١١٣٦) ألف و مائه و ست و ثلاثين نزل الشريف عبد الله إلى محكمه الشرع الشريف عند حضره قاضى مكّه المشرفه السيد زين العابدين أفندى، و حضر أيضا السيد محسن بن عبد الله بن حسين، و حضر أيضا جميع آغاوات العساكر المصرية، و أشرفوا على الكتب التى جاءت من المدينه المنوره.

فتوقف حضره القاضى فى عزل الشريف صاحب الترجمة؛ إذ ليس له مسوغ شرعى يستند إليه، فتغلب عليه الأتراك مع إلزام السيد محسن على القاضى بأن البلاد قد خربت، و الطرقات مقطعه، و الناس قد هلكوا، و أنتم و كلاء حضره ولى النعم، مع تحقق هذه توجيه الأمر إليه منه بهذه الأوراق من مثل شيخ الإسلام بالمدينه المنوره، فهذه أشياء توجب العزل.

فعزم حضره القاضى على ذلك، لكن أظهر خشيه وقوع القتال بمكّه المشرفه، فتعهد له السيد محسن المذكور بعدم ذلك، و أنه لم يقع ما يكدر على المسلمين، غير أنكم أحضروا الملبوس، و لا تفيضوه على الشريف عبد الله إلا إذا دخلت بيت الشريف مبارك، ففعلوا حسب ما أمر، و ألبسوا الشريف عبد الله، و أخرجوه من

و السيد محسن قد تمكّن من بيت الشريف مبارك، و حذّر عساكره اليمتية عن الحركة، و أخبرهم أنّ الشريف عبد الله قد لبس خلعه الشرافه عند قاضى الشرع، و هذا هو قد أقبل، ثمّ صعد للشريف مبارك، فوجده متحرّكا للقتال، فأرعى كفله عن ذلك، و أخبره بأنّ الأمر قد تمّ، و أنّ الحركة ليست بنافعه.

فلما تحقّق ذلك دخل عليه على عادتهم، و خرج من بيته و توجه إلى جهه برکه ماجن، و استتمّ يومه هناك، ثمّ رحل إلى الحسينيه و أقام بها مدّه، ثمّ توجه إلى اليمن، و توّعك مزاجه هناك، و لم يقدر الله تعالى له عودا إلى شرافه مكّه المشرفه، إلى أن توفّي باليمن فى سنه (١١٤٠) ألف و مائه و أربعين، رحمه الله تعالى، و حشره مع أجداده الأطهار، فكانت مدّه دولته خمسّه أشهر و أيّاما.

و أعقب من الذكور: السيد فائز، و السيد عبد الله، و السيد حسين، و سعيد، و جسّاس، و ماضى.

و كان وزيره فى دولته هذه، المقام الأجلّ الأكرم، و المرام المبجلّ المعظم، عبد القادر بن عمر بن سليم، توالى أمر وزارته الشريفه ثانى يوم دخوله إلى مكّه المشرفه، ثمّ تقلّبت عليه الأحوال من جهه (٢) مخدومه المذكور.

ثمّ عاد إلى منصبه السامى، و لم يزل وزيرا إلى أن عزل مخدومه بالشريف عبد الله، ثمّ خدم حضرته الشريفه، إلاّ أنّه تعب معه مدّه، ثمّ حلّ عليه نظره العالى، ثمّ جهّزه بهديّه ستيه إلى الأقطار الهنديه، و استمرّ بها سنه، ثمّ أقبل بأحسن حال،

ص: ١٤١

١- ١) فى «ن»: وجهه.

٢- ٢) فى «ن»: من قبل.

و أسنى مقال، غير أنه توَعَكَ في المركب، و لَمَّا وصل المخا توفّي بها، و ضبطت أمواله و اتى بها إلى حضره الشريف عبد الله، و له سلسله ساميه، و فتيه مكارمهم عاميه، و مساعيهم عاليه ناميه (١).

و في دوله حضره هذا الشريف قتل الشيخ الجليل، الموقّق الصالح النبيل، الشيخ محمّد بن سلطان الوليدى (٢)، قتله بعض السفله بسبب ضعيف، لا يحتمل إراقه دمه الشريف، مات و لم يعقب، و انقرض بموته بيته العالى المنيف.

هذا، و قد علمت ممّا سبق تحريره أنّ صاحب الترجمة مبارك بن الشريف أحمد بن الشريف زيد-قدّس الله روحه، و أنار بمصاييح الرحمة ضريحه- قد عزل عنها بالشريف عبد الله بن الشريف سعيد المتقدّم ذكره، مترجما تالى ترجمه والده، حيث كان وارث طريف مجده و تالده.

توليه الشريف عبد الله بن الشريف سعيد بن سعد بن زيد الأخير

و كان جلوسه خامس عشر شهر جمادى الثانيه من سنه ألف و مائه و ستّ و ثلاثين، و كانت بأمر سلطاني وصل بعد جلوسه بمده زهيدة، و استمرّ بها محاسنا لجميع الساده الأشراف، ضابطا لمكّه المشرفه و ما حولها من الأطراف، ضبطا يضرب به المثل، و أمره نافذ ممثّل، و الكلمه منه و من الساده كلمه اتّفاق، و العدل شايع في جميع تلك الآفاق.

إلى أن رمى الله بينهم بالعداوه و البغضاء، و استبدلت تلك المؤانسه بحراره الرمضاء، و مدّت حبال المفاسد عليه، و توجّهت العزائم بالعزل إليه، و عقدت عقد

ص: ١٦٢

١-١) راجع: خلاصه الكلام ص ١٧٩-١٨٠.

٢-٢) في «ن»: الشيخ محمّد الوليدى.

العهد بين الأشراف و الأتراك، و رجمته الألسنه بنزال و تراك.

و سبب ذلك العهد و الائتلاف: أنه انكسر عنده مبلغ عظيم من مقزرات الساده الأشراف، و للأتراك أيضا دين عظيم، و مبلغ جسيم، و الحال أنه لم يكن عنده ما يفى بذلك، و قد سدّت عليه منافذ التحصيل، و عميت المسالك.

و قد ورد بندر جدّه قبل هذه الحركة بأيام، أربعه من المراكب الهنديّه التي ترد في كلّ عام، فاستأوى حاصلها، و أوهن جسمها بعد أن أوهى بالأخذ مفاصلها، و ادعى بأنّ وزيره قد بدّد أيضا ذلك النزر الزهيد، في جهات ضروريّه كما ينطق به دفتره السديد، و لم تزل الدعاوى بينهم لدى قاضى الشرع الشريف ترفع، و النقول عنهم فى الأنديه تروى و تسمع، و عظم القيل و القال، فى أواخر شهر شوّال.

ثمّ آل الأمر بعد صرف تلك المدّه، إلى وقوع القتال بينهم فى شهر ذى القعدة، و كان ابتداء القتال صبح يوم الخامس و العشرين من شهر ذى القعدة من السنه المذكوره، و استمرّ إلى مضى خمس ساعات من النهار، بمكّه المشرفه حصارا و أئى حصارا، و هذا القتال اليسير، لم يعهد مثله و لم يرو له نظير؛ لأنّه لمّا وقف الأمر، و اشتدّ حرّ ذلك الجمر، و أعيا الوسائط، و تهدّم لشده كربه كلّ حائط.

و فى ضمن هذه المدد، قد استمكل كلّ من الفريقين العدد و العدد، و ربح الساده الأشراف هابّه عليه، غير أنّه سلطان مكّه المشار إليه، و ناهيك بقوّته و طولته، و كثره عساكره و خيله، شرع الرمى بينهما بالرصاص صبيحه ذلك اليوم.

فتحصّن الشريف فى بيته دار السعاده، بعد أن فرّق عساكره و أجناده، فيما حوله من البيوت و المناثر، و ما ورائه من بيوت بعض الساده الأكابر، و كرّر عليهم الرمى بالمدافع، و إذا نزل أمر اللّهم ليس له من دافع، و الساده الأشراف متحصّون بدار الرحمه، المعروفه بإنشاء الشريف يحيى بن الشريف بركات، و بعض محلات

آخر فى تلك الجهات.

و أما طراد الخيل و عراك الفوارس،فهو عاطل بأسباب الرمى من المتارس.

و أما الأتراك المذكورون،فهم فى بيوتهم مهجورون،حافظون أيديهم عن الفريقين،كأفون كفّ السوء عن الفريقين،إلا أنّهم فى آخر الوقت انتجت فيهم لواقح الفساد،فجنحوا إلى معاونه ملك البلاد،و ذلك بعد أن عدّ لهم الرشاء،مدّواله الرشاء،و رفضوا تلك العهود السابقه،و العقود الكلاميّة المتناسقه،و بهم حصل له النصر،فأخرجهم منكسرين من ذلك القصر،بعد قتل من الفريقين لبعض أشخاص لم يحصل بينهم انتقاص مع ذهاب عدد من أصائل الخيل العراب.

و كان أوّل من أنشأ الحرب و ابتدأ بها،و التحق بالبيّنه الصادقه إلى صميم نسبها، و أوقد نارها،و شعشعها و أثارها،كماه الساده الأشراف،و الحماه القاده من آل عبد مناف،فعدت برزئها عليهم،و جرت كلاكها إليهم،فتوجّجها جميعا إلى طوى، و عزموا على تجرّع كؤوس الفرقة و النوى،فأقاموا به ثلاثه أيام لقضاء مآربهم، و نجاح أغراضهم و مطالبهم.

و وصل إليهم فى أثناء ذلك حضره الشريف لأخذ خواطرهم،سيرا على سنن آبائهم و مناهجهم،فلم يجد ذلك إلا مسيرهم إلى وادى مّر الظهران،لملاقاه الوزير المعظم عثمان باشا المعروف بأبى طوق أمير الحاجّ الشامى،و عرض حقائق أحوالهم،على نظره السامى؛لأنّه وصل أميرا سنتين،هذه السنه و التى قبلها،ولى فيها الشريف بركات بن يحيى،كما مّر،فلم ينتج من ذلك الاجتهاد إلا العود إلى البلاد،و الاقامه بها و الانتظار،لحكم القاهر الجبار (١).

ص: ١٦٤

(١-١) راجع: خلاصه الكلام ص ١٨١.

و أما حضره الوزير المذكور، فحين اتصل بمكّه، واجتمع بسلطانها، و افهم بما سيصل إلى خزائنه العاليه من الدراهم و بيانها، حلّ عنده محلّ الوسن من العين، و الحبيب الواصل (١) بعد الهجر و البين، و قضى به كلّ مراد له، و بلغ من جميع مطالبه أمله.

فمن جمله ذلك: أنّه ذلّل به فحول الساده الأشراف، حتّى تفرّقوا في سائر الأطراف، و كتب دفترًا ينطوى على العشره من مشاهراتهم المعروفه، و مقرّراتهم المألوفه، و أمره بوضع الختم عليه، ليرجع في الصرف إليه.

و من جمله ذلك أيضا: أنّه اعتقل فاتح بيت الله الحرام، و طوّقه الأدهم، و أشبه عليه الذنب المقتضى لذلك و أوهم، و ألزمه بمبلغ خطير سلّمه و دفعه إليه، و حقن دمه، ثمّ و هو في أثناء الاعتقال و مساوره همّه، عزله عن المنصب، و نقله إلى عمّه، و أمره بعد الفكاك بالسكوت، و المداومه على ملازمه البيوت، فامتثل الأمر ملازما لداره، إلى أن طلع بدره، من تحت سراره، فعاد إلى منصبه في آخر السنه كما سيأتي.

و من جمله ذلك أيضا: أنّه أغار على المقام الأكرم، و الهمام الأعظم، السارى ذكره في جميع الآفاق، و رئيس مكّه في أبناء جنسه على الاطلاق، الشيخ سالم بن الفاضل العلامه شيخ الحديث الشريف في عصره، و خليفه مسلم في مصره، الشيخ عبد الله البصرى، و اغتصبه مبلغ (٢) عظيم، بمسوّغ أعجف سقيم، و أفهمه بأنّ الأمر به حضره الوزير، و منعه من الوصول إليه، و بثّ الشكوى عليه.

ص: ١٦٥

١ - ١) في «ن»: المواصل.

٢ - ٢) في «د»: مبلغا.

و لم يزل يكرّر عليه الرسل فى إنجاز المبلغ و طلبه، حتّى باع عزيز ديشه (١) و كتبه، و سلّم جميع ذلك المطلب، حيث لا ملجأ و لا مهرب.

و من جملة ذلك أيضا: أنّه عدى على رجل من علماء الأروام، و وعاظ المسجد الحرام، و ممّن له بمكّه المشرفه حلّ و إبرام، عند القضاء الوزراء العظام، و محطّه (٢) و مكانه، شيّد بهما من صيته أركانها، فلاطفه إلى أن اقتنصه بجائله، و سنّمه صهوه عادى من أصائله.

ثمّ وجهه و نفذه إلى ناحيه بندر القنفذه، ليعتقل هناك، إلى أن يأذن الله بالفكاك، فعل فيه ذلك خشيه من اجتهاده (٣)، فى أثناء دخوله على هؤلاء الأعظم و ترداده؛ لأنّه كان ذا عزم ماضى، تكلّ دونه المواضى، و همّه تراحم الأفلاك، و تجذب بقوّتها السماك، و إقدام إذا عرض له غرض، كالسهم المنساب إلى الغرض، و لسان أفحم به المصاقع، و أعياء به البلغاء البواقع، تاره بلغه أبناء جنسه الصريحه، و تاره بالعربيّه الفصيحه، يسير مع مقتضيات الدهر حيثما سارت، و يدور مع الزجاجه كيفما دارت، و يمتزج بالقلوب و الأرواح، امتزاج الصهباء بالماء القراح، يدعى بصالح أفندى، و ينعت بالواعظ، و صرّح مولانا الشريف، بأنّه ورد بنفيه أمر من الدوله منيف، و هو كان سابقا من جملة أعضاده، و من أعظم أنصاره و أجناده، و هكذا كانت صفه الرجلين الأوّلين معه، قبل أن يشرع قلاع الملك و شرعه، فرجع عليهم فى جميع أفعاله، و أذاقهم مراره نكاله.

ص: ١٦٦

١- ١) الدبش: أثاث البيت.

٢- ٢) فى «ن»: و محلّه.

٣- ٣) فى «ن»: افساده.

و من جمله ذلك: أنه أبرز دفترا ينطوى على أسماء التجار، سكان مكة المشرفة و بندر جدّه و الواردين من جميع الأقطار، بتوزيع مال خطير، و الموالى لجمعه حضره الوزير، فسلم كل منهم ظلامته، كالمؤدى وديعته و أمانته، و رفع يده إلى خالقه، لينظر بعين اللطف إلى خلائقه، و لم يزل كذلك إلى أن توجه حضره الوزير من تلك الممالك، إلى حيث المصائب و المهالك، و هكذا فعلت الدولة العثمانية فيه حين وصل، و حصل عليه ما حصل، و سيجزى فاعل ما قد فعل.

و من جمله أفعال هذا الوزير، تشييدا لمباني الرأى و التدبير، و إجابته لالتماس حضره مولانا الشريف، حيث كان موافقا لرأيه الثاقب المنيف: أن عزل متولى بندر جدّه إسماعيل باشا، و أحلّ به من أنواع البلاء ما شاء، و سلبه أثر نعمه، و حاسبه على إعداد نقمه، و جرّعه كؤوس عذابه و نقمه، و ولى كيخيته عثمان آغا أياله بندر جدّه، و كمله بأنواع المراحل المستعده، ليكون عوناً للمشار إليه، على كلّ ثائر عليه.

و استمرّ سنة (١١٣٧) سبع و ثلاثين، و هو تحت أمره، و فى قيده و حجره، و منع أعيان البلده عن زيارته، و نهاهم خفيه من غير درايته، خوفاً من إخلافه و إفساده، أو إيصال بعض الرسائل إليه من أضداده، و لم يزل معه على ما أراد، طبق المقصد و المراد، فدفع به عن نفسه امورا يطول شرحها، فالأصوب تركها و طرحها.

و هذه السنه كانت من أقسى الأعوام، على سكان بلد الله الحرام، لما حلّ بهم من مولانا الشريف، من الخسف و الذلّ و الأخذ العنيف، فتفرّقوا شذر بذر، و هو لا يبقى و لا يذر، إلى أن أراد الله تفريج هذه الشده، بوصول الوزير المعظم، و الدستور المكرّم، أبى بكر باشا فى أواخر ذى القعدة إلى بندر جدّه.

ثمّ وصل إلى مكة المشرفة، فى حلال وزاره المقوفه، و أقام بمكة و استقرّ،

و فطم مولانا الشريف عن ارتضاع ذلك الدرّ، و نكبه جاده المهتدين، و الخلفاء الراشدين، فدخل شهر ذى الحجه الحرام، و الرعايا فى غايه العزّه و الاحترام.

خروج الشريف محسن بن عبد الله إلى جهه الشرق:

و فى أواخر شهر رمضان من السنه المذكوره: خرج السيّد الشريف، و السند العالى المنيف، فريد عقد الساده الأشراف، و رئيسهم فى الحقيقه بلا- خلاف، السيّد محسن بن عبد الله بن حسين المتقدم ذكره الأشراف الأصعد، فى ترجمه الشريف مبارك بن أحمد، و معه جانب من بنى (١) عمّه، و فصيلته التى تؤويه، إلى جهه الشرق و نواحيه، مقاوما لمولانا الشريف على عادتهم، و قانون سيادتهم.

و سبب ذلك: أنّه حصل بينهما تنافر و اجتناب، بمقتضى الحوادث و الأسباب، بعد الخصوصيه القويّه و الاتّحاد، اللذين تمكّن بهما من سلطنه البلاد؛ لأنّه لم يتسنّم ذروه تخت الملك و سريره إلاّ باجتهاد السيّد محسن و تدبيره، كما تقدّم بيانه المسدّد، فى كيفيه عزل الشريف مبارك بن أحمد، فأثار عليه الغارات، و أسمع ما شقّ عليه من الكلمات، فى مجالس عديده، بخطابات مؤييده سديده؛ لأنّه هو المخاصم له و المنادى، فى جميع ما سبق ذكره من الدعاوى، إلى أن رماه بذلك القتال، و كان هو المباشر بنفسه فى جميع تلك الأحوال، غير أنّه لما أراد الله بقاءه، سبّب له أسباب الظفر و أبقاه، فخرج السيّد محسن ثمّ عاد، و الأحوال بينهما فى غايه الفساد (٢).

و فى أثناء هذه السنه أيضا حرّك عليه حرکه أخرى، و قدح فيها زناد فكره

ص: ١٦٨

١- ١) فى «ن»: أبناء.

٢- ٢) راجع: خلاصه الكلام ص ١٨٢.

و أوري، و كان القصد عزله بالسيد الأمجد، الشريف مبارك بن أحمد، فانتبه مسرعا في تلك المدّة، و عاد من سفرته التي قصد فيها بندر جدّه، و اجتمعوا (١) له قريبا من جدّه، و ظفروا به أيضا لولا اختلاف كلمتهم، و توانيهم في معدّاتهم و صولتهم، مع أنّهم ما انجلوا (٢) في تلك الليلة عن القتال، إلّا حتّى كتب لهم تمسكا بمبلغ من المال.

فلمّا أسفر صباحها، و أضاء بالفرج مصباحها، لحقه عثمان آغا متولّي بندر جدّه، المعمور بجيوشه المنظّمه، و اجتمعت لديه عساكره، المخلفون بمكّه المعظمه، عدل عن تلك المماثله، و أبرم جبال المحاربه و المقاتله، و ذبّ (٣) عن نفسه و خلافته، ذبّ الأسد عن غابته، و سار إلى وادي مرّ، و مكث به و استمر، و أبرد حرّ ذلك الجمر، ثمّ رجع إلى بلاده، بأنصاره و أجناده.

و كانت هذه الحركه في شهر رجب من السنه المذكوره، و في هذه القضيه جمع عليه فيها ثلاثه من ملوك مكّه المشرفه، و الرافلين في حلل الشرافه المفوّهه، و هم:

الشريف مبارك بن أحمد، و الشريف يحيى بن بركات، و ابنه الشريف بركات بن يحيى.

أمّا الشريف مبارك، فمن حين خلعه من المملكه السنيه، أقام في أطراف الحسيّيه.

و أمّا الشريف يحيى و ابنه الشريف بركات، فكانا قد قصدا دوله آل عثمان

ص: ١٦٩

١ - ١) في «ن»: و اجتمع.

٢ - ٢) في «ن»: انحلّوا.

٣ - ٣) في «ن»: في الموضوعين: و دبّ.

و تلك الجهات، فوصلا الشام، و أقاما بها أشهرا و أيام، و قبل أن يتصلا بأعتابهم، فتكافىء بعض خدام أبوابهم، فخشيا من نكالهم، و سوء اغتيالهم، و رجعا القهقري قاصدين أخطاف أم القرى، فأقبلا عليها صائلين، و كتبوا إلى السادة الأشراف مماثلين، على تسليم شهرين كاملين.

فحصل بقدمهما اضطراب تداركه بعض السادة، و فشا حده بآرائه المستجاده، على أن يقيما بواديهما، و يستمطرا روايح أياديه و غواديهما، على شرط مبيّن، و مبلغ معيّن، و كتب بينهم العمال، على هذا المنوال، فطنبا بمرّ القباب، و رضيا من الغنيمه بالإياب.

و كان وصولهما في أوائل السنه المذكوره، و قد مرّ ذلك في ترجمتهما، و بعد وصولهما بأربعة أشهر أو أكثر بقليل، وقعت حركه طريق جدّه على ما سلف من التفصيل.

ثم صارت الحركه الثالثه، التى هى أكبر قضيه و أعظم حادثه، و مبدؤها خروج السيّد محسن بن عبد الله فى أواخر شهر رمضان، كما تقدّم ذلك فى أوّل الفصل، و هو أنه بعد خروجه إلى نواحي الشرق و أقطاره، و استنشاقه لروايح شيخ نجد و عراره، استقبلته البوادي، و أولته الأيادي، و تعطرّ بذكره كلّ محفل لهم و نادى، و هم ما بين راهب لاجى، و راغب راجى، و منافق راجى، فتوفّرت منهم رواحله، و كملت مراجله، و صار يتنقل فى مناهله، تنقل البدر فى منازلها.

و فى أثناء سيره و مقامه، فى تلك القفار و المهامه، أرسل صاحبه عليه سريّه، قد أحكم تدبيرها بآرائه الوريّه، فصدفته فى بعض تلك الأدويه، حيث لا- وادّ ولاديه، و وقعت بينهم مناوشه قتال، و الحرب كما علمت سجال، ثم افترق الحال بينهم على المسالمة، بعد مصادمه و مكالمه.

فمكث بتلك النواحي ما شاء إلى أن بلغه قدوم أبي بكر باشا فأوهم في ممشاه، و آتاهم للقياه، و كلف العيس السرى، حتى أضرب بها جذب البرى، و لا ظهر خبره و استبان، إلا بعد وصوله إلى عسفان، فما وجد لأبى بكر إلا سماع خبره و ذكره؛ لأنه كان قد أركب إليه من الشرق أحد أولاده، بكتب متضمنه لاستئذانه و استنجاهه، فوافاه بها على نبط، ثم عاد بالجواب طبق المسؤول، من الوعد بالنجده و الإذن بالوصول، و إنما عاقته عوائق الأسفار، عن السرعة فى عوده إلى تلك الأقطار.

فحين ألم به شبلة (1)، سارت رواجه و إبله، و لا أناخ بموضع و عدّه، إلا بعد مروره به و بعده، فاضطربت لديه الأحوال، و اختلفت عليه الأقوال، و لم يدر عنه فى هذه المدّه، هو قصد مكّه المشرفه أم بندر جدّه، فقدح زناد فكره و أورى، و صار يقدم رجلا و يؤخر أخرى، ثم عزم و صمم، على العود ثانيا، و ملاقاه الوزير المعظم، ذى الفكر الثاقب السامى، إسماعيل باشا ابن المعظم أمير الحاجّ الشامى، ليشرح لديه حقائق أحواله، و يستنجده على بلوغ آماله، فلاقاه فى بعض تلك المنازل، و السعد حافّ بسامته و نازل، و أمارات النجده لا يحه من أسره جبينه، و غيوث الرحمه هاطله من سحائب يمينه، و ظفر منه مولانا السيّد محسن بن عبد الله بن حسين بما يسرّ به خاطر، و تقرّ به العين.

و لم يزالا - سائرين، و على جواديهما متباريين، يتحدّثان و يتخاطبان، إلى أن وصلا إلى وادى مرّ الظهران، على أن يلجأ متلبسين بالاحرام، إلى بلد الله الحرام، و يؤدّيا نسكهما فى تلك المشاعر الشريفه، و المآثر الساميه المنيفه، ثم يرتقبا ماذا

ص: ١٧١

(١ - ١) فى «ن»: شمله.

يصير، و بينا عليه الرأى و التدبير.

و أما حضره مولانا الشريف، ذى الظلّ الوريث، فحين بلغه وصول السيّد محسن إلى الوادى، ثبت لديه، إقبال حضره الوزير عليه، و أنّه أمله و مّناه، بأنّه سيبلغه مناه، فقام وقعد، و ارتفع وصعد، و أبرق و أرعد، و تخلف و أوعد، و أرسل إلى أبى بكر باشا، و هو مقيم بمكّه المشرفه، و التمس منه أن يكتب إلى إسماعيل باشا، و يعرّفه بأنّه إن أدخله معه إلى البلاد عظم الفساد، و ذهبت العباد.

و الشريف كان قد جمع جموعا من الباديه و العربان، و شحن بهم كلّ موضع و مكان، فأرسل إليه ليله ستّ من ذى الحجّه، و منعه من أن يستصحبه معه، خشيه من حدوث الفتنة و الاضطراب، و فساد هؤلاء الأعراب، و أن يبقى السيّد محسن فى الوادى، إلى أن يقضى نسكه كلّ حافر و بادى، ثمّ نرى فى حاله، و سيبلغ إن شاء الله جميع آماله، بهمتكم العليّه، و أرائكم الجليّه.

فلما وصل مرقومه إلى إسماعيل باشا، أوسعه سبّا و إيحاشا، حيث خاف و ارتعب، و تزلزل و ارتهب، ثمّ ألقى الأمر إلى ضيفه، بعد اعتقال رمحه و سيفه، و قال: لك الاختيار فى الأمرين، غير أنّ التأخير و البقاء أهون الشرين.

فلما لاح للسيّد محسن منه ما لاح، و رأى منه نعره خالطها انطراح، قبل منه ما أصدره إليه من الأقوال، و العهود الثقّال، و أصبحه أحد أشباله، ليعود إليه بفائده (1) عهوده و أقواله، و تأخّر هو بالوادى و تلك الجهات.

ثمّ نزل على الشريف يحيى بن بركات، و استمرّ ثمّيه ينتظر نتائج تلك الهميّه، و يتربّب فى تلك المدّه، حصول الفرج بعد الشدّه، فلما ورد صاحبه جال، و أوسع

ص: ١٧٢

(١ - ١) فى «ن»: عليه لفائده.

فى هذه المادّة المجال، و أجهد و كلّف، و تقدّم فى اجتهاده و ما تخلف.

لكن لما كان زمام التفويض و التدبير، و التقديم و التأخير، قد وضعتة الدوله العثمانيه فى يد أبى بكرهم، لتنفيذ نهيهم و أمرهم، و إقامه قدسهم فى الأقطار الحجازيه، و إحياء ذكرهم، صار الأمر إليه، و المعول فى ذلك عليه، و ليس لإسماعيل باشا غير حمايه الحجاج، فى السبل و الفجاج، و ذاك ذو فكر واسع، و حزم شاسع، و إحجام فى الامور، و فرار عن كلّ محذور، فتحسّم (1) لديه من هذه الخصال، و وقوع الحرب و القتال، و نزول المصائب المدلهمه على جميع هذه الامم، إن أهمّ بدخول السيّد محسن، حتّى صار عنده محالا غير ممكن.

فعرّف إسماعيل صاحبه بما رأى، و رجع عن أقواله و نأى، بعذر أوضح لذوى الأبصار، من الشمس فى رابعه النهار، مع وعد له بنجاح آماله، فى رجوعه ثانيا و استقباله.

فلما اتّضح لسيّد محسن، أنّ بارق صاحبه خلّب، و أنّ الدهر بالناس قلب، زمزم للرحيل، و أبرم جبلا آخر سحيل، و عسعس فى أمره و عمّاه، و سرى بعد عسعس ليل بظلماه، فما أسفر من ليله العاطس، إلّا و قد نكب نطقا و بسابس، و لا حلّ عقده انتطاقه، و ما ط الكور عن نياقه، إلّا بعد أن ألمّ بربوه ستيه، من وادى الحسينيه، و هى منزل السيّد الأمجد الأنجد، الشريف مبارك بن أحمد، و دخل عليه على العاده، المألوفه بين هؤلاء الساده، على أن يؤجّله شريف مكّه أيّاما معلومه، ثمّ يرحل سالكا أثره الأوّل و رسومه.

فكتب السيّد الشريف مبارك للشريف و بعث إليه، بخبره بنزول السيّد محسن

ص: ١٧٣

(١ - ١) فى «١٥»: فتحسّم.

عليه، و يعرّفه بالدخول (١) المعتاد، الموروث عن الآباء و الأجداد، و يستأجله له مدّة معيّنه، حسبما حدّده و بيّنه، فما تمّ إمضاء الدخل و التأجيل، إلّا بعد كلام طويل، لما مرّ على حضرته من توالى إضراره، فى أثناء إقامته و إسفاره، لأنّه جرّعه كؤوس الغوائر مرارا، و أذاقه حلاوه ملكه مرارا، و ما توقّف قليلا عن إمضاء الدخل و التأجيل، إلّا لجزمه بأنّهما يعقبان عليه و بالآ، و ينتجان حربا و قتالا، لعلمه باجتهادات صاحبه، أنّهما (٢) لا بدّ أن تثمر حتّى فى أقاربه.

فما حسبه وقع فيه، فلله درّ أبيه؛ لأنّه ما مكث مدّة فى تلك الأطراف، حتّى جذب جميع الساده الأشراف، مع تكدر خواطرهم إلى الغايه، من حضره الشريف لما وقع عليهم، و ساقته المقادير الإلهيه إليهم، من إذهابه لنواميسهم و أقداسهم، و إرهابه لروادهم و جلاسهم، و نسخه لقوانينهم و قواعدهم، و تتبعه لهم فى مجالسهم و معاهدهم، و رفعه لجميع أحكامهم، و منعه لسائر طلقاتهم و أرحامهم، حتّى أجرى عليهم من الامور، ما لا يسعه المسطور.

فغزموا جميعا على مقاومته، مع مراسله السيّد محسن لهم و مكاتبتة، و خرجوا بأسرهم إلى الحسينيّة، إلّا بعض أشخاص من سلسلتهم الساميه السنيّه، و انضمّوا إلى السيّد محسن و الشريف مبارك، و صاحب مكّه يجتهد فى أخذ خواطرهم، و يتدارك و يبذل فى عودهم أمواله، و هم نافرون عنه نفور الظبى من الجباله، و مدعون (٣) بأنّه صنع بهم كلّ مكيدته، و حشمهم مرارا عديده.

ص: ١٧٤

١- ١) فى «ن»: بالدخل.

٢- ٢) فى «ن»: أنّها.

٣- ٣) فى «ن»: و مدعون.

فألزم نفسه بعد الفحص و الاجتهاد، فيما ينقيه من هؤلاء الساده الأمجاد، بقود عدّه من الصافنات الجياد، وصل بها إليهم بنفسه الشريفه، إلى موضع اجتمعوا فيه من محالّهم الساميه المنيفه، و استصحب معه بعض أعيان الأروام، من جماعه الوزير المكرّم أبى بكر باشا لقصد الاجلال و الاكرام.

فقبلوا منه ذلك الاقتياد، و خاطبوه فيما عدا ذلك من المواد، و طلبوا منه مطالب ما أطاقها، و لا أمكنه أن يحلّ نطاقها، فأرادهم بالمقدور، فأبوا إلاّ النفور، بعد قيل و قال، و اختلاف عظيم فى الأحوال، و أهل مكّه فى هذه المدّه فى غايه الاضطراب، من العطال و وقوف الأسباب، فأجمع رأيهم على الترخيل إلى الطائف و نواحيه، و استنجد من بواديه، من أعرابه و بواديه، ثمّ يعودون لقتاله، و حربته و نزاله.

و كان توجّهم لهذا المرام، فى أواخر شهر محرّم الحرام، من سنه ألف و مائه و ثمان و ثلاثين، إلاّ أنّهم قبل عزمهم على هذه التيه، و رحيلهم من أرض الحسيّته، صار بينهم و بين حضره الوزير أبى بكر فى أثناء هذه المنابذات و المرافعات (١)، مخاطبات شفاها و مكاتبات.

فمن جملتها: ما صدر منهم إليه، على صفه المحضر (٢) المشهود عليه، كما ستقف على مبانيه، و تطلع على تشييد معانيه، و هو:

نسألك اللهم يا من شيّد رواق الإسلام، على أساطين الحقّ المبين، و أيد شريعته سيّد الأنام بدوام سلطان سلاطين المسلمين، خلد الله أيامه المحبوره، مشرقه

ص: ١٧٥

١ - ١) فى «ن»: و المدافعات.

٢ - ٢) فى «ن»: صيغه محضر.

إشراق التيرين، و نشر أعلامه المنصوره، خافقه بخيرى الدارين.

و نستوهبك سعادته و ريفه الظلال، شريفه الخلال، مديده البقاء، سعيدته النمو و الارتقاء، لحضرته المقام الأجل الأمجد، و المرام المبجل المؤيد، ناشر الأوليه و الأعلام، و شاهر السيوف و الأعلام، فى مرضى العزيز العلام، ذى الرأى الصائب، و الفكر الثاقب، وزير الدوله المعظمه، و المتحلى بعقود الرئاسة المنظمه، أحننا أبى بكر باشا، لا زال مقامه الأجل الأسمى الأسنى، مقرّ الرئاسة العظمى، و الأياله الحسنى.

و بعد: فالمنهى إلى المسامع العليّه، و المعروف على الآراء الجليّه، هو أنه قد صدر إليكم منّا يا معشر الساده الأشراف، و حماه جيران بيته العتيق، و وقّاده من جميع الأطراف، رسل و أرقام، تتضمّن شرح حقائق أحوالنا و ما حلّ ببلد الله الحرام، و من سلطانها و أتباعه، المشيدين لمغانى الظلم و رباعه، و الهادمين لقصور العدل و الاحسان، مع أنّ الأمر بهما هو الذى كلّ يوم هو فى شأن، و الرافضين لأحكام إيتاء ذى القربى، الكافل بسعادته الدارين العاجله و العقبى.

فقد بسطوا بساط الظلم المدلهم، على سكاّن مكّه من يافع و همّ، و استباحوا أعراض ذوى الأعراض، و نهبوا أموال التجار بالعنف على سبيل الدين و الاقتراض، ممّا لا يرضى الله عزّ و جلّ، و لا رسوله المعظم المبجل، و لا ولى أمر هذه الأقطار، و غيرها من الأمصار، أيد الله دولته، و قرن بالظفر صولته، و قد صدر إليكم منّا ذلك، قبل وصولكم إلى بندر ينبع و تلك الممالك.

ثمّ لم يزل يتكرّر منّا إليكم، و يعرض تفصيله عليكم، ثمّ وصلتكم و رأيتموه عيانا، و سمعتموه من الثقات شفاها و بيانا، و والله الذى لا ربّ غيره، و لا يعبد سواه، بارىء النسمة، و فالح الحبه، لولا أن تدارك الله تعالى جيران بيته الحرام، و تجار

بندر جدّه من اليمنين و المصريين و الأروام، بوصولكم الشريف، و نزولكم فى جوار هذا البيت المنيف، لما ترك على ظهرها من دابّته، و لأذاقهم مرّ الجور و صابه.

ثمّ من شهر ذى الحجّه إلى الآن، لولا- موالا- تكم بحسب الطاقه و الامكان، للصدقات القمحيه و النقديه، المقرّره فى الدفاتر السلطانيه، لجيران هذه البنيه و إيصالهم إليهم، حتّى تكاملت لديهم، لما وصلهم منها إلا القدر الحقيق، و الجزء اليسير.

و أمّا نحن معاشر الساده النمويّه، الداعين بدوام الدوله العليّه، و الحافظين لزمام أياله أقطار الحجاز، و الناهضين بأعباء سلطنتها على الحقيقه لا المجاز، منذ خمسمائه عام و كسور، كما هو مرقوم فى الكتب التاريخيه و مسطور.

و أمّا مداخيلها البرّيّه و البحرية، و السريّه و الجهريه، فيتناولها شيخهم المعظم، المتقلّد لعقد ولايتها المنظم، و يقوم منها أوده بالاقتصاد، مع نهايه الرشد فى تقليل العساكر و الأجناد، بمقدار ما يحتاج إليه لنظام منصبه، و قوام مأربه، و يسلم لجميع الساده الأشراف، الحاضر منهم و النائي إلى بعض الأطراف، سائر (١) مقرّراتهم المعروفه، و مشاهراتهم المألوفه، المرصوده المرقومه، فى الدفاتر القديمه المعلومه، منها ما هو شهرى التسليم، و منها ما هو مؤجل ينطق به الرقيم، و ذلك غير ما يدفعه بيده إذا عرض ما يوجبه، أو تعرّض له من يطلبه، غير محاسنات جمّه، هذا إذا كان ذا مروءه و همّه.

و أمّا هذا الرجل و حالنا معه، فحال صلّمه بن قلمعه، و وضع يده على مدخول

ص: ١٧٧

(١ - ١) فى «ن»: جميع.

بلادنا، و احتوى على طريقنا و تلامنا (١)، من حين جلوسه فى هذا المنصب، و حلوله فى هذا المربع المنصب، و هو يجمع الأموال و يكتزها، و يحفظها و يحرزها، و لا يصرف منها شيئاً إلا على ملامه، و تنفيذ أوامره و نواهيه، و استكثر من الخدام و العساكر، و اتخذهم أعضادا له فى جميع الموارد و المصادر، و رسم علائقهم على تجار بندر جدّه، فى جميع هذه المدّه، و أبناء عمّه الساده الأخيار، فى غايه الفاقه و الاضطرار، لم يصلهم من حقوقهم المقرره، و لا الواحد من العشره، مع ارتكابه لامور شنيعه، داله على الاذهاب و القطيعه.

و نحن بحمد الله تعالى، و لطفه الذى لم يزل يتوالى، ممّن ينكر المنكر بجنانه، و يده و لسانه، و لا- توقفنا عن مقاتلته و رفعه، و إخراج و دفعه، إلا اتقاء مخالفه السلطان، حيث كان منصوبه فى ذلك الأوان (٢)، فصبرنا بناء على وصول مثل حضره الوزير، ذى الرأى و التدبير، و نهى إليه ما صار، علينا و على أهل هذه الأقطار، من الحوادث الملمّه، و المصائب المدلهمّه، رجاء حلول نظره العالى، على كل مخلص و موالى.

فكيف يا عزيزنا ينتصرون المسلمون على الكفار؟ أم كيف تقام شريعه النبى المختار؟ أم كيف تثبت قواعد الإسلام؟ أم كيف تتأطد دوله سلطان الأنام؟ و كيف ترجى الرحمه من الله عزّ و جلّ، و الغفران للامّه قبل انقضاء الأجل؟

و نحن أبناء رسول الله و بضعته مظلومون، مظهرودون مطرودون، عن بلادهم، و عيالهم و أولادهم، فهل يرضى الله ذلك؟ أو ولى أمر هذه الممالك؟ أم حضره

ص: ١٧٨

١- ١) فى «ن»: و بلادنا.

٢- ٢) فى «ن»: الزمان.

الوزير المكرّم؟ أم قاضى الشرع الشريف المعظّم؟ فنحن و هؤلاء المسلمون، نلتزم بأذيالكم يوم لا ينفع مال ولا بنون، يوم تذهل كلّ مرضعه عمّا أرضعت و تضع كلّ ذات حمل حملها.

فالآن يا عزيزنا قد حصحص الحقّ، و اعتلت الربى، و تعدّى الحزام البطين و جاوز السيل الربى، فإن نظرتم بعين الرحمة و العدل و الانصاف، إلى لّم شعث الساده الأشراف، و إبدال الظلم بالأمان، لرعايا حضره مولانا السلطان، كما أنّه متعيّن عليكم، إذا أنهى إليكم.

و لأجل ذلك بعثتكم الدوله العثمانيه، لا زالت محروسه بالأسرار الربانيه، و بيدكم الشريفه، أوامرهم العاليه المنيفه، بالتفويض فى أحوال الحجاز من التقديم و التأخير، و الرفع و الوضع، و قمع المظالم و الأخذ بيد المظلوم، و إجراء الأحكام الشرعيه، و إيفاء كلّ ذى حقّ حقّه، فيطلب منكم جميع ذلك.

و نحن قد أنهينا إليكم سابقا، و نخاطبكم الآن لاحقا، بما لحقنا من صاحبنا كما أوضحناه لديكم، و ندّعيه إلى شريعته محمّد بن عبد الله صلّى الله عليه و اله بين يديكم، ثمّ تسمعون منّا كلّ حقيقه، و نبيّن لكم مسلكه و طريقه، و نرجو منكم أن تأخذوا لنا الحقّ، و تهينوا من نكل و عقّ، ثمّ نقوم بحربه و قتاله، إذا لم يرجع عن سيّء أفعاله.

إنّما نلتمس من تلك الحضره الساميه الغزاه، إلزامه بالخروج إلى الصحراء، لأننا لا نستحسن القتال و الصدام، فى أكناف البيت الحرام، فإذا ظفرنا الله عليه، بتوجه هممنا العاليه إليه، و دفعناه عن هذه البلاد، و أرحنا منه العباد، فأمر المتولّى إليكم، و إقامته مقصوره عليكم، و نظركم أجلا، و رأيكم أعلا.

و عزّزه الشريف مبارك بكتاب من جنابه، دلّ على اعتناؤه بأمر أحزابه، و هو:

إنّ أحسن ما تتهاداه الأعاضم الأمجاد، و تنفث به الأقلام بين الأكارم الأنجاد،

سلام سنى الأنوار، حسنى الإيثار، والاصدار، بصحبه الدعاء الجزيل الصافى، و يحفه الثناء الجميل الوافى، إلى حضره عين الأعيان، و غزه وجه الزمان، الوزير المعتمد، والمشير المسدد، المشار إليه أعلاه، أيده سعده و مجده و علاه، و لا زال ملحوظا بعين العناية، و محفوظا فى حسن الوقايه.

و بعد: حمد الله على جزيل إحسانه، و جميل بزه و امتنانه، فالواجب لإصدار الكتاب، إلى حضره عالى الجناب، تجديد مباني الوداد و الاخلاص، المسبوكين بالمحبه سبك الخلاص، لا زال (1) سالكين سبيل التوفيق، مؤيدين بعون الله فى إصلاح جيران بيت الله العتيق.

ثم المنهى إلى حضره الوزير المعظم، و الدستور المكرم، ما أصاب سكان بلد الله الحرام، و رعايا سلطان الإسلام، من الخوف و الجوع و نقص من الأموال، و الأنفس و الثمرات، الواقعه عليهم من الشريف عبد الله بأسبابه المؤثرات، و هم أهل الله و عياله، كما ورد فى الأحاديث النبويه، و الملازمون على الصلوات فى أكناف هذه البنيه، العابدون رب هذا البيت، الحامدون للسلطنه العليه، فى استعمالها عليهم أهل البيت.

ثم ما أصاب الساده الأشراف من قطعه لحقوقهم، و نسخه لأقداسهم، حتى صاروا من بعض الأطراف، و هم أبناء عمه و شركاؤه فى المحصول، و على هذا كانت الولاه معهم فى الأصول، و قد أنهوا إليكم جميع ما صار، و على سائر أعيان دولتنا حتى شاع فى جميع الأقطار، راجين إقامه الحق بينهم و بين صاحبهم لدى قاضى الشرع الشريف، و من التمس الوجه الشرعى لا يقابل بالتوجيه و التسوية.

ص: ١٨٠

فمعلوم حضره أخينا أُرِيده الله احتفال الدوله العليه،بالشروعات فى جميع الامور،و بها تجرى أحكامهم السيفيه على الأمر و المأمور.

فلما لم يجدوا لشكواهم سامع،و لا لشتاتهم جامع،عزموا على أن يرتحلوا من هذه البلاد،و يتركوا العيال و الأولاد،و يبذلوا نفائس الأرواح،و يقاتلوا صاحبهم إلى أن يأذن الله بالنجاح.

و قد وصلوا بجملتهم إلينا،و نزلوا بطوائفهم علينا،فلم يكن لنا بدّ و لا- عدول،عن أن نساو بهم و نعينهم بالروح و المال المبدول،فقد وجبت معاونتهم على كلّ مسلم ينطق بالشهاده،و يرجو شفاعه جدّهم ذى الشرف و السياده،و قد صممنا جميعا على موارثته (١)،و ارتكاب كلّ مشقّه فى محاربتة،غير أنّه لا- يكون هذا منّا إلّا- بعد إنهاء الأمر إليكم،و عرض حقيقه كلّ حال عليكم،و التماس الوجه الشرعى بيننا و بينه لديكم،و قد صدر إليكم من الساده الأشراف بجملتهم عرض عليه خطوطهم و ختومهم،ينطوى على ما لا مفترّ منه،و لا مهرب عنه.

و أنت يا عزيزنا وزير حضره مولانا السلطان،و عينه الناظره فى هذه البلاد، و إصلاح ما حدث فيها من الفساد،فأىّ فساد أعظم من هذا الأثر العظيم،و الخطب الجسيم؟فلا بدّ من تداركه بما يرضى الله عزّ و جلّ،و يرضى حضره الدوله العليه من إقامه الوجه الشرعى،و تنفيذ حكمه القطعى،فنحن الآن ضامنون الخلل فى الطرقات،إلى أن يشملوهم بنظركم العالى من جميع الجهات،و يصلنا جوابكم الثانى،و خطابكم الكامل الوافى،و السلام عليكم و رحمه الله و بركاته.

فورد هذان الكتابان عليه،و رفعا فى ساعه واحده إليه،صحبه السيدين

ص: ١٨١

(١-١) قرش قرشا الشىء:جمعه من هنا و من هنا:و ضمّ بعضه إلى بعض.

الشريفين، و السندين المنيفين، السيد زين العابدين بن إبراهيم، و السيد عون بن محسن، دخلا عليه نهارا، و خرجا بالأجوبه جهارا، ثم صارت بعدها مجالس عديده، و محاورات طويله مديده، لم ينتج منها إلا حفظ خاطره، و تقييد أجناده و عساكره، عن معاونه صاحبهم عليهم، إذا خرج للمقاتله إليهم.

ثم توجهوا إلى الطائف في اليوم السابع و العشرين من شهر محرم الحرام افتتاح سنه ثمان و ثلاثين و مائه و ألف، كما تقدم تنزيده، و تأطد بناؤه و تشييده.

ثم لما قاربوا الطائف و شارفوا، تشاوروا و تخالفوا، في أن وروده و حفظ شعابه، و التحصن بمبانيه و هضابه، أو ثق للقرى، أم تركه و قصد غيره من تلك القرى، فتغلب أهل الرأي الثاني، و كان الأصوب تملك تلك الهضاب و المباني.

فما تم يومهم ذاك و ثانيه، إلا و صاحبهم قد حل بالطائف و مثانيه، فاستقام طالعهم، و سعدت مطالعهم، و استتبت أقدامهم، و قوى عزمهم و أقوامهم، مع أنه كان حال سيره، قد اختببت (1) قوائم تخت ملكه و سريره، خشيه من أن يدخلوا الطائف، و يتمكنوا من ذلك الحصن النائف، فتنقاد لهم جميع العربان، لأنه بندرهم من قديم الأزمان، و إليه تجلب بضائعهم، و له منوطه أغراضهم و منافعهم.

و لم يزل يقيم يوما و يسير، إلى أن وافاه البشير، بأنهم قد نكبوا الطائف ورى، و اختاروا غيره من القرى، فجد في و خده (2)، بعد أن غمر بشيره برفده، و لا- أظهر أنسه و انبساطه، حتى و طأ بساطه، ثم تركه خلافه، بعد أن ضبط جوانبه و أطرافه، و شرع يتابعهم في تلك الأراضي و البقاع، و يعاملهم بالمكريات في جميع

ص: ١٨٢

١- ١) في «د»: اختط.

٢- ٢) في «ن»: وجده.

و كَلَّمَا رَحَلُوا مِنْ مَوْضِعٍ نَزَلَ فِيهِ وَأَبَاحَهُ، وَجَرَعَ أَهْلَهُ كَوْوَسَ الْعُقَابَ وَقَدَّاحَهُ، وَ إِنْ رَحَلُوا مِنَ الْمَوْضِعِ الْآخِرِ نَزَلَهُ، وَجَدَّ لِقَطَانَهُ عَمَلَهُ، وَ إِنْ أَقَامُوا أَقَامَ، وَ لَمْ يَثِرْ لِلْحَرْبِ قِتَامٌ، لَا يَثِبُ (١) عَلَيْهِمْ، وَ لَا يَنْبِذُ بِسُوءِ إِلَيْهِمْ، بَلْ يِعَامِلُهُمْ بِالْمَتَابَعَةِ وَ الْمَصَابِرَةِ، وَ هُوَ فِي أَشَدِّ مَا يَكُونُ مِنَ الْمَحَاذِرَةِ.

وَ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ الْحَلِّ وَ الْإِرْتِحَالِ، لَا- يَفَارِقُ سَفُوحَ الْجِبَالِ، بِحَيْثُ لَا يَكُونُ لِلخَيْلِ مَجَالٌ، خَوْفًا مِنْ رُكُوبِهِمْ (٢) إِلَيْهِ، وَ وَثُوبِهِمْ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُمْ أَكْثَرُ مِنْهُ خَيْلًا- وَ هُوَ أَكْثَرُ مِنْهُمْ نَفْرًا، وَ أَعْظَمُ قُوَّةً وَ أَشَدَّ ضَرَرًا، وَ ذَلِكَ لِإِسَارِهِ بِالزَّادِ وَ النُّقُودِ، مَعَ الْحِظِّ الْمُسَعْفِ وَ الطَّالِعِ الْمُسَعُودِ، لَا تَضَرُّهُ الْمَصَابِرَةُ وَ لَوْ طَالَتْ، وَ لَا اسْتِمْرَارُ الْإِقَامَةِ وَ لَوْ أَحَالَتْ، وَ مَوَالِينَا السَّادَةِ الْأَشْرَافِ، رَاضُونَ فِي أَيَّامِ رَاحَتِهِمْ مِنَ الرِّزْقِ بَدُونَ الْكِفَافِ، فَمَا بِالْكَ بِأَيَّامِ الْجَلَاءِ، وَ التَّغَرُّبِ وَ الْقَلَاءِ.

وَ لَمْ يَزَلْ مَعَهُمْ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ، مَعَ تَرَدُّدِ رِسَائِلِهِ عَلَى كِبَارِهِمْ بَعْرُضِ الصَّلْحِ وَ الْإِتِّصَالِ، وَ صَرَمِ حِبَالِ الْفِرْقَةِ وَ الْإِنْفِصَالِ، بِمَا تَطْيَبُ بِهِ النُّفُوسُ، مِنْ بَدْلِ الْمِبَالِغِ الْعَظِيمَةِ مِنَ النُّقْدِ الْمَأْنُوسِ، بِكِتَابِ مَشْهُودٍ، وَ أَجَلٍ مَحْدُودٍ، فَأَجْمَعُ رَأْيَهُمْ عَلَى قَبُولِ ذَلِكَ الْمَدْفُوعِ، وَ تَغْيِيرِ هَذَا الْمَوْضُوعِ، لِأَنَّهُمْ قَدْ مَحَّضُوا (٣) فِي حَالِهِمْ الْفِكْرَ، وَ قَلْبُوهُ بَطْنًا وَ ظَهْرًا، فَأَشْمَمُوا مِنْ عَوَاقِبِهِ رَوَايِحَ الظُّفْرِ، وَ لِأَشَامُوا لِبَارِقِهِ الْخَلْبَ مَطْرًا، مَعَ تَوَقُّفِ الْأَسْبَابِ، وَ عَدَمِ مَسَاعِفِهِ الْأَعْرَابِ، وَ طُولِ مَصَابِرِهِ صَاحِبِهِمْ، وَ إِحْجَابِهِ

ص: ١٨٣

١- ١) فِي «ن»: يَثِبُ.

٢- ٢) فِي «ن»: رُكُوبِهِمْ.

٣- ٣) فِي «ن»: أَمَحَّضُوا.

عن الوثوب عليهم و محاربتهم، و قلّه الدراهم و الزاد، و إن امتنعوا عن الصلح اشتدّ بهم الحال و زاد.

فقبلوا و أقبلوا عليه بناهضهم و حريضهم، و جاؤوا بأقصى و ضيضمهم و نضيضمهم، و وفدوا عليه بالطائف، المحضوف بالطائف، فتساقطوا الغبون، و فرح بصلحهم المسلمون، و ساروا معه إلى أن دخل بهم مكّه المعظمه، متحلّيا بعقود السيادة المنظمه، و كان دخلوهم فى الليله الثانيه عشر من شهر ربيع الأوّل من سنه ألف و مائه و ثمان و ثلاثين، و كانت مدّه غيبتهم خمسه و أربعين يوما.

و هذه القضيّه من أكبر الوقائع عليه، و أعظمها مشقّه و تعباً، و لا ظنّ أحد من العقال، أن تكون خاتمتها على هذا المنوال، إلاّ أنّه بعد أن ورد، و اعتلا- تخت ملكه و اقتعد، استبدل شكر هذه النعمه بالعقاب العنيف، لبعض قطن هذا البلد المنيف، من رؤساء الأنام، و مشايخ الإسلام، و خدام المسجد الحرام، بسعايه من بعض أتباعه، و محبّيه و أشياعه.

فلما بلغ حضره الوزير أبى بكر ذلك طاش مرقمه، و اهتمش مخزّمه، و بعث إليه بكلام، شمّ منه روايح الكلام، و استبان من نسج غزله، أوّل الأمر إلى عزله، إذا لم يعد عن حاله، و يصلح عاقبه مآله، فأراد حضره الشريف تلافيه، و أن يصل إليه معتذرا و يوافيه، فمنعه عن الوصول إلى داره، و سماع تنصّيه له و اعتذاره، فتوسّل بقاضى الشرع الشريف، فى أخذ خاطره العالى المنيف، و أن يقف بعدها على حدّ لا يتعدّاه، و لا تصل إليه يداه.

و فى ضمن هذه المدّه، مشى إلى بندر جدّه، بعد أن أبقى له بمكّه عيون، يرفعون إليه ما سيحدث منه و ما يكون.

و فى أثناء هذا الغضب عليه و الانحراف، شرع يكاّتب زعيم الساده الأشراف،

و هو مولانا السيد محسن المشار إليه، بعد وصوله إلى مكة المشرفة، مصالحا لاعتماده عليه، فصار يرفع إليه الوقائع، وينهى ما أصاب السادة الأشراف من الشنائع، ولم تزل الحال على هذه الكيفية، والمكاتبه من الطرفين متواليه خفيه، إلى أن اتضح الأمر و ظهر، وبان و اشتهر.

و هو أنه لما كانت الليلة السادسة والعشرون من شهر ربيع الثاني من العام المذكور، مشى السيد محسن بن عبد الله و جماعه من كبار السادة إلى بندر جدّه المعمور، خفيه عن شريف مكة صاحب الترجمة، فما عطس أنف صباحها، و أضاء نور مصباحها، إلا و ليس لذواتهم الشريفه، فى منازلهم الساميه المنيفه، إلا آثار و رسوم، و خادم بلا مخدوم.

فوردوا بندر جدّه، و ألقوا بها العصى بعد أن صرموا حبال الشدّه، فتلقّاهم صاحب الأياله، بنهايه العزّه و الجلاله، و أبرز لهم قبابا ببرّه، و عمّمهم بإحسانه و برّه.

و يقال: إنّها كانت منه بإشاره، بعد مراسلات و استشاره، عزم فيها على رفع صاحبه عن ولايته، و دفع ضرره بمحو آيته، إنّما اختلفت عليه بعد وصولهم الآراء، فعدل عن عزمه الأوّل و توارى، و جعل ثمره وصولهم استنضاض محصولهم، فعادوا بعد التعب و الأين، بخفى حنين، إلا أنه أرسل صحبتهم حرونه، يسهّل لهم و عاره صاحبهم و حزونه.

و لقد كانوا فى غنى عن تسهيله، بعد زخرفه أقواله بأباطيله، و إن كانت هذه الهزمره أثّرت نيل بعض مآربهم، و هبوب ريحهم بالمتنّم على صاحبهم، فى قضاء أمورهم المتعلّقه بهم و مطالبهم، حتّى استبغت بعد استنصاره، و أمسك بعد توغّله فى

شعاب التغطش (١) وانحداره، إلا أنه بعد أيام عادت منه تلك الأحوال، مع ارتفاع تلك المصائب والأهوال، فصفت من الأكدار مشاربه، ودبت إلى معانديه بالاقتضاء عقاربه.

وأما عطايه للساده، فهي كقزع السحاب، والرذاذ بعد الاجتذاب، يعطى تاره و يمنع مرارا، و يوسّعهم جزرا و استكبارا، لا يرقّ لذى حاجه، و لا يمنح من برّه محتاجه، و لم يزل على هذه الحال، متحلّيا بهذه الخصال، إلى دخول شهر ذى الحجه الحرام ختام سنه ألف و مائه و ثمان و ثلاثين، و هو مستمرّ على حاله، مستقيم فى جميع أموره و أحواله.

فصل: فى الحوادث الواقعة فى دولته

أشاره

فى الحوادث الواقعة فى دولته

و لنرجع إلى ذكر وفيات بعض الأعيان، تغمّدهم الله بالرحمه و الرضوان، الدارجين فى أيام دوله صاحب الترجمه، لا زالت غيوث الغفران عليهم منسجده، إلى ختام السنه المذكوره، ثم نعود بعد لتتمّه ما بقى إن حصل ما يوجب ذلك، و الله الموفق فى جميع المسالك.

وفاه السيد حسن الغرب:

و فى غزّه شعبان من سنه ألف و مائه و ستّ و ثلاثين: توفى السيد الجليل الأصيل، الصالح التقى، السيد حسن الغرب، و أعقب ولدا يسمّى السيد عبد الواحد.

و كان هذا السيد من كبار الساده بيت الغرب و من صلحائهم، مكث فى آخر عمره بمكّه المشرفه، ثم كفّ بصره بها، و استمرّ كذلك إلى أن توفى بها فى التاريخ

ص: ١٨٦

(١ - ١) غطش الليل بصره: أظلم عليه.

وفاه الشيخ عباس القطبي:

وفيه: توفى الشيخ الصالح المعتبر، الشيخ عباس بن الشيخ... (١) القطبي، وهو من بيت جليل فاخر، وفتيه جمعوا أشتات المناقب و المفاخر.

وفاه الشريف حامد بن محمد الحسنى:

وفى خامس عشر ذى القعدة من السنه المذكوره: توفى السيد الشريف الأمجد، و السيد المنيف الأنجد، السيد حامد بن محمد بن يعلى، أخو الشريف عبد الكريم المتقدم ذكره.

و كان هذا الشريف ذا عزم شديد، و رأى سديد، و مقام جليل، و مظهر جميل، و هدى لذويه، و قد اذ فى عين مناويه، مع حلم و رزانه، و صيانه و ديانه، فرحمه الله تعالى، و أمطر عليه سحائب غفران توالى، و أعقب من الأولاد... (٢).

وفاه السيد حسن بن زين العابدين الصحرا:

وفى اليوم المذكور: توفى السيد الأجلّ الأفضّل، السيد حسن بن السيد زين العابدين الصحرا، المتقدم ذكر وفاته فى سنه إحدى و ثلاثين و مائه و ألف.

و كان هذا السيد حسن جدّ فى طلب العلوم، و تتلمذ لأئمه المنطوق و المفهوم، من العلماء الأعلام، و فضلاء بلد الله الحرام، فأحرز من العلوم النصيب الأوفر، و توضع بين أقرانه بمسك الفضل الأذفر.

ص: ١٨٧

١-١) بياض فى النسختين.

٢-٢) بياض فى النسختين.

وفاه الشيخ محمد بن أبي بكر العرابي:

و في سادس ذى الحجه من السنه المذكوره: توفى الشيخ الأجلّ الأصلح الأتقى، الأفضل الأورع الأنقى، الشيخ محمد بن أبي بكر العرابي.

و كان هذا الشيخ فريد عقد هذه السلسله الساميه، و نتيجه هذه الشنشنه القرشيه الناميه، و كانت وفاته بأرض الطائف، و دفن بمقبرتهم المعروفه. و أعقب من الذكور ولدا سمى جدّه، لا زال مستخدما لعظيم سعده، و وافر جدّه.

وفاه قاضى مكّه المشرفه:

و في موسم هذه السنه: عرضت الوفاه لقاضى مكّه المشرفه فى أثناء الطريق، فصدر إلتماس من طرف محافظ الشام أمير الحاج الشريف عثمان باشا المتقدم ذكره إلى الدوله العثمانيه، بإرسال قاض آخر، بعد التعريف بوفاه القاضى الأول، فاحتاج الحال إلى إقامه قاض يقوم بمصالح المسلمين بمكّه المشرفه إلى أن يصل قاض جديد من طرف الدوله.

تفويض قضاء مكّه للمفتى عبد القادر:

فأجمع رأى حضره الوزير المذكور و شريف مكّه المكرمه و أعيان الدوله على وضع شيخ الإسلام، ببلد الله الحرام، المفتى عبد القادر بن أبي بكر، مفتى الساده الحنفيه بمكّه المشرفه البهيته، إذ كان أجلاً من يصلح لهذه المكانه، علما و عقلا و أمانه و ديانه.

فصدر الأمر العالى من الوزير المعظم، و مثله من حضره الشريف المبيجل المكرم، ينطقان بتفويض أمر القضاء إليه استقلالاً، و البس خلعه ستيه تسمو إلى مثلها الهمم العليه، فباشر الأحكام الشرعيه، و أقام الشريعه المحمديّه، احتساباً لوجه الله تعالى، و لم يأخذ من أحد شيئاً، و لا على طريق الهديه، فهرع كلّ مظلوم

إليه، و نشر ظلامته بين يديه (١).

و لم يزل يقيم الحقّ، و يهين من ظلم و عقّ، و استمرّ على هذه الحالة الرضيّة، و الطريقه المرضيّة، إلى أواخر محرّم الحرام افتتاح سنه سبع و ثلاثين، فوصل إلى البلد قاضيه، و جرّد به بوآتره و مواضيه، و كانت أيامه من فرص الدهر، و لمعه من أيام عمر بن عبد العزيز، فأرّخ قضاءه هذا أدباء مكّه المشرفه و فضلاؤها.

و من جمله من أرّخه سيّدنا الوالد زيد فضله، بقصيده امتدحه بها، و هي:

سعد القضاء بحكم ربّ قادر بقضاء ربّ الفضل عبد القادر

حكم المهيمن باعتدال زمانه شرعا فقلّد خير عدل ماهر

الله أعطى القوس باريها و أجرى في مجاريها سيول مواطر

جمع القضاء و منصب الافتاء في وافى الشروط بفيض علم باهر

إلى أن قال بعد أن أطال في مديحه المجال:

و أتاك في التاريخ بيت عامر بالحسن في حكم الأديب الماهر

الشرع دال فزده في تاريخه شرع الهدى أحكام عبد القادر

و أرّخ قضاءه هذا غير واحد، إلاّ أنّي لم أر فيها أحسن من تاريخ الفاضل الشيخ عبد الله بن الشيخ عبد الكريم الخليفة المدني، ذيل به قصيده في المديح، و مطلعها:

محكمه الشرع أضاء نورها من بعد أن أظلمها الباطل

و منها:

الحير عبد القادر المرتضى العالم العلامة الفاضل

مفتى بلاد الله أم القرى خطيبها مصقعها الكامل

ص: ١٨٩

فقد أتى التاريخ مع حسنه فى بيت شعر نظمه كامل

قد قلد الحكم بأم القرى رئيسها و هو بها عادل

و ما أحسب أن شخصا جمع بين القضاء و الافتاء، كافلا بهما بمكّه المشرفه إلا هذا الشيخ.

وفاه السيد ظافر بن محمد بن خيرات:

و فى سنه سبع و ثلاثين و مائه و ألف: توفى السيد الأشرف، و الملاذ الأظلّ الأشفق الأرف، فخر العصابه العلويه، و نبراس الفتيه النمويه، مولانا و سيدنا السيد ظافر بن محمد بن خيرات.

و كان هذا الشريف، ذو الظلّ الورىف، درياق الملسوع، و مأمن الخائف المروع، و مأوى البائس الفقير، و ركن اللائذ المستجير، لا يعشق من الامور، إلا ما تعلّق بقوادم النسور، بهمه تراحم الأفلاك، و يقصر عن كنه مداها الادراك، و عزم باتر يسبق قضاء البواتر، و فكر سباح، و رائد يفرق و يؤلف بين الرياح، و بأس ثابت و بساله، نهل بهما نمير العزّ و سلساله، مع كرم مغدق هطال، طوق به أعناق الرجال، و تحلّى بالأدب الغضّ، و الفضل المتدقّ البضّ.

و كان مجلسه الشريف العالى، بحرا يستخرج منه الدرّ و اللآلى، لم تتعطل معاطاه كؤوس الأدب فيه، مع ما يتساقط من جواهر الفوائد من فيه، و لم يزل معتكفا على كتب الأدب و علومه، حالاً بها عقد منشوره و منظومه، رافلا فى حلل الافتخار، شايعا صيته فى جميع الأقطار.

و لم يبرح فى نضاره العيش و ابتهاجه، إلى أن منى بتوعيك عرض لمزاجه، تولد منه حادث أضرّ، بشريف ذلك النظر، فلازم داره، و هجر رواده و زوّاره، و استمرّ على هذه الكيفيه، إلى أن اختطفته يد المتيه، فى ثالث محرّم الحرام من السنه

المذكوره، فطوى سجل فضائله المثوره.

و له شعر يضاهى ببلاغته شعر الصابى، من البحر المسمى بالحرايى، و حمينيات حسنه، و نثرىات مستحسنه، غير أنّها لم تلف عندى حال الجمع، و إلا لأوردت لك منها ما ينعش الهمّه و يتبه السمع.

و كانت ولادته سماعا منه سنه ثمانين بعد الألف، و أعقب من الأولاد: السيد محمّد أدرج بعده صغيرا، و السيد سعدا و هو أصغر أولاده، توفّى محمّد و هو ابن ثلاث، نسأل الله تعالى أن لا يقطع له نسلا، و أن يجعل سعدا مأوى للفضل و أهلا.

فصل: تحقيق لطيف حول شعر الحرايى

اشاره

تحقيق لطيف حول شعر الحرايى

قد يقال: كيف ساغ لهذا المؤلف وصف هذا الشعر الحرايى بالبلاغه؟ مع كونه يوجد فيه اللحن و الألفاظ الغير الفصيحه؟

قلنا: قد حقّق الإمام العلامة ابن خلدون فى مقدّمته لتاريخه العبر كلاما لم يسبق إليه فى هذا الشأن، و لا حام حوله إنس و لا جان.

قال: أعلم أنّ اللغه فى المتعارف هى عباره المتكلم عن قصوده، و تلك العبارة فعل لسانى، فلا بدّ أن تصير متقرّره فى العضو الفاعل فى اللسان، و هو فى كلّ أمّه بحسب اصطلاحاتهم، و كانت الملكة الحاصله من ذلك للعرب أحسن الملكات، و أوضحها إبانه عن المقاصد؛ لدلاله غير الألفاظ فيها على كثير من المعانى، مثل الحركات التى تعين الفاعل من المفعول من المجرور، أعنى: المضاف، و مثل الحروف التى تفضى بالأفعال، أى: الحركات إلى الذوات، من غير تكليف ألفاظ أخرى، و ليس يوجد ذلك إلا فى لغه العرب.

و أما غيرها من اللغات، فكلّ معنى أو حال لا بدّ له من ألفاظ تخصّه، و لذلك

تجد كلام العجم فى مخاطاتهم أطول. و هذا معنى قوله صلى الله عليه و اله: «أوتيت جوامع الكلم، و اختصر لى الكلام اختصارا».

إلى أن قال: و الملكات لا- تجعل إلا- بتكرار، فيزيد التكرار حتى تكون الصفه التى تحصل بتكرارها للنفس ملكه، أى: صفه راسخه، فالمتكلم من العرب الآن بالنسبه إلى لسانهم العرفى، و إن لم يكن هو لسان مضر الصريح، يسمع كلام أهل جيله و أساليبهم فى مخاطباتهم، و كيفيه تعبيرهم عن مقاصدهم، فيلقنها كما يسمع الصبى استعمال المفردات فيلقنها.

ثم لا يزال يتجدد و يتكرر حتى يصير ذلك ملكه راسخه، و هكذا كانت الحال فى اللسان المضرى، و ترسخ فيه مثل هذا سواء بسواء، و وجوده العبارة من المعنى المراد و قصورها بحسب تمام الملكه و نقصانها، و ليس ذلك بالنظر إلى المفردات، و إنما هو بالنظر إلى التركيب.

فإذا حصلت الملكه التامه فى تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعانى المقصوده، و مراعاة التأليف الذى يطبق الكلام على مقتضى الحال، بلغ حينئذ المتكلم الغايه من إفاده مقصوده السامع، و هذا هو معنى البلاغه.

ثم قال بعد أن قرّر ما نقلنا خلاصته: و ما زالت هذه البلاغه ديدن العرب و مذهبهم إلى هذا العهد، و لا تلتفتن إلى خرفشه النجاه أهل الأعراب، القاصرين عن التحقيق، حيث يزعمون أن البلاغه فى العصر قد ذهبت، و أن اللسان العربى قد فسد، اعتبارا بما وقع فى أواخر الكلم من فساد الأعراب، و نحن نجد اليوم الكثير من الألفاظ العربيه لم تزل عن موضوعاتها و أساليب الكلام، و قوته من النظم و النثر، موجود فى مخاطباتهم، و فيهم الخطيب المصقع فى محافلهم، و الشاعر

المفلق على أساليب لغتهم، و الطبع السليم و الذوق الصحيح شاهدان بذلك (١).

إنتهى.

قال سيّدنا الوالد-قدّس الله روحه- بعد نقله لهذا الكلام في تصنيفه المسمّى ب«ثواقب العلوم السّنيّه في مناقب الفهوم الحسّنيّه» (٢): قد أثبت ابن خلدون كما ترى لهذا اللسان العربي الموجود الآن بين الأعراب البوادي و العرب المستحضرين بلاغه و براعه وجوده، و جعله في هذه الأوصاف على مراتب في العلوّ و الانحطاط، و أثبت أنّ في أهله الخطيب المصقع، و الشاعر المفلق، كما في اللسان المضريّ الجارى على قوانين العلوم العربيّه سواء بسواء، لا يختلف عنه إلّا في الحركات الاعرابيّه.

و أمّا مفردات الألفاظ، فقد ذكر أنّ أكثرها باق على الموضوع، و البعض قد تغيّر، فحصلت فيه ألفاظ مولده، و ألفاظ دخيله في الكلام العربي، و ليست من اللسان

ص: ١٩٣

١- ١) تاريخ ابن خلدون ١: ٦٤٤-٦٤٩ طبع دار الكتب العلميّه بيروت.

٢- ٢) ذكره المؤلّف في ترجمه والده في هذا الكتاب، قال: و ثواقب العلوم السّنيّه في مناقب الفهوم الحسّنيّه، و موضوعه بيان تعريف الملكات اللسانيّه المضريّه، و كيفيّة تحصيلها مع حلّ لكثير من الأبيات الشعريّه، و ذكر مفاهيم لبعض ملوك مكّه المشرفه صادفت الصواب، و هو كتاب مفيد جدّا، خدم به حضره مولانا السيّد الشريف ناصر ابن أحمد الحارث رحمه الله تعالى. و قال في الذريعه (٥: ١٩): ذكره ولده السيّد رضى الدين في إجازته للسيّد نصر الله الشهيد الحائري المكتوبه في سنه (١١٥٥) و قال: إنّه فيه بيان تعريف الملكات اللسانيّه المضريّه، و كيفيّة تحصيلها، و حلّ كثير من الأشعار و الخطب المغلقه، نفيس كثير الفائدة.

وقد صَنَّف فى بيانها الشهاب الخفاجى كتابا سَمَّاه شفاء الغليل فى المولد و الدخيل (1)، و قد تمادى ابن خلدون فى هذا المسلك الذى حَقَّقَه و بيَّنه، حتَّى أَنَّهُ أورد أشعارا كثيره للعرب فى زمانه هى بعينها الشعر المسمَّى فى عصرنا و ما قبله بالحرابى، و أثبت لتلك الأشعار البلاغه.

و اقتصر على تفسير البلاغه بمطابقه الكلام لمقتضى الحال، و لم يلتفت إلى مخالفه كلام العرب المتأخرين عن اللسان المضرى، و أشعارهم التى نقلها للقوانين النحويّه و الصرفيه، و بعض مفرداتها للموضوعات اللغويّه، و لا-ريب أنّ هذا الاصطلاح مخالف لاصطلاح علماء المعانى و البيان، و لا مشآخه فى الاصطلاح، حتَّى أَنَّهُ قال: و لعلنا لو اعتنينا بهذا اللسان العربى لهذا العهد، نعتاض عن الحركات الإعرابيه التى فسدت فيه، فتكون لها قوانين تخصّصها، و لعلها تكون فى أواخره على غير المنهاج الأوّل فى لغه مضر، فليست اللغات و ملكاتها مجانا.

و ممّا أورده من الأشعار التى هى الفنّ المسمّى فى أعصارنا ب«الحرابى» بعينه، قول بعضهم فى الأمثال الحكميّه:

و طلبك الممنوع منك سفاهه و صدك عمّن صدّ عنك صواب

ليارث ناسا أغلقوا عنك بابهم ظهور المطايا يفتح الله باب

و لقد أصاب فى جميع ما ذكره، و حَقَّق ما لم يسبق إليه فيما حرّره، فإنّ ملكه هذا اللسان العربى، و ارتفاع مراتبه فى الاجاده و حسن البيان و الافاده مع تفاوت أنواعه فى الارتفاع و وجود المطابقه لمقتضى الحال، و إيفاء كمال المعنى حَقَّقَه

الذى هو معنى البلاغه، كل ذلك موجود فى العرب، لم يفقد منهم و لا بعد منحاه عنهم.

و قوله «فنحن نجد اليوم الكثير من ألفاظ العرب» الخ، فقد صدق فى ذلك و حَقَّق، ما لم يسبق إليه هذه المسالك، و نحن نجد اليوم من هذا الأمر مثل ما وجد فى عصره من العرب، فإننا نرى من موالينا الساده الأشراف ملوك مكّه المشرفه، و من ضارعهم من هذا النسب القرشى الهاشمى، إذا ساعده على بقاء المنزح العربى، سلامه الوطن و المنشأ و المرجا و القوم و العشيره، من استيلاء العجمه و المنازع الحضريه، الركيكه فى محاوراتهم و مخاطباتهم بيانا بارعا، و بلاغه فائقه، و ملكه تامه فى إبراز الكلام مطابقا لمقتضى الحال.

و لا فرق عند القائل فى كلام ذوى التمييز و النباهه منهم بينهم و بين بلغاء مضر، و مصاقع خطبائها، و مغلقي شعرائها، و لا يرتاب الواقف على كلامهم بالملكه، و الذوق البيانى أنّ ما يصدر عنهم هو من البيان الذى ورد فيه الحديث الشريف «إنّ من البيان لسحرا» (١).

إنتهى كلام هذين الفحلين المحققين، و النطاسيين المدققين، فلقد أحرزا من التحقيق أمد التحصيل، حيث أوضحا مرامهما بالذوق الصحيح، و القول الفصل، و أجاد المتأخر منهما فى قوله «إنّا نرى» و التزم من الأدله الناهضه بأوثق العرى.

و نحن أيضا نقول كما قال فى من رأيناه، و شاهدناه منهم و سمعناه، فو السماء ذات الرجع، و الأرض ذات الصدع، إنّه لقول فصل، و ما هو بالهزل، و من حضر مجالسهم الشريفه، و محافلهم الساميه المنيفه، المستعدّه لأمر مهمّ، أو حادث ملّم،

ص: ١٩٥

و سمع مخاطباتهم فى ذلك المجال، عرف حقيقه قولهم البلاغه مطابقه الكلام لمقتضى الحال، و قضى بما شهد به الفحلان، و قال: لا قريه وراء عبّادان (١).

مع ما يشوّكك عند سماعه، من سلامته و حسن ابتدائه، و ما ينطوى عليه من ألفاظ مستعذبه، و أمثال متتخبه، محكم البناء و التسديد، خاليا من التنافر و التعقيد، فكأنه المياہ فى مجاريها، و القوس بيد باريها، و فى أشعارهم الحراييه فوق ذلك من البلاغه، و حسن السبك و الصياغه، و لا غرو فهم سادات قريش الذين هم أفصح العرب، و أجود الناطقين بما هو أحلى من الضرب.

تذييل و تكميل

تحقيق لطيف حول كلام العرب و محاوراتهم

قال الإمام السيوطى فى كتابه الموضوع فى اصول النحو (٢): و أمّا كلام العرب فيحتجّ منه بما ثبت عن الفصحاء الموثوق بعريبتهم.

قال أبو نصر الفارابى فى أوّل كتابه المسمّى بالألّفاظ و الحروف: و كانت قريش أجود العرب انتقادا للأفصح من الألّفاظ، و أسهلها عند النطق و أحسنها مسموعا، و أوضحها إبانه عمّا فى النفس.

إلى أن قال: و هم الذين نقلت العرييه منهم، و بهم اقتدى و عنهم اخذ اللسان العربى من بين قبائل العرب، و هم قيسر و تميم و أسد، فإنّ هؤلاء أخذ عنهم الغريب من اللغه و فى الاعراب و التصريف، ثمّ هذيل و بعض كنانه، و بعض الطائيين، و لم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم.

ص: ١٩٦

١-١) عبّادان بلده كبيره فى ايران فى جنوب خوزستان.

٢-٢) و هو غير كتابه شرح ألفيه ابن مالك المسمّى بالبهجه المرضيه فى النحو.

و بالجمله لم يؤخذ عن حضرى قط، و لا- من سكان البرارى ممن كان يسكن اطراف بلادهم التى تجاور سائر الامم الذين حولهم، فإنه لم يؤخذ عن لحم و لا- من جذام، فإنهم كانوا مجاورين لأهل مصر و القبط، و لا من قضاعه و لا من غسان و لا من أباد؛ لأنهم كانوا مجاورين لأهل الشام، و أكثرهم نصارى يقرؤون فى صلاتهم بغير العريه.

و لا- من تغلب و لا- من النمر، فإنهم كانوا بالجزيره مجاورين لليونانيه، و لا من بكر لأنهم كانوا سكان البحرين مخالطين للهند و الفرس، و لا- من أزد عميان لمخالطتهم الهند و الفرس، و لا- من أهل اليمن أصلاً؛ لمخالطتهم الهند و الحبشه، و لولاده الحبشه فيهم، و لا- من بنى حنيفه و سكان اليمامه و لا- من ثقيف و سكان الطائف؛ لمخالطتهم تجارهم الامم المقيمين عندهم، و لا من حاضره الحجاز؛ لأن الذين نقلوا صادفهم حين ابتدأوا ينقلون لغه العرب قد خالطوا غيرهم و فسدت ألسنتهم.

و الذى نقل اللغه عن هؤلاء و أثبتها فى كتاب و صيرها علما و صناعه، هم أهل الكوفه و البصره فقط من بين أمصار العرب، و كانت صنائع هؤلاء التى يعيشون بها الرعايه و الصيد و اللصوصيه، و كانوا أقوى العرب نفوساً، و أقسامهم قلوباً، و أشدهم حميه، و أحبهم لأن يغلبوا و لا يغلبون، و أعسرهم انقيادا للملوك، و أجفاهم أخلاقاً، و أقلهم احتمالاً للضيم و الذله. إنتهى كلام الفارابى.

و القصد من هذه النقول المفيده، الجواب عما لعله يتوهم من الاعتراض، و فى ضمن ذلك حصلت فوائد جمه، و إثارات مهمه، و لولا خوف التطويل و الخروج عما نحن بصدده، لأملينا من هذه الفوائد فصولاً مفيده، و أصولاً سديده.

و لنرجع إلى ما نحن فيه:

وفاه السيّد محمّد بن أحمد الحسنى النموى:

و فى هذه السنه: توفى السيّد الشريف، و السند العالى المنيف، خدين الصلات الجسيمه، و الهبات الشامله العميمه، السيّد محمّد بن أحمد بن حسين بن عبد الله بن حسن بن أبى ندى رحمه الله تعالى.

و كان هذا السيّد الجليل الأكبر، و الهمام النبيل الأفخر، درّه تاج ذوى الشرف و السياده، و غرّه جبهه أرباب الصلاح و العباده، مع كرم وفاق، انعقد على تفرّده به الاتّفاق، و عزم و شجاعه، شيد بهما مغانى غرّه و رباعه.

فتى علمته نفسه و جدوده قراع الأعادى و ابتدال الرغائب

إلى دماثة أخلاق و شيم، كالروض المخضّل غبّ (1) الديق، و مخالطه لبنى الأداب، و محادثه يستفيد منها ذوو الألباب، ناهز عمره السبعين، و هو لا يرد إلا ماء العزّ المعين. توفى رحمه الله بالطائف فى السنه المذكوره، و أعقب من الذكور: السيّد مبارك، و السيّد غيث، و السيّد عبد الكريم، و السيّد عبد المطلب، و السيّد بركات، و السيّد أحمد، و فقهم الله للعمل الأحمد.

وفاه الشيخ محمّد شمس الرومى:

و فى ثانى عشرى محرّم الحرام من السنه المذكوره: توفى الشيخ الأجلّ الأصلح الأفضل، الشيخ محمّد بن أحمد بن محمّد بن أحمد شمس الرومى.

أخذ الحديث عن شيخ الحديث بمكّه المشرفه، و رئيس المحدّثين، الشيخ عبد الله بن سالم البصرى، سمع منه الكتب السنّه و موطأ الإمام مالك، و بعض المواهب اللدنيه، و بعض إحياء علوم الدين، و أجاز به جميع مروياته، و أخذ النحو

ص: ١٩٨

و الفلك و الحساب و الفرائض و العروض عن العلامه الشيخ أحمد القطان، و أخذ الفقه عن الشيخ صالح الزنجاني، و عن العلامه الشيخ حسن العجيمي، و عن مفتي مكه المشرفه عبد الله أفندي عتاقى زاده، و أخذ بقيه العلوم عن مشايخ أجله.

و له رسائل مفيده في العلوم العربيه (1)، و له مصنف كله منظوم يناهز الأربعمائه البيت، سمّاه نتيجه المعقول في كل عدد مجهول، و له إجازة في سماع قراءه الفاتحه بينه و بين النبي صلى الله عليه و اله أربعة رجال، سمعها منه عدّه مشايخ.

و كان مشتغلا بالصلاه و التسييح، يتلو في كل يوم من الصلاه خمسه آلاف، و لا يحقد على مسلم أبدا، و كانت ولادته ليله النصف من شعبان سنه ألف و ثنتين و سبعين.

وفاه الشيخ محمد بن تاج الدين المالكي:

و في ثامن جمادى الآخره من السنه المذكوره: توفى الشيخ الجليل الفاضل النبيل، الشيخ محمد بن العالم العلامه الشيخ تاج الدين المالكي، و كانت ولادته سنه أربع و سبعين و ألف.

وفاه الشيخ محمد الأسدي المدرّس:

و في ثاني عشر شعبان من السنه المذكوره: توفى الشيخ الصالح فريد دهره، و أفقه الساده الشافعيه بمكه المشرفه في عصره، الشيخ محمد الأسدي المدرّس بالمسجد الشريف المكي، و كان هذا الشيخ من أجلّ العلماء الأعلام، القاطنين ببلد الله الحرام، و أفضلهم تقى و ديانه، و أعظمهم زهدا و أمانه.

ص: ١٩٩

و فى سادس عشر ذى الحجه الحرام انتهاء السنه المذكوره: توفى الشيخ التقى الورع الأديب، الشيخ يحيى بن الشيخ عوض بن محمد باقشير، و هو بقيه فتيه أجله، قد طلعا فى سماء الأدب أهله، ترجم أفرادا منهم صاحب سلافه العصر، مع أنّ كل واحد منهم بقيه دهر، و دميّه قصر.

و من جمله من ترجم منهم جدّ هذا الشيخ المتوفى، و هو الشيخ محمد بن سعيد باقشير، فقال (1): أديب بارع، و شاعر له فى مناهل الأدب مشارع، نظم فأجاد، و أرزم سحاب نظمه فجاد، فعلت رتبته فى التقريض وسمت، و افترت ثغور محاسنه و ابتسمت، إلى أن قال: و من شعره:

كيف التلّص من بعث الملاح و قد تبادرت لقتالى أعين سحره

تغزو لواظها فى العاشقين كما تغزوا سيوف بنى عثمان فى الكفره

و من شعره فى زيات بديع الجمال، و قد أجاد فى التوريه ما شاء:

أفديه زياتا رنا و انثنى كالبدر كالشاذن كالمهري

أحسن ما يبصر بدر الدجا يلعب بالميزان و المشتري

و من شعره فى مليح اسمه قاسم:

يا من أبى إلا الجفا قسمه للصبّ آه من جفا (2) الراحم

ما الوصل كالهجر و لكنّها ظلامه جار بها قاسم (3)

ص: ٢٠٠

١- ١) أى: قال صاحب سلافه العصر.

٢- ٢) فى «ن»: جنا.

٣- ٣) سلافه العصر فى محاسن الشعراء بكلّ عصر ص ٢١٨-٢٢٧.

و أورد له في السلافه غير ذلك من الشعر الرائق، و هو جدّ هذا الشيخ المتوفّي.

وفاه القاضي إسماعيل بن عيسى المرشدي:

و في سنه ثمان و ثلاثين و مائه و ألف: توفّي صاحبنا الأجد، الأنجد الأوحّد، القاضي إسماعيل ابن القاضي عيسى المرشدي، و كان ذا أخلاق حسنه، و صفات مستحسنه، و همم ساميه عليه، و كمالات وافرّه جلّيه، توفّي في ثالث محرّم الحرام افتتاح السنه المذكوره.

وفاه الشيخ عبد القادر الصديقي:

اشاره

و في ثامن عشر الشهر المذكور: توفّي شيخ الإسلام، و مرجع الخاصّ و العامّ، بيلد الله الحرام، الشيخ عبد القادر بن أبي بكر الصديقي الحنفي، مفتي مكّه المشرفه و قاضيها، و قد مرّ بيان توليته للقضاء.

و كان هذا الشيخ الجليل، و العالم الفاضل النبيل، معهد الفضائل الجلّيه، و معقد خناصر أرباب الهمم العليّه، و بحر العلم الزاخر، و المبرز على الأوائل و الأواخر، فسطع في سماء الفضل نوره، و تفتّق في حدائقه زهره و نوره، فأضحى و هو إمام الفضائل، و منتهى مدى السائل، و علم الافاده بمكّه على الاطلاق، و معلّم الوفاده من جميع الآفاق.

و أمّا الأدب، فروضه الممطور، و حديقته الغاصّه بأفانين الزهور، مع بلاغه قسيه و براعه، أفحم بها مصانع أرباب هذه الصناعه، نشأ في كفاله أبيه، و اشتغل مع طلاب العلم و مكتسيه، و صرف غرر أيّامه و لياليه، في تحصيل جواهره و لآليه، فما مضى عليه من الزمان مدّه، إلّا و قد نال فيها أكمل عدّه، فعدا بمكّه المشرفه مجلى حلبه الفهوم، و محلى أجياد الجهابذه بعقود نتائج المنطوق و المفهوم، فألف و صنّف، و ملأ الأسماع بفرائد فوائده و شنف.

فمن تصانيفه المفيدة، و تأليفه السديده: قطع الجدال بتحقيق مسأله الاستبدال، و تحقيق البيان فى حكم صرف رمضان، و مراجعه بعض الأعلام فيما كتب لترجيح قول النّظام، و تنبيه إخوان (١) الصفا على صحّه توكيل الكفيل بأن يعقد مع الديون بيع الوفا، و الافاده لحكم من لم يصلّ و قد أذى الشهاده، و منهل الواردين على قوله تعالى **ثُمَّ مِنَ الْاَوَّلِينَ * وَ قَلِيلٌ مِنَ الْاٰخِرِينَ (٢)** و القول الأجلّى على «و أمّا عن هوى ليلى».

و الأـجوبه المهمّه لما سئل عنه معاويه و غيره، و أجاب عنه على عليه السّلام و حبر الأّمه، و الجواب المسدّد على أسأله الجمالى محمّـد، و فتح الخلاق فى جمع فرق الفسخ و الطلاق، و تحبير التحرير فى أحكام العتق و التدبير، و العجّ و الثجّ فى شرائط الحجّ، و إلجام من ليس له بالفهم إمام عن القدح فى فتوى ذلك الإمام، و كتاب الردّ الواضح و الردع الفاضح لما كتبه بلا شعور و إمام على كتابنا الإلجام، و ما عليه المعولّ فى أحكام المحكم و المأول.

و الفتاوى الفقهيّه فى ثلاثه مجلّدات، و التذكره الفقهيّه فى مجلّد، و التذكره المنثورّه فى مجلّد، و التذكره الأدبيّه فى مجلّد.

و أمّا مشايخه العظام، فيربون على السّتين من العلماء الأعلام.

تنبيه:

تقدّم فى عنوان ترجمه هذه نسبه إلى الصديق، و هو أبو بكر الصديق (٣)، و ذلك

ص: ٢٠٢

١- ١) فى «د»: إخوه.

٢- ٢) سوره الواقعه: ١٣-١٤.

٣- ٣) و هذا اللقب من الألقاب الخاصّه للإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّلام،-

لاتّصاله بهذا النسب من جهة الامّهات، و هو أنّ والده والده المعظمه هتيه بنت الشيخ أبي بكر بن سليمان بن محمّد طاهر بن الشيخ طاهر بن علي بن إلياس بن داود بن عبد الملك بن يونس بن عمر بن عبد الله بن حسين بن سعيد بن قاسم بن نصر بن قاسم بن محمّد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن قاسم بن محمّد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق.

و أمّ والدته الطاهره الشريفه محرمه بنت السيّد حافظ بن السيّد محمود بن السيّد حافظ البخارى الحسينى. و أمّ الشريفه محرمه الشريفه المعظمه جبره (1) بنت المرحوم السيّد محمّد علي بن السيّد جلال الدين بن السيّد محمّد البخارى الحسينى خطيب المدينه المنوره. فهذا بيان سلسله الاتّصال المذكور، و له مؤلّف فى ذلك سمّاه إثبات الحكم بالنصوص الدالّه على الشرف من الامّ، و الله أعلم.

و كانت ولادته سنه إحدى و ثمانين و ألف. و وفاته ليله الأربعاء ثامن عشر محرّم الحرام من السنه المذكوره.

رثاه جماعه من الادباء، منهم سيّدنا الوالد دام فضله مع تاريخ عام وفاته،

ص: ٢٠٣

١ - ١) فى «ن»: خيرّه.

فقال:

قضت المحبّه من حكيم قادر سكنى الجنان لروح عبد القادر
مفتى الأنام خليفه النعمان فى علم و فى تقوى و طهر سرائر
استأثر البارى به لجواره عن أهل ذى الدنيا كرامه باهر
فغدوا و للأحزان فيهم صوله هى فى القلوب كصوله ببواتر
كلّ يرى كلّ المصائب فقده و يطيل مبكاه بدمع هامر
فقدوا عماد الدين ركن علومه فتوى و تدريسا و سطر محابر
فقدوا قيام الحقّ لا يخشى به فى الله لومه لائم أو نافر
فقدوا نظام الحقّ فى قول و فى فعل و فى ودّ ورعى معاشر
فقدوا التواضع و البشاشه و الرضا و الحلم و الستر الجميل لعائر
فلاهل طاعات الإله كرامه منه و للعاصى مواعظ زاجر
فقدوا فنون مكارم الأخلاق مع كلّ الأنام و وارد أو صادر
فقدته أصناف الورى و فقدته وحدى فكسرى ما له من جابر
كان الصديق لى الشفيق و عزّه عزّى و كان على زمانى ناصرى
ودّ تناول عهده ما زاده مرّ السنين سوى كريم مظاهر
فالنفس هالكه عليه حسره لولا رجائى فى الإله الغافر
عوضا بنيه أنالهم ربّ الورى عليه فى سعد و ودّ عامر
لا سيما يحيى به يحيى لنا إذ كان يخلفه و قرّه ناظر
إنّ الهلال إذا رأيت نموّه أيقنت أن سيصير بدر دياجر
هو سرّ والده علا و فضيله و مكانه تسمو بسعد وافر

یحوی مآثره و حسن سلوکه و یروعه فی کلّ خلق زاهر

ص: ۲۰۴

و له مناصبه بجدّ مسعد من منصب الافتاء و قرع منابر
إن كان هذا العقد فارق جیده من بعد تقليد بحكمه قادر
فالجيد قد يخلو مدى من عقده و إليه حتم مآله المتواتر
و الله يسعده و يسعد صنوه أعنى عليا ذا الكمال الباهر
و تراهما عضدين في حوز العلا خلفا عن الأصل الكريم الطاهر
و الله ينزله منازل رحمه و رضا و مثوى في النعيم الغامر
في رتبة الشهداء حلّ لأنّه بالعلم في أعلى مقام فاخر
فلذا أتى تاريخ (١) عام وفاته من وصفهم في الذكر أصغ لذاكر
أرّخه حيّ أدخل الجنّات لا زيد علي هذا المقال الحاصر
ثمّ الصلاة على النبي و آله و الصحب تترى كالسحاب الماطر
و له -رحمه الله تعالى- مؤرّخا عام وفاته:

إنّ عبد القادر اشتملت رحمه الرحمن مرقده

عام مثواه يؤرّخه هو بالجنّات أخلده

و للأديب وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن سليم راثيا و مؤرّخا بقصيده مطلعها:

مصاب دهي من زمان غدا (٢) فهّد من الفضل ما شيّدا

إلى أن قال:

و إن رمت تاريخ عام مضى به يا خليلي وقيت الردا

ص: ٢٠٥

١- ١) في «ن»: التاريخ.

٢- ٢) في «ن»: عدا.

فزد واحدا فى بناه تجد مؤرّخه غاب نجم الهدا

و قد رثاه غير واحد، و لولا خوف الإطاله لأوردنا لك جانبا من ذلك، و ما أوردناه كاف لما أردناه.

و قد اجتمع فى هذا الشيخ الجليل من الوظائف الدينيه المكيه، و المناصب الشريفه الحرميه، ما لم يتفق اجتماعه فى شخص من قبله. و هذا من أعظم الدلائل على علوّ قدره و نبله، كمنصب الافتاء الحنفى من قبل الدوله العثمانيه، و تدريس مدرسه أعظم ملوك آل عثمان السلطان سليمان خان، و درس السلطان أحمد خان فى المقام الحنفى بالمسجد الحرام.

و تدريس مولد السيده فاطمه الزهراء صلوات الله عليها، و خطبه مسجد نمره، و إمامه مسجد مزدلفه، و الدعاء بجبلها، و جميع الامراء السلطانيه، و المحامل العثمانيه، و شريف مكّه البهيّه واقفون بين يديه، كقاضى مكّه المشرفه، حال دعائه على جبل عرفات، و خطبه المسجد الحرام، و إمامه شريف ذلك المقام، و كتابه الانشاء الحسنى.

و نظاره الصرور السلطانيه، قائما مقام شريف الأقطار الحجازيه، و قضاء بابرناس من أعمال مصر المحروسه من طرف الدوله العثمانيه، ثم قضا مكّه المشرفه أصاله فى سنه سبع و ثلاثين و مائه و ألف، كما قد مرّ آنفا.

و اجتمع فى والده أيضا من المناصب العليه مشيخه الحرم الشريف المكي، و نيابته، و كتابه الحرم الشريف، كلّ هذا من قبل الدوله العثمانيه، لا زالت محروسه بالأسرار الربانيه، و النظر العام على مصالح الأنام من قبل شريف مكّه الشريف سعد بن الشريف زيد رحمه الله تعالى.

قال الشيخ الجليل العالم العلامه بدر الدين حسن بن على العجيمى المتقدّم ذكر

وفاته، لَمَّا رأى اجتماع هذه المناصب الساميه فى يد الشيخ و والده: لقد اجتمع فى هذا البيت من المناصب الشريفه، و الوظائف المنيفه، ما لم يجتمع فى بيت من بيوت ذوى ظهيره.

وفاه السيد عنان بن جازان الحسنى النموى:

و فى عشرى محرّم الحرام المذكور: توفى السيد الأجلّ الأعظم، و السند الأكرم الأفخم، مولانا السيد عنان بن السيد جازان بن السيد قايتباى بن الشريف الحسن ابن أبى نمى رحمه الله تعالى.

و كان من أكابر الساده آل حسن، و ممّن رقى هام المعالى بخلقه الحسن، مع طباع عريبه حسنيه، و شجاعه و كرم هما أشهر من نار على علم. توفى و لم يعقب إلا ولدا واحدا، و هو السيد الأمجد، و السند الأنجد، السيد حوذان بن السيد عنان، صحبناه فوجدناه أشرف خلف فاخر، و أفضل جامع للتليد و الطارف من المفاخر، و فقه الله تعالى لأن يكون طبق مفاد البيت المنقول.

إذا سيد منهم خلا قام سيد قؤول بما قال الكرام فعول

وفاه الشيخ عبد الله باشيخ الحضرمى:

و فى صفر الخير من السنه المذكوره: توفى الشيخ الصالح التقى الورع الفاضل، الشيخ عبد الله باشيخ الحضرمى، جدّ هذا الشيخ فى طلب العلم بمكّه المشرفه، فأحرز منه النصيب الأوفر، و لازم رئيس المحدّثين الشيخ عبد الله بن الشيخ سالم البصرى المتقدّم ذكر وفاته، و قرأ عليه كتب الحديث، و كان فى خدمته إلى أن توفى الشيخ عبد الله، ثمّ استمرّ فى خدمه ابنه الشيخ سالم المترجم فى تلو ترجمه أبيه، إلى أن توفى فى التاريخ المذكور.

و في ثامن شهر ربيع الأوّل من السنه المذكوره: قتل السيّد الجليل، السيّد الأصيل، عبد الكريم بن محمّد البرزنجي، و لقتله نقل غريب.

و هو أنّ سببه ما مرّ في فصل حوادث أياله الشريف مبارك بن أحمد من المقاتله الواقعه بين أهل المدينه المنوره و آغاوات الحرم الشريف النبوي، و ما صار بين أهل المدينه من المعاهده و المرابطه على الآغاوات و أتباعهم.

و كان هذا السيّد ممّن وضع يده في هذه المادّه، و نجله الأمجد الأفضل السيّد حسن، و أعيان أهل المدينه المنوره، فوقع منهم ذلك الأمر الغير المحمود، الذي ألجأتهم إليه العصبية من بعضهم لبعض، حتّى زاد عن الحدّ، و استحقّوا التأديب، فعرض ذلك كلّه على الدوله العليّه العثمانيه من طرف الآغاوات، مع ذكر أسماء المباشرين لذلك، فصدر الأمر الشريف العثماني بقتل بعض أشخاص و نفى آخرين.

فكان السيّد المذكور من جمله المأمور بقتلهم، و كذلك ولده المذكور، إلاّ أنّ ولده قد فرّ قبل ذلك إلى جهه مصر و تلك النواحي و بقي والده، فصعب قبضه بالمدينه المنوره، فحسّن له بعض أعدائه الخروج من المدينه إلى مكّه المشرفه و الإقامة بها، فلمّا وصل إلى مكّه قبضه الوزير المكرّم، و الدستور المعظّم، أبو بكر باشا المتقدّم ذكره في هذه الترجمة، لاّ اتصال الأمر السلطاني به، و أنفذه إلى بندر جدّه، و حبس بقلعتها عند خدامه.

ثمّ صدر الأمر بقتله، فقتل في الليله المذكوره خنقاً، و رمى في سوق جدّه، و استمرّ يوماً كاملاً، ثمّ رفعه بعض أهل الخير بشفاعه و التماس و غسل و كفنّ و دفن بجده، و هرعت الناس إلى جنازته للتبرّك بها.

وفاه الشيخ أحمد بن عمر بن عبد الكريم:

و فى عاشر شهر ربيع الأول المذكور: توفى بقيه السلف الصالح، الشيخ الأجل الأورع، الأسعد الأصعد الأرفع، الشيخ أحمد بن الشيخ عمر بن الشيخ الأكبر عبد الكبير، و هو من بيت جليل، و نسب سامى نبيل.

وفاه السيد شبير بن مبارك الحسنى:

و فى ثالث عشرى جمادى الاولى: توفى فخر بنى الزهراء، و طراز العصابه النموية الغراء، المقام الأشرف، و الهمام الأراف، السيد شبير بن مبارك بن فضل بن مسعود بن الحسن بن أبى نمى.

خمسه آباءهم ما هم أكرم من يشرب صوب الغمام

و كان هذا السيد أوحده الشرفاء، و أحد أئمه أرباب الوفاء، و مالك أزقه المجد و الفخار، و بحر الكرم الغطمم الزخار، نعم:

هو معصم الفخر الذى حاطت به أحساب أهل البيت مثل سوار

إنسان عين المجد و القمر الذى حفته أنجم هاشم و نزار

كيف لا؟ و هو غزه جبهه الدهر، و شامه و جنه الفخر، و المشرق نور طلعتة بسنا التقوى، و المتمسك من العباده الخالصه بحبلها الأقوى، مع فضل عطس صباحه، و أدب أضاء مصباحه، فطالما ترعرع فى رياضهما، و كرع من نمير حياضهما، حتى صار أخوا الفضل، و أبا الأدب الخضل، فقال فى المعانى الأدبيه و طال، و أوسع فى علوم العربيّه المجال، بفهم وقاد، و فكر نقاد.

فأتحف الادباء بفرائد أفكاره، و فوائد ابتكاره، فحملوا إلى سوق فضله بضائعهم، و نشروا بناديه الأدبى صنائعهم، فأحيا لهم زمن ابن عبّاد، فكأنه المعتصم

لابن أبي دؤاد، فكثرت منهم لديه المدائح، وتوالت منهم عليه (١) المنائح.

فمن جمله من أم سده سيادته، واستظل برواق سعادته، واسترق حرّ القريض، وجنى له زهر روضه الأريض، فديج (٢) به مدائحه السيتيه، و دوح بذكره المحافل الحسيتيه، مخلص وداده، وأسير نعمه وإمداده، سيدنا الوالد السيد محمد بن علي بن حيدر، فأورد في مدائحه الشريفه وأصدره، فقال في ديوان شعره الذي عنون جمعه باسمه، وتوجه بشريف أثره و رسمه، و قلت معارضا للقصيده السيتيه الشهيره لنابعه (٣) بني حسن، و باقع ذوى الفصاحه و اللسن، السيد الشريف أحمد بن مسعود، و مطلعها:

حّت قبل الصباح نجب (٤) كؤوس فهى تجرى مجرى الغذاء فى النفوس

ناظما هذه المعارضه فى سلك مدائحي لمولانا السيد شبير بن مبارك بن فضل ابن مسعود، و هو المجموع بأمره العالى هذا الديوان، الموالى عنايته و مودّته للناظم من أول العمر إلى هذا الأوان، و أكثر شعري القديم فى امتداحه، كما أنّ الحديث أضاء بمصباحه، و أسفر للرواه بسنا صباحه، فمنه هذه السيتيه السالكه فى منهج عمّ أبيه، تناسبا بين الممدوح و المعارض يستحسنه النبيه، و يكون وسيله لانتشارها بالمفاوضه و ضمن المعارضه، و هى:

صاح نبه للراح طرف الجليس و أدرها سلافه الخندريس

ص: ٢١٠

١-١ فى «ن»: منه عليهم.

٢-٢ فى «ن»: فديج.

٣-٣ فى «ن»: للنابعه.

٤-٤ فى «ن»: نحو.

و أجل بنت الكروم بين كرام وهبوا منهم أعزّ النفوس
خمره فى كنوز كسرى قديما أودعتها أفكار بطليموس
أخلقت (١) جدّه الزمان و أفنت قوم عاد و جرهم و جديس
كلّما أبلت الليالى كستها من برود الشباب أبهى لبوس
فهى بكر عذراء عزّت منالا عن ملوك شمّ المعاطس شوس
خفيت من لطافه عن مرامى الوهم فضلا عن مدرّك المحسوس
فهى سرّ ثوى ضمير الليالى أدرّكته أفكارنا بالهجوم
ثمّ لّمّا شرت بروق سناها بأكفّ السقاء بين الجلوس
من شهاب قد أضرّمته اقتداحا لزناد الكروم أيدى القسوس
فأرتنا فى الكأس بهرام أعلى فى سعود شأننا من البرجيس
أخفت الشمس فى النهار و أبدت أنجم الليل من حباب الكؤوس
خرق (٢) عاد أبدته تسلب العقل به قبل مزجها بالنفوس
فأدرها يا ساقى القوم صرفا صارفا شوب كل همّ و بؤس
و استثر أريجيه الشرب حتّى يخلع القوم ملبس الناموس
لا يطيب الحال (٣) فى حله الصبو ه إلا الكميت الشموس
لا و عينيك حلفه يا ابنه القوم تحاشت عن اليمين الغموس
ليس إلا تعلّلا عن لماك العذب مدحى الطلا بوصف نفيس

ص: ٢١١

١ - ١) فى «ن»: أخلقت.

٢ - ٢) فى «ن»: خرد.

و محال لولا (١) تلاعب عينيك بعقلي تحكّم الخندريس
الهوى أنت و المرام فمالى أكتّم الوجد عن عدولى العبوس
و ودادى عليك وقف فما يجدى وقوفى رسم (٢) ربع دريس
طلل غيرته هوج الذوارى و محته أنواؤها بالطموس
و لقد كان معهدا لظباء الإ نس تعطو فى ظلّه المأنوس
و لقد كان مكنسا لجوار خنس تزدرى سنا بالشموس
يتهادين فى ذراه اختيالاً بغصون قد ركبت فى طموس
يتهادين بينهنّ قلوبا شغفها العشق لأثمار الفردوس
و يرقعن بالعيون كوى الأ ستار حبّ المغازل المأنوس
معلم لم يزل يرجى إليه العيس حسرى تحنّ للتعريس
جمعت علّه التناسب فيه بين نضو الهوى و نضو العيس
نشتكى ما بنا إليه و يشكو فعل دهر أودى به بالدروس
لا ابالى بالدهر أنى منه فى أمان مؤطد التأسيس
فى حمى لا يرام فى كنف الندب شبير صدرا للهام الخميس
الهام الحلاحل الأبلج الشهم المفدى بين الورى بالنفوس
أوحد الدهر غره الفخر سا مى القدر طود (٣) العظام البرعيس
أريحي ضرب إذا انتدب القوم بدارا فى يوم حمى الوطيس
ص: ٢١٢

١- ١) فى «ن»: و محال أو كما.

٢- ٢) فى «ن»: وقوفى فى رسم.

و هو ثهلان دو الهضاب فقارا (١) فى ندى يضم كل رئيس
الكريم الذى إذا جاد أبصرت عباب الأمواج فى القاموس
و استمدّ السحاب بعض أياذيه فوافى بالمستهلّ العجوس
و الشجاع الذى صال فى الروع فحدّث عن فارس أو فروس
و إذا ما سطا فهيئات هيهات تصدّحتوف بالتريس
و الأريب (٢) الذى يرى من مبادى كل أمر يقاس أقصى المقيس
و إذا جال رأيه يوم خطب أشرق الفجر فى الظلام الغميس
شيم خصّه بها من له الخلق تعالى من منعم قدّوس
كيف لا و هو من صميم ذوى التطهير فى الذكر من صدى التدنيس
أخلص الله ذاته فهو كالبتّر المصفى من شايب التدليس
و جرى فى القلوب صفو هواه فهو كالماء فى مجارى الغروس
و سرت من ثنائه نفحات أرّجت بالشذا بطون الطروس
و توالى مناله دعوات ترتقى فى البكور و التغليس
هاك من جوهرى المنظم عقدا يشتري بالوداد لا بالنفيس
ليس يلفى فيما جلاه زياد من قريض على أبى قابوس
و استمعها من مخلص بك أضحى مسعدا فى زمانه المنحوس
أسعفته الأقدار فاستخلصته لك بالودّ فى أعزّ النفوس
لا برحت الزمان ترفل فى ثوب نعيم من أفخر الملبوس

ص: ٢١٣

و ابق لى ثم للأنام فكل راتع فى جنابك المحروس

ما حدا سائق و ما سار ركب نحوكم فى إطاعه القدوس

ثم قال أيضا-رحمه الله تعالى-فى الديوان المذكور: و قلت فى مديحه حرسه الله تعالى، و أدام وده حقا توالى، معارضا لشاعر اليمن إبراهيم بن صالح المعروف بالمهتدى، و غيره من الفضلاء، فى تضمين بيتين لطيفين للبدر يوسف بن لؤلؤ الذهبى، و هما «أحمامه الوادى بشرقى الحما» و الذى بعده (1)، و أول من ابتكر ذلك جمال الإسلام على ابن الإمام المتوكل، و مطلع قصيدته:

صب يكاد يذوب من حرّ الجوى لولا انهمال جفونه بالأدمع

و تلاه الفاضل الأديب، فرع بيت الوزاره، النجيب السراج، عمر بن محمد على ابن سليم، و مطلع المشعر بشوقه إذ ذاك إلى جوار البيت الكريم:

ذكر الحما و حلول وادى لعلع صب ففاضت مقلته بأدمع

ثم المهتدى مادحا للمذكور و مطلعته:

أنسيت مرتبعا بذات الأجرع و منازل بالرقمتين فلعلع

و ما أحسن قوله فى المديح:

و إذا تكدست الصلادم فى الوغا بالدارعين و سجبها لم تقلع

إلى أن قال:

و افاك كالرثال يزأر تحته جبل يجول على الرياح الأربع

فقلت ناسجا على منوالهم، مستهديا بتيارات أقوالهم:

نشر النسيم شذا الربا من لعلع فشطفاً كناف الحجون الممرع

ص: ٢١٤

مستودعا من عرب ذِيَاك الحمى سرّ الهوى و حديث تلك الأربع

وافى سحيرا و الرفاق بهجعه متطلّبا بين المضاجع مضجعى

فكأنّما هو عالم لَمَّا سرى إنّ المتيّم طرفه لم يهجع

ذكر العهود و لم يذكر ناسيا فأثار كامن لوعتى (١) من أضلعي

فأمّد (٢) قلبي فى حبات غيّه و أمدها بحبات من أدمعى

و تزايدت حرقى فهبّ من الكرى صحبى انبعاثا عن جنان (٣) مروّع

و غدوت فيهم بين خطب مسائل جهلا و آخر عارف مسترجع

و أتى عدولى للملام مردّدا ذكر الأحبه و الديار البلقع

فاصخت سهما للعدول و ما درى ذاك الجهول لمن أصاغت مسمعى

و لطالما قد قلت معتذرا له مهلا فإني لا أرى قلبى معى

حتّى إذا صدحت على أيك الحما و رقاء ذات ترّجع و تولّع

صدعت و قد صدحت بسرّى فى الهوى ودعت حديثى و العواذل لا تعى

و تنوح نوحى غير أنّى باذل للدمع و هى ضنينه بالأدمع

أبشّتها سرّى و قلت مؤمّلا منها مقاسمه الحنين الموجع

أحمامه الوادى بشرقى الحما (٤) إن كنت مسعده الحزين فرجعى

و لقد تقاسمنا الغضا فغصونه فى راحتك و جمره فى أضلعي

ص: ٢١٥

١-١ فى «ن»: أصلعى.

٢-٢ فى «ن»: فأمّر.

٣-٣ فى «ن»: جناب.

٤-٤ فى «د»: الفضا.

حاشاك من أنى أقول معاتباً ورقاء ذات تعزّز و تمنّع

نوحى جوى أو فاسجعى طرباً على فنن الربا غبّ السحاب الهمّع

أولست فى روض حكّت أزهاره أخلاق مولانا الهممام الأروع

أعنى شبيرا من تسامى مجده مترفعا فوق الأثير الأرفع

هو منجدى يوم الخطوب و مسعدى عند الكروب و ناصرى فى المجمع

و هو الذى استصفى لباب موذتى متملكا رقى بغير تصنّع

أبقى لنا البارى شريف وجوده متمتعا فى كلّ خير ممتع

ما غنّت الورقاء فى فنن و ما جادت غوادى المزن ربوه لعلع

و قال أيضا قدّس الله روحه: و قلت على وزان قصيده السيد أحمد بن مسعود رحمه الله تعالى المشهور، و مطلعها: «ألا هبى فقد بكر النداما» مادحا مولانا السيد شبير المتقدم ذكره الشريف، و أصدرتها إليه من مكّه المشرفه، و هو إذ ذاك المتولّى أحكام المدينة المنوره عن الشريف أحمد بن غالب رحمه الله تعالى، و ذلك فى سنه (١١٠٠) مائه و ألف:

سما المزن منسجما تهامى فجاء سما يثرب من تهاما

وصبّ (١) رهامه فارتاح صبّ تسامى وده عن أن يساما

و شام بريقه شاما فأضحى حسام جوى على الأحشاء شاما (٢)

وطاب بطيبه الغراء نشرا نسائم فوقها نشرت غماما

فهبّ لها الندامى حين هبّت و مّج المرج من ظلم النداما

ص: ٢١٦

١- ١) فى «ن»: و هبّت.

٢- ٢) فى «ن»: ساما.

وزمجر رعدھا و الرعد وعد یرجى آمل منه الثاما
فسرّ بفاله الميمون راج تجهم أن یرى نوء جهاما
أتدرى المعصرات إذا استقلت عصيرا إن لى دمعا ركاما
و إن قصارها أنبات روض ترى فيه ثاما أو خزاما
و دمعى فى قلوب اهیل ودی یصوب فینبت الوصل المداما
وهب إن السحاب أتى بغيث فعم به الأهاضب و الأكاما
أليس حيا ندى (١) المولى شيرا بحيث النقع منهمر سجاما
و ما التشبيه قصدى غير أنى ذكرت الشىء بالشىء انتظاما
أيشبه ذو بكاء وقت جود فتى يهب ابتهاجا و ابتساما
نوال الغيث فى الأزما تيرجى و أن نواله الهامى دواما
و للأطار قد يلقي محبّ و قال عن مواقعها تحاما
و هذا الخلق طراق و دّ لسيدنا اتفاقا و الثاما
وراعيت النظر لهم بمدحى فأهديت الرقيق له نظاما
هو الحرم (٢) الذى تهوى إليه لفرض الحج أفئده هياما
هو ابن مبارك المسعود جدّا إليه الفضل يعزى حيث حاما
له النسب الشريف عمود فخر بباحه بيت أهل البيت قاما
له المجد الطريف إلى تليد تملك من مقادها الزماما
و نفس فى العلا أحيت عصاما كما أحيت به تلك العظاما

ص: ٢١٧

أحاديث المكارم عنه تروى تفيد الصدق في مثل حذاما
أياديه المواطر حين تهملى يكون ربيعها المنن الجسماما
سلام الله يا مطر عليها و ليس عليك يا مطرا سلاما
إضافه جوده صحت إليه فدع من لاهمه إلفا ولاما
مساعيه إلى درج المعالى هي السعدان سيرهما استقاما
فإن يلحظ بأفق نجم نحس يعدّ في الحال سعدا مستداما
و ميمون النقيبه حيث ولى رشيد الرأى أين نحا وراما
إذا ما اليأس أظلم فى رجاء ففرتّه الصباح جلا الظلاما
إذا ما حلّ أرضا فالأراضى تقاسى غيره منها غراما
أليس (١) ترى البلاد تجاذبته فبلغها المنى سفرا مقاما
رأى جبر القلوب لها جميعا كما اعتادت خلائقه لزاما
و أثر ذاك فى الحرمين حتى تخالهما مشوقا مستهما
فإن تك يثرب غلبت عليه أباطح أرض مكّه لا ملاما
هو الفرع الذى مال اتّصالا إلى الأصل الذى فيها أقاما
إلى أصل الوجود و منتهاه قوام الدهر كونا و انتظاما
شفيع الخلق نور الحقّ طه له الصلوات أهدى و السلاما
أيا نجل الكرام أتاك مدحى يسوق إليك عذرا و احتشاما
أتى (٢) و مديح جدك فى قران بطالع سعده جدّى تساما

ص: ٢١٨

و خير الشعر أكرمه رجالا و خير القول أشرفه مراما

بهذا السعد نطت (1) عرى رجاء به أطفى من الشوق الأواما

لعلّ الله يدنينى مزارا لمشهد حضره شرفت مقاما

لئن أوجزت فى الهادى مديحا فتلك فريده زانت نظاما

ختام الأنبياء جعلت مدحى له فى النظم من مسك ختاما

و له فيه غير ذلك من القصائد الشعرية، و اللمع المزهره الثرية، و الكتب المنضّده بدرر الأدب الورىف، المتوّجه باسمه العالى الشرىف، كنجح أسباب الأدب المبارك، فى فتح باب قرب المولى شىبر بن مبارك، استعطف به خاطره الشرىف العالى، حين فهم منه بعض العتب على ذلك الموالى، و ديوان أشعاره حيث كان هو الأمر بجمعها و تدوينها.

و من جملة من مدحه و أثنى عليه، حين حضر مجلسه الشرىف، و رأى ارتياح الابداء إليه، أديب العصر صاحب سلافه العصر، السيد على (2) بن أحمد نظام الدين، بقصيده نويته عارض بها نويته السيد أحمد بن مسعود المتقدم إثباتها فى ترجمته (3)، و لم يحضرنى ديوان شعره، حين هذه الكتابه، فأنقل منه القصيده المطلوبه، إلا أنّى أخذت منها بيتين، و هما بيتا القصيد، أحدهما فى الغزل، و الثانى فى المديح السامى المشيد، أمّا الذى فى الغزل هو قوله:

لا يستوى البدران بدر غدا ملقى على الأرض و بدر مصون

ص: ٢١٩

١-١ فى «ن»: بسطت.

٢-٢ تقدّم منّا تفصيل ترجمته، فراجع.

٣-٣ راجع: سلافه العصر ص ٢٨-٣٠.

و أمّا الذى فى المديح فهو قوله:

مديحك السامى كبحر طما لذا أتت قافيتى فيه نون

و مدحه غير هذين الأديبين، و السيدين النسييين، و ناهيك بهما فضلا و أدبا، إذ هما تاجا رؤوس الفضلاء و الادباء، و لو لا خوف الإطالة لأوردنا لك غير ذلك ممّا مدح به هذا الشريف المالك، فافتنينا بما رقمناه، لكونه من أعلى طبقات الشعراء و أجوده.

توفى -رحمه الله تعالى، و أولاه هواطل رحمت توالى- فى اليوم المذكور، و صلى عليه بالمسجد الحرام، و الرئيس يخطب فى المقام، و دفن بالمعلاّ، فى القبر المقابل لباب قبة السيّد خديجه زوج النّبى صلى الله عليه و اله.

و ممّن أرّخ وفاته الأديب وجيه الدين عبد الرحمن بن على بن سليم، فقال:

قل للذين دهوا بمصرع سيّد ما إن له فى المكرمات نظير

لا تحزنوا فجوار خالقه له خير و كلّ للفناء يصير

و بسيد الكونين اسوه من مضى و الدهر خصم بالرجال بصير

هيئات لا يبقى سوى الملك الذى عاد الأمير إليه و المأمور

أين الاولى كانوا صدور زمانهم وارتهم تحت التراب قبور

غزتهم الدنيا فلا عين و لا أثر و جلل ما بنوه دثور

طوبى لمعتبر تيّقن أنّها زور و أنّ خليلها مغرور

ذاك الذى عرف الحقيقة قانعا منها (١) بما يكفيه و هو كثير (٢)

ص: ٢٢٠

١- ١) فى «ن»: ملها.

٢- ٢) فى «ن»: كبير.

فاستعصموا بالصبر فهو أجل ما يوصى به ورفيقه مأجور

و بغايه الفرج المحقق أرخوا حقا إلى الفردوس زف شبير

و أعقب من المذكور ثمانيه:السيد باز،و السيد عبد المحسن،و السيد سعد، و السيد سرور،و السيد غيث،و السيد حمود،و السيد فهيد،و السيد عبد العزيز، و فقههم الله تعالى لمراضيه.

وفاه الشيخ سعيد بن محمد القطبي:

و فى سابع عشرى شهر رجب:توفى الشيخ الأمجد،و المقام الأنجد،الشيخ سعيد بن محمد القطبي،و كان ذا فضيله لا بأس بها،و ثروه زهيده ظهر بسببها، صحبناه فحمدنا طباعه،و شكرنا مسالكه و أوضاعه،و هو من بيت مؤصل،و عقد بفرائد العلماء مفصل،توفى بالطائف فى التاريخ المذكور،و دفن بمقبره حبر الامه سيدنا عبد الله بن العباس رضى الله عنه.و أعقب من المذكور أربعة:أحمد،و سعد، و كبير،و حسن.

وفاه الشيخ حسين بن محمد العصامى:

و فى ثانى شهر شعبان من السنه المذكوره:توفى الشيخ الفاضل الشيخ حسين ابن محمد العصامى،أخو الشيخ أحمد المذكور سابقا،و كانت وفاته ببندر جدّه فى منصب الإفتاء بها على مذهب الإمام الشافعى.

وفاه السيد إبراهيم بن نعمه الله القادري:

و فى عاشر رمضان:كانت وفاه المقام الجليل،و الهمام المعالى النبيل،ذى الكرامات الباهره،و الهمم العليه الفاخره،السيد إبراهيم ابن الولى العارف الشهير السيد نعمه الله المتقدم ذكر وفاته فى سنه ستّ و أربعين و ألف.

و قد بسطنا الكلام هناك فى بيان سلسله نسبه الشريف المتصل بقطب دائر

الوجود السيد عبد القادر الجيلاني، و في نسب سيدنا القطب عبد القادر المذكور أيضا، و ما اطلعنا عليه من النقول المختلفه من غير ترجيح منا (١)، فراجعته ثم تجده مفصّلا.

و كان هذا السيد نادره دهره، و وحيد عصره، في بذل جاهه العالى في مصالح المسلمين، و تسديد امور الملتجئين بحضرتة الساميه و الملتزمين، فداره الشريفه مأوى الوفود، و ركن اللائذ المضهود، و كان مسكنه مقاصا (٢) لضريح والده، فقام بحقوق طلاب جاهه و فوائده، توفى في اليوم المذكور، و دفن عند والده.

و أعقب من الذكور ولد اسمه السيد محمد، انتقل عنه صغيرا لم يبلغ حدّ الاشتهار، و إنما يرجى أن يضارع هلاله الأبدار.

وفاه العلامة يحيى بن محمد الطبري:

و في ذى القعدة من السنه المذكوره: توفى الإمام الأطهر، و الهمام الأجلّ الأفخر، الإمام يحيى بن الإمام محمد الطبري، و كان مفتى الساده الشافعيّه بمكّه المشرفه البهيّه، و هو من عصابه شريفه، و ذؤابه مراتبهم في العلوم منيفه، لهم غرر معروفه و حجول.

إذا مات منهم سيد قام سيد قؤول بما قال الكرام فعول

و لعمري لقد صدق أديب العصر، حيث قال: و الطبريون ساده من غير الفضل

ص: ٢٢٢

١ - ١) و كلامه هذا يدلّ على توقّفه في صحّحه نسب عبد القادر الكيلاني، و ذلك لعدم تأييد صحّته من ناحيه صاحب عمده الطالب، كما تقدّم.

٢ - ٢) أى: تجاه قبر والده.

وفاه الشيخ عبد الهادي المؤرخ:

و في رابع ذى الحجة الحرام من السنة المذكورة: توفى الشيخ الأبرّ، والفاضل الأ-كبر، فريد العقد الثمين، ومؤرخ بلد الله الأمين، الشيخ عبد الهادي بن محمد الطاهر، وكان هذا الشيخ للفضائل النامية خدنا، وممن برع بمكّه المشرفه فضلا و سنا، وجنى من رياض العلوم زهرا، فصار للمحامل الساميه صدرا، مات مناهزا للتسعين، وهو في الفنون العلميه من المتسعين، وخلف ابنا رأيناه و شاهدنا منه مطابقه اسمه لمعناه، وفقه الله تعالى، وأواه أطفافا توالى.

وفاه الشيخ محمد العباسي:

و في سنه تسع و ثلاثين و مائه و ألف: توفى الشيخ الصالح التقى الأورع، الشيخ محمد العباسي، وكانت وفاته ثالث عشر محرم الحرام من السنه المذكوره، و بوفاته انقرض هذا البيت من مكّه المشرفه، إلا إن صحّ نسب اخرى (٢) من السجيين ينتسبون إلى هذا البيت، غير أنّي لا أرجحه.

وفاه السيد عامر بن يحيى المساوي:

و في ثاني عشر صفر الخير من السنه المذكوره: توفى السيد الجليل الصالح، السيد عامر بن يحيى المساوي.

وفاه الشيخ عبد الله بن أحمد المكي:

و في عشر ربيع الثاني من السنه المذكوره: توفى الشيخ الجليل الأفضل، الشيخ

ص: ٢٢٣

١-١) سلافه العصر ص ٤٢.

٢-٢) في «٥»: آخرين.

عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف، و كان هذا الشيخ ذا أخلاق حسنه، و محاورات مستحسنه، و هو من بيت فضل و أدب، و اجتهاد فى تحصيل الفضائل و طلب.

وفاه السيد أبى بكر بن محمد بن سيف:

و فى ثانى عشر جمادى الثانيه: توفى السيد الأجل، الكهف الأضل، السيد أبو بكر بن محمد بن سيف، و كان هذا السيد ذا رئاسه و زعامه، أناف بهما صيته و مقامه، و رفل فى حلل الافتخار، و لم يدر أنه مخلوق من صلصال كالفخار، فأرهب و أخاف، و أجاد بهما الاختطاف.

و لم يزل ببندر جدّه على هذا الحال، و هو عند الدولتين فى غايه الاجلال، فكأنه نبراس سمار، حتى جوزى من صاحب الترجمه جزاء سنمار، فاعتقله فى حبسه الأظلم، و قلّد عنقه الأدهم، فنكس علمه، و أشمت به من ظلمه، و لم ينحل ذلك الاعتقال، إلا بمبلغ عظيم من المال.

ثم رحل إلى جدّه و مكث بها، غير متعلّق بسببها، إلى أن رحل إلى الديار اليمتيه، و أسرع ما عاد فصدفته المنيه، فتوفى ببندر اللحيه، فى التاريخ المذكور بعد مرض شديد، و تنوع من الأكسال مديد، فشبها لهذه الدار، فلعمري إنّها كنانه الأكدار

دار متى (١) ما أضحكت فى يومها أبكت غدا تبا لها من دار

وفاه السيد محمد البخارى:

و فى ثالث عشرى رجب من السنه المذكوره: توفى السيد الجليل، و الشابّ الصالح النبيل، السيد محمد بن السيد حسين البخارى.

ص: ٢٢٤

و بوفاته انقرض هذا البيت من مكّه المشرفه، و لم يبق منه أحد أبدا.

و قد خدش هذا البيت فى عدم صحّحه نسبة الحافظ العلامه أبو عبد الله محمّد جار الله (1) بن عبد العزيز بن فهد الهاشمى العلوى فى رساله سئل فيها عن خمسه بيوت: بيت البخارى، و بيت الطبرى، و غيرهما، فخدش بيت البخارى، و غيره من البيوت المذكوره، و الله أعلم بالحقائق.

التوسعه فى بناء مسجد الحرام:

و فى هذه السنه: رفع جميع ما كان برواق المسجد الحرام من البلاط، و وضع بدله حجر منحوت كالذى قبله، و ذلك من باب سيدنا على عليه السلام، متصلا بباب السلام، ثم إلى باب الزياره، حتى لم يبق بتلك الجهات شىء من البلاط، و صارت الرواقات كلّها منتسقه بنوع واحد، و كحل ما كان سابقا من الحجر المفروش قديما بالنوره، و هو من جمله صنائع الدوله العثمانيه؛ لأنّه وصل من طرفهم مبلغ عظيم إلى متولّى بندر جدّه الوزير أبى بكر باشا ليصرفه على عماره عين مكّه و مسجد مكّه على النمط المذكور، فشرع فى عماره العين حتى لم يبق فيها خرابا إلا أصلحه، ثم شرع فى العماره المذكوره.

هجوم العساكر فى بندر جدّه على الأفرنج:

و فى هذه السنه: صارت حادثه ببندر جدّه المعمور، و هى ثوران العساكر الروميّه و العامّه على الأفرنج الواصلين فى تلك السنه، و هجموا عليهم فى بيوتهم، و قتلوا ثمانيه أشخاص من كبارهم، و نهبوا ما كان بالبيت من الأموال النقديّه

ص: ٢٢٥

١ - ١) هو صاحب المآثر و الكتب القيمه فى تواريخ مكّه المكرّمه، منها كتابه نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى، و غيره.

و العرضيه.

و سبب ذلك: أنه كان من جمله خدامهم جماعه من المسلمين، حاولوا الفكاك منهم بواسطة متولّى بندر جدّه أبى بكر باشا المذكور سابقا، فلم يتمّ لهم مطلوبهم، و ردّوا عليهم، فأوقعوا فى بعضهم قتلا خفيا، فأطلع على ذلك من العساكر و الرعيه، فهجموا عليهم، و فعلوا ما مرّ ذكره، فاضطرب حضره المتولّى اضطرابا شديدا، خوفا من الدوله العليّه، فتدارك الأمر، و شرع فى قمع العساكر، و جمع تلك الأموال المفترقه فى أيدي الرجال، فحبس و صلب، و سلك أنواع السياسات مجدّدا فى الطلب، إلى أن وقع على جانب كبير، و بقى مبلغ يسير.

ثمّ نزل فى أثناء القضيّه شريف مكّه المشرفه لإعمال آرائه الوضيئه، و استصحب معه قاضى الشرع الشريف، و شيخ الإسلام، و غيرهما من ذوى الحلّ و الإبرام، و نزلوا بخارج جدّه، فانحلت بوصولهم عن سكّانها الشدّه؛ إذ لم يزل متولّىا سالكا سبل الشناعه فى أهاليها.

ثمّ بعد وصولهم استقرّ الحال على ضبط ما حصل من الأموال، و توفيه ما نقص من ذلك النزر اليسير، من مال حضره الوزير، و إصدار رجلين سديدين، و معتمدين و شيدين، أحدهما من طرف حضره الشريف، و الآخر من طرف الوزير المذكور، و يكتب معهما محضر بصوره الواقع، و إذا وقع أمر الله ليس له من دافع.

وفاه السيد شبر بن حسن الحسنى النموى:

و فى هذه السنه: توفّى السيد الشريف، و المقام العالى المنيف، مولانا السيد شبر ابن حسن بن مسعود بن جود الله بن حسن بن أبى ندى فى أرض نجد، و دفن بها.

ص: ٢٢٤

و كان ذا خلق حسن، و تدبّر ينذب الاقتداء به ويسن، مع أدب (١) جمّ، و كرم شمل به وعمّ، و أعقب أولاداً، من جملتهم: السيّد مبارك، صحبناه بمكّه المشرفه، فرأيناه فرعا فاق أصله، و فقه الله تعالى لمراضيه.

وفاه السيّد محمّد العاملي الموسوي والد المؤلّف:

و في يوم الإثنين ثاني شهر ذى الحجّه ختام السنه المذكوره: توفّي علم ذوى الفضائل، و معلّم كلّ طالب وسائل، عن حلّ غوامض المسائل، علامه زمانه، و فهّامه معاصريه و أقرانه، سيّد و والدى، و سندی في طارفي من العلوم الناميه، و تالدى الإمام الأكبر، و الهمام الأفخر، السيّد محمّد بن علي بن حيدر، قدّس الله روحه، و أغدق بوابل الرحمه ضريحه (٢).

ص: ٢٢٧

١-١) في «د»: أدم.

٢-٢) و قد كتبت ترجمته حسب ما وصل لديّ من كتب التراجم في مقدّمه كتابه تنبيه و سنى العين، ثمّ عثرت على المجلّد الثالث المخطوط من كتاب تاريخ مكّه المعروف بإتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولايه بنى الحسن، لجمال الدين محمّد بن علي بن فضل الطبري المكي المتوفّي سنه (١١٧٣) و أصل النسخه محفوظه في خزانه إحدى مكاتب القاهره بمصر، و الكتاب حول ترجمه أشرف امراء مكّه المكرّمه، و قد طبع المجلّد الأوّل و الثاني فقط. قال: و في يوم السبت من رجب سنه (١١٣٥): جمع الشريف و الباشا جماعه من أبناء مكّه و من أبناء العجم المتولّدين بمكّه، وجدوا لهم مكاتيب في الدبش المنهوب على مبارك، و تبعه منهم مكتوب لعبد الرحمن بن سليم كاتب الصرّ، و عبد الله سنجق دار، و أحمد طاجين و ولد الكتاب و غيرهم، فطلبوهم و لم يظفروا بهم، فأقعدوا-

فلعمري لقد كان باقعه ذوى البلاغه و الفصاحه، و الصادع بصواقع مقوله فؤاد ابن وائل و ابن المراغه، مقتر علوم الأدب و محررها، و منور رياض البلاغه و مزهرا.

إن هز أقلامه يوما ليعملها أنساك كل كمي هز عامله

و إن أقر على رق أنامله أقر بالرق كتاب الأنام له

أما الشعر، فهو روضه الأريض، و ميدانه الطويل العريض.

و أما النثر، فهو ابن خاقانه، و صاحب نكته، و بديع جمانه، طالما خطبته ملوك

ص: ٢٢٨

مكّه المشرفه لمنصب كتابه الإنشاء، لتلاعبه بجواهر الألفاظ و أبكار المعاني كيفما شاء، فتاره يحرزون منه ذلك، و تاره يمتنع امتناع الزاهد في هذه المسالك، و سأثبت لك منها ما يقوم بينه هذه الدعوى، ممّا تهوى إليه الأفتده و تهوى، مع ما مرّ بك في غضون هذا الكتاب، من شعره الفائق و نظمه المستطاب، لكن لا بدّ من زياده إيضاح لهذا البيان، حتّى تقول لا قريه وراء عبّادان.

و أمّا بقيه العلوم، فلم يكن منها عنده غير معلوم، غاص في بحارها فكره السباح، و سلك سبل سباسبها و ساح، فاستخرج منها درر القلائد، و عاد من سياحته بغير الفرائد، فألّف في جميعها و صنّف، و ملأ الأسماع بفرائد فوائده و شنف، و سأملئ عليك من أسمائها، ما تعرف به ارتفاع سمائها.

و هي: إقتباس علوم الدين من النبراس المعجز المبين، تكلمّ فيه على الآيات الأحكاميه، و هو كتاب لم يصنع مثله في سعه مباحثه المتنوّعه في الاصولين و الفروع الفقهيّه، و هو مجلّد كبير.

و كنز فرائد الأبيات للتمثيل و المحاضرات، عارض به كتاب القطبي الذي سمّاه التمثّل و المحاضره بالأبيات المفرده النادره، و زاد عليه ثلاثه أمثاله، مع اختراع لم يحم حول مثاله، و ناهيك بما يحتاج إليه مثل هذا الجمع من سعه الاطلاع، و طول الباع، خدم به السيّد الشريف الأكبر، مولانا السيّد أحمد بن سعيد بن شبر، رحمه الله تعالى و أولاه أُلطافا توالى.

و ثواقب العلوم السسيّه في مناقب الفهوم الحسسيّه، و موضوعه بيان تعريف الملكات اللسانيّه المضريّه، و كيفيّة تحصيلها مع حلّ لكثير من الأبيات الشعريّه، و ذكر مفاهيم لبعض ملوك مكّه المشرفه صادفت الصواب، و هو كتاب مفيد جدّا، خدم به حضره مولانا السيّد الشريف ناصر بن أحمد الحارث رحمه الله تعالى.

و تنبيه وسنى العين فى المفاخره بين بينى السبطين (١)، بناه على عبارته لصاحب عمده الطالب فى أنساب آل أبى طالب، صرح فيها برفع بنى الحسن على بنى الحسين عليهما السلام، بل ترقى إلى أفضلتيه أحدهما على الآخر بزخارف المين، و ما ذاك إلا لكونه من بنى الحسن، فهوت به العصبية الواهيه واديا غير حسن، حتى أساء الأدب، و تناسل عليه اللؤم من كل حدب، فسلك والدنا رحمه الله تعالى فى هذا الكتاب مسلك الانصاف، و بين ما لكل من الفريقين من المفاخر العاليه الأوصاف، فإذا استوعب الناظر، ما لكل منهما من المفاخر، علم بل قضى بالصدق للآخر.

ثم و لا يخفى عليك ما يحتاج إليه من سعه الإحاطه، حتى يسدّ سهمه فيما جعله غرضه و مناطه، و هو مجلد ضخّم.

و كتاب رجل الطاووس إذا تبختر القاموس، جعله كالحاشيه عليه، و ضمّنها زيادات مع إيرادات حقّها فى طيّ الصحائف إليه، و فى الإسم نكته لطيفه لا تخفى على ذوى الأفهام الشريفه، برز منه سفر مفيد.

و كتاب الحسام المطبوع فى المعقول و المسموع فى علم الكلام، و موضوعه أشرف موضوع (٢)، لأنّه منطو على المباحث المفيده، و المطالب السديده، و هو مجلد كبير.

و كتاب الأنواء المبكره بشرح خطبه التذكره، شرح فيها خطبه تذكره الشيخ

ص: ٢٣٠

١ - ١) طبع هذا الكتاب النفيس بتحقيقى فى هذا الأوان، و نشرته مكتبه العلامة الآيه المرحوم السيد شهاب الدين المرعشى النجفى قدس الله سرّه الشريف.

٢ - ٢) فى «ن»: مطبوع.

داود الحكيم، و ناهيك بها في سعه مباحثها المتعلقة بعلمى الكلام و الهيئه.

و كتاب الفوائد الجليله في إعراب أبيات الخزرجيه، و هو أيضا كتاب مفيد.

و كتاب رى الوارد و الصادر في بيان أسماء المصادر.

و كتاب مذاكره ذوى الراحه و العنا، في المفاخره بين الفقر و الغنا (١).

و كتاب نجح أسباب الأدب المبارك في فتح باب قرب المولى شبير بن المبارك، استعطفه به، و قد مر ذكره في ترجمه السيد شبير رحمه الله تعالى.

و كتاب مطلع بدر التمام من قصيدتى أبى تمام، شرح فيه قصيدته الرائيه و الميميه أحسن شرح لكونهما مغلقتين.

و له رحمه الله تعالى غير هذا المرقوم، من رسائل و حواش تقف دونها الفهوم، و كتب بخطه الشريف كتبا عديده، و شحها بفوائد مفيده، من جملتها القاموس، كتبه مرارا مع ضبط يرجع إليه، و يعتمد في النقل عليه، و غيره من الكتب المعتمده الأديبيه (٢)، كالجمهره و غيرها، و كتابه بعض الحواشى عليها.

هذا، و قد وعدتكم بإثبات شىء من نثره و نظمه، لتعلم قوه ملكته في الصناعه الأديبيه و رسوخ قدمه.

فمن نثره البليغ: رساله أنشأها بالطائف سنه (١١١٤) أربع عشره و مائه و ألف، و بعث بها إلى أديب ذلك العصر، السيد على بن أحمد بن معصوم صاحب سلافه العصر، معتذرا إليه، و هو بالمشاه عن رحيله إلى (٣) الطائف مع إقامه السيد بها،

ص: ٢٣١

١- ١) طبعت هذه الرساله في مقدمه كتاب تنبيه و سنن العين.

٢- ٢) و له ديوان شعر، نقل عنه في كتابه هذا.

٣- ٣) في «ن»: عن.

و هي من آيات البلاغه، و معجزات الصياغه، و هي:

أهلّ وادى المثناه إنّ حكم الد هر يبين عن سو حكم و يعاد

فعزّامى قربا و بعد عزّامى و ودادى وصلا و صدّا ودادى

هذه صحيفه اعتذار، بل صفيحه بتار، فتكت بفؤاد الراقم، ثمّ ساورته فى الطروس مساوره الأرقام، و خطّ حاكه القضاء و القدر أبداع
حوك، و وقف كاتبه بين الكيس و النوك، أراه و كأنّ سطوره أغصان شوك.

يردّ على المرء فى أيام محنته حتّى يرى حسنا ما ليس بالحسن

كلّا و القمر، و الليل إذا أدبر، و الصبح إذا أسفر، لئن عزم المحبّ على السفر، و قابله منه اليمن و الظفر، و كان حظّه منه الأوفر، و قد
عذر المولى فى الفراق و غفر، فسيصلى منه سقر، و ما أدراك ما سقر، نار شوق يلتهب، و تقسّم فكر للرقاد ينتهب، و نفس لؤامه
كلّما أنيمت تهب.

غربه فارضيّه و غرام عامرى و محنه علويّه

و العيش أسعدك الله كالجيش، منتظم الأمر بعيدا عن الطيش، إن لم يكن كذلك أضلّ المسالك، و أورد المهالك، أميره القلب
القارّ، و سلاحه تصرّف الأفكار، و عتاده السكن بالأهل و الولد، و زاده الانس بالصحاب و أهل البلد، و أين القلب فيحكم له
بالقرار، و هو المقيم لديكم إذا علا- الجسم الأكوار، و أنّى بالفكر و هو الزبيق الفرّار، و الشوق النار، و كيف السكن و الانس عند
من يرى أنّه استبدل الجنّ بالإنس.

و ما ينفع الحرّان ذا اللوح أن يرى حياض القرى مملوءه لا يذوقها

فلا أقلت شخصى قدم، و لا أقلت من ندم، و لا أقلت من سدم، إن لم أكن أرى

وجدانا كلّ شيء بعدكم عدم. نعم يا مولانا أعتذر عن الرحيل، بأنّ جنابى (١) محيل، و أخصابى بالقرض فى هذه الأرض مستحيل، و أقدر أن أزيد على هذا القول المفيد.

فأقول: و قد ضعف الطالب و المطلوب، و استوى الغالب و المغلوب، و أكدى الحالب، و جفّ المحلوب، و جهد سعى القدم من تحت و اللسان من فوق، و كلّ القدوم من النحت و السوط عن السوق، و كنت والدين كالفرقدين، أو كندمانى جديمه و نخلتى حلوان، فقد باعد فى هذا الزمان و المكان، مباعده الثرى لسهيل (٢)، و مباينه النهار بالليل، و بان بين كليب و وائل (٣)، و القارض العترى فى الأوائى، و أطلق فى مثل هذا عنان القلم، و أرفع للسارين نارا على علم، لكن على فى ذلك محنه اخرى، و مكيدته تظفر القلب و لو كان صخرا، و لا اريد بذكرها فخرا، و لم ابدها لو لم أكن أعدك لتكميل عقلى و أدبى ذخرا، فأنت الذى:

تمسكت لئلا أن ظفرت بوّده على حالتى وضع النوائى و الرفع

بأوثق من عقل و أوفق من هوى و أنسب من طبع و أرفع من شرع

هى أنّ هذا الشرح و البثّ، مشعر (٤) بالتعريض و الحثّ، على وصل الحبل و الرثّ، و أنا أقسم بالله يمين من لا يمين، و لم يزل عند مولانا عن اليمين، أنّى أعتقد أنّ إفضالكم مسعد مصعد، و أنّ التحلى به شرف عدّ، و أنّك المولى الذى ما

ص: ٢٣٣

١- ١) فى «ن»: جنابى.

٢- ٢) فى «ن»: أكثر بالسهيل.

٣- ٣) فى «ن»: عن وائل.

٤- ٤) فى «ن»: مسعر.

على سائله منقصه السائل، كيف لا؟ والنسب شريف، والحسب ظلّ وريف، والمنصب عالى العماد، والمحجّيه متعالى (١) الأمجاد، والنفس عصاميّه، أربت على المآثر الغطاميّه، فالعلم خضاره ذو الوجبات، والحلم ثهلاين ذو الهضبات، والكرم و السماح، يباريان الرياح، والمروءه و التقوى، لهما من العصمه سبب أقوى.

و مع ذلك فإني أتقلد الحول و القوّه دون حول الله و قوّته، يمين أهل البيت المنصوص على حرّمته، إن لم يكن يعتريني الألم، من كلّ إفضال ألم، و يأخذني الأرقّ و القلق، للبس جديد المنّ و الخلق، و تعلوني الكآبه و الحزن، و لو كان المنعم ابن ذى يزن، و لا أعدّ الموهوب من النعماء، و لو أصبحت به ابن ماء السماء، و لا ينصرف خاطري إلى غير الكفاء، إذا شغل الفرح بالعطاء، خواطر ذوى الوفاء (٢).

و لو أنّ نفسا بين جنبى أعطيت مناها و من ذا فى الدنا أعطى المنا

أت فى زمان كان يفزع مثلها إلى السيف إن لم يسعف العلم بالغنا

فإما قضت من موقف الجدّ حجّها و إلاّ حكّت بعض الأضحى فى منى

لكن هذا زمن ليست فيه الهمم الخيش، وعدّ أربابها من جمال بنى أقيش، و لو عرض على غير مولانا ما قلت لعدّه من الحق و الطيش، و تمثّل بقول عوام مكّه «فقر الزيا لعدوتيه قريش».

و طالما قلت متنصّلا من لؤمهم، متوصّلا إلى العذر داخلا فى سومهم، أى كذا خلقت، فما ينفع النحاه ما اختلفت، و أدواه الشرط و الاستفهام تأبى إلاّ الصدر، و إن

ص: ٢٣٤

١ - ١) فى «ن»: متالى.

٢ - ٢) فى «ن»: العطاء.

ركبت مع كلام سافل القدر، و شواظ النار يطلب المخيط (١)، و إن نكصه القابس مع البسيط.

طبعت على ما فى غير مختير بشيء و لو خيّرت كنت المهذباً

أريد و ما أعطى و أعطى و لم أرد و غيب عني أن أنال المغيباً

إلى قوله منها، و لم يكن هذا التفصيل يليق نشره فى ذلك الجنب، لكن مولانا القائل و ما دون الصديق حجاب، و أقسم بالله المعبود أن ليس المقصود إلاّ بيان العذر الجميل، من فراق هو عندى الخطب الجليل، و حسبنا الله و نعم الوكيل. إنتهت رساله المذكوره، و هى كافيه فى إثبات الدعوى المزبور.

و له نثر كثير، أورد منه جانبا الفاضل المؤرخ السيد محمد أمين، مؤلف الحانه ذيل الريحانه (٢)، و هو كتاب جليل حافل، ترجم فيه ادباء عصره، و من جمله من ترجم و الدنا رحمه الله تعالى، و أورد جانبا عظيما من نظمه و نثره، مع مراسلات صارت بينهما.

و أما شعره، فقد أوردنا منه جانبا فى تضاعيف هذا الكتاب، يظهر ذلك لمن تأمله من أوله إلى آخره، و من مراسلاته الغزليه:

ولى واحد ما لى من الناس مثله و ما طالب مثلا لعلياه واجد

هو الخلق جمعا فى المزايا و أنني أرى أنه الدنيا و إن قلت واحد

فيا مونسى لا فزق الله بيننا دعاء عليه للقبول شواهد

سأسعد باللقيا كأن لم يكن نوى و لا أففرت للإنس منّا معاهد

ص: ٢٣٥

١-١) فى «ن»: المحيط.

٢-٢) لم أعر على عنوان الكتاب فى كتب التراجم و لا على مؤلفه.

فمت كمدا يا حاسدى فأنا الذى يصحّ هوى و الجسم بالشوق بايد
و لو كنت بالتقصير فى الحقّ كالذى فلى صله ممّن أحبّ و عائد
و له رحمه الله تعالى:

لئن نأت بك عنى فرقه و نوى فقد دنا بك منى الشوق و الفكر
فكن كما شئت فى قرب و فى بعد فالقلب يركاك إن لم يركك البصر
و ممّا كتبه إلى أديب عصره، صاحب سلافه العصر لأمر مقتضى، و هو بمكّه سنه (١١١٤):

و أعظم ما يلاقيه محبّ له فى قرب من يهوى شؤون
فراق قد قضاه عليه دهر يدور كما يدور المنجنون
إذا ما حاول الشكوى يداوى بها البلوى تظنّ به الظنون
فأجاب بأبيات أولها هذه:

لك الإخلاص و الودّ المصون فحاشا أن تظنّ بك الظنون

فأجابه (١) رحمه الله تعالى بقصيده فريده، هى من أعظم أمثله الجناس التامّ الذى هو أعزّ الجناسات البديعيّه، و إذا تأملتها علمت
قوّه علمه، و هى هذه:

حمدت الله أحمد ما يكون على مولى تقرّ به العيون (الباقر)
على من نماه إلى المعالى إلى المختار سادات عيون (كبار القوم)
فإنّ وجوده نعمى خصوصا بمكّه حيث تجتمع العيون (الجماعات)
و كم شهدت عيون فى بلاد بذاك و كم به عمرت عيون (النواحي)
فمن أدب و فضل مستجاد لغيث منه تنبجس العيون (عيون الماء)

ص: ٢٣٦

و إفضال له التقوى مداد فلا يخشى و إن قلت عيون (النقود)

و أخلاق كرام ليس تردا بصرف الدهر هل تصدى العيون (الذهب)

حباني بالموّده و اجتباني كما تختار باللّب العيون (خيار الشيء)

و أنعم إذ بعثت إليه شعرا كميزان تجاذبه العيون (عين الميزان)

فقابل منه مجتلبا بدرّ بعقد حلاه تفتخر العيون (مناظر الرجال)

و أشكاني من الزمن المناوى و قد قصدت له نحوى عيون (جواسيس)

بقيت لنا بعافيه و عزّه و عندك كلّما تهوى عيون (حافره)

عدوّك رهن معطشه و قحط و تسقى من يواليك العيون (السحاب)

و قال: و فيه لزوم ما لا يلزم، و فنّ التلميح:

يا سائلى عن مكسبى ما القصد منى ما يصم

لكنّه بثّ ينادى من له دهري مصم

أنا أحمد بن أبى دؤاد لو وجدت المعتصم

و حبيب الطائي واطوسى عنه منغصم

و العسكرى و انما ز من ابن عبّاد قصم

و الحاتمى و أين آل بويه عن هذا الخصم

أنا من ذكرت و إنّما أنا بالمهيمن معتصم

و لنلزم عنان القلم عن الجرى فى هذا المضممار، فغاياته لا يدرك لها قرار، فما أوردناه إنّما هو (1) لمعه من رياض، و جرعه من بحر
فياض، و إنّما أردنا بما أوردناه إثبات ما قدّمناه، من الدعوى المعربه، لئلا يقال: كلّ فتاه بأبيها معجبه، فوربّ

ص: ٢٣٧

السماء و الأرض إنها لدعوى لا يتطرق إليها المنع، و لا الحلّ و لا النقض، فإذا سبرت الحقيقه بعين الانصاف كلّ السبر، علمت بأنّه الفاضل الحبر.

ولد-رحمه الله تعالى، و أفاض على قبره الشريف شآبيب غفران توالى-سنه ألف و ثنتين و سبعين، و توفى في السنه المذكوره، لم يعقب من الذكور إلا مؤلف هذا الكتاب، بلغه الله سعادته الدارين ببركه دعائه المستجاب.

وفاه السلطان إسماعيل ملك الغرب:

و في هذه السنه: توفى الملك المعظم، و السلطان المكرّم المفخّم، ذو السطوات الحيدريّه، و العزمات الاسكندرّيّه، السلطان إسماعيل ملك القطر الغربى، و كانت مدّه سلطنته خمسا و خمسين سنه، و له أخبار غريبه، و قصص عجيبه:

منها: الإقدام على سفك الدماء، فكان القتل عنده جرعه من ماء، مع تعظيمه لأهل العلم و أربابه، و المتمسّكين بأذياله و أهدابه، خصوصا من عنى بفنّ الحديث النبوى و آدابه.

و من غرر أخباره: أنّه يجمع العلماء يوما في السنه في داره لقراءه شىء من الحديث، فيصنع لهم مائده جميله، و يدفع إليهم فائده جزيله، و يمنع جميع الخدّام عن تعاطى الخدم، و يقوم بها هو بنفسه، واقفا لديهم على قدم، و ناهيك بهذه الصفه الحميده، التى قلّ أن يصدر مثلها من ذوى الآراء السديده.

و من جمله ما اشتهر عنه من اعتنائه المثاب عليه، و اعتقاده الذى يصير فى الدار الآخره مستنده لديه (١): أنّه لا يرحل فى سفر من الأسفار إلى قطر من الأقطار، حتّى يستحصب معه كتاب صحيح البخارى، و يجعل له خدّاما كثيرين،

ص: ٢٣٨

و خيمه لم يزالوا بها محققين، و محملاً- عظيماً يوضع فيه وقت الارتحال، محفوفاً بنهايه الإعزاز و الإجلال، و من يلوذبه من ذوى الجرائم العظام، لا يقابل إلا بالعفو و الإكرام، و له غير ذلك من الأوصاف الصالحه، و الأعمال الفالحه.

و ضبط مملكه المغرب ضبطاً لم يعهد له نظير، بصولته الباهره و حسن التدبير، و جمع جميع الممالك الغربيه إليه، حتى صارت كلمه إجماع عليه، و بلغنا من ثقات أهل تلك البلاد أنه أعقب ما يناهز الأربعمائه من الأولاد.

توفى و استقرّ الملك بعده فى ولد له يسمّى عبد الله، سلك مسلك أبيه فى جميع ما تقدّم من الصفات، و فقه الله تعالى لبذل الحسنات.

فصل: حوادث سنه أربعين و مائه و ألف

إشارة

ثم دخلت سنه (١١٤٠) أربعين و مائه و ألف.

خروج شريف مكة إلى نواحي الشرق:

و فى أوائلها: خرج شريف مكة المعظمه، و المتحلّى بعقود ولايتها المنظمه، إلى ناحيه الشرق بخيله و عساكره، و بنى عمه المطيعين له فى موارده و مصادره، إلى أن حطّ ركائبه السنيه، فى موضع يقال له: الذويبيّه، فطنّب بها خيامه، و ثقف مرهفه لأعدائه، و جرّد حسامه، و استمرّ هناك إلى جمادى الاولى من السنه المذكوره، ثم عاد بعد أن مهدّ تلك المهامه و المهاد.

رخاء الأسعار فى هذه السنه:

و كانت هذه السنه من أرخى السنين فى الأسعار، و أكثرها فى الأمطار، اشترينا البرّ الهميس بالطائف الكيله بأربعه ديوانيه و نصف و خمسه ديوانيه، و النقره الصافيه بسبعه ديوانيه، و الشعير بدويانين و نصف، و العسل الرطل بأربعه ديوانيه، و هو من أعلى طبقاته فى البياض، و الزبيب النعمانى بأربعه ديوانيه، و التمر

بديوانى و نصف، و الفواكه كثيره جدًا رخيّه إلى الغايه.

و الصرف القرش العمّال المشار إليه فى الصكوك الشرعيّه بأربعين ديوانيا، و الأحمر المعامله عن قرشين من قروش العمّال، و الأحمر المشخّص و المغربى، و الأحمر المسمّى باسلامبول، كلّها بسعر واحد، كلّ واحد بأربعه قروش عمّال، و الريال الحجر و الفرنسه بقرشين و ثمن بالديوانيه، و الريال المسمّى بسكّه المرأه بقرشين (1).

و هذه الطريفه لم نكن سلكتها قبل هذه السنه، و أمّا من هذه السنه، فنسلكتها لحادثه وقعت اقتضت ذلك.

ظفر الشريف محسن بن عبد الله على قبيله ظفير:

و فى أواخر جمادى الثانيه: وصلت البشائر المجديه، بالفتوحات النجديه، و هو أنّ صاحب نجد السيّد الشريف، و الغضنفر الغطريف، مولانا و سيّدنا السيّد محسن ابن عبد الله بن حسين، المؤلّف هذا الكتاب باسمه دام مجده و إقباله، صال على قبيله ظفير، كأمر و بنى الحسين السبط، و من معهما من قبائل الأعراب، و هم جموع لا يحصيهم عدد و لا حساب، و حشرهم فى موضع يقال له: اليمامه، و فرّق أفوامه خلفه و أمامه، و أناخ إبلهم خمسه و ثلاثين يوما، و أراهم حصارا لم يألفوه، و أذاقهم قتلا لم يعرفوه.

و فى كلّ يوم من تلك الأيام يقتل جانبا من الخيل و الأقوام، إلى أن ظفر بهم بعد ذلك القتال، و استباح القوم الأرواح و الأموال. و أمّا النساء، فوقف عندهنّ بنفسه الشريفه، و هتأ لهنّ ما يحملهنّ عليه إلى بعض المنازل الفيحاء الوريفه، و كانت

ص: ٢٤٠

١-١) راجع: خلاصه الكلام ص ١٨٣، نقل عن هذا الكتاب.

واقعه عظيمه، و حادثه جسيمه، لم يعهد لها في تلك الأقطار نظير، و لا حدث بمثلها هم كبير.

لعمرى لم تسر الركاب بمثلها و لا نظمت أنظارها قط في شعر

وفاه السيد بشير بن مبارك الحسنى:

و في خامس شهر رمضان من السنه المذكوره: توفي السيد الشريف، و السند الغطريف، ذو الأخلاق الحسنه، و الصفات المستحسنه، مولانا و سيدنا السيد بشير ابن مبارك بن فضل بن مسعود بن الحسن بن أبى ندى، تغمده الله برحمته، و أسكنه فسيح جنّته، صحبناه مده من الزمان، و لازمنا بابه، و تقيانا ظلال فضله، و لبسنا أثوابه، فجزاه الله عنا أفضل الجزاء، و جعل نصيبه من الدار الآخرة أوفر الأجزاء.

كان مولده الشريف سنه سبعين بعد الألف، فهو أكبر من أخيه المتقدم ذكره بسنتين، و قد مدحهما والدنا -رحمه الله تعالى- كلاهما معا في قصيده، و قد أتيا من سفر كانا فيه، و هى:

تبسم الدهر عن ثغر الرضا طربا و السعد ساق لنا المأمول و الطلبا

و أسعف الجدّ قصد المستحقّ له و الحظّ قد يسعف الإنسان بعد أبا

بدت شمس العلا و الفضل مشرقه و أسفرت عن محيا كان محتجبا

رؤت غيوث النداء أرضا أضرب بها فرط الظماء فلن تستمطر السحبا

و قد تجلّت نجوم السعد من أفق الأسفار أكرم بها نأيا (1) و مقتربا

من آل فضل و مسعود و هم غرر فى آل طه نجوم الأرض نصّ بنا

سرتهم و ابتم و حزتم كلّ منقبه فى حالتى سيركم بدء و منقلبا

ص: ٢٤١

لقد حميتم جناب اللائذين بكم و حزتم الأجر فى الحجاج و الغربا
و حين أبتم أعتتم أنفسا تلفت بالشوق كابدت الأوصاف و النصبا
لئن أضرب بذي ودد فراقكم فكم به للورى من صالح جلبا
و إنما أنتم غيث يصرفه البارى فتلفيد حيث النفع منسكبا
بمطلع التيرين السعد لاح لنا فى يوم مقدمكم و النحس قد غربا
يا فرقدى افق العليا و من بهما عند السرى يهتدى من العلا طلبا
يا مالكى رقى ودى لا أستبد به سواكما أحد جدا و لا لعبا
قد أعتب الدهر لا عتب على زمن أنال قربكما بعد النوى و حبا (١)

إنى غفرت لدهرى كل سيئه أنخى على بها فى جنب ما وهبا
فيالها نعمه جاد الإله بها لنا على غير وعد كان مرتقبا
أضحت (٢) دليل رضا البارى و رأفته بالخلق فليشكروا فالشكر قد و حبا
إلى بشير خدين المجد وارثه كذا شبير سليل الساده النجبا
و جَهِتها من فؤاد قد تملّه الودد الأكيد و قد أرسى به الطنبا
وافت تهنيكها حسن الاياب إلى الأوطان بعد بلوغ القصد و الأربا
و ما حويتهم من الأجر الجزيل و قد قلّدتهم العجم بالمعروف و العربا
لا زلتما مقصد العالى و بغيته إلى جنابكما تحدوا الورى النجبا
و دمتما أبد الأيام فى دعه ما رنحت عذبات البان ريح صبا

ص: ٢٤٢

١- ١) فى «ن»: وجبا.

٢- ٢) فى «ن»: أضحى.

و له فيه (١) -رحمه الله تعالى- غير هذه القصيده، و أعقب من المذكور خمسه، و هم: السيد مبارك، و السيد سليمان، و السيد سعيد، و السيد حسن، و السيد عبد الله، و كلهم بحمد الله تعالى ممن سلك سبيل الهدايه، و حمدت سيرته إلى الغايه و النهايه.

وفاه السيد أحمد بن أبي بكر بن عقيل المكي:

و في هذه السنه: توفي إلى رحمه الله تعالى السيد الجليل، و السند الأصيل، السيد أحمد بن أبي بكر بن عقيل، و كان قد بلغ من السن الثمانين، و هو مقيم ببلد الله الأمين.

و أعقب من المذكور ولدين، هما في علو الهمة و اكتساب العلوم كالفرقدين، الأصغر منهما السيد عمر، و الثاني السيد حسن، و كلاهما قد سار إلى إحراز المعاني على أقوم سنن.

إلا أن الأصغر منهما قد برع في اكتساب الفضائل، و صار في مكة علما لكل سائل، و معلما يلوذ به أرباب المسائل، أقرأ بالمسجد الشريف المكي صحيح البخاري، فأقرّ بالفضيله له كل ذي زند واري، و أقرأ غيره من كتب الفقه و العربيه، و سائر العلوم الأدبيّه، و له بلاغه و براعه، شيّد بهما معاني علمه و رباعه.

طالما دعت المملوك و الأعيان، لتعاطى العقود النكاحيه في جميع الأزمان، فتصّدر المجلس الغاصّ، من العامّ و الخاصّ، و يتلو الخطبه البديعه عن ظهر قلبه الشريف، فكأنّها المياح العذبه، في مجاريها بل الرياض الباسقه، و الزهور المتناسقه.

و له مع ذلك أخلاق حسنه، و صفات مستحسنه، و همّه عليّه، و شهامه علويّه،

ص: ٢٤٣

صحبناه من مبدء السنّ إلى حين هذه الكتابه، فلم نر منه إلاّ الجميل الذي هو من نتائج أخلاقه المستطابه، جزاه الله تعالى عنّا خير الجزاء، و جعل نصيبه من سعادة الدارين أوفر الأجزاء.

وفاه الشريف عبيد الله بن حسن بن جود الله الحسنى:

و فى عاشر جمادى الاولى من السنه المذكوره: توفى إلى رحمه الله تعالى حضره السيد الأمجد، و السند الأنجد، السيد الشريف عبيد الله بن حسن بن جود الله ابن حسن بن أبى ندى.

و كان هذا السيد الشريف من أعظم الساده آل جود الله ابن الحسن، و ممّن تشنى عليه الخناصر فى حلّ المشكلات و دفع الفتن، توفى بالمبعوث، ثمّ نقل إلى الطائف و دفن به. و أعقب من الذكور أولادا كثيرين، منهم: السيد دخيل الله، و السيد عجلان، و غيرهما.

وفاه الواعظ يحيى أفندى:

و فى ثالث عشر شهر رجب من السنه المذكوره: توفى إلى رحمه الله تعالى المقام الجليل، و المرام العالى النبيل، الفاضل التقى الصالح، يحيى أفندى بن جعفر أفندى، الواعظ بالحرم الشريف. مات بمكّه المكرمه، و دفن بالمعلاّه، و أعقب من الذكور ولدين: عبد الله، و عليا، و فقهما الله تعالى.

وفاه السيد جعفر بن السيد أحمد ميرك:

و فى تاسع عشرى شهر رجب من السنه المذكوره: توفى قطب دائره الوجود بمكّه المعظمه، و المتحلّى بعقود الرئاسه المنظمه، السيد الجليل العارف، و الأيد فى اكتساب الفضائل و المعارف، السيد جعفر بن المرحوم السيد أحمد ميرك، قدّس الله سرّه، و وجه إلى روحه الشريفه كرمه و برّه.

و كان فى مبدأ حاله ذا صبوه غزليّه، و نشأه باحتساء كؤوس الخمره العمليّه، ثمّ انتقل من ذلك إلى موضع احتجب فيه، عن الخروج إلى خليل يوافيه، و شرع يستألف قلوب الناس، يبذل لطائف التودّد و الإيناس، و أنزل نفسه الشريفه منازل الذلّ و الهوان، و الخضوع و التواضع لكلّ إنسان، من ثلم الأيدى و تقديم الأحذيه، و تطيب الماء المغنى عن لذيذ الأغذيه، و استمرّ على ذلك مدّه من الأعوام، و القلوب منجذبه إليه من خاصّ و عامّ، ثمّ ترك بعض تلك المفاعيل، معتذرا بأنّ مزاجه الشريف لا يخلو من توّعك قليل، و لم يزل يتركها شيئا فشيئا.

و فى أثناء ذلك تحسّن أحواله، و يرتفع مقامه، و تنمو أمواله، حتّى صار معروفا فى جميع الأقطار، و يقصده المعتقدون له غيبا للتبرّك به فى الأمصار، و اختصّ بالاعتقاد فيه آل زيد بن محسن بن الحسين بن الحسن، ملوك مكّه المشرفه فى ذلك الزمن، و صار كعبه مقاصدهم، و منهل صادرهم و واردهم.

فارتقى بذلك أيضا مكانا عليّا، تحسده عليه نجوم الثريا، خصوصا فى أيام شرافه صاحب الترجمه، و شرافه والده، فقد أحرز فيهما الحظّ الأوفر، من طارف المجد و تالده، و بنى فى ذلك الدور بعض الدور الحسان، و زخرفها بأنواع الألوان، و اختصّ منها فريده بالسكنى، و أمر أن يدفن بها إذا صار إلى جوار المقام الأرفع الأسنى.

و استمرّ ساكنا بها مدّه حياته، محتجبا فيها عن أوضاع هذا الدهر و ترّهاته، مختليا فيها بنفسه الشريفه عن الخلائق، مشغلا بالعباده اللائقه بذات الخالق، مظهرا لآثار نعمته عليه، ممتنعا عن قبول ما يجبى من الفتوحات المائيه إليه.

و لما استتبت له مطالبه، و طلعت فى سماء الشهره نجوم صيته الشريف و كواكبه.

و سار مسير الشمس فى كل بلده و هبت هبوب الريح فى البرّ و البحر

ترك القيام المتعارف في المحافل، لكلّ وارد عليه و داخل، و صار يعطى يده الشريفه للتقبيل، بل أكفّ رجله لأغلب الجله إلاّ القليل، و بدّل ذلك المسلك الأوّل بضده، مع بذل اللطف و إظهار رغبته، عن زخارف الدنيا و زهده.

و كان ملبوسه الشريف من أفخر ما يرى، و يدفع فيه أغلا- القيم في وقت المشتري، و كذا الطيب بجميع أجناسه، و به كان تمام إيناسه، و اشترى جانبا عظيما من الجرايات المصريه، و الموادّ الصريه، و العثمانيه الجداويه، و تحت يده ضروب من النقد المضروب.

و أمّا العلوم، فليس له بها إمام، إلاّ فأؤهبه إياه من الملك العلام، و استمرّ على هذه الصفه نحو من عشرين سنه، و هو لعيون الناس قرّه، و للقلوب حسنه، حتّى عرض له بعض الأمراض، فنقله الله تعالى إلى دار البقاء الثابت من دار الأعراض، و دفن بدار سكناه، و بها يعمل راتبه و محياه، و هى بأسفل مكّه على طريق الداخل من طوى. و أمّا عمره الشريف، فأخال أنّه قد ناهز الثمانين.

وفاه الشيخ عثمان بن الشيخ أحمد شمس:

و فى هذه السنه: توفى الشابّ الصالح التقى الفاضل، الشيخ عثمان بن الشيخ أحمد شمس المتقدّم ذكره.

وفاه الشيخ محمّد العناتى المغربى:

و فى أواخر هذه السنه: توفى الشيخ التقى الفاضل، العالم الحافظ البارع العامل، شيخنا و استاذنا الشيخ محمّد العناتى (1) المغربى المالكى.

قدم إلى مكّه المشرفه فى موسم سنه تسع و ثلاثين، قاصدا حجّ بيت الله الحرام،

ص: ٢٤٦

و التبرّك بالمشاعر العظام، و العود من عامه، إلى مسقط رأسه، و مغنى فطامه، فعرض له بعض المصائب الدنيويّه، فجاور بسببها سوح تلك البنيه، و شرع فى بثّ العلوم، و نثر درّها المنظوم.

قرأت عليه فى ضمن تلك المدّه شرح مختصر التلخيص، و بعض رسائل الاستعارات، و سمعت منه جانبا من صحيح البخارى يمليه من حفظه، جزاه الله عنّا أفضل الجزاء، و جعل نصيبه من الآخره أوفر الإجزاء. مات بمكّه المشرفه فى آخر السنه المذكوره، و دفن بالمعلاه.

وفاه الشيخ شرف الدين المصرى الشافعى:

و فى آخر هذه السنه: توفى إلى جوار ربّه، الشيخ الجليل العارف بالله، الشيخ شرف الدين المصرى الشافعى، المجاور بمكّه المشرفه، أقام بها برهه من الزمان، و هو عاكف على عباده الديان، اجتمعنا به مرارا، نفعنا الله به و بأمثاله.

وفاه القاسم المتوكّل إمام اليمن:

(و فى هذه السنه: توفى إمام اليمن القاسم بن حسين الملقّب ب«المتوكّل» و تولّى الإمامه بعده ولده الحسين الملقّب ب«المنصور» و وقعت منه و عليه حروب عظيمه، و يكون فيها هو الغالب، و قتل ابن الأحمر شيخ ركب حائد بكيك، و حبس عيوننا من أبناء الأئمّه فى القصر بصنعاء) (١).

فصل: حوادث سنه ألف و مائه و إحدى و أربعين

إشاره

ثمّ دخلت سنه (١١٤١) ألف و مائه و إحدى و أربعين، و الأسعار قد ارتفعت قليلا، و أمّا المعاملات و صرفها، فهى باقيه على مقادير السنه التى قبلها من غير

ص: ٢٤٧

(١ - ١) ما بين الهاليتين من نسخه «د» فقط.

زياده و لا نقص.

وفاه الشيخ يحيى بن عبد القادر المكي:

و فى ثالث شعبان منها: توفى المقام الأجل، و المرام المبجل، ذو الأخلاق الرضيّه، و المزايا المرضيّه، الشيخ يحيى ابن المرحوم الشيخ عبد القادر، مفتى مكّه المشرفه سابقا، المتوفى فى سنه (١١٣٨) ثمان و ثلاثين و مائه و ألف.

صبحناه برهه من الزمان، فوجدناه حديقه فضل و إحسان، تقلد منصب الفتيا بمكّه المشرفه بعد وفاه أبيه، و ظهر عليه مصداق الولد سرّ أبيه، ثم نقل عنه لأسباب اقتضت ذلك، من و لاه تلك الأقطار و المسالك، و لم يزل بعد ذلك فى الاجتهاد، فأجاب داعى الحقّ قبل بلوغ المراد.

و كم من فتى قد رام أمرا وفاته و قبل بلوغ القصد لاقى حمامه

وفاه الشيخ محمد صالح بن عبد الهادى الطاهر:

و فى هذا الشهر أو الذى قبله: توفى الشيخ الجليل، الفاضل النبيل، الشيخ محمّد صالح بن المرحوم الشيخ عبد الهادى الطاهر المتوفى فى سنه (١١٣٨) ألف و مائه و ثمانيه و ثلاثين، و كان ذا أخلاق حسنه، و خلّه مستحسنه.

وفاه الشيخ محمد بن عبد الله المغربى المحدث:

و فى أواخر جمادى الآخره: توفى عالم الأقطار الغربيه و علامها، و المنشور (١) لديه ألويه فضائلها و أعلامها، إمام الفضائل، و مالك زمام علوم الأوائل، مولانا الشيخ محمد بن عبد الله المغربى المالكى المحدث.

و كان هذا الشيخ جامعا لأغلب العلوم، ناشرا بالتدريس درر عقدها المنظوم،

ص: ٢٤٨

١ - ١) فى «ن»: و المنشوره.

مشتهرا بالحديث النبوى الشريف، مكثرا للتدريس منه فى سوح بيت الله العالى المنيف، و كان يهاجر إلى المدينه المنوره فى كل سنه مره، و يشتغل فيها ببيت العلوم، إلى أن قضى عليه بها فى السنه المذكوره، فطوى سجل فضائله المنشوره.

فصل: حوادث سنه ألف و مائه و ثنتين و أربعين

اشاره

ثم دخلت سنه (١١٤٢) ألف و مائه و ثنتين و أربعين، و فيها قلت الأمطار، و ارتفعت الأسعار، و أما المصارفه، فهى على حالها مع تفاوت قليل لا يذكر.

وفاه القاضى حسن الفصيحي المنجم:

و فى يوم السبت ثامن عشر جمادى الاولى من السنه المذكوره: انتقل إلى رحمه الله تعالى القاضى حسن بن القاضى محمد بن القاضى أحسن الفصيحي المنجم الماهر.

و كان هذا الرجل ذا معرفه تامه بعلم الفلك، و فكر سباح يهتدى به من عرف سبل هذا العلم و سلك، له فيه الفوائد العزيره، و الجداول الوجيزه، منها: جداوله التى سماها عقد الدرر المحلول، موضوعها معرفه أعمال السنه من الأهله، و الخسوفات و المقارنات و سير الكواكب، كل شهر فى صفحه، فالسنه فى اثني عشر صفحه عن ستّ و رقات، عمل منه إلى عام ستين من المائه الثانيه عشر أو أكثر بقليل، نفع به العالم بعد وفاته، كما كان هو فى أيام حياته.

و له مشاركات اخر فى بقيه العلوم، غير أنه بهذا العلم صار مشهورا و معلوم، و أبأوه فتيه علما و مصايح هدى، لكل حادثه ظلما، مع رئاسه دنيويّه، و حظوه عند ملوك مكّه الساده النمويّه.

و يعرف هذا البيت ببيت حكيم الملك، و ترجم رجالا منه أديب العصر، صاحب سلافه العصر، و لم يبق من هذا البيت الجليل، إلا هذا الرجل الفاضل النبيل، و بموته

انقرض هذا البيت، و سبحان الوارث لكلّ حيّ و ميت، درج رحمه الله تعالى، و لم يعقب إلا بنتا واحده.

وفاه الشريف على بن الشريف سعيد الحسنى:

و فى هذه السنه: توفى السيد الشريف، و الهمام الغطريف، الشريف على بن الشريف سعيد بن الشريف سعد، أخو صاحب الترجمة، و أحد المتقّلمدين شرافه مكّه المعظمه، و قد مرّت ترجمته، و فيها بيان مدّه ولايته، و سنه انتقاله، و إنّما ذكرنا وفاته هذا استطرادا لترتيب السنين، و الله أعلم.

وفاه الشيخ عيد المدرّس المصرى:

و فى هذه السنه: توفى العالم العلامه، و الفاضل الفهّامه، الشيخ عيد المدرّس المصرى بالمدينه الشريفه المنوره، و كان ذا فضيله جمّه، و تقرير واسع، قرأنا عليه ألفيه الإمام ابن مالك، و جانباً من جمع الجوامع، و استفدنا منه فوائد كثيره رحمه الله تعالى.

فصل: حوادث سنه ثلاث و أربعين و مائه و ألف

اشاره

ثمّ دخلت سنه ثلاث و أربعين و مائه و ألف.

وفاه القاضى عيد بن محمّد الأنصارى:

و فى شهر محرم الحرام منها: توفى فاضل أبناء مكّه المشرفه، و الرافل فى حلال الفضائل، بين أقرانه من ذوى المعرفه، القاضى عيد ابن القاضى محمّد الأنصارى.

و كان هذا الرجل ذا فقه واسع، و صيت شاسع، و عزم و إقدام، أناف بهما ذكره بين الخاصّ و العامّ، يخاطب الملوّك، و يزاحم الخطوب الكوارث، إذا أصاب أهل مكّه شىء من الحوادث.

له مخاصمات و مقاومات فى كلّ ملّمه، تاره باللسان، و تاره بإعمال الأقلام،

و تاره بإلقاء نفسه الشريفه بين ذوى السيوف و الأعلام، مع ملازمه التدريس و الإفاده، و بذل التواضع لذوى الضعه و السیاده، ناهز عمره التسعين، و هو لا- يحتاج فى حركته إلى معین، بل بحراره قلبیه، و همیه و هبیته، و فصاحه و بلاغه، أو هن بهما قول ابن المراره، صنّف و ألف، و تقدّم فى جمیع الامور و ما تخلّف، و لم أقف حین الجمع على شىء من تألیفه إلا- أنّها مشهوره إلى الغایه.

وفاه الشیخ عبد الکریم المدرّس الهندی:

و فى جمادى الثانیه منها: توفى فرد زمانه، و وحید أوانه، إمام فقهاء الساده الحنفیه، بمکّه المشرفه البهیّه، الشیخ عبد الکریم المدرّس الهندی أصلا الحنفی مذهباً المکى إقامه و تدریسا.

ورد مکّه المشرفه سنه... (١)، و أقام بها مشغلا بالمطالعه و التدريس، هاجرا لكلّ صاحب و أنیس، فبرع فى جمیع العلوم، و قدّ أعناق الأفاضل عقود فوائده من المنطوق و المفهوم، فأقبلت علیه وجوه الناس، و أدبرت عنه کلاکل الهمّ و الإفلاس، فتوسّعت دنیاه، و بنى من الدور ما کان يتمناه، و نسخ حکم البيت المشهور بین العلماء (بین ذوى النهی) (٢) قلت للفقير: أين أنت مقيم؟ قال لى: فى محابر الفقهاء، و استمرّ بمکّه المشرفه إلى يوم وفاته، و أعقب من الذکور ولدا واحدا و هو الشیخ عبد الرحمن.

وفاه الشریف عبد الله بن برکات الحسنى:

و فى السنه المذكوره: توفى قطب دائره الساده البرکاتیه النمویّه، و معقد خناصر

ص: ٢٥١

١-١) بیاض فى النسخین.

٢-٢) الزیاده من نسخه (ن) فقط.

ذوى الهمم الساميه العليه، مولانا السيد الشريف عبد الله ابن الملك العظيم أبى الفتوحات الشريف بركات، رحمه الله تعالى رحمه الأبرار، و حشرهما مع أجدادهما الأئمه الأطهار. و أعقب من الذكور فتيه فاخره، و عصابه بحار مكارمها زاخره.

قوم تخال وجوههم إن أسفرت يوم الفخار أهله الأعياد

جلوس السلطان محمود بن السلطان مصطفى:

و فى تاسع و عشرين من شهر ربيع الأول منها: كان جلوس السلطان الأعظم، و الخاقان الأكرم الأفخم، السلطان محمود بن السلطان مصطفى بن السلطان محمد، و رفع عمه السلطان أحمد بن السلطان محمد، المتولى فى سنه ألف و مائه و خمس عشره، و كان هذا الرفع و الجلوس بأسباب و امور اقتضت وقوع هذا الحادث العظيم، و الخطب الجسيم.

و هو أنه لما تكاثرت المظالم من وزير السلطان أحمد بن إبراهيم باشا، و من كيخيته، حتى زاد الحال على المسلمين، اجتمع من أطراف العسكر اثنا عشر نفرا لا زياده، و استمرّوا عشره أيام، و هم فى كلّ يوم يخرجون و يجتهدون فى أن يعضدهم أحد من العساكر، فلم يصبر ذلك.

و فى اليوم الحادى عشر: تكاثرت الائمة عليهم، فغاب منهم أحد عشر نفرا لا يدري أين ذهبوا، و لم يبق منهم إلا واحدا، فصار ذلك الواحد أمير هذه الائمة، أركبوه جوادا، و ائتمروا له فى جميع ما أمر، و صار عدّتهم فوق العشره الآلاف، و فى أثناء ذلك و السلطان أحمد حافظ لوزيره و كيخيته و أمير البحر المسمى بالقبطان، و هو فى غايه الذلّ و الهوان.

فأرسل إليه أمير الأئمه المذكور بأن ادفع إلينا الوزير و كيخيته، نريد أن نقتص

منه مظالم الخلق، فاضطرب حالهم اضطراباً انحَلَّ عن قتل الوزير لكيخيته بيده، ثم قتل القبطان بيده أيضاً، ثم قتل الوزير بيد بعض خدام السلطان، وأرسل إليهم السلطان برؤوس الثلاثة بناء على أن ذلك غرض لهم.

فزاد الحال وكثر الجدل، وأجابوا بأن قتل القبطان كان ظلماً؛ لأنه لم يصدر منه ما يوجب ذلك، وكفّوه و صلّوا عليه و دفنوه، و أمّا قتل الوزير و كيخيته، فلم يكن لنا به غرض، بل كان مطلوبنا حضورهما حين نطالبهما بحقوق العباد، و ما كان يصدر منهما فى البلاد، ثم خرجوا بعدم الرضا بالسلطان أيضاً، فعرض عليهم توليه ابنه السلطان سليمان، فامتنعوا عن ذلك.

فرأى هو و من لديه من أهل الحلّ و العقد أنه لا يطفىء هذه الغارة إلا إخراج السلطان محمود المذكور، و توليته السلطنة، فقام السلطان أحمد بنفسه، و ذهب إليه فى الحبس و أخرجه و أجلسه على التخت، ثم أرسل إليهم بأن يتفرّقوا، فأبوا إلاّ - بعزل بعض الأشخاص عن مناصبهم و توليه غيرهم، و قتل آخرين، و نفى جماعه، فتّم لهم جميع ما طلبوه.

ثم طلب منهم السلطان محمود التفرّق، فتفرّقوا أيضاً، فأرسل شيخ الإسلام بأنكم إذا لم تتفرّقوا و إلاّ أخرجت لواء النبى صلّى الله عليه و اله و أخذت عليكم فتوى، و وّجّهت الجهاد إليكم، فعند ذلك تفرّقوا، فطلب ذلك الرجل الذى كان أمير هذه الامّة، فلم يوجد له خبر و لا أثر، و لا يدري أين ذهب.

و استقرّت السلطنة العثمانية للسلطان محمود المذكور، و صدرت منه الأوامر العلية إلى جميع ممالكه المحروسه بالزينة، فزيّنت جميع البلدان الإسلامية.

و كان وصول البشير إلى مكّة المشرفه بالأمر الشريف بالزينة، و صحبته الخلعه الشريفه لصاحب الترجمة الشريف عبد الله بن الشريف سعيد، فى أوائل شهر رجب

من السنه المذكوره.

و وصل من تلك الجهات تاريخ جلوس السلطان محمود الآيه الشريفه، و هى قوله عزّ و جلّ فَاعْتَبِرُوا يا أُولِي الْأَبْصَارِ (1) و هو من أغرب الاتّفاق، ثمّ نظمه الأديب صاحبنا الشيخ تاج الدين بن الشيخ عارف المنوفى مقتبسا، فقال:

لَمَّا فَشَى الظلم من قوم طغوا و بغوا فى دينهم و بأمر الله ما ائتمروا

تقلّد الأمر محمود فقال لنا تاريخه يا اولى الأبصار فاعتبروا

و له أيضا:

يا سائلى عن ضبط عام لنا طالعه فى الحكم مسعود

إلى أن قال:

فانظر لعام يا زكى الحجا حسابه فى الضبط معدود

فى بيت شعر صحّ تاريخه و هو بحسن السبك منضود

مليكنا عزّا أشار اسمه بأنّه للملك محمود (١١٤٣)

و أرّخه أيضا بقوله هذا:

محمود به الكفر ذهب

و هو أطفها و أخصرها و أسلمها حشوا و ركاه، و الله أعلم.

وفاه الشيخ يونس المصرى المدرّس:

و فى أوائل (٢) شهر رجب من السنه المذكوره: توفى الشيخ العالم العامل، الصالح التقى الفاضل الكامل، الشيخ يونس المصرى الشافعى، المدرّس بالمسجد

ص: ٢٥٤

١- ١) سورة الحشر: ٢.

٢- ٢) فى «ن»: أوّل.

الحرام.

و كان هذا الشيخ ذا هيبه و وقار، و فضل طار صيته في جميع الأقطار، مكث بمكّه الشريفه (1)، معتكفا على إملاء الدروس و الفوائد اللطيفه، المنطويه على المباحث العاليه المنيفه، مع صلاح و عباده، رقى بهما مراتب السعاده.

هذا، و لم أقف له حال الكتابه على شىء من الآثار العلميه التي هي من نتائج الآله القلميه، و الظاهر أنّه ليس له إلا ما أملاه في مجلسه الشريف؛ لأنّه لم يكن له اشتغال بالتصنيف و التأليف.

و لقد كان له مشهد عظيم، حين نقل إلى جوار ربّه الكريم، و خطب له الرئيس خطبه غزاه أمام الصلاه على جنازته الشريفه، و دفن بالمعلاه، حشره الله تعالى مع من كان يتولاه.

وفاه السيد محمّد بن أسعد مفتى المدينه:

و في ثامن عشرى شهر رجب المذكور من السنه المذكوره: توفّي شهيدا السيد الجليل، و السند العالى النبيل، العالم العلامه، و الفاضل الفهّامه، شيخ الإسلام بمدينه خير الأنام، عليه الصلاه و السلام، السيد محمّد بن السيد أسعد، مفتى المدينه الشريفه، و رئيس ذوى المظاهر العاليه المنيفه.

قتل في ليله المعراج الشريف، غيله من يد شقى هذه الامه، و ذلك بعد صلاه العشاء، و هو خارج من المسجد النبوى، فتلّقاه هذا الشقى متزّى بلباس النساء، متعرّضا له آخذا بيده كالمقبل لها، و في أثناء ذلك طعنه نجلا، قاصدا بها قتله حالا، ثم هرب و دخل بيته، و طرح ما كان عليه من ذلك الملبوس، و خرج نازعا

ص: ٢٥٥

بسلاحه كغيره.

فأنكر عليه بعض الناس، ثم قطعوا عليه بصدور هذا الفعل منه، فهرب مرّه ثانيه و اختفى فى بعض البيوت.

فلما شدّدوا فى التفتيش عليه، حصلت إشاره من صاحب البيت إليه، فقبض فى آخر تلك الليله، و وضع فى الحبس و الأغلال.

و قبض معه رجل من بيت السيّد البرزنجى، و هو ابن اخت السيّد عبد الكريم المقتول فى بندر جدّه المتقدّم ذكر قتله، و شخص ثالث أيضا، و هو السيّد أحمد بن السيّد يحيى (١) الأزهرى.

فلما كان اليوم الثامن و العشرون قضى (٢) على السيّد المذكور، و بعد دفنه احضر الضارب الشقى، و سئل عن الملجىء إلى ذلك

فأجاب بأنّ هذين الرجلين دفعا لى مبلغا عظيما على أن أن أقتله لدخل له عندهما يدعيان به عليه، ففعلت ذلك، فشنق ذلك الشقى فى الحال (٣)، و وضع ابن البرزنجى فى الحبس و الأغلال، و الثالث ثارت له طائفه من العساكر و طائفه من الباديه، لحلف بينه و بينهم، فعزموا على توجيهه إلى شريف مكّه ليعمل به ما يقتضيه نظره العالى، و فى أثناء الطريق هرب.

و هذه القضيّه من أبكار القضايا العظام، و الحوادث الغريبه بدار الإسلام؛ لأنّه لم يكن صار لها نظير، و لا حول و لا قوه إلاّ بالله العلى الكبير.

ص: ٢٥٦

١-١ فى «ن»: عيسى.

٢-٢ فى «ن»: قبض.

٣-٣ فى «ن»: الحين.

وفاه الشريف عبد الله بن الشريف سعيد صاحب الترجمة:

و في خامس عشرين ذى القعدة الحرام ختام سنه (١١٤٣): توفى إلى رحمه الله تعالى صاحب الترجمة المعظمه، الشريف عبد الله بن الشريف سعيد بن الشريف سعد بن الشريف زيد بن محسن بن حسين بن الحسن بن أبي نمي، فكانت مدّه دولته سبع سنوات و خمسه أشهر و عشره أيّام (١).

و أعقب من الذكور: السيّد محمّد، و السيّد ثقبه، و فقهما الله تعالى، و بلغ كلّ (٢) واحد منهما مأربه.

و دفن بأسفل مكّه المشرفه برأى منه و اختيار، في موضع مقابل لقبر الشيخ الولي صاحب الكرامات الباهره، الشيخ محمود بن إبراهيم بن أدهم، و عليه بناء و تابوت، رحمه الله تعالى رحمه الأبرار، و غفر له ببركه انتسابه إلى المصطفين الأخيار.

الشريف محمّد بن المرحوم الشريف عبد الله بن سعيد بن

سعد بن زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبي نمي

لما توفى والده - رحمه الله تعالى - في خامس عشرين من ذى القعدة من سنه ألف و مائه و ثلاث و أربعين، كما تقدّم ذكره، كان حضره الشريف محمّد المذكور في أطراف اليمن، أرسله والده لحفظ تلك الأقطار مع جمع من العساكر، فاستمرّ هناك إلى أن دعي إلى الشرافه (٣).

ص: ٢٥٧

١-١) راجع: خلاصه الكلام ص ١٨٣.

٢-٢) في «د»: لكلّ.

٣-٣) في «ن»: للشرافه.

و كانت وفاه والده -رحمه الله تعالى- آخر النهار فى منزله بطوى خارج البلاد، فاخفى موته إلى آخر الليل، و توالى الأمر و التدبير إخوه المتوفى، و هم السيد مسعود بن سعيد، و السيد مضر بن سعيد، و غيرهما، و ضبطوا البلاد، و تداخلواهم و القاضى و العساكر المصرىة و بعض الساده الأشراف، بدفع جانب من المال على أن يكون المتولى بعد وفاه الشريف عبد الله ولده الشريف محمد المذكور؛ لكونه أكبر من أخيه السيد ثقبه.

فاجتمعوا عند القاضى ليلا و سَجَلوا ذلك، و نادوا باسم الشريف محمد أيده الله تعالى استقلالاً، و باسم أخيه الشريف ثقبه و كاله و حفظاً.

فما أصبح الصبح إلا- و قد استتبت أحوالهم، و نجحت آمالهم، و استقرت البلاد، و أمنت العباد، و ذهب الرسول (١) لاستدعاء الشريف محمد للوصول.

فوصل نهار تاسع و عشرين من الشهر المذكور، و لبس الملبوس بحضور الأعيان و العساكر، و دعى له على المنابر، فحسنت بين الأنام سيرته، و كادت ترقص به فرحا ديرته، و سنّه لم تبلغ العشرين، مع همّه لم ترض بالجوزاء لها قرين.

و المتولى لتدبير ملكه المنيف، عمّه السيد السند الشريف، السيد مسعود بن سعيد، فأحكم التدبير بنهايه التسديد، ثم أقبلت عليهم الحجوج السلطانيه، و لبس الشريف محمد الخلع الشريفه العثمانيه.

و لم تزل الحال كذلك، و أوامره المعظمه محكمه التدبير فى جميع تلك الممالك، إلى أن رمى الله بينه و بين عمّه سهم التفريق، و توخّش قلب كل واحد من الآخر، ثم

ص: ٢٥٨

١- ١) فى «د»: المرسول.

جرت بينهما منافرات و منابذات، نشأت منها دعاو و مرافعات، سندكرها فى ترجمه عمه، إذا تشرف هذا الكتاب باسمه، و صدر منه فى أثناء هذه المده حادثان عظيمان، لم يؤلف مثلهما فى قديم الزمان:

أحدهما: أنه ركب بخيله و رجله، و أحاط بيت واحد من وجوه الساده الأشراف، و زعيم من زعماء القاده الحماه من آل عبد مناف، و هو السيد الشريف العظيم، مولانا السيد عبد العزيز بن المرحوم السيد زين العابدين بن إبراهيم، و فى مجلسه السامى المنيف، طائفه من أبناء جنسه الشريف، فما شعروا إلا- و قد أحاطت بهم الأجناده، و صلهم رمى الرصاص إلى مجلسهم المعتاد، فوثبوا مقاتلين عن أنفسهم، و عند دورهم، فاصيب منهم بعض أشخاص، ثم انحلت القضيه بوصول كبار الساده الأشراف، فلاطفوا مولانا الشريف و ردّوه إلى بيته، بعد أن أفهموه بنسبه الخطأ إلى جنابه و الخلاف.

و سبب ذلك: أن أحد الساده آل بركات كان حربا عليه، إلا أنه عمل بالقانون المألوف بينهم من الدخل المعتاد، و كان فى بيت السيد عبد العزيز المذكور، فأرسل إليه مولانا الشريف بأن يخرج من البلاد، فطلبوا منه مهله إلى الليل، مع كونه فى أجله منه، فلم يجد ذلك إلا ركوبه على البيت المذكور، كما هو مشروح و مزبور.

فعند ذلك انصرفت عنه خواطر الساده، فى خرقه لقانونهم الشريف و خرمه للعاده، إذ هو أمر كبير، و حادث لم يقع له نظير، فاجتمعوا فى بيت زعيم منهم للمفاوضه فى ذلك، و تعيين ما ينبغى أن يصدر عنهم.

ثم أجمعوا الأ- كثر على الفراق، و إقامه الحرب على ساق، و جنح البعض الآخر إلى قبول ما يرد عليهم من حضره الشريف، من الأعدار الناهضه، و سوق ما يكون فيه تجميل لهم و تخويف، لكل ملك عنيف، و ذلك بعد المفاوضه أيضا فى تعيينه،

و تجسيمه إلى الغايه و تبيينه، ثم يذهب جماعه إليه و يعرضونه عليه، فإن ركب ذلك كان مجملا لكم، و مؤديا لمن يأتي بعده من و لاه هذه الممالك. و إن توقّف عنه و أباه، فهمنا من ذلك مطمحه و مرماه، و قابلناه بالمباينه و الفراق، و إحكام تدابير الحرب بعد الاتفاق.

و كان هذا الرأى الجامع لمحاسن الموارد و المصادر، و الساتر لكلّ خلل مضمّر و ظاهر، مع جعله قانونا و سالفه، إذ لم يعهد مثله في القرون السالفه، نتيجة فكر السيّد الشريف، و الأيدى في اكتساب المجد الشامخ المنيف، مولانا المؤلّف هذا التاريخ برسمه، و المتشرّف بصفاته الحميده واسمه، سيّدنا السيّد محسن بن عبد الله ابن الحسين بن عبد الله بن الحسن، أطلد الله سيادته، و أبد (1) سعاده مدى الزمن.

و لعمري لقد أحكم نسج رأيه السديد، و أودعه من مراعاة جميع الأطراف ما لا عليه مزيد، يعلم محاسن هذا الرأى من شاهد القضيه، و محضها بأرائه الوضيئه.

ثمّ لَمّا أجمع رأيهم (2) على ذلك، خاضوا في بيان ما ينبغي أن يساق، ففرضوا خمسه و عشرين من الخيل الجياد، و خمسه و عشرين من العبيد، و ستين من الإبل، مع ركوب مولانا الشريف إلى دارهم لأخذ خواطرهم، و الاعتراف بالخطأ عليهم، مع إرسال هذه المعدودات إليهم، فقرّرت الحال، و زال ذلك الاشكال.

و الثاني: أنّه بعد ذلك بمدّه زهيده، فعل مثل ذلك أو ما يقاربه، على بيت السيّد الشريف مولانا السيّد عبد المعين بن السيّد محمّد بن حمّود، و فيه جمله من الأشراف.

ص: ٢٦٠

١-١) في «ن»: أيّد.

٢-٢) في «ن»: آراؤهم.

و سبب ذلك: أنه مرّ ليله على البيت المذكور، متصيّدا لعبد من عبيد السيّد عبد المعين، كان قد قتل أحد أولاد الشيخ الجليل الأصيل الشيخ أبي بكر (1) الحنبلي، فلمّا حاذى باب البيت المذكور، رأى جملة من العبيد مجتمعين عند الباب، و من جملتهم العبد المذكور، فأراه فهرب هو و رفاقته، ولاذوا بالبيت المذكور.

فلَمّا أحسّ أسيادهم بذلك نزلوا منجدين عبيدهم، فأوقعوا السلاح في عبيد مولانا الشريف، فرجع إلى داره الشريفه و طلب العساكر، و وصل بهم إلى قريب من البيت المذكور، و اجتمع طائفه من الساده الأشراف عند بيت رفاقتهم أيضا، و كاد أن يقع بينهم القتال.

لكن لما أراد الله تعالى درأ الفتنة بينهم، حضر مولانا و سيّدنا المؤلّف هذا التاريخ باسمه الشريف، و جمع من كبار الأشراف، و حلّوا الأمر بسهولة، و ردّوا مولانا الشريف إلى بيته السامى المنيف، و سكنت الفتنة في أسرع وقت.

لكن قد نفرت خواطر الساده الأشراف منه، فانصرفت وجوههم عنه، و أقبلوا على عمّه إقبال الوالد الودود على الولد المفقود، و شرعوا يبرمون حبال العزل، و ينقضون ما يبرمه من الغزل، و يتسلّلون من مكّه إلى نواحي الطائف، حتّى استتمّ به عددهم، و حصل مقصدهم.

ثمّ خرج عمّه الشريف مسعود لاحقا بهم، مدركا لمأموله بسببهم، و أخرجوا من كان بالطائف من عساكر مولانا الشريف، بمجرّد التهيب و التخويف، و استقلّوا بالطائف و نواحيه، و طلبوا من حوله من عربانه و بواديه، و صرخ منادى عمّه

ص: ٢٤١

١-١) في «د»: أبو بكر.

الشريف مسعود باسمه، و دخلت العرب تحت حكمه، و كان ذلك فى شهر ربيع الثانى من سنه (١١٤٥).

و استمرّوا بالطائف إلى رابع شهر جمادى الاولى، و نزلوا إلى مكّه المشرفه على طريق الثنيه، و أرسلوا قومهم من عقبه كرا.

و سبب ذلك: أنّ مولانا الشريف محمّد دام علاه، لمّا رآهم قد طوّروا الإقامة بالطائف، نهض إليهم بعساكره و خيوله، و صعد على طريق يعرج، فلمّا وصل إلى قرن المنازل أقام (١) به ذلك اليوم للاستراحه، فبلغهم وصوله، فتأهبوا لملاقاته يومهم ذلك، فلم يصلهم.

فلمّا صكّ الليل جعلوا أشياء تفهم ببقائهم (٢) فى محلّهم، كإشعال النيران، و صدى (٣) بعض الطبول، و سرّوا ليلتهم تلك على طريق الثنيه، فما جاء الخبر بانحدارهم إلّا ضحى اليوم الثانى، و هم فيه قد تبطنوا (٤) تهامه، و سبقوا إلى عرفه، فرجع القهقرى بنهايه التعب، و مزيد النصب، إلّا أنّه أحال بينهم و بين قومهم النازلين على عقبه كرا، ثمّ قصدهم إلى موضعهم الذى وقفوا فيه للمقاتله، و هو جبل الخطم الكائن على يسار الصاعد إلى عرفات، و عنده صارت الوقعه بين الفريقين.

ثمّ انجلت فى أسرع وقت عن ظفر الساده الأشراف و صاحبهم بمولانا الشريف

ص: ٢٤٢

١- ١) فى «ن»: و أقام.

٢- ٢) فى «ن»: ببقائهم.

٣- ٣) فى «ن»: و صعد.

٤- ٤) فى «ن»: تيطنوا.

محمّد، وذهابه مكسورا، وانحازت العساكر و الطبول إلى حضره الشريف مسعود، و توجه الشريف محمّد و أتباعه إلى جهه الحسينيه، في ذمه على قانونهم المعتاد.

إلا- أنه كانت هذه الواقعة (١) من أشدّ الوقعات (٢) و أعظمها، و أكثرها فتكا و أجسمها؛ لأنّه لم يباشر القتال فيها إلا الساده الأشراف أنفسهم، و وقع فيها مقتولا- أشجعهم و أنفسهم؛ لأنّهم و جّهوا و جوه الخيل إلى العساكر، و لم يعملوا إلا العساله (٣) و البواتر، و الرصاص عليهم من هؤلاء الأجناد، كالمطر المتواتر على الأرض و المهاده، و هم لا يتجاوزن المائه، إلا أنّهم نعم العصابه و الفئه.

كيف لا-؟ و هم الساده النجباء الأخيار، و أبناء الفتى الفاتك الكرّار، و قد حملتهم على ذلك النفس الأبيّه، و الأنفه الهاشميه، لما أصابهم من الذلّ و الهوان، اللذين لم يصبهم مثلهما (٤) في سالف الأزمان.

إذ المرء أولاك الهوان فأوله هوانا و إن كانت قريبا أو اصره

فإن أنت لم تقدر على أن تهينه فدعه إلى اليوم الذي أنت قادره

و قارب إذا ما لم تكن لك حيله و صمّم إذا أيقنت أنّك عاقره

فلقد كانت القضيه كذلك، إلى أن رفعوه عن ولايه تلك الممالك، و كان رفعه سابع جمادى الاولى سنه (١١٤٥) ألف و مائه و خمس و أربعين، فكانت مدّه

ص: ٢٤٣

١- ١) في «ن»: الوقعه.

٢- ٢) في «ن»: الوقعات.

٣- ٣) في «ن»: العساكر.

٤- ٤) في «ن»: مثليهما.

دولته (١) سنة و خمسة أشهر و اثني عشر يوما.

قتل السيد سليم بن عبد الله بن حسين الحسنى:

و قتل فى هذه الواقعة عدّه أشراف، و اصيب آخرون بجروح عظيمه هائله، كادت أن تذهب بهم لولا بقاء المدّه، و سنذكر الصنفين بالتفصيل، و حسبنا الله و نعم الوكيل.

أمّا الأوّل من الأوّل، فهو السيد الجليل، و السند الأصيل، المتفتّىء من كهف الشرف الأثيل، ظلّه الظليل، معهد الكمالات الجليّه، و معقد خناصر أرباب الهمم العليّه، ذى الفضل الواسع، و الذكر الشاسع، فارس فرسان بنى الحسن، و الراقى ذروه المقال بخلقه الحسن.

جمع الفضل و الشجاعه و الجود و التقى و الصلاحا

مولانا و سيدنا السيد سليم بن عبد الله بن حسين بن عبد الله بن الحسن بن أبى ندى، رحمه الله تعالى رحمه الأبرار، و حشره مع أجداده الأئمه الأطهار.

و لعمري لقد فعل فى ذلك اليوم ما أذهل به عقول القوم، فإنّه حمل على العساكر و الأجناد، حملات تتفطر لهنّ الأكباد، و تذكر حاضرها بلا نكير، حملات الفرسان فى يوم الهرير.

و أخبرنا بعض الثقات من العساكر، الذين كانوا فى الطرف المقاتل و المناظر، بأننا كنّا نسمع بشجاعه على بن أبى طالب عليه السلام، حتّى رأيناها بالعيان، حين أقبل علينا فى ذلك الميدان، و الذى عدّ فيه حين أحضر للغسيل (٢) ثمان عشره ضربه

ص: ٢٦٤

١- ١) فى «ن»: دولتهم.

٢- ٢) فى «ن»: للغسل.

بالقليل، و قتلت تحته فرسه الجوهرة، و هي من الجياد الصافنات المشتهرة، و بسبب وقوعها استولى عليه، و إلا فلا قدره للوصول إليه، تغمده الله تعالى برضوانه، و أسكنه بحبوحه جنانه.

و قد رثاه جماعه من ذوى الأدب، و ابتدر لنشر صفاته كل مصقع و انتدب، مع التعزیه و المدح لأخيه السيد السند الأمجد، المنشد فيه «أخ ماجد لم يخزنى يوم مشهد» عين الأعيان، و فخر الأقران، و غزه وجه الزمان، مولانا و سيدنا و سندنا السيد الشريف محسن بن عبد الله بن حسين المتقدم ذكره الشريف، فى تضاعيف هذا التأليف.

فممن كتب إليه بذلك من المدينه المنوره، الفاضل الأديب، و اللوذعى اللبيب، الشيخ زين العابدين ابن المرحوم الشيخ سعيد المنوفى، و لا بأس بنقل كتابه برمته من منثور و منظوم، و هو:

إنّ أغلى ما تدرع المؤمن جلبابه، و أعلى ما تدرع به إلى ما ينال أجره و ثوابه، حمد الله تعالى عند نفوذ سهام المصائب المصيبه، و الرضا و التسليم لحكم أحكامه المصيبه، و الصلاه و السلام على من هو للصابرين قدوه، المنزل عليه خطابا لامته لقد كان لكم فى رسول الله أسوة (1) سيدنا و نبينا محمد أحمد العالم بأسره، و على آله مصابيح هدى الله تعالى، و مفاتيح خزائن بزه، خصوصا علم مجدهم الشامخ، و طود الفخار الراسخ، أجل من يشار إليه، و أكمل من تعقد الخناصر عليه، الإنسان الكامل على الحقيقه، و هذا التعريف كاف عن التعريف، الذى يحصر عمّن يريد حصره و تحقيقه.

ص: ٢٤٥

مبارك الوجه ميمون نقيته تجلى بطلعته الأحداث و النوب

نور النبوه فى لآله مؤتلق للناظرين و نار العزم تلتهب

من معشر شابت الدنيا و مجدهم غصّ و أثوابه فضفاضه قشب

و فى مدائحهم فخر لمادحهم و فى ولائهم ذخر و منقلب

لا زال محسنا و الله يحسن إلينا بطول حياته، و الدهر مغفور الجناه مادام مشرقا بأنوار ذاته.

و بعد: فينهى العبد الذى ما برح معمور الفؤاد، بقديم العبوديه و قويم الوداد، مغمورا بسابق الفضل و لا حقه فى القرب و البعاد، قيامه بوظيفه الدعاء، حقيقه لا ادعاء، و أداء مسنون العزاء، فيمن ضاعف الله لكم بالصبر (١) على فقده جزيل الأجر و الجزاء، و قد ساء المملوك طارق الخبر، خصوصا مع تكدر خاطر سيدنا متّع الله بحياته، و صانه من كلّ ضير و ضرر.

و من أجل ذلك نطق لسان الأشجان عن قريحه، و موّده صحيحه صريحه، و المملوك و إن أتى بالغثّ و السمين، و جاء بما لا يلتقى باليمين، فالثقه بإغضاء مولانا و ستره، و معاملته لمولاه بجميل برّه، جرأته أن يجعل ذلك فى الكتاب مسطورا، و يصيره فى صدر الطرس شيئا مذكورا.

صبرا أبا عون تفر بثوابه فى فقد من نزل النعيم ثوى به

صبرا على فقد الكريم أخى الكريم ابن الكريم إلى علا أنسابه

صبرا لفقده سليم الندب الذى لئبى دعا المولى لرحب رحابه

أكرم به من ناسك متهجّد يجلو دجا الأسحار فى محرابه

ص: ٢٦٦

(١ - ١) فى «ن»: الصبر.

أعظم به من فاتك متأسد ما إن يهاب الموت فى محرابه
فى طاعه الله الكريم و برّه أفنى زمان مشيبه و شبابه
تبكى عليه قلوبنا بدمائها و دموعنا كالغيث فى تسكابه
تبكى عليه المشرفيه و القنا و معارك الضرغام فى تلعبه
يبكى له البيت الحرام و ركنه و مواقف الطاعات فى أعبابه
تبكى عليه عين كل مهذب يدرى برفعه قدره و جنبه
لكن أقول و إن تعاضم فادح من خطبه و أصاب سهم مصابه
إن غاب من آل الحسين سميدع ما غاب ليث شراهم عن غابه
قسما بمن جعل العلا قسما و من تجرى امور الخلق طبق كتابه
مادام محسن فالهنا أولى بمن لبس الحداد و جال فى أثوابه
مادام محسن فالسياده و العلا و المجد فى عليائه و قبابه
المحسن المفضل و العلم الذى تتراحم الأعلام فى أبوابه
غيث النداء غوث النداء غيظ العدا برّ يفوق البحر فيض عبابه
ملك به العليا سمت و تبسمت مذلاح فى الدنيا ضياء شهابه
ملك الشجاعه و المهابه و التقا سامى الذرا و الفرد فى أترابه
ملك الشهامه و المهابه و الوفا و أجلّ من يقضى بفصل خطابه
ملك يحكم فى العدا سيف الردا و يظلّ يوصل نصله لنصابه
ملك يرى للاندزين بحبه حقّ القرابه من وفا أحسابه
فتناؤه كالزهر طيب شميمه و الزهر فى أحصائه و حسابه
فليعف عمّن عجزه أولى به عن مدرك الأطناب فى ألقابه

وإليها يابن الكرام و من به افتخر الزمان و كَفَّ كَفَّ عتابه

ص: ٢٦٧

عذراء ترجو منك عذرا لامرئء إخلاصه لك صين عن إشرابه

ما شأنه نظم القريض و إنما ناب الشجا و الحبّ حقّ منابه

ما حال عن صنو الوداد و محضه و الماء ليس شرابه كسرابه

يدعو بطول بقاك في غسق الدجا بل لم يزل بذل الدعا من دابه

فاسلم و دم بأمّنجع اللاجي إليه و مهيع الراجي و كاشف ما به

وصل الصلاه مع السلام على ال نبي و آله و الطهر من أصحابه

و تعزّ في ابن أبيك أجرا و احتسب صبرا أبا عون تفرّ بثوابه

انتقل رحمه الله تعالى عن ولد صغير يسمّى محمّدا، لا زال لمتأثر أبيه مجدّدا.

قتل السيّد سعيد بن سليمان بن أحمد الحسنى:

و الثانى: السيّد الأجلّ الأشرف، و الكهف الأظلم الأرف، مالك أزمه المجد، و الراقى من المعالى كلّ ربا و نجد، الشهم الجليل الأكبر، و الراوى لأحاديث الرئاسة برّا عن برّ، مولانا السيّد سعيد بن سليمان بن أحمد بن سعيد بن شبر، رحمه الله تعالى، و أفاض على قبره الشريف شأبيب غفران توالى، فلقد كان ذا خلق لطيف، و خلق باهر شريف، و رئاسه و ملاءه، أخلف بهما آباءه.

هو النجيب ابن النجيب ابن النجيب

فخر تغلغل في شعاب المجد مع صدر رحيب

و لعمري لقد كان له آباء وجدود، أرغموا أنف الدهر بالعطاء و الجود، عمروا ربوع المجد العواطل، و قلّدوا بعقود المواهب كلّ جيد عاطل، و بنوا دورا هي باقيه إلى الآن، تشهد برئاستهم الساميه في تلك الأزمان.

إنّ آثارنا تدلّ علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

و من جمله آثارهم الساميه المنيفه، كتب صَنَّفَهَا مصَنَّفُوهَا (١) بِأَسْمَائِهِم الشَّرِيفَهُ، و سعيد هذا نعم الخلف، بعد ذلك السلف، حاز النصيب الأوفر من طريف الفخر (٢) و تالده، و لا غرو أن يحذو الفتى حذو والده، فخر تشهد به الامم، و ترويه العدول من ذوى الذمم.

أشبه حاتما عدى في الكرم و من يشابه أبه فما ظلم

له بأخطاف الطائف أبنيه، و حصون و أفنيه، و رياض باسقه، و أشجار متناسقه، قصد بإنشائها الاقتداء بآبائه، و الاحياء لأخباره و أنبائه.

نبى كما كانت أوائلنا تبنى و نعمل مثل ما فعلوا

قتل السيد سليم بن مبارك بن شبر الحسنى:

و الثالث: السيد الماجد، الجامع لآثار المحامد، مولانا السيد سليم بن مبارك بن شبر، رحمه الله تعالى، و سقاه من حوض الكوثر، و هو لم يكن فى رتبه الأولين من الاشتهار، غير أن سيفه فى الهيجاء فاتك بتيار، نازل الفوارس و الأبطال غلاما، حتى صار لهم إماما، فرحم الله الثلاثة، و قدس أرواحهم، و أنعم بالرضوان مساءهم و صباحهم.

و أميا الصنف الثانى، و هم الذين أصابتهم الجروح الهائله، و الفتكات القاتله، لولا أن الله عزّ و جلّ لم يقض عليهم بالوفاه لبقاء الأجل، و هم: مولانا السيد شير بن جازان، و مولانا السيد مبارك بن السيد شير بن مبارك بن فضل، و مولانا السيد إبراهيم بن السيد محمّد بن سعيد بن شير، و غير هؤلاء الثلاثة من الساده، و من

ص: ٢٦٩

١- ١) فى «ن»: مصنفون.

٢- ٢) فى «ن»: المجد.

غيرهم من الخدام.

و أما الطرف الآخر، و هو طرف صاحب الترجمة، فذهب من العساكر اليمية عدد كثير، و جم غفير، و جراحات وقعت في بعض الساده الأشراف، و في بعض أشخاص من الأطراف.

و الحاصل أنه كان هذا اليوم من غرر أيامهم المشهوره، وفتكات سيوفهم المذكوره، و حق لهم أن ينشدوا صاحبهم أبيات وداك، الكافله بتلخيص حالهم من مبدئه إلى يوم العراك، و هي:

رويدا بنى شيان بعض وعيدكم تلاقوا غدا خيلي على سفوان

تلاقوا جيادا لا تحيد عن الوغى إذا ما غدت في المأزق المتداني

عليها الكماه الغر من آل مازن و لاه طعان عند كل طعان

تلاقوهم فتعرفوا كيف صبرهم على ما جنت فيهم يد الحدثان

مقاديم وصالون في الروع خطوهم بكل رقيق الشفرتين يمان

إذا استنجدوا لم يسألوا من دعائهم لأيه حرب أم لأي مكان

خروج الشريف محمد من مكة المكرمة:

هذا و قد علمت ممّا سبق توجيه الشريف محمد إلى جهه الحسيه، داخلا على بعض الساده، على قوانينهم المعتاده، فأقام فيها أياما ثم طعن، متوجها لتقاء اليمن، و لم يزل في سيره إلى أن اتصل بالمخواه، و بها كان مقره و مأواه، ثم منها (1) أنشأ توجهه و رحيله، و تنكب ذروه سراه بجيله.

و لم يبرح كالرجل الخائف، إلى أن بزغ قمره على الطائف، فتلقته قبائل ثقيف،

ص: ٢٧٠

(١ - ١) في «ن»: فيها.

و قابلوه بنهايه التعظيم و التشريف، و عرضوا أنفسهم عليه، و وجهوا نجائب همّتهم إليه، فاستخدم بهم، و نال مقصده الأسنى بسبيهم.

و بيان ذلك: أنّه لمّا بلغ صاحب مكّه المشرفه، و الرافل فى حلل ولايتها المفوفه، الشريف مسعود بن الشريف سعد، و وصول الشريف محمّد إلى الطائف على الطريق المذكور، نهض إليه بهمه علويّه، و صوله علويّه، و أقبل عليه بعد تعب شديد، سنشرحه عند ترجمه ملكه السعيد، و تلاقيا بوادى المثناه بالطائف، فى اليوم الثامن عشر من شعبان، سنه ألف و مائه و خمسه و أربعين.

فانحاز الشريف محمّد و ثقيف إلى جبال شاهقه، و صوى متلاصقه، بحيث لم يكن للخيل بينها مجال، لو عاره تلك الجبال، فتواتر عليهم من ثقيف الرصاص، حتّى لم يجد الشريف مسعود و من معه غير التسليم و التوجّه مناص.

فاستقلّ الشريف محمّد بالشرافه، و توجّه الشريف مسعود و من معه من الأجناد، بعد أن أخذ الآجله على المعتاد، و توجّه الشريف محمّد إلى مكّه المعظمه، متحلّيًا بعقود الشرافه المنظمه، و دخلها فى اليوم... (١) من شعبان، فكانت مدّه غيبته ثلاثه أشهر و أيّامًا، و هى مدّه شرافه الشريف مسعود، كما سيأتى.

ثمّ استمرّ فى الأياله، ناشرا لرايات العظمه و الجلاله، إلاّ أنّه (٢) أصابته فيها حروب و متاعب، و ظلم و غياهب، ثمّ تنجلى على أحسن حال، بما لم يخطر لأحد ببال.

وها نحن نشرع الآن فى شرح تلك الامور، مع إضافه تاريخ وفيات بعض

ص: ٢٧١

١-١) بياض فى النسخين.

٢-٢) فى «ن»: أنّها.

الأعيان، و حادثه وقعت فى بعض البلدان، و نبدأ من دولته الأولى، و نقرّر حوادث دوله (١) الشريف مسعود فى ترجمته كما هو الأولى، و الله الموفق و المعين.

فصل: فى الامور المذكوره و الحوادث المشهوره

اشاره

فى الامور المذكوره و الحوادث المشهوره

قد تقدّم أنّها حوادث سنه (١١٤٣) ثلاث و أربعين و مائه و ألف.

و فى آخرها: كان جلوس صاحب الترجمه، فبدأ بحوادث سنه (١١٤٤) أربعه و أربعين و مائه و ألف، و فيها: صارت الحادثتان الأولىان، و هما اللتان كانت سبب عزله، كما بيناه غايه البيان.

وفاه السيد عبد المعين بن محمّد الحسنى:

ففى رابع عشر جمادى الأولى من السنه المذكوره: توفّى إلى رحمه الله السيد الشريف، و السند العالى المنيف، مولانا و سيدنا السيد عبد المعين بن محمّد بن حمّود بن عبد الله بن الحسن بن أبى نعى، تغمّده الله بالرحمه و الرضوان، و أسكنه فسيح الجنان.

ثوران العوام على العجم بمكّه:

و فى أواخر السنه المذكوره: ثارت العوام فى المسجد الحرام، على طائفه العجم المجاورين بمكّه المشرفه؛ لأنّه كان قد أخذ الحاج العجمى (٢) قريبا من مكّه المشرفه، فى السنه التى قبل هذا العام، فأقام مكّه منهم جمّ غفير، و صاروا يتردّدون على المسجد للعباده.

ص: ٢٧٢

١- ١) فى «ن»: حوادث مدّه دوله.

٢- ٢) فى «د»: العجمى.

فزع بعض العوام أنّ بعضهم وضع نجاسه بالكعبه الشريفه، و آثار الغاره عليهم بمساعده العساكر المصريه، و سردارهم حسين آغا الآتى ذكر قتله فى حوادث سنه ستّ و أربعين، و مشى العامه على قاضى الشرع الشريف، فهرب من المحكمه الشريفه ولجأ بحسين آغا المذكور، و سار هو و إتياه و جمع من العساكر المصريه إلى حضره الوزير الأعظم أبى بكر باشا صاحب بندر جدّه، كأنه قد جاء إلى مكّه المشرفه فى تلك الأيام.

ثمّ ذهبت العامه إلى شيخ الإسلام ببلد الله الحرام، و أخرجوه من بيته، و أخرجوا غيره أيضا من أهل العلم و ذوى الهيآت، ثمّ اجتمعوا عند حضره الوزير المذكور لقصد نصب الدعوى، و الحال أنّ الخصم غير موجود بل غير معلوم، فراجعهم حضره المفتى فى ذلك، فأجابوه بأجوبه خشنه، و أفعال غير مستحسنه، و تغلبوا على حضره الوزير، و أخذوا منه حكما بإخراجهم عن مكّه المشرفه، و نهب بيوتهم، و أخذوا من القاضى مثله.

ثمّ مشوا فى أزقه مكّه المشرفه بالمنادى بأنّ من جلس بمكّه المعظمه منهم فهو منهوب مقتول، و فى حال الفاره نهبوا بيتا من بيوتهم، و منعهم عنه و عن غيره بعض الساده الأشراف، هذا كلّ صار و شريف مكّه الشريف محمّد صاحب الترجمه جالس فى بيته لم يعترضهم.

و فى اليوم الثانى: اجتمعوا عند حضره القاضى، و طلبوا منه أن يرسل إلى الشريف محمّد، و يأمرهم بالكتابه على ما بأيديهم من الصكوك، فامتنع الشريف عن ذلك، فأخافوه بأشياء اقتضاها الوقت، فوافقهم على ذلك، و أطلقوا مناديا آخر بخروجهم، فتوجّهوا إلى الطائف و جدّه و غيرهما، و صبر أياما قلائل حتّى همدت القضيه، ثمّ ساس الأمر و تنبه لمن كان سببا لهذا الأمر و أخافه.

ثم أرسل إلى من كان بالطائف و أمرهم بالوصول، فوصلوا في أواخر ذى القعدة من السنة المذكورة، مع وصول حجّاج آخرين من جنسهم من أقطارهم بَرًا و بحرا، فاضمحلّت القضية، و لم يعترضهم معترض.

و في الحقيقة إنّما كان التعصّب في هذا الأمر من الأتراك و آغواتهم المذكور، و بعض أراذل من سوقه مكّه المشرفه، و إلا فأهل مكّه الحقيقيون لم يكونوا راضين بذلك، كما يدلّ عليه شعر من نظم ذلك (1).

فمن جملة من نظم هذه الحادثة و أرّخها صاحبنا الأديب الشيخ تاج الدين بن الشيخ عارف المنوفى، فقال:

تعاما حادث قد سلّ بغيا على أهل النهى بالفضل نصله

به الجهّال قد رجموا سفاها لقاضى الشرع أبقى الله عدله

و مفتى مكّه من غير جرم يبيّن فرعه للناس أصله

و ما عرفوا فضل العلم قدرا و ما رفعوه بل حفظوا محلّه

و ما أدوا حقوق جوار بيت لهم قد بيّن القرآن فضله

و لكن أسعف المقدور فيهم و مزّق جمعهم و أباد شمله

و داركنا بلطف منه أوهى لقوّه عقد ما برموا فحلّه

فقد أحكمت فى ضبطى بعام أساء به حليف الجهل فعله

مثالا خذه منه و استمعه و أرّخه بغلب الجهل أهله (١١٤٤)

و نظمها غير واحد من العصرين، و الله أعلم.

ص: ٢٧٤

(١ - ١) راجع: خلاصه الكلام ص ١٨٤.

ابتداء خروج السلطان نادر شاه فى ايران:

ففى أثنائها: عدا وزير سلطان فارس على أستاذه باصهبهان، و رفعه عن سلطنته، و بعثه لملازمه الحضرة الشريفه الرضويّه بمشهد خراسان، و هو أمر غريب، و حادث عجيب.

و سبب ذلك: أنه لما استولت الطائفة السليمانية على اصبهان فى حدود سنة ألف و مائه و ستّ و ثلاثين، قتلوا جميع أبناء السلطنة الفارسيّة، و سبوا نساءهم، و غنموا أموالهم، و أرسلوا عمّالهم إلى جميع تلك الممالك، فشدّ من أبناء السلطنة أفراد، ثمّ هلكوا إلاّ شخص واحدا منهم، يسمّى السلطان طهماس (1) من أولاد السلطان حسين الذى أخذت المملكة من يده، و سنّه دون العشرين، فخرج بالسيف فى طهران، و اجتمع عليه أجناد من العجم و بواديهم.

و فى أثناء ذلك أيضا عدت الدولة العثمانية على ما قاربها من البلدان، كتبريز و اروان و تفليس و شماخى و غيرها، و استولت عليها، و أسرت الرجال، و سبيت النساء، و تصرّفوا فيهم تصرّف الملاك فى أملاكهم، و ذلك بفتوى أفتى بها شيخ الإسلام باسلامبول دار السلطنة، مع إنكار آخرين من أهل العلم عليه فى هذه الفتيا، و الله أعلم بحقائق الامور، غير أنّهم فعلوا ذلك.

فلم يزل طهماس المذكور يدافع عن نفسه و عن البلدان مع إعانه الرعايا له، و هذا الوزير من جملة الأجناد، و ليس له إسم و لا رسم، و أعظم دولته المدبرون

ص: ٢٧٥

لها غيره من امراء دوله أبيه الشاه حسين، و وقعت عليه وقائع عظيمه، حتى كاد أن يظفر به من الطائفه السليمانيه و الدوله العثمانيه.

و هذا الوزير لم يزل يترقى إليه بهمه العاليه، و مساعيه الجميله، إلى أن وصل إلى رتبه الوزاره، و كان اسمه «نادر قلى» فسماه السلطان طهماس قلى، و صارت لهم فتوحات كثيره بهمته و تدبيره، و أعاد على استاذه أكثر ممالكه و ضبطها.

ثم توجه إلى اصفهان، و قاتل السليمانيه، و ظفر بهم، و قتلهم و أبادهم عن آخرهم، و استقل باصفهان، و راسل لاستاذه بالوصول إليها.

فلما قرره بها توجه إلى حرب هراه، و هو قطر واسع يحتوى على قلاع عديده، و حصون شامخه منيفه، و حاصرها سنه و شهورا، حتى أنه زرع و حصد فى خوارجها فى هذه المده، ثم استأصلها عن آخرها، و أباد من بها من الطائفه السليمانيه، و نقل منها خمسه و عشرين ألف بيت من أكابرها و ذوى شوكتها إلى قطر خراسان، و نقل مثلهم منها إليها، و وضع عليها و لاه، و رجع إلى أقطار فارس، ثم قصد اصفهان تخت استاذه، ثم قبل أقدامه، إلا أنه فى غايه من الشحاء عليه لامور:

أحدها: أنه صرف أموالا عظيمه فى غير مصارفها.

و ثانيها: إنهما له فى الفساد من شرب الخمر و غيره.

و ثالثها: أنه فى أثناء محاصرته لهراه عدا صاحب بغداد من طرف الدوله العثمانيه على همدان التى هى من ممالكهم؛ لأنه بلغه أن الوزير المذكور قد ظفر به أهل هرات، فاغتنم الفرصه و أخذ همدان.

فلما بلغ السلطان ذلك ركب من اصفهان على صاحب بغداد بعساكر قليله، فتقاتلا قريبا من البلد المذكور، و هزم صاحب بغداد عساكر السلطان طهماس،

و رجع هاربا إلى اصفهان، فصارت مكاتبات و مخاطبات بينهما في الصلح، على أن ما كان بيد آل عثمان من الممالك الفارسيه تبقى بأيديهم، و ما أنتم عليه لا معارض لكم فيه.

فاغتم السلطان طهماس ذلك و أقّهم عليه، فبلغ الوزير المذكور ذلك، فأرسل إلى صاحب بغداد يعتبه في هذه الوثبه و يتوعدّه؛ لأنه كان بينه و بين صاحب بغداد صداقه و أقوال فعل بخلافها.

فغضب حضره الوزير المذكور على استاذه في خفّه حركته على صاحب بغداد، حتّى أصابه ما أصابه، و تجرّع من كأس الانهزام علقمه و صابه، و تعب عليه في قبوله الصلح على هذه الصفه، إلاّ أنّه لم يظهر له ذلك حال المواجهه، إلى أن لطفه و التمس منه أن يشرفه في منزله خارج البلاد، ففعل.

فلما صار في قبضته قبضه، بعد أن طلب الشراب و سكر حتّى ذهل عن نفسه، و وضعه في محمل عظيم و حفّه بالعساكر، و بعثه إلى مشهد الرضا عليه السلام بخراسان، و أمر بنزوله في الصحن الشريف، و طلب إبنه له عمره دون السنه يسمّى شاه عباس (1)، و وضعه في مهد عمل من الذهب و الجواهر، و وضعه على رأسه، و مشى به في الديوان، و أمر بضرب الطبول، و إفاضه الخلع السلطانيه على امراء العساكر، و فزّق عليهم مبالغ من الأموال، و ضربت السكك باسمه، و خطبت الخطباء في سائر البلدان بالدعاء له، و نقل التخت السلطاني إلى قزوین، و هى موضع تختهم القديم، و وضع على اصفهان أميراً من طرفه، و وكيلاً و مشرفاً عليه.

ثم رجع بالعساكر القهقري مع أموال عظيمه جمعها من اصفهان و نواحيها.

ص: ٢٧٧

(١ - ١) في «ن»: يسمّى إسماعيل.

و لم يزل سائرا إلى أن قصد بغداد، و أخذ جميع القرى الكائنه بأطرافها، ثم حاصر القلعه بعد أن عمل زناجير من الحديد، و مدها جسرا على الشط، و طرح عليها أخشابا، و مشى الخيل و العساكر عليها؛ لأنّ صاحب بغداد رفع جسرها المعتاد.

ثم لم يزل يحاصرهم حتّى (وهمه (1) العسكر السلطاني العثماني، و أمير ذلك العسكر الوزير الأعظم عثمان باشا، و معه وزراء كثيرون، و جنود عظيمه، و خرج لوصولهم صاحب بغداد بعساكره، و حاربوه حربا شديدا، حتّى هلك أكثر عساكره، و هرب هو و بعض أجناده إلى همدان، و أقام بها شهرا، و العسكر السلطاني يريد اللحوق له.

فاستدرك حاله في أسرع مده، و رجع كازّا عليهم، و هم سائرون إليه، فصادفهم في أثناء الطريق، و قاتلهم قتالا عظيما، أسفر عن قتل عثمان باشا، و غيره من الوزراء، و هلاك غالب العساكر، و استباد جانب عظيم منهم، و نهب المعسكر، ثمّ أقبل على بغداد كالأسد الضارى، فقابله صاحب بغداد باللطف و المحاسنه حتّى استمال خاطره، و وقع الأمر على الصلح بينهما.

ثمّ إنّه أبقى عنده غالب ثقله، و ارتحل من عنده لاحقا بشيء من خدامه، و كبار عساكره كان قد هرب بنحو اثني عشر ألفا من العساكر لما رأى استاذه قد فرّ إلى همدان، أو ظنّ أنّه قد هلك في تلك المعركه، فذهب إلى شيراز، فلحقه بها في ظرف عشره أيام، و ظفر به بشيراز و قتله، ثمّ استدرك أحواله استدراكا آخر.

و في أثناء هذه الحركه ظفر بالشيخ أحمد المدني الذي كان عاصيا في أطراف

ص: ٢٧٨

(١ - ١) من هنا إلى أول الفصل الآتي لم توجد في نسخه «ن» بل فيها بياض.

فارس، و وضعه فى قدر و طبخه، زاعما أنه إن كان كما تقولون من المشيخه و الولايه، فما يلحقه ضرر من هذا القدر؛ لأن قومهم كانوا يعتقدونه وليا، و لا قامت دولته إلا بهذا الاعتقاد، فصبر قليلا، ثم قال: اكشفوا عن الشيخ غطى القدر، فما أظنه إلا ما قلى، فلما كشفوا عنه الغطاء وجدوه قد ذاب، و تهزأ فقال لقومه: هذا الشخص ليس بولى، و إنما هو شيطان قد استغواكم.

ثم نهب أمواله و جواهر عظيمه كانت عنده و فى خزائنه، قد انتهبها من أيدي السليمانيين حين رجعوا من بلاد العجم، هاربين من نادر شاه المذكور، حين هجم عليهم باصفهان، و ظفر بغير أحمد المدنى فى مسيره هذا من العصاه، و فتح قلاعا كثيره، و ختم الأمر بمسكه لذلك الشخص المذكور الذى قد هرب بهؤلاءك العساكر إلى شيراز، و يسمى محمّد خان البلوجى، و قتله و ضبط أمواله.

ثم لما تم استدرأكه، توجه لمقاتله العساكر العثمانيه الكائنين بقلاع تبريز و ايروان و تفليس و شماخى، و تلك الأقطار التى هى أنهى الحدود بين الدولتين العثمانيه و الصفويّه، و هى بيد الصفويّه.

إنما لما سارت الطائفه السليمانيه على بلاد العجم، و أخذوا اصفهان، و أسروا السلطان حسين و أولاده، ثم قتلوه هو و أولاده، و ذهبت الدوله الصفويّه عن آخرها، إلا هذا السلطان طهماس بن السلطان حسين، الذى خدمه نادر شاه المذكور، ثم حبسه و ولى ولده الشاه عباس، كما فضلناه سابقا؛ لأنه قد فرّ إلى طهران كما تقدّم بيانه.

فلما أقبل على تلك القلاع قاتلهم، و لم يزل يأخذهم شيئا فشيئا، إلى أن استولى على جميع تلك البلدان و قلاعها، و قتل و أسر و مهّد أقطارها، و شيّد قلاعها، و حشاها بالعساكر.

ثمّ تقدّم إلى سمت الدوله العثمانيّه، فجهّزت عليه العساكر الكثيره و الوزراء العظام، و أمرت عليهم الوزير الأعظم، و المشير الأفخم، عبد الله باشا الكبرلى.

و لما أن قربت منه العساكر السلطانيّه، و هم فوق مائه ألف، قابلهم و قاتلهم قتالا عظيما، إلى أن ظفر بهم، و استشهد الوزير عبد الله باشا و من معه من الوزراء، و قتلت تلك العساكر، و سبى جانب منهم، و أخذ الأموال و الأسلحه و الخيول، حتّى كأنّهم لم يكونوا شيئا مذكورا، فزادت قوّته، و عظم شأنه.

و لم يزل كذلك فى تلك الجهات، و فى أثناء ذلك ركب على قبيله اللزق و أخذهم، و هم أكثر من مائه ألف بيت، و أوقع بالتار واقعه عظيمه أيضا.

و راسل بنى الأصفر الذين استولوا على كيلانات، فارتفعوا عنها بدون قتال، و أرسل إليها الولاة من طرفه و ضبطوها.

ثمّ لم يزل فى تلك الأقطار إلى أن صار الصلح بينه و بين الدوله العثمانيّه، على أنّ ما أخذه من الممالك التى كانت للدوله الصفويّه سابقا، فلا يعارض و لا يتعدّى إلى غيرها من الممالك العثمانيّه، كبغداد و غيره.

و استقرّ الأمر على ذلك، و بعدها لم يقع بينه و بين الدوله العثمانيّه قتال، بل لم تزل الهدايا بينهما تحفّ من جميع التحف، و اشترط فى أثناء عقد الصلح ردّ الاسراء من الطرفين، فصار ذلك بالتحقيق، و حسم الله مادّه الفساد بين الدولتين، و حقن الله دماء المسلمين بمن و فقّه الله تعالى من عباده الصالحين؛ لأنّه قد هلك من الفريقين جمّ غفير، و جمع كثير، كلّ ذلك فى ذمّه من كان سببا لهذا الأمر، لا حول و لا قوه إلاّ بالله.

إلا أنّ هذا الصلح لم ينعقد بين هذا الرجل و بين الدوله العثمانيّه إلاّ على كيفيه و نمط سنذكره فى حوادث سنه (١١٤٩) تسع و أربعين و مائه و ألف، و هى التى خلع

فيها استاذہ الشاہ عباس تنزیلاً لكلّ حادثہ فی سنتہا، واللہ الموفق للصواب (۱).

فصل: فی حوادث سنہ ستّ و أربعین و مائہ و ألف

فتنہ سردار حسین أفندی:

ففي رابع عشرين شهر ربيع الأول منها: صارت حادثه غريبه، تولدت منها مفسد و امور غريبه، و هو أنّ سردار الأنقشاريّه المقيمين بمكّه البهيّه حسين أفندی، طلع متنزّها بأهله و أولاده، و خدمه و بعض أجناده، إلى موضع بأعلى مكّه، فحصلت من بعض جماعته فتكه في بعض العساكر اليمتيه، خدام مولانا الأمجد الشريف محمّد أدام الله دولته، و أيّد صولته.

فلما سمعت العساكر بما أصاب صاحبهم أحاطوا بموضعه الذي هو فيه، و بادروه برمي الرصاص الذي ما عنه مناص، و أذاقوا جماعته حرّ السلاح، و وثبوا على ساحته، و ثوب الأسد من غابته، و أغاروا على جميع ما في أسفل الدار من النحاس، و الفراش و الأثاث و الآلات المستعدّه لمن يرد عليه من الناس، و قتل له عبد و خادم و حصانان جيّدان.

فبلغ مولانا الشريف ما صار، فركب فوراً ليقرع العساكر، و يحرز ما بقي من الأثاث، فلما وصل إلى الموضع قام السردار من محلّه كالمغتنم لوصول الشريف، ممّا حفّ به من البلاء العنيف، و فتح طاقه ليخاطب الشريف منها، فلما وقف بها أصابته رصاصه من بعض العساكر، عاش بعده ساعه ثمّ هلك، و دفن هو و خادمه في يوم واحد، فسبحان من تفرّد بالبقاء، و قهر عباده بالفناء.

ص: ٢٨١

(١-١) ما بين الهاليتين من نسخه «د» فقط و لم توجد في نسخه «ن».

و لعمرى لقد كان هذا الرجل أحد الجبابره الطغام، و أوحّد المتكبرين على الأنام، أقام بمكّه المشرفه ثلاث سنين، و هو لم ير له بها قرين، يسوم أهلها بالخسف و الهوان، و يعاملهم بالتحقير و الامتهان، لا- يعرف الشفقه على عباده، و لا تلابسه الرحمه على صلحاء البلد الحرام و عبّاده.

نشأ بمصر القاهره و أسنّ بها، و تحلّى بحليه أهل الأقالم فترقى بسببها، و صار كاتبها الكبير، و مرجع أهلها فى كلّ تدبير.

فنفث فيهم نوافث سحره، و افتنّ بينهم بفساده و مكره، حتّى أجمعوا على تخريجه من البلاد، و توجيهه إلى مكّه المشرفه مع غيره من أهل الفساد، مع دفع جانب من المال، ليسلم به من القتل.

و قد ولى منصب السرداريه سنه أربع و أربعين، كما تقدّمت الاشاره إليه، و اعيد إليه فى السنه المذكوره التى صار عليه فيها ما صار، و توجه لملاقاه الملك الجبار.

ثمّ تولّد من قتله فتن عظيمه، و متاعب على الخلق جسيمه، و هو أنّ العساكر المصرّيه تعصّبت و تحزّبت، و استدعوا بمن كان ببندر جدّه منهم، و تلقّى حاضرهم باديبهم، و عمرت بمدّ الإطاعه نواديهم، فصاروا جمعا عظيما، و تفرّقوا فى بيوت سويقه و غيرها ممّا قاربها، و سدّوا منافذ الأزقه و مساريها، و اخترعوا متارس فى تلك الدور، و أظهروا العجب بكثرتهم و السرور.

فأرسل إليهم مولانا الشريف من يكشفهم عن ذلك، فأجابوا بأجوبه سقيمه، تأبأها قواعد الشرع المستقيمه، و فى الباطن قد أضمروا و صمّموا، و حزموا و لم يتكلّموا، على رفع الشريف عن مكانه، و عزله عن ملكه و سلطانه.

و فى أثناء ذلك قد أصدروا أرقاما إلى مناهيهم بمصر، و إخبارهم بما أصاب كبيرهم، و إفهامهم بأنّ ذلك كان عن أمر من الشريف، قاصدا به إذهابهم و تدميرهم،

و استمروا أكثر من شهر على حاله التي وصفناها، و ليس لهم قدره على الإقدام عليه، و التوجه إليه، و هو مستقرّ الفكره بداره، لم يشهر له سيف من غراره، بل لم يزل يعاملهم بلطفه، و يحنو عليهم بشفقته و عطفه، و لو أراد تجريعهم كأس الهلاك، لما كان له مانع من ذاك.

مع أنّهم في أثناء تحزّبهم أرسلوا إلى الشريف مسعود بن الشريف سعيد، و هو مقيم بمنزل خليص، و دفعوا إليه أموالاً - ليصل إليهم، و هم على تلك الحال فقبض الدراهم، و امتنع من الوصول إلى البلاد، إلاّ بعد جمع أقوام و أجناد.

ثمّ رحل من موضعه الذي كان فيه مقبلاً إلى أن وصل وادي مرّ، فأقام به و استمرّ، و شرع يستأنف الأشراف، و يجمع البادية من الأطراف، و هم بمكّه المشرفه على حالهم من التحزّب و التتريس، و التحلّي بحمل السلاح النفيس، إلاّ أنّهم في غايه من الانحصار، لما هم فيه من الانحشار.

فوصل إلى مكّه المعظمه، فخر وزراء الدوله الثعمانيه المكرّمه، الوزير الأعظم، و المشير الأفخم، أبو بكر باشا، بلغه تعالى من السعاده ما شاء، بعد مكاتبات كثيره صدرت منهم إليه في بندر جدّه المعمور، و هو لم يزل يعاملهم بالاهمال و الاطاله لمراعاة بعض الامور:

منها: أنّه مع طول المدّه، تنحلّ عنهم الغلظه و الشدّه، و يتنزّلون عن مرامهم، فيتسلّط على نقض إبرامهم.

و منها: مراعاة طرف مولانا الشريف دام علاه، لجزمه بأنّ ما وقع من عسكره، ليس هو مراده و لا هواه، و علمه بأنّه المولّى من سلطان الإسلام، و المنصوب لحمايه جيران بيت الله الحرام.

و منها: استعمال الريث (١)، لاستئزال الغيث، و قد حصل بحمد الله تعالى ورده من الماء المعين، من إحدى الجهتين لا- على التعيين، و كان وصوله إلى مكّه المشرفه يوم... (٢).

فلما وصل قويت شوكة الأتراك، و عرتهم هزّه للقتال و العراك، فأخذ منهم مهله ثلاث ليال، ليمعن النظر في حلّ هذا الاشكال، و لم يزل يحلّ البعض بالبعض، و يستعين بالقوانين الشرعيّه على ما يرومه من النقض، و يدسّ إليهم من يخوفهم من الشريف و أجناده، و خراب بلاد اللّه و ذهاب عبادّه، فشموا منه روائح الجنوح إلى الإصلاح، و شاموا بوارق المهاده التي هي عين الصلاح، فخبث منهم ما طاب، و هبطت أنفاسهم بعد أن كانت في السحاب.

فهيّأ مجلسا جمع فيه القضاة و مشايخ الإسلام، و أهل الحلّ و الإبرام، من أكابر الأروام، بعد أن رتبّ الكلام مع حضره مولانا الشريف، ثم قرأ الفواتح على أنّ كلاً من الطرفين يلزم يده عن الآخر إلى أن يصل الجواب، من شريف الأعتاب، ثم يكون التعويل عليه، و أنّه هو يكفل عليهم عدم الاعتراض، و يكفل على مولانا الشريف و عساكره بعض كبار الساده الأشراف، و كتب بذلك صكّ حافظ للطرفين، و أمر حضره الوزير بالنداء بذلك في المسجد الحرام، ليعمّ الإعلان به جميع الأنام، فصار ذلك في اليوم.... (٣).

ثمّ في اليوم الثاني نزل أهلّ جدّه من العساكر المصريّه، و لحقهم أغلب المقيمين

ص: ٢٨٤

١- ١) الريث: مقدار المهله من الزمن، يقال: وقف ريثما صلينا، أي: مقدار ما صلينا.

٢- ٢) بياض في النسختين.

٣- ٣) بياض في النسختين.

بمكّه المشرفه البهيّه، و هم فى أشدّ ما يكون من الامتحان ممّا (1) أصابهم من الذلّ و الهوان، و عدم حصول المراد، بعزل الشريف و قتل هؤلاءك الأجناد، فأضمرّوا على نقض العهود، و النزول إلى بندر جدّه و إعانه الشريف مسعود.

فلمّا وصلوا إلى البندر المعمور الذى هو المستقرّ، أرسلوا الميره و المبالغ العظيمه من الدراهم إليه و هو بوادى مرّ، و أظهرّوا التغلب على حكّام مولانا الشريف، بالترهيب و التخويف، و استقلّوا بالبندر و أحكامه، من غير إلتفات إلى الشريف و حكّامه، و شرعوا يشدّون الذخائر إلى صاحبهم المرّه بعد المرّه، و يرسلون الدراهم الصرّه بعد الصرّه، إلى أن استقلّت أحواله، و قويت فى نيل الشرافه آماله.

فرحل من موضعه، و نزل على الحديدية، قاطعا طريق جدّه عن الشريف، و عن أهالى مكّه المشرفه البهيّه، فغلبت بسبب ذلك الأسعار، ثمّ عدت الأقوات بالكليه إلّا فى بيوت ذوى الاقتدار.

و مع طول إقامته على الحديدية، عظمت الشدّه و البليّه، لأنّه أقام عليها مدّه مديه، يستألف فيها كبار الساده الأشراف ذوى الآراء السديده، و شريف مكّه قد برز إلى سوح بئر طوى، لكثره ما فيها من الأعلام و الصوى، فجعلها حصونا و متارس، فامتنع بسببها مجال كلّ فارس؛ لأنّ أكثر عمدته على عساكره اليمنيه، لما بينهم و بين الأتراك من الغرضيه، و أغلب الساده الأشراف قد مال إلى جهه الشريف مسعود، لخلوّ يد ذا و كثره ما عند ذلك من النقود.

و أمّا العساكر المصرّيه الذين ببندر جدّه، فبعد أن اعطوا و اجزلوا زمّوا عيسهم،

ص: ٢٨٥

١ - ١) فى «ن»: لما.

و ترخّلوا قاصدين مكّه المشرفه البهيّه، قبل نزول الشريف مسعود على بئر الحديبيّه، بناء على أنّهم عساكر سلطان الإسلام، و حفاظ بلد الله الحرام، و فى ضمن ذلك ينفعون صاحبهم الشريف مسعود، إذا أثارت الحرب بينهما فى اليوم الموعود، فيشتبون نار الغاره من داخل البلاد، إذا أقبل الشريف مسعود بمن معه من الأجناد، و هذا هو المطلوب الأوّل، و الغرض الذى عليه المعوّل.

فانتبه مولانا الشريف محمّد لذلك، فبعث من الباديه و العساكر من يحفظ لهم السبل و المسالك، فلمّا بلغهم ذلك و هم فى أثناء الطريق، جزموا بخيبه الآمال و فساد تلك الأمانى، و عدلوا إلى صاحبهم بمنزل الركانى، ثمّ ترخّل بهم و نزل على بئر الحديبيّه، كما تقدّم، ثمّ شدّوا جميعاً، و نزلوا قريباً من مكّه بحيث ترى النار، و يشاف الغبار.

و لمّا كان اليوم الرابع من جمادى الثانيه من السنه المذكوره: ثارت الحرب بين الفريقين، على قوانينهما المشهوره، و استمرّت إلى بعد الزوال من ذلك النهار، ثمّ انجلت عن ظفر مولانا الشريف محمّد على الشريف مسعود و من معه من العساكر المصريّه، فرجوا بأسوأ حال، و أقبح مقال.

ثمّ توجه بهم صاحبهم إلى بندر جدّه المعمور، و بذل جهده فى حياتهم إلى أن أدخلهم الدور، و نزل هو و من معه من الساده الأشراف خارج البلاد، و شرعوا فى تدبير آخر و اجتهاد، فى حضره أبى بكر باشا أن يلبس الشريف مسعود بن الشريف سعيد، لما بينهما من المحبّه السابقه و الوداد الأكيد، و أن يأمر بالنداء فى البندر باسمه الشريف، بعد لبسه لخلعه التشريف.

فامتنع عن ذلك و أبى، و قال قد جاوز الحزام البطين و تعدّى السيل الربا، كيف أفعل ذلك؟ أم كيف أمتطىء هذه المسالك؟ و أنتم قد ذهبتم لقتاله فظفر بكم، بعد

انقطاع السبل هذه المدّة بسبيكم، مع كونه المنصوب من قبل سلطان الإسلام على البلد الحرام، فما المسوّغ لارتكاب هذا الأمر العظيم، و الخطب الجسيم؟ وإنما الآن حلّوا عقده هذا الحبل، و سيصير في المستقبل إن شاء الله تعالى ما وعدته به من قبل؛ لأنني قد أرسلت إلى أبواب الدولة العاليه بعض من أعتدته من الخدام، و أصحبتة ما فيه الكفايه من الأرقام، فأرجو الله أن يصل الأمر السلطاني ناطقا باسمك، مصرّحا بوافر قسمك.

فامتنع الشريف مسعود عن قبول هذه الوعود، و خرج من عنده مغضبا، قد أضمر على تجديد القتال، و الفعل الذي لم يخطر لأحد ببال.

و أمّا حضره مولانا صاحب الترجمة و شريف مكّه المعظمه، فقد رجع إلى بيته بعد الظفر بهم، و عودهم إلى منزلهم الأوّل.

فلما بلغه نزولهم إلى بندر جدّه، تعقبهم بعساكره و أجناده، مع إرسال بعض الأشراف الذين كانوا معه بكتب و مراسلات لحضره الباشا و كبار الساده الذين كانوا صحبه الشريف مسعود، يعرض عليهم جميع مقرّراتهم و علائفهم على المعتاد.

فلما أقبل على البندر المذكور، رام الشريف مسعود النهوض إليه، و الوثبه عليه، فلم [\(1\)](#) يمكنه ذلك بسبب بعض الموانع، مع قدره الله تعالى التي ليس لها مانع، شدّد و نزل بعض تلك الأطراف، مع بعض صغار الساده الأشراف،

و دخل مولانا الشريف محمّد إلى بندر جدّه، و حصل له كلّ ما طلب و شاء من حضره الباشا، و الأتراك قد صاروا في غايه الذلّه و الهوان، و التماس سلامه

ص: ٢٨٧

(١ - ١) في «ن»: فلما لم.

الأرواح و الأبدان، و أخذ منهم و من التجار ما أراد، من غير توقّف و لا عناد، و سلّم للسادة الأشراف جميعا ما قرّ عليه الحال، و عدّ للعساكر و البادية علائقهم المقرّره، فى الدفاتر المحرّره.

و تويّط بعض الأشراف فى أن يصلح الحال بينه و بين عمّه الشريف مسعود، بتسليم ألف أحرر علوفه شهر واحد من النقد المنقود، فقبل منهم ذلك فى الظاهر و هو مضمر على ما عزم عليه، و وجّه نجائب أمله إليه.

و ذلك أنّه لَمّا كان ليله الرابع و العشرين من جمادى الثانيه، سرى من منزله على خيل و ركاب، و قطع بها ليلا- المهامه و الشعاب، من غير أن يعلم أحدا من أصحابه، الذين فى ركابه.

فلما أصبح الصباح، و ظهر ذلك و باح، و اضطربت الأفكار، أين ذهب و إلى أىّ جهه سار؟

فلما كان صبح اليوم السادس و العشرين من جمادى الثانيه: صبح الطائف بشرذمه من الخيل و الرماه، و نهب بيت آغات العسكر، و سيأتى شرح ذلك فى ترجمته إن شاء الله تعالى، فى بيان الوقعه الخامسه من وقائعه الآتى تفصيلها.

فلما بلغ الشريف محمّد دخوله الطائف، مشى من بندر جدّه إلى مكّه المشرفه، ثمّ عيّن من عسكره جماعه، و جعل عليهم أميرا من الساده الأشراف، و أرسلهم إلى الطائف.

فلما صعدوا عقبه يعرج بلغهم أنّ الرجل فى نهايه القوه، فتحصّينوا فى حصن العبد، برأس عقبه يعرج، و استمروا هناك مدّه طويله لا- يقدرّون عليه، لانحياز ثقيف و غيرهم من العرب إليه، و لم يزل هو وهم على هذه الحال، لم يقع بينهما محاربه و لا- قتال، و الشريف محمّد مقيم بمكّه المشرفه، يرفل فى حلل ولايتها

المفوفه، و لم ينهض لدفعه عن الطائف و أخطافه، و لم يلتفت إلى ما وقع على أهله من الحبس و الخسارات؛ لعدم قدرته على ما ينهضه من الأموال، و إلا فهيمته العليه فوق همم الرجال.

و لم يزل كذلك إلى أن أقبل عليه الشريف مسعود بشرذمه من الخيل و قبائل ثقيف، و نزل بأعالي مكه المشرفه، و خرج إليه السيد الشريف محمّد بعساكره اليمثيه، و تقاتلا- صبح اليوم السابع من شهر رمضان من السنه المذكوره عند قبب الساده الأشراف، فاستمرّ القتال بينهما ساعه من النهار.

ثمّ حمل الشريف مسعود و من معه حملة واحده على الشريف محمّد و أجناده، ثمّ انجلى الغبار عن ظفر الشريف مسعود بالشريف محمّد، و دخوله إلى مكه المشرفه، و توجه محمّد إلى جهه الحسينيه هو و من كان معه من الساده الأشراف، فكانت مدّه ولايه الشريف محمّد الثانيه سنه و ثمانيه عشر يوماً، و الله سبحانه و تعالى أعلم، و الحمد لله ربّ العالمين (١).

و ليكن هذا آخر السفر الأوّل من تنضيد العقود السنيه بتمهيد الدوله الحسينيه، و يتلوه في أوّل السفر الثاني ترجمه الشريف مسعود بن الشريف سعيد، المتقدّم ذكره العالى المنيف في ترجمه الشريف محمّد بن الشريف عبد الله دام بقاهما، و الحمد لله ربّ العالمين، و الصلاه و السلام على سيدنا محمّد و على آله و صحبه أجمعين، آمين آمين.

ص: ٢٨٩

بسم الله الرحمن الرحيم و به الأمان من زوال الإيمان

الحمد لله الذى اصطفى محمّدا المؤيّد المسعود للرساله، من أفخر قبيله، و أشرف بقعه، و أكرم سلاله، و خصّ أهل بيته الأكرمين، و حماه بلده الأمين، و شملهم بالعنايه الأبدية و التأييد، بحيث لم يلف فيهم إلا مبارك و سعد و سعيد.

نشكره تعالى بأن جعلنا من جيران بيته الحرام، و خدمه حماته المؤيدين للإسلام، بإعمال أسنّه الأقاليم فى بياض الطروس و الأرقام، بنشر أوصافهم الحسنه، و تخليدها فى بطون الصحف نظما و نثرا، و ضبط مدد ملوكهم مع تحرير بعض وقائعهم و فتوحاتهم الحجازية النافه (١) بين الخافقين ذكرا.

فهى خدمه شريف المقدار، و قطب رحى المفخر الدينويّه التى عليها المدار، و إلى مثلها تسموا همم ذوى المقدار، من ملوك الأقطار، و رؤساء الأمصار (٢).

و إلى ذلك أشار عمر بن الخطّاب، فى سؤاله لبنت زهير اخت كعب، الذى أعلنت بانث سعاد منه الكعب: ما فعلت الحلل الذى كساها هرم بن سنان أباك؟ قالت:

أبلاها الدهر، قال: لكن الحلل التى كساها أبوك هرما لا يبليها الدهر.

و نصلى و نسلم على سيّدنا محمّد و على آله، و على أصحابه السائرين على

ص: ٢٩٠

١- ١) فى «د»: النافيه.

٢- ٢) فى «د»: الأبصار.

و بعد: فيقول أسير نعمه، و نزيل حرمه، رضى الدين بن محمد بن حيدر (١) الموسوى، عامله الله تعالى بلطفه الخفى: إن هذا أول السفر الثانى من التاريخ المكى الحسنى، المسمى تنفيد العقود الستة بتمهيد الدوله الحسينيه، أسأل الله تعالى إتمامه، و أن يقرن بحسن التيسير ختامه، إنه ولى نعم، و واهب نعم.

ترجمه مولانا السيد الشريف مسعود بن سعيد

اشاره

ابن سعد بن زيد بن محسن بن حسين بن حسن

ابن أبى ندى دام إقباله

كان هذا السيد الشريف، ذو رأى السامى المنيف، ركن دوله ابن أخيه، حين أجلس فى منصب الشرافه بعد أبيه، و هو الذى أظن أساسها، و رتب حكماها و حراسها، و مهد امورها حسب السداد، بهمة العليه و فكره المستجاد، و ذلك بسبب صغر سن الشريف محمد، و عدم إمامه بمهام الملك، و تدبير سياسته و انتظامه.

ثم لَمَّا وصلت الحجوج فى ذلك العام، قابل الامراء و الأعيان بالاعزاز و الاكرام، و أصدر إليهم قواعدهم من الهدايا و التحف، التى إلى أمثالهم تحف.

و فى أثناء ذلك مهد لنفسه مجدا و فخرا، و أناف بين الخافقين ضياء (٢) و ذكرا، فحسده بعض ذويه، و شرع يرمى الفتن بينه و بين ابن أخيه، فصارت بينهما مهاجره

ص: ٢٩١

١- ١) نسبه إلى جدّه، و هو رضى الدين بن محمد بن على بن حيدر.

٢- ٢) فى «ن»: صيتا.

و مباعده (١) و كل مشى على ما بينهم من القانون و القاعده.

فلازم صاحب الترجمة أئده الله داره، و أبدى تجنّبه و ازوراره، و شرع يجتهد فى استماله كبار الساده الأشراف إليه، و يوعدهم بحسن أحواله إذا أجمعوا عليه، فمال إليه من كل بطن جانب، مع كونه مساويا لابن أخيه فى الغالب.

ثم فى أثناء ذلك حدثت منافرات و اختلاف، بين الشريف محمّد و بين من ضمّمهم إليه من أعظم الساده الأشراف، و كان فى ذلك اليوم أكبرهم مقدارا، و أعظمهم مدرارا، زعيم الساده الأشراف بلا مين، السيد محسن بن عبد الله بن حسين.

فعند ذلك وثب عليه الشريف مسعود، و ضمّمه إليه بالبر المنقود، و الخير الموعود، و لم يزل ينصره و يعلى كلمته بين الخاصّ و العام، فى موارث ادعى بها على ابن أخيه عند حكام العرب و الأروام، فأدرك بسببها بعض الأموال، و ظهر فى أثناءها ظهور البدر فى رتبه الكمال، و مال إليه من الأشراف الجمّ الغفير، و العدد الكثير.

و لم تزل أحواله ناميه، و كلمته بين رفاقته ساميه، إلى أن دخل الحجّ ختام سنه أربع و أربعين، و أقبلت الحجوج الشريفه و امراؤها الأعيان، من جميع البلدان، فكاتبهم قبل وصولهم إلى أطراف البلاد، و هاداهم و بذل فيهم نهايه الاجتهاد، فلم ينل منهم القصد و المراد، فتوجّهت الحجوج من مكّه المشرفه، و ابن أخيه رافل فى حلال أيايتها المفوّفه، فرجع إلى اجتهاده الأوّل فى الساده الأشراف، و تزيين الخروج إلى بعض الأطراف.

ص: ٢٩٢

١ - ١) فى «ن»: مساعده.

فوقع في أثناء ذلك إغاره الشريف محمّد على بيت السيّد عبد المعين، وقد تقدّم لها في أثناء ترجمه الشريف محمّد نهايه التبيين.

إلى أن صارت واقعه الخطم التي انكشفت عن عزل الشريف محمّد و توليه الشريف مسعود، فشمله الله تعالى بالعنايه الأزليه و الطالع المسعود، و دخل مكّه المشرفه في اليوم السابع من جمادى الأول سنه ألف و مائه و خمسه و أربعين، و قد ذكرنا هذه الواقعة و من قتل بها من الساده الأشراف بالتفصيل، في ترجمه الشريف محمّد.

و استمرّ الشريف مسعود بمكّه المعظمه متقلداً بعقود شرافتها المنظمه، إلى ثامن عشر شعبان من السنه المذكوره، ثمّ عزل عنها بالشريف محمّد، بقتال وقع بينهما في الطائف، كما تقدّم بيانه في ترجمه الشريف محمّد، و كانت مدّه دولته هذه ثلاثه أشهر و أيّاماً.

ثمّ توجه من الطائف هو و من معه من الساده الأشراف في أجله على قواعدهم الموروثه من الأسلاف، إلى أن نزل بالأحمدية، و هو موضع في أطراف مكّه البهيّه، و أقام بها مدّه أيّام، ثمّ رجع إلى (أطراف) (١) الطائف، و معه جمع يخاف من تعدّي الساده الأشراف.

و لم يزل ينتقل من قريه إلى اخرى، و الطائف ملآن من عساكر الشريف محمّد و أجناده، فلمّا استتمّ مدده (٢)، و كثر عدد أقوامه و عدده، عدى على الطائف صبح

ص: ٢٩٣

١-١) الزيادة من «ن».

٢-٢) في «ن»: عدده.

اليوم... (١) وقاتل من به من العساكر و الأجناد إلى ارتفاع النهار.

فلم يظفر بهم و رجع عنهم، ثم سار إلى بندر جدّه المعمور، و اجتمع بحضره وزير آل عثمان أبى بكر باشا و اجتهد فيه، فلم يجد شيئاً.

فلما سمع الشريف محمّد بتوجهه إلى بندر جدّه لحقه من مكّه المشرفه، فارتفع إلى جهه ديار حرب، ثم استقرّ عندهم بمنزل خليص، و هو موضع بين الحرمين.

و لم يزل مقيماً به إلى أن أتاه داعى الأروام فى شهر ربيع الثانى من سنه ستّ و أربعين و مائه و ألف، كما تقدّم ذكره، من قتل آغات العساكر المصريّه، بسبب قضيه صارت بين بعض المصريين من العساكر و بين عساكر الشريف محمّد، فانجزّ الأمر إلى أن قتل حسين آغا، و كان جباراً طاغياً، فنسبت العساكر المصريّه قتله إلى الشريف محمّد، كما مرّ تفصيله فى ترجمه الشريف محمّد.

فأرسلوا إلى حضره الشريف مسعود - دام بقاءه - يستنجدون به مع مبلغ عظيم من المال ليستعين به، فنهض من موضعه و سار حتى نزل وادى مرّ و أقام به، و استمرّ يستألف الساده الأشراف، و يجمع الأجناد من الوادى و ما حوله من الأطراف، إلى أن عدى على مكّه المشرفه من جهه طوى، و قاتل الشريف محمّد قتالاً استمرّ من الصبح إلى نصف النهار، فلم يظفر به و رجع مكسوراً، و كان ذلك فى اليوم الرابع من جمادى الثانيه من السنه المذكوره.

ثم توجه إلى بندر جدّه مرّه ثانيه، فلحقه الشريف محمّد بمن معه من الساده الأشراف و العساكر و البوادى.

فلما قرب من بندر جدّه، ارتفع الشريف مسعود إلى جهه من جهات بندر جدّه،

ص: ٢٩٤

و استمرّ بتلك الجبهه إلى ليله الرابع و العشرين من جمادى الثانيه، و فيها سرى من موضعه على خيل و ركاب، و لم يدر أين قصد.

فلَمّا كان صبح اليوم السادس و العشرين من الشهر المذكور، صَبَح الطائف و أحاطوا بيت آغاه العسكر المقيمين به، ففرّ من البيت، فأمر بنهب ما فيه، و انحازت العساكر و وكيل الطائف من قبل الشريف محمّد إلى دار شاهقه محصّنه كائنه (١) على الريع المشرف على قريه الطائف، و قصد الشريف مسعود مسجد سيّدنا جبر الامّه عبد الله بن عباس رضى الله عنهما، و أرسل إلى العساكر بالأمان، فلم يقبلوا ذلك.

فلَمّا كان أقلّ من ساعه أقبلت عليه قبيله قريش مع ما تجمّع عليها من قبائل ثقيف من جهه قريه السلامه، و رموه بالرصاص المتواتر منهم، و من هؤلاءك العساكر، حتّى خرج عن البلاد قهرا، ثمّ لم يكفهم ذلك حتّى تبعوه لقصد نهب خزائنه، فرجع عليهم كره أخرى، هي لعمري به أليق و أحرى، فقتل منهم جمّا غفيرا، و من عفى عنه أزيد ممّن قتله بكثير.

ثمّ دخل البلاد، و أمّن من بها من العباد، و نادى لقريش و قبائل ثقيف بالأمان، و أردف ذلك لهم بالعهود و الأيمان، فأقبلوا عليه، و وجّها هممهم بالخدمه إليه، و عرضوا عليه على قوانينهم المعروفه، و قواعدهم المألوفه، و صرف عليهم من الأموال ما أغاثوا به أنفسهم، و نفعوا منه العيال.

و أمّا العسكر و وكيل الشريف محمّد، فأخذوا منه أمانا، و توجّها إلى صاحبهم بمكّه المشرفه، و حال وصولهم إليه وجّه غيرهم من عسكره إلى جهه الطائف،

ص: ٢٩٥

فصعدوا على عقبه يعرج، وأقاموا في حصن نائف لقبيله تسمى العبد، كما تقدّم بيانه في ترجمه الشريف محمّد.

و لم يزل مولانا الشريف مسعود مقيما بالطائف إلى رابع شهر رمضان، ثمّ جمع باديه و أقبل على مكّه المشرفه، و بات ليله السابع من شهر رمضان بأعلى مكّه المشرفه، و صاحبها بها لم يتحرّك لملاقاته؛ لأسباب اقتضت تعطيله و توانيّه:

منها: خلّو يده بسبب تعصّب الأتراك و إفسادهم للتجار و ذوى الأموال.

و منها: إنفكاك كبار الساده الأشراف؛ لتقصيره في أداء حقوقهم.

و منها: بروده وقعت بينه و بين أخيه السيّد ثقبه، و استمرّت إلى حين وصول مولانا السيّد الشريف مسعود إلى الموضع المذكور. و غير ذلك، فاقترضت هذه الأسباب أنّه لم يخرج لملاقاته إلاّ آخر الليله المذكوره.

فلما أسفر الصبح ترمى الجيشان بالرصاص، و قبل انتشار ضوء الشمس على جبال مكّه المشرفه حمل الشريف مسعود و من معه من الساده الأشراف حملة واحده على الشريف محمّد و من معه من الأشراف فهزموهم، و دخل مكّه المشرفه في الساعه الاولى من يوم الخميس السابع من شهر رمضان المبارك سنه ألف و مائه و ستّ و أربعين.

فحصل بقدمه المبارك غايه السرور، و ذهب كلّ محذور، و شمل بعدله العامّ، كلّ خاصّ و عامّ، من سكّان بلد الله الحرام، و أقبلت عليه الأتراك من بندر جدّه المعمور، بنهايه الانس و الحبور، و جلبوا إليه أجناس النقود، مع ما يحتاج إليه من مهمّيات الملك المسعود، و قاموا به أحسن قيام، حتّى انتظمت دولته الشريفه أكمل انتظام، فمدحه أبناء الأدب، و ابتدر لتاريخ ولايته هذه كلّ شاهر و انتدب.

فمن جمله ما قيل في تاريخ واقعه الخطم المتقدّم ذكرها:

اختير للخلق شهيم كلّ معتمده على الإله (١) فلا خلاّه من مدده

ليث ينوب عن الأنياب صارمه و عن مخالبه سمر القنا بيده

روى الشجاعه عن سعد و عن حسن عن الإمام على المشهور فى جلده

كم صابر القوم حتّى صار مسلّكه لّمّا رأى منهم ما كان فى خلده

باعوا نفوس كرام و اشتروا شرفا بموقف الخطم ملهى الأب عن ولده

عادوا و عاد معاذا من مسرتهم يفتّر عن حسن عام صحّ فى عدده

فى شطر بيت أتى سعدا مؤرّخه الربّ شرف مسعودا على بلده

و ممّن أرّخ هذه الشرافه... (٢).

و هذه الواقعه هى سادس واقعها بصاحبه فى طرف سنه واحده، حتّى أدرك فى هذه الأخيره مآربه و مقاصده:

الوفائع الواقعه فى ايام شرافته

الواقعه الاولى

هى التى كانت بالخطم، كما تقدّمت الإشاره إليه فى هذه الترجمة إجمالاً، و فى ترجمه الشريف محمّد تفصيلاً.

الواقعه الثانيه

هى التى صارت بالطائف، دافعا بها الشريف محمّد حين أقبل عليه بثقيف، و أسفرت عن انكساره، و ظفر الشريف محمّد عليه، و كانت فى اليوم الثامن عشر من شعبان سنه خمس و أربعين.

ص: ٢٩٧

١- ١) فى «ن»: على الأنام.

٢- ٢) بياض فى النسختين.

الواقعہ الثالثہ

ہی التي أوقعها بعساكر الشريف محمّد بالطائف أيضا في يوم... (١) من السنه المذكوره، فلم يظفر و رجع إلى بندر جدّه، ثمّ منه إلى منزل خليص، كما تقدّم بيانه.

الواقعہ الرابعہ

ہی التي صارت بأسفل مكّہ المشرفه من جهه بئر طوى على الشريف محمّد بإعانه العساكر المصريه، و لم يظفر و رجع بهم إلى بندر جدّه، كما شرحناه مفصّلا في ترجمه الشريف محمّد، و مجملا في هذه الترجمة، و كانت في اليوم الرابع من جمادى الثانيه سنه ستّ و أربعين و مائه و ألف.

الواقعہ الخامسہ

ہی التي صارت على الطائف و من به من عساكر الشريف محمّد، و قبائل ثقيف، و ظفر بهم بعد رجوعه عنهم منكسرا، و استمرّ بالطائف إلى أن مشى منه على مكّہ و أخذها، و كانت في اليوم السادس و العشرين من جمادى الثانيه من السنه المذكوره.

الواقعہ السادسہ

ہی التي أوقعها بالشريف محمّد بأعلى مكّہ المشرفه في سابع شهر رمضان، فظفر و استولى على شرافه مكّہ المعظمه، و تحلّى جيده بعقود أيايتها المنظمه، فانظر إلى همّه هذا السيّد الشريف، و الأيّد في اقتناء المجد الشامخ المنيف، كيف يتبع الصوله بالصوله، و يوجّه إلى تحصيل المفاخر همّته و حوله (٢)، و فيها كلّها يكون

ص: ٢٩٨

١-١) بياض في النسختين.

٢-٢) في «ن»: و صولته.

أول مغير، و آخر الخيل (١) في وقت الكسير، حتى أذن الله له في نيل مراده، فحياه بحمايه بيته الشريف، و جيرانه من عباده، أبقاه الله تعالى لحمايه بلده الأمين، و بلد جدّه سيد المرسلين آمين (٢).

و إذ قد فرغنا من تنميق ترجمته الشريفه، و صفاته العاليه المنيفه، فنشرع الآن في حوادث الدهر الواقعه في أيام أيلته لمكّه المشرفه، و تاريخ وفاه من توفى من الأعيان، في مكّه المشرفه و غيرها من البلدان، و الله الموفق و المعين.

فصل: في حوادث أواخر سنه ستّ و أربعين و مائه و ألف

إشاره

في حوادث أواخر سنه ستّ و أربعين و مائه و ألف

لأنّ حوادثها أولها قد تقدّم في الجزء الأول من دوله الشريف محمّد و هي ختامه.

قتل رجل مغربي عالم بالعلوم الغريبه:

ففي أوائل شهر رمضان بعد دخول الشريف أيّده الله تعالى بيومين: قتل رجل مغربي ينسب إلى العلم، إلاّ أنّه كان مسلوب الاختيار، يجانس النساء في اللبس و المشيه، و كان له بالشريف محمّد نوع صحبه، لما توهم فيه من العلوم الغريبه، كالسحريات و الطلسمات و ما أشبه ذلك، ممّا يستعين به على دفع ضده مولانا الشريف مسعود.

و اتفق في الواقعه الرابعه التي صارت بأسفل مكّه، و رجع فيها الشريف مسعود، أنّه حضرها هذا الرجل، و كان يقابل الشريف مسعود و قومه، و يقرأ بعض الأشياء،

ص: ٢٩٩

(١ - ١) في «ن»: الخير.

(٢ - ٢) راجع: خلاصه الكلام ص ١٩٠ - ١٩١.

و يرمى نحوهم بالأحجار و الرمل، إلى أن انهزموا، فصار له محلّه عند الشريف محمّد، ثم لم يزل يتظاهر بذلك و يمتدح به حتّى قتل بسببه.

ثمّ لما دخل الشريف مسعود إلى الطائف فى الواقعة الخامسة، استمرّ بالطائف تلك المده الطويله، من غير سبب مع توفّر الباديه لديه، فنسب هذا التعطيل إليه، و كلّ هذه الامور ترفع إلى مولانا الشريف مسعود فى مراسلات خواصّه.

ثمّ لمّا كان قضاء الله تعالى لا مفرّ عنه، مشى بنفسه إلى الطائف ليتيقّن العمل هناك بمرأى منه، فوصل إلى الطائف، و زار ضريح مولانا الحبر عبد الله بن العباس رضى الله عنهما، ثمّ ذهب إليه بنفسه أيضا، و لم يعرفه فعرف به، فلزمه فحبسه و أهانه، و أمر جميع الخدّام ببولون عليه ليبطل سحره الذى معه.

ثمّ مع قضاء الله تعالى توفّرت دواعى المسير معه على صاحبه بمكّه المشرفه كأنّما نشط من عقال، ثمّ توجه إلى مكّه و هو صحبته فى الأغلال، و أفهمه بأنّه إن صار لنا ظفر عفونا عنك، و إن لم يصر أهلكناك، فقال: هكذا يكون، فحصل له الظفر بحمد الله تعالى، و هى الواقعة الأخيره.

فلما دخل مكّه أبقاه الخدّام فى الحبس، إلى أن يطلبه مولانا الشريف، و ينعم عليه و يطلقه، فحدثت منه حادثه أوجبت الفتك به بدون اطلاع مولانا الشريف، و هو أنّه هرب من الحبس، ولجأ إلى بيوت بعض الساده الأشراف آل زيد، فلحقه أخ لمولانا الشريف صغير السنّ وفتك به، فكانت هى القاضيه، و دفن بالمعلاه فى مقبره الشيخ محمّد بن سليمان.

وفاه السيّد زيد بن أحمد بن سعيد الحسنى:

و فى رابع عشر شهر رمضان المذكور: توفّى إلى رحمه الله تعالى مولانا السيّد الشريف، و الهمام الغطريف، أحد زعماء الساده الأشراف، و أوحد عظماء القاده

آل عبد مناف، السيد الأجل الأعظم الأفخر الأكبر، مولانا السيد زيد ابن المرحوم المقدس السيد أحمد بن سعيد بن شبر قدس الله روحه، وأغدق بصيب الرحمة ضريحه.

و أعقب من الأولاد جملة كفيه، وفتيه بحقوق الرئاسه وافية، وهم: السيد محمّد، و السيد أحمد، و السيد دخيل الله، و السيد عبيد الله، و السيد رضوان، أبقاهم الله تعالى، و أولاهم لطفا توالى.

حصول كسوف كلّي هائل بمكّه:

و فى تاسع عشرين ذى القعدة من السنه المذكوره: حصل للشمس كسوف هائل، لم تره الأوائل، و لم يذكر المؤرّخون مثله من عهد بكر بن وائل، و هو كسوف كلّي بمكّه المشرفه و أخطافها فى وسط النهار حتّى أظلت الآفاق، و ارتعدت فرائص أهل النفاق، و ظهرت الكواكب ظهرا، و اسرجت المصابيح قهرا.

و كان من أعظم آياته، و من أعجب أغلاط المنجمين ما كتبه فى تقاويمهم من شأن هذا الكسوف، فإنّهم جعلوه جزئيا، و جزموا بعدم رؤيته بقطر مكّه إلاّ فى الماء الراكد.

قال منجم مكّه المشرفه فى ذلك الزمان، القاضى حسن بن القاضى محمّد بن القاضى أحسن فى الدرّ المحلول الذى استخرجه من زيچ ألغ بيك، و قوّم فيه الشهور و البروج، و مسير الشمس و القمر، و ضبط فيه الكسوفات و الخسوفات، ما هذا لفظه، و من خطّه نقلت، بعد أن ذكر تقويم هلال ذى القعدة من السنه المذكوره:

و فيه يحصل كسوف جزئى فى يوم الإثنين تاسع عشرينه، و ذلك بعد مضى أربع ساعات و عشر درج، و آخره بعد مضى خمس ساعات و تسع درج، و من أوّله إلى آخره أربعة عشر درجه، و المقدار المنكسف ثلثا اصبع، فلا يظهر إلاّ بعرض

الماء الراكد بقطر مكّه المشرفه، والله تعالى أعلم.

فتأمل في هذه الأغلاط الواضحه، والأوهام الفاضحه، مع أنّه من أضبط أهل زمانه، و مرجع معاصريه و أقرانه، و لم يتفرد هو وحده بذلك، بل رأيت مثل هذه العبارة في تقويم آخر لبعض منجمي العجم، فسبحان الملك العلام الذي لا يسهى و لا ينام.

فصل: في حوادث سنة سبع و أربعين و مائه و ألف

وفاه الشريف محسن بن عبد الله الحسني:

ففي اليوم السادس و العشرين من شهر صفر من السنه المذكوره: توفّي إلى رحمه الله تعالى قطب دائره الساده الأشراف، و محيي الآثار الشريفه الموروثه عن الأسلاف، المصنّف هذا التاريخ لنقل شريف مآثره، و تخليد منيف محامده و مفاخره، و المتوّج باسمه العالی، و المتشرف بإثبات صفاته التي هي غرر المعالی، و درر اللآلی، مولانا و سيدنا المرحوم المقدّس، السيد الشريف محسن بن عبد الله ابن حسين بن عبد الله بن حسن بن أبي نمي، رحمه الله تعالى رحمه الأبرار، و حشره مع أجداده الأئمه الأطهار.

و قد مرّ بك في تضاعيف هذا الكتاب ما يدلّك على جلاله مقدار هذا الغضنفر المهاب، و عدم صيروره أمر من الامور، و لو تعلق بخوافي النسور، إلا برأيه الصائب، و فكره الثابت الثاقب.

و من أعظم اموره الهائله، رفعه للشريف مبارك بن أحمد بن زيد، و توليته للشريف عبد الله بن سعيد، ثم المنافرات التي وقعت بينه و بين الشريف عبد الله المذكور أخيراً، و مقاومته له، كما هو مسطور في ترجمته، ثم معاضدته لصاحب

الترجمه الشريف مسعود فى دولته الاولى، ثم فى الدوله الثانيه، ثم وقوع المنافرات السلطانيه، و قصد تلك الأقطار و الممالك، منشدا لسان حاله فى حله و ترحاله:

بكى صاحبي لَمَّا رأى الدرب بيننا و أيقن أنا لاحقون بقيصرا

فقلت له لا تبك عينيك إننا نحاول ملكا أو نموت فنعدرا

و كان سفره صحبه الوزير الأكرم، سليمان باشا بن العظم أمير الحاج الشامي، فلَمَّا حطَّ رحله بالشام، عرض لمزاجه الشريف بعض الآلام، و لم يزل يتزائد ذلك الألم، إلى أن دعاه الحقّ إلى بحبوحه جنانه، فألَمَّ و دفن بالشام بجانب قبر الشريف يحيى بن بركات، عليهما الرحمه و البركات.

و أعقب من الأولاد أربعة: السيد عون، و السيد أحمد، و السيد الحسن، و السيد عبد الله، و كلهم بحمد الله تعالى نجوم هدى، و أئمه رئاسه يتمسك بهم و يقتدى.

نجوم سماء كلّمَا انقضَّ كوكب بدى كوكب تأوى إليه كواكبه

أبقاهم الله تعالى للزمان عزّه، و لعين المفخر و المكارم قرّه.

و قد أرخ وفاته شعراء كثيرون، منهم: أديب زمانه، صاحبنا الشيخ تاج الدين ابن الشيخ عارف المنوفى، فقال:

رحمه الله لم تزل تتوالى و بلّها دائما بأوفى الزياده

فوق رمس به لقد حلّ مولى أشرف كان عقد جيد السياده

محسن الإسم و هو فى الوصف برّ حسن صير المكارم عاده

قد دعاه المولى الكريم إليه فأجاب الداعى و ألقى قياده

فتلقاه منه رضوان طوبى حيث علا مثواه فيها وشاده

و كساه العفو (١) الجميل برودا عن سماح فيالها من سعادہ

فهنينا له برائق (٢) عذب من ختام مسك الشهي أجاده

فاستمع يا أخوا المودّه قالا حسنا عنه معربا بالإفاده

محكما في وفاته ضبط عام فاجأتنا فيه بحكم الإراده

وارد تاريخه بفوز ندى نال بالشام محسن للشهاده (١١٤٧)

وقد وقفت على تواريخ كثيره لوفاته، و مدائح جمّه لحضرته العليّه في أيام حياته، و لولا خوف الإطاله لأوردتها لك برمتها، و ملكتك من أزمته، لكن أرى ذلك بالنسبه إلى شريف مقامه، و منوف همته التي تراحم الكواكب وفتكات حسامه، كمهدى التمر إلى هجر، و ناقل الخزر (٣) إلى بلاد الدرر.

له همم (٤) لا منتهى لكبارها و همته الصغرى أجلّ من الدهر

و ممّن خاطبه بأبيات لأمر اقتضى ذلك، والدنا العالم الأكبر السيّد محمّد بن علي بن حيدر، و هي:

ألسن العليا نادت محسنا لا يراك الله إلا محسنا

يا فريد العقد في الآل و يا درّه التاج سناء وسنا

أنت عين المجد بل إنسانه منذ حزت المجد خلى الوسنا

أنت بدر التّم بين الزهر من ساده الخلق الملوك القرنا

ص: ٣٠٤

١- ١) في «د»: من.

٢- ٢) في «ن»: بوائق.

٣- ٣) في «ن»: الخزف.

٤- ٤) في «ن»: همّه.

أنت في الظاهر فيهم ملك كابن عجلان المسمّى حسنا

و بفتح العين سنّا ملك ظاهر الأسرار قدما بطنا

بطل في الفتك قاس قلبه و هو للرافه في لين القنا

جمع الأضداد في أوصافه مثل ما في جدّه يروى لنا

و أبى من حديد بأسه و لذى الودّ كنور يجتنى

من يكن يسعى لمال ذاخرا فهو لم يذخر سوى حسن الثنا

فصل: في حوادث سنه ثمان و أربعين و مائه و ألف

وفاه الجمال محمّد بن الحسن المدعون:

ففى هذه السنه: توفى كاتب الصرّ بمكّه المشرفه الجمال محمّد بن الحسن المدعون، و تولّى بعده هذا المنصب الجليل المقام، المكرم الخواجه مصطفى بن زياده، اختاره لهذا المنصب صاحب الترجمة، أدام الله تعالى إبقاؤه، و أيدّ سعده و إجلاله، فقام به أحسن قيام، على أكمل نظام، فأرّخه بعض ادباء الوقت بقوله:

مذ تولّى كتابه الصرّ عدل حسن الرأى معدن للإفاده

ضمن عام فى طالع قد تجلّى و تراآى مسعوده بالسعاده

قلت تاريخه بجيد عزّ كاتب الصرّ مصطفى بن زياده (١١٤٨)

سانحه

أخبار عن تيمور لنك سلطان العجم

تقدّم لفظ التيمورى، و هى نسبه إلى تيمور بفتح التاء المثناه الفوقيه، ثم ياء تحتيه ساكنه، ثم ميم مضمومه آخره راء مهمله، و هو تيمور لنك.

و من خبره: أنّه راعى غنم، ثمّ سار أميرا لبعض سلاطين العجم فى سمرقند

ص: ٣٠٥

و بخارا، ثم لم يزل في خدمته حتى تغلب على استأذنه، فحبسه و ادعى السلطنة لنفسه.

ثم خرج و ملك البلاد طرفا بعد طرف، في أسرع زمن على أعجب اسلوب، و ذلك أنه كان إذا قصد محلا و رى بغيره، فيهجم على ذلك المحلّ و أهله غافلون، ثم يبدأ بقتل جميع من فيه و ما فيه من كلّ ذى روح، ثم يتملك (١) جميع البلاد، و يأخذ جميع ما فيها من الأموال و السلاح و الطعام، بحيث خرب جميع الممالك التي دخلها من وراء النهر.

فلما خرج إلى الممالك الإسلاميّة الواسعة، كبغداد و الروم و الشام و حلب، و كان عادته يقتل أعيان البلاد و أركان دولتها، ثم ينصب فيها من يقوم مقامه من جماعته، فهابته أكثر سلاطين الزمن و ملوكه، و قصدوه بالهدايا و التحف اتقاء شرّه.

و كان ظهوره في سنة (٧٧٣) سبعمائه و ثلاثه و سبعين، و أرّخه العلامة السيوطي في تاريخه (٢) بلفظ «عذاب» في زمان السلطان يلدزم بايزيد بن مراد الغازي.

و كان حضره السلطان المذكور في غزواته على الكفار لم يلتفت إليه؛ لاشتغاله بما فيه سعادته الدنيا و الآخرة، فهجم على بلاد الروم على غزّه، و أسرع في السير إلى المحلّ الذي فيه السلطان قبل أن يعلم أحد بوصوله، فما وسع السلطان إلا مقاتلته؛ لأنّ شهامه الملك تأبى أن يعرض عنه و يترك قتاله، فاتفق مع قضاء الله أنّه كسر السلطان المذكور، و قبض عليه و حبسه، ثم مرض السلطان المذكور في الحبس بالحماة المحرقة، و مات في الحبس.

ص: ٣٠٦

١-١) في «ن»: تملك.

٢-٢) راجع: تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٥٢٧.

و مدّه سلطنه تيمور أربعه و ثلاثون سنه، و مات في آخر سلطانه في عام ثمانمائه و سبعة في أرض الهند، و نقل إلى سمرقند و دفن بها. و ملوك الهند إلى عصرنا هذا، و هو عام ألف و مائه و إحدى و خمسين و أولاده آخر السلاطين من ولده محمّد شاه، الذي أسره نادر شاه المذكور في التاريخ المسطور.

و كانت مدّه سلطنتهم ثلاثمائه و ثنتين و خمسين سنه تقريباً؛ لأنّه ربما يكون دخول تيمور لنك إلى أرض الهند على سلخ الثمانمائه، و عاش بعد دخوله الهند سبع سنين في سلطنه الهند، و هذا لم أقف عليه في التواريخ، و الله أعلم بالحقائق.

إخراج الأجانب من مكّه المكرّمه:

و في هذه السنه: حدث من صاحب الترجمه، لا- زالت عقود شرافته بجواهر العدل منظّمه، و ذلك أنّه صدر منه أمران، هما في الحقيقه على الرعيّه مرّان:

أحدهما: النداء على جميع الغرباء من جميع الأجناس بالتوجّه إلى بلدانهم، و الظعون إلى مساقط رؤوسهم، و مراتع أوطانهم، و يكرّر النداء عليهم مراراً، و يغلظ في العقوبه على من أهمل ذلك و أراد استقراراً.

و سبب ذلك: كثرة الغرباء بمكّه المشرفه، حتّى اتّخذوها دار سكنى، فقطعوا بذلك عن أهلها الحسنى، و تعاطوا بيع الأقوات، و صاروا يجحفون في القيمه على أهلها في سائر الأوقات، حتّى حدث بسبب ذلك غلاء و قحط أضّرّ بسكّان هذه الممالك، مع استيلائهم على أغلب الدفاتر السلطانيّه استفراغاً، و جميع الدفاتر الهنديّه إلّا ما شدّد تقريراً، من الامراء المجريين لهذه الحسنات، و غير ذلك من المضرّات.

فسار أغلب المغاربه و المصريين و الأتراك صحبه الحاجين الشامى و المصرى و فى المراكب المصريه، و تأخّر المسافرون إلى جهه بلاد الهند من الهنود و الازبيك

و الكشامره و العجم، فجدّد النداء عليهم عند سفر المراكب الهنديّه، فسافر أيضا أغلبهم، و خلت البلاد منهم، و صار بسبب ذلك وجدان لأغلب الأقوات.

منع شرب التباك في مكّه:

و الأمر الثاني: أنّه أمر بالنداء في الأسواق و شوارع مكّه، بأن لا يشرب التباك علانيه فيها.

و سبب ذلك: أنّ الناس انهمكت في شرب التباك، و عمّت بلوته الكبار و الصغار، و الذكور و الاناث، و العليا (1) و السفلى، حتّى في شوارع الأسواق، و أطراف المشاعر، فيمّرّ العظيم القدر من القضاء و العلماء و الامراء و ذوى الهيآت و حكّام البلد، و لم يرفعه أحد من هؤلاء السفله، ثمّ انجرّ الحال إلى أن صار أساقط الناس من أهالي مكّه المشرفه يمرّون به على باب شريف مكّه المشرفه و هو في أفواههم، مع ما شاع عن بعض العلماء من القول بالتحريم، و إن كان غير مستند إلى دليل مستقيم.

فنفذ أمره العالى بذلك، و تعطلت جميع القهاوى الكائنه في الطرق و المسالك، و حصل على بعض الناس من ذلك أعظم شدّه و مشقّه، كاد أن تبلغ معه من الألم ما يساوى ضربه و خنقه.

و مدحه- دام علاه- بعض الأروام المتعصّبين في القول بتحريمه، و المصرّحين بتلويهم من يشربه بلى و تأثيمه، و هم بمعزل في ذلك عن الصواب، لعدم الدليل الذى يفهم منه الكراهه، بقطع النظر عن التحريم من السنّه و الكتاب، و بين الأروام في هذه المسأله مجادلات عظيمه، و اجتجاجات غير مستقيمه، فمن محرّم قالى،

ص: ٣٠٨

و مبيح في تعديد منافعه متغالى.

من ذلك: ما بلغنى عن قضاء مكّه المشرفه ممن له بالتبناك محبه أكيدة، و رغبه شديده، و ابتلى بنائب متعصب في استخباثه، متبذرا لإساءه من يقول بإباحته، في أثناء جدالاته و أبحاثه، إلا أنه لا يسىء الأدب مع استاذه، بل يعرض بتحسين تركه و انتقاده، و استاذه يجيبه بأجوبه غير مقنعه، و يهزأ به في بعض الأوقات.

فلما كان يوم الترويه من ذى الحجه الحرام، و ردّ استاذه بما صورته: إن هذا يوم معظّم، و يوم مسأله و دعاء، فلو تركتم فيه شرب التباك كان حسنا، فقال له: بل يجب تركه من يومنا هذا بعد أن نتلبس بالإحرام؛ لأنه من أعظم أنواع الطيب، ففي هذه المره نحن نطيعك يا نائبا.

فانظر إلى حسن هذا الجواب المعدود من أنواع البديع، و قد نظم هذا المعنى غير واحد من الشعراء، و أجودهم سبكا و الدنا رحمه الله تعالى، حيث قال:

اشرب من التباك و اقصد به توديعه يا من غدا يحرم

فهو لأهل الذوق طيب و من أحرم فالطيب له يحرم

وفاه السيد مسعود بن أحمد الحسنى:

و في هذه السنه: توفى إلى رحمه الله تعالى، كبير الساده بنى حراز، و عظيمهم فى الحقيقه لا المجاز، و هو مولانا السيد مسعود بن السيد أحمد بن السيد حراز بن السيد أحمد بن أبى نمى، جدّ الساده الأشراف و لاه مكّه المشرفه، و أحمد بن محمّد أبى نمى هذا هو أحد أولاد أبى نمى الخمسه، التى تنتهى إليهم جميع فخوذ أشراف مكّه، و هم: الحسن، و أحمد، و ثقبه، و بركات، و بشير.

ففى الحسن فخوذ كثيره لكثيره أولاده، و قد مرّ بيان أسماءهم الشريفه فى ترجمه والدهم الشريف حسن بن أبى نمى.

و فى أحمد المذكور فخذان، و هما: آل حراز، و آل مندیل.

و فى ثقبه و بركات فخذ كثره متشعبه، لیس هذا محلّ تفصیلها.

و أقلّهم عقبا خصوصا فى عصر هذا التاريخ بشیر الخامس.

و مسعود هذا أكبر الفخذین سنًا، و أجلّهم قدرًا، و أكثرهم عقبا، فإنّه رأى ما یقارب الخمسین الولد من ولده لصلبه و ولد ولده، و هذه سعاده عظیمه، و منقبه جسیمه، و خلّف رجالا كالأسود الكواسر، و فرسانا تشنی علیهم لدى الهیجاء الخناصر، أبقاہم اللّٰه تعالیٰ علی ممّر الدهور، و جعلهم من الحزب المنصور.

انتصار الدوله العثمانيه على الكفار:

و فى أواسط هذه السنه: جاءت الأخبار بانتصار الدوله العثمانيه على الكفار، و بقى بقيه للحصار، نتمّ الكلام فيه فى السنه الثانيه إن شاء اللّٰه تعالیٰ القهار.

صوله الشريف محمّد على عمّه الشريف مسعود:

و فى شهر رمضان من السنه المذكوره: كانت صوله الشريف محمّد بن الشريف عبد اللّٰه المتقدّم ذكره على عمّه الشريف مسعود صاحب الترجمه.

و كان من أمره أنّه بعد عزله من الشرافه تنقّل إلى محلاّت كثيره، ثمّ توجه إلى جهه رهاط، و بها طائفه من باديه عتيبه، و كانوا جناه قطّاعين الطرق، يقال لهم: آل عالى من الروقه من فخذ عتيبه، فاستمالهم للمسیر معه على عمّه المذكور مع قبائل آخرين.

ثمّ توجه إلى سمت مكّه المشرفه، و صاحب الترجمه لمّا بلغه ذلك استعدّ للملاقاه أدام اللّٰه بقاه، و حصل له من ذلك كرب عظیم، و وهم جسیم؛ لكثره جموعهم، و شجاعه مجموعهم، و قلّه ما بيده من النقود، مع أسباب اخر تنجز البلاء و تقود:

منها: انقطاع طريق بندر جدّه، وإلا كان ربما أسعفه و أمده.

و منها: ميل بعض هؤلاءك الأتراك، الذين سبق ذكر إسعافهم لحضرته فيما تقدّم من الحرب و العراق، فمالوا بعد دخوله إلى مكّه المشرفه لامور حدثت منه.

و منها: ما بلغه و تأكّد عنده من صحيح الروايات عن حال بعض آل حسن و جميع آل بركات بأنهم مائلون إليه، باذلون جهدهم بين يديه، و قد راسلوه بالنزول عليهم في منازلهم بوادي مرّ، و أنّه على ذلك ترتّب الحال بينهم و استقرّ.

فلمّا أن تدانت الخطا، و التبس الحقّ بالخطا، استمال خواطر رفاقته من آل حسن، و تمّم لآل بركات امورا كانوا ينتهزون الفرصه لها، فيسيّرهما لهم على أحسن سنن.

فلمّا كان ليلة السابع عشر من شهر رمضان، نزل الشريف محمّد و قومه بوادي مرّ الظهران، و هو في غايه من كثرة العدد، و توفّر [\(١\)](#) العدد، إلا أنّه قليل الزاد، منقطع الإمداد، ثمّ عرض له أمران نقضا ما أبرمه لعمّه من القتال و العدوان:

أحدهما: أنّ الساده آل بركات عدلوا عنه، بعد أن ارتكب لهم صاحب الترجمه ما أرادوه من المطالب، و سهّل لهم تلك المهمّات، و عمدته في القتال عليهم، فبردوا في يده بعد أن وصل إليهم.

و ثانيهما: أنّه أرسل رسلا إلى بندر جدّه لقبض دراهم و عدّه، بتسليمها بعض الأتراك ليساعده و يمده، فحال بينهما رجال من أتباع الشريف مسعود، كان قد أمرهم بالجلوس لهذا الوعد الموعود، فرجعت الرسل بخفيّ حنين، و خيبه آل داود لابن عتين، فحاول الشريف محمّد تحصيل شيء من الزاد، من أهل الوادي فلم

ص: ٣١١

١-١) في «ن»: و توافر.

يتهيأ له المراد، فعاد هو و قومه من الوادى من غير قتال، راجعين من حيث جاؤوا من تلك الفجاج، بعد مقاساه أعظم الأهوال.

و أصبح الخبر فى مكّه برجوعهم عن الصوله، و عودهم من الوادى، و هم فى نهايه المسكنه (1) و الذلّه، فحصل للشريف مسعود نهايه السرور، حيث ذهبوا و لم يحصل منهم شىء من الشرور، لكن ما صار ذلك إلّا بعد صرف أموال عظيمه، و اضطراب شديد فى تلك الأقطار و الممالك، و هذه حكمه ذى العظمه و الجلال، ربما تجزع النفوس من الأمر له فرجه كحل العقال.

ثمّ توجه الشريف محمّد دام علاه، إلى جهه خليص و ما والاّه، و أقام فى تلك الأطراف و هو فى غايه التعب، و نهايه الشغب.

قتل ابن السلطان نادر شاه و بعض أخباره:

و فى أثناء هذه السنه: قتل ابن نادر شاه رضا على ميرزا، الذى وضعه أبوه نادر شاه حين توجه إلى الهند- كما تقدّم ذكره- نائباً عنه فى مشهد الرضا بخراسان، على ممالك ايران الشاه طهماس بن الشاه حسين، الذى قتله السليمانى محمود بن اويس هو و بيته و أولاده فى الحبس سنه (1135) خمس و ثلاثين و مائه و ألف، حين هجومه عليه باصفهان، و لم يفر من الحبس إلّا هذا الولد من السلسله الصفويّه، المسّمى بالشاه طهماس، فلاقى حروبا كثيره مع السليمانيين فى بلدان كثيره، حتّى كاد أن يلزمه باليد.

فحين (2) خلّصه الله تعالى منهم، و أوقعه فى يد خادمه نادر قلى، الذى صار بعد

ص: 312

1- (1) فى «ن»: المذمّه.

2- (2) فى «ن»: لکن.

ذلك نادر شاه، وقد مرّ بيان قبضه له و تقييده له باصفهان، و إنفاذه إلى مشهد على بن موسى الرضا عليه السّلام، فحبس هناك بأهله و خدامه، و أقام بعده ولده الصغير الشاه عبّاس و هو طفل في مهده، و أقام نفسه عنه و كيلا عنه مدّه، ثمّ خلعه في سنه (١١٤٩) ألف و مائه و تسعه و أربعين، و جلس على تخت السلطنة كما مرّ تقريره، و أرسله إلى أبيه في المشهد الرضوى محبوسا معه.

و لم يزل كذلك إلى أن توجه إلى الهند، و جعل ولده متوليا على المشهد المذكور، و كأنه أمره بأنك إذا سمعت أمرا وقع إلى في ذهابي إلى الهند، فلا تبقى أحدا من هذه السلسله، و إلا فلا تعترضهم.

فكان الولد انقطعت عنه الأخبار عن والده، و بلغه قتله، فعجل بقتل الشاه طهماس و ولده الشاه عبّاس، و صغير في بطن أمه في ليله واحده، ثمّ بعد قتله لهم بسبعة أيام جاءت إليه أخبار بقاء والده، و فتحه للهند، و رسل و أرقام لاستاذة الشاه طهماس يبشّره بفتح الهند، و أنّ ذلك لم يكن إلاّ بسعاده طالعكم، فندم ولده الشقى على ما فعل حيث لا ينفع الندم.

فلما رجع أبوه من الهند عاقبه بسلب نعمته، و حبسه مقيدا تحت يد أمير من امرائه، حتّى آل أمره بعد ذلك بمدّه قليله إلى قلعه لعينه، و وضعه في خلوه في المشهد عند قبور الشاه طهماس و أولاده، فانظر إلى عقاب الله الدينوى كيف حلّ به، و سيخلد في جهنّم بسببه، و لا حول و لا قوه إلاّ بالله العلى العظيم.

فصل: في حوادث سنه تسع و أربعين و مائه و ألف

كيفيه جلوس نادر شاه في السلطنة:

اشاره

تقدّم الوعد منّا سابقا أنّه سيأتى في فصل حوادث سنه (١١٤٩) بقيه قضايا

ص: ٣١٣

نادر شاه، و كَيْفِيَّتِهِ خَلَعَهُ لِسُلْطَنِهِ اسْتَاذَهُ الشَّاهِ عَبَّاسَ ابْنَ الشَّاهِ طَهْمَاسَ اسْتَاذَهُ الْأَوَّلَ الَّذِي خَلَعَهُ عَنِ السُّلْطَنَةِ، وَ وَجَّهَهُ إِلَى خِرَاسَانَ لِيَقِيمَ عِنْدَ قَبْرِ جَدِّهِ (١) عَلَى ابْنِ مُوسَى الرِّضَا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَ أَقَامَ ابْنَهُ الشَّاهَ عَبَّاسَ، كَمَا تَقَدَّمَ تَفْصِيلُهُ فِي حَوَادِثِ سَنَةِ (١١٤٦).

وَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَقَرَّ الصُّلْحُ بَيْنَهُ (٢) وَ بَيْنَ الدَّوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ عَلَى مَا مَرَّ تَفْصِيلُهُ، فَقَوِيَتْ صَوْلَتُهُ، وَ عَظُمَتْ دَوْلَتُهُ، وَ كَثُرَتْ عَسَاكِرُهُ، وَ نَفِذَتْ أَوْامِرُهُ، فَطَمَعَ فِي الْإِسْتِقْلَالِ، وَ خَلَعَ الْوَلَدَ بَعْدَ الْوَالِدِ فِي أَثْنَاءِ هَذَا الْمَجَالِ، وَ أَحْكَمَ الْأُمُورَ.

وَ قَالَ: هَذَا صُلْحٌ لَا بَدَلَ لَهُ مِنْ عَقْدٍ وَ مَكَاتِبَةٍ، وَ مَلِكٌ تَسْتَنْدُ إِلَيْهِ الْأَقْوَالُ، وَ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ فِي الْمَخَاطَبَةِ، وَ مَلِكُهُمْ هَذَا طِفْلٌ صَغِيرٌ، وَ جَاهِلٌ لَا يَدْرِي مَا الرَّأْيُ وَ لَا التَّدْبِيرَ، وَ وَالِدُهُ قَدْ جَرَّبَتْموهُ فِي الْمَهْمَاتِ وَ الْمَضَائِقِ، وَ أَجْمَعْتُمْ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِمُنَاسِبٍ لِلْمَلِكِ وَ لَا لِأَيِّقٍ، وَ أَنَا رَجُلٌ وَ كَيْلٌ، وَ صَارِمٌ لَا يَعْتَرِيهِ تَنِيكُلٌ.

فَلَا بَدَلَ مِنْ اجْتِمَاعِ أَعْيَانِ هَذِهِ الْأَقْطَارِ لِيَخْتَارُوا لَهُمْ مَلِكًا ضَابِطًا قَادِرًا عَلَى مِمَارَسَةِ الْحُرُوبِ، وَ مَقَارَعَةِ الْأَبْطَالِ، وَ يَكُونُ غَيْرِي وَ غَيْرِ وَلَدِي، وَ الْحَالُ أَنَّ جَمِيعَ أَكَابِرِ الْعَسَاكِرِ، وَ أَرَبَابِ الْمَنَاصِبِ الشَّرْعِيَّةِ فِي جَمِيعِ تِلْكَ الْبُلْدَانِ غَرَسَ نِعْمَتَهُ، وَ هُوَ الْوَاضِعُ لَهُمُ الْمَرْقِيَّ لِأَحْوَالِهِمْ بَعْدَ إِزَالَتِهِ لَجَمِيعِ أَكَابِرِ الْعَسَاكِرِ الصَّفَوِيَّةِ وَ أَعْيَانِ دَوْلَتِهَا بِالْقَتْلِ وَ الْعِزْلِ وَ التَّشْتِيتِ، وَ مَحُوِّ آثَارِهَا بِالْكَلْبِيِّ فِي مَدَّةِ كَوْنِهِ وَ كَيْلًا، زَاعِمًا

ص: ٣١٤

١- ١) لَيْسَ الْإِمَامُ عَلَى بَنِ مُوسَى الرِّضَا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ جَدًّا لِآلِ السُّلْسَلَةِ الصَّفَوِيَّةِ، بَلْ نَسَبُهُمْ يَنْتَهِي إِلَى حَمَزِهِ ابْنِ الْإِمَامِ مُوسَى الْكَازِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَالْإِمَامُ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْحَقِيقَةِ بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ أَخُو حَمَزِهِ بَنِ مُوسَى الْكَازِمِ، فَهُوَ عَمُّ لَهُمْ.

٢- ٢) أَيُّ: بَيْنَ السُّلْطَانِ نَادِرِ شَاهٍ.

بأن هؤلاء هم سبب الخراب و ضياع الأموال.

فقد مهّد لنفسه تمهيدا عجيب، لا يصدر إلا عن حكيم لبيب، و الحال أنّ هذا الشخص المسمّى بنادر قلى، الذى لقبه استاذة الأول السلطان طهماس شاه بطهماس قلى، و به اشتهر لم يعلم له أب ينتسب إليه، أو بيت يعتمد فى المفاض عليه، بل راعى جمال، و يقال: يكارى عليها لنقل الأحمال من قبيله فى نواحى خراسان، يقال لها: الأفسار.

فانظر عنايه الله تعالى إذا حلّت على شخص و لو كان دنيا أحلّته أعلى المراتب، و ملكته رقاب الملوكة و أهل المناصب، كما صار مثل ذلك بعينه لتيّمور، و هو راعى غنم، كما هو مذكور، فى كلّ تاريخ و مسطور، فتأمل بعين متيقّظ غير نائم، كيف اختصّت الغنائم برعاه البهائم.

و إذا العنايه صادفت عبد الشرا نفذت على ساداته أحكامه

فهذه حقيقه حاله، و عيبه أحواله، ملك الملوكة إذا وهب، لا تسألنّ عن السبب.

فبعث رسله و هو مستقرّ بقزوين بعد رجوعه عن قتال الروم إلى جميع الممالك الصفويّه، كخراسان و اصفهان و شيراز و قطر آذربيجان، و بقيه بلدان فارس، يطلب جميع من بها من الأعيان من الولاه، و القضاة، و مشايخ الإسلام، و أكابر الرعيه، فذهبوا إليه أفواجا أفواجا من كلّ ناحيه.

و هو فى أثناء هذه المدّه يصنع خيمه عظيمه مطرّزه بالذهب و الفضة، مكلّله بالجواهر، و صنع تختا عظيما، و اثنى عشر كرسيا مكلّله بالجواهر العظيمه.

ثمّ لَمّا اجتمع هذا العالم الكثير، و الجَمّ الغفير، شاهدوا هذه الإشارات، و بعضهم بصريح العبارات، و أعيان الدوله الروميّه حاضرون يشاهدون هذه القضيه.

فحين عقد هذا المجلس العام، جلس على أحد الكراسى، و ترك التخت خاليا،

ثمّ خاطبهم بما تقدّم زبره، فأجابوا برمتهم: بأننا لا نريد سواك، ولا نأمن على أرواحنا و أموالنا غيرك.

فتمنّع قليلاً، ثمّ قبل و قام و جلس على التخت، و ضربت الطبول، و أفيضت الخلع على أرباب المناصب، و بعثت الرسل إلى جميع تلك الأقطار بالإعلان، و الأمر بالإعلان باسمه العالى على المنابر، و أمر بضرب السكّه على نمط آخر غير نمط الدوله الصفويّه، و رفع ما كان يكتب سابقاً بالكليّه، و هو «لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، على ولى الله» و فى الوجه الثانى اسم السلطان الصفوى، و فى الأطراف أسماء الأئمّه الاثنى عشر عليهم السلام، فأمر أن يضرب فى وجه «الخير فيما وقع» سنه (١١٤٩) و هو تاريخ جلوسه، و فى الوجه الثانى بيت شعر بالفارسى، و هو:

سكّه بر زر كرد نامى سلطنت را در جهان

نادر ايران زمينى خسروى قيتى سنان

و المعنى: ضرب السكّه على الدراهم باسم السلطنه فى العالم نادر أرض ايران الذى تنثنى الرقاب له، و يأخذ خراج العالم. و أودع قوله «نادر أرض ايران» من فنّ التوريه ما لا يخفى.

و إيران بكسر الهمزه و مثناه تحتيه ساكنه ثمّ راء مهمله ثمّ ألف ثمّ نون، إسم يطلق على كلّ بلاد العجم، ينطوى تحته قطر فارس، و قطر خراسان، قطر آذربيجان و كيلانات إلى بنادر البحر، صاحبها إيران بن مشور (١) بن سام، و إلى إيران هذا تنسب إليه مملكه إيران التى كان فيها ملوك الفرس، قاله القلقشندى فى

ص: ٣١٤

(١ - ١) فى النهايه: آشور.

نهاية الأرب (١).

و فى مقابله توران بضَمّ التاء الفوقيه المثناه ثمّ واو ساكنه ثمّ راء مهمله ثمّ ألف بعدها نون، و هو إسم أيضا يطلق على جميع بلاد الازبك، و ينطوى تحته بلخ و بخارى و خطا و خطى إلى حدود ملك العجم.

قال فى القاموس: و توران بالضَمّ إسم لجميع ماوراء النهر، و يقال لملكها:

توران شاه (٢). إنتهى.

و لىرجع إلى ما نحن بصدده من كیفیه جلوس نادر شاه و ضبطه أوقاته و عدده (٣)، كان جلوسه على التخت المذكور على النمط المسطور ببلده سنة (١١٤٩) ثمّ سار منها إلى إصفهان، و أظّد أحواله بها.

ثمّ تأهبّ منها إلى حرب قندهار، و خرج منها سادس شهر رمضان من السنه المذكوره بالجنود العظیمه، و الذخائر الكثيره، و أرسل أمامه الفعلة و البنائين و الحفّارين و أهل الزیافه (٤)، يستخرجون له ما فى طريقه من عيون و آبار يشرب منها عسكره ففعلوا.

و لم یزالوا ينتقلون من منزل إلى منزل آخر (٥) و هو ینزل فى إثرهم، فإذا رحل من ذلك المنزل أمر قبائل طلبهم من برّ الروم بالنزول فى تلك المنازل و عمارتها

ص: ٣١٧

١-١) نهاية الأرب ص ٣٨.

٢-٢) القاموس المحيط ١: ٣٨١.

٣-٣) فى «ن»: و مدده.

٤-٤) زَيْفُ البناء: ارتفع، و زیاف جمه زیف: الطنف الذى يقى الحائط، الشرف.

٥-٥) فى «ن»: أمن.

و زراعتها، و رفع الخراج عنهم ثلاث سنوات.

و لم يزل كذلك إلى أن نزل بطواهر قندهار، فصار هذا الطريق من اصفهان إلى قندهار في نهايه العماره و الأمان، و قبل ذلك لا يكاد يسلكها إنسان.

ثم شرع في حصار قلعه قندهار و من بها من الطائفه السليمانيه، و أميرهم حسين خان أخو محمود خان، الذي أخذ اصفهان من الشاه حسين الصفوى بعد المحاصره الطويله و القحط الشديد، حتى سلموا إليه السلطنه، و دخلها سنه (١١٣٤) كما تقدمت الإشاره إليه.

و حسين خان هذا ابن الأمير اويس (١) الذي كان قد استقل بقندهار في أيام الدوله الصفويّه، و قتل أميرها من طرفهم، و محمود ولده أيضا بعد وفاه أبيه خرج بالعساكر من قندهار و قصد بلاد العجم، و أخذ غالبها، و أسر ملكها، و قتل أولاد السلطان و غيرهم، و أفسدت عساكره السليمانيه بلاد العجم خصوصا اصفهان، و أسرت الرجال، و سلبت النساء، و نهبت الأموال و الجواهر.

ثم في أثناء ذلك عرض للسلطان محمود المذكور مرض آل به إلى رتبه الجنون حتى أكل فضله نفسه، و كان معه رجل عظيم من بنى أعمامه سمى أشرف، و كان ذا رأى و جرأه، فخشى ضياع العسكر، و اختلال الأحوال، فهجم عليه و قتله، و جلس على التخت، ثم ضبط الأحوال أحسن من محمود، و استمال رعايا العجم، فأر كبت عليه الدوله الروميّه ثلاثين وزيرا، و عساكر عظيمه، و قاتلهم قريبا من اصفهان بعساكره (٢) و رعايا العجم، و ظفر بهم و قتلهم و أخذ العسكر برمته، و رجع إلى

ص: ٣١٨

١-١) في «ن»: إدريس.

٢-٢) في «ن»: بعسكره.

ثمّ بعد ذلك شرع القتال بينه و بين الشاه طهماس استاذ نادر شاه المذكور، و نادر شاه هو المتولّي لقتال السلطان أشرف، إلى أن ظفر بعساكره في خارج اصفهان و قتلهم، و فرّ هو و بعض الأجناد.

ثمّ دخل نادر المذكور إلى اصفهان، و مهّئ أحوالها، و أرسل و طلب استاذه الشاه طهماس من بلده قم، و أجلسه على التخت، و توجه إلى محاصره بلاد هراه، إلى آخر قضاياه في مبدء الأمر، و الآن بعد جلوس نادر شاه المذكور في التاريخ المسطور، و توجهه إلى اصفهان، ثمّ خروجه منها متوجّها إلى حصار قندهار، كما تقدّم بيانه.

أقام بها في محاصرتها سنه و أربعة أشهر، و زرع في ظوارها و حصد و أكل، و عمّر بلده عظيمه مقابله لها، و جعل لها سورا و قلاعاً، و سمّاها نادر آباد (١)، و حصرهم حصراً عظيماً بدون قتال عظيم، فعظمت عليهم الشدّه، و ذهبوا موتاً و قتلاً.

ولمّا كان في آخر هذه المده خرجت اخت محمود خان و حسين التي كان قد تزوّجها نادر شاه و أولدها ولداً، و أرسلها و ولدها إلى قندهار لمّا أظهر حسين خان الطاعه، فجعل منصب الحكومه لولده منها، و أمر حسين خان خال الولد المذكور بأن يكون نائباً عن ولده.

و لم يزالوا مظهرين الطاعه إلى أن أقبل عليهم، فخافوا و غلّقوا الأبواب، فحاصرهم هذا الحصار الذي كان آخره خروج اخته إليه، فقبلها و عفى عن أخيها، و طلبه فجاءه في نهايه الذلّه مسلماً نفسه إليه، فأمره بأن يجمع أهله و تعلقاته

و يتوجّه إلى قطر بلاد العجم، و يسكن في بلده هناك، فتوجّه مكرما معرّزا إلى البلده المذكوره.

و استولى نادر شاه على قلعه قندهار و هدمها عن آخرها، و تركها قاعا صنفصفا، و نقل جميع من بها و ما بها من المدافع و الآلات إلى نادر آباد، و جعل عليها واليا، و وضع فيها عساكر، و قتل جميع طائفه السليمانيه، و هرب منهم جمع إلى بلاد الهند، و كان فتح قندهار في شهر... من سنه... (١) كما سيأتي في محلّه إن شاء الله تعالى.

وفاه الشيخ محمّد بن أحمد عقيله المغربي:

و في شهر ذى الحجه الحرام ختام سنه (١١٤٩): توفى شيخ الطريقه، و حامى حمى أهل الحقيقه، الفاضل العلامه، و الكامل الأجلّ الفهّامه، مولانا الشيخ محمّد ابن أحمد عقيله المغربي (٢)، رحمه الله تعالى، و أولاه أطافا توالى.

ص: ٣٢٠

(١-١) بياض في النسختين.

(٢-٢) هو العلامه محمّد بن أحمد بن سعيد بن مسعود جمال الدين أبو عبد الله المكي الشهير بابن عقيله الملقّب بالظاهر، كان عالما فاضلا محققا، له تصانيف كثيره تنبىء عن تطلّعه في العلوم، و هى: الزيادة الإحسان في علوم القرآن طبع في ثلاث مجلّدات موجود في مكتبتي، و السرّ الأسرا في معنى سبحان الذى أسرى، و عقد الجواهر في سلاسل الأكابر، و الفوائد الجليله في مسلسلات عقيله، و قرّه العين في بيان ورد الخمسين و الاثنتين، و كتيب الأنوار في ذكر الله العزيز الجبار، و كشف الأشكال في مسأله الأفعال، و لسان الزمان في أخبار سيّد العربان و أخبار أمته خير الإنس و الجنّ في التاريخ و التراجم، ينقل المؤلف في كتابه هذا عنه كثيرا، و مبدأ-

ولد هذا الشيخ بمكّه المشرفّه، و تربّى في حلل التوفيقاا الإلهيّه المتصرّفه، و نشأ بين أهل العلوم، فأحرز منها درّها المنظوم، إلاّ أنّه من مبدء حاله، يميل إلى ذوى التصوّف في جميع أقواله و أفعاله، ثمّ رحل إلى الديار اليمينيّه، و خدم بها بعض الساده العلويّه، فألبسه خرقه سنيّه، و سقاه شرابه هنيئّه.

ثمّ عاد إلى البلد الحرام، و هو في نهايه الإجلال و الإكرام، و ظهرت منه كرامات ظاهره، و آيات باهره، حتّى عكف عليه بها أعيانها و رؤساؤها و ملوكها و امراؤها، مع أخلاق حسنه، و سيره مستحسنه، و نشر للعلوم، و نظم كقلائد الدرّ المنظوم، و تصنيف و تأليف، هما في غايه الترتيب و التوصيف.

منها: تاريخه الكبير المسمّى ب«مبدأ الوجود» و منها تاريخه الصغير المسمّى ب«لسان الزمان» و قد نقلنا منه في السفر الأوّل من هذا التاريخ بعض النقول، و له رسائل جمّه، احتوت على فوائد مهمّه.

و كانت ولادته في سنه ألف و سته و تسعين، و توفّي في السنه المذكوره بعد رجوعه من رحلته الثانيه التي توجّه فيها إلى الشام، ثمّ منها إلى بغداد، و تشرف بزياره تلك المشاهد (1) الشريفه، و المآثر المنيفه، و اجتمع بالوزير الأعظم، و المشير

ص: ٣٢١

١- ١) أي: العتبات المقدّسه في العراق، و هي الكائنه في النجف الأشرف و كربلاء-

الأفخم، أحمد باشا بن حسن باشا صاحب أياه بغداد، و أكرمه إكراما عظيما بين العباد، و وصله فى داره، و هذا لم يصل لأحد من وفاده و زواره.

ثم لما أخذ حظّه من الزيارات الشريفه، جاءه الطلب من حضره الدوله العاليه المنيفه، و ذلك لما سمعت بأوصافه العليّه، و همّته الساميه الجليّه، و توجّهه إلى الله تعالى دون غيره من العباد، حيث كان من أعظم الزهاد.

فتوجه تلقاء التخت السلطاني العثماني، و الملك الشريف الرحمانى، و اجتمع بملكها السلطان أحمد ثلاث مزار، و صلى به بعض الفرائض، فحصل له بذلك مزيد الفخار، و منحه دراهم معدوده، من أصناف النقود المنقوده، و قرّر له مرتبات بمصر و بندر جدّه، ليستعين بذلك على إطعام الفقراء و التلامذه إذا وصل إلى أماكنه المستعدّه.

ثم توجه إلى مصر، و منها إلى مكّه المعظمه، و تحلّى جيده بها بعقود الرئاسه المنظمه، و لم يزل بها قرير العين، سالما من غلبه الدين، إلى أن دعاه الحقّ فأجاب، و استبدل دار المقامه و الثواب، عن دار التعب و العقاب، و دفن فى زاويه فى أعالي مكّه الشريفه، و لم يعقب إلا بنتا واحده.

و له نظم لطيف، لم يحضرنى منه شىء، فاتوج به هذا التأليف، إلا- أنّ ديوانه فى غايه الاشتهار، و أظهر من الشمس فى رابعه النهار، نفعنا الله به.

وفاه الشيخ زين العابدين بن الشيخ سعيد المنوفى:

ففى هذه السنه توفى المقام الأجل، و المرام المبجل، عين أعيان أولاد مكّه المشرفه، و الرافل فى حلل رئاستها المفوفه، الشيخ زين العابدين ابن العالم العلّامه الشيخ سعيد المتوفى بالمدينه المنوره، و أرّحه بعض أقاربه بقوله:

بالفضل زين العابدين أحله ذو العفو بالجّنات فى أعلى محل

فى ضمن عام قد أتى تاريخه بدر الأماثل بالمحامد قد أفل

و له رحمه الله تعالى أخبار شريفه، تدلّ على همّته العاليه المنيفه، و هو أنّه نشأ فى كفاله أبيه، و اشتغل فى طلب العلم حتّى صار السابق بين طلابه و مكتسيه، و أضاف إلى ذلك كمالات آخره، و صفات فاخره، و مظاهر جميله، و مقاصد فى المعاشرات جليله، مع فصاحه و بلاغه، أرغم بها أنف ابن المراغه.

ثمّ لَمّا كمل بدره، و شاع بين أهل الكمال خبره و ذكره، توجّه من مكّه المشرفه و ضعن، و وجّه وجهه إلى قطر اليمن، فوفد بها على إمامه الأعظم، و أميره المؤيد المكرّم، المهدي لدين الله المتوفى فى سنه... (١)، فحلّ عنده محلّ الروح من الجسد، و البرثن من الأسد، و صار أحد وزراءه العظام، ذوى الحلّ و الإبرام.

و لم يزل معه فى أعلى المراتب الساميه، و الفيوضات الهاميه، إلى أن تقوّضت خيم إمامته، و تقلّص ظلّ رئاسته و زعامته، و ولى الإمامه القاسم بن حسين، فحلّ عنده أيضا محلّ النون من العين، فقدّم فى الامور المهمّه و أخر، و تقدّم فى جميع

ص: ٣٢٣

الأحوال و ما تأخر، و حقّ له أن يخاطب بذي الوزارتين، و رئيس الدولتين.

و لم يبرح بين يديه فى نهايه الإقبال، و غايه الارتقاء فى جميع الأحوال، إلى أن شام بوارق ميل الشمس عن دائره نصف النهار، و شمّ روائح الكسوف بينه و بين مخدومه بحيلولة كره بعض الفجار، فالتمس الإيذن فى الرحيل إلى الوطن لزياره البيت و الوالدين، ثمّ العود إلى اليمن، بعد أن قدّم سرّاً بين يديه، ما يكون ذخيره له و لوالديه.

فرحل إلى المخاء، ثمّ إلى البنادر بنهايه السرعه و العجله، إلى أن حلّ وطنه و منزله، فورد بنهايه العزّ و الإقبال، على شريف مكّه المشرفه الكريم المفضل، و هو الملك المؤيد السديد (١)، عبد الله بن الشريف سعيد، فقابله بالإعزاز و الإكرام، إذ هو و آباؤه من أخصّ خواصّهم و من خلّص ذوى الأرحام، فخدمه خدمه أمثاله، غير متشبّث بأطراف الوزر و أذياله، لأنّه من حين دخوله إلى مكّه المشرفه رجع إلى زىّ آبائه العلماء الأعلام، و الاشتغال بيّث العلم فى المسجد الحرام، و فى أثناء ذلك يجتمع بحضرته الشريف المذكور، و يفاوضه فى مهمّات الامور.

ثمّ استأذن منه فى الرحيل إلى المدينه المنوره و زياره سيّد الأنام، عليه أفضل الصلاه و السلام، فأقام بها باثناً (٢) للعلم الشريف، فى ذلك المسجد العالى المنيف.

و فى أثناء ذلك ابنتى بها دارا فى الجناب، و اتّخذ جنّه من نخيل و أعناب، و تحلّى بعقود رئاسه كامله، و شفقه للمسلمين شامله، و أخلاق حسنه، و صفات مستحسنه، و يرد إلى مكّه المشرفه مرّه فى كلّ عام، لقصد حجّ بيت الله الحرام،

ص: ٣٢٤

١- ١) فى «ن»: الموقّق.

٢- ٢) فى «ن»: باتا.

و يجتمع بملكها المذكور، و يحلّ من المهمّات ما تعلق بقوادم النور.

إلى أن مات صاحب الترجمة، و لبس ولده بعده خلعه الشرافه المنظمه، و هو الملك المؤيد الأمد، مولانا الشريف محمد، فحلّ عنده محلّه من أبيه، و صار هو المقدم في كلّ ما يهواه و يشتهيّه، و لم يزل كذلك إلى أن رفع بعمّه الموقّق المحمود، مولانا الشريف مسعود، و لم يبرح معه أيضا في أعلى محلّ، إلى أن دعاه داعى الحقّ، فنزل بجوحه الجنان و حلّ.

و الحاصل أنّه قلّ من رقى إلى هذه المراتب العاليه من أبناء جنسه، في مظهره العالى و في شرف نفسه، و قبل توجّهه إلى المدينه المنوره باشر الإمامه و الخطابه، فأظهر بلاغته، و أحكم إيجازه فيها و أطابها، فأرّخها بعض محبيه من أبناء عمّه و ذويه، بقوله من قصيده: «شرف المنبر زين العابدينا» و أقرأ في المسجد الحرام الشفا في حقوق المصطفى، و غير ذلك من العلوم، المحتويه على دقائق المنطوق و المفهوم.

ثمّ بعد ذلك توجّه إلى المدينه المنوره، و أقام بها إلى أن دعاه الله تعالى لما قضا عليه و قدره، فرحمه الله تعالى، و أغدق على قبره شأيب غفران توالى (١).

فصل: في حوادث سنه إحدى و خمسين و مائه و ألف

فتح السلطان نادر شاه بلاد الهند:

و في أوائل هذه السنه: جاء الخبر إلى مكّه المشرفه بحرا، بأنّ نادر شاه الملقّب ب«طهماس قلى خان» المتقدّم ذكره في السنين السابقه، قد دخل بلاد الهند بعد

ص: ٣٢٥

١- ١) راجع: تاريخ عجائب الآثار في التراجم و الآثار ٢٤٣: ١.

فراغه من نادر آباد، تابعا للسليمانيه الفارزين إلى الهند، فقصد أهل الهند، فقالتهم و أسر ملكهم محمد شاه التيمورى، و وزيره قمر الدين خان بن محمد أمين خان، و نظام الملك بن غازى الدين خان، و أميرا آخر عظيمًا يسمّى برهان الملك، و غير هؤلاء من الامراء العظام.

و تفصيل هذا الإجمال: هو أنه بعد أن افتتح قندهار فى شهر محرّم افتتاح السنه المذكوره، كما مرّ تفصيله، و هرب جمع عظيم من الأفاغنه إلى الهند، بعث يراسل ملك الهند محمد شاه التيمورى أولاً و ثانياً و ثالثاً، و يشكو عليه ما فعله الأفغان فى ملكهم، و يطلب منه أن يعينه على أخذهم، بأن يخرج من كان فى ممالكه منهم، فتغافل الملك عن جوابه، و أهمل رسله.

فتعب من ذلك و عزم من موضعه ذاك (١) على الوصول إلى الديار الهندية و أخذها من يد ملكها، و الحال أنّ ملكها فى نهايه الانهماك فى اللهو، و امرأه غير متفقيه (٢) فى خدمته، و ليسوا بناصرين فى تدبير أمر المملكه، و لم يزالوا يثبطوا (٣) الملك عن تدارك أحواله مع هذا الرجل، إلى أن وصل بهم الغرور إلى ما صاروا إليه، و ذلك الشخص لم يزل يقدّم و يأخذ و ينهب رعاياهم.

و أول ما ابتدأ بأخذ كابل، و هى أول ممالكهم، و من أعظم الثغور، فأقدم عليها بجيوش و حاصرها، و بنى قلعه عظيمه فى ليله واحده، ما أسفر صباحها إلا و قد تسلط عليهم منها، فسلموا الأمر إليه، فدخلها و قتل من قتل، و أسر من أسر، و أخذ

ص: ٣٢٦

١- ١) فى «ن»: ذلك.

٢- ٢) فى «ن»: متفقيه.

٣- ٣) فى «د»: يثبطوا.

الأموال، و ضبطها ضبطا عجيبا بالرجال و السلاح، ثم مشى منها.

فلَمَّا جاء الخبر إلى الملك من عامله بها، طعن (١) فيه امرأؤه، و حملوه له على كذب عاملهم بها، و أنه يريد بذلك استجلاب الأموال من الملك، فدعه و كذَّبه.

و استمرّوا على غفلتهم لأمر يريده الله تعالى، و استمرّ هو على سيره مقبلا عليهم، فمن قاتله من ولاة البلدان ظفر به و قتل و نهب و أسر، ثم ضبط البلاد و حشاها عساكر من عسكره، و وضع واليا من طرفه عليها و سار عنها، و من سلّم إليه الأمر و لم يقاتله لم يقتل فيهم أحدا و لا ينهب البلدان، و إنّما أخذ ذلك العامل معه و وضع عاملا غيره من أتباعه، و أبقى جانبا من عساكره و سار.

و لم يزل سائرا إلى أن أقبل على لاهور، و فيها أمير عظيم يسمّى زكريا خان بن عبد الصمد خان، فلم يقدر على دفعه بالمقاتله، فسلم إليه البلاد، فدخلها مؤمنا لرعاياها لم يلحقهم منه خلاف أبدا، و أخذ من عاملها زكريا خان مالا عظيما.

ثم خرج منها مقبلا على بلد الملك دار الخلافه شاه جهان آباد المسماة دلي - بكسر الدال المهمله و تشديد اللام المكسوره - فيها الملك و وزيره و بقيه الامراء الكبار، لم يكن بعيدا عنهم إلا برهان الملك في قطر لكون.

فلَمَّا خرج من لاهور تحققت عندهم الأخبار، و اتضح أمره عندهم اتضح الشمس في رابعه النهار، فشرع الملك و امرأؤه في تدبير الحال، و جمع الرجال، و صرف الخزائن من الأموال، و بعث كبار امرائه، و هم الوزير قمر الدين خان، و نظام الملك، و أمير الامراء، و في ضمنهم امراء كثيرون، و جنود لا يحصى عددهم إلا - الله، خرجوا من دار الخلافه غزه شهر رمضان من السنه المذكوره، و نزلوا منزلا

ص: ٣٢٧

(١ - ١) في «ن»: طعن.

قريباً بينه و بين البلد نحو خمسة فراسخ، و أقاموا فيه شهراً كاملاً، و هم يفكرون فى هذا الأمر، فما رأوا سفرهم و حدهم (١) مجدياً، بل لا بدّ من خروج الملك، فأرسلوا إلى الملك و كلّفوا عليه بالخروج، فتهيأ الملك أيضاً، و خرج فى سابع عشر شهر شوال، فسافروا جميعاً إلى خمسة منازل، و هو لما سمع به أسرع فى السير لهم من لاهور.

فلما وصل نزل عنهم على نصف مرحله، فوصل لوصوله أحد الامراء الكبار الذى كان بعيداً عنهم المخاطب ببرهان الملك، و كان وصوله إلى عسكر الملك فى يوم خامس عشر شهر ذى القعدة، ففى ذلك اليوم واجه الملك و نادر شاه.

فلما سمع بوصوله و قد كان نزل بعسكره خارج عسكر الملك بثلاثة أميال، أرسل إليه عساكره، فجاءت و شرعت فى مقاتله عسكر برهان الملك سعادت خان.

فلما خرج برهان الملك من عند الملك، و سمع أنّ القتال وقع فى عسكره توجه من هناك إليهم، فوقع القتال و المواجهه، و التحم العسكران، و صار عسكر نادر شاه يتكاسر لهم متقهقراً، حتى جرّ عسكر برهان الملك إلى أربعة أميال آخره.

فلما بلغ أمير الامراء الخبر بأنّ عسكر برهان الملك قد كسر عساكر نادر شاه، حسده باطنا على ذلك، و خشى أنّه إن تمّ ذلك كان لبرهان الملك عند الملك أتمّ صوله، و أعظم دوله، و بينهما من العداوه و الشحناء ما لا مزيد عليه، فخرج هو و أخوه مظفر خان و ولداه و جميع عساكرهم و من يلوذ بهم من الامراء كالمغيثين لبرهان الملك و عساكره.

ص: ٣٢٨

فلما وصلوا إلى عسكر برهان الملك، وجدوهم على حالهم في أعظم قتال، مع ظهور القهقري في عسكر نادر شاه مكرًا بهم يريد أن يبعدهم عن عسكر الملك.

فلما تم له مراده مع وصول أمير الامراء و ولديه و أخيه و عساكرهم، و ثبت عساكر نادر شاه على عساكر برهان الملك، و قتلهم قتلاً شنيعاً، و أحاطت ببرهان الملك و بعض أقاربه و أتوا به أسيراً، و وثب نادر شاه بنفسه و بعض العساكر على عسكر أمير الامراء، و أحاط به و بعساكره، و قتلهم عن أمرهم، و قتل أمير الامراء و أخيه مظفر خان، و إحدى ولدى أمير الامراء و أسر الآخر، و أسر امراء كثيرين، و قتل عددا كثيرا من الامراء و الخوانين، و ذاب أمير الامراء و عساكره و من يلوذ به ذواب الملح في الماء، فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم، فسبحان القاهر الجبار، هذا و برهان الملك أسير عند نادر شاه لكنه في غاية العزّه.

فلما كان ثانياً يوم القتال، أرسل الملك نادر شاه رسولا إلى نظام الملك يطلبه أن يأتي إليهم، و يتوسط في الصلح بعد توثيقه بالأمان، فذهب إليه نظام الملك ثاني يوم، و اجتمع بنادر شاه في خيمه نصبها في خارج العسكر، و مكث عنده نحو ربع نهار، ثم إنّه خرج من عنده، و قد خلع عليه خلعه جميله، و ذهب إلى استاذه الملك محمّد شاه التيموري، و أخبره بما صار، و توسط في الصلح، فصارت كيفيته محطّها تسليم أموال مع اشتراط أن يجتمعا الملكان في مجلس واحد عند نادر شاه، فوافق الملك محمّد شاه و رضى بذلك.

فلما كان حادى عشرين من شهر ذى القعدة من السنه المذكوره، ركب الملك محمّد شاه و معه نظام الملك نحو مائه شخص من خواصّه.

فلما قربوا إلى معسكر نادر شاه وجدوه قد نصب خيمه خارج العسكر، و أرسل ابنه و وزيره لاستقبال الملك محمّد شاه، و قابله هو بنفسه عند باب الخيمه، و ناكبه

و أدخله و أجلسه إلى جانبه، و دخل معهما ابناهما، و نظام الملك واقف بين أيديهم، و طلب نادر شاه طعاما و أكلوا منه، و طلب الطيب فطيبيهم، و قاموا و خرجوا من عنده، و توجهوا إلى معسكرهم، و لم يطلع أحد على تفصيل ما صار بينهما إلا نظام الملك، و التمس محمد شاه من نادر شاه أن يأتي إليه ليضيفه أيضا هو كما فعل، فأجابه إلى ذلك.

ثم لما كان يوم رابع عشرين من الشهر المذكور، أرسل نادر شاه إلى نظام الملك و طلبه، و قال له: أين الدراهم المطلوبة؟ فقال: نحن في سبيل تحصيلها، فغضب و تكلم عليه كلاما قاسيا و حبسه، و قال له: أرسل إلى استاذك محمد شاه و اطلبه يأتي إلى، و أنا مختار فيه إن شئت حبسته، و إن شئت قتلته، و إن شئت ردّيته سالما، و إن لم يقبل ذلك فاليستعدّ للقتال.

فأرسل نظام الملك إلى استاذه محمد شاه يخبره بذلك، فطلب وزيره قمر الدين خان، و استشاره في هذا الأمر، فقال له وزيره: إن العساكر ليس فيهم طاقه على قتال هذا الشخص؛ لما لحقهم من الجوع بسبب الغلاء و القحط، لا يقدرّون على المشى فضلا عن القتال، و خيلهم لا تقدر على الحركة، فيقتلون جميعا، و إنّما التسليم أولى، فأرسل إليه الملك محمد شاه جوابا بأنّي سأصل إليك في غد مسلما إليك الأمر و أنت المختار.

فأعاد عليه الجواب مرّة ثانية: إنّهُ إن عزم على الوصول، فليرسل خيمته أمامه ينصبونها له خارج عسكرنا، فأمر الملك محمد شاه بنصب خيمه له هناك، فنصب و ذهب هو ثاني يوم، و نزل في خيمته، فسمع بوصول الملك نادر شاه، فلم يطلبه إلى آخر النهار، و طلبه بعد المغرب، و كان ذلك اليوم يوم الأحد سابع عشرين شهر ذي القعدة من السنه المذكوره.

فأرسل إليه بعد المغرب و طلبه، فلَمَّيا حضر لديه أكرمه، ثم قال له: إننى لا أريد بك سوء، و لكن بلغنى أنك فى غاية الغفله عن الملك، لم تعلم بسياسته، و قد خربت السلطنه، فأريد أن آخذ كل ما عندك حتى لا يبقى لك شىء، ثم أوليك السلطنه لتكسب لنفسك و تجمع الأموال، حتى تعلم بقدر الملك و الأموال.

ثم أذن له فى الانصراف إلى خيمته، و أمر له أن يطلب كلما يريد من أسبابه و نسائه و من يطبخ له طعاما كما يريد على المعتاد، و أن يكون معه من يخدمه بقدر الضروره، و أمر بعض الامراء بخدمته كما كان، و بقى عنده فى الحبس على هذه الكيفيه، و أرسل إلى عسكره و مخيمه من يعتمد عليه بضبط ما هناك من المدافع و الأسلحه، و أرسل آخر لضبط الأموال و الجواهر و غير ذلك، فضبطوا جميع ذلك و وصلوا إليه، و أرسل فى طلب الوزير قمر الدين خان، فجاءه مطيعا هو و جمع من أتباعه، فأبقاهم عنده.

و استولى على السلطنه كلها بهذا المنوال فى التاريخ المذكور، و لم ينازعه منازع فى ذلك، و لم يقع قتال أبدا إلا القتال الاولى الذى قتل فيه أمير الامراء، و اسر فيه برهان الملك، و نزع الله السلطنه التيموريه، و نقلها إلى هذا الرجل بهذه الكيفيه، فسبحان الملك القاهر الذى يؤتى ملكه من يشاء، و ينزعه ممن يشاء، و يعز من يشاء، و يذل من يشاء.

و كان جلوسه على التخت التيمورى عاشر شهر ذى الحجه الحرام ختام السنه المذكوره، و وافق النيروز السلطانى الذى هو أول دخول الشمس فى أول دقيقه من برج الحمل، فى دار الخلافه شاه جهان آباد، و ضبط خزائن هؤلئك الملوک من عهد تيمور إلى هذا العهد من النقد و الجواهر و الأسلحه و الآلات.

من جملتها: التخت الطاوسى، الذى صنعه بعض امراء شاه جهان و قدّمه إليه،

و قيمته تسعه كرور، و تسعه لكوك، و تسعه آلاف و تسعمائه و تسعه و تسعين ربيه، و يقال: إنه الأمير على مراد خان الذى عمّر بها شاه جهان آباد، و له آثار عظيمه.

و هذا التخت من أعظم ما كانت تفتخر به الدوله التيموريّه، و ما خفى كان أعظم، و أحسن السلوك مع الرعيّه، و ضبط الأقطار، و الله أعلم بما سيحدث بعد ذلك.

و أرخ جلوسه هذا غير واحد من الشعراء مدحا، و هجوا لما شاع عنه بأن اعتقاده غير مستقيم، و أنه ممّن يصبو إلى مذهب الرفض (١) و فى واديه يهيم، و ادعى بعض الناس أنه السفينانى (٢) لبعض علامات وجدت فيه، و الله أعلم بحقيقته.

فمن جمله من أرخ جلوسه هذا، مع بعض إشارات لما تقدّم ذكره من أنه السفينانى، و ذكره بلقبه لا بصريح اسمه، الأديب الأريب الشيخ عبد الكريم بن أحمد الشماع الصعدى.

تفكر باعتبار كيف أضحت بلاد الهند بالطهماس تدمر

تملك أرضها و أباح منها نفوسا كاد أن تشقى و تكفر

و سلطان البلاد حباه أسرا و كان لمثله ينهى و يأمر

ص: ٣٣٢

١ - ١) و هو مذهب الشيعة الإماميه الإثنى عشرية، و إنما يقال لهم الراضيه؛ لأنهم رفضوا من لم يأمر الرسول صلى الله عليه و اله باتباعه، و أتبعوا من أمرهم باتباعه، و هم أهل بيته و عترته، الذين أمر الله تبارك و تعالى بمحبّتهم و سلوك طريقتهم فى النصوص القرآنيه، بقوله تعالى قُلْ لاَ أَسئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِلاَّ المُوَدَّةَ فى القُرْبى و قوله تعالى وَ آتِ ذَا القُرْبى حَقَّهُ إلى غيرهما من الآيات الشريفه.

٢ - ٢) و الذى ورد فى الروايات الكثيره المستفيضه عن أهل البيت عليهم السّلام أنّ السفينانى يخرج قبل خروج الإمام الحجّه المهدى المنتظر عليه السلام متّصلا بخروجه، فهذا الإدعاء باطل قطعاً.

و إن أحد يصاب بأمر سوء فذاك بحسب ما يطغى و يفجر

و ما الطهماس عندى غير علج هو المنمى لسفيان بن يعفر

يسوق الناس إذلالا و قتلا و ربّ العرش للجبار ينصر

إشارات الكتاب أتت فخذها بباقي النصّ من تاريخ انظر

فالتاريخ هو جملة حروف «انظر» يساوى سنه (١١٥١) و إشارات الكتاب فى باقى النصّ، أى: باقى الآيه من بعد التاريخ، و هو قوله تعالى كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ (١).

و أرّخه صاحبنا الفاضل الأديب الشيخ محمّد بن... (٢):

قالوا أتى نادر بالتعرّض فحاز الهند (٣) و الشرق الوضى

و لم يكن أهلا له و إنّه لا عجمى و هو ذو ترّفص

فقلت من نادر هذا فعل من يرفع من شاء فلم ينخفض

فأرّخ الناس تواريخا له فمن محبّ قائل و مبغض

و لم يجد إلّا الذى تاريخه انظر و ذا تاريخه أمر قضى

و لقد أجاد كثيرا فى هذه الأبيات، خصوصا بالإشارة إلى التاريخ الأوّل.

و أرّخه أيضا مولانا السيّد الفاضل الأديب العلّامه الحبيب (٤) عبد الله مدهر العلوى لكن بزياده واحده:

آه على الهند و ما حلّ بها من اختلاف و اضطراب منتشر

ص: ٣٣٣

١- ١) سورة إبراهيم: ٤٥.

٢- ٢) بياض فى النسختين.

٣- ٣) فى «ن»: فحاز ملك الهند.

٤- ٤) فى «ن»: السيّد.

ذلك تقدير فسلم قائلاً أرخ بإقدار مليك مقتدر

فصل: فى حوادث سنه ثنتين و خمسين و مائه و ألف

وفاه السيد حسن بن الشريف سعيد الحسنى:

ففى رابع محرم من السنه المذكوره: توفى إلى رحمه الله تعالى السيد الشريف، و السند العالى المنيف، السيد حسن بن الشريف سعيد بن الشريف سعد بن الشريف زيد، أخو مولانا الشريف صاحب الترجمة.

و قد كان ذا همّه و رئاسه، أناف بهما ذكره، و أظهر أنفاسه، إلا أنه كسف هلاله قبل الإبدار، و لو بقى لاشتهر كالشمس فى رابعه النهار، توفى قبل أن تقبض أكفّ عمره الثلاثين، و هو لم يرض بالسهى له قرين، و لم نقف له على عقب (١).

وفاه السيد عبد الله بن أحمد بن أبى القاسم:

و فى صفر: توفى السيد الشريف الأيد فى اقتناء المجد المنيف، السيد عبد الله بن السيد أحمد بن أبى القاسم، و كان ذا أخلاق حسنه، و سيره مستحسنه، فرحمه الله تعالى و رحم أسلافه الكرام.

ص: ٣٣٤

١ - ١) فى هامش نسخه «د»: بل أعقب ابنا نجيبا هو سعيد بن حسن بن سعيد و يكتى دياب، هو الذى صارت منه الواقعة فى دوله سيدنا سيد الجميع الشريف سرور أدام الله دولته، و سافر إلى الشام مع جملة أشراف من ذوى زيد. أقول: و هذا السيد الشريف كان فى زمن استنساخ نسخه حوالى سنه (١٢٠٠) و ما بعده.

وفاه الشيخ على بن عبد السلام الرئيس،

و فى رجب من السنه:توفى إلى رحمه الله تعالى الشيخ الجليل،الفاضل النبيل، موقت مكّه المشرفه،الشيخ على ابن المرحوم الشيخ عبد السلام الرئيس،و تولّى المنصب بعد أخوه الشيخ عثمان بن الشيخ عبد السلام الرئيس،و خلف الشيخ على المذكور خلفا صالحا إن شاء الله تعالى.

رجوع السلطان نادر شاه من الهند و القتل العام:

و فى هذا الشهر من السنه المذكوره:كان رجوع السلطان نادر شاه من الهند، و ترك محمّد شاه صاحب الهند،الذى تقدّم ذكر أسره له و ضبط أمواله،و تصرّفه فى ملكه كيف شاء.

و من جملة ما صار منه أن أمر عساكره بالقتل العامّ فى بلاد السلطان المسّماه شاه جهان آباد مقرّ التخت التيمورى.

و سبب ذلك:أنّه مات ليله من الليالى أمير كبير،فصار فى عساكره اضطراب عظيم،توهّمت الرعيه أنّ السلطان نادر شاه هلك،فتارت الرعيه على شرذمه من عساكره و قتلوهم.

فلَمّا وصل الخبر إلى نادر شاه،خرج من القلعه مغضبا،و جاء إلى جامع عظيم فى شاه جهان آباد يسمّى مسجد الجمعة،و أمر العساكر بالقتل العامّ،فقتل فى ذلك اليوم إلى مضى سابع ساعه من النهار مائه و سبعة عشر ألف من الرعيه و العساكر الهنديه،و نهبت بيوت،و اخذت أموال عظيمه،و لا انحلّ عنهم ذلك الأمر المعظمّ إلاّ بشفاعه محمّد شاه.

ثمّ لما كان فى أوائل شهر صفر المذكور من السنه المذكوره،أقام محمّد شاه فى سلطنه الهند على حاله الأوّل،و جعل على امرائه الكبار المعتمد و المعوّل،و ضربهم

جميعا بثلاثه كرور فى كل عام تصل إليه حيث كان و حيث أقام، و اقتطع من هذا الإقليم العظيم مملكه السند بأجمعها، و مهّده فى رجوعه هذا تمهيدا عجيبا، و أقام فيه سنه إلا قليل، و هو ما بين قتل و جمع للأموال، و تخسير و تنكيل.

إلى أن استقامت أحواله، و تمهّدت طرقه، و عمّر قلاعاً فى أوّله فى موضع يقال له: نهر عتك، و نصب فيه أميراً عظيماً، و قوّاه بالعساكر و الخيل الجياد.

ثمّ لم يزل كذلك إلى أن وصل إلى بلاد كابل -بضمّ الموحّده- ثمّ توجه منها إلى بلاده نادر آباد التى عمّرها بدل قندهار مناظره لها بعد أخذها من يد السلیماتیة، كما مرّ بيانه فى حوادث سنه (١١٤٩) تسع و أربعين و مائه و ألف.

ثمّ توجه منها إلى هرات بكسر الهاء، ثمّ منها إلى المشهد الشريف الرضوى بلده طوس، و أقام فيها أربعين يوماً، ثمّ توجه إلى بلدان الازبك بلخ و بخارى، و كان قد أخذهما ولده قبله، ثمّ افتتح اورقنح، و قتل فيها قتلاً شنيعاً؛ لأنّه حين إقباله عليها قابلوه بالقتال، فأهلكهم جميعاً إلاّ القليل، ثمّ بعد مهّدها و أقام فيها عمّالاً - من طرفه حين توجه إلى بلاد الداغستان، و قاتله قبائل الداغستاني حولا كاملاً، و كسروه و كسرهم، و لم يزل حتّى استأصلهم فى سنه (١١٥٥) كما سيأتى.

و فى هذه المدّة من سنه (١١٥٢) ثنتين و خمسين و مائه و ألف إلى سنه خمس و خمسين و مائه و ألف، قطع فيها هذه المسافات و البلدان، و قتل خلقاً لا يحصّيه إلاّ الله، و بنى فى أرض الداغستان سدّاً و قلاعاً حصينه، و أقام فيها عمّالاً، و أودع فيها عساكر، ثمّ ما صدر منه بعد أخذه للداغستان سيأتى فى حوادث سنه (١١٥٦) ستّ و خمسين و مائه و ألف إن شاء الله تعالى.

صلح الشريف محمّد مع عمّه الشريف مسعود:

و فى هذا الشهر من السنه المذكوره: كان صلح الشريف محمّد بن الشريف

عبد الله المتقدّم ذكره لعمّه الشريف مسعود، وذلك أنّه بعد صولته المذكوره فى سنه (١١٥١) إحدى و خمسين، و رجوعه و إقامته فى خليص و هو بتلك الحاله من التعب، وصل الحاج الشامى و أميره الوزير الأعظم سليمان باشا بن العظم، و له به محبّه شديده عظيمه، و صحبه قديمه، مع وقوف قبيله حرب معه، ليبلغوه من شرافه مكّه أمله، و يوقروا بالمسرات سمعه، فحاولوا الوزير المذكور على إبرام هذا الأمر، و إنفاذ الخلعه السلطانيّه إليه بين زيد و عمرو.

فلم يسعفهم على ذلك؛ لعدم إذن سلطان الحرمين الشريفين و تلك الممالك، و أعمل الحيله فى الخلاص من أيديهم، إلى أن يرجع من حجّه بما يصلح أحوالهم و يهديهم.

فلما وصل إلى مكّه المشرفه، توسّط الحال بالصلح السديد بين الشريف محمّد و بين عمّه الشريف مسعود بن الشريف سعيد، على شرط مشروط، و أمر مربوط، و أخذ وثائق و ثيقه، و تمسّكات ضابطه أنيقه، و ضمن الخلل من الطرفين، ثمّ توجه إلى المدينه المنوره، و الشريف محمّد إلى مكّه المشرفه، فقابله عمّه بالإعزاز و الإكرام، و تقرير كلّ ما يحتاج له و لجميع الخدام، و استمرّ أخوى صفاء، و إماما صدق و وفاء.

فصل: فى حوادث سنه ثلاث و خمسين و مائه و ألف

وفاه السيّد سرور بن يعلى الحسنى:

إشاره

و فيها: توفى السيّد الشريف، و الهمام الغطريف، السيّد سرور بن يعلى، أحد أعمام الشريف عبد الكريم بن محمّد بن يعلى المتقدّم ذكر ترجمته.

و كان من كبار البركاتيه النمويّه، و من وسيط عقود أكابرهم الستيه، فى السنّ

بلغ التسعين، و هو فى القوّه الغزيريه يعين و لا يستعين، و قد خلف أولادا نجباء، بلغوا فى المفاخر مبالغ الأجداد و الآباء.

نجوم سماء كلما انقضّ كوكب بدى كوكب تأوى إليه كواكبه

وفاه السيّد محمّد بن عمرو الحسنى:

و فى هذه السنه: توفّى المقام الأجلّ، و المرام المبجلّ، عين الأعيان، و فخر الأقران، السيّد محمّد بن عمرو بن محمّد بن إبراهيم بن الشريف بركات، و هو ابن أخى الشريف بركات الملقّب بأبى الفتوحات، المتقدّم ذكره الشريف فى تراجم هذا التصنيف.

و كان هذا السيّد من أفخر أقرانه، و أكرم معاصريه فى زمانه، عضد ابن عمّه حضره الشريف يحيى بن الشريف بركات، كما عضد أبوه أباه فى جميع المهمّات، بفكره الثاقب، و رأيه الصائب، فرحمه الله تعالى، و أغدق على قبره الشريف صيب غفران توالى. و أعقب من الذكور ساده هم فى رفاقتهم كالنسور.

وفاه الوزير إبراهيم بن عبد الرحيم الشامى

و فى عاشر جمادى الاولى من السنه المذكوره: توفّى وزير شريف مكّه المعظّمه، المتحلّى بعقد وزاره المنظّمه، المقام الأجلّ الأعظم الأكرم السامى، أبو المكارم إبراهيم بن عبد الرحيم الشامى.

و كان هذا الرجل من جمله خدامه، و من أعظم اللاتذنين بشريف مقامه، خدمه برهه من الزمان، إلى أن منّ الله عليه بشرافه مكّه المعظّمه و هى أرفع مكان، فجازاه بالباسه خلعه الوزاره، و أودعه ظواهره و أسرارها، فمكث فى الوزاره مدّه طويله، إلى أن دعاه داعى الحقّ فأجاب.

ثمّ أجلس ابنه بعده فى دست الوزاره، و قلده جميع الامور، فأظهر بيت أبيه

و أناره، و هو المقام الجليل ذو الفضل و الإحسان الهامى، جمال الدين محمّد بن إبراهيم الشامى، وفقه الله تعالى فى جميع أحواله، و بلغه غايه آماله، بجاه محمّد و آله.

حصول السيل العظيم بمكّه:

و فى شهر رمضان من هذه السنه: حصل ذلك السيل العظيم، الذى قد ملأ المسجد الحرام إلى باب الكعبه الشريفه، و كان حصوله فى يوم الجمعة، فتعطّلت صلاه الجمعة، حيث لم يكن يحصل للخطيب طريق إلى المنبر الشريف، فخطب بهم (١) الخطيب فى دكّه شيخ الحرم التى فى باب الزياده، و صلّى الجمعة معه خمسه أنفار أو ستّه.

فصل: فى حوادث سنه خمس و خمسين و مائه و ألف

إشاره

و فيها: بعث مولانا الشريف أيده الله تعالى عساكر و فرسانا من آل أبى ندى حرسهم الله تعالى، و من أتباعه، على الساده الأشراف المقيمين بالشاقتين الكائنتين بطريق اليمن، و هم أولاد أولاد الحسن بن عجلان، المتقدّم ذكر ترجمته فى السفر الأوّل من تاريخنا هذا، و كأنّهم نشأوا فى أطراف اليمن، و أقاموا بها حتّى صاروا عددا كثيرا، و ملكوا الشاقتين، و زرّعوا بها، و تصرّفوا فى جميع الأعراب المجاورين لأراضيهم، و طريق اليمن المسلوك الذى تصل منه القوافل اليمتية إلى مكّه المشرفه البهيه يمرّون (٢) بهم ما بين الشاقتين المذكورتين.

ص: ٣٣٩

١ - ١) فى «ن»: لهم.

٢ - ٢) فى «د»: يمرّوا.

فصار لهم فى تلك الأماكن شأن عظيم، و ذكر جسيم، يردون على مكّه المشرفه فى السنه مرارا، و لم يجدوا عند ملوكها من آل أبى نمى إلا إكراما و استيسارا، إلا أنّ لآل أبى نمى -أيدهم الله تعالى- قانون و عاده، و قد اختصّوا بهما دون غيرهم من بطون آل قتاده، و إلا فالأصل الشريف، الجامع لنسبهم العالى المنيف.

فإنّ أبى نمى رحمه الله تعالى جدّ ملوك مكّه المشرفه، هو ابن بركات بن محمّد ابن بركات بن حسن بن عجلان، فالجدّ الجامع بينهم واحد، برغم كلّ مكابر و جاحد، و بنو حسن بن عجلان و قبله فخوذ و بطون، و الكلّ غير داخل فيما لآل أبى نمى من العاده و القانون.

فذلك أمر اختصّوا به، و ورقوا قمم جميع البطون بسببه، و لهم الملك و الشوكه فى أقطار الحجاز، و الصوله التى ملكوا بها رقاب البادية على الحقيقه لا-المجاز، فإنّ أحكامهم و أوامرهم العليّه امتدّت من حلى من جهه تهامه إلى الحسا من جهه نجد إلى المدينه المنوره إلى ينبع.

فانظر إلى هذا القطر العظيم، كيف استقرّ ملكهم الجسيم، من سنه ستمائه من الهجره إلى هذه السنه، و هم بحمد الله تعالى فى نهايه القوه، و السلطان فى جميع هذه البلدان، و هذا لم يصر قطّ لدوله من الدول، بل أغلب ما حدث بعدهم زال، و صار حديثا كمن كان قبلهم من الاول، و هذه مزيّه خصّ بهم بها القدير العليم بين جميع ملوك الأقاليم، ثبت الله ملكهم على ممّر الأزمان، إلى ظهور صاحب الزمان (1).

و أمّا أبناء الشريف حسن بن عجلان المقيمون بالشاقتين من جهه اليمن، فهم

ص: ٣٤٠

(١- ١) و هو الإمام الحجّجّه المنتظر المهديّ ابن الإمام الحسن العسكريّ عليهما السلام.

فخوذ أيضا، فإنه مات الشريف حسن عن عمه أولاد، وأغلبهم تولّى شرافه مکه المعظمه بنهايه الإحكام و السداد، و هم: برکات، و أبو القاسم، و علی، و إبراهيم، و غیرهم.

أمّا برکات، فهو الذى تولّى بعد أبيه الشريف حسن، ثمّ عزل بأخيه علی، ثمّ عزل بأخيه أبى القاسم، ثمّ رجعت الشرافه إلى برکات، ثمّ بعد وفاته استمرت فى ولده محمّد بن برکات، ثمّ فى برکات بن محمّد بن برکات، ثمّ فى أبى نمى بن برکات بن محمّد بن برکات بن حسن بن عجلان جدّ آل أبى نمى المتقدّم ذكرهم، أبقاهم الله تعالى، و أولاهم أطافا تتوالى.

ثمّ انتشر من أولاد الشريف حسن بن عجلان المذكورين جمّ غفير، و عدد كثير، تفرّقوا فى تهامه اليمن، و أغلبهم على الشاقتين، فحدث منهم امور هائله، و حوادث عن طرق الحقّ مائله، بعضها بالمازّ بهم (١) من الحجاج و الوافدين إلى بلد الله الأمين، و بعضهم بأرحام آل أبى نمى، و بعض الأتباع النازلين فى تلك الأراضى و البقاع، إلى أن ترقّى بهم الحال، إلى الوقوع فى بعض آل أبى نمى من الرجال.

فحينئذ شمّر صاحب الترجمة الشريف مسعود ذيل الهمة العليّه، و جمع العساكر، و بذل أنواع النقود، و جهّز عليهم سرّيّه من العساكر (٢) و الأشراف، قبائل آخريّن من بوادى تلك الأطراف، و جعل رأس هذه السريّه و مدبّر أمرها ابن أخيه الشريف محمّد بن الشريف عبد الله بن الشريف سعيد المتقدّم ذكر صلحه مع عمّه

ص: ٣٤١

١- ١) فى «د»: منهم.

٢- ٢) فى «ن»: العسكر.

الشريف مسعود، بعد ذلك الحرب الشديد، فسار عليهم بتلك العساكر إلى محالهم و منازلهم مسافه خمسہ أيام من مكه المشرفه.

فلما قرب منهم شدوا و قصدوا مواضع اخر حصينه ليتحصنوا بها، و من جملتهم كبيرهم و شيخهم، فإنه هو واسطه عقدهم، و رابطه عقدهم، و بعض منهم فارقهم، توقيا من الشرّ الجامع و النازله العامه، و هو خلى عميا ينسب إليهم من تلك الامور، فنزلوا على مولانا الشريف محمّد المذكور، فقابلهم بالأمان، و كفّ السيف و السنان، و تبع الآخرين، و حصرهم فى موضعه الذى تحصّوا فيه، و هو موضع يقال له: الأراك، و أخذ ما نذ من نعمهم و أتباعهم.

و فى أثناء ذلك ظفر بمن دلّه على دفائنهم من الحبوب و الأدباش (١) و الذخائر، فأمر العساكر بأخذها و الانتفاع بها، و هو لم يزل فى موضعه.

فلما اشتدّ عليهم الحال، و ضاقت عليهم الأرض، فزّوا ليله من الليالى إلى جبال بنى سليم، إلا أنّهم فى أثناء هذه المدّه قد ذهب أموالهم، و هنت أحوالهم، و هلك جانب من النساء و الأطفال، و استدلّتهم القبائل، و هرب من بين أيديهم أغلب الرجال، فلحقهم الشريف محمّد و الساده الأشراف إلى جهات جبال بنى سليم و تلك الأطراف، و صارت معركة جزئيه قتل فيها بعض شيوخ بنى سليم.

ثمّ كان نتيجة هذا الحصر الشديد و الاعتساف، دخولهم تحت الطاعه، و وصول شيخهم عسّاف، فقبضه و بعث به و من معه إلى حضره الشريف مسعود كالأسير، و الآخرون أمرهم بالنزول فى بعض المواضع، إلى أن يأتى من حضره الشريف مسعود التدبير، فخدمت نارهم، و عفت آثارهم، و ذهب قوّتهم، و هنت صولتهم،

ص: ٣٤٢

(١ - ١) الأدباش جمع دبش: أثاث البيت.

و حجر على السيّد عسّاف و ابنه و بعض أقاربه بمكّه المشرفه، حتّى ماتوا جميعا بالجدرى فى أوائل سنه (١١٥٦).

و أمّا الآخرون، فأمرهم مولانا الشريف بتزولهم فى منازلهم الاول على تقرير سير سيرهم عليه، و الجأهم بالغضب إليه.

من جمله ذلك: سيرهم على قانونهم القديم مع الساده الأشراف آل أبى نمى بن بركات، و حفظهم لأنفسهم، و طوارفهم عن التعديّات، و رفع أيديهم عن حمايه تلك الأراضى و الجهات، و عدم تعرّضهم لمارّ الطريق، و قصاد البيت العتيق، فصلحت أحوالهم بعد ذلك الفساد، و استقاموا على سيره الآباء و الأجداد، من الهدايه و الرشاد.

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتّى يراق على جوانبه الدم

وفاه الشيخ محمّد جواد بن عبد الرزّاق البغدادي:

و فى هذه السنه: توفّى بمكّه المشرفه الشيخ الجليل، الصالح الورع النبيل، الشيخ محمّد جواد (١) بن الشيخ عبد الرزّاق البغدادي، المجاور بمكّه المشرفه.

ص: ٣٤٣

١ - ١) ذكره العلّامه السيّد الأمين العاملى فى كتابه أعيان الشيعة (٤: ٢٧٣) قال: الحاج جواد و يقال محمّد جواد ابن الحاج عبد الرضا بن عوّاد البغدادي المعروف بالحاج محمّد جواد عوّاد أو الحاج محمّد البغدادي. كان حيّا سنه (١١٢٨). هو شاعر أديب، له ديوان شعر صغير، جمعه فى حياته، رأينا منه نسخه فى العراق سنه (١٣٥٢) و هو معاصر للسيّد نصر الله الحائرى، و بينهما مراسلات، و ذكره جامع ديوان السيّد نصر الله الحائرى، فقال: شمس دار السلام بغداد، المولى الأكرم الحاج محمّد جواد، و وصفه أيضا بعمده الفضلاء، و زبده الادباء الأوحد الأمجد.

و كان هذا الرجل من فضلاء أهل زمانه، و زعماء معاصريه و أقرانه، ذا فضل باهر، و أدب زاهر، و فطنه نقّاده، و فكره وقّاده، و فصاحه و بلاغه، أنسى بهما ذكر حسان و ابن المراهه.

و سأثبت لك ما يقوم بينه هذه الدعوى، ممّا تهوى إليه الأفتدّه و تهوى، من شعره الذى هو أزهر من الرياض، غبّ الهاطل الفيّاض، و أبهى من العقود، فى جيد الكاعب الخرود، و أعذب من الرحيق، و أعطر من المسك العتيق (1)، و له فضائل جمّه، و معارف تجلو ظلم الجهل المدلهّمه.

وفد إلى مكّه المشرفه فى عام سبع و عشرين، و همّته العليّه لم ترض بالسهى لها

ص: ٣٤٩

(١ - ١) فى «ن»: الفتىق.

قرين، و لازم من بها من العلماء الأعلام، و الفضلاء المجاورين ببلد الله الحرام، فأدرك فنونا كثيرة، في مدّه يسيره، ثم هاجر إلى بلاده، و مقرّ أترابه و أنداده، و اشتغل بها على فضلائها، و قبض أرواح علوم الأدب من صدور ادبائها (١)، فغاص في نمير الفضائل و كرع، و بذل على أقرانه و برع.

ثم عاد إلى مكّه المشرفه سنه (١١٥٤) و هو في غايه القوّه الأدبيّه و التمكين، فتشرفنا برؤيه صباحه، و استضاءنا بنور مصباحه، و رتعنا في رياض آدابه، و تمسّكنا في تحقيق بعض الفوائد بأهدابه، و سمعنا من فيه بعض أشعاره، الدالّه على تمكّنه و علوّ مقداره، فحسدنا عليه الدهر الخوّان (٢)، المفترق بين الأحبّه و الإخوان، فعرض له توّعك في شريف مزاجه، طار بطاوس رونقه و ابتهاجه، و لم يزل بين الإماتة و الإحياء، إلى أن اختطفته يد أبي يحيى، فنقل من دار الفناء إلى الروضه الفنا.

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس و لم يسمر بمكّه سامر

فرحمه الله تعالى، و أغدق عليه صيب غفران تتوالى.

و من لطيف شعره الدالّ على علوّ قدره، و نقلتها من ديوانه، يمدح بها أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السّلام، و هي:

أما و ليال قد شجاني انصرامها لقد سخّ من عيني عليها سجامها

تولّت (٣) فما حالفت في الدهر بعدها سوى لوعه أودى (٤) بقلبي كلامها

ص: ٣٥٠

١-١) في «ن»: أربابها.

٢-٢) في «ن»: الخوّون.

٣-٣) في «ن»: فولّت.

٤-٤) في «د»: أبدى.

و صرت أمتى النفس و القلب عالم بأن المنايا مخطئات سهامها
فلا حالفت قدرى المعالى و لا رعت ذمامى إن لم يرع عندى ذمامها
بها بلغت نفسى إلى جلّ قصدها على أنّها فى القصد صعب مرامها
و ما كلّ من رام انقياد العلى له بملقى إليه حيث شاء زمامها
ليال بأكناف الغرى تصرّمت فيا ليتها بالروح يشرى دوامها
سقى الله أكناف الغرى عهاده (١) و حياها من غرّ (٢) الغوادى ركامها
ربوع إذا ما الأرض أضحت ركوبه فما هى إلا أنفها و سنامها
تباهى درارى الشهب حصباء درّها و يزرى بنشر المسك طيبا رغامها
بها جيره قد أضعوا النفس وصلهم فأودى بها بعد الرضاع فظامها
سأرعى لهم ما عشت محكم صحبه مدى العمر لا ينفصّ عنها ختامها
إذا شاق صبّا ذكر سلع و حاجر فنفسى إليهم شوقها و هيامها
فكم عاذلتنى (٣) فى حماهم غزاله يلىق عقودا (٤) للنحور كلامها
أقول و قد أرخت لثاما بوجهها هل البدر إلا ما حواه لثامها
أو الليل إلا من عذائر (٥) فرعها أو الصبح إلا ما جلاه ابتسامها

ص: ٣٥١

١-٥) فى «ن»: بمهاده.

٢-٦) كذا فى الأعيان، و فى النسختين: عزّ.

٣-٧) فى الأعيان: غازلتنى.

٤-٨) فى الأعيان: عواذا.

٥-٩) فى الأعيان: غدائر.

و ما المشرفى العضب (١) إلا لحاظها و لا السمهرى اللدن إلا قوامها

فيا ليتها لما ألمت تيقنت بأن سويدا الفؤاد مقامها

فو الله مالى عن هوى الغيد سلوه و إن جار فى قلبى الشجى احتكامها

فله نفسى كيف تبقى و فى الحشا تباريح وجد لا يطاق اكتتامها

و أتى لها تسلو الهوى و غريمها إذا أزمعت نحو السلو غرامها

ألا ليس منجى النفس من غمره الهوى و لا ركن يرجى فى ذراه (٢) اعتصامها

سوى حبها مولى البرية مدعنا (٣) بحق هو الهادى لها و إمامها

على أمير المؤمنين و من به تقوض من أهل الضلال خيامها

مقام الندى ركن الهدى كعبه غدا على الناس فرض حجها و استلامها

هو العروه الوثقى فمستمسك بها لعمري لا يخشى لديه انفصامها

وصى الرسول (٤) المصطفى و نصيره إذا اشتد من نار الهياج احتدامها

له الهمة القعسا و الرتب التى تجاوز ما فوق السماكين هامها

ينير به المحراب إذ بات قائما بجنح ليال جفنه لا ينامها

و إن نار حرب يوم روع تسعرت و شق على قلب الجبان اقتحامها

سطى قاطعا هام الكماه بصارم غدا فيه يعتال النفوس حمامها

فكم فل جيشا للطغاه بعزمه يهدّ الجبال الشامخات اصطدامها

ص: ٣٥٢

١-١) فى الأعيان: الغضب.

٢-٢) فى الأعيان: هواه.

٣-٣) فى الأعيان: من غدا.

٤-٤) فى الأعيان: النبى.

و أفناهم غزوا بكلّ كتيبه على منهل الأقدام ييدو زحامها
تثير رياح الخيل فيها سحابيا من النقع يهمل بالنجيع ركامها
بكلّ فتى ماضى العزيمه قد غدت له السابغات الفهد و هو حسامها
ألا إنّما أحكام دين محمّد بحيدر أضحي مستقيما قوامها
له معجزات يقحم الخصم ذكرها و يسجع بالحقّ المبين حمامها
فمنها رجوع الشمس فى أرض طيبه و فى بابل إذ كاد يغشى ظلامها
فيا نبأ الله العظيم الذى به قد اشتدّ ما بين البرايا خصامها
فمن فرقه بالخلد فازت بحبّه و اخرى رماها فى الجحيم أثمها
فأنت لعمري فللك نوح و جذوه لموسى بدا من طور سينا ضرامها
لقد فزت من (١) عهد النبى برتبه كهارون من موسى اتيح اغتنامها
و أعظم من ذا أن رقيت مناكبا له قد تناهى مجدها و احترامها
فكسّرت أصناما خفضت دعائها برفعك حتّى ليس يرجى التأمها
و كنت له فى ليله الغار واقيا بنفس لنصر الحقّ طال اهتمامها
عشيه إذ رام العده اغتياله فخابت و لم تدرك مراما لئامها
وجود الفتى بالنفس أنفوس (٢) جوده و أفضل (٣) من ساد الرجال كرامها
أبا حسن يا ملجأ الخاطيء (٤) الذى خطاياهم قد أعيأ الأساه سقامها

ص: ٣٥٣

١-١) فى الأعيان: فى.

٢-٢) فى الأعيان: غايه.

٣-٣) فى الأعيان: و أنفوس.

٤-٤) فى الأعيان: الخائف.

أغث موثقا في قيد نفس شقيته تعاضم منها أصرها (١) و اجترامها
فليس لها (٢) حسنى سوى حبها لكم سيغدو عليها بعثها و قيامها
و كن مسعفا في الحشر منك بشربه يبل بها إذ يجتبيها أوامها
فأنت قسيم النار و الخلد في غد إذا آن ما بين العباد اقتسامها
إليك أبا السبطين منى مدحه يفوق على سمط اللآلى نظامها
هى الروضه الغناء باكرها الحيا و ذكرك أزهار مديحي كما ماما
غدت دون مدح الله فيك و إنما بذكرك يبهى بدؤها و ختامها
عليك سلام الله ما انهلّ بارق (٣) و ما ناح في أعلى الغصون حمامها (٤)
و له رحمه الله في التشبيهات، و قد أهدى إليه خلال أحمر و أصفر:
اهدى خلالا أحمر مع أصفر مولى لأعباء الرسالة حامل
كأنامل خضبت فبعض عالق لون الخضاب به و بعض ناصل
و له و قد اهدى إليه باذنجان:
أتانى باذنجانكم فكأنه قد جاء في لون كما الحبر أسود
ملوك من السودان فوق رؤوسها فواخر تيجان غدت من زبرجد
و له أيضا في القهوه البنيه:
ص: ٣٥٤

١-١) فى الأعيان:وزرها.

٢-٢) فى الأعيان:له.

٣-٣) فى «ن»:فصلّى عليك الله ما انهلّ بارق، و فى الأعيان:فصلّى عليك الله ما لاح بارق.

٤-٤) راجع:أعيان الشيعة ٢٧٣:٤-٢٧٤.

هات اسقنى أسودين و لا تعبأ بمن فى شربها يزهد

فالبیت من أركانه لم يكن يلثم إلا الحجر الأسود

و له غير ذلك من عقود منظّمه، بدرر معظّمه، فرحمه الله رحمه الأبرار.

فصل: فى حوادث سنه ستّ و خمسين و مائه و ألف

وفاه الشيخ عثمان بن عبد السلام الرئيس:

ففى صفر من السنه المذكوره: توفى الشيخ الجليل النبيل الموقت، الشيخ عثمان بن عبد السلام الرئيس، موقت مكّه المشرفه، و صاحب هذا المنصب المبارك بعد الشيخ على المتقدم ذكر وفاته فى سنه (١١٥٢).

و انتقل هذا المنصب بعده إلى الشيخ محمّد يحيى أخيه من أبيه، و كلّ منهم بدور هدى، و أئمه صلاح بهم يستمسك و يقتدى، و ناهيك بهذه الخدمه الشريفه، و الخطه العاليه المنيفه، نفعنا الله بهم.

إصدار إلى أهل المذاهب تولّى كلّ ذى وظيفه وظيفته بنفسه:

و فى هذا الشهر: برز الأمر الشريف العالى من صاحب الترجمه، لا زالت أحكامه فى سلك العدل منتظمه، على جميع الخطباء و الأئمه، من أهل المذاهب الأربعة، أن يتولّى كلّ ذى وظيفه وظيفته بنفسه الشريفه، و إنّ كلّ من كان قاصرا عن قيامه بها تكون موقوفه إلى أن يحصل له استعداده، فيقوم بخدمته على المعتاد، فبطل باب النياه فى الإمامه و الخطابه، فشرع أهلها و مستحقّوها أصاله فى موالاته خدمهم، كما أمر أدام الله إجلاله.

فكان أوّل خطيب حسب الترتيب، بعد إسقاط الموقوفات المذكوره، فى القائمه الضابطه المشهوره، الشيخ الجليل، الصالح النبيل، الشيخ عبد الله بن الفاضل

العلامة الشيخ عباس المنوفى دام توفيقه، وهو من سلسلة ساميه، وفتيه مكارمهم فى الأنام وافية (١).

ترجمه السيد محمد بن السيد أحمد الخطيب:

إشاره

ثمّ خطب من بعده عين أعيان الساده، ومفخر ذوى الرئاسة و السيادة، معهد الكمالات الجليله، ومعقد خناصر أرباب الهمم العليه، السيد محمد ابن المرحوم السيد أحمد نائب الحرم الشريف، وقائم مقام شيخه العالى المنيف، وهو الوزير الأعظم، والمشير الأجلّ الأفخم، سلاله الوزراء العظام (٢)، ونخبه الأماجد الكرام، أحمد باشا بن النعمان الكبرى، أحد وزراء الدوله العثمانيه، وعين الوجود، وأعزّ كلّ موجود، لدى صاحب الترجمة الشريف مسعود، أطال الله تعالى بقاه، وأبد (٣) سعده و ارتقاه، مع همّه عالىه و نجابه، لبس بهما تاج المجد و ثيابه، و كرم يهزأ بالغيث الهاطل، و يعمر ربوع المجد و هى عواطل.

فظهر ظهور الشمس فى رابعه النهار، و طبق صيته الشريف جميع الأقطار، و سار مسير الشمس فى كلّ بلده، وهبّ هبوب الريح فى البرّ و البحر، صعد بأفعاله الشريفه أرج المعالى و ما هبط، و تسنّم بأوصافه المنيفه غارب سنام المجد و ما سقط، كلّ ذلك بخلق اللطف من نسيم الصبا، و أرقّ من أحاديث الصبا، و حسن تواضع لعامّه الناس، و مفاكهه حديث أعذب من شعر النحاس، و جاه مبذول لذوى الحاجات، و لطفه تعبير حتّى فى المحاججات، كلّ ذلك و أكفّ سنّه الشريف لم

ص: ٣٥٦

١- ١) فى «ن»: ناميه.

٢- ٢) فى «ن»: النظام.

٣- ٣) فى «ن»: و أيد.

تقبض الثلاثين، وهو لم يرض بالسهي له قرين.

نشأ في كفاله أبيه، وجد في طلب الكمالات حتى أزرى بطلاب العلم و مكتبيه، بفكره وقاده، وفطنه نقاده، وخطّ لو رآه ابن مقله لاشتتهى أن يكتب مثله، وقل ما من جمع بين الحظّ والخطّ، وما أظنّ أنّ أحدا جمعها قبله قطّ، خطب خطبه لو سمعها قدامه، لوقف باهتا قدامه، أو رآها ابن الأثير، لغدا في مفرداتها كالحائر الأسير، أو وعى وعظها ابن أدهم، لاستزاد زهدا في ردّ الدرهم.

خرج من داره الشريفه متوجّها إلى المسجد الحرام، وأعيان مكّه المشرفه من العلماء الأعلام، حاقّون بجنابه العالى إلى أن وصل إلى الحجر والمقام، ثمّ صعد المنبر الشريف، والمحّل العالى المنيف، وتلا خطبته الغراء، والمسجد الشريف المكي، غاصّ بالفضلاء من عربى و تركى، ومشايخ الإسلام العظام، وأغلب الساده المعترين الكرام، معه على المنبر السامى المقام، وتلاها عن ظهر الغيب، سالمه من كلّ شين و عيب.

و صار له فى ذلك اليوم المشهود المشهور، أمر لم يصير لأحد قطّ على ممّر الأعوام و الدهور، إذ زفّت إلى حضرته العليّه، وهو على المنبر المذكور ثلاث خلع ستيه من الفرو و السمور، و ابيضت على جسمه الشريف و هو واقف يدعو بالإعلان، لحضره مولانا السلطان حتى أعياه نقلها، وأتعبه ثقلها، إحداهما من حضره الملك المؤيد المعظم المسعود، مولانا و سيّدنا الشريف مسعود، أدام الله تعالى وجوده، و أسعد جدوده، و الثانيه من حضره الوزير الأَعْظَم، و المشير الأَجَلّ الأَفْخَم، ذى الرأى الصائب، و الفكر الثاقب، مولانا أحمد باشا، بلغه الله من سعاده الدارين ما شاء، و الثالثه من حضره قاضى الشرع الشريف فى ذلك العام، وهو من أعظم أفاضل قضاه الأروام، أدام الله تعالى إجلاله، و أيّد إقباله.

و لكل واحد من هؤلاء العظام المشار إليهم، خطبه بخلعته الشريفه؛ لأنه عوّل في طلبها عليهم، ثم جلس بعد الصلاه ينتظر وصوله إليه في مصلاه، جريا على العاده المعروفه بين هؤلاء الساده.

فلَمَّا فرغ من صلاته ذهب إلى حضره مولانا الشريف دام علاه، محفوفًا بمشايع الإسلام، و أعيان العلماء الأعلام، و سائر أهل الوظائف الحرميه الكرام، و أغلب الحاضرين بالمسجد الحرام، فقبل أيديه الشريفه، و تشكر من حضرته فيما أسداه إليه من أياديه المنيفه، و هو أيده الله تعالى قابله بما لم يقابل به أحد من أبناء خرقته، و أهل حرفته.

ثم توجه من عنده إلى حضره مخدومه الوزير المشار إليه، و أتت نعم الباري متواليه عليه، و الامه واقفه تشاهد هذا النظام، الذي لم يتفق مثله لأحد من خطباء المسجد الحرام، فقابله مخدومه أيضا بما هو أهله من الإجلال و الإكرام.

ثم توجه من عنده إلى قاضى الشرع الشريف، فقابله أيضا بنهايه التعظيم و التشفير.

ثم توجه إلى داره السعيده، و الخلائق حاقه بحضرته، إلى أن استقرّ بها و هو قرير العين بلذيد العيش و نضرته، فأقبلت عليه أعيان البلاد، للمباركه على المعتاد، و ازدحم الخلائق (1) على بابه، و تعفرت جباه المدّاح على أعتابه، فالبس الملابس النفيسه و وهب، و أنعم بالأيدى من الفضه و الذهب، و أظهر أنواع التجمّلات فى ذلك المجلس العالى، و أرغم أنف كلّ عدوّ و قالى.

فلله درّه من رئيس جمع محاسن الأوصاف، من غير مشقّه و لا اعتساف،

ص: ٣٥٨

و اختصّ بهذه (١) الخطبه بأمر لم يأت بمثله من سبق، و هو اجتماع ثلاث خلع ستيه على هذا النسق، و ما أخال أنّ أحدا ممن يأتي بعده يضاهيه، أو يحوم (٢) حول حماه و واديه؛ لأنّ هذا مظهر خصّه به في عالم الوجود، مفيض الكرم و الجود.

و قد أرّخ خطابه هذه غير واحد من أبناء الأدب، و تناسل إلى مدحه المدّاحون من كلّ حدب، فوهبهم و أعطاهم، و أغدق عليهم و أكرم مثوهم.

وفاه السيّد حسن بن أحمد بن سالم شيخان:

و في أوائل السنه المذكوره: توفّي السيّد الجليل، و السند العالى الأصيل، بقيه الساده الأعيان، المعروفين في مكّه المشرفه بآل شيخان، السيّد حسن بن أحمد ابن السيّد سالم شيخان، رحمه الله تعالى رحمه الأبرار، و ألحقه بأجداده الأطهار.

و كان السيّد ذا أخلاق حسنه، و مسالك مستحسنه، و تحلّى بالعلوم الأدييه، مع نفس شريفه أبيه، مات و أعقب ولدا واحدا.

غزوه بنى مغلده:

و في شهر صفر من هذا العام: جهّز صاحب الترجمه-أبقاه الله تعالى ناصرا للإسلام، و قامعا للباديه الطغام-سريه من الخيل و العساكر، و الساده الأشراف الأكابر، و رأس السريه، ملك مكّه المشرفه سابقا الشريف محمّد المتقدّم ذكر محاسنه السريه، فإنّه كان معتمد عمّه الشريف مسعود في جميع الامور السريه، و ذلك على جمع من عصاه العرب، الذين دأبهم النهب و الهرب، مع ذنوب لهم سابقه، و أفعال شنيعه متناسقه.

ص: ٣٥٩

١-١) في «ن»: في هذه.

٢-٢) في «ن»: يحول.

و هم قبيله يقال لهم: بنو مخلد، فأحمد فيهم سيوفه و أخذ، فقتل منهم تحت سنابك الخيل، عند أول قدوم النهار و إدبار الليل، فوق العشرين من أبطالهم، مع نهب حلتهم و أموالهم، و هرب من بقى منه إلى رؤوس الجبال، و هم فى حاله الجنون و الخبال، و رجعوا إلى مكّه المشرفه بعد أيام، بالأوباش و الأنعام، و أمر حضره الشريف بتقسيم ذلك الفىء فى العساكر و الأشراف، و أمدهم أيضا من ماله على سبيل الإنعام و الاسعاف.

فحصل بعدها ذلّ عظيم، و وهن جسيم، على الباديه المذكورين، و غيرهم من باديه الحرمين، حتى سلّموا ما كان مقرّرا عليهم لملوك مكّه المشرفه، من قديم الزمن بلا توقّف و لا مين.

إلاّ أنّ حين هجوم الساده الأشراف عليهم، و وصول أول الخيل إليهم، رموهم هؤلاء الباديه ببعض البنادق، دفعا للبلاء النازل عليهم، فأصيب من ذلك السيد الشريف، و الغضنفر العطريف، السيد فائز ابن المرحوم الشريف مبارك بن أحمد بن زيد المتقدّم ترجمه شرافته، برصاصه فى ساقه مكث بعدها خمسه أيام، ثمّ انتقل إلى رحمه الله تعالى بالطائف، و دفن به، و ليس فى ذلك عار، بل ذلك من أفضل خلعهم الشريفه يوم الفخار، كيف لا؟ و لسان حالهم لم يزل يقول:

و ما مات منّا سيّد حتف أنفه و لا ظلّ منّا حيث كان قتيل

درج رحمه الله تعالى و لم يعقب، غير أنّ له إخوان كبار، هم كالشموس الشارقه فى الاشتهار.

إذا مات منهم سيّد قام سيّد قؤول بما قال الكرام فعول

كيف لا؟ و هم فروع تهذلت من دوحه المجد، و تبدّد ماء صولتهم فى أعماق الأرض من كلّ غور و نجد.

لهم والد لو كان للناس كلهم أب مثله أغناهم بالمناقب
أبقاهم الله تعالى و رحم أباهم، و ثبت مجدهم الراسخ و إباهم.

وفاه السيّد حسن بن غالب بن زامل الحسنى:

و فى شهر ربيع الأول من السنه المذكوره: توفى إلى رحمه الله تعالى السيّد الشريف الماجد الكامل، السيّد حسن بن غالب بن زامل، قدّس الله روحه، و أثار بمصاييح الرحمه ضريحه.

و كان هذا السيّد الشريف، من أكابر هذا العنصر اللطيف، و من أطفهم أخلاقاً، و أوسعهم إنفاقاً، مات رحمه الله تعالى و لم يعقب إلا ابنتين قاصرتين.

وفاه الشيخ محمّد بن حسن العجيمى:

و فى ليله السبت ثامن شهر ربيع الثانى: توفى العالم العلامه، و القطب العظيم (1) الفهّامه، الشيخ محمّد ابن المرحوم الشيخ حسن العجيمى، المتقدّم ذكر وفاته فى سنه (١١١٣).

و كان هذا الشيخ عالم زمانه، و فريد معاصريه و أقرانه، أخذ على علماء كثيرين، و تفنّن فى العلوم حتّى صار علماً للمتأخرين، ثمّ قصر أوقاته الشريفه على العباده، و بثّ الفقه و الحديث فى الحرم الشريف المكى، و قصده العلماء من جميع الأقطار، للاستفاده منه و أخذ الإجازة المتداوله بين محدّثى الأمصار.

و أمّا أخلاقه الحسنه، و سيرته المستحسنه، فهما أشبه بمن سلف من صالحى السلف، صحبته أعواماً و سنين، و هو لم يزل لمخلصه نعم المعين، فجراه الله تعالى عنى خير الجزاء، و جعل نصيبه من السعاده الاخرويه أوفر الجزاء.

ص: ٣٤١

و أعقب خلفا صالحا ظهر منهم بعض الأشخاص.

وفاه السيّد عبد العزيز بن زين العابدين الحسنى:

و فى يوم السابع عشر من شهر ربيع الثانى من السنه المذكوره: كانت وفاه السيّد الشريف، و الهمام الأجلّ الأعظم المنيف، السيّد عبد العزيز ابن السيّد المرحوم زين العابدين بن إبراهيم بن محمّد بن بركات بن أبى نمى، قدّس الله روحه، و أغدق بصيب الرحمه ضريحه.

و كان هذا السيّد الجليل الفاخر، أوحد أرباب المظاهر و المفاخر، رقى إلى أعلى المراتب السّتيه، بين معاصريه من السلسله الشريفه النمويّه، و ابتداء ظهوره فى شرافه ابن عمّه الشريف يحيى بن بركات؛ لأنّه القى إليه مقاليد اموره فى جميع المهمّات، فظهر بسبب ذلك، و شاع صيته الشريف فى جميع الممالك، و لم يزل على هذه الحال إلى أن دعى فأجاب، فخلّيت منه المنازل و الأطلال، مات رحمه الله تعالى و لم يعقب.

بناء برجين عظيمين لصاحب الترجمه:

و فى أوائل هذه السنه: شرع صاحب الترجمه فى بناء برجين عظيمين فى واجهه بيته المسمّى بدار السعاده، المعروف بسكنى الملك بمكّه المشرفه، أحدهما أعلى من الآخر، و أودعهما مدافع كبارا و صغارا، و هو أمر لم يتتبّه له أحد من ملوك مكّه المشرفه، و لا الذى أسّس البيت المذكور و بناه، و أتقن صنعه و بناه، و هو السيّد الشريف، ذو القدر العالى المنيف، السيّد حسين بن الشريف حسن بن الشريف أبى نمى المذكور سابقا، رحمهم الله تعالى رحمه الأبرار، و حشرهم مع أجدادهم الأطهار.

و هذا حسين هو جدّ الساده المذكورين ملوك مكّه المشرفه آل زيد،

المتوارثين لمنصب الشرافه السئيه، والأياله المكيه الحسيه، وهم آل زيد بن محسن بن حسين المذكور بن الشريف حسن.

و كان قد بناه لوالده الشريف حسن، فسكنه مدّه حياته، و هو بنفسه لم يتحلّ جیده بعقود الأياله، مع أنّه بين إخوته فى غايه العزّه و الجلاله.

ثمّ لم يزل يسكنه من تولّى شرافه مكّه المشرفه من أبناء السيد حسين بن الحسن المذكور، و هم آل زيد، حرسهم الله تعالى من كلّ همّ وكيد، و إن اتّفق أن تولّى هذا المنصب أحد من بطون آل أبى نمى الاخرى، كما سبق بيانه فى التراجم المتقدمه سردها، فإنّما يسكنه باجره معلومه، أو يسكن غيره لكونه مستحقًا لهم دون غيرهم من البطون.

و كان كلّ ما سكنه واحد من آل زيد، جدّد فيه محلاّت، و زاد فيه زيادات، و أصلح ما خرب منه، خصوصا مولانا صاحب الترجمه، لا- زالت عقود دولته بفرائد العدل و الاحسان منتظمه. و كان الفراغ من عماره هذين البرجين فى أواخر شهر جمادى الاولى من السنه المذكوره.

الفتنه العظيمه بالمدينه:

و فى هذه السنه: وقعت فتنه عظيمه بالمدينه المنوره، على صاحبها أفضل الصلاه و السلام، بين العساكر أهل القلعه و بين شيخ الحرم الشريف المدنى، و هو عبد الرحمن آغا و بقيه العساكر فى طرف شيخ الحرم.

و أصل هذه الفتنه: أنّه وقع التباغض و العداوه بين أهل القلعه من العساكر، فاستقلّ جماعه منهم بحفظ القلعه، و خرج آخرون إلى أطراف المدينه، و استمرّ

الحال على ذلك، فصارت المراسله بين بعض المستقلين (١) بالقلعه و بين المقيمين بأطراف المدينه المنوره.

إلى أن قرّ الأمر بينهم على الدخول، و البعض الآخر لم يكن عندهم اطلاع على ذلك إلا حين دخولهم إلى المدينه، و قتل شخص يسمّى حسن كابوس، فتلقّاهم أهل القلعه جميعا باللطف و البشاشه و الاستعداد و الضيافه.

ثم أشاروا عليهم بأنكم أخرجوا و الزموا هذه الجهات القريبه من القلعه، فإنّ شيخ الحرم ربما يرسل من يحفظها عليكم، فخرجوا جميعا إلا البعض المتوهم.

فلما خرجوا عن القلعه أغلقوا بابها و ضبطوها، فصار الحرب عليهم من جهه القلعه، و من جهه شيخ الحرم.

فلما علموا أنّ الحيله قد أبرمت عليهم، رجعوا و خرجوا إلى خارج المدينه، و نزلوا في البيوت المقابله للقلعه، و جعلوا فيها بروجاً و مراميا للبندق، فوقع القتال بينهم و بين أهل القلعه، و شملهم حضره شيخ الحرم بنظره العام، و خصّهم بالفضل و الإنعام، و أغلق جميع أبواب المدينه المنوره.

و استمرّ الحال على ذلك، و كلّ من الفريقين ضابط لما يمكن التوصل منه إليه من السبل و المسالك، فأبرم أهل الخارج حبال المكر و الحيله، و أظهروا السكون في جميع الامور الدقيقه و الجليله، و دسّوا في أهل القلعه غلاما خداما لهم ليبلغهم من مقصودهم أملهم، و رتبوا معه أنّه إذا كان بعد المغرب من الليله الفلانيه دع شيوخ القلعه في مجلسهم، و اصعد إلى الموضع الفلاني، و اطرح لنا حبلا أو دعوه إياه، ثم انزل وقف في خدمتك بين أيديهم.

ص: ٣٦٤

(١ - ١) في «ن»: المشتغلين.

فلما كان إبان الوعد المذكور فعل ما أمره به، ووصلوا إلى مطلوبهم بسببه، وهذا ثمره التآني في الامور، و به يحصل الظفر و السرور، و قد قيل:

قد يدرك المتأني بعض حاجته و قد يكون مع المستعجل الزلل

فصعد منهم في تلك الليلة من مؤخر القلعه جمع كثير، و جم غفير، و أوقعوا السلاح في أركانهم، و قطعوا بإقدامهم و جرأتهم و إبرامهم (1)، و انحاز الباقون إلى شيخ الحرم المذكور. و من أعيانهم الشيخ الجليل العالم الأصيل الشيخ عبد الكريم الأنصاري، و ولده صاحبنا الأديب الأريب الشيخ يوسف الأنصاري، و غيرهما، فثارت الحرب بين هؤلاء الذين ملكوا القلعه و ما انضم إليهم، و بين شيخ الحرم و المنحازين إليه.

فلما اشتد الأمر و لاحت الغلبه لأهل القلعه، استعصم شيخ الحرم بالباديه، و طلب أعيان قبيله حرب الكائنين بين الحرمين الشريفين، و كان قد وصل إليه سابقا رئيسهم و ابن شيخهم قديما، الشيخ هزاع بن الشيخ مبارك بن مضيان شيخ قبيله حرب قديما، و قد تقدم له ذكر في ترجمه الشريف مبارك بن أحمد.

و كان له على أهل القلعه يدا حين كانوا في خارج البلاد، و جعل بينه و بين قبيله بنى على إحدى قبائل حرب اتصالا به، و أقامهم خداما و أنصارا له على أعدائه، ثم ذهب و بعد مدّه من ذهابه فعلوا تلك الحيله، و ملكوا القلعه، و فعلوا ما فعلوا.

فوصل إليه جمع عظيم من بنى على المذكورين، و فرقهم في المنائر التي حول المسجد الشريف النبوي، و في مواضع اخر لحفظ المسجد الشريف، و ما فيه من الأموال زياده على عبيد الآغاوات و أتباعهم، و من انحاز إليهم من بقايا أهل

ص: ٣٦٥

(١ - ١) في «د»: إبرائهم.

فتحصّينوا و سدّوا بعض المنافذ، و أغلقوا جميع أبواب المسجد الشريف إلّا ما والا هم، كباب النساء، و باب الرحمه، و من أبواب السور المحيط بالمدينه باب الجمعه الخارج منه إلى جهه البقيع و بقيه الأبواب، كباب المصريين، و باب السلام، و غيرهما في يد أهل القلعه، و باطن المدينه المنوره، قد انقسم قسمين: قسم بيد أهل القلعه و هو الأكبر، و قسم بيد شيخ الحرم و هو الأصغر، و قاضى الشرع الشريف قد استولى عليه أهل القلعه و صار جهتهم و بأيديهم، يتصرّفون فيه كتصرّف الملاك (١) في أملاكهم.

و استمرّ الحال على ذلك، و المسجد لا يؤذّن فيه و لا تقام فيه صلاه جمعه و لا جماعه، و قد دخل الرصاص فيه من أهل القلعه، و ضرب في سواري المسجد الشريف، و خرق بعض المصاحف الشريفه التى فى الحجره العالیه المنيفه، و أرسل شيخ الحرم رسلا من طرفه إلى حضره الدوله العثمانيه يعرّف بما صار من هؤلاء الأنفار.

و فى أثناء ذلك يكاتب شريف مكّه المشرفه المشار إليه، لا برحت نعم البارى متواليه عليه، و صاحب أياله بندر جدّه المعموره، و هو الوزير المعظم أحمد باشا الكبرلى المشهور، و يطلب منهما النجده و النصر على محاربيه، و استخلاص مسجد شفيح الامه من جراه كلّ عدوّ (٢) و سفيه.

و لم يزالا يجيباه بإظهار نسبه الخطأ إليه، و طرح كلّ معصيه عليه، و يزيلا عن

ص: ٣٦٦

١- ١) فى «ن»: الأملاك.

٢- ٢) فى «د»: و غد.

أهل القلعه اللوم، و يصرّح له بالقمع الشديد عن هذا الروم، و يأمره بإجابه أهل القلعه إلى سؤالهم، و إنجاح مطالبهم و آمالهم، و هو إخراج خمسه أنفار ممّن كانوا فى القلعه سابقا، و بعض أنصار لهم من الأنصار، و قد سبق ذكرهم فى أثناء الحديث، و هم عمداه أهل الحرم فى كلّ أمر قديم أو حديث.

و بهذا السبب توقّف فى إخراجهم، لانحصار قوّته و قومه فى إخراجهم، و أهل القلعه قد أقاموا الحرب على ساق، حتّى يخرج هؤلاء أو تقوم الساعه، و يصير إلى ربّهم يومئذ المساق.

فلَمّا طال الأمر، و كلّ من الفريقين لازم جهته كم شهر، استحسن شريف مكّه أيّده الله تعالى إرسال جمع من عساكره المنصوره، تحت ألوّيته المنشوره، و أمر عليهم رئيسا من الساده الأشراف، و بعث معه عدّه من العاديات صباحا، الموريات قدحا، المغيرات صباحا، و أسر إليهم بأنّه إن أطاع شيخ الحرم بإخراج الخمسه الأنفار، و لو بتوجيههم إلى تلك الفيافي و النفار، فأصلحوا بين الفريقين، و ألزموا العساكر و الرعايا إطاعه ولى أمرهم، و مهّدوا تلك الأقطار، و لو بنفى بعض الأشرار، و إن لم يطع شيخ الحرم على الإخراج، و لو إلى بعض تلك الفجاج، فقاتلوه حتّى يخاف أمر الله عزّ و جلّ، و لعلّ ذلك وافق منه الأجل، فيكون كالفراش الهادى بنفسه إلى النار، من غير إكراه و لا إجبار

فقد قيل قدما للبغاه مصارع و إنّ مثير الشرّ يوقع فى الشرّ

فلَمّا أحسّ شيخ الحرم بمسير هذه العساكر، و توجهها إلى المدينه بحسب الظاهر، علم بأنّها عليه لا- له، و سيبلغ العدوّ منه أمله، فكتب إلى هزاع المذكور و أعيان حرب، و سألهم منع هذه العساكر و قائدهم عن الوصول إلى المدينه و حفظ الدرب، و أمدهم بالأموال و التحف التى إلى أمثالهم تحف.

فجمع هزاع الجموع من البوادي، وشرع يستجيش حربا في كل مجلس و نادي، و يوهم عليهم بأن هذه العساكر ليست مرسله إلى المدينة في الحقيقه، بل إنما أرسلها شريف مكّه أمامه (١) لتمهّد له مسلكه علينا و طريقه، و ليس القصد إلا استئصالكم، و استباحه أموالكم، فاجتمع عليه قوم حمرا في منزله المسمّى بالصفراء.

فلما وصلت العساكر إلى منزل رابع بالخييل الصافنات، و الدروع السوابغ، معتمدين على شيخ لحرب (٢) قد وضعه صاحب مكّه المشرفه عليهم، و أنّه يتّصل بخيله و رجله إليهم، و قد جاء الخبر الصحيح قبل (٣) خروجهم بشهر أنّه مقيم بدير منتظر لوصولهم، و قبض محصولهم، و كان أغلب قبيله حرب خارجون عن طاعته، ما يكون عنه إلى هزاع و جماعته، فكبر جمع هزاع، و عزم على الصوله على العساكر في رابع و تلك البقاع، و صحبته الشيخ عيّد بن الشيخ سعد بن بدوى الذى كان شيخا لحرب (٤) نحو عشرين سنه، فتوفّى في سنه... (٥).

ثمّ تولّى المشيخه بعده ولده عيد هذا، فعزله شريف مكّه المشرفه المذكور، و نصب عمّه الشيخ منصور، و هو المشار إليه في صدر العبارة، بأنّه يصير عوناً للعساكر إن وقعت عليهم من هزاع و عيد الغاره.

ص: ٣٦٨

- ١- ١) في «ن»: قدّامه.
- ٢- ٢) في «ن»: الحرم.
- ٣- ٣) في «ن»: من قبل.
- ٤- ٤) في «ن»: على حرب.
- ٥- ٥) بياض في النسختين.

فلما كان ثانی شعبان من السنه المذكوره عدی هزاع وعید بمن معهما من جموع حرب علی عساكر شریف مكه المشرفه فی رابع، و کثر بینهما الطعن و الضرب، ثم انجلی الغبار عن رجوع العساكر إلى جهه خلیص ضاربه تلك المهامه و القفار، و فقد من الفریقین أشخاص، و لعلّ فیهم بعض الخواصّ، و رجع هزاع و من معه إلى الصفراء نادمین علی ما صدر منهم لأنّها مصیبه کبری، لجزمهم بأنّه لا بدّ أن یعقب هذا من شریف مكه-أیده الله تعالی-بلاء عظیم، و نکال جسیم، و أنّه لا بدّ ما یصول بنفسه علیهم، و یوجّه أنواع البلاء إلیهم.

و أما منصور و قومه، فلم یقع منهم إلاّ السکون (١) لغلبه هؤلاءک علیهم.

فلما بلغ شریف مكه ما صار من هزاع و قومه من قوّه جرأته، بالغ فی لومه، و صار یهمّم به فی یقضته و نومه، ثمّ أمر بحبس جمیع البنادر علیه، و علی من صال معه و انتسب إلیه، و قبض منهم جمعا أسکنهم الحبوس، و قطع عنهم حسنته المعتاده، و مقرّراته التي لم تنزل إلی زیاده.

ثمّ توجه هزاع و عید و من معهما من قبائل حرب إلى المدینه المنوّره، و أوقعوا فیها فسادا عظیما و قتالا شديدا لأهل القلعه، و قتل من العرب جانب عظیم، و أخذوا من شیخ الحرم أموالا عظیمة، أخذها من الحجره الشریفه.

ثمّ صارت المهادنه بین شیخ الحرم و بین أهل القلعه، و رجع هزاع و عید و قومهما إلى بدر و جهاته، و منصور مقابل لهما معتصم ببعض القبائل لضعفه عنهم.

ثمّ رأى حضره شریف مكه-دام علاه-أن یقوی منصورا ببعض الفرسان، فأرسل إلیه ثلاثین خیالا من عیبده و عیبده أجداده، و کملهم بأنواع السلاح

ص: ٣٦٩

(١-١) فی «ن»: السکوت.

و الدروع و الزانات، و مشى صحبتهم من مكه ولد الشيخ منصور و ابن أخيه.

فلما كانوا فى بدر أقبل عليهم هزاع و من معه من رفاقته، فصار بينهم قتال أسفر عن قتل ابن الشيخ و بعض أشخاص من الفريقين و بعض الخيل، و رجوع خيل مولانا الشريف منكسره إلى بندر ينبع، و أقامت هناك مده، ثم رجعت إلى مكه المشرفه، و حيل بين الخيل و بين منصور، فاشتد غضب مولانا الشريف، لكن لم يسعه الوقت للخروج عليهم لقرب الحجوج.

فلما آن وصول الحجّين الشامى و المصرى، كتب مولانا الشريف إلى الأميرين بأن لا يسلم ما عليهما من المقررات إلا إلى الشيخ منصور، فتوجه منصور إلى المدينه لملاقاه الحاج الشامى، و بقى هزاع و عيد فى بدر لانتظار الحاج المصرى، فقبض منصور صرّه الحاج الشامى، و مشى بالحاج إلى مكه على طريق الفرع - بضم الفاء - و قبض هزاع و عيد صرّه المصرى بالغلبه على الأمير، و مشى الطريق السلطانى ذهابا و إيابا.

و أمّا شيخ الحرم، فجاء عزله من طرف الدوله العثمانيه، و الأمر بمسيره إلى مصر، و إلقاء أمر المدينه إلى شريف مكه المشرفه، فاستقرت المدينه أحسن استقرار، و تفرّق أنصار شيخ الحرم فى المهامه و القفار، و أكثرهم نزلوا على هزاع و عيد، و ساروا فى البلاء الشديد، و أرسل حضره الشريف عساكر لحفظ المدينه، و نفذ فيها أوامره و نواهيّه، و رجع هزاع إلى تدبير أباعره و مواشيّه، و صار محصورا بين الحرمين، مقطوعا عن الميره من البندرين المكرمين، و رجعت حلیمه إلى قواعدها القديمه، ثم توجّهت الحجوج آمنه إلى أوطانها، و استقرت المدينه المنوره بسكانها.

ثم بعد مده طويله أدرك فيها هزاع من التعب الشديد ما أذهب به كثيره و قليله،

رجع خاسئًا ذليلًا، بعد أن ذاق عذابًا و بيلا، يلتمس الدخول تحت الطاعة، و يكون لمنصور إمام جماعه، و يترك عيدًا و أباطيله، و يوجه على قومه كلاكه و تنكيهه، فأقبل عليه الشيخ منصور، و أخذ له من صاحب الترجمه أمانًا يستقرّ به بقيه الدهور، و ردّ عليه ما كان له المقررات، و اجتمع هو و إياه على إصلاح الطرقات، و استمرّ الحال على أحسن الأوضاع، و ترك عيد كنفق بقاع.

و من يعص أطراف الزجاج فإنه يطيع العوالى ركبت كلّ لهزم

وفاه الشيخ عبد الوهّاب بن أحمد الطنطاوى:

و فى تاسع شعبان من السنه المذكوره: توفّى الشيخ الجليل، العالم النبيل، الشيخ عبد الوهّاب بن أحمد بن بركات الأحمدي معتقداً، الطنطاوى بلداء، الشافعى مذهباً، المكى مجاوره.

و لقد كان هذا الشيخ الأجلّ، و الإمام الفاضل المبجل، معهد الكمالات الجليّه، و معقد خناصر أرباب الهمم العليّه، أقام بمكّه برهه من الزمان، و هو فى غايه العزّه، بين من بها من الأعيان، نشر بها العلوم، و أظهر دقائق المنطوق و المفهوم، حتى صار لمدرسى المسجد الشريف المكى غزّه، و لعيون الفضلاء و العلماء قرّه، و لم يزل إلى أن دعاه داعى الحقّ، ففضى منه المراد، و لا مانع لما أراد.

و قد أرّخ وفاته جمع كثير من ذوى الأدب، ممّن التزم من موّدته و محبّته بأوثق سبب. و من جمله من رثاه، و أرّخ وفاته بعد ما واره، مؤلّف هذه الكلمات، المتشرّف بتاريخ من مات، فقال:

أقفر المنزل و ازداد ظلاماً و عفت آثار من فيه أقاما

و خلت دار التقى من عالم كان بالأمس بها صلّى و صاما

و دروس عطّلت من بعد ما كان يملّيها جلوساً و قياماً

فعدى الدهر عليه حاسدا لبنيه إذ رقوا فيها مقاما

بإمام عالم قد زانه منطق عذب و فضل لن يراما

فدنت منه المنايا شرعا و قضت منه مرادا و مراما

لا سقى الله زمانا بعده عارض الرحمة تحدوه النعاما

بل و لا عيشا زهت نصرته لفتى من بعده يرجو مقاما

بل و لا كتب لعلم (١) صنفت فهي اليوم حيارى تتراما

بل و لا حلقه درس نضدت قد خلت من عالم يبرى السقاما

كان فى الدنيا إماما واحدا ثم فى الأخرى تسرّ و تساما

و بدأ أخبرنا تاريخه فى جنان الخلد قد سمى إماما (٢)

تصدى الشيخ عمر الأندلى لخطابه عيد الفطر:

و من جمله ما صار فى هذا العام، من المظاهر الفاخرة لأبناء بلد الله الحرام، من سلاله العلماء الأعلام، و العظماء الكرام: و هو أنه اتفق أن صار فى خطابه عيد الفطر تناقض بين خطيبين متباغضين، و قرمين متناهضين، و ذلك فى خطبه عيد الفطر الشريف، و ما لها من المظهر العالى المنيف، و كلّ منهما يريد القيام بها، و الظهور التامّ بسببها، لكون الخطاب المذكور شرکه بينهما، و ربما وقعت أمور آخر دنيويّه حقت بينهما.

فتوقّف أمرها بسبب ذلك إلى عشرين من شهر رمضان، فرفع ذلك إلى ولى الأمر أدام الله علامه، و أيدّ صولته القاهره و أعلاه، فاقتضى نظره العالى عدم الميل

ص: ٣٧٢

١-١) فى «ن»: علوم.

٢-٢) و هى سنه (١١٥٦).

العالي إلى أحد الجانبين، تميزاً له؛ لكونهما من جمله من شملته عنايته، وتوالت عليه شفقتة و رعايته.

و لم تزل هذه سيرته و طريقته بين رعاياه من أبناء الزمان، و خصوصاً الأعيان، كما شاهدناه بالعيان، أطال الله تعالى بقاءه، و أيد دولته و أسعد نموّه و ارتقاه، و أظّد صولته، فرفعهما كلاهما عن هذا المرام، و عوّضهما بما غمرهما من الفضل و الإنعام.

و أمر شيخ الخطباء و الأئمّه، و أوحد صلحاء هذه الامّه، ذى الأخلاق الرضيّه، و المزايا المرضيّه، عين الأعيان، و غرّه جبهه الأمثال و الأقران، الخطيب المجيد، المحيي لآثار الاستاذ عبد الحميد، الشيخ إبراهيم ابن الفاضل العلامه الشيخ أحمد (١) شمس، لا زال بدر سعادته كامل الاشراق، و شمس إفادته محموده (٢) الرواق، بأن يتولّى الخطبه بنفسه، بعد تحريرها بسواد نفسه، فتلقّى الأمر العالي بالامتثال، و شكى ضيق الوقت عن إنشاء الخطبه و حفظها غيباً مع مباشره الأحوال، و فى الحقيقه أنّه أمر عظيم، و مهمّ جسيم.

فعند ذلك ابتدر عين الأعيان، و قرّه عين أبناء الزمان، معهد الكمالات الجليّه، و معقد خناصر أرباب الهمم العليّه، سلاله العلماء الأعلام، و نخبه أفخر بيت الله الحرام.

و لعمري أنّه البيت الذى جمع من المظاهر و المفاخر، ما لم يحوه الأوّل و لا- الآخر، و اجتمعت فيه من المناصب الشريفه على الحقيقه، فوق الثمانيه عشر كما شهد به شيخ الطريقيه، و ذلك كالقضاء و الافتاء و مشيخه الحرم الشريف، و غير ذلك

ص: ٣٧٣

١- ١) فى «ن»: محمّد.

٢- ٢) فى «ن»: محلوده.

من كلّ منصب عال منيف، و رئاسه شامله عامّه، يشهد بها الخاصّه و العامّه.

و هو المقام الأسعد الأنفع، الأصعد الأرفع، مولانا الشيخ عمر ابن مفتى مكّه المشرفه و قاضيها و عقده عقد أوامرها و نواهيها، مولانا الشيخ عبد القادر ابن من تقلّد مشيخه الحرم، و قلّم الأعتاق بعقود الجود و الكرم، و جمع أكثر المناصب العليه، بهمّته الساميه، و آرائه الجليّه، مولانا الأفندي أبي بكر.

و قال لحضره مولانا الخطيب بصدر رحيب الفقير: يقوم بجميع المهمّيات و المصارف، و المحلّات (١) اللائقه بكم و بأهل الرئاسات و المعارف، و ما يلحق ذلك من الحلوى و الطيب و الملابس المعتاده، و إعطاء كلّ ذى قانون حقّه و زياده، و أنتم اشتغلوا بإنشاء الخطبه و حفظها، و إفراغ معانيها فى قوالب لفظها، و كلّ ما لخطيب العيد من القواعد المرتبه الوافيه، هى لحضرتكم العليه زاد عافيه.

ثمّ شمّر ذيل همّه، و وجّه نجائب أفكاره العليه فى تسهيل كلّ مهمّه، و ذلق فم الكيس، و جمع كلّ ما يحتاج إليه من قناطر الحلوى و أحسن الطيب و أفخر الملابس، و هتياً أيوانه الشريف، بأنواع الفرش الفاخر المنيف، و المساند المقصّيه، و الأوانى المذهبه، و نثر الشموع المزيّنه فى أيوانه العالى، و المصابيح التى هى فى الطرق كالنجوم العوالى، حتّى صار الليل نهاراً، و السّرّ جهازاً.

ثمّ أجلس الخطيب فى محله، بعد أن بلغ هدى كلّ شىء إلى محله، و تهياً هو و صنوه الأجلّ الأفضّل، الأعلّم الأكمل (٢)، شيخ الإسلام، و مرجع الخاصّ و العامّ، فى بلد الله الحرام، صدر الأفاضل، و بقيه كلّ عالم و فاضل، مولانا الشيخ على

ص: ٣٧٤

١- ١) فى «ن»: و المحلّات.

٢- ٢) فى «ن»: الأعلّم.

مفتى مكه المشرفه حالاً، زاده الله تعالى علما و إجلالاً، لتلقى الوافدين من الأعيان الأجله، و الوجوه التي هي أبهى من الأهلّه.

فأقبلت الخلق أفواجا بعد أفواجا متباركه حضره الخطيب، و هو فى تمام السرور و الابتهاج، فانتظمت الأنديه، و أفيضت الملايس، و المجالس غاصه بكلّ عظيم رئيس، و هو أدام اللّه إقباله، و أيدّ سعده و إجلاله، يستقبل الناس و يشايعهم، و يلاطفهم و يمازجهم، بوجه منطلق، و لسان ذلق، و يأمر بإعطاء أهل العوائد، و ذوى القوانين و القواعد، و لم يزل كذلك إلى أن عطس أنف الصباح، و داره أيده الله تعالى مزهره بالأفراح.

ثمّ خرج الخطيب من داره المذكوره، متوجّها إلى المسجد الحرام، محفوفا بأعظم العلماء الأعلام، و بأعيان مكه المشرفه الرافلين فى حلال المظاهر المفوّفه، و بعد أداء الصلاه و الخطبه رجعوا إلى داره الساميه، صحبه حضره الخطيب، و قد استعدّ لهم جميعا بالأسمطه الفاخره، و أنواع من الطيب، فأكلوا و شربوا، و تطيبوا و ذهبوا، ثمّ إنّه أمر بعد ذلك بتقسيم الحلوى مرّه ثانيه، و إرسالها إلى بيوت الأعيان العظام، على رؤوس الخدّام، و هذا أمر لم يسبق إليه أيضا، فامتلاّت قلوب أعاديه حسدا و غيظا.

و بالجمله إنّ الذى صدر من هذا الرجل - و فقه الله تعالى و أدامه - من أعظم مخائل الهمم العليّه، و المروءه الكامله، و الرئاسه العامه، و لم يسبقه أحد فى مثل ذلك إلا جدّه أبو بكر حين قام بمثله لبعض خطباء مكه المشرفه، لكنّه استعدّ قبل ذلك بكم شهر، و سبطه هذا فى عشره أيّام، قام بهذا الأمر على أكمل نظام، فجزاه الله تعالى على همّته هذه و مروءته خير الجزاء، و جعل نصيبه من سعادته الدارين أوفر الأجزاء.

و مَمَّن أشار إلى ذلك بل شرح، و مدح هذا البيت الجليل، و لأكباد أعاديه جرح، أفضل شعراء تلك الليلة، و أعظم من شَمَّر (١) في تهذيب شعره البليغ ذيله، فقال مخاطبا حضره الخطيب، و مشيرا إلى ما ذكرناه:

نهنيك بالعيد الذي أنت عيد و تجديد عزّ ليس يبلى جديده

و زفّت لك الأفراح في موكب الهنا لديوان مجد يستضيء مجيده

فإنّك عقد (٢) العيد عقد نظامه فتجلّى بكم مهما خطبتم عقوده

فسد و ارق في أعلى رواق مشيد بمنبر مجد رافعا ما تشيده

و شتّف بما تروى المسامع صادعا بوعظك و المسموع منك سديده

و قل لأنفلاك الدهر و اصعد معارجا فمثلك يزهو في المعالي صعوده

إلى أن قال مخاطبا حضره المخدوم، و مصرّحا بما صدر من جدّه المرحوم:

قدم يا عظيم الشأن في افق العلا سراجا منيرا قد تربّت (٣) سعوده

و سد ثم شد بيت الفخار وصل وصل فأنت عماد المرتجى و عميده

و أحى بهذا الحيّ حيين سنّه لمجدك جدّت في الكرام جدوده

و دارك أمست للدرارى مطالعا كما أنّ عقد الفخر عليك جیده

فإنّ على القدر من كان عارفا و جيهها نبيها قومه تستفيده

ورثتم من الصديق مجدا مؤثلا فأكرم بمن قد ورثته جدوده

و مفتى بلاد الله منكم و قد هدى بفتواه في تحرير حكم يفیده

ص: ٣٧٦

١-١) في «ن»: شهر.

٢-٢) في «د»: عيد.

٣-٣) في «ن»: تبدّت.

و لا ريب أن الفرع طابق أصله و أثمر من كل العلوم حميده

فما منكم إلا ذكى مهذب جميل جليل القدر قلّ نديده

و من حبكم نال المطالب و المنى و وافاه من سعد الزمان سعوده

و كم فاضل عند الأفاضل تقتفى ماثره فى كل ما يستجيده

اولئك أسباب المعالى فمن يرد بهم كل خير جاءه ما يريده

فيا ربّ يا الله وجه و جوهنا إليك بفضل ليس يحصى عديده

و صلّ على طه الشفيح و آله و أصحابه ما عاد للفطر عيده

فصل: فى حوادث سنه سبع و خمسين و مائه و ألف

وصول رسول من طرف نادر شاه إلى شريف مكّه:

و فى هذه السنه: وصل رسول من طرف نادر شاه إلى شريف مكّه المعظمه، مولانا الشريف مسعود صاحب الترجمه، أدام الله إقباله، و أيد سعده و إجلاله، بأرقام تتضمن ذكر ما وقع عليه الاتفاق، فى تلك الآفاق، بينه و بين وكيل الدوله العثمانيه، أحمد باشا صاحب بغداد، بعد أن وصل إلى أطراف عراق العرب بنفسه، و أخذ بلدانا عديده، منها كركوك و قلعه أربل و المشهد الشريف العلوى (1) و البصره، و تصرّف فى جميع قرى بغداد، إلا بغداد نفسها لسبب أنها مصوره، و بينه و بين متوليها صداقه و محبه، ثم توجه إلى الموصل و حاصرها أياما.

ثم استدرك بالمخاطبه معه فى أمر الصلح، بعد تفويض أمر الدوله العثمانيه أمر الصلح إلى أحمد باشا المذكور، فرجع إلى المشهد الشريف العلوى فزارها، ثم زار

ص: ٣٧٧

(١-١) و هو النجف الأشرف، حيث حلّ فيها مرقد الإمام على بن أبى طالب عليه السلام.

مآثر تلك البقعه المباركه جميعا، و أوصل أهلها إحسانا جزلا، ثم عقد أمر الصلح بحضور جميع تلك الأقطار، من أهل السنه و الجماعه و الإماميه الجعفريه، و أوقع بينهما سخبا (١) طويلا استمرّ ثلاثه أيام.

ثم استقرّ الحال بينهم على أحقيه مذهب الجعفريه، و أنّ الإمام جعفر الصادق عليه السلام لا طريق لإنكار فضله و علمه، إنّما لما لم يثبت عندنا (٢) صحّحه الروايه عنه (٣)، عملنا بأقوال عديده من الأئمّه الأربعة؛ لاعتناء سلفنا بتصحيح الروايات عنهم، و ضبطها في كتب معلومه مشهوره، محققه بالتواتر المفيد للقطع.

فإن ثبت عندكم الروايه عنه بمثل ثبوتها عن الأئمّه الأربعة، لا- حرج عليكم إذا أردتم التقليد له هو أهل لذلك، بعد موافقه الجعفريه أيضا لأهل السنه و الجماعه في أحقيه اصولهم، و ذكر الخلفاء الراشدين في الخطب في جميع المساجد الكائنه في الممالك النادرية و العثمانيه، ثم الدعاء للسلطانين مع تقديم العثماني.

ترجمه السيّد نصر الله الحائري و ما جرى عليه:

ثم أقام جمعه في المسجد الشريف الغروي، و كان خطيبها السيّد الجليل الفاضل العلامه السيّد نصر الله (٤) بن الحسين الجعفري الإمامي، الواصل إلى

ص: ٣٧٨

١- (١) أي: معارضه.

٢- (٢) أي: عند العامه و الجماعه، و ذلك لإعراضهم عن أهل البيت عليهم السلام بالكليه.

٣- (٣) بل ثبت صحّحه الروايه عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام بالنصوص المستفيضه من الفريقين، لا مجال لذكرها في هذه العجاله.

٤- (٤) هو السيّد أبو الفتح نصر الله عزّ الدين بن الحسين بن علي الحائري الموسوي

شريف مكه رسولاً فخطب و ذكر الخلفاء الأربعة، و دعا للسلطانين، ثم للمسلمين، ثم صلى بالناس الصلاه المعلومه (1)، إلا أنه قنت في صلاه الجمعه، و قدم القنوت على الركوع، ثم بعد فراغه من الصلاه أرسل إليهم حضره نادر شاه شيئاً كثيراً من الحلوى في المسجد المذكور، و أوصل أكثر العلماء مبالغ من المال على طريق الصلاه، و تفرقت الخلق على ذلك.

فكتب أرقاماً إلى شريف مكه المشرفه، و شيخ حرم المدينه المنوره، مع صورته الوثيقه التي وقع عليها الصلح بخطوط علماء الفريقين إعلماً لهما بذلك، و تنفيذاً لما وقع عليه الصلح من إظهار المذهب الجعفري، و صلاه إمام من طرفهم خامس الأئمه الأربعة، بمقتضى مذهبه في المسجدين المكي و المدني، بدون اعتراض من أحد على الآخر، فوصل هذا الرسول إلى شريف مكه المعظمه، و نزل عليه، فأكرمه و قبض منه الأرقام المذكوره.

ثم كتب إلى الدوله العثمانيه يخبرهم بذلك؛ لأنه عامل من طرفهم، فلا بد من رفع الأمر إليهم، و أرسل الأرقام الواصله منه إليهم، فاستمر الرسول المذكور إلى آخر السنه المذكوره عند شريف مكه المشرفه ينتظر الجواب.

ص: ٣٩١

(١ - ١) في «ن»: العامه.

و فى آخر السنه المذكوره:وصل الطلب من حضره الدوله العثمانيه للرسول المذكور و بجمع ما جاء به،صحبه أمير الحاج الشامى أسعد باشا بن العظم،فسلّمه مولانا الشريف-دام علاه-إليه،واعتمد فى إكرامه إلى أن يصل إلى الدوله العليه عليه،فتوجه صحبته إلى تلك الجهات،والله تعالى أعلم بما هو آت.

إلا أنه حصل بوصول هذا الرسول إرجاف و اضطراب،أو شك أن تقع فتنه مآلها إلى الخراب،مع وقوع بعض المفاسد الدنيويه بين حضره مولانا الشريف و بين صاحب بندر جدّه أبى بكر باشا.

فوصل فى أثناء السنه المذكوره لحضره الوزير المذكور،مراسيم من جهه الدوله العثمانيه،و معها كتاب من ابن اخته أحمد باشا المقيم بالعساكر العثمانيه فى أزروم،و هى آخر حدود الروم،خشيه من غدر نادر شاه إذا علم بأن الدوله العثمانيه ربما تتوقف فيما رتبّه من أمر الصلح و وشاه،فأخبر أحمد باشا المذكور بأن الصلح قد انتقض،و ثارت الحرب بيننا و بينه،ثم رجع القهقرى و هو مكسور، فأظهر الفرّح و السرور فى جميع الأقطار و الممالك،ففعل هو فى بندر جدّه ما ينبغى أن يفعل من إظهار الفرّح،فبشّر (١)لذلك وجه كلّ مسلم و انشرح.

و حضره مولانا الشريف ذو القدر العالى المنيف توقف عن ذلك؛لعدم وصول أجوبته المتعلّقه بهذا الأمر،ثم وافق على إظهار الفرّح و السرور،خشيه أن ينسب إليه هذا الشقى شيئا من الامور.

و فى أثناء ذلك طلب رسول نادر شاه من حضره الشريف ليعامله بالقتل،بعد تحقّق اضمحلال ذلك الخارجى العنيف،فتوقف عن تسليمه،و بالغ فى تخطّاته فى

ص:٣٩٢

هذا الطلب و تلويمة، فأجابته بأنه يمنعنا من ذلك أمران، و هما فى الحقيقه مران:

أحدهما: أننا ننتظر ما يصل من حضره ولى الأمر فى شأن هذه القضيه التى قد شاعت بين زيد و عمرو، فلا بد من التربص فى أمره، إلى إتيان ما يقتضيه رأيهم العالى السديد، بعد التحقيق و التسديد.

و ثانيهما: أنه ضيفنا النازل علينا، فقد ضمّنته الحقوق العرفيه إلينا، فزاد الشقى فى نسبه ما لا يليق إليه من ميله إلى نادر شاه، و إلى مذهبه الذى هو معتمد عليه، و هو الرفض المشهور، الدائره على الألسنه إلى يوم البعث و النشور، فاحتاج مولانا الشريف إلى إحداث أمرين بالمسجد الحرام، حتى يشيع ذكرهما بين الخاصّ و العامّ:

أحدهما: أمر خطيب الجمعة بالمبالغه فى لعن الرافضه أكثر من المعتاد، و دفعا لمادّه الفتنة و الفساد.

و ثانيهما: الأمر بشىء لم يعهد مثله فى قديم الأعوام، و لا أظنه صار من حين عماره المسجد الحرام، و هو اللعن تلو كلّ صلاه تقام فى مقام الإمام الأعظم على رؤوس الأشهاد، حتى اشتهر ذلك عند جميع الحجاج الواردين من كلّ بلاد.

كلّ ذلك لأجل دفع ما نسبه إليه هذا الوزير السيىء التدبير، فاستمرت هذه الحادته على حالها، و الله أعلم بمن يكون عليه فى الآخره قبح و بالها، فاستمرّ هذا الرسول عند حضره الشريف إلى موسم الحجّ، فوصل طلبه من الدوله العثمانيه، فوجهه حضره الشريف السامى صحبه أمير الحاجّ الشامى، فوصل إلى اسلامبول، و هو محمول مزمول، و استمرّ عندهم، و سيأتى بقيه أخباره فى سنه (١١٥٨).

وفاه السيد على المهدي:

اشاره

ففى أوائلها: توفى السيد الجليل، الصالح الأصيل، السيد على بن... (1) المهدي رحمه الله تعالى. و كان هذا السيد ذا صلاح و ديانه، و عزّه عن الامور الدنيويّه و رصانه، و قد برع فى السنّ إلى أن بلغ الثمانين، و هو فى غايه القوّه و التمكين.

و أعقب أولادا صالحين، و نجباء مفلحين.

خروج الوزير أبى بكر باشا إلى المدينه:

و فى شهر ذى الحجه من هذه السنه: كان توجه حضره الوزير الأعظم، و المشير الأفخم، عين الأعيان، و مفخر وزراء آل عثمان أبى بكر باشا، بلغه الله تعالى من السعاده ما شاء، إلى المدينه المنوره، لقصده إصلاحها ممّا وقع فيها من الفساد الذى عظم بسبب الفتنة الواقعه بين شيخ الحرم و أهل القلعه من العساكر و الأنجاد.

و قد تقدّم تفصيل ذلك فى حوادث سنه ستّ و خمسين و سبع و خمسين، بنهايه التوضيح و التبيين، و مشى صحبه الحاج الشامى مع أميره المكرّم، و الوزير المفخّم، أسعد باشا بن العظم، فوصل المدينه بالإعزاز و الإيـكرام، و تلقّاه عساكرها بنهايه الإجلال و الاحترام.

ثمّ إنّه لمّا كان اليوم الثانى جمع جميع أعيان المدينه المنوره من: العلماء، و القضاة، و شيخ الحرم، و آغوات العساكر، و بعض الغرباء، بحضور الوزير المكرّم أسعد باشا، و سأل عن أحوال المدينه بعد قراءه ما وصل من حضره السلطان من

ص: ٣٩٤

الأرقام فى إصلاح المدینه، و لو بالقتل أو الحبس أو النفى إلى بعض الأقطار.

فأجاب الحاضرون جميعاً: بأنها الآن قد استقرت بحمد الله تعالى بعد قتل هؤلاء الأشرار؛ لأنه قتل بعض أشخاص كانوا سبب الفتنة، و عزل شيخ الحرم الأول، و الآن المدینه فى غاية الاطمئنان، و لم يكن فيها أحد يستحق النفى و الحبس بقطع النظر عن القتل.

فسأل الغرباء المجاورين، فأجابوا بأن لنا مدّه فى المدینه، و ما رأيناها آمنه مطمئنه مثل هذه السنه، فحمد الله تعالى على ذلك، و ألبس أهل المناصب ما ينبغى من القواعد و القوانين.

ثم كتب محضراً كتب عليه جميع الحاضرين شهاداتهم بما صار فى المجلس المذكور، و أرسله إلى الدوله العثمانيه صحبه الحاج الشامى، و بقى هو بالمدینه ينتظر الجواب الذى سيعود عليه من شريف تلك الأبواب.

غزوه قبيله عضل:

و فى أوائل صفر الخير: كانت غزوه مولانا الشريف مسعود صاحب الترجمة على قبيله عضل، و هم بنو عضل - بالعين المهمله و الضاد المعجمه المفتوحه و لام - بطن من بطون الهون من مضر، ذكرهم صاحب نهايه الإرب فى أنساب العرب (1)، و هم الآن من قبائل اليمن، و منازلهم الهضب و ما فوقه.

فقصدهم إلى محالهم هو بنفسه، و أغلب الساده الأشراف آل أبى نمى بن بركات، و صحبتهم العساكر و بعض الأعراب، صبّحهم على لحيين، موضع فوق الليث بكسر اللام و ثاء مثلثه فى آخره بعد ياء مثناه من تحت.

ص: ٣٩٥

مشى من مكّه المشرفه ليله الأربعاء، و صَبَّحهم يوم الأحد، مع أنه دام بقاءه لم يأخذ الطريق المعروف المألوف، بل قصد طريقه اخرى، مورياً بأنه قاصد قبيله حرب، ثم عرج عليهم.

و هذه الغزوه كانت من أعظم الأدله على همته العليه، و آرائه الساميه الجليه، فإنه سلك فيها مسالك و كفيئات، تشبه مسالك جدّه فى غزواته، فى أكثر حركاته و سكناته.

و بنو عضل هؤلاء قد حدث منهم فى سبيل المسلمين حوادث جمّه، أو جبت نزول هذه الملمّه، و لعمري إنّها فتكت البراض (١)، و الغاره التى عظم بها غيرهم عن النهب فى السبل و الاعتراض، فانحسمت المادّه، و سلكت الجادّه، أمده الله تعالى بتأييده، و وفقه لخدمه جيران بيت الله و عبيده.

وفاه السيد محمّد بن يحيى بن هاشم الحطّاب:

و فى سابع صفر الخير من السنه المذكوره: توفّى السيد محمّد بن السيد يحيى ابن السيد هاشم الحطّاب، رحمه الله تعالى، و حشره فى زمره أجداده الأقطاب.

و كان هذا السيد ذا خلق حسن، و مداومه شديده على إقامه الفروض و السنن، و علوم غزيره، و آداب كثيره، حتّى برع فى زمانه، على معاصريه من أقرانه، مع صغر سنّه، و حدائه عهده بالشباب، فهو الذهب الابريز المصفّى و إن دعى بالحطّاب.

و قد أرّخ وفاته بعض العصريين، فقال و أجاد فى المقال:

دعى السيد الحطّاب للفوز بالرضا و أسكنه الفردوس مولاه منشينا

ص: ٣٩٦

(١ - ١) البراض جمع البرض: القليل، يقال هذا برض من عدّ، أى: هذا قليل من كثير.

فقلت بمبدأ الأمن بشرأه أرخوا على سیدی الحطاب رحمه بارینا

و قد أعقب ابنا واحدا و بنات، و فقههم الله تعالى جمیعا للصالحات الباقیات.

وفاه السید سند بن أحمد بن زین العابدین الحسنی:

و فی شهر صفر أيضا: توفی السید الشریف، و السند العالی المنیف، مولانا السید سند ابن المرحوم المقدس السید أحمد بن زین العابدین بن عبد الله بن الحسن بن أبی نمى الحسنی، تعمده الله برضوانه، و أسكنه فسیح جناه. و كان ذا رئاسه غصه، و أخلاق بضعه.

غزوه قبيله البقوم:

و فی آخر شهر رمضان من السنه المذكوره: صارت غزوه البقوم، و هی قبيله طاغیه عظیمه كثير الخیل و السلاح، و منازلهم یمنى حزن، و یتصلون إلى أطراف الشرق، و ضبط لفظها «البقم» بضمه و بضمّتين، كما فی القاموس (1)، و هم بطن من العرب.

و قد صدر منهم بعض عصیان، أو جب أن جهّز علیهم صاحب الترجمه دام علاه، سرّیه عظیمه كثيره الخیل و الرجال، مشحونه من القواضب و العسال، و أمر علیهم أخاه الشریف مساعد بن الشریف سعید، و هو ولی عهدہ المؤید السدید، فغزاهم فی سفح حزن، و أنزل علیهم البلاء و المحن، فقتل و نهب و ربط، و صعد إلى أوج المعالی بها و ما هبط، فصارت البادیه لا تأمن فی أوطانها، و لا تؤانس دورها و حیطانها، ممّا حلّ بهم من الخوف و الرعب إلى دیار قبيله زعب.

ص: ۳۹۷

ظفر الدوله العثمانيه على نادر شاه:

و في هذه السنه: وصلت الأخبار السئيه من الدوله العثمانيه بظفرهم بنادر شاه و عساكره في أطراف بلده فارس، و سارت عساكرهم خلفه إلى أربعة منازل، و نهبوا جميع معسكره، و استمرّ هذا الحال أربعة أو خمسة أيام.

شهاده العلامه السيد نصر الله الحائري:

و فيها: شاعت الأخبار، و توجهت البشائر إلى الأقطار، و أقدمت الدوله على قتل رسوله الذي تقدّم ذكر وصوله، و هو السيد الجليل الأصيل، الأديب النبيل، السيد نصر الله (١) بن الحسين الحسيني العراقي، أحد رؤساء العراق، و واحد ذوى البيوت و الأعراق، فاخرج من الحبس و قتل ضربا بالسيف نهارا، برحبه باب السرايا باسلامبول، تاسع شهر رجب المرجّب من السنه المذكوره.

ظفر السلطان نادر شاه على العساكر العثمانيه:

ثمّ بعد عشره أيام من ذلك الخبر وصل ضدّ ذلك، فنسأل الله تعالى اللطف في جميع المسالك.

و هو أنّ نادر شاه رجع عليهم رجوعا عنيفا، مبيدا مهلكا مذهبا، إلى أن وصل إلى قلعه فارس، و غنم الأموال، و مات فيها أحد الوزراء العظام، و رأس العساكر الروميّه بلا كلام، محمّد باشا اليقن المتولّي سابقا للختام.

ثمّ رجع إلى حدوده (٢) بعد القتل و النهب و الأسر، و استقرّ بموضع من بلدانه، و وجه رسولا إلى الدوله العثمانيه بأرقام، تتضمّن التهكّم بسلطان الإسلام، و أنّه إلى

ص: ٣٩٨

١- ١) تقدّم منّا آنفا تفصيل ترجمته، فراجع.

٢- ٢) في «ن»: حمدون.

متى و أنت ملازم الدار، لم تخرج لملاقاه الحروب و الأسفار، و تجمع رعايا الإسلام، و تجعلهم طعاما للسيوف، و هدفا للمدافع، و غرضا للسهام، فكلّ منّا طالب سلطان، و باحث عن برهان، فالأولى أن تخرج بنفسك مثلثا (١)، أو تترك السلطنه مسلما، فذهب الرسول، و لم يأت إليه خبر السيد المقتول. و سيأتي بقيه هذا الحديث.

فصل: فى حوادث سنه تسع و خمسين و مائه و ألف

المصالحه بين السلطان نادر شاه و العثمانيه:

ففى هذه السنه لم يقع بين نادر شاه و الدوله العثمانيه شىء من الحروب، بل ذهب إلى إصلاح بلدانه، و تهذيب رعيته بأرض ايران، و وصل رسوله (٢) الذى ووجهه إلى السلطان العثماني، و صحبته رسول من طرفهم، فجاءه خبرهما و هو فى بعض أقطار خراسان، فأمر ببقائهما فى بلده مازندران إلى أن يرجع فيطلبهما حيث يستقرّ.

و فى أثناء هذه المده يكاتبه عامل بغداد من طرف الدوله العثمانيه أحمد باشا ابن حسن باشا، إذ هو من أعقل عمّالهم، و أحسنهم رأيا و تدبيراً.

فلما رأى أنّ هذا الأمر لا يكون له مقرّ (٣)، خيّر بينهما إدخال نفسه فى عرض

ص: ٣٩٩

١- ١) فى «ن»: مليما.

٢- ٢) و هو غير العلامه الشهيد السيد نصر الله الحائرى، بل أرسل رسولا آخر، كما لا يخفى.

٣- ٣) فى «ن»: مفرّ.

الصلح عليهما، فقبل كلّ منهما ذلك، فأرسل من طرفه أكبر خدامه صاحب سرّه إلى دولته ليختلي بهم، ويشرح لهم حقيقه حال هذا الرجل، وكثره أحواله وعساكره، وأنّ الأموال تجبى إليه من جميع الأقطار، وليس له ما يشغله عنكم، وقضيّه فارس في العام الماضي أذهب أغلب العساكر بعد جمعها مدّه مديده، فالأولى موافقته، فأرسلت الدوله العثمانيّه إليه بالتعويل في كلّ الامور عليه.

فعرض على نادر شاه في بيان ما أراده و شاء، فوصل إلى بلده طهران، و طلب ما جاء به الرسولان، فتأمل ما صدر منهم إليه، مع مخاطبات عامل بغداد، فكان جوابه للدوله أنّه على نوروز السنه المذكوره يصل من تعتمدون عليه من رؤساء دولتكم من أهل السيف والرأى، و من أهل العلم والقلم إلى بلده كذا، و أنا أصل و نكتب ما نريده، و يكون عليه الصلح إن شاء الله تعالى.

فجاء الخبر بأنّ أحمد باشا الكبرلى توجه بهديّه جميله، و جمله من الخيل والآلات، و صحبته بعض أهل العلم إلى الموضع الذى أشار إليه حضره نادر شاه، و الله أعلم ما يصير، و سيأتى بقيّه هذا الحديث في السنه الآتيه إن شاء الله تعالى.

فتنه الأفرنج في أطراف بنقاله و بنادرها:

و في هذه السنه: وصلت الأخبار بوقوع الفتنه العظيمه بين الأفرنج في أطراف بنقاله (١) و بنادرها، و ذلك بين الفرنسيين و الإنقریز (٢).

حقيقه الحال: أنّ الإنقریز قعدوا على الفرنسيين، و تعاضموا عليهم، حتّى أذلوهم، فكاتبوا أهل ولايتهم و سلطان ملّتهم، فخرجت من ولايه الفرنسيين

ص: ٤٠٠

١-١) من المدن المعروفه في الهند.

٢-٢) و هو الإنكرتره، أى: بين الفرنسه و البريطانيه.

أربعون مركبا قد شحنوها بالرجال و آلات الحروب (1)، و أقبلوا عليهم فى بحر بنقاله، و صالوا عليهم بزا و بحرا، و دخلوا بنادرهم المعروفه بهم المستوطنين بها، و لهم بها قلاع و أموال و رجال، فنهبوها و أخربوها و استأصلوهم عن آخرهم إلا من هرب إلى الدكن.

و من جمله ما دخلوه و أخربوه و نهبوه من البنادر المعموره بندر مدراس، و ما أدراك ما مدراس، وجدوا فيه من الدراهم المسكوكة ثمانيه و أربعين كرا من الربيات المسكوكة بسكه الهند، كل كرا عن مائه لك، و كل لك مائه ألف ربي، غير الجواهر العظيمة التى لم توجد فى غيرها، و الأقمشه المستعدّه للتجاره.

و هذا الذى وجد فى قلعه الإنقریز مع ما نهبوه من البلاد من الأموال و الجواهر، و حازوا ذلك جميعا فى محالهم و قلاعهم التى فى تلك الجهات، و الله أعلم بما يحدث بعد ذلك من الإنقریز؛ لأنهم أرسلوا إلى ولايتهم أيضا و سلطان ملتهم، فإن بلغنا شىء بعد ذلك أثبتناه فى حوادث سنته، و الله أعلم.

وفاه السيد عبد الله بن جعفر بامدھر:

و فى حادى عشرين شهر ذى الحجّه من السنه المذكوره: توفى إلى رحمه الله تعالى، السيد الجليل، و السند العالى الأصيل، الأديب المجيد، و الفاضل المجيد، العارف بالله، صاحبنا السيد عبد الله بن السيد جعفر بامدھر رحمه الله تعالى.

فلقد كان هذا السيد الشريف العلوى، و احد الساده آل باعلوى، و أوحدهم فى العلوم الأدبيه، و الأخلاق النبويه، و النفس الشريفه الأبيه، قطن بأم القرى، و اسع الجاه عظيم الذرا، مع كونه ملازم الدار، ليس له تردّد على أحد من ذوى القدره

ص: ٤٠١

و الاعتبار، و لا- اتصل بأحد من الملوك، بل هو مقتصر على العباده، و الحث على حسن السلوك، إلى أن توفي إلى رحمه الله تعالى، و شمل بفيض فضله الذي لم يزل يتوالى، و دفن بالمعلاه بجانب قبر والدته. و خلف أولادا صغاراً لم يبلغوا حدّ الاشتهار. و قد أرخ وفاته غير واحد من الشعراء.

السيل و الريح العاصف بمكّه:

و فى ليله ثانى عشر ذى الحجه الحرام ختام السنه المذكوره: حصل مطر بمنى على الحجاج (١) و أهالى مكّه الحاجين فى تلك السنه، مع ريح مزعجه كادت تأخذ الجبال، و حصل منها سيل عظيم، و ذهب بجانب من الخلق، و لم يبق خيمه و لا- صيوان للخلق، أو لامراء الحجوج، أو لشريف مكّه، إلا سقط و أظلت الدنيا حتى لم تكدر ترى من عندك، و كان ذلك فى آخر الليل.

ثم عقبها برد شديد و سيل، ثم أسفر الصباح بعد العويل و الصياح، و ذهبت على الناس أموال كثيره، فأصبحوا نافرين إلى مكّه المشرفه، و هم فى نهايه التعب و المشقه، يمرّون بأشخاص ذكور و اناث و أطفال قد طمّهم السيل، و بعض الأموال، نسال الله تعالى الحمايه.

و بسبب ذلك أمر أمير الحاج الشامى أسعد باشا و كيله بمكّه المشرفه ببناء دكاك عاليه فى منزله المعتاد بمنى مقابلاً لمسجد الخيف، فبنيت هناك عدّه دكاك.

ص: ٤٠٢

وفاه الشيخ سالم بن عبد الله البصرى المكى:

ففى ثانى محرم الحرام افتتاح السنه المذكوره: توفى رئيس الحرمين الشريفين على الاطلاق، و ثانى القاضى حسين بالاتفاق، بل المتأبط له فى علو الهمة و عظم الأفعال، و المقامد لأعناق رؤساء زمنه قلائد المنن فى جميع الأحوال، علم الافضال المشار إليه، و معلّم الكرم المجمع بالثناء الحسن عليه، مولانا الشيخ سالم ابن أفضل أهل زمانه، و رئيس العلماء الإمام من معاصريه و أقرانه، شيخ الحديث بالحرمين الشريفين، و المواطنين المنفين، الشيخ عبد الله البصرى المكى، شارح البخارى، و قد تقدم ذكرهما عند تاريخ وفاه والده الشيخ المذكور فى سنة (١١٣٤).

و قد ذكرنا هناك خلفه هذا، و ذكرنا جملة وافية من أفعاله، و علو همته، و رئاسته التامة الكاملة فى جميع أحواله، إلا أنه ابتلى قبل وفاته بأعوام بمرض الفالج المعطل له عن الحركة بالأقدام، فلأزم داره مده مديده، ثم صنع من المراكيب أشياء عديده، يتحرك عليها بعض الأوقات، إلى حيث شاء من الجهات.

و لم يزل رافلا فى رئاسته، مجريا لقواعده و عوائده لقاصديه، و المتقدمين فى خدماته (١)، مهلكا لكنوز الأموال و معادن الجواهر فى حفظ المروءه و اصطناع المعروف، فهو ابن عباد زمنه الوضى، و الحقيق بما رثاه به الشريف الرضى، حيث

ص: ٤٠٣

نظم (١) جواهر الكلم فى سلك الانصاف، و أتى بها متناسقه متضمّنه لما لهذا الأخير من الأوصاف، و لعمري أنّهما شمساً أفاق
هذه المفاخره، و لصاحبنا أن يقول كم ترك الأول للآخر:

يا طالب المعروف خلق نجمه حطّ الحمول و عطّل الأحمالا

و أقم على ياس فقد ذهب الذى كان الأنام على يديه عيالا

طلبوا التراث فلم يروا من بعده إلاّ علا و فضائلا و جلالا

هيئات فاتهم تراث مخاطر (٢) حفظ الثناء و ضيغ الأموالا

قد كان أعرف بالزمان و صرفه من أن يجمع أو يثمر مالا

مفتاح كلّ ندى و ربّ معاشر كانوا على أموالهم أقبالا

كان الغريبه فى الزمان فأصبحوا من بعد غارب نجمه أمثالا

من فاعل من بعده كفعاله أو قائل من بعده ما قالا

يا طالبا من ذا الزمان شبيهه هيئات كلّفت الزمان محالا

إنّ الزمان أضرب بعد وفاته من أن يعيد لمثله أشكالا

فرحمه الله تعالى و رحم أمثاله، و خلد عاطر ثنائه و فعاله، و أعقب من الذكور أربعة: الشيخ حسن، و الشيخ عبد الرحمن، و الشيخ
أبا الفتح، و الشيخ عبد القادر، و فقهم الله تعالى لسلوك جادّته و طريقه، و إحياء رسوم رئاسته بهدايه الله سبحانه و توفيقه.

ص: ٤٠٤

١-١) فى «ن»: تعلّم.

٢-٢) فى «ن»: مخاطب.

و في هذه السنه:حصل اشتهاار في رؤيه هلال رمضان ليله الجمعه،و لم يثبت في تلك،مع أنّ غالب الظنّ ثبوته،فلأجل ذلك استعدّ أهل الدواوين المعتاد جلوسهم في تلك الليله لو ثبت الرؤيه،كشريف مكّه المعظمه و حاكمه و خطيب العيد،فلما لم يثبت لم يجلسوا في تلك الليله،و لا عملوا ما يترتب عليهم من إلباس الجماعه المعتاد لبسهم في تلك المحاضر،و مدّ الأسمطه النفيسه بعد الرجوع من الصلاه.

و كان خطيب العيد في السنه المذكوره،حضره المقام الجليل،و المرام العالى الأصيل،معهد الكمالات الجليليه،و معقد خناصر أرباب الهمم العليّه،سلاله أكابر (1)الكرام،و العلماء الأفاضل الأعلام،الجامع بين الطريف من المفاخر و التالذ،مولانا الشيخ حسن بن الشيخ على بن الشيخ خالد،وفقه الله تعالى و أولاه أظافا توالى، و هو من سلسله فاخره،و فتية فضائلهم باهره.

و لهم قدم راسخ في البلاد،حتى عدّ لهم بها أبا و أجدادا،لم يزالوا ينشرون بها الفضائل و العلوم،و يقلّدون أعناق الجهابذه بعقود المنطوق و المفهوم،و لهذا الشيخ إخوه أمجاد،لهم في تحصيل الفضائل كدّ و اجتهاد،وفقهم الله تعالى لتحصيله، و سلوك جادّته و سبيله.

فلما كان صبح يوم الجمعه المبارك ثبت الهلال بالطريق الشرعى،و القانون المحرّر المرعى،فتأهب الخطيب للصلاه،و انقطع بذلك ما للمعتادين من الصلاه، و انخرم نظامه و نظام أهل الدواوين المشهوره،المحرّره المزبوره.

ص: ٤٠٥

فحصلت المحاوره فى مجلس حضره مولانا الشريف بينه و بين بعض الأشخاص، من أهل المقام العالى المنيف، بتأسف حضره الخطيب على انخرام مجلسه المعتاد، و ذهاب رونق العيد، و ما يصير ليله المشهد المبارك من البيع و الشراء بين العباد، و ما يصير فيها أيضا من اللبس و القبض على بعض الأشخاص، من حضرتكم العليّه، و من حضره الخطيب، و من أكابر الخواصّ.

فصدر أمره العالى بالقضاء لما فات، و أن يعمل فى هذه الليله مثل ما كان يعمل البارحه لو حصل الاثبات، من بسط الأسواق، و جلوس أهل الدواوين، و إلباس ذوى العادات، و مدّ الأسمطه المعتاده، فى صبيحتها جريا على العاده.

فصار فى الليله الثانيه طبق ما أمر، و لم يكن شىء ممّا يعهد فعله من الجلوس و بسط الأسواق، و طلوع أهل الحارات على جباهم الأفعال و استقرار، و لم يفقد فى تلك الليله إلاّ التكبير و الخطبه و الصلاه فى صبيحتها للتوقيت المستفاد من الشرع المستنير.

و هذا الأمر لم يعهد وقوع مثله قطّ، و لم يتبّه لمثل هذا الأمر شريف من ملوك مكّه المشرفه إلاّ هذا الملك الموفق فقط، فعجبت من هذا الفعل الحسن، الذى لم يصدر مثله من أحد من ملوك مكّه المشرفه بنى الحسن، مع أنّه صار مثل ذلك كثير، فذهب نظام ليله المشهد و ما يترتب عليه من الخير الكبير، فجزاه الله تعالى على تتبّه هذا خير الجزاء، و جعل نصيبه من السعاده أوفر الاجزاء.

الفتنه العظيمه بمصر:

و فى شعبان من هذه السنه: حصلت فتنه عظيمه بمصر، أسفرت عن قتل أربعه سناجق فى الديوان الشريف السلطانى، منهم: خليل بيك أمير الحاج الشريف، و هرب أيضا أربعه معتبرين، منهم: إبراهيم بيك قطامش، و معهم جماعه كثيرون

من أهل المناصب المعتره، و توجّهوا إلى صعيد مصر، و استمروا هنالك، و الله أعلم بما يحدث بعد ذلك فى تلك الأقطار و الممالك.

قتل السلطان نادر شاه و كيفيته و الحوادث بعد ذلك:

و فى شهر شوال من هذه السنه: وصلت الأخبار المسرّه من جهه بغداد، التى أسرت البلاد و العباد، بقتل ذلك الخارجى المشهور، الذى قد تقدّم ذكره فى أثناء هذه السطور، و هو السلطان نادر شاه الملقّب ب«طهماس» من استاذة الذى صرفه فى مملكته بما أراه و شاء، ثمّ خانه و عزله، و إلى المشهد الرضوى نقله، و حبسه هناك، إلى أن لاقى ملك الأملاك.

و شرح مبدأ حاله، و تنقله من مرتبه الجمال إلى الوزاره إلى السلطنه إلى انتقاله.

قد تقدّم فى هذا التاريخ بيانه، و هذا ختامه الذى انطوى به عصره و أوانه، و ذلك بعد أن ملك مملكه ايران، و مملكه توران، و مملكه الهند، و أذلّ جميع الخلق بالقتل و النهب و الأسر و أنواع العذاب، و أزال آثار الدول السالفه بالذهاب و الخراب، و جمع من الأموال و الجواهر الغاليه الأثمان، ما لم يجمعه قارون و لا من قبله فى سالف الأزمان.

توجّه إلى قتال الدوله العثمانيه، فسيروا عليه عساكر محشده و جنودا مجيده، و عليها أمراء عظام، من وزرائهم الكرام، فأهلكهم و أبادهم المرّه بعد (١) المرّه، و هو يعاملهم بالكزّه بعد الكزّه، حتّى أذهب عليهم من الأموال و الرجال، عدد الجبال و الرمال.

ثمّ مالوا إلى الصلح معه بواسطه أعظم وزرائهم المكرمين، و أفخر امرائهم

ص: ٤٠٧

المعظمين، أحمد باشا صاحب بغداد، بعد صرف نهايه الجدّ و الاجتهاد، و خراب أكثر البلدان، بسبب مرور الجيوش بها من العساكر و الفرسان، فاستقرّ الأمر على الصلح، فتوجّهت من عنده هديّه ستيه إلى الدوله العثمانيه، و منهم إليه و معها الوزير أحمد باشا الكبرلي، ليكون الاعتماد في عقد الصلح عليه، و معه من أهل الحلّ جهابذه نقّاد، و عقلاء في غايه الجوده و الانتقاد، و قد مرّت الإشارة إلى ذلك في حوادث سنه تسع و خمسين.

فلما قرب من موضعه الكبرلي (1) المذكور، و هو مستقرّ في سلطنته و مسرور، نزل به القضاء و القدر، و الأمر المحتوم الذي ما عنه مفر، دخل عليه بعض حرّاسه من طائفه الغزلباش، و انتهبوا نفيس عمره و هو نائم على الفراش، و وقعن عليه بعض نساته، فذهبن تحت السيف فوق رداءه، ثمّ حرّوا رأسه و يديه، و نهبوا جميع الخزائن التي كانت لديه، فأتى من حيث يأمن، و لم يقدم عليه إلاّ أصدقاؤه الذين هم أهل مذهبه، و معتمده في مقرّه و مهربه، فقد قيل:

إحذر صديقك أنّه يخفي عليك و لا يبين

إنّ العدوّ مبارز لك و الصديق هو الكمين

و ذهبوا بالأموال إلى ابن أخيه على قلى خان بن إبراهيم خان، يريدون نصبه في ملك ايران، و الحال أنّ له أولادا موجودين مغرقين في تلك البلدان، و أعظمهم نصر الله ميرزا المقيم بهمدان، فانظروا إلى قضاء الله إذا حلّ، و كان به انقضاء الأجل، ينزل بكيفيه لا تخطر بالبال، و لا يتخيّلها عقل عاقل من الرجال.

و اعلم بأنّ الدهر يحكم أمره فيما يشاء لمن يشاء و لو أضر

ص: ٤٠٨

(١ - ١) في «ن»: الكر كي.

عن أمر من يجريه لا عن أمره جرت المشيئة بالتصرف في البشر

فليأخذ الملك اللبيب لنفسه في هذه الدنيا الدنيئة معتبر

فإن هذا الملك العظيم قد توسع ملكه، و سارت في بحار جميع البلدان فلكه، و جمع من المال (1) ما لم يجمعه قارون، و لا حاز مثله الأولون و لا الآخرون، و حشد من العساكر فوق اللكوك، و أذلّ بهيبته جميع الملوكة.

و مبدأ حاله قد تقدّم بيانه في سنه (١١٤٥) خمسة و أربعين، و جلوسه في تخت السلطنة كان في سنه (١١٤٩) تسع و أربعين. و أرّخه بعض خدامه في تلك المواضع بقوله «الخير فيما وقع» فكتب هذا التاريخ في سكتته الجديدة، و أحكم سلطنته بأرائه السديده، حتى أراد الله تعالى بما أراد، فسَلَط عليه حراسه من هؤلاء الأجناد.

و لقد أجاد من أرّخ هلكه هذا من ادباء الحجاز، الذين هم الشعراء في الحقيقة لا-المجاز، فقال و أجاد و ترك حساده داميه الأكباد:

تأمل بعين فتى عارف إلى نادر بعد أن قد ملك

أباد الورى ثم أخلى القرى و قلّد تيمور فيما سلك

فلما دنا سيره للبلأ ألمت به دائرات الفلك

فسَلَط حراسه ليله عليه فصادوه جوف الشرك

و جزّ أخو عزمهم رأسه بسيف لجبهته قد بتك

فلله درّك من فاتك و درّك يا سيف ما أعدلك

ص: ٤٠٩

(١ - ١) في «ن»: الأموال.

فخذ منتهى العزّ مستخرجا لتاريخه من خبيث هلك (١)

و كان مقتله ليله الحادى عشر من جمادى الثانيه من السنه المذكوره.

ولا- بأس بنقل صورته كتاب أحمد باشا صاحب بغداد،الذى أرسله إلى شريف مكّه المشرفه،ليشّره بهلاك هذا الملك الجبار،ليعمّ سروره (٢)جميع الأقطار،فإنّ أهل الحرمين كانوا فى غايه الاضطراب لو استولى على الدوله العثمانيه،لما هو مشهور به من القتل و الانتهاب،لكن قمعه اللّه عن ذلك،و أورده حياض المهالك، و كان وصول هذا الرقيم فى أوائل شهر شوّال،فحصل السرور بقدومه،و استقرّت القلوب و الأحوال،و هذا أوّل الكتاب:

الحمد لله الذى أيد سلطانة،و خذل شيطانه،و أعزّ أوليائه،و أذلّ أعداءه، و الصلاه و السلام على سيّدنا محمّد الذى ما برحت شريعته باقيه إلى قيام الساعه، و ما فتنت أمتّه الناجيه تدعى بأهل السنّه و الجماعه،و على آله و أصحابه،و جنده و أحزابه،و أزواجه و عترته،و أتباعه و ذريته،و لا سيما فرع الدوحه الهاشميه، و فنن الشجره الفاطميه،ساحب ذيل الفخر على مجرى المجرّه و السماك،باسط بساط المجد على أوجات أقطاب الأفلا-ك،بالحسب الذى تقاعس عنه كيوان، و النسب الذى تقاعد عنه النيران.

نسب تحسب العلا بحلاه قلّدتها نجومها الجوزاء

كيف لا؟و هو بضعه سيّد بنى آدم،و لحمه من نسبه علّه إيجاد العالم،على أنّ الواصف لو أطنب،و أطال و أسهب،لملّ القلم،و أتعب السأم.

ص: ٤١٠

١-١) و هو سنه (١١٦٠).

٢-٢) فى «ن»:السرور.

من كان فوق محلّ الشمس موضعه فليس يرفعه شيء ولا يضعه

ألا- وهو السيّد الشريف بل الأشرف، والكيس اللطيف بل الألف، كريم الجنس من آباء و جدود، أجلّ من خفقت عليه في الحجاز الأعلام و البنود، مولانا الشريف مسعود، لا زال السعد أليفه، و الإقبال حليفه.

أمّا بعد: فإنّ تموّج تيار محبّ (١) الخاطر، بالسؤال عن حالنا الباطن و الظاهر، فنحن و الحمد لله بنعم لا- تحصي، و آلاء لا تستقصى، و ممّا تشنّف به المسامع الكريمه، من الأخبار السارّه العجيبه، و الأحاديث العذبه الغريبه، أنّ نادر شاه صفرت مرطاه (٢)، و دكت أكامه و ضرابه، حلقت به عنقا مغرب، و نأى عنه ما كان يديه و يعرب، فأمسى كأمس الدابر، و صار عبره للأواخر.

لا يأمن الدهر ذو بغى و لو ملكا جنوده ضاق عنها السهل و الجبل

و قصّبه قتله على سبيل الاختصار، و طريق الايجاز و الاقتصار: إنّ حراسه الذين أعدّهم لحفظ مهجته، و اصطفاهم على خلّص بطانته، هجموا بغته عليه، و قطعوا يديه و رجليه، و جزّوا (٣) رأسه، و أخمّدوا أنفاسه، و أبطلوا أحسامه، و أطفؤوا نبراسه، و نقضوا أساسه، و كان يراهم عدّه للشدائد، و جنّه واقيه عن المكائد، فإذا غلب القضاء و القدر، أتى العبد ضرّه من حيث الحذر.

إذا لم يكن عون من الله للفتى أتته الرزايا من وجوه الفوائد

كما جرت الخنساء قتل حذيفه و كان يراها عدّه للشدائد

ص: ٤١١

١- ١) في «ن»: بحر.

٢- ٢) في «ن»: وطأته.

٣- ٣) في «ن»: و حرّوا.

فكان كالباحث عن حتفه بظلفه، والجاذع بيده مارن أنفه، فتفرقت جنوده أيادي سبا، وتبددت عساكره شذر مذر (١) على الوهاد و الربا، وانحاز مع كلّ عظيم من عظمائه طائفه من العساكر، وليس لهم من قضاء الله واق ولا ناصر، ولا سيما أولاد الشاه فقد دبّ بينهم النزاع والشقاق، وحال الخلاف بين تعاضدهم وعدم الاتفاق، فلم تنفع قرابه حميم، والملك كما قيل عقيم، نسأل الله تعالى أن يحلّ بهم الخزي والخذلان، ويلبسهم أثواب الذلّ والهوان، ويخالف بين كلمتهم، وكسر قوى شوكتهم.

فبسبب ما حدث ذلك اليوم من الخطوب العظام، انحلت عرى ممالك إيران عن النظام، فيا له من يوم عظمت فيه المصائب، وتراكت فيه الرزايا والنوائب.

يوم تفرّس فيه الفرس أنهم قد أذروا بحلول البؤس والنقم

فخربت بلدانهم العامره، و غاضت تياه خيراتهم الهامره، فهجر أكثرهم أوطانه، و عادى أوليائه و خلّانه، فصارت نواحي إيران ينوح فيها البوم، و ينعق في أرجائها الغراب المشوم.

أمست خلاء و أمسى أهلها ارتحلوا حتّى عليها الذي أخفى على لبد

جميع هذه الحوادث كاتبتنا بها الوزير المفخّم، الوزير كبرلى أحمد باشا المبعوث الشيا (٢) إلى بلاد العجم.

و ذلك أنّه لمّا وصل همدان، و حلّ بذلك المكان، جاءه من شاهد قتل الشاه ببصره، و أخبره بجميع ما وقع هناك بعجره و بجره، و قصّ عليه أمر القصص، و أنّ

ص: ٤١٢

١- ١) في «ن»: شذر بذر.

٢- ٢) في «ن»: الحيا.

الشاه تجرّع مراره الغصص، وفضّل جمع ما وقع بكلياته وجزئياته، وبيّن ما حلّ بأولاده من الشقاق على أصحّ كفيّاته، وأنّ جمعهم تفرّق، وشمّلتهم تمزّق.

فقرّر هذا التقرير، ذلك الوزير باللغه الفارسيه، وضمّنه تفاصيل تلك القضيه، وأنّ سبل ايران قد تقطعت، وأهل الفساد فى نواحيها تحزّبت و تجمّعت، بحيث عمّ أطرافها الشرّ و الضير، فلا يستطيع سبيلا فى الجوّ جوارح الطير.

فلّمّا علمنا أن التقت حلقتا البطان، وضاقت نجالص الإلجى دائره الإمكان؛ لأنّ الشظاظ قد بلغ الوركين، و الحزام جاوز الأبطين (١)، جهّزنا لإنقاذ الوزير المشار إليه، جنودا مجنّده، و كماه على الكفاح سعوده، من كلّ ليث مغوار، و صناديد كزار، لا يهابون الموت، و لا يخشون الفوت، فجاؤوا به إلى أطرافنا محفوفًا بالنصر و السلامه، محفوظًا عن عضّ خناصر الندامه.

فالحمد لله الذى نعمه لم تزل دائره علينا، و هذه بضاعتنا ردّت إلينا، فترجمنا لكم ذلك التقرير، الذى حرّره ذلك الوزير، لتحقّقوا قتل الشاه، و تقفوا عليه بلا اشتباه، لما بيننا من المودّه التى رسخت رسوخ رضوى و تهلان، فلا يغيّرها كرور الأحقاب، و لا تباعد الأبدان.

و بالجمله فنحمد الله تعالى على أن أعزّ دينه، و أظهر حبوره، و قد كانوا يريدون أن يطفؤوا نور الله بأفواههم، و يأبى الله إلا أن يتمّ نوره.

هذا، و إنّ العراق أهله فى مهاده الأمن يمرحون، و فى مراتع رياض الطمأنينه يسرحون، و الحمد لله على هذه النعمه الجزيله، و المنّه العظيمه الجليله، نسأل الله تعالى أن يوفّقنا و إياكم للعدل، و الحكم بالحقّ الفصل.

ص: ٤١٣

(١ - ١) فى «ن»: البطين.

و إن تنيتم عنان الالتفات إلى الوقوف على حال الحجّي (١) العجم و ما معه من نفائس الهديات، فإنه لما تحققت هذه الأخبار، و ظهرت ظهور الشمس في رابعه النهار، أخرناه عن السعي و المسير، و ضبطنا ما معه من (٢) دفاتر الحفظ من جليل و حقير، فبقى عندنا في بغداد محجورا، و آل أمره كأن لم يكن مذكورا، فرسولنا الوزير رجع بهداياه مجورا، و رسولهم مصطفى خان أحضر بما معه فضل يدعو ثورا، فاستولينا بحمد الله على الهديتين، و منحنا بحمد الله أحى الحاليتين. إنتهى كتاب أحمد باشا.

قلت: أغار هذا الكاتب على مطلع خطبه العلامة الأديب الشيخ عبد الرحمن المرشدي المكي، المترجم في سلافه العصر (٣)، لفاضل أهل زمانه، و فخر معاصريه و أقرانه، السيد علي بن أحمد بن معصوم، و هذه الخطبه في غايه الشهره، بل نقل إليه منها هذا المطلع في السلافه، و أنه هو الذي كان سببا لقتل الشيخ عبد الرحمن المذكور على أحد القولين، و نقلناه نحن في ترجمه الشريف أحمد بن عبد المطلب أحد شرفاء مكّه المشرفه، المترجم في السفر الأول من هذا التاريخ فراجعه ثمّه.

و هو أنّ الشريف المذكور خطب من الخواجه أحمد شهاب أحد أعيان أهل مكّه المشرفه ابنته سلطانه، فامتنع عن العطاء؛ لأنه كان في مبدأ حاله ذا هيئه رثه، و حبال عن الرئاسه منبئه، ثم طلبها آخر من أبناء جنسه فأعطاها إياه.

ص: ٤١٤

١- ١) في «ن»: الحجّي.

٢- ٢) في «ن»: في.

٣- ٣) سلافه العصر ص ٦٥.

و طلب من الشيخ عبد الرحمن أن يعقد بها، فصنع هذه الخطبه، فقال في مطلعها على طريقه براعه استهلال مع التوريه: الحمد لله الذى أعزّ سلطانه، و دحض شيطانه، فقال ذلك الشريف: ما قصد إلا أنا بقوله هذا، فقتله، و القضيه مشهوره، و فى محلها الذى أشرنا اليه المذكوره.

و إنّما هذا الكاتب غير فيها (أعزّ بأيد و دحض بخذل) (1) مع أنّ هذا التغيير لا يخرجه أولاً عن باب الإغاره، و ثانياً أنّ اللفظتين الأولى كانت أنسب، و أليق (2) بالغرض الذى غير لأجله هذه العبارة، و لكن أين الذوق السليم، و الفهم القويم، و أكثر عبائره و تركيبه من هذا القبيل السقيم، فهو درّه مع آجرّه، و قحبه جاورت حرّه.

و أغرب من ذلك صدور مثل هذا الكتاب من بغداد التى كانت مقرّ فحول جهابذه الكتاب، كالاستاذ و غيره من الفصحاء و البلغاء، فتغيرت باناس أدبهم أشبه بنسج ذوات البغاء.

و سيأتى فى حوادث سنه احدى و ستين تفصيل ما تصل (3) به الركبان، من حال قطر ايران، و من استولى عليه بعد ذلك الفان (4)، من أبنائه الموجودين، أو ابن أخيه الرائم لما كان لعمّه من القوّه و التمكين، و الملك بيد الله يوهبه من يشاء، و هو القويّ المتين.

ص: ٤١٥

١-١) ما بين الهاليتين أضفناها من نسخه «ن» و فى نسخه «د» بياض.

٢-٢) فى «د»: و الشىء.

٣-٣) فى «ن»: فصل.

٤-٤) فى «ن»: الغارّه.

و فى أواخر ذى القعدة من السنه المذكوره: توفى الوزير المعظم، و المشير المفتخ، أحمد باشا ابن الوزير الكبير حسن باشا، متولى أياه بغداد المتقدم ذكره، و هو الذى وصل منه الكتاب السابق لشريف مكه المعظمه بالإخبار و الإعلام بوفاه نادر شاه، و لم يكن بين المخبر و المخبر عنه إلا خمسه أشهر و قليل، فسبحان الحى القيوم، و حسبنا الله و نعم الوكيل.

و كان هذا الوزير ذو القدر العالى الخطير، ذا همّه عليه، و إرادته ساميه جليّه، نازل من الشدائد العظيمه، و الأهوال الجسيمه، فى مقاومه نادر شاه عن أن يضع يده على قطر العراق، و يتولاه تاره بالقتال و المرافعه حين حاصره ببغداد، و تاره بالمسالمة و المحاسنه، و إرسال الهدايا إليه، و إظهار إطاعته فى كل ما أراد، حتى نسبه مخدومه سلطان الدوله العثمانيه إلى المخادعه و فساد التيه، و أضمر له العداوه القلبيّه و الانتقام، إن زال هذا الملك الخارجى، أو حصل له هبوط و انهضام، و فى ظاهر الحال هو المخاطب بالتعظيم فى جميع الامور و الأحوال.

و فى الحقيقه لو لا هذا الوزير، الحسن السلوك السديد التدبير، لتصرف نادر شاه فى قطر العراق كيف شاء، و مع ذلك قد وصل إلى جميع المشاهد الشريفه، و تشرف بتلك الأماكن العاليه المنيفه، بعد الحصار الأول لبغداد، و بعد قتله لعثمان باشا الطيال، و رجوعه عن هؤلائك العساكر الروميه، حتى أذهب و أباد، و قد تقدم تفصيل هذا الإجمال فى سنه... (1).

ولما كان هذا الوزير ذو رأى كبير، لم يتمكن منه مخدموه المشار إليه بعد وفاه من كان معتمدا عليه، بل هتأ له من بعض طائفه الأكراد، إحداه فساد فى أطراف البلاد، فخرج عليهم بعساكره و أجناده، ممتطيا صهوات جياده.

فعرض له مرض فى ذهابه إلى العراق، شكت منه الفخوذ و الأوراك، فأقعده على فراشه، و انتهب نفيس عمره بعد لذيد معاشه، ثم اتى به إلى بغداد، و دفن بها مع أبيه فى خارج البلاد، و لم يتم للدولة العثمانيه فيه مرام، بل مات و هو فى نهايه الإعزاز و الإكرام.

فأرسلوا لآياله بغداد، أحمد باشا اليقن و هو فى غايه السداد، و أخدموه كيخيه الأؤل، و جعلوا عليه المدار و المعول، ليصير الثانى فى جميع امور البلد و أحوالها، و يعرّفه بطرق صلاحها، و دفع وبالها، فاستمرت الحال على ذلك، و صلحت تلك الأقطار و الممالك.

فأئده عجيبه

قال الحكيم داود رحمه الله تعالى فى تذكرته (1)، فى أثناء مبحث علم النجوم، و سوق الأدله على صحته و إصابته: و هذه بنيه بغداد تشهد بصحته، فقد أحكمها الواضع و الشمس فى الأسد، و عطار د فى السنبله، و القمر فى القوس، فقضى الله تعالى أن لا يموت فيها ملك. إنتهى.

ص: ٤١٧

١ - ١) هو كتاب تذكره اولى الألباب و الجامع للعجب العجاب، للشيوخ داود بن عمر الأنطاكى الطيب الضرير نزيل مصر، المتوفى بمكّه سنه (١٠٠٥) أو سنه (١٠٠٨) و هو تأليف عظيم، ذكر فيه أنه أنفق عمره فى تحصيل الطبّ، و ألف فيه كتباً منها هذه التذكرة، رتبّه على مقدّمه و أربعه أبواب و خاتمه. كشف الظنون ١: ٤٠٦ - ٤٠٧.

قلت: و لم تزل الحال كذلك إلى عصرنا، و هو سنه (١١٦٠) فإنّ من كان قبل حسن باشا هكذا صار له، فلا بدّ إذا قرب الأجل هتياً الله تعالى له سبياً يخرجّه عن البلاد، فيموت في خروجه ذلك، و حسن باشا و ولده أحمد باشا المذكور لَمّا أراد الله تعالى وفاتهما، هتياً لهما سفراً لإصلاح أقطار البلاد، و ماتا في الخارج كما هو معلوم و مشهور، فانظر إلى هذا المنجّم الضابط، و إلى هذا العلم الصحيح الضوابط.

فصل: في حوادث سنه ألف و مائه و إحدى و ستين

وفاه السيّد راجح بن الشريف سعيد الحسنى:

في شهر صفر من السنه المذكوره: توفّي إلى رحمه الله تعالى، السيّد الشريف، و السند العالى المنيف، مولانا السيّد راجح بن الشريف سعيد بن الشريف سعد بن الشريف زيد، أخى صاحب الترجمة، لا زالت دولته فى سلك العدل و الأمان منتظمه.

و كان هذا السيّد الشريف ذا همّه عاليه، يزاحم بها الكواكب العلويّه، و كرم غامر (١)، يخجل الغيث الهامر، و بساله علويّه، و أخلاق نبويّه، توفّي قبل بلوغ الخمسين، و أعقب ثناء عاطرا و بنين، فرحمه الله تعالى، و أهدق على قبره صيب غفران يتوالى.

وفاه الشيخ إبراهيم بن الشيخ محمّد شمس:

و فى شهر ربيع الثانى من السنه المذكوره: توفّي شيخ الخطباء و الأئمّه، و صالح أقرانه من هذه الامّه، الشيخ إبراهيم ابن المرحوم الشيخ محمّد شمس المتقدّم ذكر

ص: ٤١٨

وفاته في سنة (١١٣٧) وتولى بعده هذا المنصب الشريف، أخوه المقام العالي المنيف، الشيخ أحمد بن محمد شمس بخلعه من حضره صاحب الترجمة، ومن تولى مشيخه الحرم الشريف، وبندر جدّه المعمور عثمان باشا بن المحصل، وذلك في شهر وفاه أخيه.

عزل الخواجه مصطفى بن زياده:

و في شهر محرم من هذه السنه: عزل الجناب المكرم الجناب المكرم الخواجه مصطفى بن زياده، المتقدم ذكر توليته في سنة (١١٤٨) لكتابه الصرّ و الجرايه و جميع الدفاتر السلطانيه بمكّه المشرفه البهيه، فصدر (١) بعض تقصير اقتضى عزله، و توليه الجناب العالي السيد، الموفق الرشيد، جمال الدين محمد بن حسن القفاص، و أمر صاحب الترجمة بنقل جميع الدفاتر القديمه و الجديده، و لم يبق عند الخواجه مصطفى من الدفاتر شيئاً، و هو خلاف القانون، فإنه لا بدّ أن يبقى عنده بعض دفاتر لنفسه (٢) أيام توليته، لكنّه هكذا اقتضى نظره العالي، فنقلها إليه برمتها، و استقام بالخدمه في نهايه السلوك و الاستقامه.

ثمّ بعد جلوسه بأيام حدثت قضيه من العلماء الأعلام، سكنه بلاد الله الحرام، ممّن له صرّ و جرايه، و علوفه و جدايه (٣)، و بأيدهم تمسكات (٤) من الملوك، بأن لا يؤخذ منهم خدمه إكراماً لهم في كلّ سلوك، فربما لاح لهم عند وصول العلوفه، أنّه

ص: ٤١٩

١-١) في «ن»: قَصْر.

٢-٢) في «ن»: نفسه.

٣-٣) في «د»: جداويه.

٤-٤) في «ن»: مستمسكات.

يريد أن يأخذ (1) خدمته المألوفه، مع إشاره سابقه من صاحب الترجمه، وقاه الله تعالى حوادث الدهر و بوايقه، بأنه يأخذ خدمته المعتاده، حتى من جماعته المحترمين جريا على العاده، وقصد بذلك نفعه في استقبال حاله لترقيه أحواله.

فعند ذلك راجعوه أفرادا، ثم عملوا جمعيه في بيت فاتح بيت الله الحرام الشيخ عبد القادر الشيبى، و حرّروا عرضا ربما فهم منه بعد عرضه عليه نسبه الظلم إليه، فتعب خاطره الشريف، و منعهم الطلوع إلى أيوانه العالى المنيف، و أظهر إرادته عزل شيخ الإسلام ببلد الله الحرام، الشيخ على ابن المرحوم المفتى عبد القادر الحنفى المتوفى سنة (١١٣٨) و قد تقدّم ذكر وفاته، و ترجمه أحواله في أيام حياته؛ لأنه كان هو المتولى لهذا الاجتماع، و كتابه عرض الحال في تلك الأوضاع، و إهانته آخرين.

و لم يزالوا في غايه التعب الشديد، و توقّع البلاء المديد، فاتفق أن حكم عيد المولد الشريف في أثناء هذه القضيه، و لحضره مولانا الشريف مجلس عظيم في تلك العشيّه، يصل إليه فيه جميع العلماء الأعلام بالمسجد الحرام، و ذلك بعد صلاه المغرب بلا فاصله، و هو من مجالس شريف مكّه المعظمه المشهوره، المختصّه بالقضاء و العلماء.

فبسبب غضبه عليهم أكرم هذا المجلس العظيم، بالنزول إلى الطواف بعد التسليم، فزاد بهم الحال، و اشتدّ بهم البلاء و الوبال، و صاروا سكارى و ما هم بسكارى، و داخلهم الخوف حتى صاروا حيارى، و الحال أنّه لا مفرّ منه إلاّ إليه، و لم يوجد من يمكن أن يعوّل في دفع ضرره عليه.

ص: ٤٢٠

ففى أثناء المدّة توَسَّط بعض أعوانه فى إصلاح حال بعض الأشخاص، و أخذ خاطره عليه لأمور اقتضت ذلك الاختصاص، ثمّ بقى الغضب مختصّاً برجلين:

أحدهما المفتى على المتقدّم ذكره. و ثانيهما: أسعد بن عبد الله عتاقى مفتى الحنفية سابقا، و ما انحلّ أمرهما و حصل الرضا عليهما إلاّ بتسليم عشره أكياس من المفتى على، و خمسه من الرجل الآخر.

فانحلّ عنهما الوثاق، و زال عنهما ما كانا فيه من ضيق الخناق، و نعم المال ما صرف فى حلّ مثل هذه الحال؛ لأنّ المال إنّما يجمع لأحد ثلاثه: للأمراض، أو الأغراض، أو الملك آخر اغتاض، هكذا تمكّن هذا الشريف من إعتاق العباد، حيث لم يكن له مضاد فى البلاد، و أحكامه فى غايه الضبط و السداد.

و مع كونهم سلّموا ذلك المبلغ المذكور، كتبوا تسميات لكاتب الصرّ المزبور، بأنهم قد سمحوا له بالخدمه عن طيب نفس و انشراح، و ما حصل عليهم من الغضب و الخساره زياده تجلب الأفراح.

وفاه إمام اليمن الحسين المنصور بن القاسم المتوكل:

و فى تاسع عشرين شهر ربيع الأوّل من السنه المذكوره: توفّى إلى رحمه الله تعالى إمام اليمن الحسين الملقّب بالمنصور بن القاسم الملقّب ب«المتوكل» المتوفّى فى سنه (١١٤٠) و جلس بعده ولده المسمّى بالعباس الملقّب ب«المهدى» بإقامه له من أبيه، و تأييد له من عمّه السيّد أحمد صاحب تعز، فاستقامت أحواله، و أبدر هلاله، و أبقى ولاه أبيه، و هذا من جملة فكره النبيه، فنفذت أحكامه، و استحکم نظامه.

و بلغنى أنّ أباه أعقب مائه ذكورا و اناثا، و فوق العدد خيلا- و عبيدا و اناثا، و فى الحقيقه: إنّ إمامتهم صارت ملكا عضوا، لا يستطيع ملك لمقاومتهم نهوضا،

و تعدّوا حدود الإمامه فى الملبوس و الهیئه، و استعمال الذهب و الفضة، و تولیه المفضول مع وجود الأفضل، و اصولهم تقتضى خلاف ذلك، نسأل الله تعالى التوفیق فى جمیع المسالك.

وفاه منصور بن بدوى شيخ بنى حرب:

و فى هذه السنه: توفى شيخ بنى حرب الساكنين بين الحرمين الشريفين، الشيخ منصور بن بدوى، الذى أقامه صاحب الترجمة الشريف مسعود شيخا عليهم بعد موت شيخهم الأول الشيخ سعد بن بدوى، و صارت تلك الغاره (١) الواقعه بين منصور و بين عيد بن سعد بن بدوى، و هزاع بن مبارك، و أصرف مولانا الشريف فيها أموالا عظيمه على نصره منصور، و إضعاف عيد و هزاع بتجهيز العساكر و الخيل، و لم يزل حتى استقام أمر منصور، و استقلّت مشيخته، و ضعف هزاع و عيد، و كلّ ذلك قد سبق شرحه مفصّلا سنه (١١٥٦).

غير أنه فى أثناء هذه السنه (٢) لم يزل عيد و هزاع يسلكان مسالك الخضوع، و يظهران إمارات الرجوع، و يبذلان الهمة العليه فى خدم شريف مكّه البهيّه.

فلما هلك منصور منّ بالمشيخه على عيد، و أسعفه بالملبوس الجديد، و أجراه على عوائده و قوانينه، و ألزمه الخدم الواجبه عليه، فقام بها أحسن قيام، و انتظمت مشيخته أكمل انتظام (٣).

ص: ٤٢٢

١ - ١) فى «ن»: الغارات.

٢ - ٢) فى «ن»: المده.

٣ - ٣) فى «ن»: نظام.

وصول ثلاثة من سناجق مصر إلى مكّة المشرفه:

و فى هذه السنه:وصل إلى مكّة المشرفه ثلاثة من سناجق مصر العمترين، منهم:عمر بيك بن على بيك أمير الحاج الشريف المصرى سابقا،و صنجقان آخرا،فقابلهم حضره صاحب الترجمه،لا زالت عقود دولته الحسنيه بفرائد المعرّه السنيه منتظمه بالإعزاز و الإكرام،و شملهم بالفضل و الإنعام.

و أسس (١)لهم مدرسه الداووديه،بعد أن هياها لهم بأنواع الفرش المفتخره، و الآلات المعتره،و مدّ لهم بها أسمطه عظيمه،و خيرات جسيمه،و قيد فى خدمتهم أكابر دولته،و أعظم بلدته.

ثمّ ألبسهم الأفريه السمامير،التي تفاض (٢)على كلّ أمير،و أركبهم من الخيل الجياد كلّ كميت مستجاد،و ما اتفق أن قد وفد مثلهم على مثله،حتى يشملهم بإحسانه و فضله،فهى منقبه له فاخره،أحرز بها الذكر الجميل،و الأجر الجزيل فى دار الدنيا و الآخره.

و سبب وصولهم إلى هذه البلاد،و نقلهم إلى هذه المهاده:أنه (٣)ثارت عليهم فتنه بمصر أخلت منهم الدور،و أسكنت جمعا منهم القبور،و هى عاده أهل مصر فيما بينهم بين،و ذلك لما أوقعه الله فيهم من العداوه و البين،فأصبحوا حلفا جوع و عرى،بعد أن كانوا أرباب أسمطه و فرى،و هذا حال الدنيا أو الاعتبار،و إنّما هى إقبال و إدبار.

ص:٤٢٣

١-١) فى «د»:و أثث.

٢-٢) فى «د»:تفاخر.

٣-٣) فى «د»:أنها.

دار متى ما (١) أضحكت فى يومها أبكت غدا تبا لها من دار

وفاه محمّد شاه سلطان الهند:

وفى تاسع جمادى الاولى (٢): توفى سلطان الهند محمّد شاه، الذى هجم عليه السلطان نادر شاه و عزله، ثم خرج عنه و أقرّه فى سلطنته، وبقى فيها إلى اليوم المذكور، و تولى بعده السلطنة أحمد شاه، و توزّر له أبو المنصور خان، و ولده قلعدار، و السيد صلابت خان أمير الامراء، و استقرت الهند له.

وصول فرمان بقراءه حديث المعراج:

وفى هذه السنه: وصل فرمان شريف من حضره سلطان الروم محمود، و مضمونه: الأمر بقراءه المعراج (٣) الشريف فى ليله السابع و العشرين من رجب المعظم فى الحطيم الشريف، و فتح باب الكعبه الشريفه، و الدعاء لحضره السلطان بعد صلاه العشاء، و قراءه أحاديث المعراج الشريف النبوى، و قسمه الحلوى.

و لبس الفرى السمامير لحضره شريف مكّه المشرفه، و للقاضى و لمفتى مكّه على مذهب الإمام الأعمش، و لفتاح بيت الله الحرام، أربعة أفریه من السمور، و من القاقم فرو واحد لحضره شيخ الحرم، و أصواف و قفاطين للخدّام و المباشرين.

و تقرير بعض دراهم لأهل الخدم كالإمام، يعنى إمام صلاه العشاء المختصّ بهذه الليله لا إمام الراتب، و لصاحب البخور و لقارىء المعراج.

ص: ٢٢٤

١-١) فى «ن»: دار إذا ما.

٢-٢) فى «ن»: الأوّل.

٣-٣) و هو حديث طويل رواه السيوطى مفضّلاً بأسانيد متكّثره فى كتابه الدرّ المنثور فى التفسير المأثور ٢٥٨:٤-٢٨٧ فى ذيل تفسير أوّل سورة الإسراء، فراجع.

و جملة المتصرف في هذه الليلة أربعة آلاف قرش إلا قليل تحت ثمن الفرى و الحلوى و الشموع و الصرر و غير ذلك، و أخذت له أوقاف بتلك البلدان ليكون ذلك مؤبدا مخلدا على الدوام، تعظيما لمعراجه عليه أفضل الصلاة و السلام، و منصرفه و صنعه و خدمته، طبق ختم السلطان مصطفى الذى يصنع فى ليله السابع عشر من شهر رمضان، الذى كان ابتداء وضعه سنه (١١١٣) ألف و مائه و ثلاثه عشر.

فقرّر الشريف-دام علاه- للإمامه إمامه الشيخ على الجليخ، و بقراءه المعراج الشيخ أبا السعود بن الشيخ عزّ الدين المنوفى، و للدعاء بالمحضر أحد بيت العباس (١)، و للبخور السيد محمّد بن أحمد نائب الحرم الشريف، فباشروه فى الليلة المذكوره من السنه المزبوره، و حصل لحضره السلطان عظيم الثواب، بإشهار هذا الأمر العظيم الشأن، و بما يصدر منه هذه الليلة من الإحسان، فجزاه الله خير الجزاء، و جعل نصيبهم من سعاده الدارين أوفر الإجزاء.

وفاه السيد أمين بن الحسن مير غنى:

و فى شهر شعبان من هذه السنه المذكوره: توفى السيد الجليل، و السند الأصيل، العالم العلامة، و الفاضل الفهّامه، السيد أمين بن السيد حسن مير غنى رحمه الله تعالى.

ولد بمكّه المشرفه، و نشأ بها، و تعلق بأذيال الكمالات، فعلى على أقرانه بسببها، و تفقّه فى مذهب الإمام الأعظم، فصار هو الأفضل الأعلام، كتب على الزيلعى حواش مفيده، و على غيره أيضا من كتب عديده، و جاوز سنّه الثمانين،

ص: ٤٢٥

و هو عمده مذهب الإمام الأعظم ببلد الله الأمين.

بعض أخبار إيران بعد وفاه نادر شاه:

و فى أواسط هذه السنه: وصلت الركبان، بأخبار قطر ايران، بأنّ المتولّى السلطنه تلك الأقطار، بعد الهالك المذهب إلى بئس القرار، ابن أخيه على خان بن إبراهيم خان، ولقب نفسه ب«عادل شاه» لما صدر منه من الامور الحسنه فى رعاياه.

و هو أنّه رفع الخراج و المقاسمه على أهل الغلات، و أمر بعماره ما خرّبه ذلك الشقى فى جميع تلك الجهات، و أمر أيضا بإجراء الأوقاف و المدارس، التى فى جميع أقطار فارس، و غير ذلك من الامور الحسنه، و القضايا المستحسنه.

فلما كان الزمان الفاسد غير قابل لمثله من الملوك، لكونه جبلّ على المعانده لأرباب الكمال فى كلّ سلوك، حصلت المنافره بينه و بين أخيه إبراهيم خان، حتّى قصده عادل شاه للمحاربه فى اصفهان.

فلما بلغه توجه أخيه إليه، زَمَّ (١) عساكره و رحل إلى قزوین، و أطرافها إلى طهران، فوقع القتال بينهما بين البلدين، و ظفر إبراهيم بأخيه، و قبضه كصاحب دين، ثمّ جلس فى تخت السلطنه كما أراد، فسبحان المبلغ لكلّ مطلب و مراد، و استولى على جميع الخزائن المالىه، و الآلات الحربيه، و المهمّيات الملكيه، فاستثبت أحواله، و كثرت أمواله، و دارت فى جميع ممالكه أحكامه و أقواله، و كان ذلك فى ... (٢) من السنه المذكوره.

ص: ٤٢٦

١- (١) زَمَّ زَمًا: ربطه و شدّه، و الجمال: خطمها.

٢- (٢) بياض فى النسختين.

جلوس الشاه رخ حفيد نادر شاه في السلطنة:

و في سابع عشر (1) سؤال من السنه المذكوره جلس في تخت سلطنه ايران الشاه رخ بن رضا قلى خان بن نادر شاه، من إحدى بنات الشاه حسين الصفوى.

و ذلك أنه بعد أن استقل السلطان إبراهيم خان في السلطنة بعد قبضه لأخيه عادل شاه لم تطعه الرعيه في أغلب البلدان، و أمير عظيم كان في قطر تبريز و تفليس و ايروان سمى أمير أصلان خان.

فاتفق رأيه و رأى الأمير المذكور و جميع أعيان البلدان و قضاتها و مشايخ الإسلام على إجلاس السلطان شاه رخ المذكور؛ لأنه صفوى من جهه الأمهات، و أن يكون إبراهيم خان المذكور وزيراً له، و الأمير المزبور صارمى عسكر، فطلب من خراسان و اجلس في تخت السلطنة، فاستقرت البلدان.

وفاه السيد أحمد بن السيد مساعد الحسنى:

و في ثانى عشر ذى الحجه الحرام ختام السنه المذكوره: توفى أحد رؤساء الساده الأشراف، و أوحده (2) القاده من آل عبد مناف، مولانا السيد أحمد بن السيد مساعد بن الشريف سعد بن الشريف زيد المتقدم ذكرهما.

و كان هذا الشريف، ذو القدر العالى المنيف، قطب دائره الساده، و ممنّ ثنيت له بين ذويه الوساده، فعظم مقداره، و علت على رؤوس الأعلام ناره، وفرحمه الله تعالى، و أغدق على قبره صيب غفران توالى.

ص: ٤٢٧

١- ١) في «ن»: سابع عشرين.

٢- ٢) في «ن»: و واحد.

وصول أميرى الحاج الشامى و المصرى:

و فى ختام هذه السنه: وصل الحاجان الشريفان، و معهما المحملان المنيفان، و أمير الحاج الشامى أسعد باشا، و أمير الحاج المصرى عمر بيك.

فصل: فى حوادث سنه ألف و مائه و ثنتين و ستين هجرىه

وفاه الشيخ عمر بن المفتى عبد القادر:

ففى ثامن محرّم الحرام: توفى المقام الأجلّ الأجلّ، و المرام المؤيّد المسدّد الأنجد، عين الأعيان، و فخر الأقران، و غرّه وجه الزمان، الشيخ عمر ابن المرحوم المقدّس المفتى عبد القادر، المتقدّم ذكرهما الشريف، فى أثناء هذه التضاعيف.

و كان ذا أخلاق رضيه، و مزايا مرضيه، و همم عاليه، و مكارم متواليه، ظهر ظهور الشمس فى رابعه النهار، و استقرّ هلاله فى أعلى مراتب الابدار، و الحال أنّ أكفّ عمره الشريف لم تقبض الأربعين، و ساعد همته العليّه لم يرض باين ماء السماء له معين.

برع فى اقتناء المعالى حتى استرقها، و أجهد نفسه الشريفه فى كسب الأثنيه المخلمده و إعطائها حقها، و لذلك تقدّم عند ملك زمانه، و فاق بذلك بين معاصريه و أقرانه، و له إخوه كالنجوم الثواقب، و أكبرهم سنّا كالبدر أفاضت به الكواكب، لكونه المستقلّ [\(1\)](#) بمشيخه الإسلام، ببلد الله الحرام.

نجوم سماء كلّما انقضّ كوكب بدى كوكب تأوى إليه كواكبه

و هذا البيت أشهر بيت بمكّه المعظمه، و أفخر من تقلّد فيها بعقود المناصب

ص: ٤٢٨

الشريف المنظمه، حتى شهد له بذلك الخاصّ و العامّ، وقد تقدّم بيانه في هذا السفر، فلا نطيل بذلك الكلام.

و كان له بالفقير عظيم (١) الائتلاف، و مزيد التردّد و الاختلاف، فنحلتته من المحبّه الأكيده خالصها، و من القوائد الطنانه مخالصها، و من الخدم العاليه أشرفها، و من العبائر البليغه أطفها، و كنت به في أعدل مزاج، للطفه ما أصفاني إياه من حسن الامتراج، فحسدني عليه الدهر الخوان، المفترق بين الأحبه و الإخوان.

و كنا كندمانى جذيمه حقه من الدهر حتى قيل لن يتصرّما

و من جمله ما صنعه جلبا لخاطر إخوانه، و رغبه في مخالطه أصحابه و خلّانه، أنّ سبيل السلطان سليمان و السلطان مراد، كائنين في خارج البلاد، عمّهما عماره حسنه، و أودعهما من كلّ شيء أفخره و أحسنه، و صنع فيهما ضيافات للأعيان، و مدّ فيهما من الأسطه الحاويه لأكثر الألوان، ثمّ اختصّ جماعه لجنابه الشريف، يفضى إليهم بأسراره و امتزجه اللطيف.

و من جملتهم: أسير و داده، و أخلص محبّيه و عوّاده، فكان لأحدنا كبيتة المألوف، و هو يتحبّب إلينا ببذل الكمالات العظيمة و إسداء المعروف، فلازمتنا و لازمناه، حتى اختطفته يد المنيه ففارقنا و فارقناه.

و كلّ أخ يفارقه أخوه لعمر أبيك حتى الفرقان

فرحمه الله تعالى، و أنزل على قبره الشريف رحمت توالى. و كان قد صنع في عمارته هذه أيوانا عظيما، حوى من اللطافه و حسن الوضع منزلا جسيما، قد حقّته الأشجار، و أحدثت به أنواع الأزهار، فالتمس من مخلصه تاريخا لعام عمارته،

ص: ٤٢٩

مع ذكر أوصافه و نزاهته، فقابلت أمره العالی بالطاعة، و جلبت إلى سوق بلاغته هذه البضاعة، و هی:

عَنِّي على فنن الغصون هزار فتمايلت طرباله الأشجار

و النور يضحك و الغمام كعاشق يبكي فيسكب دمه المدرار

و الورد يحكي خدّ شاد شادن خجل تمثت في مطاه عقار

و الروض يشكر للغرام صنایعا شكرا به تترنم الأطيّار

و الماء كالمرآه يزهو منظرا في برکه قدرانها الفوّار (١)

فاغنم زمانك حيث دهرک باسم عن نعمه ما شابها أکدار (٢)

في مجلس ضحك السرور لصحبه عن ناجذيه و أشرقت أنوار

قد شاده عين الوجود أخو العلا عمر بن عبد القادر المعمار

فخر الأنام سراج كلّ ملّمه دهما (٣) فهو لها ذکا و نهار

ذو الهّمه العليا بل ذو الفظ نه الغراء بل هو صارم تبار

إن قال فهو أبو المحاسن كلّها أو طال فهو أبو النداء المعمار

مفتى الأنام أبوه من قد زانه علم و فخر ناله (٤) و وقار

محيى العلوم إمامها علامها مصباحها و شجاعها الكزار

ولّى و خلف للمكارم فتيه يتناسقون كأنهم أقمار

ص: ٤٣٠

١-١) في «ن»: النّوّار.

٢-٢) في «ن»: الأکدار.

٣-٣) في «ن»: وهما.

٤-٤) في «ن»: تالد.

فاهناً أبا حفص بما شئدته أثرا يدوم و نزهه تختار

لا زلت تجمع فيه كل مهذب ذى همّه عليا إليه يشار

فلقد تجمعت المحاسن كلّها فيه و حفّت (١) حوله الأزهار

فبغايه (٢) اليمن المخلد أروها هو نزهه حفّت به الأشجار (٣)

وفاه السيّد يحيى بن الحسن بن غالب الحسنى:

و فى عشرين محرّم الحرام المذكور من السنه المذكوره: مات السيّد الشريف، و السند العالى المنيف، السيّد يحيى بن المرحوم السيّد حسن بن غالب بن محمّد ابن مسعود بن حسن بن أبى نمى، ابن أخى الشريف أحمد بن غالب، المتقدّم ذكره العالى فى السفر الأول من هذا التاريخ.

و توفّى هذا السيّد فى مبدأ شبابه، إلا أنّه لحق بهّمته العليا شاو آباءه، مفارقا لأخدانه و أترابه، سافر إلى الديار الروميّه قاصدا سلطان آل عثمان، فأدرك عند وزيره المكرّم على بن الحكم أرفع مكان، حتّى همّ أن يسنمه ذروه غارب شرافه مكّه المعظمه، و يقلّده عقود أيايتها المنظمه، و يحيى يحيى رسوم شرافه أحمد بن غالب، لكن عاقه القضاء فكان أمره هو الغالب، فرجع إلى مقرّه و وطنه مجهدا نفسه الشريفه فى عماره بيت الملك و مسكنه.

ثمّ رحل رحله اخرى إلى الديار اليمتيّه، فحلّ عند إمامها المنصور فى أجلّ المراتب السّتيّه، فأقام عنده أحسن إقامه، ثمّ عاد إلى مكّه المشرفه و هو فى أحسن

ص: ٤٣١

١-١) فى «ن»: و صفت.

٢-٢) فى «د»: فبتايد.

٣-٣) و هو سنه (١١٦٢).

ثم بعد مدّة رجع إلى الديار اليمثية، وفي عوده منها و وصوله إلى أهله اختطفته يد المنيه، كلّ ذلك و ما أخاله بلغ الأربعين، و لا اجتاحت همّته العليّة إلى معين، فرحمه الله رحمة الأبرار، و حشره في زمره آبائه الأطهار، و أعقب ولدين: محمّداً، و زين العابدين، و فقهما الله تعالى لخيري الدنيا و الدين.

وفاه السيّد أحمد بن يحيى الأزهرى:

(و في هذه السنه: توفّى إلى رحمة الله تعالى بالطائف، السيّد الجليل، و الأيد الأصيل، ذو الهمة العليّة، و الآراء الساميه الجليّة، السيّد أحمد بن السيّد يحيى الأزهرى، الذى جاور فى الطائف أعواماً، و هو ينشر للمفاخر بين أبناء جنسه أعلاماً، مع أخلاق حسنه، و سيره مستحسنه، فلمّا أراد الله خلوصه من أيدي الناس، توفّاه و جاور به حبر الامّه عبد الله بن العباس، و لم يعقب من الذكور إلاّ ولداً اسمه يحيى، نرجو أن يعيش به اسم والده و يحيى) (١).

إناره العساكر اليمثيه على وزير شريف مكّه بالقنفذه:

و في هذه السنه: ثارت العساكر اليمثيه خدام شريف مكّه البهثيه على وزيره بالقنفذه، و هو الشهاب أحمد بن عبد الرحيم الكبايتى، طالبين علائفهم المنكره (٢)، و ربطوه و أهانوه، بل ربما حصل له منهم جرح فى إحدى (٣) أعضائه، و أخذوا منه جميع حقوقهم، و كان كبيرهم الشيخ حسين المعمرى، و نادى فى البلاد أنّ كلّ من

ص: ٤٣٢

١- ١) ما بين الهاليتين من نسخه «ن» فقط.

٢- ٢) فى «ن»: المنكسره.

٣- ٣) فى «ن»: أحد.

كان له على العسكر شيء فليصل و يأخذ حقه، و يأخذ على ذلك حجه من قاضي القنفذه.

ثم ركب هو و جماعته، و توجه إلى اليمن، فلما بلغ حضره مولانا الشريف المذكور ذلك، جهّز عساكر آخرين و سلحداره و بعثهم (١) خلفهم، بعد أن أرسل كتباً و أشرفاً على البرّ إلى امراء حضره الإمام العباس بن الحسين بن القاسم المتولّى للإمامه فى السنه المذكوره، بأنهم يحفظوا لهم الطرق، و يقعدوا لهم فى المراصد، فسبقوهم على اليمن، و العساكر الآخرون لحقوهم بعد دخولهم إلى اللحيه، و قد صاروا فى ممالك حضره الإمام.

فامتنع حاكمها من التمكين منهم إلاّ بعد تعريف الإمام؛ لأنّهم الآن صاروا ضيوفه، فأرسلوا جميعاً يعرّفون حضره الإمام بهذه القضيه، و طلع العمرى بنفسه و حجّته بيده، بأنّه لم يأخذ غير العلوفه فقط.

و طلع السلحدار بحجّه اخرى، مضمونها: إنّ الحجّه الاولى لا أصل لها، و إنّ العساكر أخذوها بالجبر من القاضى، و إنّ الذى أخذوه من حضره الوزير أكثر من ذلك، و أفسدوا فى البلاد.

فلما تأمل حضره الإمام الحجّتين، و ميّز بين المحجّتين، برز أمره العالى حسبما ظهر له أن يأمر العساكر (٢) بتسليم ما أخذوه من مال الشريف، و قدره ألفان و مائتا ريال، فكتب إلى حضره الشريف بأن لو لا قيام القبائل من جميع أطراف اليمن،

ص: ٤٣٣

١- ١) فى «ن»: و تبعهم.

٢- ٢) فى «د»: العسكر.

و إلا كنا (١) أرسلنا إليك بهم، لكن نخشى قيام فتنه يحصل بها مزيد التعب، و إذا همدت القبائل أرسلناهم إليك.

عزل السيد مبارك بن عبد المعين الهجاري أمير ينبع:

و فى هذه السنه: عزل حضره الشريف دام بقاه أمير بندر ينبع السيد الشريف مبارك بن عبد المعين الهجاري، الذى أقامه سابقا بعد وفاه أبيه، فصدر منه بعض الامور التى أوجبت عزله، و أبعدت منزله، و وضع فى المنصب بدله عمه السيد الشريف السيد هزاع بن مبارك الهجاري.

فخرج السيد مبارك و نزل ديار جهينه، و استألف قبائلها و حالفهم، ثم حارب العساكر الذى فى بندر ينبع، و حاصرهم حصارا شديدا، ثم ارتفع عنهم.

ثم لما أقبل الحاج المصري، خرج السيد هزاع و عساكر الشريف و بعض أشراف من آل أبى ندى، و بعض مراجل بعثها الشريف إلى السيد هزاع لإعانتته، فحصل بين الفريقين قتال و من الحاج الشريف، و هما فى أثناء هذا المجال.

ثم قعد له فى عوده مره أخرى، و قطع عليه الطريق المعتاده، فأخذ طريقا ثانيه جبرا و قهرا، ثم ارتفع إلى ينبع النخل، و أخذ بعض السفائن الذاهبه إلى القصير، و وجد فيها أموالا كثيره، و لم يزل على هذه الحال، و الله أعلم كيف يكون المآل.

إرسال هديّه جميله من شريف مكّه إلى إمام اليمن:

و فى هذه السنه: بعث حضره الشريف هديّه جميله، و معها جاريه فرجيه قد وضعها فى تخت، و جعل له ثوبا من ثوب مقام إبراهيم الخليل عليه السلام، إلى حضره إمام اليمن المتولى فى ذلك العام، و هو العباس بن الحسين بن القاسم الملقب

ص: ٤٣٤

ب«المهدى» وأصحابها حضره السيد الشريف، والهمام الغطريف، مولانا السيد باز ابن المرحوم السيد شير بن مبارك بن فضل، و
فى الهدية خيل جيا، وتحف لا تهدى إلا إلى مثله من الأمجاد.

و كان توجههم من جدّه بحرا إلى بندر اللحيه، ثم توجهوا إلى صنعاء مقرّ حضره الإمام بزا، فمنحهم فضلا وإحسانا وعزّه و بزا.

ضيافه الشيخ على بن عبد القادر لشيخ مکه:

و فى جمادى الثانيه من السنه المذكوره: كانت قبله حضره الشريف صاحب الترجمه، لا زالت دولته العليه بالإقبال منتظمه، عند
حضره مفتى مکه المشرفه، والمتحلّى بعقد الرئاسة العلميه المنظمه، مولانا الشيخ على ابن العالم العالمه المفتى عبد القادر مفتى
مکه المشرفه سابقا ابن شيخ الحرم الشريف أبى بكر أفندى، أدام الله إقباله، وأيد إجلاله، وذلك فى داره الجديده التى عمّرها
بأعلى مکه المشرفه.

و ذلك بعد أن تمّت عمارته، طلب حضره الشريف من حضره المفتى المذكور أن يصنع له طعاما، ويهيأ مواضع متعدده له و
لخواصه، ففعل و استعدادا لا يصدر إلا عن مثل حضرته من أنواع الفرش والآلات و الطعام النفيسه، و طلب حضره الشريف
دام علاه فى هذا الموضع، مناجق مصر المقيمين بمکه المشرفه تحت نظر العالى الذى قد تقدّم ذكرهم، و كان يوما مشهودا.

و هذا لم يصير لأحد من شيوخ الإسلام بمکه المشرفه، و لم نسمع به، و ربما حصل سابقا التماس منهم لشريف مکه و لم
يصير، فكيف و هذا يطلب منه، فهو يدلّ على كمال المحبّه و الإخلاص، و علوّ مقامه و مرتبته، حتّى عدّ عنده من أخصّ الخواصّ.

و قد أرّخ هذا التشريف من حضره الشريف جماعه من شعراء الوقت، (و لخادم

محبّه مؤلّف هذا التاريخ، ما نصّه و قاله:

لك السعاده يا ذا الفخر و النسب و الجود و المجد و الافضال و الحسب

زفّت رئاسه هذا الوقت خاضعه إليك فى العلم فاصعد أشرف الرتب

فأنت مأوى الورى فى كلّ معضله و هما تحطّ فى أثوابها القشب

و أنت مغنى الملا فى كلّ حادثه عنها و فى فكر ذى كدّ و ذى طلب

خدن العلوم و محيبيها و فارسها و قطبها حيثما دارت رحى الكتب

تجمّعت فيك أوصاف عرفت بها ورثتها عن أب للفخر متدب

مفتى مكّه قاضيها محدّثها إمامها المرتضى فى الشرع و الأدب

ربّ الفضائل عبد القادر بن أبى بكر أخى الجود و الاحسان و القرب

فطل و قل فيه و انشد قول مفتخر بمجد والده فى سالف الحقب

هذا أبى حين يدعى سيّد لأب هيهات ما للورى يا دهر مثل أب

فاشكر أبا حسن مولاك ملتصبا منه دوام الذى أولاك من نجب

فاغنم زمان العلا و العزّ مقتطفا زهر الهنا من رياض الإنس و اقتضب

واهنأ بدار سرور أنت و اضعها قد زخرفتها يد الأقدار بالذهب

حوت من الطرف أيوانا علا شرفا بالعلم و الفضل و التفريغ للكرب

و زاد فخرا بسطان سمي نبأ إذا زار صاحبه فى موكب نجب

شريف مكّه مسعود الذى نطقت بمدحه ألسن الأقلام و الخطب

و ساد كلّ ملوك الأرض قاطبه بخدمه الحرم السامى ذرى الركب

ففاق أيواننا العالى بشائده على مباني الورى طرّا بلا تعب

لذا غدا طائر الإقبال ينشدنا تاريخه ضمن بيت محكم الحسب

استقلال شاه رخ في سلطنه ايران:

و في أثناء هذه السنه: جاءت الأخبار باضطراب أقطار بلدان العجم على سلطانها السلطان إبراهيم خان المتقدم ذكره.

و قام أمير عظيم الشأن في قطر آذربيجان يسمّى أمير أصلان خان، و قد كان في ذلك القطر من أيام سلطنه نادر شاه المذبوح بيد عساكره ذبح الشاه، غير أنّ الأمير المذكور لم يدع سلطنه، و لا سكّ سكّه باسمه المشهور، إنّما كان يسكّ السكّه باسم الإمام على الرضا عليه التحيه و الرضا، و لا- أطاع إبراهيم خان، بل أظهر العصيان في تلك البلدان، قائلًا بأنّك أنت و أخوك الذي أسرته لستما أهلا للسلطنه.

و دليل ذلك أنّك رجعت عليه بعد ما نصرته، فالأولى أن تنزل عن السلطنه لمن بها أحقّ إذا حصحص الحقّ، و هو شاه رخ بن رضا قلى خان بن نادر شاه من احدى بنات الشاه حسين الصفوى، فهو صفوى من جهة الأمهات، و تجمّع عليه الرعيه من جميع الجهات، فأطاع السلطان إبراهيم شاه على ما أشار به ذلك الأمير، و رآه عين الرأى و التدبير.

فبعث و جمع جميع الأعيان من البلدان من قطر ايران من القضاة و مشايخ الإسلام و الامراء و الولاة و الحكّام، و طلب شاه رخ من قطر خراسان، و جعلوها خلفه بيعه و إجماع، فاستقرّت له السلطنه على أكمل الأوضاع (٢)، و أطاعته الرعيه في جميع البلدان، و كسرت عصا المخالفه و العصيان، و صار إبراهيم خان

ص: ٤٣٧

١- ١) ما بين الهلاليتين من نسخه «ن» فقط.

٢- ٢) في «ن»: نظام.

وزيره الأعظم، و مشيره الأفخم.

و كان جلوسه فى سابع عشرين شهر شوال من سنه (١١٦١) كما تقدّم بيانه فى حوادث السنه المذكوره.

ثمّ بعد أن استقرّت الأحوال، و تجمّعت لدى شاه رخ و وزيره إبراهيم خان العساكر و الرجال، طلب أمير أصلان خان حضره الشاه، فامتنع عن الحضور خوفاً من القبض عليه، فسار عليه إبراهيم خان بالعساكر السلطانيه، و قاتله فى أطراف آذربيجان، و تغلب عليه فقتله، و استقلّ استقلالاً تاماً فى خدمه ابن عمّه شاه رخ.

ثمّ رمى الله بينهما سهم العداوه و البغضاء... (١) و رجع فى دعوى السلطنه فى تبريز، فجهّز عليه الشاه رخ أعظم امرائه الأعيان... (٢) مع عساكر القزلباش، فتوجّهوا إليه، و قاتلوه فى مملكته و كسروه... (٣).

و كان أغلبهم الأفاغنه و الازبكيك، و أخذوهم أخذاً شنيعاً، و قبضوه و أتوا به إلى الشاه رخ، فقلع عينيه ثمّ قتله.

و استقرّت تلك الأقطار (٤)، و ارتخت الأسعار، و حسن حال الرعايا، و شموا منه روائح الدوله الصفويّه؛ لأنّه أمر يرد جميع ما كانوا عليه من الأوضاع الحسنه، و الامور المستحسنه، و كان وصول الأخبار بهذا الاستقرار فى أواخر هذه السنه المباركه التى هى سنه (١١٦٢) ثنتين و ستين و مائه و ألف.

ص: ٤٣٨

١-١) بياض فى النسخين.

٢-٢) بياض فى النسخين.

٣-٣) بياض فى النسخين.

٤-٤) فى «ن»: و استقرّت مملكته.

وفاه الشيخ عبد الكريم الأنصاري المدني:

(و في ذى الحِجَّه الحرام من السنه المذكوره: توفى بمكّه المشرفه المقام الأجلّ، و المرام المبيّجّل، العالم العامل، الفاضل الكامل، الشيخ عبد الكريم الأنصاري المدني، المجاور بمكّه المشرفه. و أعقب من الذكور رجالا نجباء، و فحولا اداء، قد ظهرت شمس معارفهم بين الأعيان، و شوهدت همهم العليّه بالعيان، و هم أربعه، قدرهم على، و فضلهم جلي: الشيخ يوسف، و الشيخ أبو البركات، و الشيخ عبد الرحمن، و الشيخ على) (١).

وفاه السيّد أحمد بن يحيى الأزهرى المدني:

(و في أواخر هذه السنه: توفى إلى رحمه الله تعالى بالطائف السيّد الجليل، و الأيّد الأصيل، ذو الهمة العليّه، و الأواء الساميه الجليّه، السيّد أحمد بن السيّد يحيى الأزهرى المدني، جاور في الطائف أعواما، و هو ينشر للمفاخر بين أبناء جنسه أعلاما، مع أخلاق حسنه، و سيره مستحسنه، فلما أراد الله خلوصه من أيدي الناس، توفاه و جاور حبر الأئمه عبد الله بن العباس، و لم يعقب من الذكور إلا ولدا اسمه يحيى، نرجو أن يعيش به اسم والده و يحيى.

إلى هنا انتهى الكتاب.

و قال في آخر السفر الأوّل من نسخه «د»: تمّ و كمل بحمد الله و عونته، في يوم الخميس المبارك سابع عشرين ذى القعدة الحرام سنه (١٢٠٠) ختمت بخير، بقلم محسن الظنّ بعالم الغيب، عبده مسعود بن عبد المحسن بن على ما خريب، غفر الله له و لوالده، و صلّى الله على سيّدنا محمّد و على آله و صحبه و سلّم دائما، آمين.

ص: ٤٣٩

وقال في آخر السفر الثاني من نسخه «د»: إلى هنا انتهى ما وجد من التاريخ المذكور، فإن صاحبه رحمه الله في أوائل سنة (١١٦٣) صار من أصحاب القبور، و نسال الله حسن الختام، و الموت على الإسلام، آمين.

و قال في آخر نسخه «ن»: فإلى هنا وقف المؤرّخ رحمه الله تعالى.

ثمّ لمّا أطلع على ما فى هذا التاريخ من الألفاظ العجيبه، و الوقائع الغريبه، و ما حوى من أخبار ملوك مكّه المعظّمه، المتحلّين بشرافتها المنظّمه، من أجداده الأشراف الكرام، الحامين لحمى البيت الحرام، بادر إلى تجديده و نقله، إذ كلّ فرع يرجع إلى أصله، و ذلك لكمال أدبه، و علوّ قدره و رتبه، مولانا الشريف عبد الله باشا، بلّغه الله من الخير ما شاء، نجل مولانا و سيّدنا فخر الأشراف الكرام، حامى حمى البيت الحرام، ملك مكّه المشرفه، و المتحلّى بشرافتها المفوّفه، الراجى من ربّه التوفيق و العون، مولانا الشريف محمّد بن عبد المعين بن عون، لا زال نازلا برحابهم، و البشائر واقفه على بابهم، و الملك فيهم مؤبّد، و العزّ لهم مسرمد، نائلين غايه الآمال، موفّقين لصالح الأعمال، آمين.

و كان التمام من تحريره فى (٢٥) رمضان المبارك سنة (١٢٦٤).

و تمّ استنساخ هذا الكتاب القيمّ تصحيحا و تحقيقا و تعليقا عليه فى اليوم الثانى من شهر ذى الحجه الحرام سنة (١٤٣٠) هـ ق، على يد العبد الفقير السيّد مهدى الرجائى عفى عنه، فى بلده قم المقدّسه حرم أهل البيت و عشّ آل محمّد عليهم السّلام و عاصمه الثقافه الإسلاميه.

الشهب المكيه على من تعرّض للساده الحسينيه

اشاره

على من تعرّض للساده الحسينيه

للعالم الفاضل

السيد محضار بن عبد الله بن محمد السقّاف

تحقيق

السيد مهدي الرجائي

ص: ٤٤١

بسم الله الرحمن الرحيم

لم أعر في هذه العجالة على ترجمه مبسوطه عن حياه المؤلف، إلا ما ذكره صاحب شمس الظهيره.

قال السيد الشريف عبد الرحمن بن محمد بن حسين المشهور في كتابه القيم شمس الظهيره في نسب أهل البيت من بنى علوى: و منهم آل السقاف بمكّه و القنفذه و الدائل آل عيدروس بن أحمد.

و منهم: السيد محب العلماء محمد بن محمد السقاف المتوفى بمكّه سنه (١٢٨٣)هـ.

و منهم: ابن أخيه محضار بن عبد الله بن محمد، و هو شيخ الساده الآن سنه (١٣٠٧)هـ بمكّه.

و جاء في الصفحه الاولى من النسخه المخطوطه: الشهب المكيه على من تعرّض للساده الحسينيه، تأليف العالم الفاضل، و السيد الهمام الكامل الخ.

أقول: و يستفاد من مجموع ذلك أنّ المؤلف كان من أفاضل و أعيان عصره، و ألف هذه الرساله دفاعا عن ولايه الأمير عبد الله باشا في بلده ظفار.

و هما من الساده الحسينيين آل باعلوى التي تنتهى نسبهم الشريف إلى على العريضى ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

وقد كتبت ترجمه مختصره عن حياه الأمير عبد الله باشا في الهامش عند تعرض المؤلف لاسمه السامى الشريف، كما سيأتى.
وقابلت هذه الرساله على نسخه فريده، أصلها محفوظه في خزانة مكتبه جامعه الرياض في المملكة العربيه السعوديه، برقم: ١٧٥٧.
و الحمد لله رب العالمين، و الصلاه و السلام على محمد و آله الطاهرين.

محرم الحرام - سنه ١٤٣١ هـ

السيد مهدي الرجائي

ص: ٤٤٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ وَ صحبه وَ سَلَّمَ.

نحمدك اللهم يا من جعل البضعه النبويه، شمس الامه المحمديه، و خصّ الشرف و السياده بفروع الزهراء البتول الطاهره النقيه.
و نشكرك على أن أطلعتهم بدورا في أفلاك السعاده الأبدية، و أبرزتهم كواكب الوجود، فكان بهم الإهتدى في الكليه و الجزئيه.

و نصلى و نسلم على سيدنا محمد المكي التهامي المختار، القائل في حديثه:

«و اختارنى من بنى هاشم، فأنا خيار من خيار» (١) و على آله المختصين بالكساء (٢) و المبايله (٣)، و ذريته و أهل بيته اولى الفضائل و المفاضله، و أصحابه

ص: ٤٤٥

١-١) راجع: الإشراف في فضل الأشراف للسمهودى ص ٧٠-٧١.

٢-٢) و هى حديث الكساء، حيث جمع الرسول الأكرم صلى الله عليه و اله أهل بيته على و فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السلام تحت الكساء فى بيت أم سلمه، ثم تلا آيه التطهير، رواه جمع غفير من الفريقين فى معاجمهم الحديثيه.

٣-٣) و هى آيه المبايله قوله تعالى فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعِيدٍ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهُلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ وَ ذَلِكَ حيث أراد الرسول الأعظم صلى الله عليه و اله أن يباهل أهل نجران،

الذين أقاموا الحجّ، و أظهروا المزيد الحقّ المحجّ.

أمّا بعد: فيقول فقير ربّه ذى الإسعاف محضار بن عبد الله بن السيّد محمّد السقّاف: لَمّا اطّلت على نسخه من العصر الجديد، نمره تاريخ (١٥- ذى الحجّه- عام ١٢٩٧) و رأيت عبارته تحت عنوان «الحجاز غريبه» و نادره عجيبه، حيث إنّها تلوّنت بلونين، و جمعت بين ضدّين، و هما الضعف و القوّه، فهى ضعيفه من حيث الاسناد و الاثبات، و قوّه من جهه عظم ما احتوت عليه من القبائح و السيئات، قد مزج فيها مبتدعها حديث الإفك الصريح، و حسى كأس اسنادها المعنعن بالمعضل و الجريح.

حملنى ذلك على إظهار فجر صدق المقال، و إشراق نور الحقّ المثلال، فى مقاله مختصره، و سمّيتها الشهب المكيه على من تعرّض للساده الحسينيه، و أسأل الله التوفيق، إلى أقوم طريق، و هاك سرد عبارته العصر الجديد، لتعلم جوابها بالتحديد، و نصّها:

ورد فى مطالعه أنّ حضره الشيخ فضل أو السيّد فضل باشا نزيل الآستانه، الذى نال رتبه الوزاره من إحسان، الجناب السلطان، من مدّه و جيزه، بعث بكتاب يرجو فيه شيخ ساده الحضارم بمكّه المكرّمه، أن يرفعوا عرض محضر للحضره السلطانيه، متضمّنا شكرهم لعظمتها، و لهمم رجالها الكرام، على توجيه رتبه الوزاره إليه.

و يقال: إنّ القصد فى ذلك إنّما هو إيهاام أهل دار الخلافه بأنّ له حزبا كبيرا،

و عشائر و أنصارا، كالأشراف بمكّه، ليتوصّل إلى طلب إماره الحجاز بناء على ما تقدّم، و على أنّه صار حسيّيا، و من رجال الدوله الكرام.

و لكن ليس بخافى أنّ الساده الحضارم هم أغراب مجاورون بأرض مكّه، و عددهم جميعا لا يبلغ «٢٠٠» نفس، و لا تعترف لهم أهل الحجاز بالنسب؛ إذ لا يعترفون بذلك إلّا للأشراف الذين بين أظهرهم من عهد النبي صلّى الله عليه و اله، و لم يخرجوا من أرض مكّه و سناجقها.

و لا شكّ فى أنّه إذا تولّى فضل باشا الاماره، فلا تستمرّ جزيره العرب على السكينه، و تكثر المشاكل على الحكومه، فإنّ العربان لا يهابون الأمير إلّا إذا كان من الأشراف المعروفين بكثره العشيره. إنتهى ملخصا بالحرف.

فأقول: إنّ حضره مولانا الهمام، و العلم الإمام، السيّد فضل علوى باشا (١)، بلغه الله

ص: ٤٤٧

١ - ١) هو السيّد فضل باشا بن علوى بن محمّد بن سهل بن محمّد بن أحمد بن سليمان بن عمر بن محمّد بن سهل بن عبد الرحمن الباعلوى أمير ظفار. قال فى الشمس الظهيره (١:٣٠٨): و منهم الآن سنه (١٣٠٧) السيّد فضل بن علوى بن سهل، شريفا فاضلا، و كان والده من كبار الصالحين الخ. و قال فى الهامش: و السيّد فضل باشا ولد فى ملابر بالهند، و قيل: فى حضر موت، نشأ تحت رعايه والده، و تلقّى عن علماء، تولّى اماره ظفار فى شعبان سنه (١٢٩٢) بدعوه من أهلها، و تأييد الدوله العثمانيه فى استانبول، ثم انفصل عنها بدسائس خفيه سنه (١٢٩٦) ه و أقام فى استانبول، و كان له مقام عظيم فى عهد السلطان عبد الحميد، و توفّى عام (١٣١٨) ه الخ. أقول: و ذكرت تفصيل نسبه الشريف فى المجلّد الثانى من كتابى المعقبون من آل أبى طالب، فراجع.

من الخيرات ما شاء و ما يشاء من أشرف الساده الحسينيين، العلويين نسبا، و أكرمهم حسبا، و له مدّه مديده، و أشهر عديده، نزيل عند الحضرة السلطانيه، و الذات الشاهانيه، أدامها ربّ البريه، لا قصد له إلا استعطاف مكارم الدوله العليّه، لإصلاح بلاد ظفار (١) مأوى سلفه، و نشر ألويه الدوله العثمانيه بها له و لخلفه، حيث إنّها مستعدّه للعماره، و مشتمله على منابع الثروه و التجاره.

فلما رأت الحضرة السلطانيه أنّ تفويض إداره ذلك المحلّ يستلزم تقليده رتبه الوزاره السنيّه، تطبيقا للقوانين الدوليه المرعيّه، أنعمت عليه بهذه الرتبه العليّه، بعد تحقّقها و اطلاعها على ما رأته فيه من كمال الاستحقاق، و مزيد الفضل الشايح في الآفاق.

فتلقّاها المشار إليه بالقبول، لإشعارها بين الدول بالالتفات الموصل للمأمول، و لا شكّ في إصابتها بما فعلت، و نجحها لما قصدت.

و ما أحسن الأشياء يوما إذا أتت إلى أهلها من أهلها في محلّها

و هو أوّل حسيني علوي نال هذا المقام، و وصل إليه بمزيد العزّ و الاحترام، في أيسر زمان، بكرم المولى المئان.

فقول المبتدع «في مدّه وجيزه» الخ. حسد و بهتان، و هو لا يؤثر قبحا في وجوه الحسان، كما قيل:

ص: ٤٤٨

١ - ١) هي مدينه باليمن في موضعين: إحداهما قرب صنعاء، و هي التي ينسب إليها الجزع الظفاري، و بها مسكن ملوك حمير، و قد قال بعضهم: إنّ ظفار هي صنعاء نفسها، و لعلّ هذا كان قديما، فأما ظفار المشهوره اليوم، فليست إلا مدينه على ساحل بحر الهند، بينها و بين مرباط خمسه فراسخ. معجم البلدان.

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا فضله فالكل أعداء له و خصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسدا و بغضا أنه لذميم

و قول المبتدع «إنَّ الساده الحضارم أغراب مجاورون بمكّه» هذا قول جهول حاسد، و مبغض معاند، يستحقّ عليه الطرد و الحرمان، و الوبال و الخسران، و غضب الملك المَنَّان؛ لأنّه بما ادّعاه كاذب مغرور، و ليس له اطلاع على ما هو حوته التواريخ و السطور، فإنّ خروج الحسينيين كغيرهم من مكّه إنّما كان لتسلّط يزيد و الحجاج و القرمطى و بنى اميه، فخافوا على دينهم القوى، و تحصّوا بالحصون القويّه، و لكن مرد الفصل لأصله، و الرمح لا يزهو إلاّ بنصله، كما قيل:

فإنّ الماء ماء أبى و جدّى و بثرى ذو حفرت و ذو طويت

و قال الشاعر:

نعرف البطحاء و تعرفنا و الصفا و البيت يألفنا

و لنا المعلّى و خيف منى فاعلمن هذا و كن و كن

و لنا خير الأنام أب و على المرتضى حسب

و إلى السبطين ننتسب نسبا ما فيه من و هن

و قال الشاعر:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس و لم يسمر بمكّه سامر

بلى نحن كئنا أهلها فأبادنا صروف الليالى و الدهور العواثر

و فى خروجه صلّى الله عليه و اله من مكّه إلى المدينه المشرفه أعظم سرّ و اسوه لمن عرفه، و هو صاحب الرساله و الوسيله، و صاحب ذيل الكمال و الجلال و الفضيله، كما قيل:

و كم بدت الأوطان يوما بأهلها فأورثهم عزّ الحياه التغرّب

و هذا رسول الله فارق مكّه على جفوه لم ترضها فيه يثرب

فالحسينيون و الحسينيون إذا خرجوا عن الأوطان، و حفظوا أنسابهم بكمال الاتقان، بالشواهد و الأدله و البرهان، لا يكون سببا في حرمان ميراث الأماكن و البلدان، و لو تقادم الزمان، و الدعوه و النسبه للأب، كما نصّ عليه في كلام الملك الربّ (١).

و قول المبتدع «و عددهم جميعا لا يبلغ» الخ، ممّا يفيد القله، فهو باطل حسّا و معنى.

أمّا بطلانه حسّا، فلأنّهم بحمد الله تعالى العدد المتكاثرو، و الخير العظيم الوافر، فمجتمعهم يبلغ مائتي ألف أو يزيدون (٢)، و فيهم الذاهب و الآيب لحجّ بيت الله الحرام، مستوطنون و مترحلون (٣).

و قد دعا جدّهم الأعظم، و الرسول الكريم المعظم، صلّى الله عليه و على آله و أهل بيته و ذريته و عترته و سلّم، لسيدنا على عليه السّلام و الزهراء عليها السّلام في بعض مقاله بقوله: بارك عليكما، و أخرج منكما كثيرا طيبا. حتّى قال سيدنا أنس: فو الله لقد أخرج منهما الكثير الطيب (٤).

ص: ٤٥٠

١- ١) في قوله تعالى اذْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ اَفْسَطُ عِنْدَ اللّهِ الْاَحْزَاب: ٥.

٢- ٢) و قد ألف جمع من النسايين أنسابهم المطهّره في كتاب مستقلّ، كالعلامة السيّد عبد الرحمن السقّاف في كتابه شمس الظهيره في أنساب خير البريّه، و غيره، و جمعت أنا نبذه يسيره من أنسابهم في عدّه صفحات في كتابي المعقبون من آل أبي طالب، فراجع.

٣- ٣) و قد ذكر العلامة السيّد رضى الدين العاملى جمع منهم ممّن سكن في مكّه المكرّمه و المدينه المنوره في كتابه تنزيذ العقود الستيه، فراجع.

٤- ٤) رواه السمهودى في كتاب الإشراف على فضل الأشراف ص ١٧٨، و محبّ

و أمّا معنى، فلقول الحماسي:

تعيّرنا أنا قليل عديدا فقلت لها إنّ الكرام قليل

و ما ضرنا أنا قليل و جارنا عزيز و جار الأكثرين ذليل

و قول المبتدع «لا تعترف لهم أهل الحجاز بالنسب» الخ. هذا قول من لم يميّز بين الكفر و الاسلام، و لم يعرف الفرق بين الإنعام و الأنعام، فهو ممّن يكذّبه الظاهر؛ إذ يشهد بالاعتراف لهم البادي و الحاضر، فإنّ اتصال نسب الساده العلويّه الحسينيه بصاحب الرساله صلّى الله عليه و اله (1) أمر ثبت بالتواتر و الاجماع، و قد تحرّر في الرقاع، و ملأ الأسماع و البقاع، بغايه الحفظ و التوقّي، و الدقه و التلقّي، خلفا عن سلف، بالنقل و البرهان، ممّا لا يختلف فيه اثنان، و لا ينتطح فيه كبشان، و من رأى بعض المؤلّفات في أنسابهم حصل له كمال الاقناع بلا بهتان، فلا يقدر فيهم الغلط الواضح، و الخطأ الفاضح، كما قيل:

و من يقل للمسك أين الشذا كذّبه في الحال من شمّه

و قال الآخر:

و هبني قلت إنّ الصبح ليل أيعمى العالمون عن الضياء

و قال الآخر:

إذا لم يكن للمرء عين صحيحه فلا شكّ أن يرتاب و الصبح مسفر

فإن أثبت شخص نسبة شرعا بشاهدين، فقد أثبت الحسينيه العلويه عند قدمهم لحضرموت نسبهم بمئين، كما صرح بذلك بعض المؤرّخين، قال تعالى:

ص: ٤٥١

١-١) ينتهي نسبهم الشريف إلى علي العريضي ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١) و قال الشاعر:

و إذا لم تر الهلال فسلم لاناس رأوه بالأبصار

كيف و قد اعتنى بالساده العلويّه امراء مكّه الفخام، و السلاطين العظام، حتّى ميزوا القاطنين منهم بمكّه و المدينه بأوامر و فرمانات مخصوصه، حتّ فيها و زراؤها و قضاتها بعبارات منصوصه (٢)، على إعطاء حرمتهم، و القيام بمحبتهم، مع التحزّي في أنسابهم، و حفظ شرفهم و أحسابهم، بغايه العزّ و الاحترام، و الفضل و الاكرام.

و رأينا العلماء و الفضلاء من أهل الحجاز، يتوسّلون بهم في المهمّات، و يهرعون إليهم في السنين الممحلات، و عند حدوث المصائب المدلهّمات، و يحثّون العامّه على حبّ البضعه النبويّه في مؤلّفاتهم و خطبهم العظيّمات، فصار لهم فيه التمييز التامّ، و التقدّم الذي يشهد به الخاصّ و العامّ، كما قال الشاعر:

و لا عيب فينا غير أنّ اصولنا لها سبب بالمرسلين وثيق

و أنّ ظلام الجهل يمحي بذكرنا و أنّا بكلّ المكرمات حقيق

و قد تكلم جمع من المؤلّفين على صحّه نسبتهم و تحقيقتها، كاليافعي، و الخزرجي، و العواجي، و الشرجي، و ابن حجر، و غيرهم، في مؤلّفاتهم و تواريخهم، حتّى أنّ الحبيب أبا بكر بن عبد الله العيدروس (٣) له قصيده طويله في

ص: ٤٥٢

١- ١) سورة الزمر: ٩.

٢- ٢) عندى صوره بعض فرامينهم في مجموعه من الوثائق التي يرتبط بالمدينه المنوره.

٣- ٣) راجع: النور السافر عن أخبار القرن العاشر ص ١٢٤.

ذلك، حَقَّقَ فيها المقال، و عدَّدَ فيها أهل الفضل و الكمال.

و يكفى فى المعرفة ما ذكره المؤرِّخون من أنَّ جدَّ الحسينيين سيِّدنا زين العابدين عليه السَّلام لَمَّا قصد المطاف و هو بغايه الازدحام، و أراد استلام الحجر الأسود، تنحَّى له الناس هيبه و حرمة و رعايه و معرفه حتَّى استلمه، و هشام بن عبد الملك قد نصبوا له منبرا ينتظر خفَّه الزحام و هو ابن الخليفه، فسأله عنه أهل الشام، فقال: لا- أعرفه، مخافه أن يرغبوا فيه، و كان الفرزدق حاضرا، فقال: أنا أعرفه، فقال له الشامى: من هو؟ فأنشدا ارتجالا قصيده غزَّاء طويله منها قوله:

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته و البيت يعرفه و الحلَّ و الحرم

هذا ابن خير عباد الله كلَّهم هذا التقى النقى الطاهر العلم

هذا ابن فاطمه إن كنت تجهله (١) بجدِّه أنبياء الله قد ختموا

فليس قولك من هذا بضائره العرب تعرف من أنكرت و العجم (٢)

و من كان جدِّهم بهذه المزيَّه، أ فلا يكون أبناؤه معروفين بين البريَّه.

نعم إن أراد المبتدع بأهل الحجاز بواديه و أعرابه من القبائل، فشهره الحسينيين لديهم ظاهره، و أمَّا قبائل حضرموت و اليمن و العراق، فشهره الحسينيين عليهم وافر.

و قول المبتدع «لا شكَّ فى أنه إذا تولَّى فضل باشا» الخ. فهو شخص مخادع، مضرَّ غير نافع، و يسعى بإلقاء الفساد، و إيقاظ الفتن بين العباد، يستحقَّ عليه النكال، و الجزاء و الوبال، كيف هذا؟ مع أنَّ من أيَّدته الدوله، رأيت ازدحام الناس

ص: ٤٥٣

١- ١) فى الديوان: جاهله.

٢- ٢) ديوان الفرزدق ٢٨٩: ٢- ٢٩٠.

حوله؛ إذ يعلو و يجلّ جناب السيّد المشار إليه أنّه إذا وجّه إليه حضره مولانا السلطان بلاد ظفار و أعمالها، بالعدد و المدد أن يحصل فيها أيّ مشكل بلا سبب بين الرعايا و عمّالها. و أمّا المشكلات بالأسباب، فهى بين الدوله مفتوحه الباب، لكن كما قيل:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتّى يراق على جوانبها الدم

و أفضل الناس من كثر حاسدوه، و إنّما يعرف الفضل من الناس ذووه، و تؤمّل إن شاء الله تعالى حصول مطلوبه، و إجراء لازم مرغوبه.

و أمّا ما ذكره صاحب مقاله من خصوص الساده الأشراف، سلاله آل عبد مناف، فهو أمر مسلّم على الإطلاق بلا خلاف، فإنّ اماره مكّه و العرب قد خصّت بالحسينين، و هذا الأمر لا يحتاج إلى برهان و لا تبين، من جهات عديده يطول فيها المقال، و ليس للبحث فيها مجال، و هم الحريون بقول الشاعر:

إنّ أسيفنا الطوال الدوامى صيّرت ملكنا طويل الدوام

نحن قوم لنا سداد امور و اصطلام الأعداء من وسط لام

و اقتسام الأموال من وقت سام و اقتحام الأهوال من وقت حام

و كما قيل:

أبى الله و الخطيه السمر و الظبا و كلّ كمى لا يرى الذلّ مذهبا

بأن يتولّى أمر مكّه حاكما سوى من له سيف طويل له شبا

و مع هذا فالحسينيون و الحسينيون قرابتهم لبعضهم معروفه، و ائتلافهم على غيرهم فى الحاجه مألوفه، فليس للعدوّ بينهم مجال، و لا للحاسد فيهم مقال.

و يؤيّد ذلك ما ذكره أهل التواريخ و غيرهم أنّ الناصر العباسى لمّا طلب الشريف قتاده سنه (٦٠٩) و سار إليه متوجّها إلى أن وصل النجف، بلغ الخليفه

وصوله، فأخرج للقاءه العلماء والأعيان وكبراء الدوله، وكان ممّا أخرجوه معهم أسدا في سلسله، فلما رآه الشريف قتاده تطير، و قال: ما لى ولأرض تذلل فيها الاسود، والله لا دخلتها، ورجع من النجف ولم يدخل العراق.

فلما بلغ الناصر ذلك كتب إليه يعاتبه، فكتب إليه الشريف قتاده الجواب، و من جمله قوله رحمه الله تعالى:

بلادى و إن جارت على عزيزه و لو أننى أعرى بها و أجوع

ولى كفّ ضرغام إذا ما بسطتها بها أشتري يوم الوغا و أبيع

معوّده لثم الملوك لظهرها و فى بطنها للمجدين ربيع

أتركها تحت الرهان و أبتغى بها عوضا إننى إذا لرقيع

و ما أنا إلا المسك فى غير أرضكم أضوع و أما عندكم فأضيع

فلتيا وصل للناصر هذا الجواب، كتب إليه: أما بعد، فإذا نزع الشتاء جلبابه، و لبس الربيع أثوابه، قابلناكم بجنود لا قبل لكم بها، و لنخرجنكم منها أذله و أنتم صاغرون، فلما أحس الشريف قتاده بالشر، كتب إلى بنى عمّه الحسينيين بالمدينه يستنجدهم بهم، و من جمله كلامه قوله:

بنى عمنا من آل موسى و جعفر و آل حسين كيف صبركم عنا

بنى عمنا أنا كأفنان دوحه فلا تتركونا يتخذنا الفنا فنا

إذا ما أخ خلى أخاه لآكل بدى بأخيه الأكل ثم به ثنا

فلما أقبلت الجنود الناصريه، أتته بنو حسين فكسروها و بددوا شملها، فلما رأى الخليفه شدّه بأسه، مدحه على سيرته، و أولاه صفا سيرته، و أقطعه قرى

متعدده (١). انتهى باختصار.

هذا، وقد ظهر بما شرحناه ووضحناه، وسردناه وبيّناه، أنّ المبتدع في هذه المقالة مغرور، وأنّ افتراه وهديانه فحش و فجور، نشأ منه من قريحه خامده، و طبيعه جامده، حمله عليها انعكاس الزمان بتجزّي الجهّال، وسكوت أهل الكمال، حتّى صار الجواد دون الحمار المصرى، وأبو جهل يقدح في الحسن البصرى.

ثمّ إنّّه لا بأس بذكر شيء ممّا ورد من الآيات والأحاديث في البضعة النبويّه، والسلاله الهاشميّه، حسنيّه كانت أو حسينيّه، الدالّ على حبّهم وفضلهم، وإكرامهم، و ذمّ بغضهم.

الآيات الواردة في فضل أهل البيت عليهم السلام

فمن ذلك: قوله سبحانه وتعالى إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً (٢).

وقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر (٣) و أئى وسخ و قدر أقدّر من الذنوب، فدخل أولاد فاطمه عليها السلام كلّهم؟.

وقوله تعالى قل لا أسئلكم عليه أجرًا إلاّ المودّة في القربى (٤).

ص: ٤٥٦

(١-١) إتحاف فضلاء الزمن للطبرى ١:١١٥-١١٦.

(٢-٢) سورة الأحزاب: ٣٣. راجع: إحقاق الحقّ ١:٥٠١-٢:٥٦٢ و ج ٣:٥١٣-٣:٥٣١ و ج ١:٩٠-٩٩ و ج ١٤:٤٠-١٥:١٠٥ و ح ١٨:٣٥٩-٣٨٣.

(٣-٣) سورة الفتح: ٢.

(٤-٤) سورة الشورى: ٢٣. و راجع: إحقاق الحقّ ٢:٣-٢٣ و ج ٩٢:٩-١٠١ و غيرها.

وقوله تعالى إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (١) لَمَّا سَأَلَتِ الصَّحَابَةُ عَنْ كَيْفِيَّةِ الصَّلَاةِ فَأَجَابَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ بِقَوْلِهِ: قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ (٢).

وقوله تعالى وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (٣) قَالَ الْوَاحِدِيُّ: أَيْ عَنْ وِلَايَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ (٤).

وقوله تعالى وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا (٥) قَالَ سَيِّدُنَا جَعْفَرُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

نحن جبل الله (٦).

وقوله تعالى سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُحْيَىٰ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ إِنَّهُمْ سُلُوفٌ (٧) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: الْمُرَادُ بِهِمْ آلُ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ (٨).

وقوله تعالى أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُمْ عَلَيْهمُ السَّلَامُ هُمُ النَّاسُ (١٠). وغير ذلك.

ص: ٤٥٧

١-١) سورة الأحزاب: ٥٦.

٢-٢) راجع: إحقاق الحقّ ٣:٢٥٢-٣:٢٧٤ و ج ٩:٥٢٤-٩:٦٠٥.

٣-٣) سورة الصافات: ٢٤.

٤-٤) راجع: إحقاق الحقّ ٣:١٠٤ و ج ١٤:١٨٢-١٤:١٨٥.

٥-٥) سورة آل عمران: ١٠٣.

٦-٦) راجع: إحقاق الحقّ ٣:٥٣٩ و ١٤:٣٨٤-١٤:٣٨٦ و ٩:٥٢١-٩:٥٣٢.

٧-٧) سورة الصافات: ١٣٠.

٨-٨) راجع: إحقاق الحقّ ٣:٤٤٩ و ج ٩:١٢٧-٩:١٢٩ و ١٤:٣٦٠-١٤:٣٦٢.

٩-٩) سورة النساء: ٥٤.

١٠-١٠) راجع: إحقاق الحقّ ٣:٤٢٤ و ح ١٤:٣٤٨ و ٣٥٠.

و أما الأحاديث، فكثيره، فمن ذلك: قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِنَّ كُلَّ سَبَبٍ وَ نَسَبٍ مَنَقَطَعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ كَانَ مِنْ سَبَبِي وَ نَسَبِي (١).

و قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَزْعُمُونَ أَنَّ قَرَابَتِي لَا تَنْفَعُ، إِنَّ كُلَّ سَبَبٍ وَ نَسَبٍ مَنَقَطَعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا سَبَبِي وَ نَسَبِي، وَ إِنَّ رَحْمِي مَوْصُولَةٌ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ (٢).

و لهذا الحديث تزوج عمر بن الخطاب أم كلثوم، كما هو مشهور و معلوم (٣).

و قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ يُؤْذُونِي فِي نَسَبِي وَ ذَوِي رَحْمِي، أَلَا وَ مَنْ آذَى نَسَبِي وَ ذَا رَحْمِي فَقَدْ آذَانِي، وَ مَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ (٤) الْآيَةَ (٥).

و قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَزْعُمُونَ أَنَّ رَحْمِي لَا تَنْفَعُ، بَلْ تَنْفَعُ حَتَّى تَبْلُغَ حَاوِحَكُمْ، إِيَّيَ لِأَشْفَعُ فَاشْفَعْ، حَتَّى إِنْ أَبْلِسَ لِيَتَطَاوَلَ طَمَعًا فِي الشَّفَاعَةِ، وَ حَاوِحَكُمَا حَيَّانٌ مِنَ الْيَمَنِ (٦).

و قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ يُؤْذُونِي فِي قَرَابَتِي، مَنْ آذَى قَرَابَتِي فَقَدْ آذَانِي، وَ مَنْ

ص: ٤٥٨

١-١) الإشراف في فضل الأشراف للسمهودي ص ١٤٥.

٢-٢) الإشراف في فضل الأشراف للسمهودي ص ١٤٥، و ذخائر العقبى ص ٦.

٣-٣) الإشراف في فضل الأشراف للسمهودي ص ١٤٢-١٤٣.

٤-٤) سورة الأحزاب: ٥٧.

٥-٥) راجع: إحقاق الحق ٥٦٧: ٣.

٦-٦) الإشراف في فضل الأشراف للسمهودي ص ١٤٢.

آذاني فقد آذى الله (١).

و قال صَلَّى الله عليه و اله: حبّ آل محمّد خير من عباده سنه، و من مات عليه دخل الجنّه (٢).

و قال صَلَّى الله عليه و اله: لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار (٣).

و قال صَلَّى الله عليه و اله: أيّها الناس إنّما أنا بشر مثلكم، يوشك أن يأتيني رسول ربّي فاجيبه، و إنّي تارك فيكم الثقلين: أولهما كتاب الله عزّ و جلّ فيه الهدى و النور، فتمسّكوا بكتاب الله و خذوا به، فحثّ فيه و رغب، ثمّ قال: و أهل بيتي، اذكركم الله عزّ و جلّ في أهل بيتي، ثلاث مرّات (٤).

و قوله صَلَّى الله عليه و اله: أيّها الناس إنّ الفضل و الشرف و المنزله و الولاية لرسول الله صَلَّى الله عليه و اله و ذريته، فلا تذهبنّ بكم الأباطيل (٥).

و غير ذلك ممّا ورد في توقيهم و صلّتهم (٦)، لا سيّما إذا كانوا مقتفين سنن جدّهم بالاتباع، و مقتدين بشريعته الطاهره في كلّ البقاع، فإنّهم أهل بيت أسّس الله قواعده على التقوى، و جعل أهله بدور السعاده في السرّ و النجوى، كما قيل:

ذريه مثل ماء المزن قد طهروا و طهروا فصفت أوصاف ذاتهم

ص: ٤٥٩

١-١) راجع: إحقاق الحقّ ١٨:٥٠١ و ٥٤٣.

٢-٢) راجع: إحقاق الحقّ ٩:٤٩٧-٩:٤٩٨ و ١٨:٤٨٣ و ٤٨٦.

٣-٣) راجع: إحقاق الحقّ ١٨:٥٤٥.

٤-٤) راجع: إحقاق الحقّ ٤:٤٣٦-٤:٤٤٣ و ج ٩:٣٠٩-٩:٣٧٥.

٥-٥) راجع: إحقاق الحقّ ١١:٢٨٢-١١:٢٨٣.

٦-٦) راجع فضائلهم و مناقبهم المرويّه عن طريق العامّه إلى كتاب إحقاق الحقّ و ملحقاتها للقاضي الشهيد التستري و السيّد المرعشي النجفي، و كتاب الإشراف على فضل الأشراف للسهمودي.

قد حَقَّقَتْ سورهُ الأَحزاب ما جحدت أَعداؤُهُم وأبانت وجهُ فضلِهِم

كفاهم ما بَعَمَ والضحي شرفا والنور والنجم من آي أتت بهم

سل الحواميم هل فى غيرهم نزلت و هل أتى هل أتى إلا بمدحهم

كأن من نفس الرحمن أنفسهم مخلوقه فهو مطوى بنشرهم

تنسكوا وهم أسد مظفره فاعجب لفسك وفتك فى طباعهم

وقال الآخر:

الثك الناس إن عدوا و إن ذكروا و من سواهم فلغو غير معدود

لو خلد الدهر ذى عز لعزته كانوا أحق بتعمير و تخليد

وقال الشافعى:

يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله فى القرآن أنزله

كفاكم من عظيم القدر أنكم من لم يصل عليكم لا صلاه له (1)

وقال آخر:

آل بيت النبى طبتم و طاب المدح لى فيكم و حقّ الثناء

سدتم الناس بالتقى و سواكم سؤدته البيضاء و الصفراء

وقال آخر:

يا بنى الزهراء و النور الذى ظن موسى أنه نار قبس

لا يوالى الدهر من عاداكم أنه أخطر سطر فى عبس

وقوله:

ألا يا محب المصطفى نرد صبابه و ضمخ لسان الذكر منك بطيبه

و لا تعبان بالمبطلين فإنما علامه حبّ الله حبّ حبيبه

هذا، و لو أراد أحد أن يحصر فضائلهم و مزاياهم في مسطور، بما يبهر العقول و يملأ السطور، لملأ من ذلك أسفارا، و ما يدرك منها معشارا، و قد سارت بكراماتهم الركبان، و عمّ نفع دعواتهم الصالحه جميع البلدان، فهم شمس أفلاك الوقت و الأوان، و بدور منازل الأزمان، الحريون بقول القائل:

هم الصائمون هم القائمون هم العالمون بآدابها

هم الزاهدون هم العابدون هم الساجدون لمحرابها

هم قطب مله دين الإله و دور الرحاه بأقطابها

هذا.

فأئده

يحتاج إليها الأديب، و لا يستغنى عنها الحاذق اللبيب، في الشريف و السيد.

إعلم أنّ اسم الشريف كان يطلق في الصدر الأوّل على كلّ من كان من أهل البيت، سواء كان حسنيًا، أو حسينيًا، أو علويًا، أو جعفريًا، أو عقيليًا، أو عباسيًا، و لهذا تجد تاريخ الحافظ الذهبي مشحونا في التراجم بذلك، بقوله: الشريف العباسي، الشريف العقيلي، الشريف الجعفري، الشريف الزينبي.

فلما ولي الخلفاء الفاطميون بمصر، قصّروا اسم الشريف على ذريه الحسن و الحسين عليهما السلام فقط، فاستمرّ ذلك بمصر إلى الآن. إلى آخر كلام السيوطي (١).

و قال الحافظ ابن حجر في كتاب الألقاب: الشريف ببغداد لقب كلّ عباسي،

ص: ٤٦١

(١ - ١) العجاجة الزرنبيه في السلاله الزينبيه المطبوع في الحاوى للفتاوى ٣١: ٢-٣٢.

و بمصر لقب لكل علوى الخ (١).

وقال الشيخ ابن حجر فى التحفه فى باب الوصايا: والشريف المتسب من جهه الأب إلى الحسن و الحسين؛ لأن الشرف و إن عم كل شريف إلا أنه اختص بأولاد فاطمه عليها السلام عرفا مطردا عند الاطلاق. و مثله السيد هو فى الأصل من يفوق أقرانه و خصه العرف بأولاد الحسين عليه السلام فى جميع الجهات الاسلاميه من غير نكير (٢).

و الحمد لله على التمام فى المبدىء و الختام، و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و ذريته و أهل بيته و عنرته و سلم. تم فى ٤ رجب سنة (١٢٩٨).

و تم استنساخ هذه الرساله تصحيحا و تحقيقا و تعليقا عليها فى يوم العشرين من محرّم الحرام سنة (١٤٣١) على يد العبد الفقير السيد مهدي الرجائي فى بلده قم المقدسه حرم أهل البيت و عش آل محمد عليهم السلام.

ص: ٤٦٢

١- (١) العجاجة الزنبيه عنه ٣١: ٢-٣٢.

٢- (٢) راجع: إسعاف الراغبين ص ٤٧، و الشرف المؤبد ص ٤٠.

ترعبه الشرفب مبسن بن بسبن بن زبب بن مبسن بن بسبن البسنب ٣

البوابب الوابعب فب بوبه هبب الشرفب ٤

وفاه الشبب مببب الشرنبلالب ٥

بوبه السلطان مبصطفب بان ٥

بصول باعون عظبم ببعباب ٥

وصول الشرفب بعبب بن برباب إلب مبب ٤

وفاه السلطان سلبمان بان ٤

بببب الشرفب سعبب على الشرفب مبسن ٤

ترعبه الشرفب عبب الله بن هاشم بن عبب المببب بن بسن بن أبب نمب ٧

ترعبه الشرفب سعبب بن سعد بن زبب بن مبسن بن بسبن بن بسن البسنب ١٠

ببب ولابابب الببسبه ١٣

وفاه الشرفب أابم بن بازم البسنب ٢٣

وفاه الشبب مببب الشبببب ٢٤

ترعبه الشرفب عبب المبسن بن أابم بن زبب بن مبسن بن بسبن البسنب ٢٤

ترعبه الشرفب عبب البربم بن مببب بن بعلب بن موسى بن برباب البسنب ٢٩

ببب ولاببب البوبب ٣٠

ذكر ولايته الثانيه ٣١

ذكر ولايته الثالثه ٣٣

الحوادث الواقعه فى أيام إمره هذا الملك المعظم ٣٤

وفاه الشيخ عبد الله القرشى الشيبى ٣٤

قتل الشيخ فضل الله الأفندى ٣٤

وفاه الشيخ عبد الوهاب الهندى ٣٦

قتل السيد على مير ماه ٣٦

إرسال الشاه حسين الصفوى هديّه ستيه إلى المدينه ٣٧

وفاه السلطان أورنك زيب ملك الهند ٣٧

وفاه السيد على نور الدين العاملى المكى ٣٨

وفاه الشيخ عبد الله طرفه المكى ٤٧

وفاه الشيخ حسن الخطيب ٤٧

وفاه السيد على بن أحمد المدنى صاحب سلافه العصر ٤٨

وفاه الشيخ عبد الرحمن مفتى الهند ٥٨

وفاه الوزير عثمان حميدان ٥٩

وفاه السيد سالم السقاف ٥٩

عزل الشريف عبد الكريم بن محمّد الحسنى ٥٩

ترجمه الشريف عبد الله بن سعيد بن سعد بن زيد بن محسن الحسنى ٦٠

الحوادث الواقعه بعد رجوع الشريف من الحجاز ٦٨

وفاه محمّد المهدي بن أحمد إمام اليمن ٧١

ترجمه الشريف على بن سعيد بن سعد بن زيد بن محسن الحسنى ٧٧

ص: ٤٦٤

ترجمه الشريف يحيى بن بركات بن محمد بن إبراهيم الحسنى ٨٤

كيفيه شرافه الشريف يحيى بن بركات على مكّه ٨٦

مناقب الشريف يحيى بن بركات ٨٩

الحوادث الواقعه فى شهور دولته ٩١

وفاه السيد زين العابدين الصحرا ٩١

وفاه الرئيس عبد اللطيف الموقت ٩١

ترجمه الشريف مبارك بن أحمد بن زيد بن محسن بن حسين الحسنى ٩١

الاشتعال الهائل فى جدّه ١٠١

الحروب العظيمة بنواحي ينبع ١٠٢

إثاره الفتنة بين شريف مكّه و الساده الأشراف ١٠٦

إثاره فتنة عظيمه بالمدينه ١٠٨

قصيده السيد جعفر بن محمد البيتى ١١٢

قصيده الشيخ تاج الدين بن عارف المنوفى ١١٨

قصيده الشاعر صفى الدين الحلّى ١٢١

حول قصيده الشيخ تاج الدين المنوفى ١٢٤

الحوادث الواقعه فى أيام شرافه هذا الملك المعظم ١٢٦

وفاه الشيخ عبد الله بن سالم البصرى ١٢٦

رثاء والد المؤلف للشيخ عبد الله البصرى ١٣١

ترجمه الشيخ سالم بن عبد الله البصرى ١٣٣

توليه الشريف يحيى بن بركات الثانيه ١٣٨

الحوادث الواقعة في سنة خمس و ثلاثين و مائه و ألف ١٤٠

ص: ٤٦٥

فتنه عبيد الساده و عساكر على باشا ١٤٥

الحوادث الجمه بين الشريف و عساكر الوزير ١٤٥

ترجمه الشريف بركات بن يحيى بن بركات بن محمد الحسنى ١٥٠

وفاه الشريف حسن بن غالب الحسنى ١٥٣

ترجمه الشريف مبارك بن أحمد بن زيد توليته الأخيره ١٥٤

توليه الشريف عبد الله بن سعيد بن سعد بن زيد الأخيره ١٦٢

خروج الشريف محسن بن عبد الله إلى جهه الشرق ١٦٨

الحوادث الواقعه فى دولته ١٨٦

وفاه السيد حسن الغرب ١٨٦

وفاه الشيخ عباس القطبى ١٨٧

وفاه الشريف حامد بن محمد الحسنى ١٨٧

وفاه السيد حسن بن زين العابدين الصحرا ١٨٧

وفاه الشيخ محمد بن أبى بكر العربى ١٨٨

وفاه قاضى مكّه المشرفه ١٨٨

تفويض قضاء مكّه للمفتى عبد القادر ١٨٨

وفاه السيد ظافر بن محمد بن خيرات الحسنى ١٩٠

تحقيق لطيف حول شعر الحرابى ١٩١

تحقيق لطيف حول كلام العرب و محاوراتهم ١٩٦

وفاه السيد محمد بن أحمد الحسنى النموى ١٩٨

وفاه الشيخ محمد شمس الرومى ١٩٨

وفاه الشيخ محمد بن تاج الدين المالكي ١٩٩

ص: ٤٦٦

وفاه الشيخ محمد الأسدي المدرّس ١٩٩

وفاه الشيخ يحيى بن عوض باقشير ٢٠٠

وفاه القاضي إسماعيل بن عيسى المرشدي ٢٠١

وفاه الشيخ عبد القادر الصديقي ٢٠١

وفاه السيد عنان بن جازان الحسنى النموى ٢٠٧

وفاه الشيخ عبد الله باشيخ الحضرمى ٢٠٧

قتل السيد عبد الكريم البرزنجى ٢٠٨

وفاه الشيخ أحمد بن عمر بن عبد الكريم ٢٠٩

وفاه السيد شبير بن مبارك الحسنى ٢٠٩

قصيدته والد المؤلف فى السيد شبير ٢١٠

وفاه الشيخ سعيد بن محمد القطبى ٢٢١

وفاه الشيخ حسين بن محمد العصامى ٢٢١

وفاه السيد إبراهيم بن نعمه الله القادري ٢٢١

وفاه العلامة يحيى بن محمد الطبرى ٢٢٢

وفاه الشيخ عبد الهادى المؤرخ ٢٢٣

وفاه الشيخ محمد العباسى ٢٢٣

وفاه السيد عامر بن يحيى المساوى ٢٢٣

وفاه الشيخ عبد الله بن أحمد المكي ٢٢٣

وفاه السيد أبى بكر بن محمد بن يوسف ٢٢٤

وفاه السيد محمد البخارى ٢٢٤

التوسعة في بناء مسجد الحرام ٢٢٥

ص: ٤٦٧

هجوم العساكر فى بندر جدّه على الأفرنج ٢٢٥

وفاه السيّد شبر بن حسن الحسنى النموى ٢٢٦

وفاه السيّد محمّد العاملى الموسوى والد المؤلّف و نبذه من ترجمته ٢٢٧

وفاه السلطان إسماعيل ملك الغرب ٢٣٨

حوادث سنه أربعين و مائه و ألف ٢٣٩

خروج شريف مكّه إلى نواحي الشرق ٢٣٩

رخاء الأسعار فى هذه السنه ٢٣٩

وفاه السيّد بشير بن مبارك الحسنى ٢٤١

وفاه السيّد أحمد بن أبى بكر بن عقيل المكى ٢٤٣

وفاه الشريف عبيد الله بن حسن بن جود الله الحسنى ٢٤٤

وفاه الواعظ يحيى أفندى ٢٤٤

وفاه السيّد جعفر بن السيّد أحمد ميرك ٢٤٤

وفاه الشيخ عثمان بن الشيخ أحمد شمس ٢٤٦

وفاه الشيخ محمّد العناتى المغربى ٢٤٦

وفاه الشيخ شرف الدين المصرى الشافعى ٢٤٨

وفاه القاسم المتوكّل إمام اليمن ٢٤٧

حوادث سنه ألف و مائه و إحدى و أربعين ٢٤٧

وفاه الشيخ يحيى بن عبد القادر المكى ٢٤٨

وفاه الشيخ محمّد صالح بن عبد الهادى الطاهر ٢٤٨

وفاه الشيخ محمّد بن عبد الله المغربى المحدث ٢٤٨

حوادث سنه ألف و مائه و ثنتين و أربعين ٢٤٩

ص: ٤٦٨

وفاه القاضي حسن الفصيحى المنجم ٢٤٩

وفاه الشريف على بن الشريف سعيد الحسنى ٢٥٠

وفاه الشيخ عيد المدرس المصرى ٢٥٠

حوادث سنه ثلاث و أربعين و مائه و ألف ٢٥٠

وفاه القاضي عيد بن محمد الأنصارى ٢٥٠

وفاه الشيخ عبد الكريم المدرس الهندى ٢٥١

وفاه الشريف عبد الله بن بركات الحسنى ٢٥١

جلوس السلطان محمود بن السلطان مصطفى العثمانى ٢٥٢

وفاه الشيخ يونس المصرى المدرس ٢٥٤

وفاه السيد محمد بن أسعد مفتى المدينة ٢٥٥

وفاه الشريف عبد الله بن سعيد بن سعد بن زيد الحسنى ٢٥٧

ترجمه الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد بن سعد بن زيد الحسنى ٢٥٧

قتل السيد سليم بن عبد الله بن حسين الحسنى ٢٦٤

قتل السيد سعيد بن سليمان بن أحمد الحسنى ٢٦٨

قتل السيد سليم بن مبارك بن شبر الحسنى ٢٦٩

خروج الشريف محمد من مكه المكرمه ٢٧٠

الحوادث الواقعه فى دولته ٢٧٢

وفاه السيد عبد المعين بن محمد الحسنى ٢٧٢

ثوران العوام على العجم بمكه ٢٧٢

حوادث سنه ألف و مائه و خمس و أربعين ٢٧٥

ابتداء خروج السلطان نادر شاه في ايران ٢٧٥

ص: ٤٦٩

حوادث سنه ستّ و أربعين و مائه و ألف ٢٨١

فتنه سردار حسين أفندي ٢٨١

ترجمه الشريف مسعود بن سعيد بن سعد بن زيد بن محسن الحسنی ٢٩١

الوقائع الواقعة في أيام شرافته ٢٩٧

قتل رجل مغربي عالم بالعلوم الغريبه ٢٩٩

وفاه السيد زيد بن أحمد بن سعيد الحسنی ٣٠٠

حصول كسوف كلى هائل بمكّه ٣٠١

حوادث سنه سبع و أربعين و مائه و ألف ٣٠٢

وفاه الشريف محسن بن عبد الله الحسنی ٣٠٢

حوادث سنه ثمان و أربعين و مائه و ألف ٣٠٥

وفاه الجمال محمّد بن الحسين المدعون ٣٠٥

أخبار عن تيمور لنك سلطان العجم ٣٠٥

إخراج الأجانب من مكّه المكرّمه ٣٠٧

منع شرب التباك في مكّه ٣٠٨

وفاه السيد مسعود بن أحمد الحسنی ٣٠٩

انتصار الدوله العثمانيّه على الكفار ٣١٠

صوله الشريف محمّد على عمّه الشريف مسعود ٣١٠

قتل ابن السلطان نادر شاه و بعض أخباره ٣١٢

حوادث سنه تسع و أربعين و مائه و ألف ٣١٣

كيفيه جلوس نادر شاه في سلطنه ايران ٣١٣

وفاه الشيخ محمد بن أحمد عقيله المغربي ٣٢٠

ص: ٤٧٠

حوادث سنه خمسين و مائه و ألف ٣٢٣

وفاه الشيخ زين العابدين بن الشيخ سعيد المنوفى ٣٢٣

حوادث سنه إحدى و خمسين و مائه و ألف ٣٢٥

فتح السلطان نادر شاه بلاد الهند ٣٢٥

حوادث سنه ثنتين و خمسين و مائه و ألف ٣٣٤

وفاه السيد حسن بن الشريف سعيد الحسنى ٣٣٤

وفاه السيد عبد الله بن أحمد بن أبى القاسم ٣٣٤

وفاه الشيخ على بن عبد السلام الرئيس ٣٣٥

رجوع السلطان نادر شاه من الهند و القتل العام ٣٣٥

صلح الشريف محمّد مع عمّه الشريف مسعود ٣٣٦

حوادث سنه ثلاث و خمسين و مائه و ألف ٣٣٧

وفاه السيد سرور بن يعلى الحسنى ٣٣٧

وفاه السيد محمّد بن عمرو الحسنى ٣٣٨

وفاه الوزير إبراهيم بن عبد الرحيم الشامى ٣٣٨

حصول السيل العظيم بمكّه ٣٣٩

حوادث سنه خمس و خمسين و مائه و ألف ٣٣٩

وفاه الشيخ محمّد جواد بن عبد الرزاق البغدادى ٣٤٣

حوادث سنه ستّ و خمسين و مائه و ألف ٣٥٥

وفاه الشيخ عثمان بن عبد السلام الرئيس ٣٥٥

إصدار إلى أهل المذاهب تولى كلّ ذى وظيفه وظيفته بنفسه ٣٥٥

ترجمه السيد محمد بن السيد أحمد الخطيب ٣٥٦

ص: ٤٧١

وفاه السيد حسن بن أحمد بن سالم شيخان ٣٥٩

غزوه بني مخلد ٣٥٩

وفاه السيد حسن بن غالب بن زامل الحسنى ٣٦١

وفاه الشيخ محمد بن حسن العجيمى ٣٦١

وفاه السيد عبد العزيز بن زين العابدين الحسنى ٣٦٢

بناء برجين عظيمين لصاحب الترجمة ٣٦٢

الفتنه العظيمه بالمدينه ٣٦٣

وفاه الشيخ عبد الوهاب بن أحمد الطنطاوى ٣٧١

تصدى الشيخ عمر الأندى لخطابه عيد الفطر ٣٧٢

حوادث سنه سبع و خمسين و مائه و ألف ٣٧٧

وصول رسول من طرف نادر شاه إلى شريف مكه ٣٧٧

ترجمه الشهيد السيد نصر الله الحائرى و ما جرى عليه ٣٧٨

حوادث سنه ثمان و خمسين و مائه و ألف ٣٩٤

خروج الوزير أبى بكر باشا إلى المدينه ٣٩٤

غزوه قبيله عضل ٣٩٥

وفاه السيد محمد بن يحيى بن هاشم الحطاب ٣٩٦

وفاه السيد سند بن أحمد بن زين العابدين الحسنى ٣٩٧

غزوه قبيله البقوم ٣٩٧

ظفر الدوله العثمانيه على نادر شاه ٣٩٨

شهاده العلامه السيد نصر الله الحائرى ٣٩٨

ظفر السلطان نادر شاه على العساكر العثمانية ٣٩٨

ص: ٤٧٢

حوادث سنه تسع و خمسين و مائه و ألف ٣٩٩

المصالحه بين السلطان نادر شاه و العثمانيه ٣٩٩

فتنه الأفرنج فى أطراف بنقاله و بنادرها ٤٠٠

وفاه السيد عبد الله بن جعفر بامدهر ٤٠١

السييل و الريح العاصف بمكه ٤٠٢

حوادث سنه ألف و مائه و ستين ٤٠٣

وفاه الشيخ سالم بن عبد الله البصرى المكي ٤٠٣

الاختلاف فى رؤيه هلال شهر رمضان ٤٠٥

الفتنه العظيمه بمصر ٤٠٦

قتل السلطان نادر شاه و كيفيته و الحوادث الواقعه بعد ذلك ٤٠٧

وفاه الوزير أحمد باشا بن حسن باشا ٤١٦

حوادث سنه ألف و مائه و إحدى و ستين ٤١٨

وفاه السيد راجح بن الشريف سعيد الحسنى ٤١٨

وفاه الشيخ إبراهيم بن الشيخ محمد شمس ٤١٨

عزل الخواجه مصطفى بن زياده ٤١٩

وفاه إمام اليمن الحسين المنصور بن القاسم المتوكل ٤٢١

وفاه منصور بن بدوى شيخ بنى حرب ٤٢٢

وصول ثلاثه من سناجق مصر إلى مكه المشرفه ٤٢٣

وفاه محمد شاه سلطان الهند ٤٢٤

وصول الفرمان بقراءه حديث المعراج ٤٢٤

وفاه السيد أمين بن الحسن مير غنى ٤٢٥

ص: ٤٧٣

بعض أخبار إيران بعد وفاة السلطان نادر شاه ٤٢٦

جلوس الشاه رخ حفيد نادر شاه في السلطنة ٤٢٧

وفاه السيد أحمد بن السيد مساعد الحسنى ٤٢٧

وصول أميرى الحاج الشامى و المصرى ٤٢٨

حوادث سنه ألف و مائه و ثنتين و ستين ٤٢٨

وفاه الشيخ عمر بن المفتى عبد القادر ٤٢٨

وفاه السيد يحيى بن الحسن بن غالب الحسنى ٤٣١

وفاه السيد أحمد بن يحيى الأزهرى ٤٣٢

إثاره العساكر اليمتية على وزير شريف مكة بالقنفذه ٤٣٢

عزل السيد مبارك بن عبد المعين الهجارى أمير ينبع ٤٣٤

إرسال هديه جميله من شريف مكة إلى إمام اليمن ٤٣٤

ضيافه الشيخ على بن عبد القادر لشريف مكة ٤٣٥

استقلال شاه رخ في سلطنه ايران ٤٣٧

وفاه الشيخ عبد الكريم الأنصارى المدنى ٤٣٩

وفاه السيد أحمد بن يحيى الأزهرى المدنى ٤٣٩

رساله الشهب المكيه على من تعرّض للساده الحسينيه ٤٤١

سبب تأليف الرساله ٤٤٦

الدفاع عن الساده آل باعلوى و صحه نسبهم و شرافتهم ٤٤٧

الآيات الوارده في فضل أهل البيت عليهم السلام ٤٥٦

الأحاديث الوارده في فضل أهل البيت عليهم السلام ٤٥٨

فهرس مواضبع البعبء الثاني ٤٤٣

ص: ٤٧٤

إبراهيم بن حسن اللقانى ١:٢٢٧

إبراهيم بن عبد الرحمن الخيارى المدنى ١:٣٢٦

إبراهيم بن عبد الرحيم الشامى ٢:٣٣٨

إبراهيم بن محمّد شمس ٢:٤١٨

إبراهيم بن محمّد بن إبراهيم بن بركات بن أبى نمى ١:٣٣٧

أبو بكر بن سالم بن أحمد شيخان باعّبود العلوى ١:٣٣٢

أبو بكر بن محمّد بن سيف ٢:٢٢٤

أبو السعود بن ظهيره القاضى ١:١٠٣

أبو طالب بن حسن بن أبى نمى بن بركات بن محمّد بن بركات ١:١٤٣ و ١٤٤

أبو طالب بن محمّد بن الحسين العواجى ١:٤١١

أبو نمى بن بركات بن محمّد بن بركات بن حسن بن عجلان ١:١٠٨ و ١٢٠

أحمد باعنتر الطائفى ١:٣٤٠

أحمد شيخان باعّبود العلوى ١:٢٢٧

أحمد القطان المكى ١:٣١٢

أحمد بن أبى بكر بن سالم بن أحمد شيخان باعّبود العلوى ١:٣٤٠

أحمد بن أبي بكر بن عقيل المكي ٢:٢٤٣

أحمد بن أبي الفتح الحكمي ١:٢٢٨

أحمد بن حازم بن عبد الله بن حسن بن أبي نمي ٢:٢٣

أحمد باشا بن حسن باشا الوزير ٢:٤١٦

أحمد بن زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبي نمي ١:٣٥٦

أحمد بن عبد اللطيف البشيشي ١:٣٦٤

أحمد بن عبد الله الحنفي البري المدني ١:٣٤١

أحمد بن عجلان بن رميثة بن محمد أبي نمي بن الحسن بن علي بن قتاده ١:٦٤

أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد العسقلاني ١:٧٨

أحمد بن عمر بن عبد الكريم المكي ٢:٢٠٩

أحمد بن عيسى المرشدي القاضي ١:٢٣٧ و ٣٣٢

أحمد بن غالب بن محمد بن مساعد بن مسعود بن حسن ١:٣٧٨ و ٣٩٢

أحمد بن الفضل باكثير الحضرمي ١:١٥٤

أحمد بن القاسم الخلي المكي ١:٢٧٧

أحمد بن القاسم بن الحسن إمام اليمن ١:٣٤٣

أحمد أفندي بن لطف الله السلانيكي الرومي منجم باشي ١:٣١٤

أحمد بن محمد الحارث الحسني ١:٣٢٩

أحمد بن محمد بن أحمد المقرئ التلمساني ١:٢٢٥

أحمد بن محمد الهادي بن عبد الرحمن بن شهاب الدين المكي ١:٢٢٨

أحمد بن مساعد بن سعد بن زيد الحسني ٢:٤٢٧

أحمد بن مسعود بن حسن بن أبي نَمِي بن بركات بن محمد ١:١٧١ و ٢٢٦

ص: ٤٧٦

أحمد بن نعمه الله بن محيي الدين بن عبد الرحمن بن عبد الله الكيلاني ٢:٢٢١

أحمد بن يحيى الأزهرى المدنى ٢:٤٣٢ و ٤٣٩

إدريس بن حسن بن أبي نمى بن بركات بن محمد بن بركات ١:١٤٦

إسماعيل ملك الغرب ٢:٢٣٨

إسماعيل بن حيدر الصفوى ١:٩٠ و ١٠٦

إسماعيل بن عيسى المرشدى ٢:٢٠١

أمين بن الحسن مير غنى ٢:٤٢٥

اورنك زيب بن شاه جهان ٢:٣٧

بايزيد بن محمد خان العثمانى ١:١٠٥

بركات بن أبي نمى بن بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان ١:١٢٧

بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة بن محمد أبى نمى بن الحسن ١:٧٣

بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات بن أبي نمى ١:٣٢١

بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة ١:٩٢ و ١٠٨

بركات بن يحيى بن بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات ٢:١٥٠

بشير آغا الحبشى الطواشى ١:٢٤١

بشير بن مبارك بن فضل بن مسعود بن الحسن بن أبي نمى ٢:٢٤١

تاج الدين بن عارف المنوفى ٢:١١٨

تيمور لنگ سلطان العجم ٢:٣٠٥

ثقبه بن أبي نمى بن بركات بن محمد بن بركات بن حسن ١:١٤٢ و ١٤٣

جعفر بن أحمد ميرك ٢:٢٤٤

جعفر بن محمد البتّي ٢:١١٢

ص: ٤٧٧

جَمَّاز بن حسن بن قتاده بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم ١:٥٢

محمّد جواد بن عبد الرزّاق البغدادي ٢:٣٤٣

حامد بن محمّد بن يعلى الحسنى ٢:١٨٧

حسن الغرب المكي ٢:١٨٦

حسن بن أحمد بن سالم شيخان ٢:٣٥٩

حسن بن أبي نَمى بن بركات بن محمّد بن بركات بن حسن بن عجلان ١:١٢٩

حسن بن زين العابدين الصحرا ٢:١٨٧

حسن بن سعيد بن سعد بن زيد الحسنى ٢:٣٣٤

حسن بن عجلان بن رميثة بن محمّد أبى نَمى بن الحسن بن على بن قتاده ١:٦٥

حسن بن على العجيمى المكي ١:٣١٩

حسن بن غالب الحسنى ٢:١٥٣

حسن بن غالب بن زامل الحسنى ٢:٣٦١

حسن بن قتاده بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين ١:٤٨

حسن بن محمّد بن أحسن الفصيحى المنجم ٢:٢٤٩

حسين باشا السلحدار ١:٣٠٣

حسين سردار أفندى ٢:٢٨١

حسين شاه الصفوى ٢:٣٧

حسين المالكى القاضى ١:١٢٨

حسين بن عبد الرحيم الخطيب ٢:٤٧

حسين المنصور بن القاسم المتوكل إمام اليمن ٢:٤٢١

حسين بن محمد بافضل ١:٣٣٣

ص: ٤٧٨

حسين بن محمد العصامي ٢٢١

حمّود بن عبد الله بن حسن الحسني ١:٣٢٨

داود بن عمر الأنطاكي الحكيم ١:١٤٣

راجح بن سعيد بن سعد بن زيد الحسني ٢:٤١٨

راجح بن قتاده بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين ١:٥٠

شاه رخ بن رضا قلى خان بن نادر شاه ٢:٤٢٧

رضى الدين بن محمد بن على بن حيدر بن محمد بن نجم الدين ١:٣

رميثة بن محمد أبى نمى بن الحسن بن على بن قتاده ١:٥٩

زكريا تاج الدين بن سلطان النقشبندى ١:٢٤٦

زيد بن أحمد بن سعيد بن شبر الحسني ٢:٣٠٠

زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبى نمى بن بركات ١:٢١٥ و ٢٧٤

زين العابدين بن جعفر زين العابدين الصحرا ٢:٩١

زين العابدين بن سعيد المنوفى ٢:٣٢٣

سالم السقاف ٢:٥٩

سالم بن أحمد شيخان باعبود العلوى ١:٢٢٧ و ٢٢٩

سالم بن عبد الله بن سالم البصرى ٢:١٣٣ و ٤٠٣

سرور بن يعلى الحسني ٢:٣٣٧

سعد بن رميثة بن محمد أبى نمى بن الحسن بن على بن قتاده ١:٦٣

سعد بن زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبى نمى ١:٢٧٥

سعد الدين الكاشغرى ١:٨٣

سعيد بن برکات بن أبي نمى بن برکات بن محمد ١:٣٣٣

ص:٤٧٩

سعيد بن بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات بن أبي نمى ١:٣٤٤

سعيد بن سعد بن زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبي نمى ٢:١٠

سعيد بن سليمان بن أحمد بن سعيد بن شبر الحسنى ٢:٢٤٨

سعيد بن محمد القطبى ٢:٢٢١

سليم بن بايزيد بن محمد خان العثمانى ١:١٠٥ و ١٠٧ و ١٢٤

سليم بن عبد الله بن حسين بن عبد الله بن حسن بن أبي نمى ٢:٢٤٤

سليم بن مبارك بن شبر الحسنى ٢:٢٤٩

سند بن أحمد بن زين العابدين بن عبد الله بن حسن بن أبي نمى ٢:٣٩٧

شبر بن حسن بن مسعود بن جود الله بن حسن بن أبي نمى ٢:٢٢٤

شبير بن مبارك بن فضل بن مسعود بن الحسن بن أبي نمى ٢:٢٠٩

شرف الدين المصرى الشافعى ٢:٢٤٧

شعبان أفندى ١:٢٣٤

محمد صالح بن عبد الهادى الطاهر ٢:٢٤٨

صفى الدين الحلّى ٢:١٢١

ظافر بن محمد بن خيرات المكى ٢:١٩٠

عامر بن يحيى المساوى ٢:٢٢٣

عباس القطبى ٢:١٨٧

عبد الجواد المنوفى ١:٢١٨

عبد الرحمن الهندى ٥٨

عبد الرحمن بن أحمد بن محمد المحجوب ١:٣٢٩

عبد الرحمن بن عيسى المرشدي ١:١٥٤ و ١٦٢

ص: ٤٨٠

عبد العزيز بن زين العابدين بن إبراهيم بن محمد بن بركات ٢:٣٦٢

عبد القادر الطبري ١:١٥٧

عبد القادر بن محمد الكيلاني ١:٢٣٠

عبد الكبير بن محمد المتوكل ١:٣٠٠

عبد الكريم الأنصاري المدني ٢:٤٣٩

عبد الكريم المتوكل ١:٨٥

عبد الكريم المدرّس الهندي ٢:٢٥١

عبد الكريم بن محمد البرزنجي ٢٠٨

عبد الكريم بن محمد بن يعلى بن موسى بن بركات بن أبي نمي ٢٩

عبد اللطيف باكثر القاضي ١:١١٣

عبد اللطيف الموقت ٩١

عبد اللطيف بن عبد الواحد الشيبني القرشي ١:٣١٢

عبد الله باشيخ الحضرمي ٢:٢٠٧

عبد الله طرفه المكي ٢:٤٧

عبد الله بن أحمد بن أبي القاسم ٢:٣٣٤

عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف المكي ٢:٢٢٣

عبد الله بن بركات الحسني ٢:٢٥١

عبد الله بن جعفر بامدھر ٢:٤٠١

عبد الله بن حسن بن أبي نمي بن بركات بن محمد بن بركات ١:٢٠٥

عبد الله بن سالم البصري ٢:١٢٦

عبد الله بن سعيد بن سعد بن زيد بن محسن بن حسين ٢:٦٠ و ١٦٢ و ٢٥٧

ص: ٤٨١

عبد الله أفندي بن شمس الدين عتاقى زاده ١:٣١١

عبد الله بن محمد القرشى الشيبى ٢:٣٤

عبد الله بن هاشم بن عبد المطلب بن حسن بن أبى نمى ٢:٧

عبد المحسن بن أحمد بن زيد بن محسن بن حسين بن حسن ٢:٢٤ و ٢٧٤

عبد المحسن بن سالم القلمى ١:٣٢٨

عبد المطلب بن حسن بن أبى نمى بن بركات بن محمد بن بركات ١:١٥٨

عبد المعين بن محمد بن حمود بن عبد الله بن حسن بن أبى نمى ٢:٢٧٢

عبد الملك بن جمال الدين العصامى ١:٣١٣

عبد الهادى بن محمد المؤرخ ٢:٢٢٣

عبد الوهاب الهندى ٢:٣٦

عبد الوهاب بن أحمد بن بركات الأحمدي الطنطاوى ٢:٣٧١

عبيد الله بن حسن بن جود الله بن حسن بن أبى نمى ٢:٢٤٤

عثمان بن أحمد شمس ٢:٢٤٦

عثمان بن زين العابدين حميدان ١:٣٠٧ و ٢:٥٩

عثمان بن عبد السلام الرئيس ٢:٣٥٥

عجلان بن رميته بن محمد أبى نمى بن الحسن بن على بن قتاده ١:٦١

عصام الدين بن على زاده العصامى ١:٢٧١

علوى بن على بن عقيل السقاف ١:٢٤٠

على المهدي ٢:٣٩٤

على بن أحمد بن معصوم بن أحمد المدني ٢:٤٨

علی بن سعید بن سعد بن زید بن محسن بن حسین بن حسن ۲:۷۷ و ۲۵۰

ص: ۴۸۲

محمّد علي بن سليم الوزير ١:٣٦٣

علي بن عبد السلام الرئيس ٢:٣٣٥

علي بن عبد القادر المكي ٢:٤٣٥

علي بن عبد الله ميرماه ٢:٣٦

علي بن عصام الدين القاضي ١:٣٩٠

علي بن محمد الأيزي الشافعي المكي ١:٣٣١

علي بن نور الدين بن أبي الحسن العامل المكي ٢:٣٨

محمد عمّار المدني ١:٣٩١

عمّار بن بركات بن جعفر بن أبي نمى ١:٢٦٩

عمّاره بن علي بن زيدان المخلافي ١:٤٢٤

عمر بن عبد القادر بن أبي بكر الأفتدي ٢:٣٧٢ و ٤٢٨

عنان بن جازان بن قايتباي بن حسن بن أبي نمى ٢:٢٠٧

عيد المدرّس المصري ٢:٢٥٠

عيد بن محمد الأنصاري ٢:٢٥٠

عيسى بن محمد بن محمد بن أحمد الثعالبي المغربي ١:٢٩٩

غانم بن راجح بن قتاده بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم ١:٥٣

فتح الله النحاس الحلبي الشاعر ١:٢٦٠

فيض الله الأفتدي ٢:٣٤

قتاده بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين ١:٤٠

قطب الدين النهرواني المكي ١:١٢٨

محمّد مؤمن بن دوست محمّد الأستراবাদى الحسينى التقوى ١:٣٣٥

ص: ٤٨٣

مبارك بن أحمد بن زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبي نمي ٢:٩١ و ١٥٤

مبارك بن عبد المعين الهجاري ٢:٤٣٤

محسن بن حسين بن حسن بن أبي نمي بن بركات بن محمد ١:١٥١

محسن بن زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبي نمي ٢:٣

محسن بن عبد الله بن حسين بن حسن بن أبي نمي ٢:١٦٨ و ٢٤٠ و ٣٠٢

محضار بن عبد الله بن محمد السقاف ٢:٤٣٣

محمد الأسدي المدرس ٢:١٩٩

محمد البخشي الدمشقي ١:٣٧٢

محمد العباسي ٢:٢٢٣

محمد العناتي المغربي ٢:٢٤٦

محمد بن إبراهيم العثماني ١:٣٨٨

محمد بن أبي بكر العرابي ٢:١٨٨

محمد بن أحمد الخطيب ٢:٣٥٦

محمد بن أحمد الشرنبلالي ٢:٥

محمد بن أحمد عقيله المغربي ٢:٣٢٠

محمد المهدي بن أحمد بن الحسن بن القاسم إمام اليمن ٢:٧١

محمد بن أحمد بن حسين بن عبد الله بن حسن بن أبي نمي ٢:١٩٨

محمد بن أحمد بن حكيم الملك ١:٢٤٧

محمد بن أحمد بن عبد الله الحسنی ١:٣٥٠

محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد شمس الرومي ٢:١٩٨

محمّد بن أسعد المدني ٢:٢٥٥

ص: ٤٨٤

محمد بن بركات السقافي العلوي ١:٢٤٠

محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة بن محمد أبي نمى ١:٧٩ و ٩١

محمد بن تاج الدين المالكي ٢:١٩٩

محمد بن جابر الزريفي ١:٤٦٩

محمد بن الحسن المدعون ٢:٣٠٥

محمد أبو نمى بن الحسن بن علي بن قتاده بن إدريس ١:٥٤

محمد بن الحسين البخاري ٢:٢٢٤

محمد بن زين العابدين بن محمد البكري الصديقي ١:٣٣٣

محمد بن سليمان المالكي السوسي ١:٣٤٨

محمد بن عبد الله المغربي المحدث ٢:٢٤٨

محمد بن عبد الله بن سعيد بن سعد بن زيد بن محسن بن حسين ٢:٢٥٧

محمد بن عبد المعطي الشيببي ٢:٢٤

محمد بن علي بن حيدر العاملي والد المؤلف ٢:٢٢٧

محمد بن عمرو بن محمد بن إبراهيم بن بركات الحسنى ٢:٣٣٨

محمد بن كمال الدين الحسينى الشامى ١:٣٣٠

محمد بن محمد بن أحمد المنوفى المكي ١:٣٤٠

محمد بن مراد خان العثمانى ١:٨٢

محمد بن يحيى بن هاشم الحطاب ٢:٣٩٦

محمد بن يعلى بن حمزه بن موسى بن بركات بن أبي نمى ١:٣٦٥

محمود بن مصطفى بن محمد العثمانى ٢:٢٥٢

مراد خان العثماني ١:٧٨ و ١٤٢

ص: ٤٨٥

مسعود بن أحمد بن حراز بن أحمد بن أبي نمى ٢:٣٠٩

مسعود بن إدريس بن حسن بن أبي نمى بن بركات بن محمد ١:١٩٤ و ٢٠٣

مسعود بن سعيد بن سعد بن زيد بن محسن بن حسين بن حسن ٢:٢٩١

مصطفى بن زياده ٢:٤١٩

منصور بن بدوى شيخ بنى حرب ٢:٤٢٢

مهدى بن محمد العواجى ١:٤٠٧

نادر شاه ملك إيران ٢:٢٧٥ و ٣١٢ و ٣١٣ و ٣٢٥ و ٣٣٥ و ٣٧٧ و ٣٩٨ و ٤٠٧ و ٤٢٦ و ٤٢٧ و ٤٣٧

الناصر بن قايتباى ١:١٠٢

نامى بن عبد المطلب بن حسن بن أبي نمى بن بركات بن محمد ١:٢٠٩

نصر الله بن الحسين بن على الحائرى الموسوى الشهيد ٢:٣٧٨ و ٣٩٨ و ٣٩٩

نعمه الله بن محيى الدين بن عبد الرحمن بن عبد الله بن على الكيلانى ١:٢٢٩

نور الدين بن على الشبراملى ١:٣٣٣

هاشم بن أحمد الحبشى ١:٢٢٧

يحيى بن أحمد بن يحيى الحسينى إمام اليمن ١:١٠٣

يحيى بن بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات ٢:٦ و ٨٤ و ١٣٨

يحيى أفندى بن جعفر أفندى الواعظ ٢:٢٤٤

يحيى بن الحسن بن غالب الحسنى ٢:٤٣١

يحيى بن عبد القادر المكى ٢:٢٤٨

يحيى بيك بن على باشا ١:٣٥٣

يحيى بن عوض بن محمد باقشير ٢:٢٠٠

يحيى أفندي بن محمد أفندي المنقاري ١:٣٣١

يحيى بن محمد البابلي الشاوي الملياني المغربي ١:٣٦٣

يحيى بن محمد الطبري ٢:٢٢٢

يوسف بن محمد البلقيني ١:٢٢٩

يونس المصري الشافعي ٢:٢٥٤

ص: ٤٨٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
الغمامة
اصبحان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

